مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة الْأُولَى)

مِنْ مَادَّةِ

سِيرَة النَّبِيِّ ﷺ

[الْعَهْدُ الْمَكِّيُّ - ج٢]

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

الرَّعِيلُ الأَوَّلُ:

إِسْلَامُ خَدِيجَة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا

فَقَدْ بدَأَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو إِلَىٰ الْإِسْلَامِ سِرًّا لِئَلَّا يُفَاجِئَ أَهْلَ مَكَّةَ بِمَا يُهَيِّجُهُمْ عَلَيْهِ، فَجَعَلَ يَعْرِضُ الْإِسْلَامَ عَلَىٰ أَلْصَقِ النَّاسِ بِهِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَأَصْدِقَائِهِ، وَيَعْرِضُهُ عَلَىٰ كُلِّ مَنْ يَتَوَسَّمُ فِيهِ خَيْرًا مِمَّنْ يَعْرِفُهُمْ بِحُبِّ الْحَقِّ وَالْخَيْرِ، وَيَعْرِفُونَهُ بِالصِّدْقِ وَالصَّلَاحِ.

- كَانَ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ ﷺ مِنَ النِّسَاءِ -بَلْ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ عَلَىٰ الْإِطْلَاقِ- زَوْجُهُ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ رَحِمَهُ اللهُ: «خَدِيجَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللهِ أَسْلَمَ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ، لَمْ يَتَقَدَّمْهَا رَجُلٌ وَلَا امْرَأَةٌ».

وَكَانَتْ وَزِيرَةَ صِدْقٍ لِلنَّبِيِّ، وَمُسَرِّيَةً عَنْهُ مَا يَجِدُهُ مِنْ قَوْمِهِ، لَا يَسْمَعُ شَيْئًا يَكْرَهُهُ مِنْ رَدٍّ عَلَيْهِ، وَتَكْذِيبٍ لَهُ، فَيُحْزِنُهُ ذَلِكَ إِلَّا فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ بِهَا، إِذَا رَجَعَ إِلَيْهَا تُثَبِّتُهُ، وَتُخَفِّفُ عَنْهُ، وَتُصَدِّقُهُ، وَتُهَوِّنُ عَلَيْهِ أَمْرَ النَّاسِ، وَهَكَذَا كَانَتْ تَصِلُ إِلَىٰ شَغَافِ قَلْبِهِ بِعَطْفِهَا، وَحُبِّهَا، وَتُزِيلُ عَنْهُ آثَارَ الْأَذَىٰ بِيَدَيْهَا، وَتَمْسَحُ مَا عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ عَلِقَ بِنَفْسِهِ مِنَ النَّاسِ بِحَدِيثِهَا الْمُؤْمِنِ الْعَذْبِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْإِصَابَةِ»: «خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَوَّلُ مَنْ صَدَّقَتْ بِبِعْثَتِهِ مُطْلَقًا».

وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: «وَآمَنَتْ بِهِ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَصَدَّقَتْ بِمَا جَاءَهُ مِنَ اللهِ، وَوَازَرَتْهُ عَلَىٰ أَمْرِهِ، وَكَانَتْ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، وَصَدَّقَ بِمَا جَاءَ بِهِ، فَخَفَّفَ اللهُ بِذَلِكَ عَنْ نَبِيِّهِ ﷺ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَا يَسْمَعُ شَيْئًا مِمَّا يَكْرَهُهُ مِنْ رَدٍّ عَلَيْهِ، وَتَكْذِيبٍ لَهُ، فَيُحْزِنُهُ ذَلِكَ إِلَّا فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ بِهَا، إِذَا رَجَعَ إِلَيْهَا تُثَبِّتُهُ، وَتُخَفِّفُ عَلَيْهِ، وَتُصَدِّقُهُ، وَتُهَوِّنُ عَلَيْهِ أَمْرَ النَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا».

◉ ◉ ◉

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

إِسْلَامُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه

ثُمَّ أَسْلَمَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه ابْنُ عَمِّ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَمْ يَبْلُغِ الْحُلُمَ حِينَ أَسْلَمَ، كَانَ ابْنَ عَشْرِ سِنِينَ عَلَىٰ الصَّحِيحِ، وَلَمْ يَعْبُدِ الْأَوْثَانَ قَطُّ لِصِغَرِهِ، وَكَانَ فِي حِجْرِ النَّبِيِّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يُوحَىٰ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الصِّبْيَانِ.

رَوَىٰ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ»، وَابْنُ إِسْحَاقَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ مُجَاهِدِ بْنِ جَبْرٍ قَالَ: «كَانَ مِنْ نِعْمَةِ اللهِ عَلَىٰ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، وَمِمَّا صَنَعَ اللهُ لَهُ وَأَرَادَهُ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ؛ أَنَّ قُرَيْشًا أَصَابَتْهُمْ أَزْمَةٌ شَدِيدَةٌ، وَكَانَ أَبُو طَالِبٍ ذَا عِيَالٍ كَثِيرٍ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِعَمِّهِ الْعَبَّاسِ، وَكَانَ مِنْ أَيْسَرِ -أَيْ: أَغْنَىٰ- بَنِي هَاشِمٍ: «**يَا أَبَا الْفَضْلِ، إِنَّ أَخَاكَ أَبَا طَالِبٍ كَثِيرُ الْعِيَالِ، وَقَدْ أَصَابَ النَّاسَ مَا تَرَىٰ مِنْ هَذِهِ الْأَزْمَةِ، فَانْطَلِقْ بِنَا إِلَيْهِ نُخَفِّفْ عَنْهُ مِنْ عِيَالِهِ؛ آخُذُ مِنْ بَنِيهِ رَجُلاً، وَتَأْخُذُ أَنْتَ رَجُلًا فَنَكْفُلُهُمَا عَنْهُ**».

فَقَالَ الْعَبَّاسُ: نَعَمْ، فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ أَتَيا أَبَا طَالِبٍ، فَقَالَا لَهُ: إِنَّا نُرِيدُ أَنْ نُخَفِّفَ عَنْكَ مِنْ عِيَالِكَ حَتَّىٰ تَنْكَشِفَ عَنِ النَّاسِ مَا هُمْ فِيهِ.

فَقَالَ لَهُمَا أَبُو طَالِبٍ: إِذَا تَرَكْتُمَا لِي عَقِيلًا فَاصْنَعَا مَا شِئْتُمَا، فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيًّا رضي الله عنه فَضَمَّهُ إِلَيْهِ، وَأَخَذَ الْعَبَّاسُ رضي الله عنه جَعْفَرًا رضي الله عنه فَضَمَّهُ إِلَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ

عَلِيٌّ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ بَعَثَهُ اللهُ نَبِيًّا، فَاتَّبَعَهُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَآمَنَ بِهِ وَصَدَّقَهُ، وَأَخَذَ الْعَبَّاسُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ جَعْفَرًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَلَمْ يَزَلْ جَعْفَرٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَعَ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حَتَّىٰ أَسْلَمَ، وَاسْتَغْنَىٰ عَنْهُ».

◉ ◉ ◉

www.menhag-un.com

إِسْلَامُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ رضي الله عنه

ثُمَّ أَسْلَمَ مَوْلَاهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ الْكَلْبِيُّ رضي الله عنه، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْمَوَالِي، يُقَالُ لَهُ «حِبُّ النَّبِيِّ» ﷺ، وَهُوَ الَّذِي آثَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَىٰ وَالِدِهِ وَأَهْلِهِ.

وَسَبَبُ وُجُودِهِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ: مَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ» وَحَسَّنَهُ، وَابْنُ إِسْحَاقَ فِي «السِّيرَةِ»: أَنَّ حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ قَدِمَ مِنَ الشَّامِ بِرَقِيقٍ فِيهِمْ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ رضي الله عنه، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، فَقَالَ لَهَا: اخْتَارِي أَيَّ هَؤُلَاءِ الْغِلْمَانِ شِئْتِ فَهُوَ لَكِ، فَاخْتَارَتْ زَيْدًا فَأَخَذَتْهُ، فَلَمَّا رَآهُ النَّبِيُّ ﷺ أَعْجَبَهُ، فَاسْتَوْهَبَهُ مِنْهَا فَوَهَبَتْهُ لَهُ، فَأَعْتَقَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَتَبَنَّاهُ، فَكَانَ يُدْعَىٰ «زَيْدَ بْنَ مُحَمَّدٍ»، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُوحَىٰ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَبُوهُ حَارِثَةُ قَدْ جَزِعَ عَلَيْهِ جَزَعًا شَدِيدًا وَبَكَىٰ عَلَيْهِ حِينَ فَقَدَهُ، وَقَالَ فِيهِ:

بَكَيْتُ عَلَىٰ زَيْدٍ وَلَمْ أَدْرِ مَا فَعَلْ
أَحَيٌّ فَيُرْجَىٰ أَمْ أَتَىٰ دُونَهُ الْأَجَلْ
فَوَاللهِ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَسَائِلٌ
أَغَالَكَ بَعْدِي السَّهْلُ أَمْ غَالَكَ الْجَبَلْ
وَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ لَكَ الدَّهْرَ أَوْبَةٌ
فَحَسْبِي مِنَ الدُّنْيَا رُجُوعُكَ لِي بَجَلْ

تُذَكِّرُنِيـــهِ الشَّـــمْسُ عِنْـــدَ طُلُوعِهَـــا
وَتَعْـــرِضُ ذِكْـــرَاهُ إِذَا غَرْبُهَـــا أَفَـــلْ
وَإِنْ هبَـــتَّ الْأَرْوَاحُ هَـــيَّجْنَ ذِكْـــرَهُ
فَيَـا طُـولَ مَـا حُزْنِـي عَلَيْـهِ وَمَـا وَجَـلْ
سَـأَعْمَلُ نـص الْعَـيْشِ فِـي الْأَرْضِ جَاهِـدًا
وَلَا أَسْـأَمُ التَّطْـوَافَ أَوْ تَسْـأَمُ الْإِبِـلْ
حَيَـاتِيَ أَوْ تَـأْتِي عَلَـيَّ مَنِيَّتِـي
فَكُـلٌّ امْـرِئٍ فَـانٍ وَإِنْ غَـرَّهُ الْأَمَـلْ

فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ بِمَكَّةَ قَدِمَهَا لِيَفْدِيَهُ، فَدَخَلَ حَارِثَةُ وأَخُوهُ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَا: يَا ابْنَ عَبْدِ اللهِ يَا ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَا ابْنَ هَاشِمٍ، يَا ابْنَ سَيِّدِ قَوْمِهِ، أَنْتُمْ أَهْلُ الْحَرَمِ وَجِيرَانُهُ، وَعِنْدَ بَيْتِهِ، تَفُكُّونَ الْعَانِيَ، وَتُطْعِمُونَ الْأَسِيرَ، جِئْنَاكَ فِي ابْنِنَا عِنْدَكَ، فامْنُنْ عَلَيْنَا، وَأَحْسِنْ إِلَيْنَا فِي فِدَائِهِ، فَإِنَّا سَنَرْفَعُ لَكَ فِي الْفِدَاءِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ هُوَ؟**» قَالَا: زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ زَيْدًا، فَقَالَ لَهُ: «**إِنْ شِئْتَ فَأَقِمْ عِنْدِي، وَإِنْ شِئْتَ فَانْطَلِقْ مَعَ أَبِيكَ**»، فَقَالَ زَيْدٌ: بَلْ أُقِيمُ عِنْدَكَ، وَمَا أَنَا بِالَّذِي أَخْتَارُ عَلَيْكَ أَحَدًا، أَنْتَ مِنِّي بِمَكَانِ الْأَبِ وَالْأُمِّ.

فَقَالَا: وَيْحَكَ يَا زَيْدُ!! أَتَخْتَارُ الْعُبُودِيَّةَ عَلَىٰ الْحُرِّيَّةِ وَعَلَىٰ أَبِيكَ وَعَمِّكَ وَعَلَىٰ أَهْلِ بَيْتِكَ؟! قَالَ: نَعَمْ؛ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ شَيْئًا، مَا أَنَا بِالَّذِي أَخْتَارُ عَلَيْهِ أَحَدًا أَبَدًا.

فَلَمْ يَزَلْ زَيْدٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ بَعَثَهُ اللهُ تَعَالَىٰ فَصَدَّقَهُ، وَأَسْلَمَ، وَصَلَّىٰ مَعَهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ﴾ [الأحزاب: ٥]، قَالَ: أَنَا زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ.

◉◉◉

www.menhag-un.com

إِسْلَامُ بَنَاتِ النَّبِيِّ ﷺ وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ

كَذَلِكَ سَارَعَ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ بَنَاتُ النَّبِيِّ ﷺ؛ لِأَنَّهُ لَا شَكَّ فِي تَمَسُّكِهِنَّ قَبْلَ الْبِعْثَةِ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَبُوهُنَّ مِنَ الِاسْتِقَامَةِ، وَحُسْنِ السِّيرَةِ، وَالتَّنَزُّهِ عَمَّا كَانَ يَفْعَلُهُ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَالْوُقُوعِ فِي الْآثَامِ، وَفِي اقْتِدَائِهِنَّ بِأُمِّهِنَّ فِي الْمُسَارَعَةِ إِلَىٰ الْإِيمَانِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: «وَأَمَّا بَنَاتُهُ ﷺ فَكُلُّهُنَّ أَدْرَكْنَ الْإِسْلَامَ فَأَسْلَمْنَ وَهَاجَرْنَ مَعَهُ ﷺ وَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ».

وَأَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ خَارِجِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ فَكُلُّ الَّذِينَ ذُكِرُوا قَبْلَ ذَلِكَ هُمْ مِنْ دَاخِلِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ؛ زَوْجُهُ، وَبَنَاتُهُ، وَرَبِيبُهُ عَلِيٌّ، وَمَوْلَاهُ زَيْدٌ.

◉ ◉ ◉

www.menhag-un.com

إِسْلَامُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه

وَأَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ خَارِجِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه، فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِالرَّسُولِ ﷺ مِنَ الرِّجَالِ الْبَالِغِينَ الْأَحْرَارِ، وَكَانَ صَدِيقًا لِلنَّبِيِّ ﷺ قَبْلَ الْبَعْثَةِ، وَهُوَ أَصْغَرُ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ بِسَنَتَيْنِ وَنِصْفٍ تَقْرِيبًا، وَكَانَ يَعْلَمُ مِنْ صِدْقِهِ، وَأَمَانَتِهِ، وَحُسْنِ سَجِيَّتِهِ، وَكَرَمِ أَخْلَاقِهِ مَا يَمْنَعُهُ مِنَ الْكَذِبِ عَلَىٰ الْخَلْقِ؛ وَلِهَذَا مَا إِنْ ذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَهُ حَتَّىٰ بَادَرَ إِلَىٰ تَصْدِيقِهِ وَلَمْ يَتَلَعْثَمْ.

قَالَ الرَّسُولُ ﷺ عَنْهُ: «**مَا دَعَوْتُ أَحَدًا إِلَىٰ الْإِسْلَامِ إِلَّا كَانَتْ عِنْدَهُ كَبْوَةٌ** - وَهِيَ الْوَقْفَةُ، كَوَقْفَةِ الْعَاثِرِ، أَوْ الْوَقْفَةِ عِنْدَ الشَّيْءِ يَكْرَهُهُ الْإِنْسَانُ-، **وَنَظَرٌ، وَتَرَدُّدٌ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي قُحَافَةَ، مَا عَكَمَ عَنْهُ حِينَ ذَكَرْتُهُ لَهُ، وَمَا تَرَدَّدَ فِيهِ**».

عَكَمَ أَيْ: تَلَبَّثَ.

وَهَذَا الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الدَّلَائِلِ»، وَابْنُ كَثِيرٍ فِي «الْبِدَايَةِ»، وَكَذَا فِي «التَّفْسِيرِ» مِنْ طَرِيقِ ابْنِ إِسْحَاقَ، وَلَكِنَّهُ مُرْسَلٌ ضَعِيفٌ.

*** مِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَىٰ تَقَدُّمِ إِسْلَامِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:**

وَالْأَدِلَّةُ عَلَىٰ تَقَدُّمِ إِسْلَامِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَثِيرَةٌ، فَمِنْ ذَلِكَ:

١- مَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَمَا بُويِعَ بِالْخِلَافَةِ: أَلَسْتُ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَا؟ أَلَسْتُ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ؟». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

٢- وَرَوَىٰ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ»، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ» بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ، وَلَهُ شَاهِدٌ عِنْدَ الْبَغَوِيِّ فِي «مُعْجَمِ الصَّحَابَةِ» وَسَنَدُهُ حَسَنٌ، عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: «سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: مَنْ أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ؟، فَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ حَسَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

إِذَا تَذَكَّرْتَ شَجْوًا مِنْ أَخِي ثِقَةٍ ... فَاذْكُرْ أَخَاكَ أَبَا بَكْرٍ بِمَا فَعَلَا
التَّالِيَ الثَّانِيَ الْمَحْمُودُ مَشْهَدُهُ ... وَأَوَّلُ النَّاسِ مِنْهُمْ صَدَّقَ الرُّسُلَا
وَالثَّانِيَ اثْنَيْنِ فِي الْغَارِ الْمُنِيفِ وَقَدْ ... طَافَ الْعَدُوُّ بِهِ إِذْ صَعَّدَ الْجَبَلَا
وَكَانَ حِبَّ رَسُولِ اللهِ قَدْ عَلِمُوا ... مِنَ الْبَرِيَّةِ لَمْ يَعْدِلْ بِهِ رَجُلَا
خَيْرُ الْبَرِيَّةِ أَتْقَاهَا وَأَرْأَفُهَا ... بَعْدَ النَّبِيِّ وَأَوْفَاهَا بِمَا حَمَلَا».

٣- **قَالَ السُّهَيْلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:** «وَفِي مَدْحِ حَسَّانَ الَّذِي قَالَ فِيهِ، وَسَمِعَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ يُنْكِرْهُ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الرِّجَالِ».

٤- وَرَوَىٰ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» بِسَنَدِهِ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ، فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي؟**» مَرَّتَيْنِ.

٥- **قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ**: «فَلَمَّا أَسْلَمَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ، وَدَعَا إِلَىٰ اللهِ وَإِلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مُؤَلَّفًا لِقَوْمِهِ، مُحَبَّبًا سَهْلًا، وَكَانَ أَنْسَبَ قُرَيْشٍ لِقُرَيْشٍ -يُقَالُ: رَجُلٌ نَسَّابَةٌ: إِذَا كَانَ بَلِيغَ الْعِلْمِ بِالْأَنْسَابِ-، وَأَعْلَمَ قُرَيْشٍ بِهَا، وَبِمَا كَانَ فِيهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَكَانَ رَجُلًا تَاجِرًا ذَا خُلُقٍ وَمَعْرُوفٍ.

وَكَانَ رِجَالُ قَوْمِهِ يَأْتُونَهُ وَيَأْلَفُونَهُ لِغَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ الْأَمْرِ؛ لِعِلْمِهِ، وَتَجَارَتِهِ، وَحُسْنِ مُجَالَسَتِهِ، فَجَعَلَ يَدْعُو إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَإِلَىٰ الْإِسْلَامِ مَنْ وَثِقَ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ، مِمَّنْ يَغْشَاهُ وَيَجْلِسُ إِلَيْهِ».

وَلَمْ يَكْتَفِ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِالْمُسَارَعَةِ إِلَىٰ الْإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ بِالنَّبِيِّ ﷺ، بَلْ قَامَ بِالدَّعْوَةِ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ سِرًّا، كَانَ لَهُ فَضْلٌ كَبِيرٌ فِي إِسْلَامِ كَثِيرٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَكُبَرَائِهَا، فَأَسْلَمَ بِدَعْوَتِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

*** عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ.**

وَعُثْمَانُ وُلِدَ بَعْدَ الْفِيلِ بِسِتِّ سِنِينَ عَلَىٰ الصَّحِيحِ، أَسْلَمَ قَدِيمًا وَهَاجَرَ الْهِجْرَتَيْنِ، وَزَوَّجَهُ النَّبِيُّ ﷺ ابْنَتَيْهِ رُقَيَّةَ، وَأُمَّ كُلْثُومٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فَلِذَلِكَ كَانَ يُلَقَّبُ «ذَا النُّورَيْنِ»، وَهُوَ أَحَدُ الْعَشْرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ، قُتِلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ

لِثَمَانِ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ بَعْدَ الْعَصْرِ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ لِلْهِجْرَةِ، وَدُفِنَ لَيْلَةَ السَّبْتِ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ، وَهُوَ ابْنُ اثْنَيْنِ وَثَمَانِينَ سَنَةً وَأَشْهُرٍ عَلَىٰ الصَّحِيحِ الْمَشْهُورِ.

فَأَسْلَمَ عُثْمَانُ بِدَعْوَةِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

- وَأَيْضًا أَسْلَمَ بِدَعْوَتِهِ:

*** الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ.**

وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، هُوَ حَوَارِيُّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أُمُّهُ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمَّةُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أَسْلَمَ قَدِيمًا، وَكَانَ عُمُرُهُ إِذْ ذَاكَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً عَلَىٰ الْمَشْهُورِ، وَلَا خِلَافَ أَنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ الْعِشْرِينَ -يَعْنِي: حِينَ أَسْلَمَ-، وَهُوَ أَحَدُ الْعَشْرَةِ الْمَشْهُودِ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، قُتِلَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ، وَعُمُرُهُ أَرْبَعٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، وَقِيلَ أَرْبَعٌ أَوْ سَبْعٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً، قَتَلَهُ عَمْرُو بْنُ جُرْمُوزٍ -قَبَّحَهُ اللهُ-.

وَمِمَّنْ أَسْلَمَ عَلَىٰ يَدَيْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

*** عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ.**

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ أَبُو مُحَمَّدٍ الزُّهْرِيُّ، مِنَ السَّابِقِينَ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، هَاجَرَ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ، ثُمَّ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، وَشَهِدَ بَدْرًا، وَأُحُدًا، وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا، وَمَنَاقِبُهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَثِيرَةٌ، تُوُفِّيَ سَنَةَ ثِنْتَيْنِ وَثَلَاثِينَ عَنْ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً، وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ.

وَمِمَّنْ أَسْلَمَ عَلَىٰ يَدَيْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

*** سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ.**

هُوَ سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ، أَبُو إِسْحَاقَ، أَسْلَمَ قَدِيمًا سَابِعَ سَبْعَةٍ، وَهُوَ ابْنُ تِسْعَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَهُوَ أَحَدُ الْعَشْرَةِ الْمَشْهُودِ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ رَمَىٰ بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَكَانَ مُجَابَ الدَّعْوَةِ مَشْهُورًا بِذَلِكَ، تُوُفِّيَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِقَصْرِهِ بِالْعَقِيقِ قُرْبَ الْمَدِينَةِ، فَحُمِلَ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ إِحْدَىٰ وَخَمْسِينَ، وَقِيلَ: سِتٍّ، أَوْ قِيلَ: سَبْعٍ، وَعُمُرُهُ ثَلَاثٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً، وَهُوَ آخِرُ الْعَشْرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ وَفَاةً.

فَأَسْلَمَ هَؤُلَاءِ الْأَكَابِرُ عَلَىٰ يَدَيْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَيْضًا أَسْلَمَ عَلَىٰ يَدَيْهِ:

*** طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ.**

طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ الْقُرَشِيُّ التَّيْمِيُّ، أَحَدُ الْعَشْرَةِ الْمَشْهُودِ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَأَحَدُ السِّتَّةِ أَصْحَابِ الشُّورَىٰ الَّذِينَ نَصَّ عَلَيْهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، بِقَوْلِهِ: «وَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ».

قُتِلَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَوْمَ وَقْعَةِ الْجَمَلِ فِي الْعَاشِرِ مِنْ جُمَادَىٰ الْآخِرَةِ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ، وَقَدِ اسْتَكْمَلَ مِنَ الْعُمُرِ يَوْمَئِذٍ أَرْبَعًا وَسِتِّينَ سَنَةً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فَكَانَ هَؤُلَاءِ النَّفَرُ الَّذِينَ سَبَقُوا النَّاسَ الرَّعِيلَ الْأَوَّلَ وَطَلِيعَةَ الْإِسْلَامِ، فَجَاءَ بِهِمْ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ اسْتَجَابُوا لَهُ، وَأَسْلَمُوا وَأَصْبَحُوا مِنْ جُنُودِ الْإِسْلَامِ الْمُخْلِصِينَ لِدَعْوَتِهِ.

وَلَمَّا أَسْلَمَ الصِّدِّيقُ وَطَلْحَةُ أَخَذَهُمَا نَوْفَلُ بْنُ خُوَيْلِدٍ -وَكَانَ يُدْعَىٰ أَسَدَ قُرَيْشٍ- فَشَدَّهُمَا فِي وَثَاقٍ وَاحِدٍ، وَلَمْ يَمْنَعْهُمَا بَنُو تَيْمٍ، فَلِذَلِكَ كَانَ يُقَالُ لِأَبِي بَكْرٍ وَطَلْحَةَ «الْقَرِينَانِ»؛ لِأَنَّهُمَا قَدْ شَدَّا فِي وَثَاقٍ وَاحِدٍ مُقْتَرِنِينَ.

هَؤُلَاءِ هُمُ الرَّعِيلُ الْأَوَّلُ مِنَ الصَّحَابَةِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، ثُمَّ تَلَاهُمْ جَمْعٌ آخَرُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْأَوَائِلِ وَهُمْ:

www.menhag-un.com

الرَّعِيلُ الثَّانِي

* أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ:

وَهُوَ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْجَرَّاحِ، أَحَدُ الْعَشْرَةِ الْمَشْهُودِ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، أَسْلَمَ قَدِيمًا وَشَهِدَ الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا، وَتُوُفِّيَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِطَاعُونِ عَمْوَاسَ سَنَةَ ثَمَانِي عَشْرَةَ، وَلَهُ ثَمَانٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

* أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ:

وَهُوَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ الْقُرَشِيُّ الْمَخْزُومِيُّ، يُكْنَىٰ أَبَا سَلَمَةَ، وَهُوَ ابْنُ عَمَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أُمُّهُ بَرَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَهُوَ أَخُو النَّبِيِّ ﷺ وَحَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مِنَ الرَّضَاعَةِ، أَرْضَعَتْهُمْ ثُوَيْبَةُ مَوْلَاةُ أَبِي لَهَبٍ، كَانَ مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، شَهِدَ بَدْرًا، وَأُحُدًا، وَمَاتَ فِي جُمَادَىٰ الْآخِرَةِ سَنَةَ أَرْبَعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

* الْأَرْقَمُ بْنُ أَبِي الْأَرْقَمِ:

وَهُوَ الْأَرْقَمُ بْنُ أَبِي الْأَرْقَمِ الْقُرَشِيُّ الْمَخْزُومِيُّ، كَانَ مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، شَهِدَ بَدْرًا، وَهُوَ الَّذِي اسْتَخْفَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي دَارِهِ

وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ بِمَكَّةَ لَمَّا خَافُوا الْمُشْرِكِينَ، تُوُفِّيَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ، وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً، وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

*** عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ:**

وَهُوَ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ الْجُمَحِيُّ، مِنْ سَادَاتِ الْمُهَاجِرِينَ، أَسْلَمَ بَعْدَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا، وَهَاجَرَ الْهِجْرَتَيْنِ، وَشَهِدَ بَدْرًا، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ اجْتِهَادًا فِي الْعِبَادَةِ؛ يَصُومُ النَّهَارُ، وَيَقُومُ اللَّيْلَ، وَيَعْتَزِلُ النِّسَاءَ، تُوُفِّيَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بَعْدَ شُهُودِهِ بَدْرًا فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ مَاتَ بِالْمَدِينَةِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَوَّلُ مَنْ دُفِنَ بِالْبَقِيعِ مِنْهُمْ، وَأَخَوَاهُ: قُدَامَةُ وَعَبْدُ اللهِ.

*** قُدَامَةُ بْنُ مَظْعُونٍ:**

قُدَامَةُ بْنُ مَظْعُونٍ الْقُرَشِيُّ الْجُمَحِيُّ، خَالُ حَفْصَةَ وَعَبْدِ اللهِ ابْنَيْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَشَهِدَ بَدْرًا، وَأُحُدًا، وَسَائِرَ الْمَشَاهِدِ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، تُوُفِّيَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَهُوَ ابْنُ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ سَنَةً.

*** عَبْدُ اللهِ بْنُ مَظْعُونٍ:**

عَبْدُ اللهِ بْنُ مَظْعُونٍ الْجُمَحِيُّ مِنَ السَّابِقِينَ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، هَاجَرَ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ الْهِجْرَةَ الثَّانِيَةَ، وَشَهِدَ بَدْرًا، وَتُوُفِّيَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ سَنَةَ ثَلَاثِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ وَهُوَ ابْنُ سِتِّينَ سَنَةً.

*** عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ:**

عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْقُرَشِيُّ، كَانَ مِنَ السَّابِقِينَ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَشَهِدَ عُبَيْدَةَ بَدْرًا، وَقُتِلَ فِيهَا رضي الله عنه وَذَلِكَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ مِنَ الْهِجْرَةِ.

*** سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ:**

سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ الْقُرَشِيُّ الْعَدَوِيُّ، أَحَدُ الْعَشْرَةِ الْمَشْهُودِ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، وَكَانَ صِهْرَ عُمَرَ زَوْجَ أُخْتِهِ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْخَطَّابِ، أَسْلَمَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ قَدِيمًا، وَكَانَ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ، تُوُفِّيَ رضي الله عنه بِالْعَقِيقِ، فَحُمِلَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ سَنَةَ خَمْسِينَ، وَقِيلَ: إِحْدَىٰ وَخَمْسِينَ، وَهُوَ ابْنُ بِضْعٍ وَسَبْعِينَ رضي الله عنه.

*** فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطَّابِ:**

امْرَأَةُ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطَّابِ الْقُرَشِيَّةُ الْعَدَوِيَّةُ، أُخْتُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنهم، أَسْلَمَتْ قَدِيمًا أَوَّلَ الْإِسْلَامِ مَعَ زَوْجِهَا سَعِيدٍ، قَبْلَ إِسْلَامِ أَخِيهَا عُمَرَ رضي الله عنه.

*** أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ:**

أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، زَوْجُ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ، وَوَالِدَةُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَهِيَ أُخْتُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ لِأَبِيهَا، أَسْلَمَتْ قَدِيمًا بِمَكَّةَ، وَهِيَ ذَاتُ

النِّطَاقَيْنِ، بَلَغَتْ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مِائَةَ سَنَةٍ لَمْ يَسْقُطْ لَهَا سِنٌّ، وَلَمْ يُنْكَرْ لَهَا عَقْلٌ، تُوُفِّيَتْ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بَعْدَ مَقْتَلِ ابْنِهَا عَبْدِ اللهِ بِأَيَّامٍ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ لِلْهِجْرَةِ.

وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي «السِّيرَةِ»، وَغَيْرُهُ إِسْلَامَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فِي السَّنَةِ الْأُولَىٰ لِلْبَعْثَةِ، وَهَذَا وَهْمٌ؛ لِأَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لَمْ تَكُنْ وُلِدَتْ، فَكَيْفَ تَكُونُ أَسْلَمَتْ؟ كَانَ مَوْلِدُهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهَا سَنَةَ أَرْبَعٍ مِنَ الْبِعْثَةِ، وَقِيلَ: سَنَةَ خَمْسٍ بَعْدَ النُّبُوَّةِ.

*** أُمُّ الْفَضْلِ:**

وَهِيَ لُبَابَةُ الْكُبْرَىٰ بِنْتُ الْحَارِثِ، لُبَابَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ الْهِلَالِيَّةُ، زَوْجَةُ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَهِيَ أُخْتُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ مَيْمُونَةَ، وَخَالَةُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَأُخْتُ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ لِأُمِّهَا، تُوُفِّيَتْ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَبْلَ زَوْجِهَا الْعَبَّاسِ.

*** خَبَّابُ بْنُ الْأَرَتِّ:**

خَبَّابُ بْنُ الْأَرَتِّ، حَلِيفُ بَنِي زُهْرَةَ، كَانَ حَدَّادًا يَعْمَلُ السُّيُوفَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَصَابَهُ سَبْيٌ فَبِيعَ بِمَكَّةَ، كَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَمِمَّنْ عُذِّبَ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَشَهِدَ بَدْرًا، وَأُحُدًا، وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، نَزَلَ الْكُوفَةَ وَمَاتَ بِهَا، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ دُفِنَ بِالْكُوفَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَكَانَ مَوْتُهُ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ وَعُمُرُهُ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

*** عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ:**

وَهُوَ عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ، أَسْلَمَ سَابِعَ سَبْعَةٍ فِي الْإِسْلَامِ، وَهَاجَرَ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ، وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ عَادَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ بِمَكَّةَ، وَشَهِدَ بَدْرًا، وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَقَرَّهُ عَلَىٰ الْبَصْرَةِ، فَاسْتَعْفَىٰ عُمَرَ عَنْ وِلَايَتِهَا، فَأَبَىٰ أَنْ يُعْفِيَهُ، فَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: اللَّهُمَّ لَا تَرُدَّنِي إِلَيْهَا، فَسَقَطَ عَنْ رَاحِلَتِهِ، فَمَاتَ سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ، وَهُوَ مُنْصَرِفٌ مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ الْبَصْرَةِ بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ: مَعْدِنُ بَنِي سُلَيْمٍ.

*** عُمَيْرُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ:**

عُمَيْرُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ الْقُرَشِيُّ الزُّهْرِيُّ، أَخُو سَعْدٍ، قَدِيمُ الْإِسْلَامِ، مُهَاجِرِيٌّ، شَهِدَ بَدْرًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَقُتِلَ فِيهَا، وَذَلِكَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِلْهِجْرَةِ.

*** عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ:**

الْإِمَامُ الْحَبْرُ، فَقِيهُ الْأُمَّةِ، مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ، هَاجَرَ الْهِجْرَتَيْنِ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ، وَإِلَىٰ الْمَدِينَةِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ جَهَرَ بِالْقُرْآنِ، وَأَخَذَ مِنْ فَمِ الرَّسُولِ ﷺ سَبْعِينَ سُورَةً مَا يُنَازِعُهُ فِيهَا أَحَدٌ، وَشَهِدَ بَدْرًا، وَأُحُدًا، وَالْخَنْدَقَ، وَبَيْعَةَ الرِّضْوَانِ، وَسَائِرَ الْمَشَاهِدِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمَنَاقِبُهُ كَثِيرَةٌ، تُوُفِّيَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ، وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ وَعُمُرُهُ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً.

رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ فَهَؤُلَاءِ هُمُ الرَّعِيلُ الثَّانِي، الَّذِينَ آمَنُوا بَعْدَ الرَّعِيلِ الْأَوَّلِ وَأَسْلَمُوا للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

الرَّعِيلُ الثَّالِثُ

ثُمَّ بَدَأَ النَّاسُ يَتَسَامَعُونَ بِرِسَالَةِ الْإِسْلَامِ، وَسَارَعَ الْفُقَرَاءُ إِلَىٰ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، فَأَسْلَمَ:

*** مَسْعُودُ بْنُ عُتْبَةَ الْقَارِي:**

أَسْلَمَ قَدِيمًا، وَكَانَ عَلَىٰ الْمَغَانِمِ يَوْمَ حُنَيْنٍ، وَأَمَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَحْبِسَ السَّبَايَا وَالْأَمْوَالَ بِالْجِعْرَانَةِ -وَقَدْ تَشَدَّدَ أَيْضًا: بِالْجِعِرَّانَةِ-.

*** سَلِيطُ بْنُ عَمْرٍو:**

سَلِيطُ بْنُ عَمْرٍو الْقُرَشِيُّ الْعَامِرِيُّ، كَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ مِمَّنْ هَاجَرَ الْهِجْرَتَيْنِ، وَهُوَ الَّذِي بَعَثَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ هَوْذَةَ بْنِ عَلِيٍّ الْحَنَفِيِّ مَلِكِ الْيَمَامَةِ، وَذَلِكَ سَنَةَ سِتٍّ أَوْ سَبْعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ.

- وَأَخُوهُ:

*** حَاطِبُ بْنُ عَمْرٍو:**

وَأَخُو سَلِيطٍ حَاطِبُ بْنُ عَمْرٍو الْقُرَشِيُّ الْعَامِرِيُّ، أَسْلَمَ قَبْلَ دُخُولِ الرَّسُولِ ﷺ دَارَ الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ هَاجَرَ إِلَىٰ أَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَشَهِدَ بَدْرًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ.

*** عَيَّاشُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ:**

وَكَذَلِكَ عَيَّاشُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ، أَخُو أَبِي جَهْلٍ لِأُمِّهِ، أَسْلَمَ قَدِيمًا، وَهَاجَرَ إِلَىٰ أَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَهَاجَرَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ خَدَعَهُ أَبُو جَهْلٍ، وَالْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ، فَرَجَعَ مَعَهُمَا، فَأَوْثَقَاهُ وَحَبَسَاهُ بِمَكَّةَ، وَلَمَّا مُنِعَ عَيَّاشٌ مِنَ الْهِجْرَةِ قَنَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُو لِلْمُسْتَضْعَفِينَ بِمَكَّةَ، وَيُسَمِّي مِنْهُمْ: الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ، وَسَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ، وَعَيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ، وَقُتِلَ عَيَّاشٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي مَعْرَكَةِ الْيَرْمُوكِ.

- وَامْرَأَتُهُ:

*** أَسْمَاءُ بِنْتُ سَلَامَةَ:**

وَامْرَأَةُ عَيَّاشِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ أَسْمَاءُ بِنْتُ سَلَامَةَ، كَانَتْ مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ، هَاجَرَتْ مَعَ زَوْجِهَا عَيَّاشِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ إِلَىٰ أَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَوَلَدَتْ لَهُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَيَّاشٍ، ثُمَّ هَاجَرَتْ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ بَعْدُ.

*** خُنَيْسُ بْنُ حُذَافَةَ:**

خُنَيْسُ بْنُ حُذَافَةَ الْقُرَشِيُّ السَّهْمِيُّ، كَانَ مِنَ السَّابِقِينَ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، هَاجَرَ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ، ثُمَّ رَجَعَ فَهَاجَرَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، وَشَهِدَ بَدْرًا، وَأَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ يَوْمَ أُحُدٍ فَمَاتَ مِنْهَا، وَكَانَ زَوْجَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ عَنْهَا تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ.

*** عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ:**

كَانَ أَحَدَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ، وَهَاجَرَ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ، وَمَعَهُ امْرَأَتُهُ لَيْلَىٰ بِنْتُ أَبِي حَثْمَةَ، وَهَاجَرَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، وَشَهِدَ بَدْرًا وَمَا بَعْدَهَا، تُوُفِّيَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سَنَةَ اثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ، وَقِيلَ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ بِأَيَّامٍ.

*** عَبْدُ اللهِ بْنُ جَحْشٍ:**

أُمُّهُ أُمَيْمَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمَّةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أَسْلَمَ قَبْلَ دُخُولِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ دَارَ الْأَرْقَمِ، وَهَاجَرَ الْهِجْرَتَيْنِ إِلَىٰ أَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَهَاجَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ بِأَهْلِهِ، ثُمَّ شَهِدَ بَدْرًا، وَقُتِلَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي أُحُدٍ، وَكَانَ عُمُرُهُ حِينَ قُتِلَ فِي أُحُدٍ نَيِّفًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً.

- وَأَخُوهُ:

*** أَبُو أَحْمَدَ عَبْدُ بْنُ جَحْشٍ:**

وَأَخُو عَبْدِ اللهِ بْنِ جَحْشٍ أَبُو أَحْمَدَ عَبْدُ بْنُ جَحْشٍ، يُكْنَىٰ عَبْدٌ هَذَا أَبَا أَحْمَدَ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ كُنْيَتُهُ، وَكَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَكَانَ أَعْمَىٰ، وَكَانَ شَاعِرًا، وَكَانَ مِمَّنْ هَاجَرَ إِلَىٰ أَرْضِ الْحَبَشَةِ مَعَ أَخِيهِ عَبْدِ اللهِ، ثُمَّ هَاجَرَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، وَشَهِدَ بَدْرًا، وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا، وَتُوُفِّيَ بَعْدَ وَفَاةِ أُخْتِهِ زَيْنَبَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ فِي سَنَةِ عِشْرِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ.

*** جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ:**

جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الْهَاشِمِيُّ، ابْنُ عَمِّ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، كَانَ أَشْبَهَ النَّاسِ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خُلُقًا وَخَلْقًا، مِنَ السَّابِقِينَ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، هَاجَرَ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ،

www.menhaj-un.com

فَأَسْلَمَ النَّجَاشِيُّ وَمَنْ تَبِعَهُ عَلَىٰ يَدَيْهِ، ثُمَّ هَاجَرَ مِنْهَا إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، فَقَدِمَ وَالنَّبِيُّ ﷺ بِخَيْبَرَ، فَتَلَقَّاهُ الرَّسُولُ ﷺ وَاعْتَنَقَهُ، ثُمَّ أَمَّرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ جَيْشِ غَزْوَةِ مُؤْتَةَ إِنْ قُتِلَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، وَاسْتُشْهِدَ فِي مُؤْتَةَ، وَكَانَ عُمُرُهُ رضي الله عنه حِينَ قُتِلَ إِحْدَىٰ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً.

*** فَاطِمَةُ بِنْتُ الْمُجَلَّلِ:**

امْرَأَةُ حَاطِبِ بْنِ الْحَارِثِ: فَاطِمَةُ بِنْتُ الْمُجَلَّلِ الْقُرَشِيَّةُ الْعَامِرِيَّةُ، أُمُّ جَمِيلٍ، كَانَتْ مِنَ السَّابِقِينَ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَمِمَّنْ هَاجَرَ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ هِيَ وَزَوْجُهَا حَاطِبُ بْنُ الْحَارِثِ، وَتُوُفِّيَ زَوْجُهَا بِالْحَبَشَةِ، وَقَدِمَتْ هِيَ وَابْنَاهَا إِلَىٰ الْمَدِينَةِ.

*** حَاطِبُ بْنُ الْحَارِثِ:**

حَاطِبُ بْنُ الْحَارِثِ زَوْجُ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْمُجَلَّلِ الْقُرَشِيَّةُ الْعَامِرِيَّةُ، هَاجَرَ إِلَىٰ أَرْضِ الْحَبَشَةِ، فَوَلَدَتْ لَهُ زَوْجُهُ ابْنَيْهِ مُحَمَّدًا وَالْحَارِثَ، وَمَاتَ رضي الله عنه بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ.

- وَأَخُوهُ:

*** حَطَّابُ بْنُ الْحَارِثِ:**

وَأَخُو حَاطِبٍ حَطَّابُ بْنُ الْحَارِثِ: هُوَ حَطَّابُ بْنُ الْحَارِثِ الْقُرَشِيُّ الْجُمَحِيُّ، هَاجَرَ رضي الله عنه إِلَىٰ أَرْضِ الْحَبَشَةِ مَعَ أَخِيهِ حَاطِبٍ وَمَعَهُ امْرَأَتُهُ فُكَيْهَةُ بِنْتُ يَسَارٍ، وَمَاتَ حَطَّابٌ فِي الطَّرِيقِ إِلَىٰ أَرْضِ الْحَبَشَةِ، لَمْ يَصِلْ إِلَيْهَا رضي الله عنه.

كَثِيرٌ مِنْ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ تَسْمَعُهَا لِأَوَّلِ مَرَّةٍ، وَهَذا مِمَّا يُؤْسَفُ لَهُ وَيُؤْسَىٰ عَلَيْهِ، هَؤُلَاءِ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ الْمَأْمُونِ، فَأَوْلَىٰ النَّاسِ بِمَعْرِفَتِكَ إِيَّاهُمْ، وَلَكِنْ نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْبُرَ كَسْرَنَا، وَأَنْ يَتَجَاوَزَ عَنْ تَقْصِيرِنَا.

هَؤُلَاءِ مِنَ الرَّعِيلِ الثَّالِثِ الَّذِينَ دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ بَعْدَ الرَّعِيلِ الْأَوَّلِ وَالرَّعِيلِ الثَّانِي، وَهُمْ مُتَلَاحِقُونَ وَمِمَّنْ سَارَعَ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ بِالنَّبِيِّ الْمَأْمُونِ، وَهَاجَرُوا، وَجَاهَدُوا، وَصَبَرُوا، وَاسْتَشْهَدُوا وَمَاتُوا، مِنْهُمْ مَنْ مَاتَ فِي غَيْرِ أَرْضِهِ -كَمَا مَرَّ-، وَمِنْهُمْ مَنْ حَمَلَ مَعَهُ امْرَأَتَهُ مُؤْمِنَةً مُهَاجِرَةً فِي سَبِيلِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، وَوُلِدَ لَهُ مِنْ بَنِيهِ مَنْ وُلِدَ فِي دَارِ الْهِجْرَةِ بِالْحَبَشَةِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ هَاجَرُوا إِلَىٰ الْمَدِينَةِ -يَعْنِي: مَنْ هَاجَرَ مِنْهُمْ قَبْلُ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ ثُمَّ هَاجَرَ بَعْدُ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ-، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا وَقَعَ مِنْهُمْ مِنَ الْجِهَادِ وَالنُّصْرَةِ لِدِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ.

فَمِنَ الْعَيْبِ أَنْ لَا يَكُونَ أُولَئِكَ مِنَ الْمَعْلُومِينَ لَكَ قَبْلَ غَيْرِهِمْ، فَهَؤُلَاءِ هُمُ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ رضي الله عنهم، وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذِهِ الطَّبَقَةَ لَا يُدَانِيهَا طَبَقَةٌ، فَهَذِهِ هِيَ الذِّرْوَةُ فِي أَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَفِي التَّقْسِيمِ الْعَامِّ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم.

- **مِنْهُمْ:**

*** فُكَيْهَةُ بِنْتُ يَسَارٍ:**

امْرَأَةُ حَطَّابِ بْنِ الْحَارِثِ، فُكَيْهَةُ بِنْتُ يَسَارٍ: ذَكَرَهَا ابْنُ إِسْحَاقَ فِيمَنْ أَسْلَمَ قَدِيمًا مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ، وَقَالَ ابْنُ سَعْدٍ: «أَسْلَمَتْ قَدِيمًا بِمَكَّةَ وَبَايَعَتْ وَهَاجَرَتْ الْهِجْرَتَيْنِ».

*** مَعْمَرُ بْنُ الْحَارِثِ:**

مَعْمَرُ بْنُ الْحَارِثِ الْقُرَشِيُّ الْجُمَحِيُّ، أَخُو حَاطِبٍ وَحَطَّابٍ، أَسْلَمَ قَبْلَ دُخُولِ الرَّسُولِ ﷺ دَارَ الْأَرْقَمِ، وَهَاجَرَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، وَشَهِدَ بَدْرًا، وَأُحُدًا، وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا، وَتُوُفِّيَ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه.

*** السَّائِبُ بْنُ مَظْعُونٍ:**

وَالسَّائِبُ بْنُ مَظْعُونٍ الْجُمَحِيُّ، أَسْلَمَ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ، وَهَاجَرَ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ الْهِجْرَةَ الثَّانِيَةَ، وَشَهِدَ بَدْرًا، وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا، وَقُتِلَ رضي الله عنه فِي مَعْرِكَةِ الْيَمَامَةِ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، وَعُمُرُهُ بِضْعٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً.

*** الْمُطَّلِبُ بْنُ أَزْهَرَ:**

الْمُطَّلِبُ بْنُ أَزْهَرَ بْنِ عَبْدِ عَوْفٍ الْقُرَشِيُّ، مِنَ السَّابِقِينَ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَمِنْ مُهَاجِرَةِ الْحَبَشَةِ، وَبِهَا مَاتَ.

- وَامْرَأَتُهُ:

*** رَمْلَةُ بِنْتُ أَبِي عَوْفٍ:**

وَامْرَأَةُ الْمُطَّلِبِ بْنِ أَزْهَرَ رَمْلَةُ بِنْتُ أَبِي عَوْفِ بْنِ صَبْرَةَ بْنِ سَهْمٍ، أَسْلَمَتْ بِمَكَّةَ قَدِيمًا، وَبَايَعَتْ وَهَاجَرَتْ مَعَ زَوْجِهَا الْمُطَّلِبِ بْنِ أَزْهَرَ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ، وَوَلَدَتْ لَهُ ابْنَهُ عَبْدَ اللهِ.

*** نُعَيْمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ:**

نُعَيْمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ النَّحَّامُ الْقُرَشِيُّ الْعَدَوِيُّ، أَسْلَمَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَدِيمًا أَوَّلَ الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يُهَاجِرْ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ إِلَّا بَعْدَ سِتٍّ سِنِينَ لِلْهِجْرَةِ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ؛ وَذَلِكَ بِسَبَبِ إِنْفَاقِهِ عَلَىٰ أَرَامِلِ قَوْمِهِ، ثُمَّ شَهِدَ مَا بَعْدَهَا مِنَ الْمَشَاهِدِ، فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ كَانَ مَعَهُ أَرْبَعُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، فَاعْتَنَقَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَقَبَّلَهُ، وَقُتِلَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ شَهِيدًا سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَقِيلَ اسْتُشْهِدَ بِأَجْنَادِينَ سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

- وَمِنْهُمْ:

*** عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ:**

مَوْلَىٰ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَكَانَ مَمْلُوكًا لِلطُّفَيْلِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَخْبَرَةَ، فَأَسْلَمَ وَهُوَ مَمْلُوكٌ، فَاشْتَرَاهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ مِنَ الطُّفَيْلِ، فَأَعْتَقَهُ، وَأَسْلَمَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ دَارَ الْأَرْقَمِ، وَقَدْ كَانَ حَسَنَ الْإِسْلَامِ، وَعُذِّبَ فِي اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَشَهِدَ عَامِرٌ غَزْوَةَ بَدْرٍ، وَأُحُدٍ، وَقُتِلَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَوْمَ بِئْرِ مَعُونَةَ سَنَةَ أَرْبَعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَهُوَ ابْنُ الْأَرْبَعِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

*** خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ:**

خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ الْقُرَشِيُّ الْأُمَوِيُّ، أَحَدُ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ، وَهَاجَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ مَعَ امْرَأَتِهِ أُمَيْمَةَ بِنْتِ خَالِدٍ الْخُزَاعِيَّةِ، وَوَلَدَتْ لَهُ ابْنَهُ سَعِيدًا،

وَهَاجَرَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ مَعَ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَالنَّبِيُّ ﷺ بِخَيْبَرَ، ثُمَّ اسْتَعْمَلَهُ أَبُو بَكْرٍ عَلَىٰ جَيْشٍ مِنْ جُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ حِينَ بَعَثَهُمْ إِلَىٰ الشَّامِ، فَقُتِلَ بِمَرْجِ الصُّفْرَةِ سَنَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ فِي صَدْرِ خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه.

*** أُمَيْمَةُ بِنْتُ خَلَفٍ:**

وَامْرَأَتُهُ أُمَيْمَةُ بِنْتُ خَلَفٍ الْخُزَاعِيَّةُ، وَهِيَ زَوْجُ خَالِدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِّ، مِنَ السَّابِقَاتِ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، هَاجَرَتْ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ وَوَلَدَتْ لَهُ سَعِيدًا.

- وَكَذَلِكَ مِنْهُمْ:

*** أَبُو حُذَيْفَةَ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ:**

أَبُو حُذَيْفَةَ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَاسْمُهُ مِهْشَمٌ، وَقِيلَ: هُشَيْمٌ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ، وَهَاجَرَ الْهِجْرَتَيْنِ جَمِيعًا، وَشَهِدَ بَدْرًا، وَأُحُدًا، وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا، وَقُتِلَ رضي الله عنه يَوْمَ الْيَمَامَةِ شَهِيدًا وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ أَوْ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً.

*** وَاقِدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ:**

وَوَاقِدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَنَافٍ الْيَرْبُوعِيُّ، أَسْلَمَ قَبْلَ دُخُولِ الرَّسُولِ ﷺ دَارَ الْأَرْقَمِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ قُتِلَ كَافِرًا فِي الْإِسْلَامِ، قُتِلَ عَمْرُو بْنُ الْحَضْرَمِيِّ، أَوَّلَ مَقْتُولٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِي الْإِسْلَامِ، وَشَهِدَ وَاقِدٌ بَدْرًا، وَأُحُدًا، وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، تُوُفِّيَ رضي الله عنه فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ.

وَوَاقِدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ وَخَالِدٌ وَعَامِرٌ، وَعَاقِلٌ، وَإِيَاسٌ بَنُو الْبُكَيْرِ بْنِ عَبْدِ يَالِيلَ.

*** خَالِدُ بْنُ الْبُكَيْرِ:**

خَالِدُ بْنُ الْبُكَيْرِ اللَّيْثِيُّ الْكِنَانِيُّ، مِنَ السَّابِقِينَ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَشَهِدَ بَدْرًا، وَقُتِلَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَوْمَ الرَّجِيعِ فِي صَفَرٍ سَنَةَ أَرْبَعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَكَانَ عُمُرُهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -لَمَّا قُتِلَ- ابْنَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

*** عَامِرُ بْنُ الْبُكَيْرِ:**

مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ، وَشَهِدَ بَدْرًا هُوَ وَإِخْوَتُهُ: إِيَاسٌ، وَعَاقِلٌ، وَخَالِدٌ، وَقُتِلَ عَامِرٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي مَعْرَكَةِ الْيَمَامَةِ شَهِيدًا.

*** عَاقِلُ بْنُ الْبُكَيْرِ:**

كَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنَ السَّابِقِينَ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ هُوَ وإِخْوَتُهُ: خَالِدٌ، وَإِيَاسٌ، وَعَامِرٌ، وَشَهِدَ هُوَ وَإِخْوَتُهُ بَدْرًا.

*** إِيَاسُ بْنُ الْبُكَيْرِ:**

مِنَ السَّابِقِينَ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، أَسْلَمَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي دَارِ الْأَرْقَمِ، وَكَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ، وَشَهِدَ هُوَ وَإِخْوَتُهُ بَدْرًا، وَشَهِدَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أُحُدًا، وَالْخَنْدَقَ، وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَتُوُفِّيَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ.

*** عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ:**

عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ الْمِذْحَجِيُّ ثُمَّ الْعَنْسِيُّ، مَوْلَىٰ بَنِي مَخْزُومٍ، أَحَدُ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ، وَهِيَ أَوَّلُ مَنِ اسْتُشْهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَاخْتُلِفَ فِي

هِجْرَةِ عَمَّارٍ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ، وَهَاجَرَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، وَشَهِدَ بَدْرًا، وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ الرَّسُولِ ﷺ، قُتِلَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَعَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِصِفِّينَ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ، وَلَهُ ثَلَاثٌ وَتِسْعُونَ سَنَةً، وَدَفَنَهُ عَلِيٌّ فِي ثِيَابِهِ، وَلَمْ يُغَسِّلْهُ.

*** صُهَيْبُ بْنُ سِنَانٍ:**

صُهَيْبٌ هُوَ ابْنُ سِنَانٍ النَّمِرِيُّ، وَيُعْرَفُ بِالرُّومِيِّ؛ لِأَنَّهُ أَقَامَ فِي الرُّومِ مُدَّةً، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَزِيرَةِ، سُبِيَ مِنْ قَرْيَةِ نِينَوَىٰ فِي الْعِرَاقِ، ثُمَّ إِنَّهُ جَلَبَ إِلَىٰ مَكَّةَ، فَاشْتَرَاهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَدْعَانَ الْقُرَشِيُّ التَّيْمِيُّ، وَكَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ، وَمِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ بِمَكَّةَ الَّذِينَ عُذِّبُوا، وَهَاجَرَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، وَكَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي لِسَانِهِ عُجْمَةٌ شَدِيدَةٌ، وَتُوُفِّيَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ فِي شَوَّالٍ، وَقِيلَ: سَنَةَ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً، وَقِيلَ: وَهُوَ ابْنُ سَبْعِينَ سَنَةً، وَدُفِنَ بِالْمَدِينَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، صُهَيْبُ بْنُ سِنَانٍ حَلِيفُ بَنِي تَمِيمِ بْنِ مُرَّةَ.

- وَكَذَلِكَ:

*** بِلَالُ بْنُ رَبَاحٍ الْحَبَشِيُّ:**

مَوْلَىٰ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، مُؤَذِّنُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ، اشْتَرَاهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ثُمَّ أَعْتَقَهُ، فَلَزِمَ النَّبِيَّ ﷺ وَأَذَّنَ لَهُ، وَكَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِمَّنْ عُذِّبَ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَشَهِدَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بَدْرًا، وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا، وَمَاتَ فِي دِمَشْقَ، وَذَلِكَ سَنَةَ عِشْرِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً.

*** مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ:**

مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ الْبَدْرِيُّ الْقُرَشِيُّ، كَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَتىٰ مَكَّةَ شَبَابًا وَجَمَالًا، أَسْلَمَ قَدِيمًا وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي دَارِ الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ، وَكَتَمَ إِسْلَامَهُ خَوْفًا مِنْ أُمِّهِ وَقَوْمِهِ، فَعَلِمَهُ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ؛ فَأَعْلَمَ أَهْلَهُ فَأَوْثَقُوهُ، فَلَمْ يَزَلْ مَحْبُوسًا إِلَىٰ أَنْ هَرَبَ مَعَ مَنْ هَاجَرَ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ، ثُمَّ هَاجَرَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ بَعْدَ بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ الْأُولَىٰ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ الْقُرْآنَ، وَيُصَلِّيَ بِهِمْ، وَشَهِدَ مُصْعَبٌ بَدْرًا، ثُمَّ أُحُدًا، وَاسْتُشْهِدَ بِأُحُدٍ، قَتَلَهُ ابْنُ قَمِئَةَ اللَّيْثِيُّ -لَعَنَهُ اللهُ-، وَكَانَ عُمْرُ مُصْعَبٍ عِنْدَمَا قُتِلَ وَاسْتُشْهِدَ أَرْبَعِينَ سَنَةً أَوْ أَكْثَرَ قَلِيلًا.

*** عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ:**

عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ أَبُو نُجَيْحٍ السُّلَمِيُّ الْبَجَلِيُّ، أَسْلَمَ قَدِيمًا أَوَّلَ الْإِسْلَامِ، وَهَاجَرَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، وَكَانَ قُدُومُهُ الْمَدِينَةَ بَعْدَ مُضِيِّ بَدْرٍ، وَأُحُدٍ، وَالْخَنْدَقِ، وَنَزَلَ بَعْدَ ذَلِكَ بِالشَّامِ.

قَالَ الْحَافِظُ: «أَظُنُّهُ مَاتَ فِي أَوَاخِرِ خِلَافَةِ عُثْمَانَ، فَإِنَّنِي لَمْ أَرَ لَهُ ذِكْرًا فِي الْفِتْنَةِ، وَلَا فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ».

أَسْلَمَ هَؤُلَاءِ سِرًّا، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَجْتَمِعُ بِهِمْ، وَيُرْشِدُهُمْ إِلَىٰ الدِّينِ مُسْتَخْفِيًا؛ لِأَنَّ الدَّعْوَةَ كَانَتْ مَا تَزَالُ فَرْدِيَّةً وَسِرِّيَّةً، وَكَانَ الْوَحْيُ قَدْ تَتَابَعَ وَحَمِيَ بَعْدَ نُزُولِ أَوَائِلِ سُورَةِ الْمُدَّثِّرِ، وَكَانَتْ الْآيَاتُ وَقِطَعُ السُّوَرِ الَّتِي تَنْزِلُ فِي ذَلِكَ

الزَّمَانِ آيَاتٍ قَصِيرَةً، ذَاتَ فَوَاصِلَ رَائِعَةٍ مَنِيعَةٍ، وَإِيقَاعَاتٍ هَادِئَةٍ خَلَّابَةٍ تَتَنَاسَقُ مَعَ ذَلِكَ الْجَوِّ الرَّقِيقِ، تَشْتَمِلُ عَلَىٰ تَحْسِينِ تَزْكِيَةِ النَّفْسِ، وَتَقْبِيحِ تَلْوِيثِهَا بِالشَّهَوَاتِ، تَصِفُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ كَأَنَّهُمَا رَأْيَ عَيْنٍ، تَسِيرُ بِالْمُؤْمِنِينَ فِي جَوٍّ آخَرَ سِوَىٰ الَّذِي فِيهِ الْمُجْتَمَعُ الْبَشَرِيُّ آنَذَاكَ.

*** وَمِنَ السَّابِقِينَ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ:**

أَبُوذَرٍّ الْغِفَارِيُّ، وَأَخُوهُ أُنَيْسٌ، وَأُمُّهُ، وَقِصَّةُ إِسْلَامِهِ مَبْسُوطَةٌ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»، وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ».

وَهَكَذَا نَجِدُ أَنَّهُ دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ أَرْسَالٌ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ حَتَّىٰ فَشَا الْإِسْلَامُ بِمَكَّةَ، وَتَحَدَّثَ بِهِ النَّاسُ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

وَكَانَ الْأَرْقَمُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ، وَكَانَتْ دَارُهُ مُنْتَدًىٰ يَجْتَمِعُ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ، وَيَعْبُدُونَ اللهَ سِرًّا، وَيُلَقِّنُهُمْ النَّبِيُّ ﷺ الْإِسْلَامَ وَأُصُولَهُ، وَيَتَعَهَّدُهُمْ بِالتَّرْبِيَةِ، حَتَّىٰ كَوَّنَ مِنْهُمْ أُنَاسًا يَسْتَهِينُونَ بِكُلِّ الْآلَامِ وَالْبَلَاءِ فِي سَبِيلِ دِينِهِمْ وَعَقِيدَتِهِمْ، وَكَانَ مَنْ يُرِيدُ الْإِسْلَامَ يَأْتِي إِلَىٰ دَارِ الْأَرْقَمِ مُسْتَخْفِيًا خَشْيَةَ أَنْ يَنَالَهُ أَذَىٰ قُرَيْشٍ، وَكَانَتْ هَذِهِ الدَّارُ عِنْدَ الصَّفَا.

وَمَكَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ -دَارِ الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ- حَتَّىٰ أَسْلَمَ الْفَارُوقُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَاسْتَعْلَنُوا بِعِبَادَتِهِمْ وَرَاغَمُوا أَهْلَ مَكَّةَ، وَأَذَلُّوهُمْ، وَقَدْ أَعْطَىٰ رَسُولُ اللهِ الْأَرْقَمَ دَارًا بِالْمَدِينَةِ؛ وَلَعَلَّ هَذَا مُكَافَأَةٌ لَهُ عَلَىٰ مَا أَدَّتْهُ دَارُهُ بِمَكَّةَ مِنْ خِدْمَةٍ جَلِيلَةٍ لِلْإِسْلَامِ فِي أَوَّلِ عَهْدِهِ.

فَلِلَّهِ هَذِهِ الدَّارُ الَّتِي فَاقَتْ أَعْظَمَ مَدَارِسِ الْعَالَمِ، وَجَامِعَاتِ الدُّنْيَا، وَخَرَّجَتْ أَعْظَمَ رِجَالٍ عَرَفَهُمُ التَّارِيخُ، وَمَا تَزَالُ هَذِه الدَّارُ مَفْخَرَةً خَالِدَةً لِلْأَرْقَمِ، وَشَذًىٰ يَتَضَوَّعُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَقَدْ عَرَضَ الصِّدِّيقُ أَبُو بَكْرٍ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ -وَقَدْ وَصَلَ عَدَدُ الْمُسْلِمِينَ حَوَالَيْ ثَمَانِيَةٍ وَثَلَاثِينَ رَجُلًا- أَنْ يَظْهَرُوا وَيَسْتَعْلِنُوا، فَقَالَ لَهُ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّا قَلِيلٌ**»، وَلَمْ يَزَلِ الصِّدِّيقُ بِرَسُولِ اللهِ حَتَّىٰ أَذِنَ لَهُمْ فِي الْخُرُوجِ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَتَفَرَّقَ الْمُسْلِمُونَ فِيهِ كُلُّ رَجُلٍ فِي عَشِيرَتِهِ، وَقَامَ أَبُو بَكْرٍ فِي النَّاسِ خَطِيبًا وَرَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ، فَكَانَ أَوَّلَ خَطِيبٍ دَعَا إِلَىٰ اللهِ، وَإِلَىٰ رَسُولِ اللهِ، وثَارَ الْمُشْرِكُونَ عَلَىٰ أَبِي بَكْرٍ وَالْمُسْلِمِينَ، فَضُرِبُوا فِي نَوَاحِي الْمَسْجِدِ ضَرْبًا شَدِيدًا، وَوُطِئَ أَبُو بَكْرٍ، وَضُرِبَ ضَرْبًا مُبَرِّحًا، وَجَعَلَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ يَضْرِبُهُ بِنَعْلَيْنِ مَخْصُوفَتَيْنِ، وَيَحْرِفُهُمَا لِوَجْهِهِ حَتَّىٰ فَقَدَ وَعْيَهُ، فَحَمَلَهُ بَنُو تَيْمٍ إِلَىٰ مَنْزِلِهِ، وَقَالُوا: «لَئِنْ مَاتَ أَبُو بَكْرٍ لَنَقْتُلَنَّ عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ»، وَجَعَلَ أَبُو قُحَافَةَ وَالِدُ الصِّدِّيقِ وَكَذَا قَوْمُهُ يُكَلِّمُونَهُ حَتَّىٰ أَفَاقَ، وَأَجَابَ آخِرَ النَّهَارِ.

فَمَاذَا كَانَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ حِينَ أَفَاقَ؟

لَقَدْ كَانَ أَوَّلَ مَا قَالَ: مَا فَعَلَ رَسُولُ اللهِ؟ فَمَسُّوهُ بِأَلْسِنَتِهِمْ وَعَذَلُوهُ، فَلَمَّا خَلَتْ بِهِ أُمُّهُ قَالَ لَهَا: مَا فَعَلَ رَسُولُ اللهِ؟ فَقَالَتْ: وَاللهِ مَا لِي عِلْمٌ بِصَاحِبِكَ، فَقَالَ: اذْهَبِي إِلَىٰ أُمِّ جَمِيلٍ بِنْتِ الْخَطَّابِ فَاسْأَلِيهَا عَنْهُ -وَكَانَتْ تُخْفِي إِسْلَامَهَا-،

فَذَهَبَتْ أُمُّ أَبِي بَكْرٍ إِلَيْهَا وَقَالَتْ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ يَسْأَلُكَ عَنْ صَاحِبِهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِاللهِ؟ فَقَالَتْ: مَا أَعْرِفُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَا مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ!! وَإِنْ كُنْتِ تُحِبِّينَ أَنْ أَذْهَبَ مَعَكِ إِلَىٰ ابْنِكِ فَعَلْتُ، قَالَتْ: نَعَمْ، فَمَضَتْ مَعَهَا حَتَّىٰ وَجَدَتْ أَبَا بَكْرٍ صَرِيعًا، دَنِفًا، فَدَنَتْ مِنْهُ أُمُّ جَمِيلٍ، وَصَاحَتْ قَائِلَةً: وَاللهِ إِنَّ قَوْمًا نَالُوا مِنْكَ هَذَا لَأَهْلُ فِسْقٍ وَكُفْرٍ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَنْتَقِمَ اللهُ لَكَ مِنْهُم.

قَالَ: فَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللهِ؟ قَالَتْ: هَذِهِ أُمُّكَ تَسْمَعُ؛ قَالَ: فَلَا شَيْءَ عَلَيْكِ مِنْهَا، قَالَتْ: سَالِمٌ صَالِحٌ! قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَيْنَ هُوَ؟ قَالَتْ: فِي دَارِ الْأَرْقَمِ، قَالَ: فَإِنَّ للهِ عَلَيَّ أَلَّا أَذُوقَ طَعَامًا، وَلَا أَشْرَبَ شَرَابًا، أَوْ آتِي رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَمْهَلَتَاهُ حَتَّىٰ إِذَا هَدَأَتِ الرِّجْلُ، وَقَلَّ السَّائِرُونَ فِي الطَّرِيقِ، وَسَكَنَ النَّاسُ خَرَجَتَا بِهِ يَتَّكِئُ عَلَيْهِمَا، حَتَّىٰ أَدْخَلَتَاهُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَكَبَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ فَقَبَّلَهُ، وَقَبَّلَهُ الْمُسْلِمُونَ، وَرَقَّ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ رِقَّةً شَدِيدَةً، فَقَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَيْسَ بِي بَأْسٌ إِلَّا مَا نَالَ الْفَاسِقُ مِنْ وَجْهِي، وَهَذِهِ أُمِّي بَرَّةٌ بِوَلَدِهَا، وَأَنْتَ مُبَارَكٌ، فَادْعُهَا إِلَىٰ اللهِ، وَادْعُ لَهَا عَسَىٰ اللهُ أَنْ يَسْتَنْقِذَهَا بِكَ مِنَ النَّارِ، فَدَعَا لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَدَعَاهَا إِلَىٰ اللهِ، فَأَسْلَمَتْ.

فِي فَتْرَةٍ وَجِيزَةٍ وصَلَ عَدَدُ الَّذِينَ سَبَقُوا إِلَىٰ الْإِسْلَامِ مِنْ بُطُونِ قُرَيْشٍ إِلَىٰ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ نَفَرًا؛ كَمَا عَدَّهُمْ ابْنُ هِشَامٍ، وَأَكْثَرَ مِنْ خَمْسِينَ كَمَا عَدَّهُمْ الْيَعْمُرِيُّ بْنُ سَيِّدِ النَّاسِ.

وثَبَتَ مِنْ رِوَايَةِ أَحْمَدَ فِي «الْمُسْنَدِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، وَابْنِ سَعْدٍ مُرْسَلًا صَحِيحًا؛ أَنَّ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ كَانَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْأَوَائِلِ؛ وَذَلِكَ بِدَلِيلِ قَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: «**قَدْ رَأَيْتُهُ، فَرَأَيْتُ عَلَيْهِ ثِيَابَ بَيَاضٍ، فَأَحْسِبُهُ لَوْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ ثِيَابُ بَيَاضٍ**».

وَقَالَ ﷺ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَىٰ عِنْدَ أَبِي يَعْلَىٰ بِسَنَدٍ حَسَنٍ: «**قَدْ رَأَيْتُهُ فَرَأَيْتُ عَلَيْهِ ثِيَابَ بَيَاضٍ، أَبْصَرْتُهُ فِي بَطْنَانِ الْجَنَّةِ، وَعَلَيْهِ السُّنْدُسُ**».

وَقَالَ ﷺ مِنْ رِوَايَةِ الْبَزَّارِ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ، وَالْحَاكِمُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ: «**لَا تَسُبُّوا وَرَقَةَ فَإِنِّي رَأَيْتُ لَهُ جَنَّةً أَوْ جَنَّتَيْنِ**».

وَقَالَ: «**يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةً وَحْدَهُ**»؛ كَمَا ذَكَرَهُ الطَّبَرانِيُّ بِرِجَالِ الصَّحِيحِ.

يَتَّضِحُ مِنْ سِجِلِّ أَسْمَاءِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ أَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ خِيرَةِ أَقْوَامِهِمْ، وَلَمْ يَكُونُوا كَمَا يَذْكُرُ بَعْضُ الْكُتَّابِ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرُهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي مُعْظَمِهِمْ خَلِيطًا مِنَ الْفُقَرَاءِ وَالضُّعَفَاءِ، وَالْأَرِقَّاءِ الَّذِينَ أَرَادُوا اسْتِعَادَةَ حُرِّيَّتِهِمْ أَوْ كَرَامَتِهِمْ.

وَأَنْتَ إِذَا نَظَرْتَ إِلَىٰ سِجِلِّ الْمُعَذَّبِينَ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا، كَمَا حَدَثَ فِي هِجْرَةِ الْحَبَشَةِ؛ فَسَتَجِدُ أَنَّ الَّذِينَ هَاجَرُوا لَمْ يَكُونُوا مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ بِمَكَّةَ؛ بَلْ كَانُوا مِنْ أَشْرَافِهَا وَمِنْ ذَوِي النَّسَبِ وَالْحَسَبِ فِيهَا، وَمَعَ ذَلِكَ هُمُ الَّذِينَ هَاجَرُوا إِلَىٰ الْحَبَشَةِ؛ وَهَذَا يَدْحَضُ الْفِرْيَةَ الَّتِي تَقُولُ: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا أَوَّلًا بِالرَّسُولِ ﷺ كَانُوا

مِنَ الْفُقَرَاءِ، وَهُمُ الَّذِينَ عُذِّبُوا، فَكَأَنَّمَا كَانَتْ تِلْكَ الِاسْتِجَابَةُ ثَوْرَةً مِنَ الْفُقَرَاءِ عَلَىٰ الْأَغْنِيَاءِ، أَوْ كَانَتْ مُحَاوَلَةً لِتَعْدِيلِ الْأَوْضَاعِ الَّتِي كَانَتْ مَقْلُوبَةً مِنْ تَمَكُّنِ وَاسْتِحْوَاذِ قِلَّةٍ مِنَ الْقُرَشِيِّينَ عَلَىٰ الْأَمْوَالِ فَكَانُوا أَهْلَ الثَّرَاءِ، ثُمَّ هَؤُلَاءِ الْفُقَرَاءُ قَامُوا بِالدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ أَجْلِ إِحْدَاثِ ثَوْرَةٍ كَمَا وَقَعَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الثَّوْرَةِ الشُّيُوعِيَّةِ وَمَا أَشْبَهَ؛ هَذَا كُلُّهُ بَاطِلٌ فِي بَاطِلٍ وَضَلَالٌ فِي ضَلَالٍ.

فَإِنَّ الَّذِينَ أَسْلَمُوا -كَمَا رَأَيْتَ- مِنَ الْأَشْرَافِ، وَالْمُسْتَضْعَفُونَ وَالْفُقَرَاءُ كَانُوا قِلَّةً، وَمَا اشْتُهِرَ مِنْ تَعْذِيبِ الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَمِنَ الْقَسْوَةِ فِي تَعْذِيبِهِمْ؛ إِنَّمَا كَانَ لِأَجْلِ وَضْعِهِمُ الِاجْتِمَاعِيِّ، فَكَانُوا مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فعُذِّبُوا وَنِيلَ مِنْهُمْ، وَوَقَعَ عَلَيْهِمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ.

وَلَكِنْ أَيْضًا عُذِّبَ السَّادَةُ الَّذِينَ دَخَلُوا فِي دِينِ الْإِسْلَامِ؛ كَمَا وَقَعَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، مَا وَقَعَ مِنْ ضَرْبِهِ بِالنِّعَالِ حَتَّىٰ اخْتَلَطَتْ مَعَالِمُ وَجْهِهِ، وَبَقِيَ مُغْشًىٰ عَلَيْهِ مِنْ مَطْلَعِ النَّهَارِ حَتَّىٰ جَاءَ الْعَشِيَّةُ، وَكَانَ مَا كَانَ مِمَّا مَرَّ ذِكْرُهُ فِي تِلْكَ الْقِصَّةِ الَّتِي وَقَعَتْ لَهُ؛ عِنْدَمَا قَامَ خَطِيبًا بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَمْ يَكُنْ أَبُو بَكْرٍ هَيِّنًا فِي قُرَيْشٍ -كَمَا مَرَّ ذِكْرُ ذَلِكَ-، وَلَكِنْ وَقَعَ عَلَيْهِ مَا وَقَعَ حَتَّىٰ إِنَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ اسْتَأْذَنَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي الْهِجْرَةِ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ، وَأَذِنَ لَهُ وَخَرَجَ، وَلَكِنْ لَمْ يُتْرَكْ، فَذَهَبَ إِلَيْهِ مَنْ ذَهَبَ مِنَ الْأَشْرَافِ -كَمَا سَيَأْتِي- وَرَدَّهُ، قَالَ: مَا مِثْلُكَ يُهَاجِرُ يَا أَبَا بَكْرٍ، فَرَدَّهُ وَدَخَلَ فِي جِوَارِهِ، حَتَّىٰ الرَّسُولُ ﷺ لَمَّا ذَهَبَ يَدْعُو أَهْلَ الطَّائِفِ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَدْخُلَ مَكَّةَ بَعْدَ عَوْدَتِهِ مِنَ الطَّائِفِ إِلَّا فِي جِوَارِ رَجُلٍ مُشْرِكٍ!!

فَالنَّبِيُّ ﷺ هُوَ الذِّرْوَةُ حَسَبًا وَنَسَبًا، وَوَقَعَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَذَىٰ الْبَدَنِيِّ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ، وَمَا يَأْتِي ذِكْرُهُ -إِنْ شَاءَ اللهُ-.

فَهَذِهِ الْفِرْيَةُ مِنَ الْفِرَىٰ الْمُدَّعَاةِ الَّتِي لَا قِيَامَ لَهَا فِي الْحَقِيقَةِ عِنْدَ التَّمْحِيصِ الْعِلْمِيِّ، وَالنَّظَرُ الْمُتَأَنِّي فِي النُّصُوصِ.

فَيَتَّضِحُ مِنْ سِجِلِّ أَسْمَاءِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ أَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ خِيرَةِ أَقْوَامِهِمْ، وَلَمْ يَكُونُوا كَمَا يَذْكُرُ بَعْضُ الْكُتَّابِ الْمُسْلِمِينَ وغَيْرُهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي مُعْظَمِهِمْ خَلِيطًا مِنَ الْفُقَرَاءِ وَالضُّعَفَاءِ، وَالْأَرِقَّاءِ الَّذِينَ أَرَادُوا اسْتِعَادَةَ حُرِّيَّتِهِمْ أَوْ كَرَامَتِهِمْ.

وَالْقَوْلُ السَّدِيدُ فِي هَذَا هُوَ: أَنَّ الَّذِينَ تَحَمَّلُوا الْقِسْطَ الْأَكْبَرَ مِنَ التَّعْذِيبِ هُمُ الْأَرِقَّاءُ وَالْمَوَالِي، وَكَانَتْ فِتْنَتُهُمْ عَلَىٰ مَلَأٍ مِنَ النَّاسِ؛ وَلِذَا انْتَشَرَ أَمْرُهُمْ، بَيْنَمَا امْتَنَعَ الْآخَرُونَ بِأَقْوَامِهِمْ، وَمَنْ عُذِّبَ مِنْهُمْ عُذِّبَ ضِمْنَ قَبِيلَتِهِ؛ وَلِذَا لَمْ يَنْتَشِرْ أَمْرُهُمْ وَلَمْ يَذْكُرُوا كَثِيرًا.

فِي هَذِهِ الْمَعَانِي رُوِيَتْ عِدَّةُ أَحَادِيثَ مِنْهَا:

مَا رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: «أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ سَبْعَةٌ؛ رَسُولُ اللهِ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعَمَّارٌ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ، وصُهَيْبٌ، وَبِلَالٌ، وَالْمِقْدَادُ، فَأَمَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَمَنَعَهُ اللهُ بِعَمِّهِ.

وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللهُ بِقَوْمِهِ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمْ الْمُشْرِكُونَ فَأَلْبَسُوهُمْ أَذْرُعَ الْحَدِيدِ وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ».

وذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي «السِّيرَةِ»: «أَنَّ قُرَيْشًا عَدَتْ عَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ، وَوَثَبَتْ كُلُّ قَبِيلَةٍ عَلَىٰ مَنْ فِيهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُعَذِّبُونَهُمْ وَيَفْتِنُونَهُمْ عَنْ دِينِهِمْ».

وَذَكَرَ: «أَنَّ رِجَالًا مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ مَشَوْا إِلَىٰ هِشَامِ بْنِ الْوَلِيدِ حِينَ أَسْلَمَ أَخُوهُ الْوَلِيدُ؛ يَسْتَأْذِنُونَهُ فِي اتِّخَاذِ مَا يَرَوْنَهُ مِنْ وَسَائِلَ لِصَدِّهِ عَنِ الدِّينِ هُوَ وَمَنْ أَسْلَمَ مَعَهُ مِنْ فِتْيَةِ بَنِي مَخْزُومٍ، الَّذِينَ كَانَ مِنْهُمْ سَلَمَةُ بْنُ هِشَامٍ، وَعَيَّاشُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ فَسَمَحَ لَهُمْ بِمَا يُرِيدُونَ وحَذَّرَهُمْ مِنْ قَتْلِهِ -أَيْ: مِنْ قَتْلِ أَخِيهِ-».

وَرَوَىٰ ابْنُ إِسْحَاقَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ فِي قِصَّةِ هِجْرَةِ عُمَرَ وَقِصَّةِ عَيَّاشٍ مَعَهُ: «أَنَّ قُرَيْشًا مَنَعَتْ هِشَامَ بْنَ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيَّ مِنَ الْهِجْرَةِ مَعَ عُمَرَ وَعَيَّاشٍ وَفَتَنَتْهُ فَافْتُتِنَ، وَاحْتَالُوا عَلَىٰ عَيَّاشٍ فَرَدُّوهُ مِنَ الْمَدِينَةِ مُقَيَّدًا».

وَرَوَىٰ الْبُخَارِيُّ: «أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَانَ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ يُوثِقُ سَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ، ابْنَ عَمِّهِ -وَهُوَ مِنَ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ، وَكَانَ زَوْجَ أُخْتِهِ- وَيُكْرِهُهُ لِيَرْجِعَ عَنْ الْإِسْلَامِ».

وَلَمْ يَسْتَطِعْ الرَّسُولُ ﷺ أَنْ يَفْعَلَ لَهُمْ شَيْئًا، حَتَّىٰ عِنْدَمَا اسْتَقَرَّ بِالْمَدِينَةِ لَمْ يَمْلِكْ لِهَؤُلَاءِ غَيْرَ الدُّعَاءِ؛ حَيْثُ كَانَ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ أَنْجِ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ، وَسَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ، وَعَيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ، وَالْمُسْتَضْعَفِينَ بِمَكَّةَ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَىٰ مُضَرَ، وَاجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ**»؛ وَهَذَا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَدْ أَوْضَحَ ابْنُ حَجَرٍ فِي «الْفَتْحِ» مَعْنَىٰ كَلِمَتَيْ: «الضُّعَفَاءِ» وَ«الشُّرَفَاءِ» -هَذَا التَّوْضِيحُ مِنْ ابْنِ حَجَرٍ مُهِمٌّ؛ لِأَنَّهُ يُصَحِّحُ كَثِيرًا مِنَ الْمَفَاهِيمِ الْمَغْلُوطَةِ عِنْدَ النَّظَرِ فِي سِيرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمَا كَانَ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَمَا وَقَعَ عَلَيْهِ-.

مَنْ هُمُ الضُّعَفَاءُ وَمَنْ هُمُ الشُّرَفَاءُ؟

وَضَّحَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ مَعْنَىٰ كَلِمَتَيْ: «الضُّعَفَاءِ» وَ«الشُّرَفَاءِ» اللَّتَيْنِ وردَتَا فِي حَدِيثِ هِرَقْلَ مَعَ أَبِي سُفْيَانَ: «فَمَعْنَىٰ الْأُولَىٰ عِنْدَهُ: أَنَّ أَتْبَاعَ الرُّسُلِ فِي الْغَالِبِ أَهْلُ الِاسْتِكَانَةِ لَا أَهْلُ الِاسْتِكْبَارِ الَّذِينَ أَصَرُّوا عَلَىٰ الشِّقَاقِ بَغْيًا وَحَسَدًا؛ كَأَبِي جَهْلٍ وَأَتْبَاعِهِ.

وَمَعْنَىٰ الثَّانِيَةِ: أَنَّ الشَّرَفَ يُقْصَدُ بِهِ مَا يُرَادِفُ التَّكَبُّرَ.

وَهَذَا هُوَ التَّفْسِيرُ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ نَفْهَمَ فِي ضَوْئِهِ مَا يَرِدُ مِنْ عِبَارَاتٍ تَتَعَلَّقُ بِالشُّرَفَاءِ أَوْ بِالْمُسْتَضْعَفِينَ. هَذَا مَا يُلْحَظُ أَنَّ مِنْ مَجْمُوعِ السَّبْعَةِ وَالسِّتِّينَ الَّذِينَ سَبَقُوا إِلَىٰ الْإِسْلَامِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ فَقَطْ مِمَّنْ هُمْ مِنَ الْفُقَرَاءِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ وَالْمَوَالِي وَالْأَرِقَّاءِ وَالْأَخْلَاطِ مِنْ مُخْتَلَفِ الْأَعَاجِمِ -عِنْدَنَا سَبْعَةٌ وَسِتُّونَ مِنْهُمْ فَقَطْ ثَلَاثَةَ عَشَرَ مِنَ الْفُقَرَاءِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ وَالْمَوَالِي وَالْأَرِقَّاءِ وَالْأَخْلَاطِ مِنْ مُخْتَلَفِ الْأَعَاجِمِ-؛ فَهُمْ إِذَنْ الْخُمُسُ مِنَ الْمَجْمُوعِ، وَمَا كَانَ كَذَلِكَ لَا يُقَالُ عَنْهُ: أَكْثَرُهُمْ وَلا مُعْظَمُهُمْ وَلَا عَامَّتُهُمْ». فَهَذا التَّصْحِيحُ مُهِمٌّ.

إِنَّ الَّذِينَ أَسْلَمُوا يَوْمَئِذٍ لَمْ يَكُنْ يَدْفَعُهُمْ دَافِعٌ دُنْيَوِيٌّ؛ وَإِنَّمَا هُوَ إِيمَانُهُمْ بِالْحَقِّ الَّذِي شَرَحَ اللهُ لَهُ صُدُورَهُمْ، وَإِنَّمَا هِيَ نُصْرَةُ النَّبِيِّ ﷺ، يَشْتَرِكُ فِي ذَلِكَ

الشَّرِيفُ وَالرَّقِيقُ، وَالْغَنِيُّ وَالْفَقِيرُ، وَيَتَسَاوَىٰ فِي هَذَا أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ، وَعُثْمَانُ وَصُهَيْبٌ رضي الله عنهم.

نَحْنُ لَا نُرِيدُ أَنْ نَنْفِيَ وُجُودَ الضُّعَفَاءِ وَالْأَرِقَّاءِ، وَلَكِنْ نُرِيدُ أَنْ نَنْفِيَ أَنْ يَكُونُوا هُمُ الْغَالِبِيَّةَ؛ لِأَنَّ هَذَا مُخَالِفٌ لِلْحَقَائِقِ الثَّابِتَةِ، وَلَوْ كَانُوا كَذَلِكَ لَكَانَتْ دَعْوَةً طَبَقِيَّةً، يَقُومُ فِيهَا الضُّعَفَاءُ وَالْأَرِقَّاءُ ضِدَّ الْأَقْوِيَاءِ وَأَصْحَابِ السُّلْطَةِ وَالنُّفُوذِ، كَكُلِّ الْحَرَكَاتِ الَّتِي تُقَادُ مِنْ خِلَالِ الْمَعِدَاتِ وَالْبُطُونِ، إِنَّ هَذَا لَمْ يَدُرْ بِخَلَدِ أَيٍّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَهُوَ يُعْلِنُ إِسْلَامَهُ، إِنَّهُمْ يَدْخُلُونَ فِي هَذَا الدِّينِ عَلَىٰ اعْتِبَارِهِمْ إِخْوَةً فِي ظِلِّ هَذِهِ الْعَقِيدَةِ، عِبَادًا للهِ، وَإِنَّهُ لَمِنَ الْقُوَّةِ لِهَذِهِ الدَّعْوَةِ أَنْ يَكُونَ غَالِبِيَّةُ أَتْبَاعِهَا -فِي الْمَرْحَلَةِ الْأُولَىٰ بِالذَّاتِ- مِنْ كِرَامِ أَقْوَامِهِمْ، وَقَدْ آثَرُوا فِي سَبِيلِ الْعَقِيدَةِ أَنْ يَتَحَمَّلُوا أَصْنَافًا مِنَ الْهَوَانِ مَا سَبَقَ لَهُمْ أَنْ عَانُوهَا أَوْ فَكَّرُوا بِهَا.

فَإِنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْكُبَرَاءِ وَالسَّادَةِ، وَمِنَ الْأَرُومَةِ الَّتِي كَانَ يُشَارُ إِلَيْهَا بِالْبَنَانِ، فَمَا كَانَ يَدُورُ بِخَلَدِ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَنَّهُ سَيُهَانُ هَذِهِ الْإِهَانَةَ؛ فَيُضْرَبُ، وَقَدْ يُعَذَّبُ، ثُمَّ يُضْطَرُّ إِلَىٰ الْهِجْرَةِ تَارِكًا بَلَدَهُ، وَقَوْمَهُ، وَعَشِيرَتَهُ، وَدَارَهُ، وَأَهْلَهُ، وَمَالَهُ فِرَارًا بِدِينِهِ مِنْ فِتْنَةِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ.

لَقَدْ كَانَ الْإِسْلَامُ يَنْسَابُ إِلَىٰ النُّفُوسِ الطَّيِّبَةِ، وَالْعُقُولِ النَّيِّرَةِ، وَالْقُلُوبِ الطَّاهِرَةِ الَّتِي هَيَّأَهَا اللهُ لِهَذَا الْأَمْرِ، وَلَقَدْ كَانَ فِي الْأَوَائِلِ: خَدِيجَةُ، وَأَبُو بَكْرٍ،

وَعَلِيٌّ، وَعُثْمَانُ، وَالزُّبَيْرُ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَطَلْحَةُ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ، وَأَبُو سَلَمَةَ، وَالْأَرْقَمُ، وَعُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ جَحْشٍ، وَجَعْفَرٌ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطَّابِ، وَخَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ، وَأَبُو حُذَيْفَةَ بْنُ عُتْبَةَ، وَغَيْرُهُمْ رضي الله عنهم؛ وَهُمْ مِنْ سَادَةِ الْقَوْمِ وَأَشْرَافِهِمْ، هَؤُلَاءِ هُمُ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ الَّذِينَ سَارَعُوا إِلَىٰ الْإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ بِدَعْوَةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم.

◉ ◉ ◉

www.menhag-un.com

الْأَمْرُ بِالْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ

كَانَ مِنْ أَوَائِلِ مَا نَزَلَ: الْأَمْرُ بِالْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ.

رَوَىٰ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام، أَتَاهُ فِي أَوَّلِ مَا أُوحِيَ إِلَيْهِ، فَعَلَّمَهُ الْوُضُوءَ وَالصَّلَاةَ. هَذَا ضَعِيفٌ.

وَلَكِنْ رَوَىٰ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»، وَابْنُ حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: دَخَلَتْ فَاطِمَةُ رضي الله عنها عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَهِيَ تَبْكِي، فَقَالَتْ: هَؤُلَاءِ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ، قَدْ تَعَاقَدُوا عَلَيْكَ لَوْ قَدْ رَأَوْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا بُنَيَّةُ، ايتِينِي بِوَضُوءٍ**»، فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِمْ الْمَسْجِدَ.

قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: «وَهَذا الْحَدِيثُ يَصْلُحُ عَلَىٰ مَنْ أَنْكَرَ وُجودَ الْوُضُوءَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ، لَا عَلَىٰ مَنْ أَنْكَرَ وُجُوبَهُ حِينَئِذٍ».

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩]: «كَانَتْ الصَّلَاةُ الْمَفْرُوضَةُ قَبْلَ الْإِسْرَاءِ ثِنْتَيْنِ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ فِي وَقْتِ الْفَجْرِ، وقَبْلَ الْغُرُوبِ فِي وَقْتِ الْعَصْرِ، وَقِيَامُ اللَّيْلِ كَانَ وَاجِبًا عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَىٰ أُمَّتِهِ حَوْلًا، ثُمَّ نُسِخَ فِي حَقِّ الْأُمَّةِ وُجُوبُهُ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ نَسَخَ اللهُ تَعَالَىٰ ذَلِكَ كُلَّهُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ».

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [غافر: ٥٥]: «هِيَ صَلَاةٌ كَانَتْ بِمَكَّةَ قَبْلَ أَنْ تُفْرَضَ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ رَكْعَتَانِ غُدْوَةً، وَرَكْعَتَانِ عَشِيَّةً، فَيَكُونُ هَذَا مِمَّا نُسِخَ».

قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَبْلَ الْإِسْرَاءِ يُصَلِّي قَطْعًا، وَكَذَلِكَ كَانَ أَصْحَابُهُ، وَلَكِنِ اخْتُلِفَ هَلِ افْتُرِضَ قَبْلَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ شَيْءٌ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَمْ لَا؟ فَيَصِحُّ عَلَىٰ هَذَا قَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْفَرْضَ أَوَّلًا كَانَ صَلَاةً قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وصَلَاةً قَبْلَ غُرُوبِهَا، وَالْحُجَّةُ فِيهِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠]». فَكَانَ مِنْ أَوَائِلِ مَا نَزَلَ الْأَمْرُ بِالْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ.

كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَأْمُرُ أَصْحَابَهُ بِالْتِزَامِ الْحَيْطَةِ، وَالْحَذَرِ، وَالْتَخَفِّي، وَعَدَمِ الْإِعْلَانِ عَنِ الْإِسْلَامِ إِلَىٰ أَنْ يَقْضِيَ اللهُ أَمْرَهُ، فَكَانُوا إِذَا أَرَادُوا الصَّلَاةَ خَرَجُوا إِلَىٰ الشِّعَابِ، فَاسْتَخَفُّوا فِيهَا بِصَلَاتِهِمْ عَنْ أَنْظَارِ قُرَيْشٍ، وَقَدْ بَقُوا عَلَىٰ ذَلِكَ طِيلَةَ مُدَّةِ الدَّعْوَةِ السِّرِّيَّةِ.

وَبَيْنَمَا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي شِعْبٍ مِنْ شِعَابِ مَكَّةَ، إِذَا بِجَمَاعَةٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَظْهَرُونَ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ يُصَلُّونَ، فَاسْتَنْكَرُوا عَمَلَهُمْ، وَعَابُوا عَلَيْهِمْ مَا يَصْنَعُونَ، فَلَمْ يَتْرُكْهُمُ الْمُشْرِكُونَ حَتَّىٰ قَاتَلُوهُمْ، وَاضْطُرَّ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يُدَافِعُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ، فَضَرَبَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَحَدَ الْمُشْرِكِينَ بِلَحْيِ بَعِيرٍ فَشَجَّهُ، فَكَانَ هَذَا أَوَّلَ دَمٍ أُهْرِيقَ فِي الْإِسْلَامِ.

رَوَىٰ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ قَالَ: «إِنَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَوَّلُ مَنْ أَهْرَاقَ دَمًا فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ».

هَذَا الْحَادِثُ -مِنَ الِاعْتِدَاءِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ خِلَالَ صَلَاتِهِمْ فِي الشِّعَابِ- حَمَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَىٰ نُصْحِ الْمُسْلِمِينَ بِالتَّخَفِّي، وَالْتِزَامِ الْبُيُوتِ مُدَّةً مِنَ الزَّمَنِ حَتَّىٰ تَسْتَقِرَّ الْأَحْوَالُ، خَاصَّةً أَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَيْسَ لَهُمْ مِنَ الْقُوَّةِ مَا يُوَاجِهُونَ بِهِ قُرَيْشًا، وَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ دَارَ الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ الْمَخْزُومِيِّ عَلَىٰ الصَّفَا، وَكَانَتْ بِمَعْزِلٍ عَنْ أَعْيُنِ الْمُشْرِكِينَ وَمَجَالِسِهِمْ، فَاتَّخَذَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَرْكَزًا لِلدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَلِاجْتِمَاعِهِ بِالْمُسْلِمِينَ مِنْ أَجْلِ الْإِرْشَادِ وَالتَّعْلِيمِ، وَيَتَعَهَّدُهُمْ بِالتَّرْبِيَةِ حَتَّىٰ كَوَّنَ ﷺ مِنْهُمْ أُنَاسًا يَسْتَهِينُونَ بِكُلِّ الْآلَامِ وَالْبَلَاءِ فِي سَبِيلِ دِينِهِمْ وَعَقِيدَتِهِمْ، وَكَانَ مَنْ يُرِيدُ الْإِسْلَامَ يَأْتِي إِلَىٰ دَارِ الْأَرْقَمِ مُسْتَخْفِيًا؛ خَشْيَةَ أَنْ يَنَالَهُ أَذًىٰ مِنْ قُرَيْشٍ. مَكَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ فِي دَارِ الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ إِلَىٰ أَنْ صَدَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالدَّعْوَةِ.

مَرَّتْ ثَلَاثُ سَنَوَاتٍ، وَالدَّعْوَةُ لَمْ تَزَلْ سِرِّيَّةً فَرْدِيَّةً، وَخِلَالَ هَذِهِ الْفَتْرَةِ تَكَوَّنَتْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ تَقُومُ عَلَىٰ الْأُخُوَّةِ وَالتَّعَاوُنِ، وَتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ وَتَمْكِينِهَا مِنْ مَقَامِهَا، حَتَّىٰ تَنَزَّلَ الْوَحْيُ يُكَلِّفُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِمُعَالَنَتِهِ قَوْمَهُ، وَمُجَابَهَةِ بَاطِلِهِمْ، وَمُهَاجَمَةِ أَصْنَامِهِمْ جِهَارًا.

بُعِثَ مُحَمَّدٌ ﷺ لِعَالَمَيِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَالْجِنُّ كَائِنَاتٌ مُسْتَتِرَةٌ عَنْ أَنْظَارِ الْبَشَرِ فِي الْأَصْلِ، وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ قُدْرَةٌ عَلَىٰ التَّجَسُّمِ وَالظُّهُورِ بِأَشْكَالٍ مُخْتَلِفَةٍ،

فَيَدُلُّ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ عَلَىٰ أَنَّ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ، رَأَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ بِنَخْلَةَ عَامِدًا إِلَىٰ عُكَاظٍ -وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الْجِنِّ وَبَيْنَ اسْتِرَاقِ السَّمْعِ مِنَ السَّمَاءِ فَكَانُوا يَبْحَثُونَ فِي أَرْجَاءِ الْأَرْضِ عَنِ السَّبَبِ-.

قَدْ مَرَّ أَنَّ هَذَا إِنَّمَا كَانَ فِي مَرَّةٍ ثَانِيَةٍ، وَأَمَّا الْمَرَّةُ الْأُولَىٰ فَقَدْ كَانَتْ بِمَكَّةَ؛ كَانَ بَحْثُهُمْ عَنِ السَّبَبِ الَّذِي لِأَجْلِهِ حِيلَ بَيْنَ الْجِنِّ وَبَيْنَ اسْتِرَاقِ السَّمْعِ مِنَ السَّمَاءِ، كَانَ بَحْثُهُمْ وَالنَّبِيُّ ﷺ بِمَكَّةَ لَمْ يَكُنْ قَدْ ذَهَبَ إِلَىٰ الطَّائِفِ بَعْدُ، فَهَذِهِ مَرَّةٌ ثَانِيَةٌ، وَأَسْلَمَ مَنْ أَسْلَمَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَىٰ، وَكَانَ مَجِيؤُهُمْ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ -كَمَا مَرَّ- إِنَّمَا هُوَ مِنْ أَجْلِ تَعَلُّمِ الْأَحْكَامِ، جَاؤُوا مِنْ أَجْلِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا أَحْكَامَ الدِّينِ، وَأَنْ يَسْأَلُوا عَنْ أُصُولِ الشَّرِيعَةِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا.

اسْتَمَعُوا إِلَيْهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الْفَجْرِ فَآمَنُوا بِهِ وَرَجَعُوا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ، فَقَالُوا: يَا قَوْمَنَا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن: ١-٢] فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ [الجن: ١]، وَإِنَّمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ قَوْلُ الْجِنِّ، وَلَمْ يَرَ رَسُولُ اللهِ الْجِنَّ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ، وَلَمْ يَقْرَأْ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّمَا آذَنَتْهُ بِهِمْ شَجَرَةٌ، ثُمَّ أُوحِيَ إِلَيْهِ خَبَرُهُمْ، وَقَدْ حَدَّدَتْ رِوَايَةٌ مُرْسَلَةٌ عَدَدًا مِنَ الْجِنِّ وَأَنَّهُمْ كَانُوا تِسْعَةً، وَلَمْ تُثْبِتْ أَنَّهُمْ مِنْ جِنِّ نَصِيبِينَ.

بَعْدَ هَذِهِ الْحَادِثَةِ دَعَا الْجِنُّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّةً -وَهُوَ مُعَسْكِرٌ بِأَصْحَابِهِ خَارِجَ مَكَّةَ-، فَذَهَبَ مَعَهُمْ، وقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، ثُمَّ أَرَىٰ أَصْحَابَهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ آثَارَهُمْ وَآثَارَ نِيرَانِهِمْ، وَقَدْ بَيَّنَ الشَّعْبِيُّ أَنَّهُمْ وَفْدُ جِنِّ نَصِيبِينَ.

كَانَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ وَفَضْلِهِ وَلُطْفِهِ بِخَلْقِهِ أَنْ حَجَبَ الْجِنَّ وَمَرَدَةَ الشَّيَاطِينِ عَنْ السَّمَاءِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ إِخْبَارًا عَنْهُمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ٨-١٠].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٠-٢١٢].

رَوَىٰ الْحَافِظُ أَبُو نُعَيْمٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ الْجِنُّ يَصْعَدُونَ إِلَىٰ السَّمَاءِ يَسْتَمِعُونَ الْوَحْيَ، فَإِذَا حَفِظُوا الْكَلِمَةَ زَادُوا فِيهَا تِسْعًا، فَأَمَّا الْكَلِمَةُ فَتَكُونُ حَقًّا، وَأَمَّا مَا زَادُوا فَيَكُونُ بَاطِلًا. فَلَمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ مُنِعُوا مَقَاعِدَهُمْ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِإِبْلِيسَ -وَلَمْ تَكُنْ النُّجُومُ يُرْمَىٰ بِهَا قَبْلَ ذَلِكَ-، فَقَالَ لَهُمْ إِبْلِيسُ: هَذَا لَأَمْرٌ قَدْ حَدَثَ فِي الْأَرْضِ، فَبَعَثَ جُنُودَهُ، فَوَجَدُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ قَائِمًا يُصَلِّي بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَأَتَوْهُ فَأَخْبَرُوهُ -أَيْ: أَتَوْا إِبْلِيسَ فَأَخْبَرُوهُ-، فَقَالَ: هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي حَدَثَ فِي الْأَرْضِ».

«انْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ عَامِدِينَ إِلَىٰ سُوقِ عُكَاظٍ، وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الشُّهُبُ، فَرَجَعَتِ الشَّيَاطِينُ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ، قَالُوا: مَا لَكُمْ؟ قَالُوا: حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا شُهُبٌ، فَقَالُوا: مَا ذَاكَ إِلَّا مِنْ شَيْءٍ حَدَثَ، فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا،

فَانْظُرُوا مَا هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ؟! فَانْطَلَقُوا يَضْرِبُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، فَمَرَّ النَّفَرُ الَّذِي أَخَذُوا نَحْوَ تِهَامَةَ وَهُوَ بِنَخْلٍ عَامِدِينَ إِلَىٰ سُوقِ عُكَاظٍ، وَهُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ اسْتَمَعُوا لَهُ، فَقَالُو: هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، فَرَجَعُوا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ، فَقَالُوا: يَا قَوْمَنَا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن: ١-٢]، فَأَوْحَىٰ اللهُ إِلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١]». أَخْرَجَاهُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ».

وَرَوَىٰ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «إِنَّهُ لَمْ تَكُنْ قَبِيلَةً مِنَ الْجِنِّ إِلَّا وَلَهُمْ مَقَاعِدُ لِلسَّمْعِ، فَإِذَا نَزَلَ الْوَحْيُ؛ سَمِعَتِ الْمَلَائِكَةُ صَوْتًا كَصَوْتِ الْحَدِيدِ أُلْقِيَتْهَا عَلَىٰ الصَّفَا، قَالَ: فَإِذَا سَمِعَتِ الْمَلَائِكَةُ خَرُّوا سُجَّدًا، فَلَمْ يَرْفَعُوا رُؤُوسَهُمْ حَتَّىٰ يَنْزِلَ، فَإِذَا نَزَلَ؛ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ فَإِنْ كَانَ مِمَّا يَكُونُ فِي السَّمَاءِ، قَالُوا: الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ، وَإِنْ كَانَ مِمَّا يَكُونُ فِي الْأَرْضِ مِنْ أَمْرِ الْغَيْبِ، أَوْ مَوْتٍ، أَوْ شَيْءٍ مِمَّا يَكُونُ فِي الْأَرْضِ تَكَلَّمُوا بِهِ، فَقَالُوا: يَكُونُ كَذَا وَكَذَا، فَتَسْمَعُهُ الشَّيَاطِينُ، فَيُنْزِلُونَهُ عَلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ.

فَلَمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ دُحِرُوا بِالنُّجُومِ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ عَلِمَ بِهَا ثَقِيفٌ، فَكَانَ ذَوُو الْغَنَمِ مِنْهُمْ يَنْطَلِقُ إِلَىٰ غَنَمِهِ، فَيَذْبَحُ كُلَّ يَوْمٍ شَاةً، وَذَوُو الْإِبِلِ فَيَنْحَرُ كُلَّ يَوْمٍ بَعِيرًا، فَأَسْرَعَ النَّاسِ فِي أَمْوَالِهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَا تَفْعَلُوا؛ فَإِنْ كَانَتْ النُّجُومُ الَّتِي يَهْتَدُونَ بِهَا وَإِلَّا فَإِنَّهُ لِأَمْرٍ حَادِثٍ -أَوْ لِأَمْرٍ حَدَثَ-، فَنَظَرُوا؛

فَإِذَا النُّجُومُ الَّتِي يُهْتَدَىٰ بِهَا كَمَا هِيَ -وَالْعَرَبُ كَانُوا يَعْرِفُونَ خَارِطَةَ السَّمَاءِ كَمَا يَعْرِفُ النَّاسُ خَارِطَةَ الْأَرْضِ، فَكَانُوا يَنْظُرُونَ إِلَىٰ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ فَيَسْتَدِلُّونَ عَلَىٰ الطُّرُقِ وَالْمَسَالِكِ؛ كَمَا يَفْعَلُ النَّاسُ عَلَىٰ الْأَرْضِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ خَارِطَتَهَا، فَلَمَّا نَظَرُوا عَرَفُوا أَنَّ النُّجُومَ الَّتِي يُهْتَدَىٰ بِهَا كَمَا هِيَ- لَمْ يَزَلْ مِنْهَا شَيْءٌ، فَكَفُّوا -يَعْنِي عَنِ الذَّبْحِ وَالنَّحْرِ-، وَصَرَفَ اللهُ الْجِنَّ فَسَمِعُوا الْقُرْآنَ، فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا: أَنْصِتُوا، وَانْطَلَقَتْ الشَّيَاطِينُ إِلَىٰ إِبْلِيسَ فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: هَذَا حَدَثٌ حَدَثَ فِي الْأَرْضِ، فَأْتُونِي مِنْ كُلِّ أَرْضٍ بِتُرْبَةٍ، فَأَتَوْهُ بِتُرْبَةِ -أَيْ: بِتُرَابِ- تِهَامَةَ، فَقَالَ: هَا هُنَا الْحَدَثُ». وَرَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَالْحَاكِمُ عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ.

وَثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسًا فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَرُمِيَ بِنَجْمٍ عَظِيمٍ فَاسْتَنَارَ، قَالَ: «**مَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ إِذَا كَانَ مِثْلُ هَذَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟**». قَالَ: كُنَّا نَقُولُ: يُولَدُ عَظِيمٌ، أَوْ يَمُوتُ عَظِيمٌ - قَالَ مَعْمَرٌ: قُلْتُ لِلزُّهْرِيِّ: أَكَانَ يُرْمَىٰ بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ قَالَ: نَعَمْ؛ وَلَكِنْ غُلِّظَتْ حِينَ بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «**فَإِنَّهُ لَا يُرْمَىٰ بِهَا لِمَوْتِ أَحَدٍ، وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنَّ رَبَّنَا -تَبَارَكَ اسْمُهُ- إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِي يَلُونَهُمْ، حَتَّىٰ يَبْلُغُ التَّسْبِيحُ هَذِهِ السَّمَاءَ الدُّنْيَا، ثُمَّ يَسْتَخْبِرُ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِي يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ، فَيَقُولُ الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ فَيُخْبِرُونَهُمْ، وَيُخْبِرُ أَهْلُ كُلِّ سَمَاءٍ سَمَاءً؛ حَتَّىٰ يَنْتَهِيَ الْخَبَرُ إِلَىٰ هَذِهِ السَّمَاءِ، وَيَخْطِفُ الْجِنُّ السَّمْعَ فَيُرْمَوْنَ، فَمَا جَاؤُوا بِهِ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ، وَلَكِنَّهُمْ يَقْرِفُونَ فِيهِ وَيَزِيدُونَ**».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا قَضَىٰ اللهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ؛ ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ؛ كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَىٰ صَفْوَانٍ يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ، فَـ﴿إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْۖ قَالُواْ﴾ -لِلَّذِي قَالَ- ﴿ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾** [سبأ: ٢٣]، **فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُو السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُو السَّمْعِ هَكَذَا: بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ -وَوَصَفَ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ؛ فَحَرَفَهَا وَبَدَّدَ، وَفِي لَفْظٍ: وَفَرَّجَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ- فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ، فَيُلْقِيهَا عَلَىٰ لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الْكَاهِنِ، فَرُبَّمَا أَدْرَكَ الشِّهَابُ الْمُسْتَمِعَ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا إِلَىٰ صَاحِبِهِ فَيُحْرَقُ، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذِبَةٍ، فَيُقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا: كَذَا وَكَذَا، فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي سَمِعَ مِنَ السَّمَاءِ**». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَأَلَ أُنَاسٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْكُهَّانِ؟ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَيْسُوا بِشَيْءٍ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! فَإِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ أَحْيَانًا الشَّيْءَ يَكُونُ حَقًّا؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْحَقِّ يَخْطِفُهَا الْجَنِّيُّ، فَيَقُرُّهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ قَرَّ الدَّجَاجَةِ، فَيَخْلِطُونَ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كَذِبَةٍ**»، أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ.

يَأْتِي بِالْكَلِمَةِ الَّتِي اسْتَرَقَتْ مِنَ الْوَحْيِ وَهِيَ حَقٌّ، فَيُلْقِيهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ مِنَ الْكُهَّانِ فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذِبَةٍ، النَّاسُ فِي الْجُمْلَةِ يَأْخُذُونَ بِالْأَحْكَامِ الْعَامَّةِ، يُعَمِّمُونَ الْحُكْمَ، وَتَعْمِيمُ الْأَحْكَامِ مِنْ أَكْبَرِ الظُّلْمِ، فَيَنْبَغِي عَلَىٰ الْمَرْءِ أَنْ يَكُونَ مُنْصِفًا مُتَثَبِّتًا.

يَعْنِي: قَدْ يُوجَدُ قَوْمٌ، وَفِيهِمْ مَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ وَلَا عَلَىٰ شَاكِلَتِهِمْ فَيُقَاسُ الْمَجْمُوعُ عَلَىٰ هَذَا الْفَرْدِ، وَهَذَا شَائِعٌ بَيْنَ الدُّوَلِ، فَمَثَلًا: لَوْ وُجِدَ رَجُلٌ أَوْ امْرَأَةٌ مِنْ جِنْسِيَّةٍ مِنَ الْجِنْسِيَّاتِ فِي دَوْلَةٍ مِنَ الدُّوَلِ وَهُوَ يَأْتِي بِأُمُورٍ مُنْكَرَةٍ -يَسْرِقُ، يَفْحُشُ- فَيُعَمَّمُ الْحُكْمُ، فَيُقَالُ: أَهْلُ بَلَدٍ كَذَا كُلُّهُمْ كَذَلِكَ!!

قَدْ يُوجَدُ مَكَانٌ هُوَ مَبَاءَةٌ لِلْفِسْقِ فِي بَلَدٍ مِنَ الْبِلَادِ، فَيَأْتِي مَنْ يُعَمِّمُ الْأَحْكَامَ ظَالِمًا مُتَعَدِّيًا فَيَقُولُ: أَهْلُ هَذِهِ الْبَلَدِ كُلُّهُمْ كَذَلِكَ، هُمْ أَهْلُ بَلَدٍ كَذَا!! وَيَذْكُرُ الْمَكَانَ الْمَوْبُوءَ الَّذِي تُرْتَكَبُ فِيهِ الْفَوَاحِشُ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ

مَعَ أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ فِي تِلْكَ الْبَلَدِ مِنَ الصَّالِحِينَ مَنْ يَفُوقُ عَدَدَ الصَّالِحِينَ فِي بَلَدِ الْمُتَّهَمِ، وَلَكِنَّ النَّاسَ يَظْلِمُونَ بِتَعْمِيمِ الْأَحْكَامِ، هَذَا مِنَ الظُّلْمِ الْفَاحِشِ الْبَيِّنِ، الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَتَنَزَّهَ وَيَتَوَرَّعَ عَنْهُ الْمَرْءُ فَـ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨]، واللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَا يُؤَاخِذُ أَحَدًا بِجَرِيرَةِ أَحَدٍ إِلَّا إِذَا كَانَ مُتَسَبِّبًا فِيهَا بِلَوْنٍ مِنَ الْأَلْوَانِ وَشَكْلٍ مِنَ الْأَشْكَالِ.

فَالنَّاسُ كَانُوا يَذْهَبُونَ إِلَىٰ الْكُهَّانِ يَسْأَلُونَهُمْ أَوْ يَسْمَعُونَ مِنْهُمْ، عِنْدَ هَؤُلَاءِ الْكُهَّانِ كَلِمَةَ حَقٍّ اسْتَرَقَهَا شَيْطَانٌ مِنَ الشَّيَاطِينِ ثُمَّ أَلْقَاهَا فِي أُذُنِ الْكَاهِنِ -هِيَ كَلِمَةُ حَقٍّ- يَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ، لَا يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَّا إِلَىٰ كَلِمَةِ الْحَقِّ الَّتِي هِيَ وَاحِدٌ مِنْ مِائَةٍ مِمَّا كَذَبَهُ، بَلْ هِيَ أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ، فَيَحْكُمُونَ عَلَىٰ الْمِائَةِ كَذْبَةٍ بِأَنَّهَا حَقٌّ؛ لِأَنَّ الرَّجُلَ تَكَلَّمَ يَوْمًا بِكَلِمَةِ حَقٍّ!! وَهِيَ مِنَ الْوَحْيِ الْمُسْتَرَقِ!! فَكَانُوا يَخْدَعُونَ النَّاسَ وَمَا زَالَ النَّاسُ يُخْدَعُونَ، أَيْضًا بِأَمْثَالِ هَذِهِ الْأُمُورِ!!

أَنْتَ خَبِيرٌ بِأَنَّ النَّاسَ لَوْ وَقَفُوا -مَثَلًا- فِي الصَّفِّ فِي الصَّلَاةِ، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مُسْتَنْصِلًا أَوْ كَانَ مُسْتَأْخِرًا فَإِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ: صَفٌّ أَعْوَجُ، وَيَحْكُمُونَ عَلَىٰ الصَّفِّ كُلِّهِ بِأَنَّهُ أَعْوَجُ!! مَعَ أَنَّ الَّذِي هُوَ أَعْوَجُ فِي هَذَا الصَّفِّ وَاحِدٌ فَقَطْ.

فَلْيَتَّقِ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كُلُّ مُنْتَمٍ إِلَىٰ الْحَقِّ وَدَعْوَةِ الْحَقِّ، فَلْيَتَّقِ اللهَ فِيمَنْ وَرَاءَهُ، لَا فِي نَفْسِهِ فَقَطْ؛ لِأَنَّ النَّاسَ يُعَمِّمُونَ الْأَحْكَامَ، فَيَنْبَغِي عَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ صَادًّا عَنْ سَبِيلِ اللهِ مِنْ حَيْثُ لَا يُرِيدُ وَمِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ؛ لِأَنَّ النَّاسَ يُعَمِّمُونَ، فَيَقُولُونَ: لَوْ كَانَ فِي هَذِهِ الدَّعْوَةِ مِنْ خَيْرٍ لَمَا كَانَ فِيهَا كَذَا وَكَذَا!!

وَهَذَا أَيْضًا يُقَالُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْجُمْلَةِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا نَظَرَ النَّاسُ مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ إِلَىٰ أَحْوَالِ الْمُسْلِمِينَ، وَرَأَوْا مَا يُعَابُ قَالُوا: لَوْ كَانَ فِي دِينِهِمْ مِنْ خَيْرٍ مَا كَانُوا هَكَذَا.

فَيَنْظُرُونَ -مَثَلًا- إِلَىٰ الْأُمُورِ المَادِّيَّةِ الَّتِي يَحْيَا فِيهَا الْمُسْلِمُونَ: طُرُقُهُمْ وَشَوَارِعُهُمْ غَيْرُ نَظِيفَةٍ، أَحْوَالُهُمْ لَيْسَتْ بِمَأْلُوفَةٍ، إِلَىٰ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالتَّقَدُّمِ الْمَادِّيِّ فِي أَسَالِيبِ الْعَيْشِ وَالْحَيَاةِ، وَمَا يُعَانِيهِ كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الدُّوَلِ مِنَ التَّأَخُّرِ فِي التِّقْنِيَةِ وَمَا أَشْبَهَ مِمَّا سَبَقَ إِلَيْهِ الْكُفَّارُ، فَيَقُولُونَ: هَؤُلَاءِ يُفَاخِرُونَنَا بِأَيِّ شَيْءٍ؟ لَوْ كَانَ دِينُهُمْ حَقًّا مَا سَبَقْنَاهُمْ، وَمَا تَأَخَّرُوا إِلَّا لِتَمَسُّكِهِمْ بِدِينِهِمْ؛ وَيَصِفُونَهُ بِالرَّجْعِيَّةِ تَارَةً، وَبِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَلْقَابِ الْمُنَفِّرَةِ تَارَاتٍ.

فَلْيَتَّقِ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْمُسْلِمُونَ حَتَّىٰ لَا يَكُونُوا صَادِّينَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَّقُوا اللهَ وَأَنْ يَأْخُذُوا بِالْأَسْبَابِ، وَأَنْ يَكُونُوا حَازِمِينَ حَاسِمِينَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُوَفَّقِينَ بِاتِّبَاعِ النَّبِيِّ الْأَمِينِ ﷺ.

يَبْدُو بَعْدَ النَّظَرِ فِي نَوَاحٍ شَتَّىٰ مِنَ الْوَقَائِعِ أَنَّ الدَّعْوَةَ -فِي هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ- وَإِنْ كَانَتْ سِرِّيَّةً فَرْدِيَّةً لَكِنْ بَلَغَتْ أَنْبَاؤُهَا إِلَىٰ قُرَيْشٍ، بَيْدَ أَنَّهَا لَمْ تَكْتَرِثْ بِهَا.

يَعْنِي: لِمَاذَا لَمْ تُحَارِبْ قُرَيْشٌ الدَّعْوَةَ وَهِيَ فِي مَهْدِهَا حَتَّىٰ يَسْهُلَ الْقَضَاءُ عَلَيْهَا؟

لَمْ تَكْتَرِثْ قُرَيْشٌ بِذَلِكَ، تَرَامَتْ هَذِهِ الْأَنْبَاءُ إِلَىٰ قُرَيْشٍ فَلَمْ تُعِرْهَا اهْتِمَامًا، وَلَعَلَّهَا حَسِبَتْ مُحَمَّدًا أَحَدَ أُولَئِكَ الدِّيانِينَ، الَّذِينَ يتَكَلَّمُونَ فِي الْأُلُوهِيَّةِ وَحُقُوقِهَا؛ كَمَا صَنَعَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ، وَقِسُّ بْنُ سَاعِدَةَ، وَعَمْرُو بْنُ نُفَيْلٍ وَأَشْبَاهُهُمْ، إِلَّا أَنَّهَا تَوَجَّسَتْ خِيفَةً مِنْ ذُيُوعِ خَبَرِهِ وَامْتِدَادِ أَثَرِهِ، وَأَخَذَتْ تَرْقُبُ عَلَىٰ الْأَيَّامِ مَصِيرَهُ وَدَعْوَتَهُ.

مَرَّتْ ثَلَاثُ سِنِينَ وَالدَّعْوَةُ لَمْ تَزَلْ سِرِّيَّةً وَفَرْدِيَّةً، وَخِلَالَ هَذِهِ الْفَتْرَةِ تَكَوَّنَتْ عُصْبَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ تَقُومُ عَلَىٰ الْأُخُوَّةِ وَالتَّعَاوُنِ، وَتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ وَتَمْكِينِهَا مِنْ مَقَامِهَا، ثُمَّ تَنَزَّلَ الْوَحْيُ يُكَلِّفُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِمُعَالَنَتِهِ قَوْمَهُ، وَمُجَابَهَةِ بَاطِلِهِمْ، وَمُهَاجَمَةِ أَصْنَامِهِمْ.

دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ مَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ عَلَىٰ نُورٍ وَبَصِيرَةٍ وَمُعَايَنَةٍ، فَأَخَذَهُمْ سُفَهَاءُ أَهْلِ مَكَّةَ بِالْأَذَىٰ وَالْعُقُوبَةِ، وَصَانَ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ وَحَمَاهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ؛ لِأَنَّهُ كَانَ شَرِيفًا مُطَاعًا فِيهِمْ، نَبِيلًا بَيْنَهُمْ، لَا يَتَجَاسَرُونَ عَلَىٰ مُفَاجَأَتِهِ بِشَيْءٍ فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ لِمَا يَعْلَمُونَ مِنْ مَحَبَّتِهِ لَهُ، فَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحَبَّ خَلْقِ اللهِ إِلَيْهِ طَبْعًا، لَمْ يَكُنْ يُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ دِيَانَةً وَعَقِيدَةً؛ يَعْنِي: مَا أَحَبَّهُ لِأَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، وَلَكِنْ كَانَ حُبًّا طَبْعِيًّا، يُحِبُّهُ فَهُوَ ابْنُ أَخِيهِ، وَعَبْدُ اللهِ كَانَ شَقِيقَهُ، وَقَدْ رُزِقَ حُبَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ لَكِنْ طَبْعًا لَا دِيَانَةً، كَانَ يَحْنُو عَلَيْهِ، وَيُحْسِنُ إِلَيْهِ، وَيُدَافِعُ عَنْهُ وَيُحَامِي، وَيُخَالِفُ قَوْمَهُ فِي ذَلِكَ مَعَ أَنَّهُ عَلَىٰ دِينِهِمْ وَعَلَىٰ خَلَّتِهِمْ، إِلَىٰ أَنَّ اللهَ قَدِ امْتَحَنَ قَلْبَهُ بِحُبِّهِ حُبًّا طَبِيعِيًّا لَا شَرْعِيًّا، مَعَ أَنَّهُ كَانَ عَلَىٰ دِينِهِمْ وعَلَىٰ خُلَّتِهِمْ، لَمْ يُفَارِقْ دِينَهُمْ وَإِنَّمَا ظَلَّ عَلَىٰ دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، عَلَىٰ دِينِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ حَتَّىٰ تَوَفَّاهُ اللهُ، فَكَانَ آخِرَ مَا قَالَ: إِنَّهُ عَلَىٰ دِينِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَلَمْ يَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. فَهَذِهِ الْمَحَبَّةُ لِلنَّبِيِّ ﷺ كَانَتْ مَحَبَّةً طَبِيعِيَّةً لَيْسَتْ بِمَحَبَّةٍ شَرْعِيَّةٍ.

كَانَ اسْتِمْرَارُهُ عَلَىٰ دِينِ قَوْمِهِ مِنْ حِكْمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَمِمَّا صَنَعَهُ لِرَسُولِهِ مِنَ الْحِمَايَةِ؛ إِذْ لَوْ كَانَ أَسْلَمَ أَبُو طَالِبٍ لَمَا كَانَ لَهُ عِنْدَ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ وَجَاهَةٌ وَلَا كَلِمَةٌ، وَلَا كَانُوا يَهَابُونَهُ وَيَحْتَرِمُونَهُ، وَلَاجْتَرَؤُا عَلَيْهِ، وَلَمَدُّوا أَيْدِيهِمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ إِلَيْهِ هُوَ نَفْسِهِ، لَآذَوْهُ وَاعْتَدَوْا عَلَيْهِ، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨].

وَقَدْ قَسَمَ خَلْقَهُ أَنْوَاعًا وَأَجْنَاسًا؛ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَا زَالَتْ قُرَيْشٌ كَاعَّةً -أَيْ: جُبَنَاءَ- حَتَّىٰ تُوُفِّيَ أَبُو طَالِبٍ**». وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ»، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الدَّلَائِلِ»؛ كَمَا قَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ».

هَذَا وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُو اللهَ لَيْلًا وَنَهَارًا، سِرًّا وَجِهَارًا، لَا يَصُدُّهُ عَنْ ذَلِكَ صَادٌّ، وَلَا يَرُدُّهُ عَنْهُ رَادٌّ، وَلَا يَأْخُذُهُ فِي اللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ.

كَانَ نُزُولُ آيَةِ الشُّعَرَاءِ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] إِيذَانًا لَهُ ﷺ بِالْجَهْرِ بِالدَّعْوَةِ الْمُبَارَكَةِ وَانْتِهَاءِ الْمَرْحَلَةِ السِّرِّيَّةِ.

◉◉◉

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

دَعْوَةُ النَّبِيِّ ﷺ عَشِيرَتَهُ الْأَقْرَبِينَ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]؛ صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي: «**يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ**» -لِبُطُونِ قُرَيْشٍ- حَتَّىٰ اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا؛ لِيَنْظُرَ مَا هُوَ؟ فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: «**أَرَأَيْتُكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟**» قَالُوا: نَعَمْ؛ مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: «**فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**»، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟

هَذَا مَوْقِفٌ، وَيُقَابِلُهُ مَوْقِفُ أَبُو طَالِبٍ، وَهُمَا مِنْ أَعْمَامِ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَىٰ دِينِ قُرَيْشٍ، وَلَكِنْ يَقُولُ أَبُو لَهَبٍ، وَهُوَ الَّذِي يَتَصَدَّىٰ وَحْدَهُ مِمَّنْ حَضَرَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَالْكَافِرِينَ، يَتَصَدَّىٰ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَيُجَبِّهُهُ بِهَذَا الْقَوْلِ الْعَنِيفِ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟

فَنَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: ١-٢]. الْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ».

ثُمَّ شَمَّرَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ سَاعِدَيْهِ، وَأَلْقَىٰ النَّوْمَ وَالرَّاحَةَ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، وَأَخَذَ يَدْعُو إِلَىٰ اللهِ، وَإِلَىٰ دِينِ رَبِّهِ ﷻ، فَهُوَ لَا يُرِيدُ أَنْ يُضَيِّعَ لَحْظَةً وَاحِدَةً فِي غَيْرِ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ.

وَلَمْ تَكُنِ الدَّعْوَةُ سَهْلَةً يَسِيرَةً، وَلَمْ يَكُنْ طَرِيقُهَا مُعَبَّدًا، بَلْ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ وَاجَهَ مِنَ الصُّعُوبَاتِ وَالْمَشَقَّةِ مَا لَا يَتَحَمَّلُهُ غَيْرُهُ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ لَهُ: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥].

وَكَانَ سَبَبُ هَذِهِ الصُّعُوبَاتِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بُعِثَ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، حَتَّىٰ إِنَّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ قَدْ وَرِثُوا عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، فَلَمْ تَكُنْ عِنْدَهُمْ أَدْنَىٰ مُوَافَقَةٍ عَلَىٰ تَرْكِ دِينِ آبَائِهِمْ وَأَجْدَادِهِمْ إِلَىٰ التَّدَيُّنِ بِالدِّينِ الْجَدِيدِ، بَلْ كَانُوا يَقُولُونَ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢]، وَرَغْمَ ذَلِكَ، حَرَصَ النَّبِيُّ ﷺ الْحِرْصَ كُلَّهُ، وَبَذَلَ كُلَّ الْجَهْدِ حَتَّىٰ يَخْرُجَ هَؤُلَاءِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ إِلَىٰ عِبَادَةِ رَبِّ الْأَنَامِ، وَمِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَىٰ عِبَادَةِ رَبِّ الْعِبَادِ، حَتَّىٰ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَسِيرُ فِي الْأَسْوَاقِ يَقُولُ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، تُفْلِحُوا**». أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.

حَتَّىٰ إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَمَّا رَأَىٰ مِنْهُ كُلَّ هَذَا الْجَهْدِ، وَكُلَّ هَذَا الْحُزْنِ الَّذِي مَلَأَ قَلْبَهُ حَتَّىٰ كَادَ يَقْتُلُهُ الْحُزْنُ؛ لِخَوْفِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ، رَأَفَ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ، فَأَنْزَلَ عَلَيْهِ: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣]، وَأَنْزَلَ: ﴿فَلَعَلَّكَ

بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف: ٦]؛ أَيْ: فَلَعَلَّكَ قَاتِلٌ نَفْسَكَ حُزْنًا وَأَسَفًا وَكَمَدًا لِعَدَمِ إِيمَانِهِمْ بِكَ وَبِرِسَالَتِكَ، فَلَا تَحْزَنْ كُلَّ هَذَا الْحُزْنِ؛ ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ ﴾ [الرعد: ٤٠].

ثُمَّ اسْتَمَرَّ النَّبِيُّ ﷺ فِي دَعْوَتِهِ الَّتِي وَاجَهَ فِيهَا صَنَادِيدَ قُرَيْشٍ وَكُبَرَاءَهَا، فَآذَوْهُ أَشَدَّ إِيذَاءٍ، وَتَعَدَّاهُ هَذَا الْإِيذَاءُ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ ﷺ -بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي وَنَفْسِي وَأَهْلِي- ﷺ.

عِنْدَمَا حَانَ مَوْعِدُ إِعْلَانِ الدَّعْوَةِ وَالْجَهْرِ بِهَا أَنْزَلَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا عَلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [الحجر: ٩٤]، وَقَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [الشعراء: ٢١٤-٢٢٠].

فَجَمَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَبِيلَتَهُ وَعَشِيرَتَهُ، وَدَعَاهُمْ عَلَانِيَةً إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَخَوَّفَهُمْ مِنْ مُخَالَفَةِ أَمْرِهِ، وَأَمَرَهُمْ بِإِنْقَاذِ أَنْفُسِهِمْ مِنَ النَّارِ، وَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْؤُولٌ عَنْ نَفْسِهِ.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، يَا صَفِيَّةُ بِنْتَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ**». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، قَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ -أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا- اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مِنْ مَالِي لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا» أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

بَدَأَ الْجَهْرُ بِالدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وبَدَأَتْ صَفْحَةٌ مِنَ الْعِنَادِ الْمَجْنُونِ، وَمِنَ التَّعْذِيبِ الَّذِي لَا حَدَّ لَهُ لِمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، حَتَّىٰ مَكَّنَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِدِينِهِ وَأَعْلَىٰ شَأْنَ أَوْلِيَائِهِ.

وصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة الثَّانِيَة)

مِنْ مَادَّةِ

سِيرَة النَّبِيِّ ﷺ

[الْعَهْدُ الْمَكِّيُّ - ج٢]

www.menhag-un.com

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

أَوَّلُ أَمْرٍ بِإِظْهَارِ الدَّعْوَةِ

فَقَدْ بَلَغْنَا -بِفَضْلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ- فِي مَسِيرَةِ السِّيرَةِ عِنْدَ الْجَهْرِ بِالدَّعْوَةِ.

وَأَوَّلُ مَا نَزَلَ بِهَذَا الصَّدَدِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٤-٢١٦]، وَالسُّورَةُ الَّتِي وَقَعَتْ فِيهَا الْآيَةُ هِيَ «سُورَةُ الشُّعَرَاءِ»، ذُكِرَتْ فِيهَا أَوَّلًا قِصَّةُ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ بِدَايَةِ نُبُوَّتِهِ إِلَىٰ هِجْرَتِهِ مَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَنَجَاتِهِمْ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ، وَإِغْرَاقِ آلِ فِرْعَوْنَ مَعَهُ، وَقَدِ اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ عَلَىٰ جَمِيعِ الْمَرَاحِلِ الَّتِي مَرَّ بِهَا مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ خِلَالَ دَعْوَةِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ.

وَهَذَا التَّفْصِيلُ إِنَّمَا جِيءَ بِهِ حِينَ أُمِرَ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِدَعْوَةِ قَوْمِهِ إِلَىٰ اللهِ؛ لِيَكُونَ أَمَامَهُ وأَمَامَ أَصْحَابِهِ نَمُوذَجًا لِمَا سَيَلْقَوْنَهُ مِنَ التَّكْذِيبِ وَالِاضْطِهَادِ حِينَمَا يَجْهَرُونَ بِالدَّعْوَةِ، وَلِيَكُونُوا عَلَىٰ بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِهِمْ مُنْذُ بِدَايَةِ دَعْوَتِهِمْ.

وَمِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَىٰ تَشْتَمِلُ هَذِهِ السُّورَةُ عَلَىٰ ذِكْرِ مَآلِ الْمُكَذِّبِينَ لِلرُّسُلِ، مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، وَعَادٍ، وَثَمُودَ، وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ، وَقَوْمِ لُوطٍ، وَأَصْحَابِ الْأَيْكَةِ، عِلَاوَةً عَلَىٰ مَا ذُكِرَ مِنْ أَمْرِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ؛ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ سَيَقُومُونَ بِالتَّكْذِيبِ بِمَا سَيَؤُولُ

إِلَيْهِ أَمْرُهُمْ، وَبِمَا سَيَلْقَوْنَ مِنْ مُؤَاخَذَةِ اللهِ إِنِ اسْتَمَرُّوا عَلَىٰ التَّكْذِيبِ، وَلِيَعْرِفَ الْمُؤْمِنُونَ أَنَّ حُسْنَ الْعَاقِبَةِ لَهُمْ لَا لِلْمُكَذِّبِينَ.

ثُمَّ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤].

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: «ثُمَّ إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَ رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يَصْدَعَ بِمَا جَاءَهُ مِنْهُ، وَأَنْ يُبَادِيَ النَّاسَ بِأَمْرِهِ، وَأَنْ يَدْعُوَ إِلَيْهِ؛ وَكَانَ بَيْنَ مَا أَخْفَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَمْرَهُ، وَاسْتَتَرَ بِهِ إِلَىٰ أَنْ أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَىٰ بِإِظْهَارِ دِينِهِ ثَلَاثَ سِنِينَ، -قَالَ: فِيمَا بَلَغَنِي- مِنْ مَبْعَثِهِ؛ ثُمَّ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ لَهُ: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤-٢١٥]».

رَوَىٰ الْإِمَامُ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «مَا زَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُسْتَخْفِيًا حَتَّىٰ نَزَلَتْ: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾؛ فَخَرَجَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ».

❁ ❁ ❁

www.menhag-un.com

دَعْوَةُ النَّبِيِّ ﷺ عَشِيرَتَهُ الأَقْرَبِينَ

بَدَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِتَنْفِيذِ أَمْرِ رَبِّهِ، فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ فَعَلَهُ أَنْ دَعَا جَمِيعَ ذَوِيهِ، وَأَهْلَ قَرَابَتِهِ، وَعَشِيرَتَهُ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، وَنَفَرًا مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، فَاجْتَمَعَ أَرْبَعُونَ أَوْ خَمْسَةٌ وَأَرْبَعُونَ رَجُلًا، فَصَنَعَ لَهُمْ مُدًّا مِنْ طَعَامٍ عَلَيْهِ رِجْلُ شَاةٍ، فَأَكَلُوا حَتَّىٰ شَبِعُوا، وَبَقِيَ الطَّعَامُ كَمَا هُوَ كَأَنَّهُ لَمْ يُمَسَّ، ثُمَّ دَعَا بِغُمَرٍ -الْغُمَرُ: بِضَمِّ الْغَيْنِ وَفَتْحِ الْمِيمِ، الْقَدَحُ الصَّغِيرُ- مِنْ لَبَنٍ، فَشَرِبُوا حَتَّىٰ رَوَوْا وَبَقِيَ الشَّرَابُ كَأَنَّهُ لَمْ يُمَسَّ، فَلَمَّا انْتَهَوْا مِنْ طَعَامِهِمْ وَشَرَابِهِمْ بَدَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُخْبِرُهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَرَادَ اللهُ ﷻ لِنَبِيِّهِ ﷺ أَنْ يُكْمِلَ كَلَامَهُ وَيَدْعُوَهُمْ إِلَىٰ اللهِ، فَابْتَدَرَهُ أَبُو لَهَبٍ الْكَلَامَ، وَقَالَ:

هَؤُلَاءِ هُمْ عُمُومَتُكَ وَبَنُو عُمُومَتِكَ فَتَكَلَّمَ بِمَا تُرِيدُ وَدَعِ الصُّبَاةَ - يُقَالُ: صَبَأَ فُلَانٌ إِذَا خَرَجَ مِنْ دِينٍ إِلَىٰ دِينٍ غَيْرِهِ، وَكَانَتْ الْعَرَبُ تُسَمِّي النَّبِيَّ ﷺ الصَّابِئَ؛ لِأَنَّهُ خَرَجَ مِنْ دِينِ قُرَيْشٍ إِلَىٰ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَمَا كَانَ فِي دِينِ قُرَيْشٍ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ ﷺ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ لِقَوْمِكَ بِالْعَرَبِ قَاطِبَةً طَاقَةٌ، وَأَنَّ أَحَقَّ مَنْ أَخَذَكَ فَحَبَسَكَ بَنُو أَبِيكَ؛ إِنْ أَقَمْتَ عَلَىٰ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ، فَهُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْ تَثِبَ عَلَيْكَ بُطُونُ قُرَيْشٍ وَتُمِدُّهَا الْعَرَبُ، فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا جَاءَ عَلَىٰ بَنِي أَبِيهِ بِشَرٍّ مِمَّا جِئْتَهُمْ بِهِ.

فَتَفَرَّقَ الْقَوْمُ، وَلَمْ يُكَلِّمْهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ، ثُمَّ دَعَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَانِيَةً، وَصَنَعَ لَهُمْ مِنَ الطَّعَامِ مِثْلَمَا صَنَعَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَأَكَلُوا وَشَرِبُوا، ثُمَّ خَطَبَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**الْحَمْدُ للهِ أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ، وَأُومِنُ بِهِ، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ**»، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ الرَّائِدَ لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ، وَاللهِ لَوْ كَذَبْتُ النَّاسَ جَمِيعًا مَا كَذَبْتُكُمْ، وَلَوْ غَرَرْتُ النَّاسَ جَمِيعًا مَا غَرَرْتُكُمْ، وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ خَاصَّةً، وَإِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً، وَاللهِ لَتَمُوتُنَّ كَمَا تَنَامُونَ، وَلَتُبْعَثُنَّ كَمَا تَسْتَيْقِظُونَ، وَلَتُحَاسَبُنَّ بِمَا تَعْمَلُونَ، وَلَتُجْزَوُنَّ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا، وَبِالسُّوءِ سُوءًا، وَإِنَّهَا لَجَنَّةٌ أَبَدًا أَوْ لَنَارٌ أَبَدًا، وَاللهِ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مَا أَعْلَمُ شَابًّا فِي الْعَرَبِ جَاءَ قَوْمَهُ بِأَفْضَلَ مِمَّا جِئْتُكُمْ بِهِ، إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَقَدْ أَمَرَنِي اللهُ تَعَالَىٰ أَنْ أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ، فَأَيُّكُمْ يُبَايِعُنِي عَلَىٰ أَنْ يَكُونَ أَخِي وَصَاحِبِي؟**».

فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: مَا أَحَبَّ إِلَيْنَا مُعَاوَنَتَكَ، وَأَقْبَلَنَا لِنَصِيحَتِكَ، وَأَشَدَّ تَصْدِيقًا لِحَدِيثِكَ، وَهَؤُلَاءِ بَنُو أَبِيكَ مُجْتَمِعُونَ، وَإِنَّمَا أَنَا وَأَحَدُهُمْ غَيْرَ أَنِّي أَسْرَعُهُمْ إِلَىٰ مَا تُحِبُّ، فَامْضِ لِمَا أُمِرْتَ بِهِ، فَوَاللهِ لَا أَزَالُ أَحُوطُكَ وَأَمْنَعُكَ؛ غَيْرَ أَنَّ نَفْسِي لَا تُطَاوِعُنِي عَلَىٰ فِرَاقِ دِينِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. أَخْرَجَ ذَلِكَ كُلَّهُ: الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»، وَأَخْرَجَهُ فِي «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ» وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

ثُمَّ تَكَلَّمَ سَائِرُ الْقَوْمِ كَلَامًا لَيِّنًا غَيْرَ أَبِي لَهَبٍ فَإِنَّهُ قَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ! هَذِهِ وَاللهِ السَّوْأَةُ، خُذُوا عَلَىٰ يَدَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَأْخُذَ عَلَىٰ يَدَيْهِ غَيْرُكُمْ، فَإِنْ أَسْلَمْتُمُوهُ حِينَئِذٍ ذَلَلْتُمْ، وَإِنْ مَنَعْتُمُوهُ قُتِلْتُمْ.

فَقَالَتْ صَفِيَّةُ عَمَّةُ الرَّسُولِ ﷺ لِأَبِي طَالِبٍ: أَيْ أَخِي! أَيَحْسُنُ بِكَ خِذْلَانُ ابْنِ أَخِيكَ؟ فَوَاللهِ مَا زَالَ الْعُلَمَاءُ يُخْبِرُونَ أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ نَبِيٌّ فَهُوَ هُوَ.

فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: هَذَا وَاللهِ الْبَاطِلُ وَالْأَمَانِيُّ، وَكَلَامُ النِّسَاءِ فِي الْحِجَالِ - الْحَجَلَةُ: بَيْتٌ كَالْقُبَّةِ يُسْتَرُ بِالثِّيَابِ، وَتُجْمَعُ عَلَىٰ حِجَالٍ-، إِذَا قَامَتْ بُطُونُ قُرَيْشٍ، وَقَامَتْ مَعَهَا الْعَرَبُ فَمَا قُوَّتُنَا بِهِمْ؟ فَوَاللهِ مَا نَحْنُ عِنْدَهُمْ إِلَّا أَكَلَةُ رَأْسٍ -أَيَ: نَحْنُ عِنْدَهُمْ قَلِيلٌ، قَدْرَ مَا يُشْبِعُهُمْ رَأْسٌ وَاحِدٌ-، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: وَاللهِ لَنَمْنَعَنَّهُ مَا بَقِينَا.

◉◉◉

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

الدَّعْوَةُ جِهَارًا عَلَى جَبَلِ الصَّفَا

بَعْدَمَا تَأَكَّدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ تَعَهُّدِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ بِحِمَايَتِهِ، أَخَذَ ﷺ يُفَكِّرُ فِي وَسِيلَةٍ جَدِيدَةٍ يُبَلِّغُ فِيهَا قَوْمُهُ رِسَالَةَ رَبِّهِ، فَصَعِدَ ﷺ جَبَلَ الصَّفَا ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ: «**يَا صَبَاحَاهُ**» -وَهِيَ كَلِمَةٌ تَقُولُهَا الْعَرَبُ إِذَا صَاحُوا لِلْغَارَةِ؛ لِأَنَّهُمْ أَكْثَرُ مَا يُغِيرُونَ عِنْدَ الصَّبَاحِ، وَيُسَمُّونَ يَوْمَ الْغَارَةِ يَوْمَ الصَّبَاحِ، فَكَأَنَّ الْقَائِلَ: يَا صَبَاحَاهُ، يَقُولُ: قَدْ غَشِيَنَا الْعَدُوُّ-، فَقَالُوا: مَنْ هَذَا الَّذِي يَهْتِفُ -أَيْ: يُنَادِي-؟، قَالُوا: مُحَمَّدٌ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، وَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَرَأَيْتُكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟**»، قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا، قَالَ: «**فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**»، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ! أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فنزَلَتْ ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: ١-٢]. وَالْحَدِيثُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

أَبُو لَهَبٍ هُوَ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَاسْمُهُ عَبْدُ الْعُزَّىٰ، وَكُنِّيَ أَبَا لَهَبٍ إِمَّا بِابْنِهِ لَهَبٍ، وَإِمَّا بِشِدَّةِ حُمْرَةِ وَجْنَتَيْهِ، وَقَدْ أَخْرَجَ الْفَاكِهِيُّ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللهِ بْنِ كَثِيرٍ، قَالَ: «إِنَّمَا سُمِّيَ أَبَا لَهَبٍ؛ لِأَنَّ وَجْهَهُ كَانَ يَتَلَهَّبُ مِنْ حُسْنِهِ».

وَوَافَقَ ذَلِكَ مَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُهُ مِنْ أَنَّهُ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ؛ وَلِهَذَا ذُكِرَ فِي الْقُرْآنِ بِكُنْيَتِهِ دُونَ اسْمِهِ، وَلِكَوْنِهِ بِهَا أَشْهَرَ.

وَرَوَىٰ الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» بِسَنَدَيْهِمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ اللهُ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾، قَالَ: «**يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ! لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ! لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا، ويَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ [أَيْ: يَا عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ]! لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا، ويَا فَاطِمَةُ بِنْتُ -وَبِنْتَ- مُحَمَّدٍ! سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي، لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا**».

وَرَوَىٰ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قُرَيْشًا، فَاجْتَمَعُوا، فَعَمَّ وخَصَّ، فَقَالَ: «**يَا بَنِي كعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ! أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، وَيَا بَنِي مُرَّةَ بْنِ كعْبٍ! أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، وَيَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ! أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، وَيَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ! أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ! أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ! يَا بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ! أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ! أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبِلَالِهَا**».

قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: «إِنَّ الْأَقْرَبَ لِلرَّجُلِ مَنْ كَانَ يَجْمَعُهُ هُوَ وَجَدٌّ أَعْلَىٰ، وَكُلُّ مَنِ اجْتَمَعَ مَعَهُ فِي جَدٍّ دُونَ ذَلِكَ كَانَ أَقْرَبَ إِلَيْهِ، وَفِيهِ السِّرُّ فِي الْأَمْرِ بِإِنْذَارِ الْأَقْرَبِينَ أَوَّلًا؛ أَنَّ الْحُجَّةَ إِذَا قَامَتْ عَلَيْهِمْ تَعَدَّتْ إِلَىٰ غَيْرِهِمْ، وَإِلَّا فَكَانُوا عِلَّةً لِلْأَبْعَدِينَ فِي الِامْتِنَاعِ، وَأَنْ لَا يَأْخُذَهُ مَا يَأْخُذُ الْقَرِيبُ لِلْقَرِيبِ مِنَ الْعَطْفِ وَالرَّأْفَةِ فَيُحَابِيَهِمْ فِي الدَّعْوَةِ وَالتَّخْوِيفِ، فَلِذَلِكَ نَصَّ لَهُ عَلَىٰ إِنْذَارِهِمْ».

هَذِه الصَّيْحَةُ الْعَالِيَةُ هِيَ غَايَةُ الْبَلَاغِ، فَقَدْ فَاصَلَ الرَّسُولُ ﷺ قَوْمَهُ عَلَىٰ دَعْوَتِهِ، وَأَوْضَحَ لِأَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْهِ أَنَّ التَّصْدِيقَ بِهَذِهِ الرِّسَالَةِ هُوَ حَيَاةُ الصِّلَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، وَأَنَّ عَصَبِيَّةَ الْقَرَابَةِ الَّتِي تَقُومُ عَلَيْهَا الْعَرَبُ ذَابَتْ فِي حَرَارَةِ هَذَا الْإِنْذَارِ الْآتِي مِنْ عِنْدِ اللهِ ﷻ.

◉ ◉ ◉

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مَوْقِفُ الْمُشْرِكِينَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ

لَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ كَبِيرَ الْمَنْزِلَةِ فِي بَلَدِهِ، مَرْمُوقًا بِالثِّقَةِ وَالْمَحَبَّةِ، وَهَا هُوَ ذَا يُوَاجِهُ مَكَّةَ بِمَا تَكْرَهُ، وَيَتَعَرَّضُ لِخِصَامِ السُّفَهَاءِ وَالْكُبَرَاءِ، وَأَوَّلُ قَوْمٍ يُغَامِرُ بِخُسْرَانِ مَوَدَّتِهِمْ هُمْ عَشِيرَتُهُ الْأَقْرَبُونَ، لَكِنَّ هَذِهِ الْآلَامَ تَهُونُ فِي سَبِيلِ الْحَقِّ الَّذِي شَرَحَ اللهُ بِهِ صَدْرَهُ، فَلَا عَلَيْهِ أَنْ يَبِيتَ بَعْدَ هَذَا الْإِنْذَارِ وَمَكَّةُ تَمُوجُ بِالْغَرَابَةِ وَالِاسْتِنْكَارِ، وَتَسْتَعِدُّ لِحَسْمِ هَذِهِ الثَّوْرَةِ الَّتِي انْدَلَعَتْ بَغْتَةً، وَتَخْشَىٰ أَنْ تَأْتِيَ عَلَىٰ تَقَالِيدِهَا وَمَوْرُوثَاتِهَا؛ فَتِلْكَ كَانَتْ نَظْرَتَهُمْ إِلَيْهَا.

لَمَّا أَظْهَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الدَّعْوَةَ لِلْإِسْلَامِ، وَصَدَعَ بِالْحَقِّ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَىٰ، لَمْ يَبْعُدْ مِنْهُ قَوْمُهُ، وَلَمْ يَرُدُّوا عَلَيْهِ، حَتَّىٰ ذَكَرَ آلِهَتَهُمْ وَعَابَهَا، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ؛ أَعْظَمُوهُ وَنَاكَرُوهُ، وَأَجْمَعُوا عَلَىٰ خِلَافِهِ وَعَدَاوَتِهِ، سِوَىٰ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ الَّذِي حَدِبَ عَلَيْهِ، وَمَنَعَهُ وَقَامَ دُونَهُ.

وَهَذَا تَجِدُهُ فِي الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي كُلِّ مَكَانٍ، فَإِنَّكَ إِذَا جَلَسْتَ فَاسْتَنْكَرْتَ الشِّرْكَ بِطَرِيقَةٍ عَامَّةٍ، وَأَخَذْتَ تَذُمُّهُ وَتَذُمُّ أَهْلَهُ مِنْ غَيْرِ تَعْيِينٍ وَلَا تَخْصِيصٍ؛ اسْتَحْسَنَ كَلَامَكَ الْمُشْرِكُونَ، فَإِذَا مَا عَيَّنْتَ وَحَدَّدْتَ قَامَتْ قِيَامَتُهُمْ وَوَقَعَتْ الْمَلْحَمَةُ!!

فَالنَّبِيُّ ﷺ لَمَّا دَعَاهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ وَأَمَرَهُمْ بِاتِّبَاعِهِ؛ لَمْ يَبْعُدُوا مِنْهُ، وَلَمْ يَرُدُّوا عَلَيْهِ حَتَّىٰ ذَكَرَ آلِهَتَهُمْ وَعَابَهَا، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ؛ أَعْظَمُوهُ وَنَاكَرُوهُ، وَأَجْمَعُوا عَلَىٰ خِلَافِهِ وَعَدَاوَتِهِ، سِوَىٰ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ الَّذِي حَدِبَ عَلَيْهِ، وَمَنَعَهُ وَقَامَ دُونَهُ.

وَمَضَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي دَعْوَتِهِ مُظْهِرًا لِأَمْرِ اللهِ تَعَالَىٰ لَا يَرُدُّهُ عَنْهُ شَيْءٌ، وَمُعَكِّرًا عَلَىٰ خُرَافَاتِ الشِّرْكِ وَتُرُّهَاتِهِ، وَيَذْكُرُ حَقَائِقَ الْأَصْنَامِ، وَمَا لَهَا مِنْ قِيمَةٍ فِي الْحَقِيقَةِ، يُضْرَبُ بِعَجْزِهَا الْأَمْثَالُ، وَيُبَيِّنُ بِالْبَيِّنَاتِ أَنَّ مَنْ عَبَدَهَا وَجَعَلَهَا وَسِيلَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ تَعَالَىٰ فَهُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ.

إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ فَاجَأَ الْعَرَبَ بِمَا لَمْ يَكُونُوا يَأْلَفُونَهُ، وَقَدِ اسْتَنْكَرُوا دَعْوَتَهُ أَشَدَّ الِاسْتِنْكَارِ، وَكَانَ كُلُّ هَمِّهِمْ الْقَضَاءَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ أَصْحَابِهِ، فَكَانَ ذَلِكَ رَدًّا تَارِيخِيًّا عَلَىٰ بَعْضِ دُعَاةِ الْقَوْمِيَّةِ، الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ إِنَّمَا كَانَ يُمَثِّلُ فِي رِسَالَتِهِ آمَالَ الْعَرَبِ وَمَطَامِحَهُمْ حِينَذَاكَ، وَهُوَ زَعْمٌ مُضْحِكٌ تَرُدُّهُ وَقَائِعُ التَّارِيخِ الثَّابِتَةُ كَمَا رَأَيْنَا، وَمَا حَمَلَ هَذَا الْقَائِلَ وأَمْثَالَهُ عَلَىٰ هَذَا الْقَوْلِ إِلَّا الْغُلُوُّ فِي دَعْوَىٰ الْقَوْمِيَّةِ، وَجَعْلُ الْإِسْلَامِ أَمْرًا مُنْبَثِقًا مِنْ ذَاتِيَّةِ الْعَرَبِ وَتَفْكِيرِهِمْ، وَهَذَا إِنْكَارٌ وَاضِحٌ لِنُبُوَّةِ الرَّسُولِ ﷺ، وَخَفْضٌ عَظِيمٌ لِرِسَالَةِ الْإِسْلَامِ.

❁ ❁ ❁

www.menhag-un.com

وَفْدُ قُرَيْشٍ إِلَى أَبِي طَالِبٍ

فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ وَرَأَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَا يُعْتِبُهُمْ -أَيْ: لَا يُرْضِيهِمْ- مِنْ شَيْءٍ أَنْكَرُوهُ عَلَيْهِ مِنْ فِرَاقِهِمْ وَعَيْبِ آلِهَتِهِمْ، وَرَأَوْا أَنَّ عَمَّهُ أَبَا طَالِبٍ قَدْ حَدِبَ عَلَيْهِ وَقَامَ دُونَهُ فَلَمْ يُسْلِمْهُ لَهُمْ؛ مَشَىٰ رِجَالٌ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ إِلَىٰ أَبِي طَالِبٍ، -وَهُمْ: عُتْبَةُ وَشَيْبَةُ ابْنَا رَبِيعَةَ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ، وَأَبُو جَهْلٍ عَمْرُو بْنُ هِشَامٍ، وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، وَنُبَيْهٌ وَمُنَبِّهٌ ابْنَا الْحَجَّاجِ، وَالْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ- فَقَالُوا: يَا أَبَا طَالِبٍ! إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ قَدْ سَبَّ آلِهَتَنَا، وَعَابَ دِينَنَا، وَسَفَّهَ أَحْلَامَنَا، وَضَلَّلَ آبَاءَنَا، فَإِمَّا أَنْ تَكُفَّهُ عَنَّا، وَإِمَّا أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، فَإِنَّكَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنْ خِلَافِهِ فنكْفِيكَهُ، فَقَالَ لَهُمْ أَبُو طَالِبٍ قَوْلًا رَفِيقًا، وَرَدَّهُمْ رَدًّا جَمِيلًا، فَانْصَرِفُوا عَنْهُ.

رَوَىٰ الحَاكِمُ فِي «المُسْتَدْرَكِ» وَصَحَّحَهُ عنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ الوَلِيدَ بنَ المُغِيرَةِ جَاءَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، فكَأَنَّهُ رَقَّ لَهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا جَهْلٍ، فأتاهُ فقَالَ: يَا عَمُّ! إِنَّ قَوْمَكَ يَرَوْنَ أَنْ يَجْمَعُوا لكَ مَالًا، قَالَ: لِمَ؟ قَالَ: لِيُعْطُوكَهُ، فَإِنَّكَ أَتَيْتَ مُحَمَّدًا، قَالَ: قَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالًا، قَالَ: فَقُلْ فِيهِ قَوْلًا يَبْلُغُ قَوْمَكَ أَنَّكَ مُنْكِرٌ لَهُ، أَوْ أَنَّكَ كَارِهٌ لهُ، قَالَ: وَمَاذَا أَقُولُ؟ فَوَاللهِ

مَا فِيكُمْ رَجُلٌ أَعْلَمَ بِالأَشْعَارِ مِنِّي، وَلَا أَعْلَمَ بِرَجَزِهِ، وَلَا بِقَصِيدِهِ مِنِّي، وَلَا بِأَشْعَارِ الجِنِّ، وَاللهِ مَا يُشْبِهُ الَّذِي يقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا، وَوَاللهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ لَحَلَاوَةٌ، وإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةٌ، وإِنَّهُ لَمُثْمِرٌ أَعْلَاهُ، مُغْدِقٌ أَسْفَلُهُ، وإِنَّهُ لَيَعْلُو ومَا يُعْلَىٰ، وإِنَّهُ لَيَحْطِمُ ما تَحْتَهُ، قَالَ: لا يَرْضَىٰ عَنْكَ قَوْمُكَ حتَّىٰ تقُولَ فيهِ، قَالَ: فَدَعْنِي حتَّىٰ أُفكِّرَ، فلَمَّا فكَّرَ قَالَ: هذَا سِحْرٌ يُؤْثَرُ، يَأْثُرُهُ عَنْ غَيْرِهِ». الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ»، وَقَالَ: «صَحِيحُ الْإِسْنَادِ علَىٰ شَرْطِ الْبُخَارِيِّ»، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ» مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ وَمِنْ طُرُقٍ أُخْرَىٰ مُرْسَلَةٌ، ثُمَّ قَالَ بَعْدَ إِيرَادِ جَمِيعِ الطُّرُقِ: «وَكُلُّ ذَلِكَ يُؤَكِّدُ بَعْضُهُ بَعْضًا».

فأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي الوَلِيدِ بنِ المُغِيرَةِ: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِآيَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ١١-٢٥].

جَادَلَ الْمُشْرِكِينَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَجَادَلُوهُ، وَأَقَامَ عَلَيْهِمْ الْحُجَّةَ الدَّامِغَةَ؛ فَاعْتَرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْحَقِّ، وَإِنْ أَظْهَرُوا الْمُخَالِفَةَ عِنَادًا وَحَسَدًا وَبَغْيًا وَجُحُودًا.

رَوَىٰ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهُويَه بِسَنَدِهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ جَاءَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ -أَيْ: قَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ الْوَلِيدِ بْنِ

الْمُغِيرَةِ الْقُرْآنَ-، فَكَأَنَّهُ رَقَّ لَهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا جَهْلٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: يَا عَمُّ، إِنَّ قَوْمَكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَجْمَعُوا لَكَ مَالًا، قَالَ: لِمَ؟ قَالَ: لِيُعْطُوكَهُ، فَإِنَّكَ أَتَيْتَ مُحَمَّدًا لِتَعَرَّضَ مَا قِبَلَهُ!».

وَهِذِه طَرِيقَةٌ خَبِيثَةٌ تَدُلُّ عَلَىٰ مَا كَانُوا يَتَمَتَّعُونَ بِهِ مِنْ ذَكَاءٍ فِي الشَّرِّ، فَإِنَّهُ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَهِيجَهُ دَخَلَ لَهُ مِنْ هَذَا الْمَدْخَلِ، فَقَالَ: إِنَّ قَوْمَكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَجْمَعُوا لَكَ مَالًا، قَالَ: لِمَ؟ قَالَ: لِيُعْطُوكَهُ، ثُمَّ أَخْبَرَهُ أَنَّهُمْ إِنَّمَا يَقُولُونَ: إِنَّهُ ذَهَبَ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ لِكَيْ يَتَعَرَّضَ لِمَا عِنْدَهُ حَتَّىٰ يُعْطِيَهُ مَالًا أَوْ يَصِلَهُ بِمَتَاعٍ.

«قَالَ: قَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالًا، قَالَ: فَقُلْ فِيهِ قَوْلًا يَبْلُغُ قَوْمَكَ أَنَّكَ مُنْكِرٌ لَهُ، قَالَ: مَاذَا أَقُولُ؟ فَوَاللهِ ما مِنْكُمْ رَجُلٌ أَعْرَفَ بِالأَشْعَارِ مِنِّي، وَلَا أَعْلَمَ بِرَجَزِهِ، وَلَا بِقَصِيدِهِ مِنِّي، وَلَا بِأَشْعَارِ الجِنِّ، وَوَاللهِ مَا يُشْبِهُ الذِي يقُولُ شَيْئًا منْ هَذَا، وَوَاللهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الذِي يَقُولُ حَلَاوَةً، وإِنَّ عَلَيْهِ طَلَاوَةً، وإِنَّهُ لَمُثْمِرٌ أَعْلَاهُ، مُغْدِقٌ أَسْفَلُهُ، وإِنَّهُ لَيَعْلُو وَلَا يُعْلَىٰ، وإِنَّهُ لَيَحْطِمُ ما تَحْتَهُ...».

فَهَذِهِ كُلُّهَا شَهَادَتُهُ عَلَىٰ كَلَامِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا وَمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الْمَعْصُومِ.

«قَالَ: لا يَرْضَىٰ عَنْكَ قَوْمُكَ حتَّىٰ تقُولَ فِيهِ، قَالَ: فَدَعْنِي حتَّىٰ أُفكِّرَ فِيهِ، فلَمَّا فكَّرَ قَالَ: إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثِرُ يَأْثُرُهُ عَنْ غَيْرِهِ. فَنَزَلَتْ: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا...﴾ الْآيَاتِ. [المدثر: ١١-١٣]».

هَكَذَا رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ عَنِ الْحَاكِمِ عَنْ إِسْحَاقَ.

قَالَ الْأَلْبَانِيُّ: «وَفِي ذَلِكَ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ -إِخْبَارًا عَنْ جَهْلِهِمْ وَقِلَّةِ عَقْلِهِمْ-: ﴿بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الأنبياء: ٥]، فَحَارُوا مَاذَا يَقُولُونَ فِيهِ -كَمَا قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ»- فَكُلُّ شَيْءٍ يَقُولُونَهُ بَاطِلٌ؛ لِأَنَّ مَنْ خَرَجَ عَنِ الْحَقِّ مَهْمَا قَالَهُ أَخْطَأَ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٨].

وَرَوَىٰ الْإِمَامُ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ فِي «مُسْنَدِهِ»: بِسَنَدِهِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ يَوْمًا فَقَالُوا: انْظُرُوا أَعْلَمَكُمْ بِالسِّحْرِ وَالْكَهَانَةِ وَالشِّعْرِ، فَلْيَأْتِ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي فَرَّقَ جَمَاعَتَنَا، وَشَتَّتَ أَمْرَنَا، وَعَابَ دِينَنَا، فَلْيُكَلِّمْهُ وَلْيَنْظُرْ مَاذَا يَرُدُّ عَلَيْهِ، فَقَالُوا: مَا نَعْلَمُ أَحَدًا غَيْرَ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، فَقَالُوا: أَنْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ.

فَأَتَاهُ عُتْبَةُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدُ اللهِ؟ -يُرِيدُ أَبَاهُ- فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ؟ فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: إِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ هَؤُلَاءِ خَيْرٌ مِنْكَ فَقَدْ عَبَدُوا الْآلِهَةَ الَّتِي عِبْتَ، وَإِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ خَيْرٌ مِنْهُمْ فَتَكَلَّمْ حَتَّىٰ نَسْمَعَ قَوْلَكَ، إِنَّا وَاللهِ مَا رَأَيْنَا سَخْلَةً قَطُّ أَشْأَمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنْكَ؛ فَرَّقْتَ جَمَاعَتَنَا، وَشَتَّتَّ أَمْرَنَا، وَعِبْتَ دِينَنَا، وَفَضَحْتَنَا فِي الْعَرَبِ، حَتَّىٰ لَقَدْ طَارَ فِيهِمْ أَنَّ فِي قُرَيْشٍ سَاحِرًا، وَأَنَّ فِي قُرَيْشٍ كَاهِنًا، وَاللهِ مَا نَنْتَظِرُ إِلَّا مِثْلَ صَيْحَةِ الْحُبْلَىٰ؛ أَنْ يَقُومَ بَعْضُنَا إِلَىٰ بَعْضٍ بِالسُّيُوفِ حَتَّىٰ نَتَفَانَىٰ،

أَيُّهَا الرَّجُلُ! إِنْ كَانَ إِنَّمَا بِكَ الْحَاجَةُ جَمَعْنَا لَكَ حَتَّىٰ تَكُونَ أَغْنَىٰ قُرَيْشٍ رَجُلًا وَاحِدًا، وَإِنْ كَانَ إِنَّمَا بِكَ الْبَاءَةُ فَاخْتَرْ أَيَّ نِسَاءِ قُرَيْشٍ شِئْتَ فَلْنُزَوِّجْكَ عَشْرًا.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَرَغْتَ؟**»، قَالَ: نَعَمْ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ إِلَىٰ أَنْ بَلَغَ ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾** [فصلت: ١-١٣]».

فَقَالَ عُتْبَةُ: حَسْبُكَ، مَا عِنْدَكَ غَيْرُ هَذَا؟ قَالَ: «**لَا**»، فَرَجَعَ إِلَىٰ قُرَيْشٍ فَقَالُوا: مَا وَرَاءَكَ؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ شَيْئًا أَرَىٰ أَنَّكُمْ تُكَلِّمُونَهُ إِلَّا كَلَّمْتُهُ، قَالُوا: فَهَلْ أَجَابَكَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، ثُمَّ قَالَ: لَا وَالَّذِي نَصَبَهَا بَنِيَّةً -يَحْلِفُ بِرَبِّ الْكَعْبَةِ الَّذِي نَصَبَهَا- مَا فَهِمْتُ شَيْئًا مِمَّا قَالَ، غَيْرَ أَنَّهُ أَنْذَرَكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ، قَالُوا: وَيْلَكَ! يُكَلِّمُكَ الرَّجُلُ بِالْعَرَبِيَّةِ لَا تَدْرِي مَا قَالَ؟ قَالَ: لَا وَاللهِ مَا فَهِمْتُ شَيْئًا مِمَّا قَالَ غَيْرَ ذِكْرِ الصَّاعِقَةِ».

وَقَدْ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ عَنِ الْحَاكِمِ بِسَنَدِهِ، عَنْ الْأَجْلَحِ بِهِ، وَفِيهِ كَلَامٌ وَزَادَ: «وَإِنْ كُنْتُ إِنَّما بِكَ الرِّيَاسَةُ عَقَدْنَا أَلْوِيَتَنَا لَكَ فَكُنْتَ رَأْسًا مَا بَقِيتَ».

وَعِنْدَهُ أَنَّهُ لَمَّا قَالَ: «**﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾**»؛ أَمْسَكَ عُتْبَةُ عَلَىٰ فِيهِ -أَيْ: عَلَىٰ فَمِهِ- وَنَاشَدَهُ الرَّحِمَ أَنْ يَكُفَّ عَنْهُ، وَلَمْ يَخْرُجْ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَاحْتَبَسَ عَنْهُمْ.

فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: وَاللهِ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَا نَرَىٰ عُتْبَةَ إِلَّا صَبأَ مَعَ مُحَمَّدٍ -أَوْ: صبأَ إِلَيْهِ- وَأَعْجَبَهُ كَلَامُهُ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا مِنْ حَاجَةٍ أَصَابَتْهُ، انْطَلَقُوا بِنَا إِلَيْهِ، فَأَتَوْهُ؛ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: وَاللهِ يَا عُتْبَةُ مِا جِئْنَا إِلَّا أَنَّكَ صَبَوْتَ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ وَأَعْجَبَكَ أَمْرُهُ، فَإِنْ كَانَ بِكَ حَاجَةٌ جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا مَا يُغْنِيكَ عَنْ مُحَمَّدٍ، فَغَضِبَ وَأَقْسَمَ بِاللهِ لَا يُكَلِّمُ مُحَمَّدًا أَبَدًا، وَقَالَ: لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِ قُرَيْشٍ مَالًا، وَلَكِنِّي أَتَيْتُهُ، وَقَصَّ عَلَيْهِمُ الْقِصَّةَ، فَأَجَابَنِي بِشَيْءٍ وَاللهِ مَا هُوَ بِسِحْرٍ وَلَا بِشِعْرٍ وَلَا كَهَانَةٍ، قَرَأَ «**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ حَتَّىٰ بَلَغَ ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةً مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ﴾** [فصلت: ١-١٣]». فَأَمْسَكْتُ بِفِيهِ وَنَاشَدْتُهُ الرَّحِمَ أَنْ يَكُفَّ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا إِذَا قَالَ شَيْئًا لَمْ يَكْذِبْ، فَخِفْتُ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْكُمُ الْعَذَابُ.

ثُمَّ رَوَىٰ الْبَيْهَقِيُّ بِسَنَدِهِ عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: «إِنَّ أَوَّلَ يَوْمٍ عَرَفْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنِّي أَمْشِي أَنَا وَأَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ فِي بَعْضِ أَزِقَّةِ مَكَّةَ، إِذْ لَقِينَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَبِي جَهْلٍ: «**يَا أَبَا الْحَكَمِ، هَلَمَّ إِلَىٰ اللهِ وَإِلَىٰ رَسُولِهِ، أَدْعُوكَ إِلَىٰ اللهِ**»، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: يَا مُحَمَّدُ، هَلْ أَنْتَ مُنْتَهٍ عَنْ سَبِّ آلِهَتِنَا؟ هَلْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ نَشْهَدَ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ؟ فَنَحْنُ نَشْهَدُ أَنْ قَدْ بَلَّغْتَ، فَوَاللهِ لَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ مَا تَقُولُ حَقٌّ لَاتَّبَعْتُكَ، فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَقْبَلَ عَلَيَّ -أَيْ: أَقْبَلَ عَلَيْهِ أَبُو جَهْلٍ- فَقَالَ: وَاللهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّ مَا يَقُولُ حَقٌّ، وَلَكِنْ يَمْنَعُنِي شَيْءٌ؛ إِنَّ بَنِي قُصَيٍّ قَالُوا: فِينَا الْحِجَابَةُ، فَقُلْنَا: نَعَمْ، ثُمَّ قَالُوا فِينَا السِّقَايَةَ، فَقُلْنَا:

نَعَمْ، ثُمَّ قَالُوا فِينَا النَّدْوَةُ، فَقُلْنَا: نَعَمْ، ثُمَّ قَالُوا: فِينَا اللِّوَاءُ، فَقُلْنَا: نَعَمْ، ثُمَّ أَطْعَمُوا وَأَطْعَمْنَا، حَتَّىٰ إِذَا تَحَاكَتْ الرُّكَبُ قَالُوا: مِنَّا نَبِيٌّ! وَاللهِ لَا أَفْعَلُ». قَالَ الْأَلْبَانِيُّ: «وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ».

وَهَذَا الْقَوْلُ مِنْهُ -لعَنَهُ اللهُ-؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ مُخْبِرًا عَنْهُ وَعَنْ أَضْرَابِهِ: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤١-٤٢].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ مُتَوَارٍ بِمَكَّةَ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠]، قَالَ: كَانَ إِذَا صَلَّىٰ بِأَصْحَابِهِ رَفَعَ صَوْتَهُ بِالْقُرْآنِ، فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ سَبُّوا الْقُرْآنَ، وَسَبُّوا مَنْ أَنْزَلَهُ، وَمَنْ جَاءَ بِهِ. قَالَ: فَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ أَيْ: بِقِرَاءَتِكَ فَيَسْمَعَ الْمُشْرِكُونَ فَيَسُبُّوا الْقُرْآنَ، ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ عَنْ أَصْحَابِكَ فَلَا تُسْمِعَهُمْ الْقُرْآنَ حَتَّىٰ يَأْخُذُوهُ عَنْكَ ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾. رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَصَاحِبَا الصَّحِيحِ.

ذَكَرَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «السِّيرَةِ» «بَابُ أَمْرِ اللهِ رَسُولَهُ ﷺ بِإِبْلَاغِ الرِّسَالَةِ إِلَىٰ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ» وَذَكَرَ: «أَمَرَهُ لَهُ بِالصَّبْرِ وَالِاحْتِمَالِ، وَالْإِعْرَاضِ عَنِ الْجَاهِلِينَ الْمُعَانِدِينَ الْمُكَذِّبِينَ بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، وَإِرْسَالِ الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ إِلَيْهِمْ، وَذِكْرِ مَا لَقِيَ مِنَ الْأَذِيَّةِ مِنْهُمْ هُوَ وَأَصْحَابُهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٤]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ﴾ [القصص: ٨٥]؛ أَيْ: إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ وَأَوْجَبَ عَلَيْكَ تَبْلِيغَ الْقُرْآنِ لَرَادُّكَ إِلَىٰ دَارِ الْآخِرَةِ وَهِيَ الْمَعَادُ، فَيَسْأَلُكَ عَنْ ذَلِكَ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣].

وَالْآيَاتُ وَالْأَحَادِيثُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ جِدًّا، -قَالَ:- وَقَدْ تَقَصَّيْنَا الْكَلَامَ عَلَىٰ ذَلِكَ فِي كِتَابِنَا «التَّفْسِير»، وَبَسَطْنَا مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِي «سُورَةِ الشُّعَرَاءِ» ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾. وَأَوْرَدْنَا أَحَادِيثَ جَمَّةً فِي ذَلِكَ. فَمِنْ ذَلِكَ:

مَا أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالشَّيْخَانِ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾؛ أَتَىٰ النَّبِيُّ ﷺ الصَّفَا فَصَعِدَ عَلَيْهِ...» وَذَكَرَ الْحَدِيثَ رَحِمَهُ اللهُ.

وَذَكَرَ أَيْضًا مَا خَصَّ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ الْأَقْرَبِينَ؛ حَتَّىٰ خَصَّ ابْنَتَهُ وَذَكَرَهَا بِالِاسْمِ ﷺ.

رَوَىٰ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»: عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «جَمَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ - أَوْ دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ- بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فِيهِمْ رَهْطٌ كُلُّهُمْ يَأْكُلُ الْجَذَعَةَ -وَالْجَذَعَةُ: الَّتِي يُضَحَّىٰ بِهَا-، وَيَشْرَبُ الْفَرَقَ -وَالْفَرَقُ: إِنَاءٌ-، قَالَ: فَصَنَعَ لَهُمْ

مُدًّا مِنْ طَعَامٍ، فَأَكَلُوا حَتَّىٰ شَبِعُوا، قَالَ: وَبَقِيَ الطَّعَامُ كَمَا هُوَ كَأَنَّهُ لَمْ يُمَسَّ، ثُمَّ دَعَا بِغُمَرٍ، فَشَرِبُوا حَتَّىٰ رَوَوْا، وَبَقِيَ الشَّرَابُ كَأَنَّهُ لَمْ يُمَسَّ أَوْ لَمْ يُشْرَبْ - مَعَ إِنَّهُ يَقُولُ: فِيهِمْ رَهْطٌ كُلُّهُمْ؛ أَيْ: كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَأْكُلُ الْجَذَعَةَ؛ أَيْ: يَأْكُلُ الشَّاةَ الَّتِي يُضَحَّىٰ بِهَا وَحْدَهُ، وَيَشْرَبُ الْفَرَقَ؛ وَهُوَ إِنَاءٌ عَظِيمٌ يَضَعُ فِيهِ الْمَاءَ وَالْأَشْرِبَةَ، فَلَمَّا أَكَلُوا وَشَرِبُوا مَعَ هَذِهِ الْبَرَكَةِ الْحَالَّةِ-، قَالَ: «**يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، إِنِّي بُعِثْتُ لَكُمْ خَاصَّةً، وَإِلَىٰ النَّاسِ عَامَّةً، وَقَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ مَا رَأَيْتُمْ، فَأَيُّكُمْ يُبَايِعُنِي عَلَىٰ أَنْ يَكُونَ أَخِي وَصَاحِبِي؟**»، قَالَ: فَلَمْ يَقُمْ إِلَيْهِ أَحَدٌ، قَالَ: فَقُمْتُ إِلَيْهِ، وَكُنْتُ أَصْغَرَ الْقَوْمِ، قَالَ: فَقَالَ: «**اجْلِسْ**»، قَالَ: ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، كُلُّ ذَلِكَ أَقُومُ إِلَيْهِ، فَيَقُولُ لِي: «**اجْلِسْ**»، حَتَّىٰ كَانَ فِي الثَّالِثَةِ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَىٰ يَدِي ﷺ».

وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ أَقْبَلَتْ الْعَوْرَاءُ أُمُّ جَمِيلٍ بِنْتُ حَرْبٍ وَلَهَا وَلْوَلَةٌ، وَفِي يَدِهَا فِهْرٌ -أَيْ: حَجَرٌ يَمْلَأُ الْكَفَّ- وَهِيَ تَقُولُ: مُذَمَّمًا أَبَيْنَا، وَدِينَهُ قَلَيْنَا، وَأَمْرَهُ عَصَيْنَا، وَالنَّبِيُّ ﷺ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، فَلَمَّا رَآهَا أَبُو بَكْرٍ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! قَدْ أَقْبَلَتْ وَأَنَا أَخَافُ أَنْ تَرَاكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّهَا لَنْ تَرَانِي**»، وَقَرَأَ قُرْآنًا فَاعْتَصَمَ بِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ، وَقَرَأَ: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥]، فَوَقَفَتْ عَلَىٰ أَبِي بَكْرٍ، وَلَمْ تَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا بَكْرٍ! إِنِّي أُخْبِرْتُ أَنَّ صَاحِبَكَ هَجَانِي، فَقَالَ: لَا، وَرَبِّ هَذَا الْبَيْتِ مَا هَجَاكِ، فَوَلَّتْ وَهِيَ تَقُولُ: قَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ أَنِّي بِنْتُ سَيِّدِهَا. أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ،

وَقَالَ: «صَحِيحُ الْإِسْنَادِ»، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ وأَبُو نُعَيْمٍ مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَىٰ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِنَحْوِهِ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حَاتِمٍ أَيْضًا كَمَا فِي «الدُّرِّ الْمَنْثُورِ» وَلَهُ عِنْدَهُ شَاهِدٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرٍ.

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ عليه السلام إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ جَالِسٌ حَزِينًا قَدْ خُضِّبَ بِالدِّمَاءِ، -فهَا هُوَ الْأَذَىٰ يَصِلُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ تَسِيلَ دِمَاهُ- ضَرَبَهُ بَعْضُ أَهْلِ مَكَّةَ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ: مَا لَكَ؟ قَالَ: فَقَالَ لَهُ: «**فَعَل بِي هَؤُلَاءِ وَفَعَلُوا**»، قَالَ: فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ عليه السلام: أَتُحِبُّ أَنْ أُرِيكَ آيَةً؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَنَظَرَ إِلَىٰ شَجَرَةٍ مِنْ وَرَاءِ الْوَادِي، فَقَالَ: ادْعُ بِتِلْكَ الشَّجَرَةِ، فَدَعَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَجَاءَتْ تَمْشِي حَتَّىٰ قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: مُرْهَا فَلْتَرْجِعْ، فَأَمَرَهَا فَرَجَعَتْ إِلَىٰ مَكَانِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**حَسْبِي**». أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَهْ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَارِثِ الزُّبَيْدِيِّ: أَنَّهُ مَرَّ وَصَاحِبٌ لَهُ بِأَيْمَنَ، وَفِئَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ حَلُّوا أُزُرَهُمْ فَجَعَلُوهَا مَخَارِيقَ يَجْتَلِدُونَ بِهَا وَهُمْ عُرَاةٌ، فَلَمَّا مَرَرْنَا بِهِمْ قَالُوا: إِنَّ هَؤُلَاءِ قِسِّيسُونَ فَدَعُوهُمْ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا أَبْصَرُوهُ تَبَدَّدُوا، فَرَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُغْضَبًا حَتَّىٰ دَخَلَ، وَكُنْتُ أَنَا وَرَاءَ الْحُجْرَةِ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**سُبْحَانَ اللهِ!! لَا مِنَ اللهِ اسْتَحْيَوْا، وَلَا مِنْ رَسُولِهِ اسْتَتَرُوا**»، وأَمَّ أَيْمَنَ عِنْدَهُ تَقُولُ: اسْتَغْفِرْ لَهُمْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ عَبْدُ اللهِ: فَبِلَأْيٍ مَا أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ -أَيْ: بَعْدَ مَشَقَّةٍ وَجُهْدٍ وَإِبْطَاءٍ-. أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ، وَرَوَاهُ إِبْرَاهِيمُ الْحَرْبِيُّ وَالطَّبَرَانِيُّ؛ كَمَا فِي «الْإِصَابَةِ».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلَا تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ**»، قَالُوا: كَيْفَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**يَشْتِمُونَ مُذَمَّمًا وَأَنَا مُحَمَّدٌ، وَيَلْعَنُونَ مُذَمَّمًا وَأَنَا مُحَمَّدٌ**». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: جَلَسْنَا إِلَىٰ الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ يَوْمًا فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ، فَقَالَ: طُوبَىٰ لِهَاتَيْنِ الْعَيْنَيْنِ اللَّتَيْنِ رَأَتَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَاللهُ لَوَدِدْنَا أَنَا رَأَيْنَا مَا رَأَيْتَ، وَشَهِدْنَا مَا شَهِدْتَ. فَاسْتُغْضِبَ، فَجَعَلْتُ أَعْجَبُ؛ مَا قَالَ إِلَّا خَيْرًا، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَيْهِ فَقَالَ: «مَا يَحْمِلُ الرَّجُلُ عَلَىٰ أَنْ يَتَمَنَّىٰ مَحْضَرًا غَيَّبَهُ اللهُ عَنْهُ؟ لَا يَدْرِي لَوْ شَهِدَهُ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ فِيهِ؟ وَاللهِ، لَقَدْ حَضَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَقْوَامٌ أَكَبَّهُمْ اللهُ عَلَىٰ مَنَاخِرِهِمْ فِي جَهَنَّمَ، لَمْ يُجِيبُوهُ وَلَمْ يُصَدِّقُوهُ، أَوَلَا تَحْمَدُونَ اللهَ إِذْ أَخْرَجَكُمْ لَا تَعْرِفُونَ إِلَّا رَبَّكُمْ، مُصَدِّقِينَ لِمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّكُمْ ﷺ، قَدْ كُفِيتُمْ الْبَلَاءَ بِغَيْرِكُمْ، وَاللهِ لَقَدْ بَعَثَ اللهُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَىٰ أَشَدِّ حَالٍ بُعِثَ عَلَيْهَا فِيهِ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فِي فَتْرَةٍ وَجَاهِلِيَّةٍ، مَا يَرَوْنَ أَنَّ دِينًا هُوَ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، فَجَاءَ بِفُرْقَانٍ فَرَقَ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَفَرَّقَ بِهِ بَيْنَ الْوَالِدِ وَوَلَدِهِ، حَتَّىٰ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَرَىٰ وَالِدَهُ وَوَلَدَهُ أَوْ أَخَاهُ كَافِرًا، وَقَدْ فَتَحَ اللهُ قُفْلَ قَلْبِهِ لِلْإِيمَانِ، يَعْلَمُ أَنَّهُ إِنْ هَلَكَ دَخَلَ النَّارَ، فَلَا تَقَرُّ عَيْنُهُ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ حَبِيبَهُ فِي النَّارِ، وَإِنَّهَا لِلَّتِي قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]». أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَابْنُ حِبَّانَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ رِجَالُهُ كُلُّهُمْ ثِقَاتٌ.

وَحَدِيثُ الْمِقْدَادِ هَذَا يَرُدُّ عَلَىٰ بَعْضِ النَّاسِ، يَقُولُ قَائِلُهُمْ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛ لَنَصَرْتُهُ، وَكُنْتُ فِي مَقَامِ أَبِي بَكْرٍ، وَمَا يَدْرِي الْمِسْكِينُ لَعَلَّهُ كَانَ يَكُونُ فِي مَقَامِ أَبِي جَهْلٍ!! فَاللهُ ﷻ كَفَاكُمْ الْبَلَاءُ بِغَيْرِكُمْ؛ فَاحْمَدُوا اللهَ إِذْ أَخْرَجَكُمْ لَا تَعْرِفُونَ إِلَّا رَبَّكُمْ، مُصَدِّقِينَ لِمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّكُمْ، فَاللَّهُمَّ أَقَمْنَا عَلَىٰ الْإِسْلَامِ حَتَّىٰ نَلْقَىٰ وَجْهَكَ الْكَرِيمَ.

وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ اسْتَمَرَّ يَدْعُو إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ لَيْلًا وَنَهَارًا، وَسِرًّا وَجَهْرًا؛ لَا يَصْرِفُهُ عَنْ ذَلِكَ صَارِفٌ، وَلَا يَرُدُّهُ عَنْ ذَلِكَ رَادٌّ، وَلَا يَصُدُّهُ عَنْ ذَلِكَ صَادٌّ، يَتْبَعُ النَّاسَ فِي أَنْدِيَتِهِمْ وَمَجَامِعِهِمْ وَمَحَافِلِهِمْ، وَفِي الْمَوَاسِمِ وَمَوَاقِفِ الْحَجِّ، يَدْعُو مَنْ لَقِيَهُ مِنْ حُرٍّ وَعَبْدٍ، وَضَعِيفٍ وَقَوِيٍّ، وَغَنِيٍّ وَفَقِيرٍ، جَمِيعُ الْخَلْقِ فِي ذَلِكَ عِنْدَهُ سَوَاءٌ، وَتَسَلَّطَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَهُ مِنْ آحَادِ النَّاسِ مِنْ ضُعَفَائِهِمْ الْأَشِدَّاءُ الْأَقْوِيَاءُ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ بِالْأَذِيَّةِ الْقَوْلِيَّةِ وَالْفِعْلِيَّةِ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَلَيْهِ عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ، وَاسْمُهُ: عَبْدُ الْعُزَّىٰ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَامْرَأَتُهُ أُمُّ جَمِيلٍ: أَرْوَىٰ بِنْتُ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ، أُخْتُ أَبِي سُفْيَانَ.

وَخَالَفَهُ فِي ذَلِكَ عَمُّهُ أَبُو طَالِبِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحَبَّ خَلْقِ اللهِ إِلَيْهِ طَبْعًا، وَكَانَ يَحْنُو عَلَيْهِ وَيُحْسِنُ إِلَيْهِ، وَيُدَافِعُ عَنْهُ وَيُحَامِي، وَيُخَالِفُ قَوْمَهُ فِي ذَلِكَ مَعَ أَنَّهُ عَلَىٰ دِينِهِمْ وَعَلَىٰ خُلَّتِهِمْ؛ إِلَّا أَنَّ اللهَ قَدِ امْتَحَنَ قَلْبَهُ بِحُبِّهِ حُبًّا طَبْعِيًّا لَا شَرْعِيًّا.

وَكَانَ اسْتِمْرَارُهُ عَلَىٰ دِينِ قَوْمِهِ مِنْ حِكْمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَمِمَّا صَنَعَهُ لِرَسُولِهِ مِنَ الْحِمَايَةِ، إِذْ لَوْ كَانَ أَسْلَمَ أَبُو طَالِبٍ لَمَا كَانَ لَهُ عِنْدَ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ وَجَاهَةٌ وَلَا كَلِمَةٌ، وَلَا كَانُوا يَهَابُونَهُ وَيَحْتَرِمُونَهُ، وَلَاجْتَرَؤُوا عَلَيْهِ، وَلَمَدُّوا أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ إِلَيْهِ، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]، وَقَدْ قَسَّمَ خَلْقَهُ أَنْوَاعًا وَأَجْنَاسًا.

فَهَذَانِ الْعَمَّانِ كَافِرَانِ: أَبُو طَالِبٍ وَأَبُو لَهَبٍ، وَلَكِنَّ هَذَا يَكُونُ فِي الْقِيَامَةِ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ، وَذَاكَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ، وَأَنْزَلَ اللهُ فِيهِ سُورَةً فِي كِتَابِهِ تُتْلَىٰ عَلَىٰ الْمَنَابِرِ، وَتَقْرَأُ فِي الْمَوَاعِظِ وَالْخُطَبِ، تَتَضَمَّنُ أَنَّهُ ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ [المسد: ٣-٤].

رَوَىٰ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالْبَيْهَقِيُّ: عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ عَبَّادٍ مِنْ بَنِي الدِّيَلِ -وَكَانَ جَاهِلِيًّا فَأَسْلَمَ- قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فِي سُوقِ ذِي الْمَجَازِ وَهُوَ يَقُولُ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا**»، وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، وَوَرَاءَهُ رَجُلٌ وَضِيءُ الْوَجْهِ أَحْوَلُ ذُو غَدِيرَتَيْنِ يَقُولُ: إِنَّهُ صَابِئٌ كَذَّابٌ، يَتْبَعُهُ حَيْثُ ذَهَبَ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ؟ فَقَالُوا: هَذَا عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ.

وَمِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنَّهُمْ يَقُولُوا حِينَئِذٍ: عَمُّهُ أَعْلَمُ بِهِ، ثُمَّ يَنْصَرِفُونَ عَنْهُ ﷺ.

ثُمَّ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَىٰ عَنْ رَبِيعَةَ الدِّيَلِيِّ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِذِي الْمَجَازِ يَتْبَعُ النَّاسَ فِي مَنَازِلِهِمْ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ اللهِ، وَوَرَاءَهُ رَجُلٌ أَحْوَلُ،

وَهُوَ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا يَغُرَنَّكُمْ هَذَا عَنْ دِينِكُمْ وَدِينِ آبَائِكِمْ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قِيلَ: هَذَا أَبُو لَهَبٍ.

وَأَمَّا أَبُو طَالِبٍ، فَكَانَ فِي غَايَةِ الشَّفَقَةِ وَالْحُنُوِّ الطَّبِيعِيِّ؛ كَمَا سَيَظْهَرُ مِنْ صَنَائِعِهِ وَسَجَايَاهُ وَاعْتِمَادِهِ فِيمَا يُحَامِي بِهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ رضي الله عنهم.

وَرَوَىٰ الْبُخَارِيُّ فِي «التَّارِيخِ»، وَالْبَيْهَقِيُّ عَنِ الْحَاكِمِ مِنْ حَدِيثِ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: جَاءَتْ قُرَيْشٌ إِلَىٰ أَبِي طَالِبٍ فَقَالُوا: إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ هَذَا قَدْ آذَانَا فِي نَادِينَا وَمَسْجِدِنَا، فَانْهَهُ عَنَّا، فَقَالَ: يَا عَقِيلُ، انْطَلِقْ فَأْتِنِي بِمُحَمَّدٍ، قَالَ: فَانْطَلَقْتُ فَاسْتَخْرَجْتُهُ مِنْ كَبْسٍ يَقُولُ -أَيْ: مِنْ بَيْتٍ صَغِيرٍ-، فَجَاءَ بِهِ فِي الظَّهِيرَةِ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ، فَلَمَّا أَتَاهُمْ قَالَ: إِنَّ بَنِي عَمِّكَ هَؤُلَاءِ زَعَمُوا أَنَّكَ تُؤْذِيهِمْ فِي نَادِيهِمْ وَمَسْجِدِهِمْ، فَانْتَهِ عَنْ أَذَاهُمْ، فَحَلَّقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِبَصَرِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ، فَقَالَ: «**تَرَوْنَ هَذِهِ الشَّمْسَ؟**» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «**فَمَا أَنَا بِأَقْدَرَ أَنْ أَدَعَ ذَلِكَ مِنْكُمْ عَلَىٰ أَنْ تَشْتَعِلُوا مِنْهَا بِشُعْلَةٍ**»، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: وَاللهِ مَا كَذَبَ ابْنُ أَخِي قَطُّ، فَارْجِعُوا.

وَفِي ذَلِكَ دَلَالَةٌ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ عَصَمَهُ بِعَمِّهِ، مَعَ خِلَافِهِ إِيَّاهُ فِي دِينِهِ، وَقَدْ كَانَ يَعْصِمُهُ حَيْثُ لَا يَكُونُ عَمُّهُ بِمَا يَشَاءُ. لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ.

رَوَىٰ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالْبُخَارِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: لَئِنْ رَأَيْتُ مُحَمَّدًا يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ لَأَطَأَنَّ عَلَىٰ عُنُقِهِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**لَوْ فَعَلَ ذَلِكَ لَأَخَذَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عِيَانًا**».

وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ قَالَ: مَرَّ أَبُو جَهْلٍ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَ: أَلَمْ أَنْهَكَ أَنْ تُصَلِّي يَا مُحَمَّدُ، فَانْتَهَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ: لِمَ تَنْهَرُنِي يَا مُحَمَّدُ، فَوَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا بِهَا أَحَدٌ أَكْثَرُ نَادِيًا مِنِّي، قَالَ: فَقَالَ جِبْرِيلُ: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: ١٧-١٨]، قَالَ: فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَاللهِ لَوْ دَعَا نَادِيهِ لَأَخَذَتْهُ زَبَانِيَةُ الْعَذَابِ. رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ، وَالنَّسَائِيُّ.

وَرَوَىٰ أَحْمَدُ، وَمُسْلِمٌ، وَالنَّسَائِيُّ، وَابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّىٰ لَئِنْ رَأَيْتُهُ يُصَلِّي كَذَلِكَ لَأَطَأَنَّ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ، وَلَأَعْفِرَنَّ وَجْهَهُ بِالتُّرَابِ، فَأَتَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي لِيَطَأَ رَقَبَتَهُ، قَالَ: فَمَا فَجَأَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ قَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ خَنْدَقًا مِنْ نَارٍ، وَهَوْلًا، وَأَجْنِحَةً، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا**»، قَالَ: وَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ -لَا أَدْرِي فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَمْ لَا-: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦-٧] إِلَىٰ آخِرِ السُّورَةِ.

وَرَوَىٰ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالْبُخَارِيُّ فِي مَوَاضِعَ مِنْ «صَحِيحِهِ» وَمُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ اللهِ -هُوَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَعَا عَلَىٰ قُرَيْشٍ غَيْرَ يَوْمٍ وَاحِدٍ، فَإِنَّهُ كَانَ يُصَلِّي وَرَهْطٌ مِنْ قُرَيْشٍ جُلُوسٌ، وَسَلَا جَزُورٍ قَرِيبٌ مِنْهُ، فَقَالُوا: مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السَّلَا فَيُلْقِيهِ عَلَىٰ ظَهْرِهِ؟ -وَسَلَا الْجَزُورِ: هُوَ مَا

يَكُونُ فِيهِ الْوَلِيدُ؛ كَالْمَشِيمَةِ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَرْأَةِ- فَقَالَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ: أَنَا. فَأَخَذَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَىٰ ظَهْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمْ يَزَلْ سَاجِدًا حَتَّىٰ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَخَذَتْهُ عَنْ ظَهْرِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهَذَا الْمَلَأِ مِنْ قُرَيْشٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ، أَوْ: أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ**». شُعْبَةُ الشَّاكُّ.

قَالَ عَبْدُ اللهِ: فلَقَدْ رَأَيْتُهُمْ قُتِلُوا يَوْمَ بَدْرٍ جَمِيعًا، ثُمَّ سُحِبُوا إِلَىٰ الْقَلِيبِ، غَيْرَ أُبَيٍّ أَوْ أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، فَإِنَّهُ كَانَ رَجُلًا ضَخْمًا فَتَقَطَّعَ -أَيْ: تَقَطَّعَتْ أَوْصَالُهُ عِنْدَ سَحْبِهِ-.

وَالصَّوَابُ: أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ فَإِنَّهُ الَّذِي قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ، وَأَخُوهُ أُبَيٌّ إِنَّمَا قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ؛ كَمَا سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ بَيَانُهُ.

السَّلَا: هُوَ الَّذِي يَخْرُجُ مَعَ وَلَدِ النَّاقَةِ كَالْمَشِيمَةِ لِوَلَدِ الْمَرْأَةِ.

وَفِي بَعْضِ أَلْفَاظِ «الصَّحِيحِ»: أَنَّهُمْ لَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ اسْتَضْحَكُوا حَتَّىٰ جَعَلَ بَعْضُهُمْ يَمِيلُ عَلَىٰ بَعْضٍ؛ أَيْ: يَمِيلُ هَذَا عَلَىٰ هَذَا مِنْ شِدَّةِ الضَّحِكِ -لَعَنَهُمُ اللهُ-.

وَفِيهِ: أَنَّ فَاطِمَةَ لَمَّا أَلْقَتْهُ عَنْهُ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ فَسَبَّتْهُمْ، وَأَنَّهُ ﷺ لَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ رَفَعَ يَدَيْهِ يَدْعُو عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ سَكَنَ عَنْهُمُ الضَّحِكُ وَخَافُوا

دَعْوَتَهُ، وَأَنَّهُ ﷺ دَعَا عَلَىٰ الْمَلَأِ مِنْهُمْ جُمْلَةً، وَعَيَّنَ فِي دُعَائِهِ سَبْعَةً، وَقَعَ فِي أَكْثَرِ الرِّوَايَاتِ تَسْمِيَةُ سِتَّةٍ مِنْهُمْ وَهُمْ: عُتْبَةُ وَأَخُوهُ شَيْبَةُ ابْنَا رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدُ ابْنُ عُتْبَةَ، وَأَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ، وَعُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ. قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: «وَنَسِيتُ السَّابِعَ». قَالَ: قُلْتُ: هُوَ عُمَارَةُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَقَعَ تَسْمِيَتُهُ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ».

وَرَوَىٰ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي بِأَشَدِّ شَيْءٍ صَنَعَهُ الْمُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فِي حِجْرِ الْكَعْبَةِ إِذْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ فَوَضَعَ ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ فخَنَقَهُ خَنْقًا شَدِيدًا، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حَتَّىٰ أَخَذَ بِمَنْكِبِهِ ودَفَعَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ: أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ؟!

انْفَرَدَ بِهِ الْبُخَارِيُّ، وَقَدْ رَوَاهُ فِي أَمَاكِنَ مِنْ «صِحِيحِه»، وَصَرَّحَ فِي بَعْضِهَا بَعَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، وَهُوَ أَشْبَهُ لِرِوَايَةِ عُرْوَةَ هَذِهِ، وَفِي رِوَايَةِ عُرْوَةَ وَهِيَ رِوَايَةٌ فِيهَا تَعْلِيقٌ قَالَ: قِيلَ لِعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ. وَهَذَا أَشْبَهُ لِتَقَدُّمِ هَذِهِ الْقِصَّةِ.

وَقَدْ رَوَىٰ الْبَيْهَقِيُّ عَنِ الْحَاكِمِ بِسَنَدِهِ عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي يَحْيَىٰ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ عُرْوَةُ قَالَ: قُلْتُ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: مَا أَكْثَرَ مَا رَأَيْتُ قُرَيْشًا أَصَابَتْ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيمَا كَانَتْ تُظْهِرُهُ مَنْ عَدَاوَتِهِ؟ فَقَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُهُمْ وَقَدِ اجْتَمَعَ أَشْرَافُهُمْ يَوْمًا فِي الْحِجْرِ، فَذَكَرُوا

رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ مَا صَبَرْنَا عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ قَطُّ؛ سَفَّهَ أَحْلَامَنَا، وَشَتَمَ آبَاءَنَا، وَعَابَ دِينَنَا، وَفَرَّقَ جَمَاعَتَنَا، وَسَبَّ آلِهَتَنَا، وَصِرْنَا مِنْهُ عَلَىٰ أَمْرٍ عَظِيمٍ -أَوْ كَمَا قَالُوا-.

قَالَ: فَبَيْنَمَا هُمْ فِي ذَلِكَ إِذْ طَلَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَقْبَلَ يَمْشِي حَتَّىٰ اسْتَلَمَ الرُّكْنَ، ثُمَّ مَرَّ بِهِمْ طَائِفًا بِالْبَيْتِ، فَغَمَزُوهُ بِبَعْضِ الْقَوْلِ، فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَمَضَىٰ، فَلَمَّا مَرَّ بِهِمْ الثَّانِيَةَ غَمَزُوهُ بِمِثْلِهَا، فَعَرَفْتُهَا فِي وَجْهِهِ، فَمَضَىٰ، فَمَرَّ بِهِمْ الثَّالِثَةَ فَغَمَزُوهُ بِمِثْلِهَا، فَقَالَ: «**أَتَسْمَعُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ؟ أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ**».

فَأَخَذَتِ الْقَوْمَ كَلِمَتُهُ، حَتَّىٰ مَا مِنْهُمْ مِنْ رَجُلٍ إِلَّا وَكَأَنَّمَا عَلَىٰ رَأْسِهِ طَائِرٌ وَقَعَ، حَتَّىٰ إِنَّ أَشَدَّهُمْ فِيهِ وَصَاةً قَبْلَ ذَلِكَ لَيَرْفَؤُهُ بِأَحْسَنِ مَا يَجِدُ مِنَ الْقَوْلِ، حَتَّىٰ إِنَّهُ لَيَقُولُ: انْصَرِفْ أَبَا الْقَاسِمِ رَاشِدًا، فَوَاللهِ مَا كُنْتَ جَهُولًا، فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

حَتَّىٰ إِذَا كَانَ الْغَدُ اجْتَمَعُوا فِي الْحِجْرِ وأَنَا مَعَهُمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ذَكَرْتُمْ مَا بَلَغَ مِنْكُمْ، وَمَا بَلَغَكُمْ عَنْهُ، حَتَّىٰ إِذَا بَادَأَكُمْ بِمَا تَكْرَهُونَ تَرَكْتُمُوهُ.

فَبَيْنَا هُمْ فِي ذَلِكَ إِذْ طَلَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَوَثَبُوا إِلَيْهِ وَثْبَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَأَحَاطُوا بِهِ يَقُولُونَ: أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ كَذَا وَكَذَا؟! لِمَا كَانَ يَبْلُغُهُمْ مِنْ عَيْبِ آلِهَتِهِمْ وَدِينِهِمْ، فَيَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ؛ أَنَا الَّذِي أَقُولُ ذَلِكَ**». ولَقَدْ

رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْهُمْ أَخَذَ بِمَجَامِعِ رِدَائِهِ، وَقَامَ أَبُو بَكْرٍ يَبْكِي دُونَهُ وَيَقُولُ: أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ؟! ثُمَّ انْصَرَفُوا عَنْهُ. فَإِنَّ ذَلِكَ لَأَكْثَرُ مَا رَأَيْتُ قُرَيْشًا بَلَغَتْ مِنْهُ قَطُّ.

وَإِنَّكَ لَتَعْجَبُ مِنْ شَأْنِهِمْ مَعَهُ، مَا كَانُوا يَعِيبُونَ عَلَيْهِ شَيْءٌ، لَا فِي خُلُقٍ وَلَا فِي خَلْقٍ!! هَلْ حَارَبُوهُ وَعَانَدُوهُ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَرَوْنَهُ قَبِيحَ الْمَنْظَرِ سَيِّئَ الْمَظْهَرِ؟ هَلْ حَارَبُوهُ وَعَانَدُوهُ لِسُوءٍ فِي طِبَاعِهِ أَوْ لِجَفَاءٍ فِي خِلَالِهِ؟! لَقَدْ كَانَ مِنْ ذَلِكَ فِي الذِّرْوَةِ الَّتِي لَا يُسْعَىٰ إِلَيْهَا عَلَىٰ قَدَمٍ وَلَا يُطَارُ إِلَيْهَا عَلَىٰ جَنَاحٍ، فَمَا الَّذِي جَعَلَهُمْ يُحَابُونَهُ هَذِهِ الْحَرْبُ؟!

إِنَّهُ الْكِبْرُ!!

مَا الَّذِي كَانَ يَضُرُّهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ بِدَعْوَتِهِ وَفِي دَعْوَتِهِ؟

لَا شَيْءَ؛ وَإِنَّمَا هُوَ الْكِبْرُ!! يَأْنَفُونَ أَنْ يَكُونُوا تَبَعًا، وَيُرِيدُونَ أَنْ يَكُونُوا رُؤُوسًا، وَالْكِبْرُ يَدْعُو كَثِيرًا مِنَ الْخَلْقِ إِلَىٰ تَكْذِيبِ الْحَقِّ، وَهَذَا فِي طِبَاعِ الْخَلْقِ حَتَّىٰ فِي غَيْرِ أُمُورِ الدَّعْوَةِ.

فَتَذْكُرُونَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ ابْنِ جِنِّيٍّ مَعَ شَيْخِهِ، وَكَانَ شَيْخُهُ مُبْغِضًا شِدَّةَ الْبُغْضِ لِأَبِي الطَّيِّبِ، وَأَمَّا ابْنُ جِنِّيٍّ فَكَانَ رَاوِيَةَ أَبِي الطَّيِّبِ، حَتَّىٰ كَانَ أَبُو الطَّيِّبِ -وَهُوَ الْمُتَنَبِّي- يَقُولُ: «ابْنُ جِنِّي أَعْلَمُ بِشِعْرِي مِنِّي»، وَكَانَ إِذَا اسْتَشْكَلُوا شَيْئًا مِنَ الْأَمْرِ فِي بَعْضِ شِعْرِهِ يَقُولُ: «ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِي الْفَتْحِ -وَهُوَ ابْنُ جِنِّي-».

فَكَانَ ابْنُ جِنِّي مُمَزَّقًا بَيْنَ شَيْخِهِ وَشَاعِرِهِ، وَيَرَىٰ الْمُتَنَبِّي فِي الْقِمَّةَ الْعَالِيَةَ فِي شِعْرِهِ وَأَدَائِهِ، لَمْ يَصِلْ إِلَىٰ مِثْلِهَا شَاعِرٌ مِنْ قَبْلُ، وَأَمَّا شَيْخُهُ فَلَهُ مِنَ الْحَقِّ عَلَيْهِ مَا هُوَ لَهُ، فَأَتَىٰ يَوْمًا بِقَصِيدَةٍ مِنْ قَصَائِدِ أَبِي الطَّيِّبِ، فَكَتَبَها فِي صَحِيفَةٍ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ شَيْخِهِ، فَقَالَ: أُرِيدُ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ، فَقَالَ: هَاتِ يَا أَبَا الْفَتْحِ.

فَأَخَذَ يُنْشِدُهُ الشِّعْرَ الَّذِي اسْتَنْسَخَهُ مِنْ شِعْرِ أَبِي الطَّيِّبِ، وَشَيْخُهُ يَمِيدُ طَرَبًا، وَيَقُولُ مُعْجَبًا: هِيهْ؛ يَسْتَزِيدُهُ حَتَّىٰ إِذَا فَرَغَ، قَالَ: يَا أَبَا الْفَتْحِ اكْتُبْ لِي مِنْهَا نُسْخَةً، ثُمَّ قَالَ لَهُ: لِمَنْ هَذَا الشِّعْرُ؟ قَالَ: لِلَّذِي يُبْغِضُهُ الشَّيْخُ وَيَحُطُّ عَلَيْهِ؛ لِأَبِي الطَّيِّبِ، قَالَ: خَرِّقْ خَرِّقْ فَإِنَّ أَثَرَ التَّكَلُّفَ بَيِّنٌ عَلَيْهِ!!

أَفَتُرِيدُ لِهَؤُلَاءِ أَنْ يَدَعُوا كِبْرَهُمْ وَيَتَّبِعُوا نَبِيَّهُمْ ﷺ؟!

مَا مَنَعَهُمْ إِلَّا الْكِبْرُ!!

بَلْ إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ لَيَذْكُرُ بَعْضَ ذَلِكَ فِي رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِهِ، يَدِينُ بِدِينِهِ، وَيَشْهَدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ، وَيُؤْمِنُ بِأَنَّهُ نَبِيُّهُ، لِمَا مَرَّ بِهِ وَهُوَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ فقَالَ: «**كُلْ بِيَمِينِكَ**»، قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، قَالَ: «**لَا اسْتَطَعْتَ**».

وَ(لَا) هَاهُنَا دُعَائِيَّةٌ، فَدَعَا عَلَيْهِ بِأَلَّا يَسْتَطِيعَ؛ فَشَلَّتْ يَمِينُهُ.

يَقُولُ: لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ آكُلَ بِيَمِينِي، وَلَمْ يَكُنْ صَادِقًا فِي هَذَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا اسْتَطَعْتَ**»، فَمَا اسْتَطَاعَ بَعْدَ أَنْ يَرْفَعَهَا إِلَىٰ فِيهِ، قَالَ: «**مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبْرُ**»!!

احْذَرْ الْكِبْرَ، وَالْكِبْرُ مَا هُوَ؟

بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ، الْكِبْرُ لَهُ مَظَاهِرُ وَلَهُ أَصْلٌ فِي الْقَلْبِ؛ قَدْ تَزُولُ مَظَاهِرُهُ وَيَبْقَىٰ أَصْلُهُ، وَيَبْقَىٰ الْمَرْءُ مُتَكَبِّرًا، مَعَ أَنَّ الظَّاهِرَ عَلَيْهِ التَّوَاضُعُ، وَلَكِنَّهُ التَّوَاضُعُ الْكَاذِبُ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَصِلَ بِهِ إِلَىٰ الثَّنَاءِ الْأَكْذَبِ، فَاحْذَرْ هَذَا وَتَأَمَّلْ دَائِمًا فِي طُوِيَّتِهِ؛ فَإِنَّ الْكِبْرَ بَطَرُ الْحَقَّ وَغَمْطُ النَّاسِ.

وَبَطَرُ الْحَقِّ: دَفْعُهُ وَرَدُّهُ عَلَىٰ قَائِلِهِ؛ لِعِلَّةٍ كَامِنَةٍ فِي النَّفْسِ، وَلِمَوْرُوثٍ خَفِيٍّ فِي الرُّوحِ فَهُوَ لَا يَقْبَلُ هَذَا، يَرُدُّهُ وَيَدْفَعُهُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ الْحَقُّ!!

بَطَرُ الْحَقِّ: دَفْعُهُ وَرَدُّهُ عَلَىٰ قَائِلِهِ؛ إِمَّا لِحَقَارَةِ شَأْنِهِ عِنْدَهُ، وَإِمَّا لِقِلَّةِ مَالِهِ، وَإِمَّا لِوَضَاعَةِ نَسَبِهِ، وَإِمَّا لِبَغْضَاءٍ تَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِي قَلْبِهِ، وَهَذَا الَّذِي جَاءَ بِالْحَقِّ بَرِيءٌ مِنْهَا، لَا يَعْرِفُهَا وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا؛ وَلَكِنْ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ!!

يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ بِاحْتِقَارٍ وَلَا يَعِدُهُمْ شَيْئًا، وَيَعُدُّ النَّاسَ كَالذُّبَابِ، أَوْ كَالتُّرَابِ الَّذِي يَرَىٰ مِنْ خِلَالِ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ، كَأَنَّهُ لَا شَيْءَ!! فَهَذَا هُوَ الْكِبْرُ فَاحْذَرْهُ.

◉◉◉

www.menhag-un.com

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة الثَّالِثَة)

مِنْ مَادَّةِ

سِيرَة النَّبِيِّ ﷺ

[الْعَهْدُ الْمَكِّيُّ - ج٢]

www.menhag-un.com

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

اعْتِدَاءَاتُ الْمُشْرِكِينَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ

عَقَدَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ» فَصْلًا: فِي تَأْلِيبِ الْمَلَأِ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، وَفِي اجْتِمَاعِهِمْ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ الَّذِي قَامَ فِي مَنْعِهِ وَنُصْرَتِهِ، وَفِي حِرْصِهِمْ عَلَيْهِ أَنْ يُسْلِمَهُ إِلَيْهِمْ؛ فَأَبَىٰ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ بِحَوْلِ اللهِ وَقُوَّتِهِ.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللهِ وَمَا يُؤْذَىٰ أَحَدٌ، وَأُخِفْتُ فِي اللهِ وَمَا يَخَافُ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، وَمَا لِي وَلِبِلَالٍ مَا يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا مَا يُوَارِي إِبِطُ بِلَالٍ**»، **يَعْنِي: مَا يَجْعَلُهُ تَحْتَ إِبِطِهِ**. أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ مَاجَهْ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: «حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

www.menhag-un.com

الْمَجْلِسُ الِاسْتِشَارِيُّ
لِكَفِّ الْحُجَّاجِ عَنِ اسْتِمَاعِ دَعْوَةِ النَّبِيِّ ﷺ

اسْتَمَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ مَا هُوَ عَلَيْهِ؛ يُظْهِرُ دِينَ اللهِ تَعَالَىٰ وَيَدْعُو إِلَيْهِ حَتَّىٰ اقْتَرَبَ مَوْسِمُ الْحَجِّ، وَعَرَفَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ وُفُودَ الْعَرَبِ سَتُقْدِمُ عَلَيْهِمْ، وَاحْتَارُوا فِي أَمْرِ الرَّسُولِ ﷺ، وَكَيْفَ يَحُولُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحُجَّاجِ؛ لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ صَادِقٌ أَمِينٌ، فَاتَّفَقُوا أَنْ يَصِفُوا الرَّسُولَ ﷺ بِأَنَّهُ سَاحِرٌ، وَهُوَ رَأْيُ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ -لَعَنَهُ اللهُ-.

وَبَعْدَ أَنْ اتَّفَقَتْ قُرَيْشٌ عَلَىٰ هَذَا الْقَرَارِ بَاشَرُوا تَنْفِيذَهُ، فَجَلَسُوا بِسُبُلِ النَّاسِ حِينَ قَدِمُوا الْمَوْسِمَ، لَا يَمُرُّ بِهِمْ أَحَدٌ إِلَّا حَذَّرُوهُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَذَكَرُوا لَهُ أَمْرَهُ.

وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَ ذَلِكَ هُوَ عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ.

وَظُلْمُ ذَوِي الْقُرْبَىٰ أَشَدُّ مَضَاضَةً
عَلَىٰ النَّفْسِ مِنْ وَقْعِ الْحُسَامِ الْمُهَنَّدِ

فَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتْبَعُ النَّاسَ إِذَا وَافَىٰ الْمَوْسِمَ فِي مَنَازِلِهِمْ، وَفِي عُكَاظٍ، وَمِجَنَّةَ، وَذِي الْمَجَازِ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَيُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَأَبُو لَهَبٍ خَلْفَهُ يَقُولُ: لَا تُطِيعُوهُ وَلَا تَسْمَعُوا مِنْهُ، فَإِنَّهُ صَابِئٌ كَذَّابٌ.

رَوَىٰ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»، وَابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ: عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ عَبَّادٍ الدِّيلِيِّ -وَكَانَ جَاهِلِيًّا أَسْلَمَ-، فَقَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَصَرَ عَيْنِي بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ يَقُولُ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا**»، وَيَدْخُلُ فِي فِجَاجِهَا -وَالْفِجَاجُ: جَمْعُ فَجٍّ، وَهُوَ الطَّرِيقُ الْوَاسِعُ-، وَالنَّاسُ مُقْتَصُّونَ عَلَيْهِ -أَيْ: مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ؛ تَعَجُّبًا مِمَّا يَقُولُ، فَمَا سَمِعُوا بِهَذَا مِنْ قَبْلُ-، قَالَ: فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا يَقُولُ شَيْئًا، وَهُوَ لَا يَسْكُتُ يَقُولُ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا**»، إِلَّا أَنَّ وَرَاءَهُ رَجُلًا أَحْوَلَ، وَضِيءَ الْوَجْهِ، ذَا غَدِيرَتَيْنِ -وَالْغَدَائِرُ: الضَّفَائِرُ- يَقُولُ: إِنَّهُ صَابِئٌ كَاذِبٌ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، وَهُوَ يَذْكُرُ النُّبُوَّةَ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا الَّذِي يُكَذِّبُهُ؟ قَالُوا: عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ.

جَاءَ هَؤُلَاءِ مُجْتَمِعِينَ إِلَىٰ أَبِي طَالِبٍ يَبْغُونَ أَنْ يُسْلِمَ لَهُمْ ابْنَ أَخِيهِ ﷺ.

أَدَّىٰ ذَلِكَ الَّذِي وَقَع إِلَىٰ أَنْ صَدَرَتْ الْعَرَبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَوْسِمِ، فَانْتَشَرَ ذِكْرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ كُلِّهَا، وَخَشِيَ أَبُو طَالِبٍ دَهْمَاءَ الْعَرَبِ أَنْ يَرْكَبُوهُ مَعَ قَوْمِهِ، فَقَالَ قَصِيدَتَهُ الْمَشْهُورَةَ الَّتِي تَعَوَّذَ فِيهَا بِحَرَمِ مَكَّةَ وَبِمَكَانِهِ مِنْهَا، وَتَوَدَّدَ فِيهَا أَشْرَافَ قَوْمِهِ، وَهُوَ عَلَىٰ ذَلِكَ يُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ غَيْرُ مُسْلِمٍ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَلَا تَارِكُهُ لِشَيْءٍ أَبَدًا حَتَّىٰ يَهْلِكَ دُونَهُ.

دَائِمًا الضُّلَّالُ أَعْدَاءُ الْحَقِّ حَمْقَىٰ، وَهُمْ يُسَاهِمُونَ مُسَاهَمَةً جُلَّىٰ فِي نَشْرِ الْحَقِّ الَّذِي يُحَارِبُونَهُ؛ لِأَنَّهُمْ كَذَبَةٌ، فَهُمْ يَكْذِبُونَ عَلَىٰ قَائِلِ الْحَقِّ، وَيَجْتَهِدُونَ فِي نَشْرِ بَاطِلِهِمْ بِأَكَاذِيبِهِمْ، يَظُنُّونَ أَنَّ الْكَذِبَ سَوْفَ يَكُونُ لَهُ بَقَاءٌ، مَعَ أَنَّهُ بَاطِلٌ لَا بَقَاءَ لَهُ، وَالْبَاطِلُ نَفْسُهُ قَصِيرٌ جِدًّا، وَهُوَ زَهُوقٌ لَيْسَ بِزَاهِقٍ فَقَطْ.

فَهَؤُلَاءِ عِنْدَمَا يَأْتُونَ بِالْأَكَاذِيبِ ضِدَّ قَائِلِ الْحَقِّ، وَيُشَنِّعُونَ بِأَكَاذِيبِهِمْ، وَيَجْتَهِدُونَ فِي نَشْرِهَا، وَهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ النَّاسَ سَوْفَ تَرُوجُ الْأَكَاذِيبُ عَلَيْهِمْ، لَا يَعْلَمُونَ -لِأَنَّهُمْ حَمْقَىٰ، إِذْ هُمْ مِنْ أَهْلِ الْبَاطِلِ وَمِنَ الدُّعَاةِ إِلَيْهِ- أَنَّهُمْ يَنْشُرُونَ حَقَّ الَّذِي يُهَاجِمُونَهُ وَيَكْذِبُونَ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ النَّاسَ بِهِ، فَيَقُولُ بَعْضُ الْعُقَلَاءِ أَوْ كَثِيرٌ مِنْهُمْ: هَذَا يَنْبَغِي أَنْ نَبْحَثَ فِي شَأْنِهِ، وَأَنْ نَنْظُرَ مَا عِنْدَهُ، فَإِذَا مَا بَحَثُوا وَفَتَّشُوا عَرَفُوا الْحَقَّ وَهَدَاهُمُ اللهُ إِلَيْهِ.

فَأَهْلُ الْبَاطِلِ بِمَا يُرَوِّجُونَ مِنْ حَرْبِهِمْ عَلَىٰ أَهْلِ الْحَقِّ؛ يُسَاهِمُونَ مُسَاهَمَةً كَبِيرَةً فِي تَعْرِيفِ النَّاسِ بِأَهْلِ الْحَقِّ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ عَلَيْهِمْ، وَهَذَا لَهُ سَلَفٌ؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا أَرَادَتْ قُرَيْشٌ حَرْبَهُ -بِجِهَازِهَا الْإِعْلَامِيِّ الَّذِي كَانَ مُتَاحًا لَهَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ- كَانُوا يَرْصُدُونَ عَلَىٰ الْفِجَاجِ وَالسُّبُلِ أَقْوَامًا يُلَقِّنُونَ الدَّاخِلِينَ قَوْلًا مُحَدَّدًا، وَيُحَذِّرُونَهُمْ مِنْ رَسُولِ اللهِ، فَكَانُوا يَعْرِفُونَ النَّاسَ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَلَمْ يَبْذُلْ جُهْدًا فِي تَعْرِيفِهِمْ بِنَفْسِهِ فِي ذَلِكَ، بَلْ تَوَلَّىٰ ذَلِكَ الَّذِينَ يُبْغِضُونَهُ وَالَّذِينَ هُمْ لَهُ شَانِئُونَ.

يَعْنِي: يَقُولُونَ: سَتَلْقَوْنَ رَجُلًا يَدَّعِي النُّبُوَّةَ، وَيَقُولُ: إِنَّهُ رَسُولٌ يُوحَىٰ إِلَيْهِ، لَا تُصَدِّقُوهُ فَهُوَ سَاحِرٌ، فَيَقُولُ النَّاسُ: يَدَّعِي النُّبُوَّةَ!! مَا النُّبُوَّةُ؟ وَمَنْ هُوَ؟ وَمَا مَعْنَىٰ الرَّسُولُ؟ وَمَا الرِّسَالَةُ؟ وَمَا الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ؟ كَمَا سَيَأْتِي ذِكْرُ ذَلِكَ فِي بَعْضِ الْأَفْرَادِ، وَاللهُ تَعَالَىٰ الْمُسْتَعَانُ.

www.menhag-un.com

❁ ❁ ❁

قَصِيدَةُ أَبِي طَالِبٍ

خَشِيَ أَبُو طَالِبٍ دَهْمَاءَ الْعَرَبِ أَنْ يَرْكَبُوهُ مَعَ قَوْمِهِ؛ لِأَنَّ قَوْمَهُ كَانُوا ضِدَّهُ، هَذَا عَمُّ النَّبِيِّ ﷺ يَسِيرُ خَلْفَهُ وَيُكَذِّبُهُ، وَيَدَّعِي أَنَّهُ مَجْنُونٌ؛ فَخَشِيَ أَبُو طَالِبٍ دَهْمَاءَ الْعَرَبِ أَنْ يَرْكَبُوهُ مَعَ قَوْمِهِ، فَقَالَ قَصِيدَتَهُ الْمَشْهُورَةَ الَّتِي تَعَوَّذَ فِيهَا بِحَرَمِ مَكَّةَ وَبِمَكَانِهِ مِنْهَا، وَتَوَدَّدَ فِيهَا أَشْرَافَ قَوْمِهِ، وَهُوَ عَلَىٰ ذَلِكَ يُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ غَيْرُ مُسَلِّمٍ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَلَا تَارِكَهُ لِشَيْءٍ أَبَدًا حَتَّىٰ يَهْلِكَ دُونَهُ، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ:

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ لَا وُدَّ فِيهِمْ
وَقَدْ قَطَعُوا كُلَّ الْعُرَىٰ وَالْوَسَائِلِ

وَقَدْ صَارَحُونَا بِالْعَدَاوَةِ وَالْأَذَىٰ
وَقَدْ طَاوَعُوا أَمْرَ الْعَدُوِّ الْمُزَايِلِ

وَقَدْ حَالَفُوا قَوْمًا عَلَيْنَا أَظِنَّةً
يَعَضُّونَ غَيْظًا خَلْفَنَا بِالْأَنَامِلِ

صَبَرْتُ لَهُمْ نَفْسِي بِسَمْرَاءَ سَمْحَةٍ
وَأَبْيَضَ عَضْبٍ مِنْ تُرَاثِ الْمَقَاوِلِ

وَأَحْضَرْتُ عِنْدَ الْبَيْتِ رَهْطِي وَإِخْوَتِي
وَأَمْسَكْتُ مِنْ أَثْوَابِهِ بِالْوَصَائِلِ
قِيَامًا مَعًا مُسْتَقْبِلِينَ رِتَاجَهُ
لُدًى حَيْثُ يَقْضِي حَلْفَهُ كُلُّ نَافِلِ
وَحَيْثُ يُنِيخُ الْأَشْعَرُونَ رِكَابَهُمْ
بِمُفْضَى السُّيُولِ مِنْ إِسَافٍ وَنَائِلِ
مُوَسَّمَةُ الْأَعْضَادِ أَوْ قَصَرَاتُهَا
مُخَيَّسَةٌ بَيْنَ السَّدِيسِ وَبَازِلِ
تَرَى الْوَدْعَ فِيهَا وَالرُّخَامَ وَزِينَةً
بِأَعْنَاقِهَا مَعْقُودَةٌ كَالْعَثَاكِلِ
أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مِنْ كُلِّ طَاعِنٍ
عَلَيْنَا بِسُوءٍ أَوْ مُلِحٍّ بِبَاطِلِ
وَمِنْ كَاشِحٍ يَسْعَى لَنَا بِمَعِيبَةٍ
وَمِنْ مُلْحِقٍ فِي الدِّينِ مَا لَمْ نُحَاوِلِ
وَثَوْرٍ وَمَنْ أَرْسَى ثَبِيرًا مَكَانَهُ
وَرَاقٍ لِيَرْقَى فِي حِرَاءٍ وَنَازِلِ

وَبِالْبَيْـــتِ، حَـــقِّ الْبَيْـــتِ، مِـــنْ بَطْـــنِ مَكَّـــةَ
وبـــــــــالله إنَّ اللهَ لَـــــــــيْسَ بِغَافِـــــــــلِ
وَبِـــــالْحَجَرِ الْمُسْـــــوَدِّ إذْ يَمْسَـــــحُونَهُ
إذَا اكْتَنَفُـــــوهُ بِالضُّـــــحَىٰ وَالْأَصَـــــائِلِ
وَمَـــوْطِئِ إبْـــرَاهِيمَ فِـــي الصَّـــخْرِ رَطْبَـــةً
عَلَـــىٰ قَدَمَيْـــهِ حَافِيًـــا غَيْـــرَ نَاعِـــلِ
كَـــــذَبْتُمْ وَبَيْـــــتِ اللهِ نَتْـــــرُكُ مَكَّـــــةَ
وَنَظْعَـــــنُ إلَّا أَمْـــــرُكُمْ فِـــــي بَلَابِـــــلِ
كَـــــذَبْتُمْ وَبَيْـــــتِ اللهِ نُبْـــــزَىٰ مُحَمَّـــــدًا
وَلَمَّـــــا نُطَـــــاعِنْ دُونَـــــهُ وَنُنَاضِـــــلِ
وَنُسْـــــلِمُهُ حَتَّـــــىٰ نُصَـــــرَّعَ حَوْلَـــــهُ
وَنُـــــذْهَلَ عَـــــنْ أَبْنَائِنَـــــا وَالْحَلَائِـــــلِ
وَيَـــنْهَضَ قَـــوْمٌ فِـــي الْحَدِيـــدِ إلَـــيْكُمُ
نُهُـــوضَ الرَّوَايَـــا تَحْـــتَ ذَاتِ الصَّلَاصِـــلِ
وَحَتَّـــىٰ تَـــرَىٰ ذَا الضِّـــغْنِ يَرْكَـــبُ رَدْعَـــهُ
مِـــنَ الطَّعْـــنِ فِعْـــلَ الْأَنْكَـــبِ الْمُتَحَامِـــلِ

وَإِنَّـــا لَعَمْـــرُ اللهِ إِنْ جَـــدَّ مَـــا أَرَىٰ
لَتَلْتَبِسَـــنْ أَسْـــيَافُنَا بِالْأَمَاثِـــلِ
بِكَفَّـــيْ فَتًـــىٰ مِثْـــلَ الشِّـــهَابِ سَـــمَيْدَعٍ
أَخِـــي ثِقَـــةٍ حَـــامِي الْحَقِيقَـــةِ بَاسِـــلِ
وَمَـــا تَـــرْكَ قَـــوْمٍ، لَا أَبَـــا لَـــكَ، سَـــيِّدًا
يَحُـــوطُ الـــذِّمَارَ غَيْـــرَ ذَرْبٍ مُوَاكِـــلِ
وَأَبْـــيَضُ يُسْتَسْـــقَىٰ الْغَمَـــامُ بِوَجْهِـــهِ
ثِمَـــالُ الْيَتَـــامَىٰ عِصْـــمَةٌ لِلْأَرَامِـــلِ
يَلُـــوذُ بِـــهِ الْهُـــلَّاكُ مِـــنْ آلِ هَاشِـــمٍ
فَهُـــمْ عِنْـــدَهُ فِـــي رَحْمَـــةٍ وَفَوَاضِـــلِ
وَكَـــانَ لَنَـــا حَـــوْضُ السِّـــقَايَةِ فِـــيهِمُ
وَنَحْـــنُ الْكَـــدَىٰ مِـــنْ غَالِـــبٍ وَالْكَوَاهِـــلِ
شَـــبَابٌ مِـــنْ الْمُطَيِّبِـــينَ وَهَاشِـــمٍ
كَبِـــيضِ السُّـــيُوفِ بَـــيْنَ أَيْـــدِي الصَّـــيَاقِلِ
لَعَمْـــرِي لَقَـــدْ كُلِّفْـــتُ وَجْـــدًا بِأَحْمَـــدَ
وَإِخْوَتِـــهِ دَأْبَ الْمُحِـــبِّ الْمُوَاصِـــلِ

فَـــلَا زَالَ فِـــي الـــدُّنْيَا جَمَـــالًا لِأَهْلِهَـــا
وَزَيْنًـــا لِمَـــنْ وَالَاهُ رَبُّ الْمَشَـــاكِلِ
فَمَـــنْ مِثْلُـــهُ فِـــي النَّـــاسِ أَيُّ مُؤَمَّـــلٍ
إِذَا قَاسَـــهُ الْحُكَّـــامُ عِنْـــدَ التَّفَاضُـــلِ
حَلِـــيمٌ رَشِـــيدٌ عَـــادِلٌ غَيْـــرُ طَـــائِشٍ
يُـــوَالِي إِلَهًـــا لَـــيْسَ عَنْـــهُ بِغَافِـــلِ
فَـــوَ اللهِ لَـــوْلَا أَنْ أَجِـــيءَ بِسُـــنَّةٍ
تَجُـــرُّ عَلَـــىٰ أَشْـــيَاخِنَا فِـــي الْمَحَافِـــلِ
لَكِنَّـــا اتَّبَعْنَـــاهُ عَلَـــىٰ كُـــلِّ حَالَـــةٍ
مِـــنْ الـــدَّهْرِ جِـــدًّا غَيْـــرَ قَـــوْلِ التَّهَـــازُلِ
لَقَـــدْ عَلِمُـــوا أَنَّ ابْنَنَـــا لَا مُكَـــذَّبٌ
لَـــدَيْنَا وَلَا يُعْنَـــىٰ بِقَـــوْلِ الْأَبَاطِـــلِ
فَأَصْـــبَحَ فِينَـــا أَحْمَـــدٌ فِـــي أَرُومَـــةٍ
تُقَصِّـــرُ عَنْـــهُ سَـــوْرَةُ الْمُتَطَـــاوِلِ
حَـــدِبْتُ بِنَفْسِـــي دُونَـــهُ وَحَمَيْتُـــهُ
وَدَافَعْـــتُ عَنْـــهُ بِالـــذُّرَىٰ وَالْكَلَاكِـــلِ

فَأَيَّـــــدَهُ رَبُّ الْعِبَـــــادِ بِنَصْـــــرِهِ
وَأَظْهَـــرَ دِينًـــا حَقُّـــهُ غَيْـــرُ بَاطِـــلِ

إِلَىٰ آخِرِ الْقَصِيدَةِ، وَهِيَ قَصِيدَةٌ طَوِيلَةٌ جِدًّا.

قَالَ فِيهَا الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذِهِ قَصِيدَةٌ عَظِيمَةٌ بَلِيغَةٌ جِدًّا، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَهَا إِلَّا مَنْ نُسِبَتْ إِلَيْهِ، وَهِيَ أَفْحَلُ مِنَ الْمُعَلَّقَاتِ السَّبْعِ، وَأَبْلَغُ فِي تَأْدِيَةِ الْمَعْنَىٰ فِيهَا جَمِيعًا».

فَوَالُوهَا، وَانْظُرُوا فِيهَا، وَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَحْفَظَهَا فَلْيَحْفَظْهَا.

اسْتَمَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُو إِلَىٰ اللهِ لَيْلًا وَنَهَارًا، وَسِرًّا وَجَهْرًا؛ لَا يَصْرِفُهُ عَنْ ذَلِكَ صَارِفٌ، وَلَا يَرُدُّهُ عَنْ ذَلِكَ رَادٌّ، وَلَا يَصُدُّهُ عَنْ ذَلِكَ صَادٌّ.

◉ ◉ ◉

www.menhag-un.com

مِنْ أَسَالِيبِ الْمُشْرِكِينَ فِي مُحَارَبَةِ الدَّعْوَةِ

لَجَأَتْ قُرَيْشٌ إِلَىٰ أَسَالِيبَ كَثِيرَةٍ لِوَقْفِ الدَّعْوَةِ مِنْهَا:

- طَلَبَتْ مِنْ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يُوقِفَ نشَاطَ الرَّسُولِ ﷺ.

عَنْ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَتْ قُرَيْشٌ إِلَىٰ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالُوا: إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ هَذَا قَدْ آذَانَا فِي نَادِينَا وَمَسْجِدِنَا، فَانْهَهُ عَنَّا، فَقَالَ: يَا عَقِيلُ، انْطَلِقْ فَأْتِنِي بِمُحَمَّدٍ، قَالَ: فَاسْتَخْرَجْتُهُ مِنْ كِبْسٍ يَقُولُ -أَيْ: مِنْ بَيْتٍ صَغِيرٍ-، فَجَاءَ بِهِ فِي الظَّهِيرَةِ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ، فَلَمَّا أَتَاهُمْ قَالَ: إِنَّ بَنِي عَمِّكَ هَؤُلَاءِ زَعَمُوا أَنَّكَ تُؤْذِيهِمْ فِي نَادِيهِمْ وَمَسْجِدِهِمْ، فَانْتَهِ عَنْ أَذَاهُمْ، فَحَلَّقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِبَصَرِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ، فَقَالَ: «**تَرَوْنَ هَذِهِ الشَّمْسَ؟**» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «**فَمَا أَنَا بِأَقْدَرَ أَنْ أَدَعَ ذَلِكَ مِنْكُمْ عَلَىٰ أَنْ تُشْعِلُوا مِنْهَا بِشُعْلَةٍ**»، وَفِي رِوَايَةٍ: «**وَاللهِ، مَا أَنَا بِأَقْدَرَ أَنْ أَدَعَ مَا بُعِثْتُ بِهِ مِنْ أَنْ يُشْعِلَ أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الشَّمْسِ شُعْلَةً مِنْ نَارٍ**»، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: وَاللهِ مَا كَذَبَ ابْنُ أَخِي قَطُّ، فَارْجِعُوا رَاشِدِينَ. هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «التَّارِيخِ الْكَبِيرِ»، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ»، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ».

- وَلَمَّا رَأَوْا ثَبَاتَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَرَادُوا فِتْنَتَهُ بِالْمُلْكِ وَالْمَالِ وَالنِّسَاءِ.

فَهَذَا أُسْلُوبٌ لَجَؤُوا إِلَيْهِ أَيْضًا وَهُوَ الْإِغْرَاءُ -التَّرْغِيبُ-، وَقَدْ لَجَؤُوا قَبْلُ إِلَىٰ التَّرْهِيبِ، فَلَمَّا لَمْ يُفْلِحْ أَرَادُوا إِغْرَاءَهُ وَفِتْنَتَهُ بِالْمُلْكِ وَالْمَالِ وَالنِّسَاءِ، فَعَرَضُوا كُلَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ، لَكِنَّهُ ﷺ بَقِيَ ثَابِتًا، وَمَضَىٰ يُبَلِّغُ دِينَ اللهِ لِلْعَالَمِينَ.

لَمَّا اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ وَنَظَرُوا فِي أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ اجْتَمَعَتْ كَلِمَتُهُمْ عَلَىٰ أَنْ يُكَلِّمَهُ عُتْبَةُ أَبُو الْوَلِيدِ، فَذَهَبَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُغْرِيَ النَّبِيَّ ﷺ بِالْمُلْكِ وَالْمَالِ وَالنِّسَاءِ؛ حَتَّىٰ يَكُفَّ الدَّعْوَةَ عَنْهُ؛ قَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ! إِنْ كَانَ إِنَّمَا بِكَ حَاجَةٌ؛ جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا حَتَّىٰ تَكُونَ أَغْنَىٰ قُرَيْشٍ رَجُلًا، وَإِنْ كَانَ إِنَّمَا بِكَ الْبَاءَةُ -يَعْنِي: حُبَّ النِّكَاحِ أَوِ الزَّوَاجِ-؛ فَاخْتَرْ أَيَّ نِسَاءِ قُرَيْشٍ فَنُزَوِّجُكَ عَشْرًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَفَرَغْتَ؟**». قَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ **حَتَّىٰ بَلَغَ:** ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١- ١٣]».

فَهَذَا كَانَ أُسْلُوبًا مِنْ أَسَالِيبِهِمْ فِي مُحَارَبَةِ الدَّعْوَةِ وَهُوَ الْإِغْرَاءُ، التَّرْغِيبُ بَعْدَ أَنْ لَجَؤُوا إِلَىٰ التَّرْهِيبِ.

لَمَّا رَأَىٰ الْمُشْرِكُونَ إِعْرَاضَ الرَّسُولِ ﷺ عَنْ عُرُوضِهِمْ، وَثَبَاتَهُ عَلَىٰ دِينِ اللهِ ﷻ؛ بَدَؤُوا فِي أُسْلُوبٍ آخَرَ يُحَارِبُونَ بِهِ الدَّعْوَةَ وَهُوَ:

- طَلَبُ الْآيَاتِ وَطَلَبُ خَرْقِ الْعَادَاتِ عَلَىٰ وَجْهِ الْعِنَادِ لَا عَلَىٰ وَجْهِ طَلَبِ الْهُدَىٰ وَالرَّشَادِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩-١١١].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦-٩٧].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٣].

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ: «أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً فَأَرَاهُمْ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ شِقَّيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اشْهَدُوا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فَرَأَوْا تِلْكَ الْآيَةَ فَهَلْ أَسْلَمُوا؟!

أَنْزَلَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ١-٢].

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَتْ قُرَيْشٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ: ادْعُ لَنَا رَبَّكَ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا الصَّفَا ذَهَبًا وَنُؤْمِنَ بِكَ، قَالَ: وَتَفْعَلُونَ، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَدَعَا، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ: «**إِنْ شِئْتَ أَصْبَحَ الصَّفَا لَهُمْ ذَهَبًا، فَمَنْ كَفَرَ مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْهُمْ عَذَّبْتُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، وَإِنْ شِئْتَ فَتَحْتُ لَهُمْ أَبْوَابَ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ**»، قَالَ: «**بَلْ بَابُ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ**»، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩]. أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالْحَاكِمُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

فَلِهَذَا لَمْ يُجَابُوا إِلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّا طَلَبُوا وَلَا إِلَىٰ مَا إِلَيْهِ رَغِبُوا؛ لِعِلْمِ الْحَقِّ تَعَالَىٰ أَنَّهُمْ لَوْ عَايَنُوا وَشَاهَدُوا مَا أَرَادُوا لَاسْتَمَرُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ، وَلَظَلُّوا فِي غِيِّهِمْ وَضَلَالِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ.

فَهَؤُلَاءِ تَعَنَّتُوا، اعْتَرَضُوا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ وَهَذَا أُسْلُوبٌ مِنْ أَسَالِيبِهِمْ فِي مُحَارَبَةِ الدَّعْوَةِ: يَتَعَنَّتُونَ فِي الْأَسْئِلَةِ وَيَطْلُبُونَ أَنْوَاعًا مِنَ الْآيَاتِ، وَيُرِيدُونَ خَرْقَ الْعَادَاتِ عَلَىٰ وَجْهِ الْعِنَادِ لَا عَلَىٰ وَجْهِ طَلَبِ الْهُدَىٰ وَالرَّشَادِ؛ لِهَذَا لَمْ يُجَابُوا إِلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّا طَلَبُوا وَلَا إِلَىٰ مَا إِلَيْهِ رَغِبُوا؛ لِعِلْمِ الْحَقِّ تَعَالَىٰ أَنَّهُمْ لَوْ

عَايَنُوا وَشَاهَدُوا مَا أَرَادُوا لَاسْتَمَرُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ، وَلَظَلُّوا فِي غِيِّهِمْ وضَلَالِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ.

وَقَدْ ذَكَر ذَلِكَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِيمَا مَرَّ مِنَ الْآيَاتِ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يَجْعَلَ لَهُمُ الصَّفَا ذَهَبًا، وَأَنْ يُنَحِّيَ عَنْهُمْ الْجِبَالَ فَيَزْدَرِعُوا، فَقِيلَ لَهُ: إِنْ شِئْتَ أَنْ تَسْتَأْنِيَ بِهِمْ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تُؤْتِيَهُمْ الَّذِي سَأَلُوا، فَإِنْ كَفَرُوا أُهْلِكُوا كَمَا أُهْلِكَ مَنْ قَبْلِهِمْ، قَالَ: «**لَا، بَلْ أَسْتَأْنِي بِهِمْ**». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ.

وَفِي رِوَايَةٍ لِأَحْمَدَ: قَالَ: قَالَتْ قُرَيْشٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ: ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يَجْعَلِ الصَّفَا لَنَا ذَهَبًا، وَنُؤْمِنَ بِكَ، قَالَ: «**وَتَفْعَلُوا؟**» قَالُوا: نَعَمْ، فَدَعَا فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ... وَذَكَرَ الْحَدِيثَ.

فَهَذَا مِنَ الْأَسَالِيبِ الَّتِي لَجَؤُوا إِلَيْهَا وَاعْتَرَضُوا بِهَا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ.

❁ ❁ ❁

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

أَهَمُّ اعْتِرَاضَاتِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ

مَا هِيَ أَهَمُّ اعْتِرَاضَاتِهِمْ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ كَمَا سَجَّلَ ذَلِكَ الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ؟

*** أَهَمُّ اعْتِرَاضَاتِ الْمُشْرِكِينَ:**

١ - اعْتِرَاضُهُمْ عَلَىٰ الْوَحْدَانِيَّةِ.

لَمْ يَكُنْ كُفَّارُ مَكَّةَ يُنْكِرُونَ أَنَّ اللهَ خَلَقَهُمْ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان: ٢٥]. وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَيَزْعُمُونَ أَنَّهَا تُقَرِّبُهُمْ إِلَىٰ اللهِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣].

وَقَدِ انْتَقَلَتْ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ إِلَيْهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمُجَاوِرَةِ لَهُمْ؛ لِهَذَا قَابَلُوا الدَّعْوَةَ إِلَىٰ التَّوْحِيدِ بِأَعْظَمِ الْإِنْكَارِ وَأَشَدِّ الِاسْتِغْرَابِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ [ص: ٤-٧].

لَمْ يَكُنْ تَصَوُّرُهُمْ للهِ تَعَالَىٰ وَلِعَلَاقَتِهِ بِخَلْقِهِ صَحِيحًا، إِذْ كَانُوا يَزْعُمُونَ أَنَّ للهِ تَعَالَىٰ صَاحِبَةً مِنَ الْجِنِّ، وَأَنَّهَا وَلَدَتِ الْمَلَائِكَةَ، وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللهِ -تعَالَىٰ اللهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا-؛ فَكَانَتْ الْآيَاتُ تَنْزِلُ مُبَيِّنَةً أَنَّ اللهَ خَلَقَ الْجِنَّ وَالْمَلَائِكَةَ كَمَا خَلَقَ الْإِنْسَ، وَأَنَّهُ لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٠٠ - ١٠١].

وَتَنْزِلُ الْآيَاتُ مُبَيِّنَةً أَنَّ الْجِنَّ يُقِرُّونَ للهِ بِالْعُبُودِيَّةِ، وَيُنْكِرُونَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ عَلَاقَةُ نَسَبٍ: ﴿ وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ [الصافات: ١٥٨].

وَمُطَالَبَةً لِلْمُشْرِكِينَ بِاتِّبَاعِ الْحَقِّ وَعَدَمِ الْقَوْلِ بِالظُّنُونِ وَالْأَوْهَامِ كَانَتْ تَنْزِلُ الْآيَاتُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾ [النجم: ٢٧-٢٨].

وَتَنْزِلُ مُوَضِّحَةً أَنَّهُ لَا يُعْقَلُ أَنْ يَمْنَحَ اللهُ الْمُشْرِكِينَ الْبَنِينَ، وَيَكُونُ لَهُ بَنَاتٌ، وَهُنَّ أَدْنَىٰ قِيمَةً فِي رَأْيِهِمْ مِنَ الْبَنِينَ: ﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾ [الإسراء: ٤٠].

وَتَنْزِلُ الْآيَاتُ مُحَمِّلَةً الْمُشْرِكِينَ مَسْئُولِيَّةَ أَقْوَالِهِمْ الَّتِي لَا تَقُومُ عَلَىٰ دَلِيلٍ: ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف: ١٩].

فَهَذَا مِنْ أَهَمِّ اعْتِرَاضَاتِهِمْ الَّتِي اعْتَرَضُوا بِهَا عَلَىٰ مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْتَرِضُونَ عَلَىٰ الْأُلُوهِيَّةِ؛ يُثْبِتُونَ الرُّبُوبِيَّةَ وَلَا يُقِرُّونَ بِأَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا للهِ جَلَّ وَعَلَا وَحْدَهُ، وَوَقَعَ مِنْهُمْ مِنَ التَّخْلِيطِ مَا أُثْبِتُهُ عَلَيْهِمْ الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ وَرَدَّ عَلَيْهِمْ فِيهِ.

٢- مِنَ اعْتِرَاضَاتِهِمْ أَيْضًا: كُفْرُهُمْ بِالْآخِرَةِ.

أَمَّا دَعْوَةُ الرَّسُولِ ﷺ إِلَىٰ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَقَدْ قَابَلَهَا الْمُشْرِكُونَ بِالسُّخْرِيَةِ وَالتَّكْذِيبِ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ۝٧ أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ﴾ [سبأ: ٧-٨]؛ فَقَدْ كَانُوا يُنْكِرُونَ بَعْثَ الْمَوْتَىٰ: ﴿وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٩]، وَيُقْسِمُونَ عَلَىٰ ذَلِكَ بِالْأَيْمَانِ الْمُغَلَّظَةِ: ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡۙ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٣٨ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴾ [النحل: ٣٨-٣٩]، وكانوا يظنون أنه لا توجد حياة فِي غير الدنيا، ويطلبون إحياء آبائهم ليصدقوا بالآخرة؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝٢٤ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٢٥ قُلِ ٱللَّهُ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يَجۡمَعُكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٢٦ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَخۡسَرُ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٤-٢٧].

وَفَاتَهُمْ أَنَّ الَّذِي خَلَقَهُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ قَالَ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُ: جَاءَ أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَفِي يَدِهِ عَظْمٌ رَمِيمٌ، وَهُوَ يُفَتِّتُهُ وَيَذْرُوهُ فِي الْهَوَاءِ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ أَتَزْعُمُ أَنَّ اللهَ يَبْعَثُ هَذَا؟ قَالَ ﷺ: «**نَعَمْ يُمِيتُكَ اللهُ تَعَالَىٰ، ثُمَّ يَبْعَثُكَ، ثُمَّ يَحْشُرُكَ إِلَىٰ النَّارِ**»، وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٧-٧٩].

كَانَتْ أَسَالِيبُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي إِقْنَاعِ النَّاسِ بِالْبَعْثِ اعْتَمَدَتْ عَلَىٰ خِطَابِ الْعَقْلِ، وَالِانْسِجَامِ مَعَ الْفِطْرَةِ، وَالتَّجَاوُبِ مَعَ الْقُلُوبِ، فَقَدْ ذَكَّرَ اللهُ عِبَادَهُ أَنَّ حِكْمَتَهُ تَقْتَضِي بَعْثَ الْعِبَادِ لِلْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ، فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ الْخَلْقَ لِعِبَادَتِهِ، وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ، وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ؛ لِبَيَانِ الطَّرِيقِ الَّذِي بِهِ يَعْبُدُونَهُ وَيُطِيعُونَهُ، وَيَتَّبِعُونَ أَمْرَهُ، وَيَجْتَنِبُونَ نَهْيَهُ، فَمِنَ الْعِبَادِ مَنْ رَفَضَ الِاسْتِقَامَةَ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ، وَطَغَىٰ وَبَغَىٰ، أَفَلَيْسَ بَعْدَ أَنْ يَمُوتَ الطَّالِحُ وَالصَّالِحُ، لَا بُدَّ أَنْ يَجْزِيَ اللهُ الْمُحْسِنَ بِإِحْسَانِهِ وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ [القلم: ٣٥-٣٨].

إِنَّ الْمَلَاحِدَةَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَظُنُّونَ الْكَوْنَ خُلِقَ عَبَثًا وَبَاطِلًا لَا لِحِكْمَةٍ، وَأَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ مَصِيرِ الْمُؤْمِنِ الْمُصْلِحِ وَالْكَافِرِ الْمُفْسِدِ، وَلَا بَيْنَ التَّقِيِّ وَالْفَاجِرِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٧-٢٨].

وضَرَبَ الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ لِلنَّاسِ الْأَمْثِلَةَ فِي إِحْيَاءِ الْأَرْضِ بِالنَّبَاتِ، وَأَنَّ الَّذِي أَحْيَا الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَادِرٌ عَلَىٰ إِعَادَةِ الْحَيَاةِ إِلَىٰ الْجُثَثِ الْهَامِدَةِ وَالْعِظَامِ الْبَالِيَةِ ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [الروم: ٥٠].

وذَكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ إِحْيَاءَ بَعْضِ الْأَمْوَاتِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَأَخْبَرَ النَّاسَ فِي كِتَابِهِ عَنْ أَصْحَابِ الْكَهْفِ، بِأَنَّهُ ضَرَبَ عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ ثَلَاثَ مِئَةٍ وَتِسْعَ سِنِينَ، ثُمَّ قَامُوا مِنْ رَقْدَتِهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ الزَّمَانِ الْمُتَطَاوِلِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا﴾ [الكهف: ١٢]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١٩]. ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا﴾ [الكهف: ٢٥]، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَدِلَّةِ وَالْبَرَاهِينِ الَّتِي اسْتَخْدَمَها رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي مُنَاظَرَاتِهِ مَعَ زُعَمَاءِ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ.

٣- مِنَ اعْتِرَاضَاتِهِمْ: اعْتِرَاضُهُمْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ نَفْسِهِ ﷺ.

اعْتَرَضُوا عَلَىٰ شَخْصِ الرَّسُولِ ﷺ، فَقَدْ كَانُوا يَتَصَوَّرُونَ أَنَّ الرَّسُولَ لَا يَكُونُ بَشَرًا مِثْلَهُمْ، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَلَكًا، أَوْ مَصْحُوبًا بِالْمَلَائِكَةِ: ﴿وَمَا

مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴾ [الإسراء: ٩٤]، ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ ﴾ [الأنعام: ٨-٩]؛ أَيْ: لَوْ بَعَثْنَا إِلَىٰ الْبَشَرِ رَسُولًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَكَانَ عَلَىٰ هَيْئَةِ الرَّجُلِ؛ يُمْكِنُهُمْ مُخَاطَبَتُهُ وَالْأَخْذُ عَنْهُ، وَلَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَالْتَبَسَ عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ كَمَا هُمْ يَلْبِسُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فِي قَبُولِ رِسَالَةِ الْبَشَرِ.

وَكَانُوا يُرِيدُونَ رَسُولًا لَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ طَعَامٍ وَسَعْيٍ فِي الأَسْوَاقِ: ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴾ [الفرقان: ٧-٨]، وَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا بِأَنَّ الرُّسُلَ جَمِيعًا كَانُوا يَأْكُلُونَ وَيَسْعَوْنَ وَيَعْمَلُونَ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ﴾ [الفرقان: ٢٠].

وَيُرِيدُونَ أَنْ يَكُونَ الرَّسُولُ كَثِيرَ الْمَالِ كَبِيرًا فِي أَعْيُنِهِمْ ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٣١]، يُرِيدُونَ الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةَ بِمَكَّةَ، وَعُرْوَةَ بْنَ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيَّ بِالطَّائِفِ.

وَنَسَبُوا الرَّسُولَ ﷺ إِلَىٰ الْجُنُونِ: ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ﴿٦﴾ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [الحجر: ٦-٧]، ﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ ﴾ [الدخان: ١٣-١٤].

وَرَدَّ اللهُ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: ٢].

كَمَا نَسَبُوهُ إِلَىٰ الْكَهَانَةِ وَالشِّعْرِ: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور: ٢٩-٣٠]؛ كَمَا أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا يَنْظِمُ الشِّعْرَ، وَأَنَّهُ رَاجِحُ الْعَقْلِ، وَأَنَّ مَا يَقُولُهُ بَعِيدٌ عَنْ سَجْعِ الْكُهَّانِ وَقَوْلِ السَّحَرَةِ.

وَنَسَبُوهُ ﷺ إِلَىٰ السِّحْرِ وَالْكَذِبِ: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [ص: ٤]، ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٧-٤٨]، وَكَانَتْ الْآيَاتُ تَتَنَزَّلُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ تُفَنِّدُ مَزَاعِمَ الْمُشْرِكِينَ، وَتُبَيِّنُ لَهُ أَنَّ الرُّسُلَ السَّابِقِينَ اسْتُهْزِئَ بِهِمْ، وَأَنَّ الْعَذَابَ عَاقِبَةُ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنعام: ١٠]، وَتُعَلِّمُهُ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ لَا يُكَذِّبُونَ شَخْصَهُ؛ وَلَكِنَّهُمْ يُكَذِّبُونَ رِسَالَتَهُ، وَيَدْفَعُونَ آيَاتِ اللهِ بِتِلْكَ الْأَقَاوِيلِ: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

فَهَذَا مَوْقِفُهُمْ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَاعْتِرَاضُهُمْ عَلَىٰ شَخْصِهِ الْكَرِيمِ.

٤- وَأَمَّا مَوْقِفُهُمْ مِنَ الْقُرْآنِ وَاعْتِرَاضُهُمْ عَلَيْهِ.

فَإِنَّهُمْ كَذَلِكَ لَمْ يُصَدِّقُوا أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ مُنَزَّلٌ مِنَ اللهِ؛ وَاعْتَبَرُوهُ ضَرْبًا مِنَ الشِّعْرِ الَّذِي كَانَ يَنْظِمُهُ الشُّعَرَاءُ، مَعَ أَنَّ كُلَّ مَنْ قَارَنَ بَيْنَ الْقُرْآنِ وَبَيْنَ أَشْعَارِ

الْعَرَبِ يَعْلَمُ أَنَّهُ مُخْتَلِفٌ عَنْهَا: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [يس: ٦٩-٧٠]، وَكَيْفَ يَكُونُ الْقُرْآنُ شِعْرًا وَقَدْ نَزَلَ فِيهِ ذَمٌّ لِلشُّعَرَاءِ الَّذِينَ يُضِلُّونَ النَّاسَ وَيَقُولُونَ خِلَافَ الْحَقِيقَةِ؟! ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤ -٢٢٦]؛ فَهُوَ كَلَامُ اللهِ الْمُنَزَّلُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ، لَيْسَ شَبِيهًا بِقَوْلِ الشُّعَرَاءِ، وَلَا بِقَوْلِ الْكُهَّانِ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحاقة: ٤٠-٤٣].

وَقَدْ أَدْرَكَ الشُّعَرَاءُ قَبْلَ غَيْرِهِمْ أَنَّ الْقُرْآنَ الْمَجِيدَ لَيْسَ شِعْرًا، وَمَنْ فَرْطِ تَكْذِيبِهِمْ وَعِنَادِهِمْ قَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا يَتَعَلَّمُ الْقُرْآنَ مِنْ رَجُلٍ أَعْجَمِيٍّ، وَكَانَ غُلَامًا لِبَعْضِ بُطُونِ قُرَيْشٍ، وَكَانَ بَيَّاعًا يَبِيعُ عِنْدَ الصَّفَا، وَرُبَّمَا كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَجْلِسُ إِلَيْهِ وَيُكَلِّمُهُ بَعْضَ الشَّيْءِ، وَذَاكَ كَانَ أَعْجَمِيَّ اللِّسَانِ لَا يَعْرِفُ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ إِلَّا النَّذْرَ الْيَسِيرَ، فَبِقَدْرِ مَا يَرِدُ جَوَابُ الْخِطَابِ فِيمَا لَا بُدَّ مِنْهُ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَىٰ ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

أَيْ: فَكَيْفَ يَتَعَلَّمُ مَنْ جَاءَ بِهَذَا الْقُرْآنِ مِنْ فَصَاحَتِهِ وَبَلَاغَتِهِ وَمَعَانِيهِ التَّامَّةِ الشَّامِلَةِ مِنْ رَجُلٍ أَعْجَمِيٍّ؟! لَا يَقُولُ هَذَا مَنْ لَهُ أَدْنَىٰ مُسْكَةٍ مِنَ الْعَقْلِ.

وَاعْتَرَضُوا عَلَىٰ طَرِيقَةِ نُزُولِ الْقُرْآنِ، فَطَلَبُوا أَنْ يَنْزِلَ جُمْلَةً وَاحِدَةً، مَعَ أَنَّ نُزُولَهُ مُفَرَّقًا أَدْعَىٰ لِتَثْبِيتِ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ، وَتَيْسِيرِ فَهْمِهِ وَحِفْظِهِ وَامْتِثَالِهِ:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴾ [الفرقان: ٣٢].

فَلَمَّا اعْتَرَضَ الْمُشْرِكُونَ عَلَىٰ الْقُرآنِ، وَعَلىٰ مَنْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ بِهَذِهِ الِاعْتِرَاضَاتِ؛ تَحَدَّاهُمُ اللهُ بِأَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ، وَأَعْلَنَ عَنْ عَجْزِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ مُجْتَمِعِينَ عَنْ ذَلِكَ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

بَلْ هُمْ عَاجِزُونَ عَنْ أَنْ يَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٣ فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [هود: ١٣-١٤].

وَحَتَّىٰ السُّورَةُ الْوَاحِدَةُ هُمْ عَاجِزُونَ عَنْهَا: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٧ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [يونس: ٣٧-٣٨].

فَعَجْزُهُمْ -مَعَ أَنَّ الْفَصَاحَةَ كَانَتْ مِنْ سَجَايَاهُمْ، وَكَانَتْ أَشْعَارُهُمْ وَمُعَلَّقَاتُهُمْ فِي قِمَّةِ الْبَيَانِ- ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ الَّذِي لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ فِي ذَاتِهِ، وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَلَا فِي أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ، وَكَلَامُهُ لَا يُشْبِهُ كَلَامَ الْمَخْلُوقِينَ.

مِنْ أَسَالِيبِ الْمُشْرِكِينَ فِي مُحَارَبَةِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَمُحَارَبَةِ النَّبِيِّ الْأَمِينِ

لَمْ تَزَلْ أَصْدَاءُ تِلْكَ الصَّيْحَةِ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] مُدَوِّيَّةً فِي جَنَبَاتِ أُمِّ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤]؛ فَقَامَ الرَّسُولُ ﷺ مُشَمِّرًا عَنْ سَاعِدِ الْجِدِّ، صَادِعًا بِالْحَقِّ، دَاعِيًا إِلَىٰ هَجْرِ الْأَوْثَانِ، مُسَفِّهًا عُقُولَ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا، مُبَيِّنًا حَقَائِقَ الْإِسْلَامِ، دَاحِضًا الْأَبَاطِيلَ الْعَقَدِيَّةَ الَّتِي تُعَشِّشُ فِي عُقُولِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ.

عِنْدَمَا رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ أَثَرَ هَذِهِ الدَّعْوَةِ لَمْ يَكُنْ مَحْدُودًا كَمَا كَانَ الْحَالُ مَعَ مَنْ دَعَا إِلَىٰ نَبْذِ الْأَصْنَامِ قَبْلَ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ كَأَمْثَالِ زَيْدِ بْنِ نُفَيْلٍ، وَوَرَقَةَ، وَابْنِ صَيْفِيٍّ قَامَتْ فِي وَجْهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَمَنْ تَبِعَهُ، وَأَخَذَتْ تُمَارِسُ شَتَّىٰ الْأَسَالِيبِ وَوَسَائِلِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ؛ لِصَدِّهِمْ عَنْ هَذَا الطَّرِيقِ الَّذِي هَدَّدَ مَصَالِحَهُمْ الَّتِي يَجْنُونَهَا مِنْ وُجُودِ الْحَرَمِ فِي أَرْضِهِمْ، وَحَطَّ مِنْ تَكَبُّرِهِمْ عَلَىٰ غَيْرِهِمْ، وَوَقَفَ أَمَامَ شَهَوَاتِهِمْ فِي السَّيْطَرَةِ وَاقْتِرَافِ السَّيِّئَاتِ وَالْمُوبِقَاتِ، وَقَدْ كَانَ أَكْثَرُ هَؤُلَاءِ مِنْ أَصْحَابِ النُّفُوذِ وَالْمَصَالِحِ.

فَلْنَنْظُرْ بِنَوْعِ اسْتِفَاضَةٍ فِي تِلْكَ الْأَسَالِيبِ الَّتِي لَجَؤُوا إِلَيْهَا فِي مُحَارَبَةِ النَّبِيِّ ﷺ؛ مِنْ أَبْرَزِ أَسَالِيبِهِمْ فِي مُحَارَبَةِ دَعْوَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ﷺ:

- مُحَاوَلَةُ قُرَيْشٍ لِإِبْعَادِ أَبِي طَالِبٍ عَنْ مُنَاصَرَةِ وَحِمَايَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

جَاءَتْ قُرَيْشٌ إِلَىٰ أَبِي طَالِبٍ فَقَالُوا: إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ هَذَا قَدْ آذَانَا فِي نَادِينَا وَمَسْجِدِنَا، فَانْهَهُ عَنَّا، فَبَيَّنَ لَهُم أَنَّهُ لَا يَنِي يَحْمِيهِ وَيُدَافِعُ عَنْهُ، مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ عَلَىٰ دِينِهِ، ودَعَا أَمْرُ حِمَايَةِ أَبِي طَالِبٍ لِابْنِ أَخِيهِ مَعَ تَصْمِيمِهِ عَلَىٰ مُنَاصَرَتِهِ وَعَدَمِ خِذْلَانِهِ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَىٰ قُرَيْشٍ غَمًّا وَحَسَدًا وَمَكْرًا؛ فَمَشَوْا إِلَيْهِ بِعُمَارَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، فَقَالُوا لَهُ: يَا أَبَا طَالِبٍ هَذَا عُمَارَةُ بْنُ الْوَلِيدِ، أَنْهَدُ فَتًىٰ فِي قُرَيْشٍ، وَأَجْمَلُهُمْ، فَلَكَ عَقْلُهُ وَنَصْرُهُ، وَاتَّخِذْهُ وَلَدًا فَهُوَ لَكَ، وَأَسْلِمْ إِلَيْنَا ابْنَ أَخِيكَ هذَا الَّذِي خَالَفَ دِينَكَ، وَدِينَ آبَائِكَ، وَفَرَّقَ جَمَاعَةَ قَوْمِكَ، وَسَفَّهَ أَحْلَامَنَا، فَنَقْتُلُهُ فَإِنَّمَا هُوَ رَجُلٌ بِرَجُلٍ، قَالَ: وَاللهِ لَبِئْسَ مَا تَسُومُونَنِي!! أَتُعْطُونِي ابْنَكُمْ أَغْذُوهُ لَكُمْ، وَأُعْطِيكُمْ ابْنِي فَتَقْتُلُونَهُ، هَذَا وَاللهِ مَا لَا يَكُونُ أَبَدًا.

هُوَ عَرْضٌ عَجِيبٌ يَدُلُّ عَلَىٰ سَفَاهَةٍ مُتَمَكِّنَةٍ وَحَمَاقَةٍ مُتَجَذِّرَةٍ!! وَإِنَّ الْمَرْءَ لَيَسْمَعُ عَجَبًا، وَيَقِفُ مَذْهُولًا أَمَامَ مُرُوءَةِ أَبِي طَالِبٍ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَدْ رَبَطَ أَبُو طَالِبٍ مَصِيرَهُ بِمَصِيرِ ابْنِ أَخِيهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، بَلْ وَاسْتَفَادَ مِنْ كَوْنِهِ زَعِيمَ بَنِي هَاشِمٍ أَنْ ضَمَّ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ إِلَيْهِ فِي حِلْفٍ وَاحِدٍ عَلَىٰ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ؛ تَأْيِيدًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، مُسْلِمَهُمْ وَمُشْرِكَهُمْ عَلَىٰ السَّوَاءِ، وَأَجَارَ ابْنُ أَخِيهِ مُحَمَّدًا إِجَارَةً مَفْتُوحَةً لَا تَقْبَلُ التَّرَدُّدَ أَوِ الْإِحْجَامَ.

كَانَتْ هَذِهِ الْأَعْرَافُ الْجَاهِلِيَّةُ وَالتَّقَالِيدُ الْعَرَبِيَّةُ تُسَخَّرُ مِنْ قِبَلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِخِدْمَةِ الْإِسْلَامِ، وَقَدْ قَامَ أَبُو طَالِبٍ حِينَ رَأَىٰ قُرَيْشًا تَصْنَعُ مَا تَصْنَعُ فِي بَنِي

هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ، فَدَعَاهُمْ إِلَىٰ مَا هُوَ عَلَيْهِ، مَنْ مَنْعِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَالْقِيَامِ دُونَهُ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ وقَامُوا مَعَهُ، وَأَجَابُوهُ إِلَىٰ مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ أَبِي لَهَبٍ عَدُوِّ اللهِ اللَّعِينِ.

فَلَمَّا رَأَىٰ أَبُو طَالِبٍ مِنْ قَوْمِهِ مَا سَرَّهُ مِنْ جُهْدِهِمْ مَعَهُ، وَحَدَبِهِمْ عَلَيْهِ، جَعَلَ يَمْدَحُهُمْ، وَيَذْكُرُ قَدِيمَهُمْ، وَيَذْكُرُ فَضْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيهِمْ، وَمَكَانَهُ مِنْهُمْ؛ لِيَشُدَّ لَهُمْ رَأْيَهُمْ، وَلِيَحْدِبُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرِهِ ﷺ فَقَالَ:

إِذَا اجْتَمَعَتْ يَوْمًا قُرَيْشٌ لِمَفْخَرٍ ... فَعَبْدُ مَنَافٍ سِرُّهَا وَصَمِيمُهَا

وَإِنْ حُصِّلَتْ أَشْرَافُ عَبْدِ مَنَافِهَا ... فَفِي هَاشِمٍ أَشْرَافُهَا وَقَدِيمُهَا

وَإِنْ فَخَرَتْ يَوْمًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا ... هُوَ الْمُصْطَفَىٰ مِنْ سِرِّها وَكَرِيمُهَا

تَدَاعَتْ قُرَيْشٌ غَثُّهَا وَثَمِينُهَا ... عَلَيْنَا فَلَمْ تَظْفَرْ وَطَاشَتْ حُلُومُهَا

وَكُنَّا قَدِيمًا لَا نُقِرُّ ظُلَامَةً ... إِذَا مَا ثَنَوْا صُعْرَ الْخُدُودِ نَقِيمُهَا

كَانَ شَاعِرًا مُجِيدًا مُجِيدًا

حِينَ حَاوَلَ أَبُو جَهْلٍ أَنْ يَخْفِرَ جِوَارَ أَبِي طَالِبٍ تَصَدَّىٰ لَهُ حَمْزَةُ، فَشَجَّهُ بِقَوْسِهِ، وَقَالَ لَهُ: تَشْتُمُ مُحَمَّدًا وَأَنا عَلَىٰ دِينِهِ، فَرُدَّ ذَلِكَ إِنِ اسْتَطَعْتَ.

إِنَّهَا ظَاهِرَةٌ فَذَّةٌ أَنْ تَقُومَ الْجَاهِلِيَّةُ بِحِمَايَةِ مَنْ يَسُبُّ آلِهَتَهَا، وَيَعِيبُ دِينَهَا، وَيُسَفِّهُ أَحْلَامَهَا، وَبِاسْمِ هَذِهِ الْقِيَمِ يُقَدِّمُونَ الْمُهَجَ وَالْأَرْوَاحَ، وَيَخُوضُونَ الْمَعَارِكَ وَالْحُرُوبَ، وَلَا يُمَسُّ مُحَمَّدٌ بِسُوءٍ ﷺ.

مَوْقِفُ أَبِي طَالِبٍ؛ لَمْ يَجِدْ ابْنُ كَثِيرٍ تَفْسِيرًا لَهُ سِوَىٰ قَوْلِهِ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَدْ امْتَحَنَ قَلْبَهُ بِحُبِّ مُحَمَّدٍ ﷺ حُبًّا طَبِيعِيًّا لَا شَرْعِيًّا، وَكَانَ اسْتِمْرَارُهُ عَلَىٰ دِينِ قَوْمِهِ مِنْ حِكْمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَبِمَا صَنَعَهُ لِرَسُولِهِ مِنَ الْحِمَايَةِ؛ إِذْ لَوْ كَانَ أَسْلَمَ أَبُو طَالِبٍ لَمَا كَانَ لَهُ عِنْدَ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ وَجَاهَةٌ وَلَا كَلِمَةٌ، وَلَا كَانُوا يَهَابُونَهُ وَيَحْتَرِمُونَهُ، وَلَتَجَرَّؤُوا عَلَيْهِ، وَلَمَدُّوا أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ إِلَيْهِ، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]».

وَبَيَّنَ رَحِمَهُ اللهُ مَا فَعَلَ عَمُّهُ الآخَرُ، وَكَيْفَ انْقَسَمُوا هَذَا الِانْقِسَامَ الْعَجِيبَ؛ فَوَاحِدٌ يَتَّبِعُهُ يُسَفِّهُ قَوْلَهُ وَيُكَذِّبُهُ، وَيَقِفُ لَهُ بِالْمِرْصَادِ أَنْ يُبَلِّغَ دَعْوَةَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَىٰ الْعِبَادِ، وَأَمَّا أَبُو طَالِبٍ؛ فَمَا يَزَالُ فِي نُصْرَتِهِ وَحِمَايَتِهِ وَقَدْ رَبَطَ مَصِيرَهُ بِمَصِيرِهِ، وَجَمَعَ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ لِيَكُونُوا حِلْفًا وَاحِدًا، وَهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِرَسُولِ اللهِ، حَتَّىٰ إِنَّ قُرَيْشًا لَمَّا حَاصَرُوا الدَّعْوَةَ حِصَارًا اقْتِصَادِيًّا -لَا يَبِيعُونَ إِلَيْهِمْ، وَلَا يَبْتَاعُونَ مِنْهُمْ، وَلَا يَنْكِحُونَ مِنْهُمْ، وَلَا يُنَاكِحُونَهُمْ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ تِلْكَ الْمُعَاهَدَةِ الظَّالِمَةِ الَّتِي تَعَاهَدُوا فِيهَا عَلَىٰ مُقَاطَعَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَبَنِي هَاشِمٍ-؛ دَخَلُوا جَمِيعًا الشِّعْبَ -مُسْلِمُهُمْ وَكَافِرُهُمْ-، وَكَانُوا عَلَىٰ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، وَصَبَرُوا عَلَىٰ الْجُوعِ وعَلَىٰ الظَّمَأِ، وَعَلَىٰ مَا لَاقَوْا مِنَ الْعَنَاءِ فِي الشِّعْبِ ثَلَاثَةَ أَعْوَامٍ كَامِلَاتٍ، حَتَّىٰ أَكَلُوا أَوْرَاقَ الشَّجَرِ، فَلَمَّا فَنِيَتْ أَوْرَاقُ الشَّجَرِ أَكَلُوا لِحَاءَ الشَّجَرِ!!

حَتَّىٰ كَانَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ رُبَّمَا خَرَجَ لِيَبُولَ فَيَسْمَعُ لِوَقْعِ الْبَوْلِ صَوْتًا؛ فَيُفَتِّشُ وَيَبْحَثُ فَإِذَا قِطْعَةٌ مِنْ جِلْدِ بَعِيرٍ، فَيَأْخُذُهَا، ثُمَّ يَغْسِلُهَا، ثُمَّ يَحْرِقُهَا، ثُمَّ يَفُتُّهَا، ثُمَّ يَسْتَفُّهَا، وَيَشْرَبُ جَرْعَةً مِنْ مَاءٍ يَتَبَلَّغُ بذَلِكَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ كَافِرٌ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ!!

فَهَذَا أُسْلُوبٌ مِنْ أَسَالِيبِ قُرَيْشٍ فِي مُحَارَبَةِ الدَّعْوَةِ، والَّذِي يَبْحَثُ فِي السِّيرَةِ ويَتَعَلَّمُهَا؛ يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يُحِيطَ عِلْمًا بِمَا كَانَ، وَأَمَّا أَنْ يَمُرَّ مُرُورَ الْكِرَامِ، أَوْ يَحْسُوَ حَسْوَ الطَّائِرِ؛ فَإِنَّهُ لَنْ يَفْهَمَ مَا كَانَ، وَلَنْ يُقَدِّرَ التَّضْحِيَاتِ الَّتِي ضَحَّىٰ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ فِي رَغَدٍ مِنَ الْعَيْشِ؛ كَمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ عَلَىٰ مَا يَأْتِي مِنْ ذِكْرِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُعَلِّمَنَا مَا يَنْفَعُنَا، وَأَنْ يَنْفَعَنَا بِمَا عَلَّمَنَا، وَأَنْ يَزِيدَنَا عِلْمًا، وصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

www.menhag-un.com

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة الرَّابِعَة)

مِنْ مَادَّةِ

سِيرَة النَّبِيِّ ﷺ

[الْعَهْدُ الْمَكِّيُّ - ج٢]

www.menhag-un.com

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مِنْ أَسَالِيبِ الْمُشْرِكِينَ فِي مُحَارَبَةِ الدَّعْوَةِ:

فَقَدْ مَرَّ أَنَّ مَعَنَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا جَهَرَ بِالدَّعْوَةِ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ؛ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، لَمْ تَعْبَأْ قُرَيْشٌ بِادِئَ الْأَمْرِ بِذَلِكَ، وَعَدُّوا دَعْوَةَ النَّبِيِّ ﷺ كَدَعْوَةِ الْمُتَحَنِّفِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَدْعُونَ إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَنَبْذِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، حَتَّىٰ عَابَ آلِهَتَهُمْ وَسَفَّهَ أَحْلَامَهُمْ فَنَاصَبُوهُ الْعَدَاوَةَ، وَاتَّخَذَتْ قُرَيْشٌ أَسَالِيبَ عِدَّةً فِي مُحَارَبَةِ الدَّعْوَةِ، مِنْهَا مَا كَانَ مِنْ مُحَاوَلَةِ الْفَصْلِ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَمِّهِ، وَكَانَ نَصِيرَهُ مِنَ الْبَشَرِ؛ يَحُوطُهُ وَيَحْمِيهِ مِنْ طُغْيَانِهِمْ بِوَاجِهَتِهِ وَمَكَانَتِهِ فِي قُرَيْشٍ مِنْ جِهَةٍ، وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَىٰ لِأَنَّهُ كَانَ بَاقِيًا عَلَىٰ كُفْرِهِ.

* وَمِنْ أَسَالِيبِ الْمُشْرِكِينَ فِي مُحَارَبَةِ الدَّعْوَةِ:

١- مَا أَثَارُوهُ مِنَ الشُّبُهَاتِ حَوْلَ مَصْدَرِ الْقُرْآنِ.

فَقَدْ بَثُّوا الدَّعَايَاتِ الْكَاذِبَةَ، وَنَشَرُوا الْإِرَادَاتِ الْوَاهِيَةَ حَوْلَ تَعَالِيمِ الْقُرْآنِ وَحَوْلَ شَخْصِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَكْثَرُوا مِنْ ذَلِكَ؛ حَتَّىٰ لَا يَبْقَىٰ لِلْعَامَّةِ مَجَالٌ فِي تَدَبُّرِ دَعْوَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَكَانُوا يَقُولُونَ: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣]، وَكَانُوا يَقُولُونَ عَنِ الْقُرْآنِ: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥]، وَقَالُوا: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ

ءَاخَرُونَ﴾ [الفرقان: ٤]، وَكَانُوا يَقُولُونَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧].

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ -فِيمَا بَلَغَنِي- كَثِيرًا مَا يَجْلِسُ عِنْدَ الْمَرْوَةِ إِلَىٰ مَبِيعَةِ غُلَامٍ نَصْرَانِيٍّ يُقَالُ لَهُ: جَبْرٌ، كَانَ عَبْدًا لِابْنِ الْحَضْرَمِيِّ، فَكَانُوا يَقُولُونَ: وَاللهِ مَا يُعَلِّمُ مُحَمَّدًا كَثِيرًا مِمَّا يَأْتِي بِهِ إِلَّا جَبْرٌ النَّصْرَانِيُّ، غُلَامُ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣]».

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: «يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ: أَيْ يَمِيلُونَ إِلَيْهِ، وَالْإِلْحَادُ: الْمَيْلُ عَنِ الْحَقِّ».

- وَمِنْ أَسَالِيبِهِمْ فِي مُحَارَبَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَدَعْوَتِهِ:

٢ - مُعَارَضَةُ الْقُرْآنِ بِأَسَاطِيرِ الْأَوَّلِينَ؛ لِإِشْغَالِ النَّاسِ بِهَا عَنْهُ.

فَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ النَّضْرَ بْنَ الْحَارِثِ، وَكَانَ مِنْ شَيَاطِينِ قُرَيْشٍ، وَمِمَّنْ يُؤْذِي رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَيَنْصِبُ لَهُ الْعَدَاوَةَ، كَانَ قَدِمَ الْحِيرَةَ، وَتَعَلَّمَ بِهَا أَحَادِيثَ مُلُوكِ الفُرْسِ، وَأَحَادِيثَ رُسْتُمَ، فَكَانَ إِذَا جَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَجْلِسًا فَذَكَّرَ فِيهِ بِاللهِ تَعَالَىٰ، وَحَذَّرَ قَوْمَهُ مَا أَصَابَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ مِنْ نِقْمَةِ اللهِ، خَلَفَهُ فِي مَجْلِسِه إِذَا قَامَ، ثُمَّ قَالَ: أَنَا وَاللهِ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْهُ، وَمَا حَدِيثُهُ إِلَّا أَسَاطِيرُ

الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا، فَهَلُمَّ إِلَيَّ، فَأَنَا أُحَدِّثُكُمْ أَحْسَنَ مِنْ حَدِيثِهِ، ثُمَّ يُحَدِّثُهُمْ عَنْ مُلُوكِ فَارِسَ وَرُسْتُمَ، ثُمَّ يَقُولُ: بِمَاذَا مُحَمَّدٌ أَحْسَنُ حَدِيثًا مِنِّي؟

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: «وَهُوَ الَّذِي قَالَ -فِيمَا بَلَغَنِي-: ﴿سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣]».

رَوَىٰ ابْنُ إِسْحَاقَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: نَزَلَ فِي النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ ثَمَانِ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [القلم: ١٥]، وَكُلُّ مَا ذُكِرَ فِيهِ مِنَ الْأَسَاطِيرِ مِنَ الْقُرْآنِ. وَنَزَلَ فِي النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ -قَبَّحَهُ اللهُ- قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الجاثية: ٧-٨].

- وَمِنْ أَسَالِيبِهِمْ فِي مُوَاجَهَةِ وَمُحَارَبَةِ دَعْوَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

٣- الِاتِّهَامَاتُ الْبَاطِلَةُ لِصَدِّ النَّاسِ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وَمِنْ تِلْكَ الِاتِّهَامَاتِ.

- أَنَّهُمْ اتَّهَمُوهُ بِالْجُنُونِ؛ وَفِي ذَلِكَ نَزَلَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦]، وَقَدْ أَجَابَهُمُ اللهُ فِي آيَةِ «الْقَلَمِ»: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: ٢]، وَحَكَىٰ عَنْهُمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ [القلم: ٥١].

- اتَّهَمُوهُ بِالسِّحْرِ؛ وَفِي ذَلِكَ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ﴾ [ص: ٤]، ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا﴾ [الفرقان: ٨].

وَقَدْ تَحَيَّرَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ فِيمَا يَصِفُ بِهِ الْقُرْآنَ؛ فَعِنْدَمَا أَوْشَكَ دُخُولُ مَوْسِمِ الْحَجِّ جَمَعَ فَرِيقَهُ مِنْ عُتَاةِ الْمُعَانِدِينَ، فَقَالَ لَهُمْ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّهُ قَدْ حَضَرَ هَذَا الْمَوْسِمُ، وَإِنَّ وُفُودَ الْعَرَبِ سَتَقْدُمُ عَلَيْكُمْ فِيهِ، وَقَدْ سَمِعُوا بِأَمْرِ صَاحِبِكُمْ هَذَا، فَأَجْمِعُوا فِيهِ رَأْيًا وَاحِدًا، وَلَا تَخْتَلِفُوا فَيُكَذِّبُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا».

وَعَلَىٰ الرَّغْمِ مِنَ اسْتِبْعَادِهِمْ أَنَّهُ كَاهِنٌ أَوْ شَاعِرٌ أَوْ سَاحِرٌ إِلَّا أَنَّهُمْ اتَّفَقُوا عَلَىٰ أَنْ يَقُولُوا لِلنَّاسِ إِنَّهُ سَاحِرٌ؛ لِأَنَّهُ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْأَقَارِبِ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِي الْوَلِيدِ: ﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا﴾ [المدثر: ١١]، ثُمَّ أَخَذُوا يَتَلَقَّوْنَ النَّاسَ يُحَذِّرُونَهُمْ مِنْ أَمْرِ مُحَمَّدٍ، وَشَاءَ اللهُ أَنْ تَصْدُرَ الْعَرَبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَوْسِمِ بِأَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَانْتَشَرَ ذِكْرُهُ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ كُلِّهَا، وَكَانَ مِثْلُ هَذِهِ الْمَوَاقِفِ سَبَبًا فِي إِسْلَامِ النَّاسِ فِي الْمَوَاسِمِ؛ وَمَا رُوِيَ فِي قِصَّةِ إِسْلَامِ الطُّفَيْلِ بْنِ عَمْرٍو الدَّوْسِيِّ دَلِيلٌ عَلَىٰ ذَلِكَ.

- وَاتَّهَمُوهُ بِالْكَذِبِ؛ وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ﴾ [ص: ٤]، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَ﴾ [الفرقان: ٤].

- وَاتَّهَمُوهُ بِالْإِتْيَانِ بِالْأَسَاطِيرِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾ [الفرقان: ٥].

- وَقَالُوا إِنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ بَشَرٍ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

- وَاتَّهَمُوا الْمُؤْمِنِينَ بِالضَّلَالَةِ؛ ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾ [المطففين: ٣٢].

- مِنْ ذَلِكَ أَيْضًا:

٤- مُحَاوَلَةُ تَشْوِيهِ دَعْوَةِ الرَّسُولِ ﷺ.

قَامَ مُشْرِكُو مَكَّةَ بِتَشْوِيهِ دَعْوَةِ الرَّسُولِ ﷺ، لِذَلِكَ نَظَّمَتْ قُرَيْشٌ حَرْبًا إِعْلَامِيَّةً ضِدَّهُ لِتَشْوِيهِهِ، قَادَهَا الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، حَيْثُ اجْتَمَعَ مَعَ نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ، وَكَانَ ذَا سِنٍّ فِيهِمْ، وَقَدْ حَضَرَ مَوْسِمَ الْحَجِّ فَقَالَ لَهُمْ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّهُ قَدْ حَضَرَ الْمَوْسِمُ، وَإِنَّ وُفُودَ الْعَرَبِ سَتَقْدَمُ عَلَيْكُمْ، وَقَدْ سَمِعُوا بِأَمْرِ صَاحِبِكُمْ هَذَا، فَأَجْمِعُوا فِيهِ رَأْيًا وَاحِدًا، وَلَا تَخْتَلِفُوا فَيُكَذِّبَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَيَرُدَّ قَوْلُكُمْ بَعْضُهُ بَعْضًا».

فَاتَّفَقُوا عَلَىٰ أَنْ يُشَوِّهُوا النَّبِيَّ ﷺ وَدَعْوَتَهُ بِأَنْ يَتَّفِقُوا عَلَىٰ أَنَّهُ سَاحِرٌ؛ مَعَ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَيْسَ كَذَلِكَ، وَهَؤُلَاءِ عِنْدَمَا أَرْسَلَوا الْوَلِيدَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُجَادِلَ النَّبِيَّ ﷺ، وَأَنْ يُغْرِيَهُ بِالْمُلْكِ وَالْمَالِ وَالنِّسَاءِ؛ فَرَجَعَ إِلَيْهِمْ وَهُوَ يَشْهَدُ لِلْقُرْآنِ بِتِلْكَ الشَّهَادَةِ الْعَظِيمَةِ: إِنَّ لِقَوْلِهِ لَحَلَاوَةٌ، وَإِنَّ أَصْلَهُ لَعَذْقٌ وَإِنَّ فَرْعَهُ لَجَنَاةٌ وَمَا

أَنْتُمْ بِقَائِلِينَ مِنْ هَذَا شَيْئًا إِلَّا عُرِفَ أَنَّهُ بَاطِلٌ وَإِنَّ أَقْرَبَ الْقَوْلِ لَأَنْ تَقُولُوا: سَاحِرٌ، فَقُولُوا: سَاحِرٌ يُفَرِّقُ بَيْنَ المَرْءِ وَبَيْنَ أَبِيهِ وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَأَخِيهِ وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجَتِهِ وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَعَشِيرَتِهِ.

وَيَتَّضِحُ مِنَ هَذِهِ الْقِصَّةِ أَنَّ الْحَرْبَ النَّفْسِيَّةَ الْمُضَادَّةَ لِلرَّسُولِ ﷺ لَمْ تَكُنْ تُوَجَّهُ اعْتِبَاطًا، وَإِنَّمَا كَانَتْ تُعَدُّ بِإِحْكَامٍ وَدِقَّةٍ بَيْنَ زُعَمَاءِ الْكُفَّارِ، وَحَسَبَ قَوَاعِدَ مُعَيَّنَةٍ، هِيَ أَسَاسُ الْقَوَاعِدِ الْمَعْمُولِ بِهَا فِي تَخْطِيطِ الْحَرْبِ النَّفْسِيَّةِ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ؛ كَاخْتِيَارِ الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ، فَهُمْ يَخْتَارُونَ وَقْتَ تَجَمُّعِ النَّاسِ فِي مَوْسِمِ الْحَجِّ، وَالِاتِّفَاقِ وَعَدَمِ التَّنَاقُضِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ هَذِهِ الْأُسُسِ؛ حَتَّىٰ تَكُونَ حَمْلَتُهُمْ مُنَظَّمَةً، وَبِالتَّالِي يَكُونُ لَهَا تَأْثِيرٌ عَلَىٰ وُفُودِ الْحَجِيجِ، فَتُؤْتِي ثِمَارَهَا الْمَرْجُوَّةَ مِنْهَا، وَمَعَ اخْتِيَارِهِمْ لِلزَّمَانِ الْمُنَاسِبِ، فَقَدِ اخْتَارُوا أَيْضًا مَكَانًا مُنَاسِبًا؛ حَتَّىٰ تَصِلَ جَمِيعُ الْوُفُودِ الْقَادِمَةِ إِلَىٰ مَكَّةَ.

وَيَتَّضِحُ مِنْ هَذَا الْخَبَرِ عَظَمَةُ النَّبِيِّ ﷺ، وَقُوَّتُهُ فِي التَّأْثِيرِ بِالْقُرْآنِ عَلَىٰ سَامِعِيهِ، فَالْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ كَبِيرُ قُرَيْشٍ، وَمِنْ أَكْبَرِ سَادَاتِهِمْ، وَمَعَ مَا يَحْصُلُ عَادَةً لِلْكُبَرَاءِ مِنَ التَّكَبُّرِ وَالتَّعَاظُمِ، فَإِنَّهُ قَدْ تَأَثَّرَ بِالْقُرْآنِ، وَرَقَّ لَهُ، وَاعْتَرَفَ بِعَظَمَتِهِ، وَوَصَفَهُ بِذَلِكَ الْوَصْفِ الْبَلِيغِ، وَهُوَ فِي حَالَةِ اسْتِجَابَةٍ لِنِدَاءِ الْعَقْلِ.

وَلَمْ تَسْتَطِعْ تِلْكَ الْحَرْبُ الْإِعْلَامِيَّةُ الْمُنَظَّمَةُ أَنْ تُحَاصِرَ دَعْوَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، بَلِ اسْتَطَاعَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَخْتَرِقَ حِصَارَ الْأَعْدَاءِ، الَّذِينَ لَمْ يَكْتَفُوا

بِتَنْفِيرِ سَاكِنِي مَكَّةَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَتَشْوِيهِ سُمْعَتِهِ عِنْدَهُمْ؛ بَلْ صَارُوا يَتَلَقَّوْنَ الْوَافِدِينَ إِلَيْهِمْ لِيَسْمِّمُوا أَفْكَارَهُمْ، وَلِيَحُولُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ سَمَاعِ كَلَامِهِ، وَالتَّأَثُّرِ بِدَعْوَتِهِ.

وَمِنْ أَبْرَزِ الْأَمْثِلَةِ علَىٰ قُوَّتِهِ فِي التَّأْثِيرِ بِالْكَلِمَةِ الْمُعَبِّرَةِ وَالْأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ، وَقُدْرَتِهِ عَلَىٰ اخْتِرَاقِ الْجِدَارِ الْحَدِيدِيِّ الَّذِي حَاوَلَ زُعَمَاءَ مَكَّةَ ضَرْبَهُ عَلَيْهِ، مَا كَانَ مِنْ مَوْقِفِهِ معَ ضِمَادٍ الْأَزْدِيِّ، وَعَمْرِو بْنِ الطُّفَيْلِ الدَّوْسِيِّ، وَأَبِي ذَرٍّ، وَعَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ.

◉◉◉

www.menhag-un.com

إِسْلَامُ ضُمَادٍ الْأَزْدِيِّ رضي الله عنه

* ضُمَادٌ الْأَزْدِيُّ:

وَفَدَ ضُمَادٌ الْأَزْدِيُّ إِلَىٰ مَكَّةَ، وَتَأَثَّر بِدَعَاوَىٰ الْمُشْرِكِينَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَتَّىٰ اسْتَقَرَّ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ مُصَابٌ بِالْجُنُونِ، كَمَا يَتَّهِمُهُ بِذَلِكَ زُعَمَاءُ مَكَّةَ، وَكَانَ ضِمَادٌ مِنْ أَزْدِ شَنُوءَةَ، وَكَانَ يُعَالِجُ مِنَ الْجُنُونِ، فَلَمَّا سَمِعَ سُفَهَاءَ مَكَّةَ يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ مَجْنُونٌ؛ فَقَالَ: لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللهَ يَشْفِيهِ عَلَىٰ يَدَيَّ.

قَالَ: فَلَقِيَهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، وَإِنَّ اللهَ يَشْفِي عَلَىٰ يَدَيَّ مَنْ شَاءَ؛ فَهَلْ لَكَ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ**».

فَقَالَ ضِمَادُ بنُ ثَعْلَبَةَ: أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثلَاثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الكَهَنَةِ، وَقَوْلَ السَّحَرَةِ، وَقَوْلَ الشُّعَرَاءِ، فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، وَلقدْ بَلَغْنَ نَاعُوسَ -مَعْنَاهُ: بَلَغْنَ

وَسَطَهُ، أَوْ لُجَّتَهُ، أَوْ قَعْرَهُ الْأَقْصَىٰ-، قَالَ: فَقَالَ: هَاتِ يَدَكَ أُبَايِعْكَ عَلَىٰ الإِسْلَامِ، فَبَايَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَعَلَىٰ قَوْمِكَ**»، قَالَ: وَعَلىٰ قَوْمِي.

وَعِنْدَمَا قَامَتْ دَوْلَةُ الْإِسْلَامِ فِي الْمَدِينَةِ، وَكَانَتْ سَرَايَا رَسُولِ اللهِ تُبْعَثُ، فَمَرُّوا عَلَىٰ قَوْمِ ضِمَادٍ، فَقَالَ صَاحِبُ السَّرِيَّةِ لِلْجَيْشِ: هَلْ أَصَبْتُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ شَيْئًا؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَصَبْتُ مِنْهُمْ مِطْهَرَةً، فَقَالَ: رُدُّوهَا؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمُ ضُمَادٍ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

◉◉◉

www.menhag-un.com

إِسْلَامُ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ رضي الله عنه

* **كذَلِكَ إِسْلَامُ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ رضي الله عنه:**

قَالَ عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ السُّلَمِيُّ: كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَىٰ ضَلَالَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلَىٰ رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مُسْتَخْفِيًا جُرَءَاءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّىٰ دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: «أَنَا نَبِيٌّ»، فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: «أَرْسَلَنِي اللهُ»، فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ، قَالَ: «أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللهُ لَا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ»، قُلْتُ لَهُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلَىٰ هَذَا؟ قَالَ: «حُرٌّ، وَعَبْدٌ»، قَالَ: وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ، وَبِلَالٌ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ، فَقُلْتُ: إِنِّي مُتَّبِعُكَ، قَالَ: «إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا، أَلَا تَرَىٰ حَالِي وَحَالَ النَّاسِ، وَلَكِنِ ارْجِعْ إِلَىٰ أَهْلِكَ فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي».

قَالَ: فَذَهَبْتُ إِلَىٰ أَهْلِي وَقَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، وَكُنْتُ فِي أَهْلِي فَجَعَلْتُ أَتَخَبَّرُ الْأَخْبَارَ، وَأَسْأَلُ النَّاسَ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، حَتَّىٰ قَدِمَ عَلَيَّ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةَ، فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدِمَ الْمَدِينَةَ؟ فَقَالُوا

النَّاسُ: إِلَيْهِ سِرَاعٌ وَقَدْ أَرَادَ قَوْمُهُ قَتْلَهُ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ، فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَتَعْرِفُنِي؟ قَالَ: «نَعَمْ، أَنْتَ الَّذِي لَقِيتَنِي بِمَكَّةَ» وذَكَر بَقِيَّةَ الْحَدِيثِ وَفِيهِ: أَنَّهُ سَأَلَهُ عَنِ الصَّلَاةِ وَالْوُضُوءِ. وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ».

❁ ❁ ❁

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

إِسْلَامِ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ رضي الله عنه

*** كَذَلِكَ مَا كَانَ مِنْ إِسْلَامِ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه:**

وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ إِسْلَامَ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ -وَاسْمُهُ جُنْدُب بْنُ جَنَادَةَ رضي الله عنه تَأَخَّرَ بَعْدَ الْبِعْثَةِ بِعِدَّةِ سَنَوَاتٍ، وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ ابْنُ سَعْدٍ فِي «طَبَقَاتِهِ» مِنْ أَنَّهُ رضي الله عنه أَسْلَمَ فِي بِدَايَةِ الدَّعْوَةِ السِّرِّيَّةِ؛ فَفِيهِ نَظَرٌ.

وَكَانَ رضي الله عنه يَبْحَثُ عَنِ الْحَقِّ، وَقِصَّةُ إِسْلَامِهِ رضي الله عنه أَخْرَجَهَا الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» مَعَ تَغَايُرٍ بَيْنَهُمَا.

- رِوَايَةُ الْإِمَامِ مُسْلِمٍ وَاللَّفْظُ لِأَحْمَدَ:

قَالَ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه: خَرَجْنَا مِنْ قَوْمِنَا غِفَارٍ،أنا وأخِي أُنَيْسٌ، وأُمُّنَا، فقَالَ أُنَيْسٌ: إِنَّ لِي حَاجَةً بِمَكَّةَ، فاكْفِنِي حتَّىٰ آتِيَكَ..

قَالَ: فَانْطَلَقَ فَرَاثَ -أَيْ: أَبْطَأَ عَلَيَّ-، عَلَيَّ، ثمَّ أَتَانِي، فقُلْتُ: مَا حبَسَكَ؟

قَالَ: لَقِيتُ رَجُلًا يَزْعُمُ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَهُ عَلَىٰ دِينِكَ.

فقُلْتُ: مَا يَقُولُ النَّاسُ لَهُ؟

قال: يَقُولُونَ: إِنَّهُ شَاعِرٌ وسَاحِرٌ وكَاهِنٌ -وكَانَ أُنَيْسُ شَاعِرًا-.

فقَالَ أُنَيْسٌ: قَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الكُهَّانِ، فَمَا يَقُولُ بِقَوْلِهِمْ، وقَدْ وَضَعْتُ قَوْلَهُ عَلَىٰ أَقْرَاءِ الشِّعْرِ، فَوَاللهِ مَا يَلْتَئِمُ لِسَانُ أَحَدٍ أَنَّهُ شِعْرٌ، واللهِ إِنَّهُ لَصَادِقٌ، وإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ.

فقَالَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: هَلْ أَنْتَ كَافِيَّ حتَّىٰ أَنْطَلِقَ فَأَنْظُرَ؟

قَالَ: نَعَمْ، فكُنْ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ عَلَىٰ حَذَرٍ، فإِنَّهُمْ قَدْ شَنِفُوا لَهُ -أي أَبْغَضُوهُ -، وتَجَهَّمُوا لَهُ -أَيْ: لَقُوهُ بِالْغِلْظَةِ وَالْوَجْهِ الْكَرِيهِ-.

قَالَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فَانْطَلَقْتُ حتَّىٰ قَدِمْتُ مَكَّةَ، فتَضعَّفْتُ رَجُلًا مِنْهُمْ -يعني نَظَرْتُ إلىٰ أَضْعَفِهِمْ، فسألتُهُ-، فَقُلْتُ: أَيْنَ هذَا الرَّجُلُ الذِي تَدْعُونَهُ الصَّابِئَ؟

فأَشَارَ إِلَيَّ، وَقَالَ: الصَّابِئُ، فَمَالَ أَهْلُ الوَادِي عَلَيَّ بِكُلِّ مَدَرَةٍ- أي الطِّينُ المُتَمَاسِكُ-، وَعَظْمٍ حتَّىٰ خَرَرْتُ مَغْشِيًّا عَلَيَّ، فَارْتَفَعَتُ حِينَ ارْتَفَعَتُ، كَأَنِّي نُصُبٌ أَحْمَرُ - النُّصُبُ: بِضَمِّ النُّونِ هُوَ الصَّنَمُ، وَكَانُوا فِي الجَاهِلِيَّةِ يَنْصِبُونَ الصَّنَمَ، ويَذْبَحونَ عِنْدَهُ، فيَحْمَرُّ بِالدَّمِ، ويَقْصِدُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ مِنْ كَثْرَةِ الدِّماءِ التي سَالتْ منهُ صار كأَنَّهُ الصَّنَمُ المُمْتَلِئُ بالدِّماء من كثرةِ ما يُذْبَحُ عنده-، فأَتَيْتُ زَمْزَمَ فَشَرِبْتُ مِنْ مَائِهَا، وغَسَلْتُ عَنِّي الدَّمَ، ولقدْ لَبِثْتُ ثَلَاثِينَ، بَيْنَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، ما كَانَ لِي طَعَامٌ سِوَىٰ مَاءِ زَمْزَمَ، فَسَمِنْتُ حتَّىٰ تَكَسَّرَتْ عُكَنُ بَطْنِي، ومَا وَجَدْتُ عَلَىٰ كَبِدِي سَخْفَةَ جُوعٍ.

قَالَ رضي الله عنه: فَبَيْنَا أَهْلُ مَكَّةَ فِي لَيْلَةٍ قَمْرَاءَ إِضْحِيَانَ، إِذْ ضَرَبَ اللهُ عَلَىٰ أَصْمِخَةِ أَهْلِ مَكَّةَ، فَمَا يَطُوفُ بالبَيْتِ غَيْرُ امْرَأَتَيْنِ، فَأَتتَا عَلَيَّ، وهُمَا تَدْعُوَانِ إِسَافَ ونَائِلَةَ، فَقُلْتُ: أَنْكِحُوا أَحَدَهُمَا الآخِرَ، فمَا ثنَاهُمَا ذَلِكَ، فَأَتتَا عَلَيَّ، فَقُلْتُ: وَهَنٌ مِثْلُ الخَشَبَةِ، غَيْرَ أَنِّي لَمْ أُكَنِّ، فَانْطَلَقتَا تُوَلْوِلَانِ، وتَقُولَانِ: لَوْ كَانَ هَاهُنَا أَحَدٌ مِنْ أَنْفَارِنَا!

قَالَ: فَاسْتَقْبَلَهُمَا رسُولُ اللهِ ﷺ وأَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، وهُمَا هَابِطَانِ مِنَ الجَبَلِ، فَقَالَا: «مَا لَكُمَا؟».

قَالَتَا: الصَّابِئُ بَيْنَ الكَعْبَةِ وأَسْتَارِهَا.

قَالَا: «مَا قَالَ لَكُمَا؟».

قَالَتَا: قَالَ لَنَا كَلِمَةً تَمْلَأُ الفَمَ.

قال أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه: فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ وصَاحِبُهُ حتَّىٰ اسْتَلَمَ الحَجَرَ، فَطَافَ بِالْبَيْتِ، ثُمَّ صَلَّىٰ، فلَمَّا قَضَىٰ صَلَاتَهُ أَتَيْتُهُ، فكنْتُ أَوَّلَ مَنْ حَيَّاهُ بِتَحِيَّةِ الإِسْلَامِ، فَقُلْتُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يا رَسُولَ اللهِ.

فقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وعَلَيْكَ السَّلَامُ ورَحْمَةُ اللهِ»، ثُمَّ قَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «مِمَّنْ أَنْتَ؟».

قُلْتُ: مِنْ غِفَارٍ، قَالَ: فَأَهْوَىٰ بِيَدِهِ، فَوَضَعَهَا عَلَىٰ جَبْهَتِهِ.

www.menhag-un.com

فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: كَرِهَ أَنِّي انْتَمَيْتُ إِلَىٰ غِفَارٍ، ثمَّ قَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «ومَتَىٰ كُنْتَ هَاهُنَا؟».

قُلْتُ: كُنْتُ هَاهُنَا مُنْذُ ثَلَاثِينَ بَيْنَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ.

فقَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «فَمَنْ كَانَ يُطْعِمُكَ؟».

قُلْتُ: مَا كَانَ لِيَ طَعَامٌ إِلَّا مَاءُ زَمْزَمَ، فَسَمِنْتُ حتَّىٰ تَكَسَّرَتْ عُكَنُ بَطْنِي، ومَا وَجَدْتُ عَلَىٰ كَبِدِي سَخْفَةَ جُوعٍ.

فقَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّهَا مُبارَكَةٌ، إِنَّهَا طَعَامُ طُعْمٍ».

فقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: يا رَسُولَ اللهِ! ائْذَنْ لِي فِي طَعَامِهِ اللَّيْلَةَ، قَالَ: فَفَعَلَ.

فانْطَلَقَ رسُولُ اللهِ ﷺ وأَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، وانْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، حتَّىٰ فتَحَ أَبُو بَكْرٍ بَابًا، فَجَعَلَ يَقْبِضُ لَنَا مِنْ زَبِيبِ الطَّائِفِ.

قَالَ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه: فكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ طَعَامٍ أَكَلْتُهُ بِهَا، فَلَبِثْتُ مَا لَبِثْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُ رسُولَ اللهِ ﷺ، فقَالَ: «إِنِّي قَدْ وُجِّهْتُ إِلَىٰ أَرْضٍ ذَاتِ نَخْلٍ، ولَا أَحْسِبُهَا إِلَّا يَثْرِبَ، فَهَلْ أَنْتَ مُبَلِّغٌ عَنِّي قَوْمَكَ؟ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَنْفَعَهُمْ بِكَ ويَأْجُرَكَ فِيهِمْ؟».

قَالَ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه: فَانْطَلَقْتُ حتَّىٰ أَتَيْتُ أَخِي أُنَيْسًا، فقَالَ لِي: مَا صَنَعْتَ؟

قُلْتُ: صَنَعْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ وصَدَّقْتُ.

قَالَ أُنَيْسٌ: فَمَا بِي رَغْبَةٌ عَنْ دِينِكَ، فإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ، ثُمَّ أَتَيْنَا أُمَّنَا، فقَالَتْ: فَمَا بِي رَغْبَةٌ عَنْ دِينِكُمَا، فإِنِّي أَسْلَمْتُ وصَدَّقْتُ، فَاحْتَمَلْنَا حتَّىٰ أَتَيْنَا قَوْمَنَا غِفَارٍ، فأَسْلَمَ نِصْفُهُمْ، وكَانَ يَؤُمُّهُمْ إيمَاءُ بنُ رَخَصَةَ الْغِفَارِيُّ، وكَانَ سَيِّدَهُمْ.

ثُمَّ قَدِمَتْ قَبِيلَةُ غِفَارٍ عَلَىٰ رسُولِ الله ﷺ وهُوَ فِي المَدِينَةِ بَعْدَ أَنْ ذَهَبَتْ غَزْوَةُ بَدْرٍ، وَأُحُدٍ، وصَادَفَ قُدُومُهُمْ قُدُومَ قَبِيلَةِ أَسْلَمَ، فَلَمَّا أَعْلَنُوا إِسْلَامَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «غِفَارٌ غَفَرَ اللهُ لَهَا، وَأَسْلَمُ سَالَمَهَا اللهُ».

هَذِهِ رِوَايَةُ الْإِمَامِ مُسْلِمٍ وَاللَّفْظُ لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ.

- وَأَمَّا رِوَايَةُ البُخَارِيِّ فِي «صَحِيحِهِ»:

مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثُ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ لِأَخِيهِ: ارْكَبْ إِلَىٰ هَذَا الوَادِي فَاعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، يَأْتِيهِ الخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ، وَاسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ ثُمَّ ائْتِنِي، فَانْطَلَقَ الأَخُ حَتَّىٰ قَدِمَهُ، وَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَىٰ أَبِي ذَرٍّ فَقَالَ لَهُ: رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الأَخْلاَقِ، وَكَلاَمًا مَا هُوَ بِالشِّعْرِ.

فَقَالَ: مَا شَفَيْتَنِي مِمَّا أَرَدْتُ، فَتَزَوَّدَ وَحَمَلَ شَنَّةً لَهُ فِيهَا مَاءٌ، حَتَّىٰ قَدِمَ مَكَّةَ، فَأَتَىٰ المَسْجِدَ فَالْتَمَسَ النَّبِيَّ ﷺ وَلاَ يَعْرِفُهُ، وَكَرِهَ أَنْ يَسْأَلَ عَنْهُ حَتَّىٰ أَدْرَكَهُ بَعْضُ اللَّيْلِ، فَاضْطَجَعَ فَرَآهُ عَلِيٌّ فَعَرَفَ أَنَّهُ غَرِيبٌ، فَلَمَّا رَآهُ تَبِعَهُ فَلَمْ يَسْأَلْ وَاحِدٌ

مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أَصْبَحَ، ثُمَّ احْتَمَلَ قِرْبَتَهُ وَزَادَهُ إِلَىٰ المَسْجِدِ، وَظَلَّ ذَلِكَ اليَوْمَ وَلاَ يَرَاهُ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّىٰ أَمْسَىٰ، فَعَادَ إِلَىٰ مَضْجَعِهِ، فَمَرَّ بِهِ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَالَ: أَمَا نَالَ لِلرَّجُلِ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَهُ؟

[نَالَ أَيْ حَانَ].

فَأَقَامَهُ فَذَهَبَ بِهِ مَعَهُ، لاَ يَسْأَلُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ، حَتَّىٰ إِذَا كَانَ يَوْمُ الثَّالِثِ، فَعَادَ عَلِيٌّ عَلَىٰ مِثْلِ ذَلِكَ، فَأَقَامَ مَعَهُ ثُمَّ قَالَ لِأَبِي ذَرٍّ: أَلاَ تُحَدِّثُنِي مَا الَّذِي أَقْدَمَكَ؟

قَالَ: إِنْ أَعْطَيْتَنِي عَهْدًا وَمِيثَاقًا لَتُرْشِدَنِّي فَعَلْتُ، فَفَعَلَ فَأَخْبَرَهُ، قَالَ: فَإِنَّهُ حَقٌّ، وَهُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَاتَّبِعْنِي، فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتُ شَيْئًا أَخَافُ عَلَيْكَ قُمْتُ كَأَنِّي أُرِيقُ المَاءَ، فَإِنْ مَضَيْتُ فَاتْبَعْنِي حَتَّىٰ تَدْخُلَ مَدْخَلِي فَفَعَلَ، فَانْطَلَقَ يَقْفُوهُ حَتَّىٰ دَخَلَ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، وَدَخَلَ مَعَهُ، فَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ وَأَسْلَمَ مَكَانَهُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**ارْجِعْ إِلَىٰ قَوْمِكَ فَأَخْبِرْهُمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ أَمْرِي**».

هَذِهِ رِوَايَةُ الْإِمَامِ الْبُخَارِيِّ رَحِمَهُ اللهُ فِي قِصَّةِ إِسْلَامِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَهَاهُنَا أَدِلَّةٌ تَدُلُّ عَلَىٰ تَأَخُّرِ إِسْلَامِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

مِنْهَا: ضِيَافَةُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِأَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: «وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ قِصَّةَ أَبِي ذَرٍّ وَقَعَتْ بَعْدَ الْمَبْعَثِ بِأَكْثَرَ مِنْ سَنَتَيْنِ؛ بِحَيْثُ يَتَهَيَّأُ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنْ يَسْتَقِلَّ بِمُخَاطَبَةِ الْغَرِيبِ وَيُضِيفُهُ، فَإِنَّ الْأَصَحَّ فِي سِنِّ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حِينَ الْمَبْعَثِ كَانَ عَشْرَ سِنِينَ».

كَذَلِكَ قَوْلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِأَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه: «**إِنِّي قَدْ وُجِّهْتُ إِلَىٰ أَرْضٍ ذَاتِ نَخْلٍ، لَا أَرَاهَا إِلَّا يَثْرِبَ**».

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: «فَإِنَّ ذَلِكَ يُشْعِرُ بِأَنَّ وُقُوعَ ذَلِكَ كَانَ قُرْبَ الْهِجْرَةِ».

كَذَلِكَ قَوْلُ أُنَيْسٍ رضي الله عنه لِأَخِيهِ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه: لَقِيتُ رَجُلًا يَزْعُمُ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَهُ عَلَىٰ دِينِكَ.

فَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ أَبَا ذَرٍّ كَانَ قَدْ أَسْلَمَ قَبْلَ لِقَائِهِ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَمْ يَنْتَشِرْ أَمْرُ الرَّسُولِ ﷺ فِي الْجَزِيرَةِ إِلَّا بَعْدَ عِدَّةِ سَنَوَاتٍ مِنْ بِعْثَتِهِ ﷺ؛ مِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ تَأَخُّرِ إِسْلَامِهِ رضي الله عنه.

رَوَىٰ ابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ»، وَالْحَاكِمُ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ: عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ رُبُعَ الْإِسْلَامِ، أَسْلَمَ قَبْلِي ثَلَاثَةٌ، وَأَنَا الرَّابِعُ، أَتَيْتُ نَبِيَّ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ لَهُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَرَأَيْتُ الِاسْتِبْشَارَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**مَنْ أَنْتَ؟**» فَقُلْتُ: إِنِّي جُنْدُبٌ، رَجُلٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ. هَذَا ضَعِيفٌ كَمَا ذُكِرَ.

وَرَوَىٰ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ: عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي رُبُعَ الْإِسْلَامِ، لَمْ يُسْلِمْ قَبْلِي إِلَّا النَّبِيُّ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَبِلَالٌ.

وَالْأَدِلَّةُ عَلَىٰ تَأَخُّرِ إِسْلَامِهِ عَنْ ذَلِكَ مَرَّ ذِكْرُهَا.

مِنْ ذَلِكَ أَيْضًا؛ أَيْ مِنْ فَشَلِ الدِّعَايَةِ الْقُرَشِيَّةِ ضِدَّ النَّبِيِّ ﷺ، وَضِدَّ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، حَتَّىٰ إِنَّ مَا كَانُوا يَأْتُونَ بِهَا مِنْ دِعَايَاتِهِمْ ضِدَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَدَعْوَتِهِ، كَانَ يَأْتِي فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ بِنَتَائِجَ إِيجَابِيَّةٍ لِصَالِحِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ؛ كَإِسْلَامِ هَؤُلَاءِ رضي الله عنهم.

www.menhag-un.com

إِسْلَامُ الْحُصَيْنِ وَالِدِ عِمْرَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

* **كَذَلِكَ إِسْلَامُ الْحُصَيْنِ وَالِدِ عِمْرَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:**

جَاءَتْ قُرَيْشٌ إِلَىٰ الْحُصَيْنِ، وَكَانَتْ تُعَظِّمُهُ، فقَالُوا لَهُ: كَلِّمْ لَنَا هَذَا الرَّجُلَ، فَإِنَّهُ يَذْكُرُ آلِهَتَنا وَيَسُبُّهُمْ، فَجَاءُوا مَعَهُ حَتَّىٰ جَلَسُوا قَرِيبًا مِنْ بَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**أَوْسِعُوا لِلشَّيْخِ**»، وَعِمْرَانُ وَأَصْحَابُهُ مُتَوَفِّرُونَ، قَالَ حُصَيْنٌ: مَا هَذَا الَّذِي بَلَغَنَا عَنْكَ؛ أَنَّكَ تَشْتُمُ آلِهَتَنَا، وَتَذْكُرُهُمْ، وَقَدْ كَانَ أَبُوكَ حَصِينَةً وَخَيْرًا؟ فَقَالَ: «**يَا حُصَيْنُ؛ إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ، يَا حُصَيْنُ؛ كَمْ تَعْبُدُ مِنْ إِلَهٍ؟**» قَالَ: سَبْعًا فِي الْأَرْضِ، وَوَاحِدًا فِي السَّمَاءِ، فَقَالَ: «**فَإِذَا أَصَابَكَ الضُّرُّ مَنْ تَدْعُو؟**» قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «**فَإِذَا هَلَكَ الْمَالُ مَنْ تَدْعُو؟**» قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «**فَيَسْتَجِيبُ لَكَ وَحْدَهُ وَتُشْرِكُهُمْ مَعَهُ؟ أَرَضِيتَهُ فِي الشُّكْرِ أَمْ تَخَافُ أَنْ يَغْلِبَ عَلَيْكَ؟**» قَالَ: وَلَا وَاحِدَةً مِنْ هَاتَيْنِ، قَالَ -يَقُولُ حُصَيْنٌ-: وعَلِمْتُ أَنِّي لَمْ أُكَلِّمْ مِثْلَهُ -لِأَنَّهُ يَأْتِي بِالْحُجَّةِ سَهْلَةً سَرِيعَةَ الْفَهْمِ، سَرِيعَةَ الدُّلُوفِ إِلَىٰ الْعَقْلِ وَالْقَلْبِ-، قَالَ: «**يَا حُصَيْنُ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ**»، قَالَ: إِنَّ لِي قَوْمًا وَعَشِيرَةً، فَمَاذَا أَقُولُ؟ قَالَ: «**قُلْ: اللَّهُمَّ أَسْتَهْدِيكَ لِأَرْشَدِ أَمْرِي، وَزِدْنِي عِلْمًا يَنْفَعُنِي**»، فَقَالَهَا حُصَيْنٌ فَلَمْ يَقُمْ حَتَّىٰ أَسْلَمَ، فَقَامَ إِلَيْهِ عِمْرَانُ فَقَبَّلَ رَأْسَهُ وَيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، فَلَمَّا

رَأَىٰ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ بَكَىٰ، وَقَالَ: «**بَكَيْتُ مِنْ صَنِيعِ عِمْرَانَ، دَخَلَ حُصَيْنٌ وَهُوَ كَافِرٌ فَلَمْ يَقُمْ إِلَيْهِ عِمْرَانُ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ نَاحِيَتَهُ -وَهُوَ أَبُوهُ-، فَلَمَّا أَسْلَمَ قَضَىٰ حَقَّهُ -فَقَبَّلَ رَأْسَهُ وَيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ- فَدَخَلَنِي مِنْ ذَلِكَ الرِّقَّةُ**»، فَلَمَّا أَرَادَ حُصَيْنٌ أَنْ يَخْرُجَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «**قُومُوا فَشَيِّعُوهُ إِلَىٰ مَنْزِلِهِ**»، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ سُدَّةِ الْبَابِ رَأَتْهُ قُرَيْشٌ، فَقَالُوا: صَبَأَ وَتَفَرَّقُوا عَنْهُ.

لَعَلَّ الَّذِي حَدَا بِالْحُصَيْنِ وَالِدِ عِمْرَانَ أَنْ يُسْلِمَ بِهَذِهِ السُّرْعَةِ؛ سَلَامَةُ فِطْرَتِهِ، وَحُسْنُ اسْتِعْدَادِهِ مِنْ نَاحِيَةٍ، وَقُوَّةُ حُجَّةِ الرَّسُولِ ﷺ وَسَلَامَةُ مَنْطِقِهِ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَىٰ.

نُلَاحِظُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ اسْتَخْدَمَ أُسْلُوبَ الْحِوَارِ مَعَ الْحُصَيْنِ رضي الله عنه؛ لِغَرْسِ مَعَانِي التَّوْحِيدِ فِي نَفْسِهِ، وَنَسْفِ الْعَقَائِدِ الْبَاطِلَةِ الَّتِي كَانَ يَعْتَقِدُهَا.

فَإِنَّهُ يَقُولُ: «**كَمْ تَعْبُدُ مِنْ إِلَهٍ؟**» قَالَ: سَبْعًا فِي الْأَرْضِ، وَوَاحِدًا فِي السَّمَاءِ، فَتَدَرَّجَ مَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّىٰ أَلْقَىٰ مَقَادَةَ قَلْبِهِ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ دَاخِلًا فِي دِينِهِ وَمُتَّبِعًا لِنَبِيِّهِ ﷺ.

◉◉◉

www.menhag-un.com

مِنْ أَسَالِيبِ قُرَيْشٍ فِي مُحَارَبَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَالدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ:

٥- أُسْلُوبُ السُّخْرِيَةِ وَالِاسْتِهْزَاءِ وَالتَّكْذِيبِ.

وَقَدْ لَجَأَتْ قُرَيْشٌ إِلَىٰ هَذَا الْأُسْلُوبِ؛ لِتَخْذِيلِ الْمُسْلِمِينَ، وَتَوْهِينِ قُوَاهُمْ الْمَعْنَوِيَّةِ، فَرَمَوُا النَّبِيَّ ﷺ بِالْجُنُونِ، وَوَصَمُوهُ بِالسِّحْرِ، وَالْكَذِبِ، وَقَوْلِ الشِّعْرِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: «وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا تَلَا عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، ودَعَاهُمْ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، قَالُوا يَهْزَؤُونَ: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ [فصلت: ٥]؛ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا ٤٥ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا﴾ [الإسراء: ٤٥-٤٦].

أَيْ: كَيْفَ فَهِمُوا تَوْحِيدَكَ رَبَّكَ إِنْ كُنْتَ جَعَلْتَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً، وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا، وَبَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ حِجَابًا بِزَعْمِهِمْ؟! أَيْ: إِنِّي لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ: ﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذۡ يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ إِذۡ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا﴾ [الإسراء: ٤٧]؛ أَيْ: ذَلِكَ مَا تَوَاصَوْا بِهِ مِنْ تَرْكِ مَا بَعَثْتُكَ بِهِ إِلَيْهِمْ

﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ﴾ [الإسراء: ٤٨]؛ أَيْ: أَخْطَؤُوا الْمَثَلَ الَّذِي ضَرَبُوهُ لَكَ، فَلَا يُصِيبُونَ بِهِ هُدًى، وَلَا يَعْتَدِلُ لَهُمْ فِيهِ قَوْلٌ.

﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴾ [الإسراء: ٤٩]؛ أَيْ: قَدْ جِئْتُ تُخْبِرُنَا أَنَّا سَنُبْعَثُ بَعْدَ مَوْتِنَا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا، وَذَلِكَ مَا لَا يَكُونُ ﴿ ۞ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ ﴾ [الإسراء: ٥٠-٥١]؛ أَيْ: الَّذِي خَلَقَكُمْ مِمَّا تَعْرِفُونَ، فَلَيْسَ خَلْقُكُمْ مِنْ تُرَابٍ بِأَعَزَّ مِنْ ذَلِكَ عَلَيْهِ.

سَلَكَ الْمُشْرِكُونَ فِي مُوَاجَهَتِهِمْ لِلدِّينِ الْجَدِيدِ أُسْلُوبَ السُّخْرِيَةِ وَالِاسْتِهْزَاءِ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَبِمَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مِنَ الْوَحْيِ؛ فَكَانُوا يَقُولُونَ: أَمَا وَجَدَ اللهُ إِلَّا أَنْ يُرْسِلَ مُحَمَّدًا وَفِي قُرَيْشٍ مَنْ هُوَ أَشْرَفُ مِنْهُ وَأَعْظَمُ؟ كَمَا قَالَ تَعَالَى عَنْهُمْ: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٣١].

فَكَانُوا لَا يُسَمُّونَهُ بِاسْمِهِ، بَلْ بِأَلْقَابٍ فِيهَا السُّخْرِيَةُ وَالِاسْتِهْزَاءُ؛ مِثْلَ «مُذَمَّمٍ» وَ «الصَّابِئِ»، وَرَمَوْهُ بِالسِّحْرِ، وَالْكَهَانَةِ، وَالْجُنُونِ، وَالْكَذِبِ؛ وَقَدْ رَدَّ اللهُ عَلَيْهِمْ فِي كُلِّ مَا اتَّهَمُوهُ بِهِ مِنْ تِلْكَ الْأَوْصَافِ الَّتِي هُمْ أَوَّلُ مَنْ يَعْلَمُ بَرَاءَتَهُ مِنْهَا.

كَمَا كَانُوا يَسْخَرُونَ مِنَ أَتْبَاعِهِ؛ فَيَقُولُونَ: أَمَا تَبِعَهُ إِلَّا هَؤُلَاءِ مِنْ بَيْنِنَا؟ وَيَقُولُونَ لَهُ سُخْرِيَةً: إِذَا أَرَدْتَ أَنْ نَتَّبِعَكَ فَاطْرُدْهُمْ عَنْكَ.

وَقَدْ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ مَا يُبَيِّنُ بَعْضَ مَشَاهِدِ اسْتِهْزَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِالْمُؤْمِنِينَ:

- كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِي «سُورَةِ الْمُطَفِّفِينَ»: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ﴾ [المطففين: ٢٩-٣٣].

- يَقُولُ تَعَالَىٰ عَنْ سُخْرِيَتِهِمْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣].

- وَرَوَىٰ الْبُخَارِيُّ: أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ لِلرَّسُولِ -سَاخِرَةً مُسْتَهْزِئَةً-: «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ شَيْطَانُكَ قَدْ تَرَكَكَ، لَمْ أَرَهُ قَرُبَكَ مُنْذُ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا»؛ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحىٰ: ١-٣].

- وَرَوَىٰ الْبُخَارِيُّ: أَنَّ أَبَا جَهْلٍ قَالَ مُسْتَهْزِئًا: «اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ»؛ فَنَزَلَتْ: ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الأنفال: ٣٢-٣٤].

- وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ حَدِيثَ الْإِرَاشِيِّ الَّذِي ابْتَاعَ مِنْهُ أَبُو جَهْلٍ الْإِبِلَ وَمَطَلَهُ بِأَثْمَانِهَا، وَدَلَالَةِ قُرَيْشٍ إِيَّاهُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ لِيُنْصِفَهُ مِنْ أَبِي جَهْلٍ اسْتِهْزَاءً

لِمَا يَعْلَمُونَ مِنَ الْعَدَاوَةِ بَيْنَهُمَا، وَعِنْدَمَا جَاءَ الْإِراشِيُّ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ شَاكِيًا، مَشَىٰ مَعَهُ إِلَىٰ أَبِي جَهْلٍ وأَخَذَ لَهُ بِحَقِّهِ، -وَفِي صِحَّةِ هَذِهِ الْقِصَّةِ نَظَرَ- وَعِنْدَمَا سَأَلَتْ قُرَيْشٌ عَنْ صَنِيعِهِ هَذَا، قَالَ: وَيْحَكُمْ!! وَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ ضَرَبَ عَلِيٌّ بَابِي وَسَمِعْتُ صَوْتَهُ؛ مُلِئْتُ رُعْبًا، ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَيْهِ وَإِنَّ فَوْقَ رَأْسِهِ لَفَحْلًا مِنَ الْإِبِلِ، مَا رَأَيْتُ مِثْلَ هَامَتِهِ، وَلَا قَصْرَتِهِ، وَلَا أَنْيَابِهِ لِفَحْلٍ قَطُّ، وَاللهِ لَوْ أَبَيْتَ لَأَكَلَنِي.

- وَقَالَ تَعَالَىٰ عَنْ ضَحِكِهِمْ وَغَمَزِهِمْ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ﴾ [المطففين: ٢٩-٣١].

- وَثَبَتَ مِنْ طُرُقٍ صَحِيحَةٍ أَنَّ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ اجْتَمَعُوا يَوْمًا فِي الْحِجْرِ يَتَذَاكَرُونَ أَمْرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَا جَاءَ بِهِ، وَبَيْنَمَا هُمْ فِي ذَلِكَ إِذْ طَلَعَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِيَطُوفَ بِالْبَيْتِ، فَلَمَّا مَرَّ بِهِمْ غَمَزُوهُ بِبَعْضِ الْقَوْلِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ لَهُمْ: «**يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ!! أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ**»، وَقَدْ فَزِعُوا مِنْ ذَلِكَ الْمَوْقِفِ فَزَعًا عَظِيمًا.

- وَمِنْ مُنْطَلَقِ الِاسْتِهْزَاءِ وَالِاسْتِعْلَاءِ وَالسُّخْرِيَةِ، قَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «لَا نَرْضَىٰ بِمُجَالَسَةِ أَمْثَالِ هَؤُلَاءِ -يَعْنُونَ صُهَيْبًا وَبِلَالًا وَخَبَّابًا- فَاطْرُدْهُمْ عَنْكَ»، فَهَمَّ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ؛ طَمَعًا فِي إِسْلَامِهِمْ وَإِسْلَامِ قَوْمِهِمْ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ

حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٢].

الَّذِي يَعْلَمُ هَذَا، وَمَا وَاجَهَهُ الرَّسُولُ ﷺ -وَهُوَ أَشْرَفُ الْخَلْقِ وَأَحَبُّهُمْ إِلَىٰ اللهِ جَلَّ وَعَلَا-، وَكَذَلِكَ مَا نَالَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ -وَهُمْ خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ-، وَمَا لَقِيَهُ النَّبِيُّ ﷺ، وَمَا لَقِيَهُ أَصْحَابُهُ مِنَ الِاسْتِهْزَاءِ وَالسُّخْرِيَةِ كَانَ كَثِيرًا جِدًّا.

فَالدَّاعِي إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِذَا مَسَّهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَلَا يَجْزَعَنَّ؛ فَإِنَّ لَهُ فِي النَّبِيِّ ﷺ الْأُسْوَةَ، وَفِي أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ الْقُدْوَةَ، وَقَدْ نَالَهُمْ مَا نَالَهُمْ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ كَثِيرٌ كَثِيرٌ.

كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُو أَشْرَافَ قُرَيْشٍ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَلَا يَأْلُو جَهْدًا فِي نُصْحِهِمْ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَوْمًا مَعَ نَفَرٍ مِنْ زُعَمَائِهِمْ وَكُبَرَائِهِمْ، فِيهِمْ: الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، وَعُتْبَةُ وَشَيْبَةُ ابْنَا رَبِيعَةَ، يَتَأَلَّفُهُمْ وَيَعْرِضُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، إِذْ أَقْبَلَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ الْأَعْمَىٰ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَجَعَلَ يَسْأَلُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَيَسْتَقْرِئُهُ الْقُرْآنَ، فَشَقَّ ذَلِكَ مِنْهُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ أَضْجَرَهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ شَغَلَهُ عَمَّا كَانَ فِيهِ مِنْ أَمْرِ الْوَلِيدِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَا طَمِعَ فِيهِ مِنْ إِسْلَامِهِمْ، فَلَمَّا أَكْثَرَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ خَافَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَكُونَ الْتِفَاتُهُ إِلَىٰ ذَلِكَ الْمِسْكِينِ يُنَفِّرُ عَنْهُ قُلُوبَ أُولَئِكَ الزُّعَمَاءِ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ وَعَبَسَ فِي وَجْهِهِ، وَأَقْبَلَ عَلَىٰ الْآخَرِينَ؛

فَعَاتَبَهُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي ذَلِكَ وَعَلَيْهِ، وَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾ [عبس: ١-١٤].

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: «أَيْ يَقُولُ لَهُ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، لَمْ أَخُصَّ بِكَ أَحَدًا دُونَ أَحَدٍ، فَلَا تَمْنَعْهُ مِمَّنِ ابْتَغَاهُ، وَلَا تَتَصَدَّيْنَ بِهِ لِمَنْ لَا يُرِيدُهُ».

رَوَىٰ الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ: عَنْ مُسْلِمِ بْنِ صُبَيْحٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَىٰ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وَعِنْدَهَا رَجُلٌ مَكْفُوفٌ، وَهِيَ تُقَطِّعُ لَهُ الْأَتْرَجَ وَتُطْعِمُهُ إِيَّاهُ بِالْعَسَلِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ؟، قَالَتْ: هَذَا ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ الَّذِي عَاتَبَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِيهِ نَبِيَّهُ ﷺ، قَالَتْ: أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، وَعِنْدَهُ عُتْبَةُ وَشَيْبَةُ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَيْهِمَا؛ فَنَزَلَتْ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾ [عبس: ١-٢].

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «إِنَّمَا قَصَدَ النَّبِيُّ ﷺ تَأْلِيفَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ، ثِقَةً بِمَا كَانَ فِي قَلْبِ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ مِنَ الْإِيمَانِ، كَمَا قَالَ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ: «**إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ، خَشْيَةَ أَنْ يُكِبَّهُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي النَّارِ**». الْحَدِيثُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ عَاتَبَ اللهُ تَعَالَىٰ حَبِيبَهُ وَخَلِيلَهُ وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ؛ حَتَّىٰ لَا تَنْكَسِرَ قُلُوبُ أَهْلِ الصُّفَّةِ، أَوْ لِيَعْلَمَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ الْفَقِيرَ خَيْرٌ مِنَ الْغَنِيِّ الْكَافِرِ، وَكَانَ النَّظَرُ إِلَىٰ الْمُؤْمِنِ أَوْلَىٰ، وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا، أَصْلَحُ وَأَوْلَىٰ مِنَ

الْأَمْرِ الْآخَرِ، وَهُوَ الْإِقْبَالُ عَلَىٰ الْأَغْنِيَاءِ طَمَعًا فِي إِيمَانِهِمْ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ أَيْضًا نَوْعًا مِنَ الْمَصْلَحَةِ».

هَاهُنَا حَدِيثٌ لَا أَصْلَ لَهُ:

وَهُوَ مَا اشْتُهِرَ مِنْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا رَأَىٰ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ لَهُ: «**أَهْلًا أَوْ مَرْحَبًا بِالَّذِي عَاتَبَنِي فِيهِ رَبِّي**».

قَالَ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «السِّلْسِلَةِ الضَّعِيفَةِ»: «لَا أَعْلَمُ لِهَذَا الْحَدِيثِ أَصْلًا يُمْكِنُ الِاعْتِمَادُ عَلَيْهِ».

❁ ❁ ❁

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة الْخَامِسَة)

مِنْ مَادَّةِ

سِيرَة النَّبِيِّ ﷺ

[الْعَهْدُ الْمَكِّيُّ - ج٢]

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مِنْ كِبَارِ الْمُسْتَهْزِئِينَ السَّاخِرِينَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَدَعْوَتِهِ

مِنْ كِبَارِ الْمُسْتَهْزِئِينَ وَالسَّاخِرِينَ: الْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ أَسَدٍ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثَ بْنِ وَهْبٍ الزُّهْرِيُّ، وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيُّ، وَالْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ السَّهْمِيُّ، وَالْحَارِثُ بْنُ الطُّلَاطِلَةِ الْخُزَاعِيُّ.

وَرَوَىٰ أَبُو نُعَيْمٍ فِي «الدَّلَائِلِ» مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ إِسْحَاقَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ؛ لَكِنَّهُ مُرْسَلٌ: «أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْزَلَ فِيهِمْ: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ [الحجر: ٩٥]».

فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام رَمَىٰ فِي وَجْهِ الْأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَرَقَةً خَضْرَاءَ فَعَمِيَ، وَمَرَّ بِهِ الْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثَ فَأَشَارَ إِلَىٰ بَطْنِهِ فَاسْتَسْقَىٰ بَطْنُهُ فَمَاتَ مِنْ ذَلِكَ، وَمَرَّ بِهِ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ فَأَشَارَ إِلَىٰ جُرْحٍ بِأَسْفَلِ كَعْبِ رِجْلِهِ -وَكَانَ أَصَابَهُ قَبْلَ ذَلِكَ بِسِنِينَ- فَانْتَقَضَ بِهِ فَقَتَلَهُ، وَمَرَّ بِهِ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ فَأَشَارَ إِلَىٰ أَخْمَصِ رِجْلِهِ فَخَرَجَ عَلَىٰ حِمَارٍ لَهُ يُرِيدُ الطَّائِفَ، فَرَبَضَ بِهِ حِمَارُهُ عَلَىٰ نَبَاتٍ خَفِيفٍ فَدَخَلَتْ فِي أَخْمَصِ رِجْلِهِ مِنْهَا شَوْكَةٌ فَقَتَلَتْهُ، وَمَرَّ بِهِ الْحَارِثُ بْنُ الطُّلَاطِلَةِ فَأَشَارَ إِلَىٰ رَأْسِهِ فَتَحَرَّكَ الْقُيْحُ فِيهِ فَقَتَلَهُ.

وَمِنْ كِبَارِ الْمُسْتَهْزِئِينَ السَّاخِرِينَ أَيْضًا: أَبُو جَهْلٍ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، وَالنَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ، وَالْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيقٍ، وَأُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ.

لَمْ تَسْتَطِعْ قُرَيْشٌ بَادِئَ الْأَمْرِ أَنْ تَبْطِشَ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَتَعْتَدِيَ عَلَيْهِ كَمَا فَعَلَتْ بِالْمُسْلِمِينَ؛ فَجَعَلُوا يَهْمِزُونَهُ، وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ، وَيُخَاصِمُونَهُ، وَكَانَ عَلَىٰ رَأْسِ الْمُسْتَهْزِئِينَ: أَبُو لَهَبٍ عَمُّهُ، وَعُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، وَالْحَكَمُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ أَبُو زُمْعَةَ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثَ، وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، وَالْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ، وَأَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ.

رَوَىٰ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ»، بِسَنَدٍ حَسَنٍ: عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾، أَقْبَلَتْ الْعَوْرَاءُ أُمُّ جَمِيلٍ بِنْتُ حَرْبٍ، وَلَهَا وَلْوَلَةٌ، وَفِي يَدِهَا فِهْرٌ، وَهِيَ تَقُولُ:

مُذَمَّمًا أَبَيْنَا... وَدِينَهُ قَلَيْنَا... وَأَمْرَهُ عَصَيْنَا!!

وَالنَّبِيُّ ﷺ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَلَمَّا رَآهَا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! قَدْ أَقْبَلَتْ وَأَنَا أَخَافُ أَنْ تَرَاكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّهَا لَنْ تَرَانِي**»، وَقَرَأَ قُرْآنًا فَاعْتَصَمَ بِهِ كَمَا قَالَ، وَقَرَأَ: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥]، فَوَقَفَتْ عَلَىٰ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلَمْ تَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا بَكْرٍ إِنِّي أُخْبِرْتُ أَنَّ صَاحِبَكَ هَجَانِي، فَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَرَبِّ هَذَا الْبَيْتِ مَا هَجَاكِ، فَوَلَّتْ، وَهِيَ تَقُولُ: قَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ أَنِّي بِنْتُ سَيِّدِهَا.

وَرَوَىٰ ابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ بِشَوَاهِدِهِ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾، جَاءَتْ امْرَأَةُ أَبِي لَهَبٍ إِلَىٰ النَّبِيِّ

ﷺ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، فَلَمَّا رَآهَا أَبُو بَكْرٍ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهَا امْرَأَةٌ بَذِيئَةٌ، وَأَنَا أَخَافُ أَنْ تُؤْذِيَكَ، فَلَوْ قُمْتَ، فَقَالَ ﷺ: «**إِنَّهَا لَنْ تَرَانِي**»، فَجَاءَتْ فَقَالَتْ: يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنَّ صَاحِبَكَ هَجَانِي، قَالَ: لَا، وَمَا يَقُولُ الشِّعْرُ، قَالَتْ: أَنْتَ عِنْدِي مُصَدَّقٌ، وَانْصَرَفَتْ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَمْ تَرَكَ؟! قَالَ ﷺ: «**لَا، لَمْ يَزَلْ مَلَكٌ يَسْتُرُنِي عَنْهَا بِجَنَاحِهِ**».

كَانَتْ قُرَيْشٌ تُسَمِّي رَسُولَ اللهِ ﷺ «مُذَمَّمًا» ثُمَّ يَسُبُّونَهُ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**أَلَا تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ، يَشْتُمُونَ مُذَمَّمًا، وَيَلْعَنُونَ مُذَمَّمًا، وَأَنَا مُحَمَّدٌ**». ﷺ. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ».

قَالَ الْحَافِظُ: «كَانَ الْكُفَّارُ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ شِدَّةِ كَرَاهِيَتِهِمْ فِي النَّبِيِّ ﷺ لَا يُسَمُّونَهُ بِاسْمِهِ الدَّالِّ عَلَىٰ الْمَدْحِ -مُحَمَّدٍ- فَيَعْدِلُونَ إِلَىٰ ضِدِّهِ، فَيَقُولُونَ مُذَمَّمٌ، وَإِذَا ذَكَرُوهُ بِسُوءٍ قَالُوا: فَعَلَ اللهُ بِمُذَمَّمٍ، وَمُذَمَّمٌ لَيْسَ هُوَ اسْمَهُ، وَلَا يُعْرَفُ بِهِ فَكَانَ الَّذِي يَقَعُ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ مَصْرُوفًا إِلَىٰ غَيْرِهِ».

أَمَّا زَوْجُهَا أَبُو لَهَبٍ، فَقَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِهِ أَنَّهُ كَانَ يَتْبَعُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي الْأَسْوَاقِ، وَالْمَجَامِعِ، وَمَوَاسِمِ الْحَجِّ، وَيُكَذِّبُهُ.

فِي رِوَايَةِ ابْنِ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ»: قَالَ: وَرَجُلٌ يَتْبَعُهُ يَرْمِيهِ بِالْحِجَارَةِ، وَقَدْ أَدْمَىٰ عُرْقُوبَيْهِ وَكَعْبَيْهِ.

يَعْنِي: لَمْ يَكْتَفِ بِرَمْيِهِ بِحِجَارَةِ الْأَلْفَاظِ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْ فَمِهِ، وَإِنَّمَا كَانَ يَأْخُذُ الْحِجَارَةَ لِيَرْمِيَهُ بِهَا حَتَّىٰ أَدْمَىٰ عُرْقُوبَيْهِ وَكَعْبَهُ ﷺ!!

هَذِهِ مَوَاقِفُ لَوْ عَرَضَتْ لَكَ، أَوْ تَصَوَّرْتَهَا تَصَوُّرًا حَقِيقِيًّا؛ لَعَلِمْتَ أَنَّهَا مَهِينَةٌ جِدًّا، وَمُهِينَةٌ جِدًّا، فَرَجُلٌ يَدْعُو إِلَىٰ اللهِ يَقُولُ لِلنَّاسِ: «**قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا**»، وَيَمْشِي وَرَاءَهُ مَنْ يَقُولُ: لَا تُصَدِّقُوهُ، هُوَ ابْنُ أَخِي وَهُوَ مَجْنُونٌ، هُوَ كَذَّابٌ، هُوَ كَذَا!! ثُمَّ لَا يَكْتَفِي بِذَلِكَ؛ بَلْ كَالْمَجْنُونِ يَأْتِي بِالْحِجَارَةِ يَلْتَقِطُهَا وَيَقْذِفُ النَّبِيَّ ﷺ بِتِلْكَ الْحِجَارَةِ حَتَّىٰ أَدْمَىٰ عُرقُوبَيْهِ وَكَعْبَيْهِ، وَالرَّسُولُ مَعَ ذَلِكَ لَا يَنِي وَلَا يَكُفُّ عَنْ قَوْلِهِ: «**قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا**».

فَمَا أَشَدَّ مَا لَقِيَ ﷺ، وَمَا أَعْظَمَ مَا احْتَمَلَ ﷺ؛ لِكَيْ يُبَلِّغَ هَذَا الدِّينَ الْعَظِيمَ إِلَىٰ الْبَشَرِ، إِلَىٰ الثَّقَلَيْنِ؛ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، وَأُمَّتُهُ الَّتِي تُؤْمِنُ بِهِ -أُمَّةُ الْإِجَابَةِ- هَلْ تُفَرِّطُ الْآنَ فِي دَعْوَتِهِ؟ فِي دِينِهِ؟ فِي رِسَالَتِهِ؟ أَوْ هِيَ آخِذَةٌ بِذَلِكَ حَقَّ الْأَخْذِ، وَهِيَ مُتَّقِيَةٌ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حَقَّ التَّقْوَىٰ، وَهِيَ قَائِمَةٌ بِالْحَقِّ الَّذِي عَلَيْهَا لِلْبَشَرِ؟

لِأَنَّهَا تَحْمِلُ رِسَالَةَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَىٰ النَّاسِ أَجْمَعِينَ، لِأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ تَسُوسُهُمْ الْأَنْبِيَاءُ، فَكُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ أَرْسَلَ اللهُ نَبِيًّا؛ حَتَّىٰ جَاءَ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، فَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، فَمَنْ يُبَلِّغُ النَّاسَ رِسَالَتَهُ الَّتِي جَاءَ بِهَا مِنْ لَدُنْ رَبِّهِ؟

إِنَّهُمْ الْعُلَمَاءُ، وَهُمُ الْوَاسِطَةُ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَالنَّاسِ، يَحْمِلُونَ الْمِيرَاثَ الَّذِي يُوَرِثُهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ إِيَّاهُ وَهُوَ الْعِلْمُ الشَّرِيفُ: قَالَ اللهُ، قَالَ رَسُولُهُ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُبَلِّغُوهُ إِلَىٰ النَّاسِ، وَأَنْ يَحْفَظُوا عَلَىٰ النَّاسِ دِينَهُمْ، وَأَنْ يَكُفُّوهُمْ

عَنِ الشِّرْكِ وَالْبِدْعَةِ، وَعَنْ مَزَالِقِ السُّوءِ وَأَخْلَاقِ الرَّذِيلَةِ، كُلُّ ذَلِكَ يَحْمِلُونَ أَمَانَتَهُ فَهَلْ أَدَّوْهَا؟

وَالدُّعَاةُ إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ هَلْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَلِّمُوهُمْ إِيَّاهُ، أَمْ يُهَوِّمُونَ بِهِمْ فِي كُلِّ وَادٍ، وَيَسِيرُونَ بِهِمْ فِي طُرُقٍ بِهَا مَزَالِقُ لَا تَتَمَاسَكُ عَلَيْهَا الْأَقْدَامُ؟! مَا الَّذِي يَجْرِي وَمَا الَّذِي يَدُورُ؟!

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَرُدَّ الْجَمِيعَ إِلَىٰ الْحَقِّ رَدًّا جَمِيلًا.

وَأَمَّا شِدَّةُ عَدَاوَةِ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ:

فَقَدْ تَسَلَّطَ عُتْبَةُ بْنُ أَبِي لَهَبٍ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالْأَذَىٰ، وَشَقَّ قَمِيصَهُ، فَدَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**اللَّهُمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبًا مِنْ كِلَابِكَ**».

فَاسْتَجَابَ اللهُ دُعَاءَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَخَرَجَ عُتْبَةُ فِي قَافِلَةٍ إِلَىٰ الشَّامِ، فَنَزَلَ مَنْزِلًا، وَقَالَ لِمَنْ مَعَهُ: إِنِّي أَخَافُ دَعْوَةَ مُحَمَّدٍ، قَالُوا لَهُ: كَلَّا، فَحَطُّوا مَتَاعَهُمْ حَوْلَهُ، وقَعَدُوا يَحْرُسُونَهُ، فَجَاءَ الْأَسَدُ وَهَجَمَ عَلَيْهِ، فَقَتَلَهُ. أَخْرَجَ ذَلِكَ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ»، وَقَالَ: «صَحِيحُ الْإِسْنَادِ»، وَأَوْرَدَهُ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ» وَحَسَّنَ إِسْنَادَهُ، وَأَوْرَدَهُ الشَّوْكَانِيُّ فِي «النَّيْلِ» وَحَسَّنَ إِسْنَادَهُ.

فَسَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِ كَلْبًا مِنْ كِلَابِهِ -أَيْ: سَبُعًا عَقُورًا- فَهَزَمَهُ، وهَمَزَهُ، وَاخْتَارَهُ مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِهِ؛ اسْتِجَابَةً لِدَعْوَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَاعْجَبْ مَا شِئْتَ مِنْ هَذَا الْكَافِرِ وَهُوَ يَقُولُ لِمَنْ مَعَهُ: إِنِّي أَخَافُ دَعْوَةَ مُحَمَّدٍ!! فَلِمَ لَمْ تَتَّبِعْهُ؟!

فَقَدْ طَلَّقَ ابْنَتَهُ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَزِيدَ شُغُلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِأُمُورِ أُسْرَتِهِ عَنْ تَمَامِ تَبْلِيغِ دَعْوَةِ رَبِّهِ إِلَىٰ الْخَلْقِ؛ فَأَخْلَفَ اللهُ خَيْرًا مِنْهُ.

وَكَانَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ إِذَا رَأَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ هَمَزَهُ وَلَمَزَهُ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِ: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩﴾ [الهمزة: ١-٩].

وَقَدْ كَانَ أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ يُجَادِلُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَهُوَ أَخُو أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ.

أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ جَاءَ يَوْمًا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِعَظْمٍ بَالٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! أَنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ اللهَ يَبْعَثُ هَذَا بَعْدَ مَا أَرِمَ، ثُمَّ فَتَّهُ بِيَدِهِ، ثُمَّ نَفَخَهُ نَحْوَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ أَنَا أَقُولُ ذَلِكَ، يَبْعَثُهُ اللهُ وَإِيَّاكَ بَعْدَمَا تَكُونَانِ هَكَذَا، ثُمَّ يُدْخِلُكَ النَّارَ**»؛ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِ: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ۝٨٠ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ۝٨١ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٨٣﴾ [يس: ٧٩-٨٣].

فِي هَذَا الْعَصْرِ يَقُولُونَ: إِنَّ النَّزْعَةَ الْمَادِّيَّةَ قَدْ غَلَبَتْ عَلَىٰ النَّاسِ، وَأَنَّ النَّاسَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ، وَإِنَّمَا يُؤْمِنُونَ بِمَا يُحِسُّونَ وَيُدْرِكُونَ بِحَوَاسِّهِمْ!! هَلْ هَذَا بِجَدِيدٍ؟!

هَذَا كَمَا تَرَىٰ!! إِنْ شِئْتَ أَنْ تَقُولَ إِنَّ أُبَيَّ بْنَ خَلَفٍ كَانَ يَنْحُو نَحْوَ النَّزْعَةِ الْمَادِّيَّةِ فِي عَصْرِهِ؛ فَهُوَ لَا يُؤْمِنُ بِغَيْبٍ، وَإِنَّمَا يَتَعَامَلُ تَعَامُلًا مُبَاشِرًا مَعَ الْمَادَّةِ، وَيَتَوَقَّفُ عِنْدَ حُدُودِهَا، فَيَأْتِي بِعِظَامٍ مِنَ الْعِظَامِ الَّتِي هِيَ رَمِيمٌ، يَفُتُّهَا بِيَدِهِ، يَنْفُخُ ذَلِكَ نَحْوَ رَسُولِ اللهِ، وَيَقُولُ: تَزْعُمُ أَنَّ اللهَ يَبْعَثُ هَذَا؟

الرَّدُّ عَلَيْهِ بِالنَّزْعَةِ الْمَادِّيَّةِ يَكُونُ رَدًّا مَادِّيًّا، وَلَكِنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا أَنْزَلَ فِي ذَلِكَ آيَاتٍ تُتْلَىٰ إِلَىٰ أَنْ يَرْفَعَهَا اللهُ تَعَالَىٰ مِنَ الصُّدُورِ وَالسُّطُورِ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ.

فَلَا تَجْزَعَنَّ إِذَا ابْتُلِيتَ بِمَادِّيٍّ لَا يُؤْمِنُ إِلَّا بِبَطْنِهِ وَفَرْجِهِ، وَلَا يُؤْمِنُ إِلَّا بِمَا يُحِسُّهُ؛ يَرَاهُ، يَسْمَعُهُ، يَلْمَسُهُ، يَشُمُّهُ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الْمَادِّيَّةِ!! وَإِذَا جَادَلْتَهُ فَجَادِلْهُ بِكَلَامِ اللهِ؛ كَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

رَوَىٰ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»، وَالطَّحَاوِيُّ فِي «الْمُشْكِلِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الصَّلَاةَ يَوْمًا، فَقَالَ: «**مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا، لَمْ تَكُنْ لَهُ نُورًا وَلَا بُرْهَانًا وَلَا نَجَاةً، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ فِرْعَوْنَ، وَقَارُونَ، وَهَامَانَ، وَأُبَيٍّ صَاحِبِ الْعِظَامِ**». فِي إِسْنَادِ هَذَا الْحَدِيثِ كَلَامٌ لِأَهْلِ الْعِلْمِ.

عِنْدَ الْحَاكِمِ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» أَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ نَزَلَتْ فِي: الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ.

فَأَخْرَجَ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: جَاءَ الْعَاصِ بْنُ وَائِلٍ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِعَظْمٍ حَائِلٍ -أَيْ: قَدْ تَغَيَّرَ، غَيَّرَهُ الْبِلَىٰ- فَفَتَّهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَيَبْعَثُ اللهُ هَذَا بَعْدَمَا أَرِمَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ يَبْعَثُ اللهُ هَذَا، وَيُمِيتُكَ، ثُمَّ يُحْيِيكَ، ثُمَّ يُدْخِلُكَ نَارَ جَهَنَّمَ**»، قَالَ: فَنَزَلَتْ الْآيَاتُ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٧٧].

قَالَ الْحَافِظُ بْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «وَعَلَىٰ كُلِّ تَقْدِيرٍ سَوَاءً كَانَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ نَزَلَتْ فِي أُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ، أَوْ فِي الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ، أَوْ فِيهِمَا، فَهِيَ عَامَّةٌ فِي كُلِّ مَنْ أَنْكَرَ الْبَعْثَ، وَالْأَلِفُ وَاللَّامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ لِلْجِنْسِ؛ فَيَعُمُّ كُلَّ مُنْكِرٍ لِلْبَعْثِ».

كَمَا مَرَّتِ الْإِشَارَةُ إِلَىٰ ذَلِكَ؛ فَجَادِلْهُمْ بِالْقُرْآنِ جِهَادًا كَبِيرًا.

رَوَىٰ أَبُو نُعَيْمٍ فِي «دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: إِنَّ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ صَنَعَ طَعَامًا، ثُمَّ دَعَا إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا أَنَا بِالَّذِي آكُلُ مِنْ طَعَامِكَ حَتَّىٰ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ**»، فَقَالَ عُقْبَةُ: اطْعَمْ يَا ابْنَ أَخِي، قَالَ ﷺ: «**مَا أَنَا بِالَّذِي أَفْعَلُ حَتَّىٰ تَقُولَ**»، فَتَشَهَّدَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ بِذَلِكَ، فَطَعِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ طَعَامِهِ. فَبَلَغَ ذَلِكَ أُبَيَّ بْنَ خَلَفٍ -وَكَانَ صَاحِبَهُ- فَأَتَاهُ فَقَالَ: صَبَوْتَ يَا عُقْبَةُ؟ فَقَالَ

عُقْبَةُ: لَا، وَاللهِ مَا صَبَوْتُ، وَلَكِنْ دَخَل عَلَيَّ الرَّجُلُ فأَبَىٰ أَنْ يَطْعَمَ مِنْ طَعَامِي إِلَّا أَنْ أَشْهَدَ لَهُ، فَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ بَيْتِي قَبْلَ أَنْ يَطْعَمَ، فَشَهِدْتُ لَهُ، فَطَعِمَ، فَقَالَ أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ: مَا أَنَا بِالَّذِي أَرْضَىٰ عَنْكَ أَبَدًا حَتَّىٰ تَأْتِيَهُ فَتَبْزُقَ فِي وَجْهِهِ -أَيْ: فَتَتْفُلَ فِي وَجْهِهِ-، فَذَهَبَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ -لَعَنَهُ اللهُ- إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَبَزَقَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِمَا -أَيْ: فِي عُقْبَةَ وَأُبَيٍّ-: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩].

هُنَا يَعْرِضُ الْقُرْآنُ مَشْهَدًا مِنَ الْمَشَاهِدِ الَّتِي تَكُونُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ، يُصَوِّرُ نَدَمَ الظَّالِمِينَ الضَّالِّينَ؛ ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ﴾ يُوَلْوِلُ ﴿لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾.

وَأَمَّا الْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيقٍ:

فَقَدْ كَانَ هَذَا الرَّجُلُ مِنْ أَشْرَافِ الْقَوْمِ، وَمِمَّنْ يُسْتَمَعُ مِنْهُ، وَكَانَ مِمَّنْ يُؤْذِي رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَيُصِيبُ مِنْهُ وَيَرُدُّ عَلَيْهِ؛ فَنَزَلَ فِيهِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم: ١٠-١٣].

وَكَانَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ مِمَّنْ يُجَادِلُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَيَنَالُ مِنْهُ، وَيَقُولُ: أَيُنْزَلُ الْقُرْآنُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ، وَأُتْرُكُ وَأَنا كَبِيرُ قُرَيْشٍ وَسَيِّدُهَا، وَيُتْرَكُ أَبُو مَسْعُودٍ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ سَيِّدُ ثَقِيفٍ؟ فَنَحْنُ عَظِيمَا الْقَرْيَتَيْنِ؛ فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣١-٣٢].

الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ كَانَ أَيْضًا مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا مَاتَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الرَّسُولِ ﷺ، قَالَ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ السَّهْمِيُّ: لَقَدِ انْقَطَعَ نَسْلُهُ، وَكَانَ إِذَا ذَكَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: دَعُوهُ، فَإِنَّمَا هُوَ رَجُلٌ أَبْتَرُ لَا عَقِبَ لَهُ، لَوْ قَدْ مَاتَ لَانْقَطَعَ ذِكْرُهُ وَاسْتَرَحْتُمْ مِنْهُ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا فِي ذَلِكَ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ [الكوثر: ١-٣].

وَقَدْ رَوَىٰ الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ قَيْنًا -الْقَيْنُ: بِفَتْحِ الْقَافِ هُوَ الْحَدَّادُ، ثُمَّ صَارَ كُلُّ صَائِغٍ عِنْدَ الْعَرَبِ قَيْنًا- فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ لِي عَلَىٰ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ دَيْنٌ، فَأَتَيْتُهُ أَتَقَاضَاهُ، فَقَالَ: لَا أُعْطِيكَ حَتَّىٰ تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ، فَقُلْتُ: لَا أَكْفُرُ حَتَّىٰ يُمِيتَكَ اللهُ ثُمَّ تُبْعَثُ، قَالَ: دَعْنِي حَتَّىٰ أَمُوتَ وَأُبْعَثُ، فَسَأُوتَىٰ مَالًا وَوَلَدًا فَأَقْضِيكَ؛ فَنَزَلَ: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾

﴿كَلَّاۚ سَنَكۡتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلۡعَذَابِ مَدّٗا ٧٩ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأۡتِينَا فَرۡدٗا﴾ [مريم: ٧٧-٨٠].

رَوَىٰ أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ: عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: إِنَّ الْعَاصَ بْنَ وَائِلٍ السَّهْمِيَّ أَوْصَىٰ أَنْ يُعْتِقَ عَنْهُ مِئَةَ رَقَبَةٍ، فَأَعْتَقَ ابْنُهُ هِشَامٌ خَمْسِينَ رَقَبَةً، فَأَرَادَ ابْنُهُ عَمْرٌو أَنْ يُعْتِقَ عَنْهُ الْخَمْسِينَ الْبَاقِيَةَ، فَقَالَ: حَتَّىٰ أَسْأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ أَبِي أَوْصَىٰ أَنْ يُعْتِقَ عَنْهُ مِئَةَ رَقَبَةٍ، وَإِنَّ هِشَامًا أَعْتَقَ عَنْهُ خَمْسِينَ، وَبَقِيَتْ عَلَيْهِ خَمْسُونَ رَقَبَةً، أَفَأَعْتِقُ عَنْهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّهُ لَوْ كَانَ مُسْلِمًا فَأَعْتَقْتُمْ عَنْهُ، أَوْ تَصَدَّقْتُمْ عَنْهُ، أَوْ حَجَجْتُمْ عَنْهُ؛ بَلَغَهُ ذَلِكَ**».

وَتَأَمَّلْ فِي لُطْفِ كَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ عَمْرٍو؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ يَخُصُّ أَبَاهُ، فَلَمْ يُرِدْ أَنْ يُجَبِّهَهُ، كَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَأْمُرُ أَصْحَابَهُ تِجَاهَ أَمْثَالِ أَبِي جَهْلٍ؛ لِأَنَّ وَلَدَهُ عِكْرِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ صَارَ مِنْ خِيَارِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَكَانُوا يَسُبُّونَ أَبَا جَهْلٍ، فَنَهَىٰ النَّبِيُّ ﷺ، وَبَيَّنَ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَضُرُّ الْمَيِّتَ وَهُوَ يُؤْذِي الْحَيَّ.

فَلَمَّا سَأَلَهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَنْ أَبِيهِ؛ لَمْ يُجَبِّهْهُ بِأَنَّ أَبَاهُ قَدْ مَاتَ كَافِرًا فَلَا يَنْفَعُهُ، وَإِنَّمَا جَعَلَ ذَلِكَ بِالْإِشَارَةِ وَالْإِيمَاءِ فِي النَّصِّ «**إِنَّهُ لَوْ كَانَ مُسْلِمًا فَأَعْتَقْتُمْ عَنْهُ، أَوْ تَصَدَّقْتُمْ عَنْهُ، أَوْ حَجَجْتُمْ عَنْهُ؛ بَلَغَهُ ذَلِكَ**»؛ يَعْنِي: وَلَكِنَّهُ مَاتَ كَافِرًا فَلَنْ يَبْلُغَهُ.

كَانَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ الزِّبَعْرَىٰ مِمَّنْ نَصَبَ الْعَدَاوَةَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَدْ أَخْرَجَ الطَّحَاوِيُّ فِي «شَرْحِ مُشْكِلِ الْآثَارِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: جَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا مَعَ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ فِي الْمَسْجِدِ، فَجَاءَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ حَتَّىٰ جَلَسَ مَعَهُمْ، وَفِي الْمَجْلِسِ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ رِجَالِ قُرَيْشٍ، فَتَكَلَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَعَرَضَ لَهُ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ، فَكَلَّمَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ أَفْحَمَهُ، ثُمَّ تَلَا عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨-١٠٠].

ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَقْبَلَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزِّبَعْرَىٰ السَّهْمِيُّ حَتَّىٰ جَلَسَ، فَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ لِعَبْدِ اللهِ: وَاللهِ مَا قَامَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ بِابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ آنِفًا وَمَا قَعَدَ، وَقَدْ زَعَمَ مُحَمَّدٌ أَنَا وَمَا نَعْبُدُ مِنْ آلِهَتِنَا هَذِهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ، فَقَالَ لَهُ: أَمَا وَاللهِ لَوْ وَجَدْتُه لَخَصَمْتُهُ، فَسَلُّوا مُحَمَّدًا: أَكُلُّ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ فِي جَهَنَّمَ مَعَ مَنْ عَبَدَهُ؟ فَنَحْنُ نَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ، وَالْيَهُودُ تَعْبُدُ عُزَيْرًا، وَالنَّصَارَىٰ تَعْبُدُ عِيسَىٰ بْنَ مَرْيَمَ، فَعَجِبَ الْوَلِيدُ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ فِي الْمَجْلِسِ مِنْ قَوْلِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزِّبَعْرَىٰ، وَرَأَوْا أَنَّهُ قَدِ احْتَجَّ وَخَاصَمَ، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ قَوْلِهِ، فَقَالَ ﷺ: «**كُلُّ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُعْبَدَ مِنْ دُونِ اللهِ فَهُوَ مَعَ مَنْ عَبَدَهُ، إِنَّهُمْ إِنَّمَا يَعْبُدُونَ الشَّيَاطِينَ، وَمَنْ أَمَرَتْهُمْ بِعِبَادَتِهِ**»؛ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي ذَلِكَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ

سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١-١٠٢].

يَعْنِي: عِيسَىٰ بْنَ مَرْيَمَ، وَعُزَيْرًا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَمَنْ عَبَدُوا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ الَّذِينَ مَضَوْا عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ، فَاتَّخَذَهُمْ مَنْ يَعْبُدُوهُمْ -مِنْ أَهْلِ الضَّلَالَةِ- أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ، أُولَئِكَ عَنِ النَّارِ مُبْعَدُونَ لَا يَدْخُلُونَهَا أَبَدًا.

وَنَزَلَ فِيمَا ذُكِرَ مِنْ أَمْرِ عِيسَىٰ بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، وَعَجِبَ الْوَلِيدُ وَمَنْ حَضَرَهُ مِنْ حُجَّتِهِ وَخُصُومَتِهِ، قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٧-٥٨].

ثُمَّ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ عِيسَىٰ بْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِي ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [الزخرف: ٥٩-٦١].

رَوَىٰ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِقُرَيْشٍ: **يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ فِيهِ خَيْرٌ، وَقَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ النَّصَارَى تَعْبُدُ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ، وَمَا تَقُولُ فِي مُحَمَّدٍ. فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّ عِيسَىٰ كَانَ نَبِيًّا وَعَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللهِ**

صَالِحًا فَلَئِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَإِنَّ آلِهَتَهُمْ لَكَمَا تَقُولُونَ، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ ﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ قَالَ: قُلْتُ: مَا يَصِدُّونَ قَالَ يَضُجُّونَ ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ قَالَ: هُوَ خُرُوجُ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ عليه السلام قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

أَمَّا فِرْعَوْنُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو جَهْلٍ -لَعَنَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- فَإِنَّهُ كَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَىٰ أَصْحَابِهِ رضي الله عنهم، فَكَانَ -لَعَنَهُ اللهُ- يَهْزَأُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْحَقِّ، وَيُؤْذِيهِ بِالْقَوْلِ.

رَوَىٰ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»، وَالنَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ يَوْمًا: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! يُخَوِّفُنَا مُحَمَّدٌ بِشَجَرَةِ الزَّقُّومِ، يَزْعُمُ أَنَّهَا شَجَرَةٌ فِي النَّارِ يُقَالُ لَهَا شَجَرَةُ الزَّقُّومِ، وَالنَّارُ تَأْكُلُ الشَّجَرَ، إِنَّمَا الزَّقُّومُ التَّمْرُ وَالزُّبْدُ، هَاتُوا تَمْرًا وَزُبْدًا وَتَزَقَّمُوا، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ﴾ [الدخان: ٤٣-٤٦].

رَوَىٰ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَىٰ شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزَّقُّومِ قُطِرَتْ لَأَمَرَّتْ عَلَىٰ أَهْلِ الْأَرْضِ عَيْشَهُمْ، فَكَيْفَ مَنْ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا الزَّقُّومُ!!»**.

نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.

وَلَقِيَ أَبُو جَهْلٍ مَرَّةً رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ: وَاللهِ يَا مُحَمَّدُ، لَتَتْرُكُنَّ سَبَّ آلِهَتِنَا أَوْ لَنَسُبَنَّ إِلَهَكَ الَّذِي تَعْبُدُ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِ: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]؛ فَكَفَّ عِنْدَئِذٍ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ سَبِّ آلِهَتِهِمْ، وَجَعَلَ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ نَاهِيًا رَسُولَهُ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ عَنْ سَبِّ الْمُشْرِكِينَ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ مَصْلَحَةٌ، إِلَّا أَنَّهُ يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مَفْسَدَةٌ أَعْظَمُ مِنْهَا؛ وَهِيَ مُقَابَلَةُ الْمُشْرِكِينَ بِسَبِّ إِلَهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَهُوَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ.

وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ تَرْكُ الْمَصْلَحَةِ لِمَفْسَدَةٍ أَرْجَحَ مِنْهَا؛ مِنْهُ مَا جَاءَ فِي «الصَّحِيحِ» أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ**»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ! وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟! قَالَ: «**يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ**»».

كُلُّ هَؤُلَاءِ إِنَّمَا كَانُوا فِي شُغُلٍ شَاغِلٍ بِالِاسْتِهْزَاءِ وَالْإِيذَاءِ، يَجْتَهِدُونَ فِي أَذِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَيَتَفَنَّنُونَ فِي ذَلِكَ.

فَمِنَ الْقِصَصِ الَّتِي تُبَيِّنُ اسْتِهْزَاءَ أَبِي جَهْلٍ -لَعَنَهُ اللهُ-؛ أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ٣٠]، قَالَ أَبُو جَهْلٍ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ: يَزْعُمُ مُحَمَّدٌ أَنَّ جُنُودَ اللهِ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَكُمْ فِي النَّارِ، وَيَحْبِسُونَكُمْ فِيهَا تِسْعَةَ عَشَرَ، وَأَنْتُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ عَدَدًا وَكَثْرَةً، أَفَيَعْجِزُ كُلُّ مِئَةٍ رَجُلٍ مِنْكُمْ عَنْ رَجُلٍ مِنْهُمْ

-يَعْنِي: مَنِ التِّسْعَةَ عَشَرَ-؟ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي ذَلِكَ: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٣١].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «تَفْسِيرِهِ»: «أَيْ مَا يَعْلَمُ عَدَدَهُمْ وَكَثْرَتَهُمْ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لِئَلَّا يَتَوَهَّمَ مُتَوَهِّمٌ أَنَّمَا هُمْ تِسْعَةَ عَشَرَ فَقَطْ، وَقَدْ ثَبَتَ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ الْمَرْوِيِّ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» وَغَيْرِهِمَا، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي صِفَةِ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ الَّذِي فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ: «**فَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، ثُمَّ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ**»».

وَكَانَ أَبُو جَهْلٍ مُتَيَقِّنًا مِنْ صِدْقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ:

رَوَىٰ التِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ»، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ بِالشَّوَاهِدِ: عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ: قَدْ نَعْلَمُ يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ تَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَلَا نُكَذِّبُكَ، وَلَكِنْ نُكَذِّبُ الَّذِي جِئْتَ بِهِ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

فَتِلْكَ صُوَرٌ مِنَ اسْتِهْزَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ كَانَ ﷺ يُحْزِنُهُ مَا يَلْقَىٰ مِنْهُمْ كَغَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: «وَمَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَبِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ فَهَمَزُوهُ وَاسْتَهْزَؤُوا بِهِ، فَغَاظَهُ ذَلِكَ ﷺ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِمْ: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنعام: ١٠]».

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: «هَذَا تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي تَكْذِيبِ مَنْ كَذَّبَهُ مِنْ قَوْمِهِ، وَوَعْدٌ لَهُ وَلِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ بِالنُّصْرَةِ وَالْعَاقِبَةِ الْحَسَنَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».

مَضَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي رِسَالَةِ الدَّعْوَةِ وَالْبَلَاغِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا، مُؤَدِّيًا إِلَىٰ قَوْمِهِ النَّصِيحَةِ، فَلَمَّا تَمَادَوْا فِي الشَّرِّ، وَأَكْثَرُوا الِاسْتِهْزَاءَ؛ كَفَاهُ اللهُ تَعَالَىٰ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِهِ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٩٥-٩٦].

رَوَىٰ أَبُو بَكْرٍ الشَّافِعِيُّ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ رُكَانَةَ بْنَ عَبْدِ يَزِيدَ صَارَعَ النَّبِيَّ ﷺ، فَصَرَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فِي كُلِّ مَرَّةٍ عَلَىٰ مِئَةٍ مِنَ الْغَنَمِ، فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّالِثَةِ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَا وَضَعَ ظَهْرِي عَلَىٰ الْأَرْضِ أَحَدٌ قَبْلَكَ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْكَ، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، فَقَامَ عَنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَرَدَّ عَلَيْهِ غَنَمَهُ.

وَرَوَىٰ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»، وَابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَتْ قُرَيْشٌ لِلْيَهُودِ: أَعْطُونَا شَيْئًا نَسْأَلُ عَنْهُ هَذَا

الرَّجُلَ، فَقَالُوا: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، فَسَأَلُوهُ؛ فَنَزَلَتْ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥].

- وَهَذِهِ صُورَةٌ مِنْ صُوَرِ الْأَسَالِيبِ الَّتِي اتَّخَذَتْهَا قُرَيْشٌ مِنْ أَجْلِ مُحَارَبَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَمُحَارَبَةِ الدَّعْوَةِ:

٦- بِالْإِتْيَانِ بِالْأَسْئِلَةِ التَّعْجِيزِيَّةِ.

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ - فَقَالُوا: لَمْ نُؤْتَ مِنَ الْعِلْمِ نَحْنُ إِلَّا قَلِيلًا، وَقَدْ أُوتِينَا التَّوْرَاةَ، وَمَنْ يُؤْتَ التَّوْرَاةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا؛ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ [الكهف: ١٠٩].

◉ ◉ ◉

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

آيَةُ الرُّوحِ هَذِهِ مَكِّيَّةٌ أَمْ مَدَنِيَّةٌ؟

وَقَعَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» أَنَّ الْيَهُودَ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الرُّوحِ، وَهُوَ فِي الْمَدِينَةِ، فَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرْثٍ، وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَىٰ عَسِيبٍ، إِذْ مَرَّ بِنَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ؟ فَقَالُوا: مَا رَابَكُمْ إِلَيْهِ؟ يَعْنِي: مَا حَاجَتُكُمْ إِلَيْهِ؟ لَا يَسْتَقْبِلُكُمْ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ، فَقَالُوا: سَلُوهُ؛ فَأَسْكَتَ النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ شَيْئًا، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُوحَىٰ إِلَيْهِ، فَقُمْتُ مَكَانِي، فَلَمَّا نَزَلَ الْوَحْيُ قَالَ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: «قَدْ يُجَابُ عَنْ هَذَا: بِأَنَّهُ قَدْ يَكُونُ نَزَلَتْ عَلَيْهِ بِالْمَدِينَةِ مَرَّةً ثَانِيَةً كَمَا نَزَلَتْ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ قَبْلَ ذَلِكَ، أَوْ أَنَّهُ نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ بِأَنَّهُ يُجِيبُهُمْ عَمَّا سَأَلُوهُ بِالْآيَةِ الْمُتَقَدِّمِ إِنْزَالُهَا عَلَيْهِ».

قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: «يُمْكِنُ الْجَمْعُ بِأَنَّ يَتَعَدَّىٰ النُّزُولُ بِحَمْلِ سُكُوتِهِ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ عَلَىٰ تَوَقُّعِ مَزِيدِ بَيَانٍ فِي ذَلِكَ، وَإِنْ سَاغَ هَذَا وَإِلَّا فَمَا فِي الصَّحِيحِ أَصَحُّ».

www.menhag-un.com

عِنَادُ الْكُفَّارِ وَمَوْقِفُهُمْ مِنَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ

أَمَّا عِنَادُ الْكُفَّارِ وَمَوْقِفُهُمْ مِنَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ فَقَدْ وَرَدَتْ بِهِ النُّصُوصُ وَالْأَحَادِيثُ:

فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ، وَعَرَفُوا صِدْقَهُ فِيمَا حَدَّثَ، وَمَوْقِعَ نُبُوَّتِهِ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمِ الْغُيُوبِ حِينَ سَأَلُوهُ عَمَّا سَأَلُوهُ عَنْهُ، حَالَ الْحَسَدُ مِنْهُمْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اتِّبَاعِهِ وَتَصْدِيقِهِ، فَعَتَوْا عَلَىٰ اللهِ، وَتَرَكُوا أَمْرَهُ عِيَانًا، وَلَجُّوا فِيمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ، فَقَالَ قَائِلُهُمْ: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦]؛ أَيِ: اجْعَلُوهُ لَغْوًا وَبَاطِلًا، وَاتَّخِذُوهُ هُزُوًا لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَهُ بِذَلِكَ، فَإِنَّكُمْ إِنْ نَاظَرْتُمُوهُ أَوْ خَاصَمْتُمُوهُ يَوْمًا غَلَبَكُمْ.

فَمَاذَا يَصْنَعُونَ؟!

لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ، وَإِنْ سَمِعْتُمُوهُ فَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ!!

فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، جَعَلُوا إِذَا جَهَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْقُرْآنِ وَهُوَ يُصَلِّي، يَتَفَرَّقُونَ عَنْهُ، وَيَأْبَوْنَ أَنْ يَسْتَمِعُوا لَهُ، فَكَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَسْتَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَعْضَ مَا يَتْلُو مِنَ الْقُرْآنِ وَهُوَ يُصَلِّي، اسْتَرَقَ السَّمْعَ دُونَهُمْ؛ فَرَقًا مِنْهُمْ، فَإِنْ رَأَىٰ أَنَّهُمْ قَدْ عَرَفُوا أَنَّهُ يَسْتَمِعُ مِنْهُ ذَهَبَ خَشْيَةَ

أَذَاهُمْ، فَلَمْ يَسْتَمِعْ -وَهُوَ مِنْهُمْ!!-، وَإِنْ خَفَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَوْتَهُ، فَظَنَّ الَّذِي يَسْتَمِعُ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَمِعُونَ شَيْئًا مِنْ قِرَاءَتِهِ، وَسَمِعَ هُوَ شَيْئًا دُونَهُمْ أَصَاخَ لَهُ يَسْتَمِعُ مِنْهُ.

رَوَىٰ الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا»: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فِي سَبَبِ نُزُولِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠]، قَالَ: نَزَلَتْ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ مُخْتَفٍ بِمَكَّةَ، كَانَ إِذَا صَلَّىٰ بِأَصْحَابِهِ رَفَعَ صَوْتَهُ بِالْقُرْآنِ، فَإِذَا سَمِعَ الْمُشْرِكُونَ سَبُّوا الْقُرْآنَ، وَمَنْ أَنْزَلَهُ، ومَنْ جَاءَ بِهِ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾: أَيْ بِقِرَاءَتِكَ، فَيَسْمَعَ الْمُشْرِكُونَ فَيَسُبُّوا الْقُرْآنَ، ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ عَنْ أَصْحَابِكَ، فَلَا تُسْمِعَهُمْ ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾.

أَمَّا زُعَمَاءُ قُرَيْشٍ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَحْتَالُونَ حَتَّىٰ يَسْمَعُوا الْقُرْآنَ مِنْ فَمِ الْمَأْمُونِ ﷺ:

كَانَ أَشْرَافُ قُرَيْشٍ يَسْتَشْعِرُونَ حَلَاوَةَ الْقُرْآنِ فِي قُلُوبِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ يُكَابِرُونَ؛ كَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَيْسَ بِكَلَامِ بَشَرٍ، كَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ إِنَّمَا هُوَ مِنْ كَلَامِ رَبِّ الْبَشَرِ، وَإِنَّمَا هُوَ الْعِنَادُ وَالْحَسَدُ وَالْكِبْرُ!!

رَوَىٰ ابْنُ إِسْحَاقَ: أَنَّ ثَلَاثَةً مِنْ زُعَمَاءِ قُرَيْشٍ؛ هُمْ: أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، وَأَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ، وَالْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيقٍ، خَرَجُوا لَيْلَةً لِيَسْتَمِعُوا مِنْ رَسُولِ اللهِ

ﷺ، وَهُوَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ فِي بَيْتِهِ، فَأَخَذَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَجْلِسًا يَسْتَمِعُ فِيهِ، وَكُلٌّ لَا يَعْلَمُ بِمَكَانِ صَاحِبِهِ، فَبَاتُوا يَسْتَمِعُونَ لَهُ، حَتَّىٰ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ تَفَرَّقُوا، فَجَمَعَهُمْ الطَّرِيقُ، فَتَلَاوَمُوا، وَقَالَ بعَضْهُمْ لِبَعْضٍ: لَا تَعُودُوا، فَلَوْ رَآكُمْ بَعْضُ سُفَهَائِكُمْ لَأَوْقَعْتُمْ فِي نَفْسِهِ شَيْئًا، ثُمَّ انْصَرَفُوا، حَتَّىٰ إِذَا كَانَتْ اللَّيْلَةُ الثَّانِيَةُ عَادَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ إِلَىٰ مَجْلِسِه، فَبَاتُوا يَسْتَمِعُونَ لَهُ، حَتَّىٰ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ تَفَرَّقُوا، فَجَمَعَهُمْ الطَّرِيقُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مِثْلَ مَا قَالُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ، ثُمَّ انْصَرَفُوا، حَتَّىٰ إِذَا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الثَّالِثَةُ أَخَذَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَجْلِسَهُ، فَبَاتُوا يَسْتَمِعُونَ لَهُ، حَتَّىٰ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ تَفَرَّقُوا، فَجَمَعَهُمْ الطَّرِيقُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَا نَبْرَحُ حَتَّىٰ نَتَعَاهَدَ أَلَّا نَعُودَ، فَتَعَاهَدُوا عَلَىٰ ذَلِكَ، ثُمَّ تَفَرَّقُوا.

فَلَمَّا أَصْبَحَ الْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيقٍ أَخَذَ عَصَاهُ، حَتَّىٰ خَرَجَ فَأَتَىٰ أَبَا سُفْيَانَ فِي بَيْتِهِ، فَقَالَ لَهُ: أَخْبِرْنِي يَا أَبَا حَنْظَلَةَ عَنْ رَأْيِكَ فِيمَا سَمِعَتْ مِنْ مُحَمَّدٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا ثَعْلَبَةَ؛ وَاللهِ لَقَدْ سَمِعْتُ أَشْيَاءَ أَعْرِفُهَا، وَأَعْرِفُ مَا يُرَادُ بِهَا، وَسَمِعَتْ أَشْيَاءَ مَا عَرَفْتُ مَعْنَاهَا، وَلَا مَا يُرَادُ بِهَا.

قَالَ الْأَخْنَسُ: وَأَنَا وَالَّذِي حَلَفْتَ بِهِ كَذَلِكَ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ حَتَّىٰ أَتَىٰ أَبَا جَهْلٍ، فَدَخَل عَلَيْهِ بَيْتَهُ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا الْحَكَمِ؛ مَا رَأْيُكَ فِيمَا سَمِعْتَ مِنْ مُحَمَّدٍ؟ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: مَاذَا سَمِعْتُ؟ تَنَازَعْنَا نَحْنُ وَبَنُو عَبْدِ مَنَافٍ الشَّرَفَ، أَطْعَمُوا فَأَطْعَمْنَا، وَحَمَلُوا فَحَمَلْنَا، وَأَعْطَوْا فَأَعْطَيْنَا، حَتَّىٰ إِذَا تَحَاذَيْنَا عَلَىٰ الرُّكْبِ، وَكُنَّا

كَفَرَسَيْ رِهَانٍ، قَالُوا: مِنَّا نَبِيٌّ يَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنَ السَّمَاءِ، فَمَتَىٰ نُدْرِكُ مِثْلَ هَذِهِ؟ وَاللهِ لَا نُؤْمِنُ بِهِ أَبَدًا وَلَا نُصَدِّقُهُ. فَقَامَ عَنْهُ الْأَخْنَسُ وَتَرَكَهُ.

يَصْنَعُونَ هَذَا وَلَا يَسْتَحْيُونَ!! ثُمَّ يُبَيِّنُ أَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ عَلَىٰ يَقِينٍ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَلَكِنْ يَقُولُ: مَتَىٰ نُدْرِكُ مِثْلَ هَذِهِ؟

يَعْنِي: سَتَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيهِمْ وَلَنْ تَكُونَ النُّبُوَّةُ فِينَا أَبَدًا!! فَمَتَىٰ نُدْرِكُ مِثْلَ هَذِهِ وَكُنَّا كَفَرَسَيْ فِي رِهَانٍ تَحَاذَيْنَا عَلَىٰ الرَّكْبِ -يَعْنِي: تَسَاوَيْنَا فِي كُلِّ شَيْءٍ-؟!

أَطْعَمُوا فَأَطْعَمْنَا، وَحَمَلُوا فَحَمَلْنَا، وَأَعْطَوْا فَأَعْطَيْنَا، حَتَّىٰ إِذَا تَحَاذَيْنَا عَلَىٰ الرُّكَبِ، وَكُنَّا كَفَرَسَيْ رِهَانٍ، قَالُوا: مِنَّا نَبِيٌّ يَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنَ السَّمَاءِ، فَمَتَىٰ نُدْرِكُ مِثْلَ هَذِهِ؟ وَاللهِ لَا نُؤْمِنُ بِهِ أَبَدًا وَلَا نُصَدِّقُهُ.

عِلَلٌ نَفْسِيَّةٌ بَاطِنَةٌ تَحُولُ دُونَ الْمَرْءِ وَدُونَ الْإِيمَانِ، وَتَصْرِفُ الْإِنْسَانَ عَنْ التَّأَمُّلِ الْحَقِّ فِيمَا يَسْمَعُ، وَمَا يَرَىٰ، وَمَا يَعْرِضُ لَهُ، فَلَا يَمُرُّ عَلَىٰ عَقْلِهِ وَلَا يَنْزَلِقُ إِلَىٰ قَلْبِهِ؛ وَإِنَّمَا يَتَحَرَّكُ عَلَىٰ حَسَبِ عَصَبِيَّتِهِ، وَعَلَىٰ حَسَبِ جَهْلِهِ وَحَسَدِهِ وَسُوءِ طُوِيَّتِهِ.

الْكِبْرُ وَالْحَسَدُ مَنَعَا أَبَا جَهْلٍ مِنَ الْإِسْلَامِ:

رَوَىٰ الْبَيْهَقِيُّ فِي «دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ»: عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّ أَوَّلَ يَوْمٍ عَرَفْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنِّي كُنْتُ أَمْشِي أَنَا وَأَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ فِي بَعْضِ أَزِقَّةِ مَكَّةَ، إِذْ لَقِينَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَبِي جَهْلٍ: «**يَا أَبَا الْحَكَمِ!**

هَلُمَّ إِلَىٰ اللهِ ﷻ، **وَإِلَىٰ رَسُولِهِ أَدْعُوكَ إِلَىٰ اللهِ**»، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: يَا مُحَمَّدُ، هَلْ أَنْتَ مُنْتَهٍ عَنْ سَبِّ آلِهَتِنَا؟ هَلْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ نَشْهَدَ أَنْ قَدْ بَلَّغْتَ؟ فَنَحْنُ نَشْهَدُ أَنْ قَدْ بَلَّغْتَ، فَوَاللهِ لَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ مَا تَقُولُ حَقًّا مَا اتَّبَعْتُكَ، فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَقْبَلَ عَلَيَّ أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ: فَوَاللهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّ مَا يَقُولُ حَقٌّ، وَلَكِنْ بَنُو قُصَيٍّ قَالُوا: فِينَا الْحِجَابَةُ؛ فَقُلْنَا نَعَمْ، فَقَالُوا فِينَا النَّدْوَةُ؛ فَقُلْنَا: نَعَمْ، ثُمَّ قَالُوا: فِينَا اللِّوَاءُ؛ فَقُلْنَا: نَعَمْ، قَالُوا: فِينَا السِّقَايَةُ؛ فَقُلْنَا: نَعَمْ، ثُمَّ أَطْعَمُوا وَأَطْعَمْنَا، حَتَّىٰ إِذَا تَحَاكَتِ الرُّكَبُ، قَالُوا: مِنَّا نَبِيٌّ، وَاللهِ لَا أَفْعَلُ.

فَإِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَىٰ كُفْرِهِ، وَحَمَلَهُ عَلَىٰ الصَّدِّ عَنْ دِينِ اللهِ رَبِّهِ، وَتَكْذِيبِ نَبِيِّهِ ﷺ الْكِبْرُ وَالْحَسَدُ؛ وَهُمَا عِلَّتَانِ بَاطِنَتَانِ، وَكَثِيرًا مَا يُصِيبَانِ -أَوْ تُصِيبَانِ- كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَلَا يَقْبَلُونَ الْحَقَّ.

لَيْسَ هَاهُنَا ضَرْبٌ لِلْمَثَلِ؛ يَعْنِي: لَا يُقَاسُ وَلَا يُمَثَّلُ الْمُسْلِمُ بِالْكَافِرِ؛ وَلَكِنَّ هَذِهِ الْعِلَلَ لَمْ تَدَعْ كَافِرًا وَلَا مُسْلِمًا!! عِلَلٌ بَاطِنَةٌ مِنَ الْكِبْرِ، وَمِنَ الْحَسَدِ، وَمِنَ الْحِقْدِ، وَمِنَ الْغِلِّ، وَمِنَ الْغِشِّ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ آفَاتِ الْقُلُوبِ، وَقَدْ حَذَّرَ مِنْهَا النَّبِيُّ ﷺ؛ بَلْ نَهَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ.

- مِنْ أَسَالِيبِ مُحَارَبَةِ هَؤُلَاءِ لِدَعْوَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ:

٧- أُسْلُوبُ الْمُجَادَلَةِ مَعَ مُحَاوَلَةِ التَّعْجِيزِ.

أَقَامَ الرَّسُولُ ﷺ الْحُجَجَ وَالْبَرَاهِينَ وَالْأَدِلَّةَ عَلَىٰ صِحَّةِ دَعْوَتِهِ، وَاسْتَخْدَمَ فِي مُجَادَلَتِهِ مَعَ الْكُفَّارِ أَسَالِيبَ كَثِيرَةً، اسْتَنْبَطَهَا مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ فِي إِقَامَةِ

الْحُجَّةِ الْعَقْلِيَّةِ، وَاسْتِخْدَامِ الْأَقْيِسَةِ الْمَنْطِقِيَّةِ، وَاسْتِحْضَارِ التَّفْكِيرِ وَالتَّأَمُّلِ، وَمِنَ الْأَسَالِيبِ الَّتِي اسْتَخْدَمَهَا ﷺ مَعَ كُفَّارِ مَكَّةَ:

يَعْنِي: أَنْتَ عِنْدَمَا تَنْظُرُ فِيهَا الْآنَ تَقُولُ: إِنَّهَا عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ مِمَّا يَفْهَمُهُ أَهْلُ الْعَصْرِ، وَأَمَّا النَّبِيُّ ﷺ فَلَمْ يَسْتَخْدِمْ أَقْيِسَةً مَنْطِقِيَّةً، وَلَا أَقَامَ حُجَجًا عَقْلِيَّةً؛ لِأَنَّ الَّذِي كَانَ يُجَادِلُ بِهِ وَيُجَاهِدُ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا هُوَ الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ، فَلَا يُقَالُ فِيهِ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ هَذَا عَلَىٰ لُغَةِ أَهْلِ الْعَصْرِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَأْخُذَ الدَّاعِيَةُ بِزَادٍ حَسَنٍ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُجَابِهَ مَا يَلْقَاهُ مِنْ عَنَتِ الْمُتَكَبِّرِينَ وَمُجَادَلَةِ الْمُجَادِلِينَ.

مِنَ الْأَسَالِيبِ الَّتِي اسْتَخْدَمَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَ كُفَّارِ مَكَّةَ:

- أُسْلُوبُ الْمُقَارَنَةِ:

وَذَلِكَ بِعَرْضِ أَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا هُوَ الْخَيْرُ الْمَطْلُوبُ التَّرْغِيبُ فِيهِ، وَالْآخَرُ هُوَ الشَّرُّ الْمَطْلُوبُ التَّرْهِيبُ مِنْهُ، وَذَلِكَ بِاسْتِثَارَةِ الْعَقْلِ، لِلتَّفَكُّرِ فِي كِلَا الْأَمْرَيْنِ، وَعَاقِبَتِهِمَا لِلْوُصُولِ بَعْدَ الْمُقَارَنَةِ إِلَىٰ تَفْضِيلِ الْخَيْرِ وَاتِّبَاعِهِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ﴾ قَارِنُوا أَنْتُمْ وَاحْكُمُوا ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ تَعَالَىٰ لِلْمُؤْمِنِ الَّذِي كَانَ مَيْتًا؛ أَيْ: فِي الضَّلَالَةِ هَالِكًا حَائِرًا، فَأَحْيَاهُ اللهُ؛ أَيْ: أَحْيَا قَلْبَهُ بِالْإِيمَانِ وَهَدَاهُ لَهُ، وَوَفَّقَهُ لِاتِّبَاعِ رُسُلِهِ». فَهَذَا أُسْلُوبُ الْمُقَارَنَةِ.

- أُسْلُوبُ التَّقْرِيرِ:

وَهُوَ أُسْلُوبٌ يَؤُولُ بِالْمَرْءِ بَعْدَ الْمُحَاكَمَةِ الْعَقْلِيَّةِ، إِلَىٰ الْإِقْرَارِ بِالْمَطْلُوبِ، الَّذِي هُوَ مَضْمُونُ الدَّعْوَةِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ [الطور: ٣٥-٤٥].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تَفْسِيرِهِ»: «وَهَذَا الْمَقَامُ فِي إِثْبَاتِ الرُّبُوبِيَّةِ وَتَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾؛ أَيْ: أُوجِدُوا مِنْ غَيْرِ مُوجِدٍ؟ أَمْ هُمْ أَوْجَدُوا أَنْفُسَهُمْ؟ أَيْ لَا هَذَا وَلَا هَذَا، بَلِ اللهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَهُمْ وَأَنْشَأَهُمْ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُونُوا شَيْئًا مَذْكُورًا». وَهَذِهِ الْآيَةُ فِي غَايَةِ الْقُوَّةِ مِنْ حَيْثُ الْحُجَّةُ الْعَقْلِيَّةُ.

- أُسْلُوبُ الْإِمْرَارِ وَالْإِبْطَالِ:

وَهُوَ أُسْلُوبٌ قَوِيٌّ فِي إِفْحَامِ الْمُعَانِدِينَ أَصْحَابِ الْغُرُورِ وَالصَّلَفِ، بِإِمْرَارِ أَقْوَالِهِمْ، وَعَدَمِ الِاعْتِرَاضِ عَلَىٰ بَعْضِ حُجَجِهِمْ الْبَاطِلَةِ، مَنْعًا لِلْجَدَلِ وَالنِّزَاعِ، وَخُلُوصًا إِلَىٰ الْحُجَّةِ الْقَاطِعَةِ تَدْمَغُهُمْ وَتُبْطِلُ حُجَّتَهُمْ، فَتَبْطُلُ الْأُولَىٰ بِالتَّبَعِ.

وَفِي قِصَّةِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ فِرْعَوْنَ، نَمُوذَجٌ مُطَوَّلٌ لِهَذَا الْأُسْلُوبِ، حَيْثُ أَعْرَضَ مُوسَىٰ عَنْ كُلِّ اعْتِرَاضٍ وَشُبْهَةٍ أَوْرَدَهَا فِرْعَوْنُ، وَمَضَىٰ إِلَىٰ إِبْطَالِ دَعْوَىٰ الْأُلُوهِيَّةِ لِفَرْعَوْنَ مِنْ خِلَالِ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ الْعَقْلِيَّةِ الظَّاهِرَةِ عَلَىٰ رُبُوبِيَّةِ اللهِ تَعَالَىٰ وَأُلُوهِيَّتِهِ؛ وَذَلِكَ فِي الْآيَاتِ مِنْ «سُورَةِ الشُّعَرَاءِ» قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣-٢٩].

وَهَكَذَا كَانَتْ الْأَسَالِيبُ الْقُرْآنِيَّةُ الْكَرِيمَةُ الرَّكِيزَةَ فِي مُجَادَلَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِلْمُشْرِكِينَ، وَلَمَّا احْتَارَ الْمُشْرِكُونَ فِي أَمْرِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ يَكُونُوا عَلَىٰ اسْتِعْدَادٍ فِي تَصْدِيقِ أَنَّهُ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ، لَيْسَ لِأَنَّهُمْ يُكَذِّبُونَهُ، وَإِنَّمَا عِنَادًا وَكُفْرًا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

لِذَلِكَ هَدَاهُمْ تَفْكِيرُهُمْ الْمُعْوَجُّ أَنْ يَطْلُبُوا مِنَ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَطَالِبَ، لَيْسَ الْغَرَضُ مِنْهَا التَّأَكُّدَ مِنْ صِدْقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَلَكِنَّ غَرَضَهُمْ مِنْهَا التَّعَنُّتُ وَالتَّعْجِيزُ، وَهَذَا مَا طَلَبُوهُ مِنَ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

أَنْ يُفْجُرَ لَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا؛ أَيْ أَنْ يُجْرِيَ لَهُمُ الْمَاءَ عُيُونًا جَارِيَةً.

www.menhag.com

أَوْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ يَفْجُرُ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا؛ أَيْ تَكُونُ لَهُ حَدِيقَةٌ فِيهَا النَّخْلُ وَالْعِنَبُ، وَالْأَنْهَارُ تَتَفَجَّرُ بِدَاخِلِهَا.

أَوْ يُسْقِطَ السَّمَاءَ كِسَفًا؛ أَيْ يُسْقِطَ السَّمَاءَ قِطَعًا كَمَا سَيَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

أَوْ يَأْتِيَ بِاللهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا.

أَوْ يَكُونَ لَهُ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ؛ أَيْ ذَهَبٍ

أَوْ يَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ؛ أَيْ يَتَّخِذُ سُلَّمًا يَرْتَقِي عَلَيْهِ وَيَصْعَدُ إِلَىٰ السَّمَاءِ.

أَوْ أَنْ يَنْزِلَ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ يَقْرَؤُونَهُ، قَالَ مُجَاهِدٌ: «أَيْ مَكْتُوبٌ فِيهِ إِلَىٰ كُلِّ وَاحِدٍ صَحِيفَةٌ، هَذَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ لِفُلَانِ ابْنِ فُلَانٍ تُصْبِحُ مَوْضُوعَةً عِنْدَ رَأْسِهِ».

وَطَلَبُوا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْ يَدْعُوَ لَهُمْ فَيُسَيِّرُ لَهُمْ الْجِبَالَ، وَيَقْطَعُ الْأَرْضَ، وَيَبْعَثَ مَنْ مَضَىٰ مِنْ آبَائِهِمْ مِنَ الْمَوْتَىٰ.

طَلَبُ هَذِهِ الْخَوَارِقِ وَالْمُعْجِزَاتِ كَانَتْ خُطَّةً مُتَّبَعَةً عَلَىٰ مَدَىٰ تَارِيخِ الْبَشَرِيَّةِ الطَّوِيلِ، وَرَغْمَ حِرْصِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَىٰ إِيمَانِ قَوْمِهِ، وَتَفَانِيهِ فِي ذَلِكَ، لَكِنَّ التَّرْبِيَةَ الرَّبَّانِيَّةَ الَّتِي تَلَقَّاهَا مِنْ رَبِّهِ، وَالْأَدَبَ النَّبَوِيَّ الَّذِي تَأَدَّبَ عَلَيْهِ، جَعَلَهُ يَرْفُضُ طَلَبَ الْمُعْجِزَةِ؛ وَإِنَّمَا كَانَتْ إِجَابَتُهُ: «مَا بِهَذَا بُعِثْتُ إِلَيْكُمْ، إِنَّمَا جِئْتُكُمْ مِنَ اللهِ بِمَا بَعَثَنِي بِهِ، وَقَدْ بَلَّغْتُكُمْ مَا أُرْسَلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ، فَإِنْ تَقْبَلُوهُ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ، أَصْبِرُ لِأَمْرِ اللهِ تَعَالَىٰ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ».

لَمْ يَسْتَجِبْ لَهُمْ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي أَمْرِ الْخَوَارِقِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ أَجْرَىٰ لَهُمْ تِلْكَ الْخَوَارِقَ فَلَمْ يُؤْمِنُوا فَسُنَّتُهُ حِينَئِذٍ أَنْ يَسْتَأْصِلَهُمْ اسْتِئْصَالًا، وَالنَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «**بَلْ بَابَ التَّوْبَةِ وَالْمَغْفِرَةِ**».

يَعْنِي: لَا نُعَرِّضُهُمْ لِهَذَا، وَاللهُ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ لَنْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ، وَلَنْ يَدْخُلُوا فِي دِينِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، وَلَوْ جَرَتْ هَذِهِ الْخَوَارِقُ وَجَرَىٰ لَهُمْ أَضْعَافُهَا، فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ اسْتَأْنَىٰ بِهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَكَانَ مِنْ حِكْمَةِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ أَلَّا يُجَابُوا إِلَىٰ مَا سَأَلُوا؛ لِأَنَّ سُنَّتَهُ تَعَالَىٰ: أَنَّهُ إِذَا طَلَبَ قَوْمٌ آيَاتٍ فَأُجِيبُوا ثُمَّ لَمْ يُؤْمِنُوا؛ عَذَّبَهُمْ عَذَابَ الِاسْتِئْصَالِ كَمَا فَعَلَ بِعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ فِرْعَوْنَ.

- مِنْ أَسَالِيبِ الْمُشْرِكِينَ فِي مُحَارَبَةِ الدَّعْوَةِ:

٨- بَثُّ الْإِشَاعَاتِ وَالتَّشْوِيشِ؛ لِلْحَيْلُولَةِ دُونَ سَمَاعِ الْقُرْآنِ.

كَمَا مَرَّ ذِكْرُ ذَلِكَ؛ مِنَ اتِّهَامِ النَّبِيِّ ﷺ بِأَنَّهُ كَاهِنٌ، وَأَنَّهُ سَاحِرٌ، وَأَنَّهُ شَاعِرٌ، وَأَنَّهُ مَجْنُونٌ، وَاقْتَرَحُوا عَلَيْهِ الْمُقْتَرَحَاتِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ يَسْتَأْنِي بِهِمْ، بَلْ إِنَّهُ ﷺ يَدْعُو دَعْوَةً مُجْمَلَةً «**اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**»؛ فَالنَّبِيُّ ﷺ صَدَقَ مَنْ سَمَّاهُ: بِالرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ ﷺ.

كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَتَوَاصَوْنَ بَيْنَهُمْ بِافْتِعَالِ ضَجَّةٍ عَالِيَةٍ وَصِيَاحٍ مُنْكَرٍ عِنْدَمَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ؛ حَتَّىٰ لَا يَسْمَعَ فَيَفْهَمَ فَيَتْرُكَ أَثَرًا فِي عَقْلٍ نَقِيٍّ وَقَلْبٍ طَيِّبٍ؛ فِي ذَلِكَ قَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦].

- مِنْ أَسَالِيبِهِمْ:

٩- الِاعْتِدَاءُ الْجَسَدِيُّ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَإِيذَاؤُهُ بَدَنِيًّا ﷺ.

لَمْ يَفْتُرِ الْمُشْرِكُونَ عَنْ صَدِّ النَّاسِ عَنْ دَعْوَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَكِنَّ جَمِيعَ مُحَاوَلَاتِهِمْ فَشِلَتْ، وَكُلُّ وَسَائِلِهِمْ تَلَاشَتْ أَمَامَ صَوْتِ الْحَقِّ وَالثَّبَاتِ عَلَىٰ دِينِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، وَأَمَامَ هَذَا الْفَشَلِ الزَّرِيعِ وَالِانْهِيَارِ السَّرِيعِ لِمُحَاوَلَاتِ الْمُشْرِكِينَ اشْتَدَّ أَذَاهُمْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ لَعَلَّهُ يَضْعُفُ أَوْ يَتَرَاجَعُ.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللهِ وَمَا يُؤْذَىٰ أَحَدٌ، وَأُخِفْتُ فِي اللهِ وَمَا يَخَافُ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مَا بَيْنَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، وَمَا لِي وَلِبِلَالٍ مَا يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا مَا يُوَارِي إِبِطُ بِلَالٍ**». أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ مَاجَهْ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

مِنْ ذَلِكَ إِيذَاءُ أَبِي جَهْلٍ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ؛ حَيْثُ زَعَمَ أَنَّهُ يَطَأُ عُنُقَ الرَّسُولِ ﷺ، أَوْ يُعَفِّرُ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ ﷺ، وَقَدْ حَمَىٰ اللهُ رَسُولَهُ مِنْ ذَلِكَ، فَلَمَّا هَمَّ بِهِ وَجَدَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ خَنْدَقًا وَهَوْلًا وَأَجْنِحَةً؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا**».

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: لَئِنْ رَأَيْتُ مُحَمَّدًا يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ لَآتِيَنَّهُ حَتَّىٰ أَطَأَ عَلَىٰ عُنُقِهِ، قَالَ: قَالَ ﷺ: «**لَوْ فَعَلَ لَأَخَذَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عِيَانًا، وَلَوْ أَنَّ الْيَهُودَ تَمَنَّوا الْمَوْتَ لَمَاتُوا وَرَأَوْا مَقَاعِدَهُمْ**

فِي النَّارِ، وَلَوْ خَرَجَ الَّذِينَ يُبَاهِلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَرَجَعُوا لَا يَجِدُونَ مَالًا وَلَا أَهْلًا». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

كَذَلِكَ مَا كَانَ مِنْ إِيذَاءِ أَبِي لَهَبٍ وَامْرَأَتِهِ، وَمَا كَانَتْ تَصْنَعُ تِلْكَ السَّفِيهَةُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْإِيذَاءِ وَالِاسْتِهْزَاءِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، وَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ إِلَّا أَنْ يُفَوِّضَ أَمْرَهُ إِلَىٰ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، وَأَنْ يَصْبِرَ عَلَىٰ هَذَا الْبَلَاءِ؛ حَتَّىٰ يَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا.

لَمَّا لَمْ تُثْمِرْ أَسَالِيبُهُمْ فِي صَدِّ الرَّسُولِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ عَنْ دِينِهِمْ؛ لَجَؤُوا إِلَىٰ الِاعْتِدَاءِ الْجَسَدِيِّ وَالتَّصْفِيَةِ الْجَسَدِيَّةِ.

اسْتَفْحَلَ إِيذَاؤُهُمْ لِلرَّسُولِ ﷺ فِي الْفَتْرَةِ الْعَلَنِيَّةِ؛ لِغَضَبِهِمْ مِنْهُ حِينَ أَضْحَىٰ يُظْهِرُ شَعَائِرَ دِينِهِ مِثْلَ الصَّلَاةِ عِنْدَ الْكَعْبَةِ.

النَّبِيُّ ﷺ تَعَرَّضَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْأَذَىٰ؛ مِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ بِسَنَدِهِ إِلَىٰ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: سَأَلْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو عَنْ أَشَدِّ مَا صَنَعَ الْمُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: رَأَيْتُ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ جَاءَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، فَوَضَعَ رِدَاءَهُ فِي عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ خَنْقًا شَدِيدًا، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حَتَّىٰ دَفَعَهُ عَنْهُ ﷺ، فَقَالَ: أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ؟!

كَذَلِكَ مَا كَانَ مِنْ شَأْنِهِمْ وَاسْتِهْزَائِهِمْ بِالنَّبِيِّ ﷺ حَتَّىٰ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا، فَأَتَىٰ بِسَلَا جَزُورٍ فَجَعَلَهُ بَيْنَ كَتِفَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ سَاجِدٌ.

أَخْرَجَ أَبُو يَعْلَىٰ وَالْبَزَّارُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ: عَنْ أَنَسٍ قَالَ: لَقَدْ ضَرَبُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّةً حَتَّىٰ غُشِيَ عَلَيْهِ؛ فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ فَجَعَلَ يُنَادِي: وَيْلَكُمْ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ؟ فَتَرَكُوهُ وَأَقْبَلُوا عَلَىٰ أَبِي بَكْرٍ.

وَتَسَلَّطَ عَلَيْهِ عُتْبَةُ بْنُ أَبِي لَهَبٍ بِالْأَذَىٰ، وَشَقَّ قَمِيصَهُ، وَتَفَلَ فِي وَجْهِهِ ﷺ إِلَّا أَنَّ الْبُزَاقَ لَمْ يَقَعْ عَلَيْهِ، وَحِينَئِذٍ دَعَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبًا مِنْ كِلَابِكَ**»؛ وَاسْتُجِيبَ دُعَاؤُهُ فَذَبَحَهُ السَّبُعُ وَهُوَ بِالزَّرْقَاءِ بِالشَّامِ، وَحَاوَلَتْ أُمُّ جَمِيلٍ -أَرْوَىٰ أَوِ الْعَوَاءُ بِنْتُ حَرْبٍ، أُخْتُ أَبِي سُفْيَانَ، زَوْجَةُ أَبِي لَهَبٍ- أَنْ تَعْتَدِيَ عَلَيْهِ بِحَجَرٍ فَحَمَاهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنْهَا، وَكَانَتْ تَحْمِلُ الْحَطَبَ لِتَضَعَهُ فِي طَرِيقِهِ ﷺ.

- مِنْ أَسَالِيبِهِمْ:

١٠- سَعْيُهُمْ لِإِبْعَادِ ضُعَفَاءِ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا جَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ فَجَلَسَ إِلَيْهِ الْمُسْتَضْعَفُونَ مِنْ أَصْحَابِهِ؛ خَبَّابٌ، وَعَمَّارٌ، وَصُهَيْبٌ الرُّومِيُّ، وَبِلَالٌ الْحَبَشِيُّ، وَأَبُو فُكَيْهَةَ يَسَارٌ مَوْلَىٰ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ، وَأَضْرَابُهُمْ -مِمَّنْ لَهُمْ جَاهٌ عَرِيضٌ عِنْدَ اللهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَاهٌ عِنْدَ النَّاسِ- اسْتَهْزَأَ بِهِمُ الْمُشْرِكُونَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: هَؤُلَاءِ أَصْحَابُهُ كَمَا تَرَوْنَ!! أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا بِالْهُدَىٰ وَالْحَقِّ؟! وَلَوْ كَانَ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ خَيْرًا مَا سَبَقْنَا هَؤُلَاءِ إِلَيْهِ، وَمَا خَصَّهُمُ اللهُ بِهِ دُونَنَا.

وَقَدْ رَدَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مُبَيِّنًا فَضْلَهُمْ وَمَنْزِلَتَهُمْ؛ فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف: ١١].

وَمِنْ قَبْلِ ذَلِكَ قَالَ قَوْمُ نُوحٍ لِنُوحٍ نَحْوَ ذَلِكَ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾، إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًاۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ٢٧-٣١].

ثُمَّ سَعَىٰ رُؤَسَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْ يُنَحِّيَ هَؤُلَاءِ الضُّعَفَاءَ وَالْأَعْبُدَ عَنْ مَجْلِسِهِ كَيْ يَجْلِسُوا إِلَيْهِ، فَقَالُوا: لَوْ طَرَدْتَ عَنَّا هَؤُلَاءِ الْأَعْبُدَ فَإِنَّهُ يُؤْذِينَا أَرْوَاحُ جُبَابِهِمْ جَلَسْنَا إِلَيْكَ وَحَادَثْنَاكَ، فَقَالَ: ﷺ: «**مَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ**».

فَقَالُوا: فَأَقِمْهُمْ عَنَّا إِذَا جِئْنَا، فَإِذَا قُمْنَا فَأَقْعِدْهُمْ مَعَكَ إِنْ شِئْتَ، قَالَ: «**نَعَمْ**»؛ طَمَعًا فِي إِيمَانِهِمْ، فَقَدْ كَانَ ﷺ حَرِيصًا عَلَىٰ ذَلِكَ غَايَةَ الْحِرْصِ، حَتَّىٰ هَمَّ الرَّسُولُ ﷺ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ بِذَلِكَ كِتَابًا؛ فَأَنْزَلَ اللهُ عِتَابًا لِنَبِيِّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَىٰ مَنْزِلَةِ هَؤُلَاءِ الْفُقَرَاءِ وَالْأَعْبُدِ، وَجَاهِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ؛ فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥۖ مَا

عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٢].

فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَصْبِرُ نَفْسَهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ؛ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨].

وَقَدْ مَرَّ أَنَّ رَبَّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَاتَبَهُ بِشَأْنِ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ، وَالنَّبِيُّ ﷺ مَا زَالَ يَتَلَقَّىٰ مِنْ أُولَئِكَ مَا يَتَلَقَّىٰ مِنَ الْأَذَىٰ حَتَّىٰ إِنَّهُمْ اسْتَعَانُوا عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ بِالْيَهُودِ؛ فَأَرْشَدَهُمُ الْيَهُودُ إِلَىٰ أَنْ يَسْأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ عَنْ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ، وَعَمَّا كَانَ مِنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَعْلُومَةً عِنْدَهُ، وَفِيهَا قِصَّةٌ سَيَأْتِي ذِكْرُهَا -إِنْ شَاءَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يُقَدِّمْ الْمَشِيئَةَ فَاسْتَأْنَىٰ الْوَحْيُ عَلَيْهِ، ثُمَّ نَزَلَتِ الْآيَاتُ مُبَيِّنَةً الْأَجْوِبَةَ عَنْ سُؤَالَاتِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ اسْتَعَانُوا بِالْيَهُودِ فِي طَرْحِ تِلْكَ الْأَسْئِلَةِ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ.

مَا أَشَدَّ مَا لَقِيَ، وَمَا أَشَدَّ مَا لَقِيَ أَصْحَابُهُ حَتَّىٰ يُؤَدُّوا إِلَيْنَا الْأَمَانَةَ؛ وَهِيَ دِينُ اللهِ جَلَّ وَعَلَا مُبَرَّءًا مِنْ كُلِّ شَوْبٍ، مُصَفًّىٰ مِنْ كُلِّ كَدَرٍ؛ لِكَيْ تَحْمِلُوهُ أَيَّتُهَا الْأُمَّةُ لِتُؤَدُّوهُ بَعْدَ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِ لِلْأَجْيَالِ مِنْ بَعْدِكُمْ، وِلِتَدْعُوا النَّاسَ جَمِيعًا؛ لِأَنَّ الْمَسْئُولِيَّةَ كَبِيرَةٌ جِدًّا، وَإِذَا كَانَ الْحَقُّ مَعَكُمْ وَالْبَشَرِيَّةُ إِنَّمَا تَحْفُرُ قَبْرَهَا

بِظِلْفِهَا، وَتَقِفُ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ، وَنَجَاتُهَا بِأَيْدِيكُمْ، وَفِي الشَّرْعِ الَّذِي حَمَّلَكُمْ اللهُ إِيَّاهُ وَأَنْعَمَ عَلَيْكُمْ بِهِ، وَفِي اتِّبَاعِ النَّبِيِّ الْأَرْشَدِ الَّذِي تَتَّبِعُونَهُ وَتُصَدِّقُونَهُ وَتُؤْمِنُونَ بِهِ، فَإِنْ لَمْ تُقَدِّمُوا هَذِهِ الْأَطْوَاقَ الَّتِي هِيَ أَطْوَاقُ النَّجَاةِ لِلْبَشَرِيَّةِ التَّعِيسَةِ الْمُعَذَّبَةِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ تَعَاسَتِهَا وَعَذَابِهَا فَمَاذَا يَكُونُ عِقَابُكُمْ عَلَىٰ تَقَاعُسِكُمْ؟!

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

❁ ❁ ❁

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة السَّادِسَة)

مِنْ مَادَّةِ

سِيرَة النَّبِيِّ ﷺ

[الْعَهْدُ الْمَكِّيُّ - ج٢]

www.menhag-un.com

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مِنَ الْأَسَالِيبِ الَّتِي اتَّخَذَتْهَا قُرَيْشٌ لِمُحَارَبَةِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَمُحَارَبَةِ النَّبِيِّ ﷺ:

فَمِنَ الْأَسَالِيبِ الَّتِي اتَّخَذَتْهَا قُرَيْشٌ لِمُحَارَبَةِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَمُحَارَبَةِ النَّبِيِّ ﷺ مَا كَانَ مِنْ عَرْضِهِمْ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَنْفِيَ عَنْهُ الْمُسْتَضْعَفِينَ حَتَّىٰ يَغْشَوْا مَجْلِسَهُ وَيَكُونُوا سَامِعِينَ لَهُ، وَقَدْ نَزَلَتْ الْآيَاتُ فِي عِتَابِ النَّبِيِّ ﷺ بِشَأْنِ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ وَهُوَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَقَدْ أَتَىٰ رَسُولَ اللهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَكَانَ أَعْمَىٰ، وَعِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ صَنَادِيدُ قُرَيْشٍ عُتْبَةُ وَشَيْبَةُ ابْنَا رَبِيعَةَ وَأَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ وَالْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ رَجَاءَ أَنْ يُسْلِمَ بِإِسْلَامِهِمْ كَثِيرُونَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَقْرِئْنِي وَعَلِّمْنِي مِمَّا عَلَّمَكَ اللهُ، وَكَرَّرَ ذَلِكَ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ تَشَاغُلَهُ بِالْقَوْمِ، فَكَرِهَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَطْعَهُ لِكَلَامِهِ، فَلَمَّا أَكْثَرَ عَلَيْهِ انْصَرَفَ عَنْهُ عَابِثًا وَتَرَكَهُ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ۝١٣ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ۝١٤ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ۝١٥ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ﴾ [عبس: ١-١٦].

وَقَدْ اسْتَخْلَفَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ الْمَدِينَةِ مَرَّتَيْنِ وَكَانَتْ وَفَاتُهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِالْقَادِسِيَّةِ، وَقِيلَ عَادَ مِنْهَا ثُمَّ تُوُفِّيَ بِالْمَدِينَةِ.

وَعَلىٰ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْقُرْآنَ مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْمُبَشِّرِينَ وَالْمُسْتَشْرِقِينَ وَمَنْ تَابَعَهُمْ أَنْ يَتَأَمَّلُوا فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ وَالَّتِي قَبْلَهَا بِشَأْنِ الْمُسْتَضْعَفِينَ؛ لِيَرَوْا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مِنَ عِنْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَمَا عَهِدْنَا أَنَّ بَشَرًا مَهْمَا كَانَ يُؤَاخِذُ نَفْسَهُ فِي كِتَابٍ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ هَذِهِ الْمُوَآخَذَةَ، اللَّهُمَّ إِلَّا إِذَا أَنْكَرْنَا عُقُولَنَا، وَأَنْكَرْنَا الْفِطْرَةَ الْبَشَرِيَّةَ، وَالطَّبِيعَةَ الإِنْسَانِيَّةَ، وَهَذِهِ كُتُبُ الْفَلَاسِفَةِ وَالْمُصْلِحِينَ قَدِيمًا وَحَدِيثًا مَا وَجَدْنَا فِيهَا شَيْئًا مِنْ هَذَا، بَلْ رَأَيْنَا أَنَّ أَيَّ بَشَرٍ مَهْمَا بَلَغَ يُحَاوِلُ إِخْفَاءَ مَا يُوَآخَذُ بِهِ مَا اسْتَطَاعَ.

فَهَذِهِ الْمُعَاتَبَاتُ أَوْ إِنْ شِئْتَ فَسَمِّهَا الْمُؤَاخَذَاتِ الرَّفِيعَةَ مِنْ أَقْوَىٰ الْأَدِلَّةِ عَلَىٰ أَنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ مِنْ عِنْدِ بَشَرٍ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ خَالِقِ الْقُوَىٰ وَالْقُدَرِ، الَّذِي لَا يُدَاهِنُ وَلَا يُحَابِي.

وَقَدْ فَطِنَ إِلَىٰ ذَلِكَ الْمَعْنَىٰ أَحَدُ السَّلَفِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ فَقَالَ: «لَوْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ كَاتِمًا شَيْئًا مِنَ الْوَحْيِ لَكَتَمَ هَذَا».

وَكَذَلِكَ مِنْ أَسَالِيبِهِمْ فِي مُحَارَبَةِ الدَّعْوَةِ، وَمُحَارَبَةِ النَّبِيِّ ﷺ مَا كَانَ مِنْ أَسْئِلَتِهِمُ التَّعْجِيزِيَّةِ -مِنْ وِجْهَةِ نَظَرِهِمْ- وَمَا لَجَأُوا فِيهِ إِلَىٰ الْيَهُودِ لِكَيْ يُرْشِدُوهُمْ إِلَىٰ أُمُورٍ خَفِيَّةٍ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالْمِلَّةِ وَالْإِيمَانِ لِكَيْ يَسْأَلُوا عَنْهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ.

بَعَثَتْ قُرَيْشٌ اثْنَيْنِ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلرَّسُولِ ﷺ وَهُمَا النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ كِلْدَةَ بْنِ عَلْقَمَةَ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ، وَعُقْبَةُ بْنُ أَبِي

مُعَيْطٍ إِلَىٰ أَحْبَارِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ، وَقَالُوا لَهُمَا سَلَاهُمْ -أَوْ سَلُوا الْيَهُودَ- عَنْ مُحَمَّدٍ، وَصِفَا لَهُمْ وَصْفَهُ، وَأَخْبِرَاهُمْ بِقَوْلِهِ؛ فَإِنَّهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ وَعِنْدَهُمْ عِلْمُ مَا لَيْسَ عِنْدَنَا مِنْ عِلْمِ الْأَنْبِيَاءِ، فَخَرَجَا حَتَّىٰ قَدِمَا الْمَدِينَةَ، فَسَأَلَا أَحْبَارَ الْيَهُودِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ووَصَفَا لَهُمْ أَمْرَهُ وَبَعْضَ قَوْلِهِ، وَقَالَا إِنَّكُمْ أَهْلُ التَّوْرَاةِ، وَقَدْ جِئْنَاكُمْ لِتِخْبِرُونَا عَنْ صَاحِبِنَا هَذَا، فَقَالَ لَهُمْ أَحْبَارُ الْيَهُودِ: سَلُوهُ عَنْ ثَلَاثٍ نَأْمُرُكُمْ بِهِنَّ، فَإِنْ أَخْبَرَكُمْ بِهِنَّ فَهُوَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَهُوَ رَجُلٌ مُتَقَوِّلٌ، فَرُوا فِيهِ رَأْيَكُمْ.

سَلُوهُ عَنْ فِتْيَةٍ ذَهَبُوا فِي الدَّهْرِ الْأَوَّلِ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ؟ فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ لَهُمْ أَمْرٌ عَجِيبٌ، وَسَلُوهُ عَنْ رَجُلٍ طَافَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا مَا كَانَ نَبَؤُهُ؟

وَسَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ مَا هِيَ؟

فَأَقْبَلَ النَّضْرُ وَعُقْبَةُ حَتَّىٰ قَدِمَا عَلَىٰ قُرَيْشٍ، فَقَالَا: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ قَدْ جِئْنَاكُمْ بِفَصْلِ مَابَيْنَكُمْ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ، قَدْ أَمَرَنَا أَحْبَارُ يَهُودَ أَنْ نَسْأَلَهُ عَنْ أُمُورٍ، فَأَخْبَرَاهُمْ بِهَا، فَجَاءُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنَا، فَسَأَلُوهُ عَمَّا أَمَرُوهُمْ بِهِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أُخْبِرُكُمْ غَدًا بِمَا سَأَلْتُمْ عَنْهُ، وَلَمْ يَقُلْ: إِنْ شَاءَ اللهُ!

فَانْصَرَفُوا عَنْهُ، وَمَكَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً لَا يُحْدِثُ اللهُ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ وَحْيًا، وَلَا يَأْتِيهِ جِبْرِيلُ، حَتَّىٰ أَرْجَفَ أَهْلُ مَكَّةَ وَقَالُوا: وَعَدَنَا مُحَمَّدٌ غَدًا وَالْيَوْمَ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً قَدْ أَصْبَحْنَا مِنْهَا، لَا يُخْبِرُنَا بِشَيْءٍ مِمَّا سَأَلْنَاهُ عَنْهُ، حَتَّىٰ

أَحْزَنَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مُكْثُ الْوَحْيِ عَنْهُ، وَشَقَّ عَلَيْهِ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ أَهْلُ مَكَّةَ، ثُمَّ جَاءَ جِبْرِيلُ عليه السلام مِنَ اللهِ عز وجل بِصُورَةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقَدِ احْتَبَسْتَ عَنِّي يَا جِبْرِيلُ حَتَّىٰ سُؤْتُ ظَنًّا**»، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم: ٦٤].

وَقَدِ افْتَتَحَ السُّورَةَ سبحانه وتعالى بِحَمْدِهِ وَذِكْرِ نُبُوَّةِ نَبِيِّهِ، وَبِذِكْرِ آيَتِهِ الْعُظْمَىٰ وَهِيَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، وَهُوَ آيَةٌ بَيِّنَةٌ مُسْتَقِيمَةٌ لَا عِوَجَ فِيهَا وَلَا اخْتِلَافَ وَلَا تَنَاقُضَ، أَنْزَلَهُ لِإِنْذَارِ الْكَافِرِينَ وَالْعَاصِينَ، وَتَبْشِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ، فَقَالَ سبحانه وتعالى:

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ ... ﴾، إِلَىٰ قوله: ﴿ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾، ثُمَّ أَشْفَقَ عَلَيْهِ لِحُزْنِهِ عَلَىٰ عَدَمِ إِيمَانِ قَوْمِهِ حُزْنًا يَكَادُ يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ، فَقَالَ: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف: ٦].

ثُمَّ شَرَعَ سبحانه وتعالى فِي الْإِجَابَةِ عَنْ قِصَّةِ مَنْ سَأَلُوهُ عَنْهُمْ مِنْ شَأْنِ الْفِتْيَةِ الَّذِينَ كَانُوا فِي الزَّمَنِ الْأَوَّلِ، فَقَالَ: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ [الكهف: ٩]. إِلَىٰ آخِرِ قِصَّتِهِمْ.

وَذَكَرَ فِي أَثْنَائِهَا تَعْلِيمُهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ بِذِكْرِ الْمَشِيئَةِ فِي كَلَامِهِ فِيمَا يُسْتَقْبَلُ، فَقَالَ: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الكهف:٢٣-٢٤].

ثُمَّ ذَكَرَ شَأْنَ الرَّجُلِ الطَّوَّافِ فَقَالَ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾ [الكهف: ٨٣]. إِلَىٰ آخِرِ الْقِصَّةِ.

وَكَذَلِكَ أَنْزَلَ اللهُ فِي سُؤَالِهِمْ عَنِ الرُّوحِ قَوْلَهُ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥].

وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي سِيرَتِهِ يُوَافِقُهُ مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي سُنَنِهِ وَقَالَ: إِنَّهُ صَحِيحٌ، وَهُوَ يَتَّفِقُ وَكَوْنَ الْآيَةِ مَكِّيَّةً، وَلَكِنْ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ مَعَ النَّبِيِّ وَقَدْ مَرَّ عَلَىٰ يَهُودَ وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَىٰ عَسِيفِ نَخْلٍ، فَقَالَ الْيَهُودُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، فَسَكَتَ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ أَقَامَ سَاعَةً يَنْظُرُهُمْ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يُوحَىٰ إِلَيْهِ، فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْهُ قَالَ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ...﴾ الآية.

وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّ السَّائِلَ الْيَهُودُ، وَأَنَّ الْآيَةَ مَدَنِيَّةٌ، فَمِنْ ثَمَّ رَجَّحَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مَا فِي الصَّحِيحَيْنِ وَقَالُوا: إِنَّ الْآيَةَ مَدَنِيَّةٌ، وَبَعْضُ السُّوَرِ الْمَكِّيَّةِ فِيهَا بَعْضُ الْآيَاتِ الْمَدَنِيَّةِ وَبِالْعَكْسِ.

وَذَهَبَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ وَمِنْهُمْ ابْنُ كَثِيرٍ إِلَىٰ تَعَدُّدِ النُّزُولِ، بِأَنْ تَكُونَ نَزَلَتْ فِي مَكَّةَ بِسَبَبِ سُؤَالِ الْمُشْرِكِينَ لَهُ بَعْدَ اسْتِشَارَتِهِمْ الْيَهُودَ، ثُمَّ نَزَلَتْ فِي الْمَدِينَةِ بَعْدُ لَمَّا مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ الْيَهُودِ وَسَأَلُوهُ، وَلَا مَانِعَ كَمَا قَالَ الزَّرْكَشِيُّ وَغَيْرُهُ، مِنْ تَكَرُّرِ نُزُولِ بَعْضِ آيِ الْقُرْآنِ تَعْظِيمًا لِشَأْنِهَا وَتَذْكِيرًا بِهَا.

وَقَدْ حَمَلُوا قَوْلَ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فَسَكَتَ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ أَقَامَ سَاعَةً يَنْظُرُ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يُوحَىٰ إِلَيْهِ، فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْهُ قَالَ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ...﴾ الآيَةَ.

حَمَلُوا هَذِهِ السَّكْتَةَ عَلَىٰ أَنَّهُ رُبَّمَا كَانَ هُنَاكَ مَزِيدُ عِلْمٍ يَأْتِيهِ بِغَيْرِ مَا قَدْ نَزَلَ قَبْلُ، أَوْ بِزِيَادَةٍ عَلَيْهِ.

لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ قَالَ أَحْبَارُ يَهُودَ: يَا مُحَمَّدُ، أَرَأَيْتَ قَوْلَكَ: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]. أَإِيَّانَا تُرِيدُ؟ أَمْ تُرِيدُ قَوْمَكَ؟

قَالَ: كُلًّا عَنَيْتُ.

قَالُوا: فَإِنَّكَ تَتْلُو فِيمَا جَاءَكَ أَنَّا أُوتِينَا التَّوْرَاةَ فِيهَا بَيَانُ كُلِّ شَيْءٍ، فَقَالَ ﷺ: **«إِنَّهَا فِي عِلْمِ اللهِ قَلِيلٌ، وَعِنْدَكُمْ فِي ذَلِكَ مَا يَكْفِيكُمْ لَوْ أَقَمْتُمُوهُ»**

فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَيْهِ فِيمَا سَأَلُوهُ عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧].

أَيْ أَنَّ التَّوْرَاةَ وَغَيْرَهَا مِنْ عِلْمِ اللهِ شَيْءٌ قَلِيلٌ.

وَمِمَّنْ كَانَ يُصِيبُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِالْأَذَىٰ وَيُجَادِلُهُ وَيَرُدُّ عَلَيْهِ مَا كَانَ مِنْ شَأْنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِيهِ: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم: ١٠-١٣].

وَكَانُوا يَتَهَكَّمُونَ عَلَىٰ كِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَيَتَهَكَّمُونَ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَانُوا يَأْتُونَ بِعَظَائِمِ الْأَقْوَالِ وَمُنْكَرَاتِهَا، وَتَنْزِلُ الْآيَاتُ فِي شَأْنِ هَؤُلَاءِ عِنْدَ مُجَادَلَاتِهِمْ بَلْ وَعِنْدَ أَمَانِيِّهِمْ، وَقَدِ اعْتَرَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أُبَيَّ بْنَ خَلَفٍ وَهُوَ

يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ، وَكَذَا الْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّىٰ، وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، وَالْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ السَّهْمِيُّ، وَكَانُوا ذَوِي أَسْنَانٍ فِي قَوْمِهِمْ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ هَلُمَّ فَلْنَعْبُدْ مَا تَعْبُدُ، وَتَعْبُدُ مَا نَعْبُدُ فَنَشْتَرِكُ نَحْنُ وَأَنْتَ فِي الْأَمْرِ، فَإِنْ كَانَ الَّذِي تَعْبُدُ خَيْرًا مِمَّا نَعْبُدُ كُنَّا قَدْ أَخَذْنَا بِحَظِّنَا مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ مَا نَعْبُدُ خَيْرًا مِمَّا تَعْبُدُ كُنْتَ قَدْ أَخَذْتَ بِحَظِّكَ مِنْهُ، وَهُوَ عَرْضٌ خَبِيثٌ مَاكِرٌ يَدُلُّ عَلَىٰ حِيلَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَبَاقَةٍ فِي حُسْنِ الْعَرْضِ، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَىٰ مَا كَانَ يَتَمَتَّعُ بِهِ الْقَوْمُ مِنْ ذَكَاءٍ وَفِطْنَةٍ وَعَقْلٍ، وَلَكِنَّ حَجَبَتْهَا الْعَقَائِدُ الْمَوْرُوثَةُ وَالْأَوْهَامُ الْفَاسِدَةُ وَالتَّقْلِيدُ لِمَا عَلَيْهِ الْآبَاءُ عَنِ الْإِذْعَانِ لِلْحَقِّ وَالْخُضُوعِ لَهُ، وَمَا كَانَتْ هَذِهِ الْحِيلَةُ الْمَاكِرَةُ لِتَجُوزَ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَدْ رَفَضَهَا وَاسْتَنْكَرَهَا، فَأَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ تَأْيِيسًا لَهُمْ وَقَطْعًا لِأَطْمَاعِهِمْ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ [سورة الكافرون].

وَالنَّفْيُ فِي الْآيَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ يَتَعَلَّقُ بِالزَّمَنِ الْحَاضِرِ ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾، وَفِي الْآيَتَيْنِ الْأُخْرَيَيْنِ يَتَعَلَّقُ بِالْمُسْتَقْبَلِ ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ وَذَلِكَ لِقَطْعِ أَطْمَاعِهِمْ فِيهِ فِي الْحَاضِرِ وَالْمُسْتَقْبَلِ، ثُمَّ أَكَّدَ النَّفْيَ بِقَوْلِهِ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾.

وَلَمَّا رَأَىٰ الْمُشْرِكُونَ أَنَّ سِيَاسَةَ الْإِغْرَاءِ وَالْمُلَايَنَةِ وَالْمُجَادَلَةِ وَالْمُغَالَطَةِ لَمْ تُجْدِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَادُوا إِلَىٰ سِيَاسَةِ الْإِيذَاءِ، فَمِنْ ذَلِكَ مَا كَانَ يُؤْذِي بِهِ

رَسُولَ اللهِ ﷺ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ وَكَانَ مِنْ شَيَاطِينِ قُرَيْشٍ، وَيَنْصِبُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ بِالْعَدَاوَةِ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مُعَارَضَةُ مَا يَذْكُرُهُ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأُمَمِ بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ أَسَاطِيرَ تَعَلَّمَهَا مِنْ بِلَادِ الْحِيرَةِ عَنْ مُلُوكِ فَارِسٍ، وَأَحَادِيثَ رُسْتَمَ وَاسْفِنْدِيَارَ، فَكَانَ إِذَا جَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَجْلِسًا يَعْلَمُ وَيُذَكِّرُ خَلْفَهُ فِي مَجْلِسِهِ فَحَدَّثَهُمْ بِمَا مَعَهُ ثُمَّ يَقُولُ: مَا مُحَمَّدٌ بِأَحْسَنَ حَدِيثًا مِنِّي، أَنَا وَاللهِ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْهُ، وَمَا حَدِيثُهُ إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا كَمَا اكْتَتَبَتَهَا، وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ فِي مَقَالَتِهِ وَالرَّدِّ عَلَيْهِ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٥- ٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [القلم: ١٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان: ٦- ٧].

وَمِنَ الْعَجِيبِ حَقًّا، أَنَّ ابْنَ إِسْحَاقَ رَوَىٰ عَنْ هَذَا الشَّيْطَانِ الْمُتَمَرِّدِ عَلَىٰ النُّبُوَّةِ أَنَّهُ قَالَ لِقُرَيْشٍ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنَّهُ وَاللهِ قَدْ نَزَلَ بِكُمْ أَمْرٌ مَا أَتَيْتُمْ لَهُ بِحِيلَةٍ بَعْدُ، قَدْ كَانَ مُحَمَّدٌ فِيكُمْ غُلَامًا حَدَثًا أَرْضَاكُمْ فِيكُمْ وَأَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا وَأَعْظَمُكُمْ أَمَانَةً، حَتَّىٰ إِذَا رَأَيْتُمْ فِي صُدْغَيْهِ الشَّيْبَ وَجَاءَكُمْ بِمَا جَاءَكُمْ بِهِ قُلْتُمْ: سَاحِرٌ، لَا وَاللهِ مَا هُوَ بِسَاحِرٍ! لَقَدْ رَأَيْنَا السَّحَرَةَ نَفْثَهُمْ وَعُقَدَهُمْ، وَقُلْتُمْ:

كَاهِنٌ، لَا وَاللهِ مَا هُوَ بِكَاهِنٍ! وَقَدْ رَأَيْنَا الْكَهَنَةَ وَتَخَالُجَهُمْ، وَسَمِعْنَا سَجْعَهُمْ، وَقُلْتُمْ: شَاعِرٌ، لَا وَاللهِ مَا هُوَ بِشَاعِرٍ، وَقَدْ رَأَيْنَا الشِّعْرَ وَسَمِعْنَا أَصْنَافَهُ كُلَّهَا هَزَجَهُ وَرَجَزَهُ، وَقُلْتُمْ: مَجْنُونٌ، لَا وَاللهِ مَا هُوَ بِمَجْنُونٍ، لَقَدْ رَأَيْنَا الْجُنُونَ فَمَا هُوَ بِخَنْقِهِ وَلَا وَسْوَسَتِهِ وَلَا تَخْلِيطِهِ.

يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، فَانْظُرُوا فِي شَأْنِكُمْ فَإِنَّهُ وَاللهِ قَدْ نَزَلَ بِكُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ!

وَكَأَنَّهُ كَانَ يَرَىٰ هَذَا وَيَعْتَقِدُهُ، ثُمَّ انْجَرَفَ فِي تَيَّارِ عَدَاوَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَمُعَادَاتِهِ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ شِقْوَتُهُ فَصَارَ يَتَعَقَّبُ الرَّسُولَ ﷺ وَيَقُولُ فِيهِ مَا قَالَ.

وَكَذَلِكَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ كَانَ يَهْمِزُ الرَّسُولَ ﷺ وَكَانَ يُغْرِي بِهِ كَمَا وَقَع فِي إِغْرَائِهِ لِعُقْبَةَ بِالنَّيْلِ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ.

وَكَذَلِكَ مَا كَانَ مِنْ شَأْنِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ الَّذِي كَانَ يَلْمِزُ النَّبِيَّ، وَيَصِفُهُ بِأَنَّهُ أَبْتَرُ، فَقَدْ بَلَغَ الْبُغْضُ وَالسَّفَهُ بِبَعْضِ الْمُشْرِكِينَ أَنْ عَابُوا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا لَا خِيرَةَ لَهُ فِيهِ مِنْ مَوْتِ أَوْلَادِهِ الذُّكُورِ، وَلَا يُخِلُّ هَذَا بِدِينٍ وَلَا مُرُوءَةٍ وَلَا رُجُولَةٍ، فَمِنْ هَؤُلَاءِ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ السِّهْمِيُّ، كَانَ إِذَا ذُكِرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: دَعُوهُ! فَإِنَّمَا هُوَ أَبْتَرُ لَا عَقِبَ لَهُ لَوْ مَاتَ لَانْقَطَعَ ذِكْرُهُ وَاسْتَرَحْتُمْ مِنْهُ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ سُورَةَ الْكَوْثَرِ بَيَانًا لِبَعْضِ مَا رَفَعَ اللهُ بِهِ ذِكْرَ رَسُولِهِ، وَأَنَّ شَانِئَهُ هُوَ الْأَبْتَرُ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣﴾ [سورة الكوثر: ١-٣].

وَالنَّبِيُّ ﷺ رُبَّمَا غَاظَهُ هَذَا الَّذِي كَانَ يَقَعُ مِنْ هَؤُلَاءِ الشَّيَاطِينِ مِنَ الِاسْتِهْزَاءِ وَالسُّخْرِيَةِ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ مُسَلِّيًا وَمُوَاسِيًا وَمُنَدِّدًا بِهِمْ وَمُنْذِرًا قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الأنبياء: ٤١].

وَلَمْ يَعْبَأْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِكُلِّ هَذَا، بَلْ مَضَىٰ إِلَىٰ سَبِيلِهِ يَدْعُو إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَمَا زَادَهُ الْإِسْرَافُ فِي الْإِيذَاءِ وَالِاسْتِهْزَاءِ إِلَّا إِصْرَارًا عَلَىٰ الدَّعْوَةِ، وَلَمَّا اشْتَدَّ أَذَىٰ قُرَيْشٍ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ هَدَّدَهُمْ وَدَعَا عَلَيْهِمْ كَمَا فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «حَضَرَتْهُمْ وقَدِ اجْتَمَعَ أَشْرَافُهُمْ يَوْمًا فِي الْحِجْرِ فَذَكَرُوا رَسُولَ اللهِ فَقَالُوا: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ مَا صَبَرْنَا عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ قَطُّ سَفَّهَ أَحْلَامَنَا، وَشَتَمَ آبَاءَنَا، وَعَابَ دِينَنَا، وَفَرَّقَ جَمَاعَتَنَا، وَسَبَّ آلِهَتَنَا، لَقَدْ صَابَرْنَا مِنْهُ عَلَىٰ أَمْرٍ عَظِيمٍ أَوْ كَمَا قَالَ: فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ طَلَعَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَقْبَلَ يَمْشِي حَتَّىٰ اسْتَلَمَ الرُّكْنَ، ثُمَّ مَرَّ بِهِمْ طَائِفًا بِالْبَيْتِ فَلَمَّا أَنْ مَرَّ بِهِمْ غَمَزُوهُ بِبَعْضِ مَا يَقُولُونَ، قَالَ: فَعَرَفْتَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ مَضَىٰ، فَلَمَّا مَرَّ بِهِمِ الثَّالِثَةَ فَغَمَزُوهُ بِمِثْلِهَا، قَالَ: «**تَسْمَعُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَمَّا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ!**» -أَيْ جِئْتُكُمْ بِالْهَلَاكِ- **وَاسْتِهْزَاؤُكُمْ بِنَبِيِّكُمْ مِنْ أَسْرَعِ أَسْبَابِهِ، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ، فَأَخَذَتِ الْقَوْمُ كَلِمَتَهُ حَتَّىٰ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا كَأَنَّمَا عَلَىٰ رَأْسِهِ طَائِرٌ وَاقِعٌ حَتَّىٰ إِنَّ أَشَدَّهُمْ فِيهِ وَسَاطًا مِنْ قَبْلُ لِيَرْفَأَهُ بِأَحْسَنَ مَا يَجِدُ مِنَ الْقَوْمِ، حَتَّىٰ إِنَّهُ لَيَقُولُ: انْصَرِفْ أَبَا**

الْقَاسِمِ.. انْصَرِفْ رَاشِدًا فَوَاللهِ مَا كُنْتَ جَهُولًا! قَالَ: فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، حَتَّىٰ إِذَا كَانَ مِنَ الْغَدِ اجْتَمَعُوا فِي الْحِجْرِ وَأَنَا مَعَهُمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ذَكَرْتُمْ مَا بَلَغَ مِنْكُمْ وَمَا بَلَغَكُمْ عَنْهُ حَتَّىٰ إِذَا بَادَءَكُمْ بِمَا تَكْرَهُونَ تَرَكْتُمُوهُ؟ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ طَلَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَوَثَبُوا إِلَيْهِ وَثْبَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ فَأَحَاطُوا بِهِ يَقُولُونَ: أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ كَذَا وَكَذَا -كَمَا كَانَ يَبْلَغُهُمْ عَنْهُ مِنْ عَيْبِ آلِهَتِهِمْ وَدِينِهِمْ؟ قَالَ: فَيَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: نَعَمْ، أَنَا الَّذِي أَقُولُ ذَلِكَ!

قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْهُمْ أَخَذَ بِمَجْمَعِ رِدَائِهِ قَالَ: وَقَامَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ دُونَهُ يَقُولُ وَهُوَ يَبْكِي: أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ؟! ثُمَّ انْصَرَفُوا عَنْهُ فَإِنَّ ذَلِكَ لَأَشَدُّ مَا رَأَيْتُ قُرَيْشًا بَلَغَتْ مِنْهُ ﷺ.

لَمَّا وَقَعَ مِنْهُمْ مَا وَقَعَ دَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَمَا وَقَعَ لَمَّا دَعَا عَلَيْهِمْ عِنْدَمَا وَضَعَ أَشْقَىٰ الْقَوْمِ سَلَا الْجَزُورِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ﷺ وَهُوَ سَاجِدٌ عِنْدَ الْكَعْبَةِ وَهُمْ يَسْتَضْحِكُونَ يَمِيلُ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنَ الضَّحِكِ حَتَّىٰ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَرْفَعْ مِنْ سُجُودِهِ حَتَّىٰ جَاءَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فَنَحَّتْ عَنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا طَرَحُوهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ تَشْتِمُهُمْ فَلَمَّا قَضَىٰ النَّبِيُّ ﷺ صَلَاتَهُ رَفَعَ صَوْتَهُ ثُمَّ دَعَا عَلَيْهِمْ، وَكَانَ إِذَا دَعَا دَعَا ثَلَاثًا، وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ**»، فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ ذَهَبَ عَنْهُمُ الضَّحِكُ، وَخَافُوا دَعْوَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ**»، قَالَ: وَذَكَرَ السَّابِعَ وَلَمْ

أَحْفَظْهُ، فَوَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ سَمَّىٰ صَرْعَىٰ يَوْمَ بَدْرٍ، ثُمَّ سُحِبُوا إِلَىٰ الْقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ». أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانُ.

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ: ذَكَرَ السَّابِعَ وَهُوَ عُمَارَةُ بْنُ الْوَلِيدِ.

مَعَ هَذَا الْإِيذَاءِ كَانَ حِفْظُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا قَائِمًا، وَكَذَلِكَ كَانَتْ تَسْلِيَةُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَهُ تُثَبِّتُ فُؤَادَهُ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «**إِنَّ الْمَلَأَ مِنْ قُرَيْشٍ اجْتَمَعُوا فِي الْحِجْرِ، فَتَعَاقَدُوا بِاللَّاتِ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةِ الْأُخْرَىٰ وَنَائِلَةَ وَإِسَافٍ، لَوْ قَدْ رَأَيْنَا مُحَمَّدًا لَقَدْ قُمْنَا إِلَيْهِ قِيَامَ رَجُلٍ وَاحِدٍ فَلَمْ نُفَارِقْهُ حَتَّىٰ نَقْتُلَهُ، فَأَقْبَلَتِ ابْنَتُهُ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تَبْكِي حَتَّىٰ دَخَلَتْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: هَؤُلَاءِ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ، قَدْ تَعَاقَدُوا عَلَيْكَ، لَوْ قَدْ رَأَوْكَ، لَقَدْ قَامُوا إِلَيْكَ فَقَتَلُوكَ، فَلَيْسَ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا قَدْ عَرَفَ نَصِيبَهُ مِنْ دَمِكَ، فَقَالَ: يَا بُنَيَّةُ، أَرِينِي وَضُوءًا -وَهُوَ الْمَاءُ الَّذِي يُتَوَضَّأُ بِهِ-، فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِمُ الْمَسْجِدَ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا: هَا هُوَ ذَا، وَخَفَضُوا أَبْصَارَهُمْ، وَسَقَطَتْ أَذْقَانُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ، وَعُقِرُوا فِي مَجَالِسِهِمْ أَيْ لَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يُقَدِّمُوا وَلَا أَنْ يَتَقَدَّمُوا وَلَا أَنْ يَتَأَخَّرُوا وَانْهَارَتْ قُوَاهُمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا الْقِيَامَ فَعُقِرُوا فِي مَجَالِسِهِمْ، فَلَمْ يَرْفَعُوا إِلَيْهِ بَصَرًا، وَلَمْ يَقُمْ إليه رَجُلٌ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ قَامَ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ، فَأَخَذَ قَبْضَةً مِنَ تُّرَابٍ، فَقَالَ: شَاهَتِ الْوُجُوهُ -أَيْ قَبَّحَ اللهُ مَنْظَرَهَا، ثُمَّ حَصَبَهُمْ بِتِلْكَ الْقَبْضَةِ مِنَ التُّرَابِ فَمَا أَصَابَ رَجُلًا مِنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْحَصَىٰ حَصَاةٌ إِلَّا قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ كَافِرًا**». الْحَدِيثُ حَدِيثٌ حَسَنٌ. أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي الدَّلَائِلِ وَالْحَاكِمِ فِي الْمُسْتَدْرَكِ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ.

وَمَا كَانَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِيَدَعَ نَبِيَّهُ ﷺ بَلْ كَانَ مَعَهُ بِالنُّصْرَةِ وَالتَّأْيِيدِ.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «**جَاءَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ جَالِسٌ حَزِينًا، قَدْ خُضِبَ بِالدِّمَاءِ، ضَرَبَهُ أَهْلِ مَكَّةَ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ: مَا لَكَ؟ قَالَ: فَقَالَ لَهُ: فَعَلَ بِي هَؤُلَاءِ، وَفَعَلُوا. قَالَ: فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَتُحِبُّ أَنْ أُرِيَكَ آيَةً؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَنَظَرَ إِلَىٰ شَجَرَةٍ مِنْ وَرَاءِ الْوَادِي، فَقَالَ: ادْعُ تِلْكَ الشَّجَرَةِ. فَدَعَاهَا، فَجَاءَتْ تَمْشِي حَتَّىٰ قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: مُرْهَا فَلْتَرْجِعْ. فَأَمَرَهَا، فَرَجَعَتْ إِلَىٰ مَكَانِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: حَسْبِي**»، أَيْ هَذَا يَكْفِينِي. وَالْحَدِيثُ حَدِيثٌ صَحِيحٌ أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَابْنِ مَاجَهْ فِي سُنَنِهِ.

لَقَدْ كَانَ هَؤُلَاءِ يُحَاوِلُونَ الْإِغْرَاءَ، كَمَا كَانُوا يَأْتُونَ بِالْإِيذَاءِ وَكَمَا مَرَّ كَانُوا أَذْكِيَاءَ، وكَانُوا يَصْدُرُونَ عَنْ خُطَطٍ مُحْكَمَةٍ فِي مُحَارَبَةِ الدَّعْوَةِ، فَلَمْ تَكُنْ مُحَارَبَتُهُمْ لِلدَّعْوَةِ وَلَا مَنْ جَاءَ بِهَا لَمْ تَكُنْ مُحَاوَلَاتُهُمْ مُحَاوَلَاتٍ اعْتِبَاطِيَّةً، وَإِنَّمَا كَانَتْ بِدِرَاسَةٍ وَتَنْظِيمٍ فَيَجْتَمِعُونَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُقَرِّرُوا، ثُمَّ يَجْتَهِدُونَ فِي دِقَّةِ التَّنْفِيذِ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ تِلْكَ الْأَسَالِيبِ، وَمِنْهَا أَنَّهُمْ كَانُوا يَلْجَأُونَ إِلَىٰ التَّرْغِيبِ تَارَةً، وَإِلَىٰ التَّرْهِيبِ تَارَةً، وَإِلَىٰ الْإِيذَاءِ تَارَةً، وَإِلَىٰ الْإِغْرَاءِ تَارَةً أُخْرَىٰ، وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي ذَلِكَ قُرْآنًا يُتْلَىٰ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩].

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِهِ: وَدَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ يَا مُحَمَّدُ لَوْ تَلِينُ لَهُمْ فِي دِينِكَ بِإِجَابَتِكَ إِيَّاهُمْ إِلَىٰ الرُّكُونِ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ، فَيَلِينُونَ لَكَ فِي عِبَادَتِكَ إِلَهَكَ،

كَمَا قَالَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ [الإسراء: ٧٤- ٧٥].

وَإِنَّمَا هُوَ مَأْخُوذٌ مِنَ الدُّهْنِ، شَبَّهَ التَّلْيِينَ فِي الْقَوْلِ بِتَلْيِينِ الدُّهْنِ، وَقَدْ مَعْنَىٰ أَيْضًا مَا عَرَضُوهُ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ أَنْ يَعْبُدَ آلِهَتَهُمْ شَهْرًا أَوْ عَامًا، وَأَنْ يَعْبُدُوا إِلَهَهُ شَهْرًا أَوْ عَامًا، فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ سُورَةَ الْكَافِرُونَ، قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: «وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا جَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ فَجَلَسَ إِلَيْهِ الْمُسْتَضْعَفُونَ مِنْ أَصْحَابِهِ خَبَّابٌ وَعَمَّارٌ وأَبُو فُكَيْهَةَ يَسَارٌ مَوْلَىٰ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ، وَصُهَيْبٌ وَأَشْبَاهُهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ هَزَأَتْ بِهِمْ قُرَيْشٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: هَؤُلَاءِ أَصْحَابُهُ كَمَا تَرَوْنَ، أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا بِالْهُدَىٰ وَالْحَقِّ؟

لَوْ كَانَ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ خَيْرًا مَا سَبَقَنَا هَؤُلَاءِ إِلَيْهِ، وَمَا خَصَّهُمُ اللهُ بِهِ دُونَنَا، فَأَرَادُوا أَنْ يُغْرُوا النَّبِيَّ ﷺ بِطَرْدِ هَؤُلَاءِ الْمُسْتَضْعَفِينَ لَيَحُلُّوا هُمْ مَحَلَّهُمْ وَالنَّبِيُّ ﷺ كَانَ حَرِيصًا عَلَىٰ هِدَايَتِهِمْ وَإِسْلَامِهِمْ رَجَاءَ أَنْ يُسْلِمَ مَنْ وَرَاءَهُمْ، وَلَكِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْزَلَ فِي ذَلِكَ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢].

❁ ❁ ❁

www.menhag-un.com

اسْتِمَاعُ زُعَمَاءِ الشِّرْكِ إِلَى الْقُرْآنِ سِرًّا

لَقَدْ كَانَ مِنْ أَسَالِيبِهِمْ مَا كَانَ مِنْ مَوْقِفِهِمْ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ وَمَا كَانَ مَوْقِفُهُمْ مِنْ كِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَتَوَاصَوْنَ بِعَدَمِ اسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ مَعَ أَنَّهُمْ كَانُوا يُعَظِّمُونَ الْقُرْآنَ، وَكَانُوا يَتَسَمَّعُونَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ وَرَاءِ بَعْضِهِمْ، يَعْنِي يَذْهَبُ هَذَا لِيَسْتَمِعَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْنَعَ نَفْسَهُ مِنْ ذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ يَكُونُ حَرِيصًا فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ عَلَىٰ أَلَّا يَطَّلِعَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، وَيَذْهَبَ الْآخَرُ، وَيَذْهَبَ الثَّالِثُ، وَرُبَّمَا تَقَابَلُوا فَتَلَاوَمُوا إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا مَرَّ بَعْضُ ذِكْرِهِ.

www.menhag-un.com

أَوَّلُ مَنْ جَهَرَ بِالْقُرْآنِ مِنَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم

كَانَ الْمُشْرِكُونَ يُؤْذُونَ مَنْ يَجْهَرُ بِالْقُرْآنِ خَشْيَةَ تَأْثِيرِهِ فِي نُفُوسِهِمْ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ جَهَرَ بِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، فَقَدِ اجْتَمَعَ يَوْمًا أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالُوا: «وَاللهِ مَا سَمِعَتْ قُرَيْشٌ هَذَا الْقُرْآنَ يُجْهَرُ بِهِ قَطُّ، فَمَنِ الرَّجُلُ يُسْمِعُهُمْ إِيَّاهُ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ: أَنَا. قَالُوا: إِنَّا نَخْشَاهُمْ عَلَيْكَ، إِنَّمَا نُرِيدُ رَجُلًا لَهُ عَشِيرَةٌ يَمْنَعُونَهُ مِنَ الْقَوْمِ إِنْ أَرَادُوهُ. قَالَ: دَعُونِي فَإِنَّ اللهَ سَيَمْنَعُنِي، فَغَدَا ابْنُ مَسْعُودٍ حَتَّىٰ أَتَىٰ الْمَقَامَ فِي الضُّحَىٰ وَقُرَيْشٌ فِي أَنْدِيَتِهَا، حَتَّىٰ قَامَ عِنْدَ الْمَقَامِ، ثُمَّ قَرَأَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.. رَافِعًا بِهَا صَوْتَهُ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [الرحمن: ١-٢].

ثُمَّ اسْتَقْبَلَهَا يَقْرَأُهَا، فَتَأَمَّلُوهُ فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: مَا ذَا قَالَ ابْنُ أُمِّ عَبْدٍ؟ ثُمَّ قَالُوا: إِنَّهُ لَيَتْلُو بَعْضَ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ، فَقَامُوا إِلَيْهِ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ فِي وَجْهِهِ، وَجَعَلَ يَقْرَأُ حَتَّىٰ بَلَغَ مِنْهَا مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَبْلُغَ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ وَقَدْ أَثَّرُوا فِي وَجْهِهِ، فَقَالُوا لَهُ: هَذَا الَّذِي خَشِينَاهُ عَلَيْكَ. فَقَالَ: مَا كَانَ أَعْدَاءُ اللهِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْهُمُ الْآنَ، وَلَئِنْ شِئْتُمْ لَأُغَادِيَنَّهُمْ بِمِثْلِهَا غَدًا. قَالُوا: لَا، حَسْبُكَ لَقَدْ أَسْمَعْتَهُمْ مَا يَكْرَهُونَ!».

◉ ◉ ◉

سُؤَالُ الْمُشْرِكِينَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ أَهْلِ الْكَهْفِ، وَذِي الْقَرْنَيْنِ، وَالرُّوحِ وَاسْتِعَانَتِهِمْ بِالْيَهُودِ

لَجَأُوا كَمَا مَرَّتِ الْإِشَارَةُ إِلَىٰ ذَلِكَ وَهُوَ مِنْ أَسَالِيبِهِمْ فِي مُحَارَبَةِ الدَّعْوَةِ وَمَنْ جَاءَ بِهَا ﷺ، لَجَأُوا إِلَىٰ الْيَهُودِ، وَهَذَا فِي الْعَهْدِ الْمَكِّيِّ فَالْيَهُودُ كَانَ لَهُمْ دَوْرٌ فِي الْعَهْدِ الْمَكِّيِّ وَقَبْلَ هِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ كَمَا مَرَّ مِنْ إِيفَادِ النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ إِلَىٰ الْيَهُودِ فِي الْمَدِينَةِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَسْأَلَهُمْ عَنْ أُمُورٍ يَعْرِفُونَ بِهَا مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ وَأَيْضًا مِنْ أَجْلِ أَنْ يَعُودُوا بِبَعْضِ الْأَسْئِلَةِ التَّعْجِيزِيَّةِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ. وَالْيَهُودُ صُدِمُوا بِبِعْثَةِ النَّبِيِّ ﷺ صَدْمَةً قَوِيَّةً، لِأَنَّهُمْ عَاشُوا فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ عَلَىٰ حُلْمٍ تَوَارَثُوهُ طَوَالَ السِّنِينَ الْمَاضِيَةِ وَهُوَ أَنَّهُ سَيُبْعَثُ نَبِيٌّ مُخَلِّصٌ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ فَرَجَوْا أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ آمِلِينَ أَنْ يُخَلِّصَهُمْ مِنَ الْفَقْرِ وَالشَّتَاتِ الَّذِي كَانُوا فِيهِ، وَكَانَ التَّقَارُبُ بَيْنَ مُعَسْكَرِ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ مَعَ الْيَهُودِ يَنْسَجِمُ مَعَ أَهْدَافِهِمْ الْمُشْتَرَكَةِ لِلْقَضَاءِ عَلَىٰ دَعْوَةِ الْإِسْلَامِ؛ وَلِذَلِكَ زَوَّدُوا الْوَفْدَ الْمَكِّيَّ بِبَعْضِ الْأَسْئِلَةِ مُحَاوَلَةً لِتَعْجِيزِ النَّبِيِّ ﷺ كَالسُّؤَالِ عَنْ أَصْحَابِ الْكَهْفِ، وَعَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ، وَالسُّؤَالِ عَنِ الرُّوحِ.

مِنْ أَسَالِيبِ الْمُشْرِكِينَ فِي مُحَارَبَةِ الدَّعْوَةِ وَالرَّسُولِ ﷺ اضْطِهَادُ أَتْبَاعِهِ وَفِتْنَتُهُمْ فَالَّذِي مَرَّ فِي جُمْلَتِهِ إِنَّمَا كَانَ فِي اضْطِهَادِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَإِيصَالِ

الْإِيذَاءِ لَهُ ﷺ فِي نَفْسِهِ وَفِي بَدَنِهِ، وَقَدْ وَاكَبَ ذَلِكَ وَرُبَّمَا سَبَقَهُ مَا كَانَ مِنَ اضْطِهَادِهِمْ لِأَتْبَاعِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ فِي مُحَاوَلَةٍ جَادَّةٍ لِفِتْنَتِهِمْ فَسَلَكَتْ قُرَيْشٌ فِي مُحَاوَلَتِهَا فِتْنَةَ الْمُسْلِمِينَ أُسْلُوبَيْنِ هُمَا:

الضُّغُوطُ النَّفْسِيَّةُ، وَالتَّعْذِيبُ الْجَسَدِيُّ.

يَلْجَأُ بَعْضُ أَقَارِبِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْكُفَّارِ إِلَىٰ الضُّغُوطِ النَّفْسِيَّةِ لِلتَّأْثِيرِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ كَمَا فَعَلَتْ أُمُّ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حِينَ أَقْسَمَتْ أَلَّا تُكَلِّمَهُ وَأَلَّا تَأْكُلَ وَلَا تَشْرَبَ حَتَّىٰ يَكْفُرَ بِدِينِهِ لِعِلْمِهَا أَنَّ الْمُسْلِمِينَ يَحْتَرِمُونَ وَالِدِيهِمْ، وَقَالَتْ: زَعَمْتَ أَنَّ اللهَ وَصَّاكَ بِوَالِدَيْكَ وَأَنَا أُمُّكَ.. وَأَنَا آمُرُكَ بِهَذَا، فَكَانَ يُغْشَىٰ عَلَيْهَا مِنَ الْجَهْدِ وَالتَّعَبِ فَإِذَا أَجْبَرُوهَا عَلَىٰ شَرْبَةِ مَاءٍ شَتَمَتْ سَعْدًا، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٨].

فَهَذَا مِثَالٌ مِنْ أَمْثِلَةٍ كَثِيرَةٍ سَيَأْتِي بَعْضُهَا إِنْ شَاءَ اللهُ فِي الضَّغْطِ النَّفْسِيِّ الَّذِي كَانَ يُمَارَسُ عَلَىٰ أَتْبَاعِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهُوَ ضَغْطٌ أَيْضًا مُنَظَّمٌ وَمَدْرُوسٌ، فَإِنَّمَا دَخَلَتْ إِلَيْهِ مِنْ بَابِ دِينِهِ، وَتَقُولُ: تَزْعُمُ أَنَّ اللهَ وَصَّاكَ بِوَالِدَيْكِ وَأَنَا أُمُّكَ.. وَأَنَا آمُرُكَ بِهَذَا.

وَأَمَّا التَّعْذِيبُ الْجَسَدِيُّ، فَقَدْ لَقِيَ أَتْبَاعُ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْأَذَىٰ أَشُدَّهُ، وَمِنَ التَّعْذِيبِ أَقْسَاهُ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ فِي مُحَاوَلَةٍ مِنْهُمْ لِإِيقَافِ حَرَكَةِ هَذَا الدِّينِ الْجَدِيدِ، وَصَدِّ النَّاسِ عَنِ الدُّخُولِ فِيهِ.

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مُوَضِّحًا ظُرُوفَ تِلْكَ الْفَتْرَةِ الْعَصِيبَةِ الَّتِي عَاشَهَا أَوَائِلُ الْمُسْلِمِينَ: «كَانَ الْإِسْلَامُ قَلِيلًا فَكَانَ الرَّجُلُ يُفْتَنُ فِي دِينِهِ إِمَّا قَتَلُوهُ، وَإِمَّا يُعَذِّبُونَهُ». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

وَكَانَ مِنْ وَسَائِلِهِ فِي ذَلِكَ الضَّرْبُ، وَحَبْسُهُمْ فِي حَرِّ الشَّمْسِ وَقْتًا طَوِيلًا مَعَ وَضْعِ الصُّخُورِ الثَّقِيلَةِ عَلَيْهِمْ، أَوْ إِلْبَاسُهُمْ الدُّرُوعَ الْحَدِيدِيَّةَ الْحَارَّةَ، وَجَوُّ مَكَّةَ مَعْلُومٌ لِكُلِّ مَنْ زَارَهَا حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا، فَكَانُوا يُعَرِّضُونَهُمْ لِحَرَارَةِ الشَّمْسِ فِي حَمَّارَةِ الْقَيْظِ لَيْسَ عَلَيْهِمْ إِلَّا مَا يَسْتُرُ الْعَوْرَةَ وَقَدْ يَطْرَحُونَهُمْ عَلَىٰ الرَّمْضَاءِ وَإِنَّهَا لَيُشْوَىٰ عَلَيْهَا اللَّحْمُ الْحَيُّ، يَحْبِسُونَهُمْ فِي حَرِّ الشَّمْسِ وَقْتًا طَوِيلًا مَعَ وَضْعِ الصُّخُورِ الثَّقِيلَةِ عَلَيْهِمْ، أَوْ إِلْبَاسِهِمْ الدُّرُوعَ الْحَدِيدِيَّةَ الْحَارَّةَ، وَقَدْ يَأْمُرُونَ الصِّبْيَانَ بِسَحْبِهِمْ فِي الطُّرُقَاتِ لِيَسْخَرَ مِنْهُمُ النَّاسُ وَهُمْ عَلَىٰ تِلْكَ الْحَالِ، فَمِنْهُمْ مَنْ فَقَدَ بَصَرَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ مَاتَ فِي التَّعْذِيبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُغْمَىٰ عَلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ الْأَذَىٰ، وَاضْطُرَّ بَعْضُهُمْ أَنْ يَسْتَجِيبَ لِقُرَيْشٍ مِنْ شِدَّةِ الْأَذَىٰ، وَأَنْ يَنْطِقَ مُكْرَهًا بِالْكُفْرِ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِيَتَخَلَّصَ مِنَ الْعَذَابِ، فَإِذَا أَفَاقُوا مِنَ الْعَذَابِ شَقَّ عَلَيْهِمْ مَا تَكَلَّمُوا بِهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قُرْآنًا يُبِيحُ لَهُمْ ذَلِكَ مَا دَامَتْ قُلُوبُهُمْ مُطْمَئِنَّةً بِالْإِيمَانِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [النحل: ١٠٦].

وَقَدْ كَانَ نَصِيبُ الْمَوَالِي الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ عَشِيرَةً تَحْمِيهِمْ مِنْ هَذَا التَّعْذِيبِ كَبِيرًا.

وَأَمَّا ذِكْرُ أَلْوَانِ الْعَذَابِ الْوَحْشِيِّ الَّتِي تَعَرَّضَ لهَا الْمَوَالِي فَإِنَّها لَا يَلِيقُ بِهَا، وَلَا يَتَّسِعُ لَهَا مَجَالٌ وَلَا مَجَالَاتٌ، وَلَكِنْ عَلَىٰ سَبِيلِ الْمِثَالِ كَانَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ يَمْنَعُ مَوْلَاهُ بِلَالَ بْنَ أَبِي رَبَاحٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنَ الْمَاءِ حَتَّىٰ إِذَا اشْتَدَّ عَطَشُهُ أَخْرَجَهُ فِي الرَّمْضَاءِ فِي الْيَوْمِ الْحَارِّ يُعَذِّبُهُ وَيَأْمُرُ بِتَعْذِيبِهِ وَيَضَعُ الصَّخْرَةَ الْعَظِيمَةَ عَلَىٰ صَدْرِهِ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بِهِ الْعَذَابُ مُنْتَهَاهُ قَالَ لَهُ: لَا تَزَالُ هَكَذَا حَتَّىٰ تَمُوتَ أَوْ تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ، وَتَعْبُدَ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ، فَلَا يَزِيدُ ذَلِكَ بِلَالًا إِلَّا إِصْرَارًا، فَيَقُولُ: أَنَا كَافِرٌ بِاللَّاتِ وَالْعُزَّىٰ، فَيَغْتَاظُ مِنْهُ أُمَيَّةُ فَيَجْعَلُ فِي رَقَبَتِهِ حَبْلًا فَيَدْفَعُهُ لِلصِّبْيَانِ يَجُرُّونَهُ فِي شَوَارِعِ مَكَّةَ، وَلَا يَزَالُ أُمَيَّةُ يُكَرِّرُ مَعَهُ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ الْوَحْشِيَّةَ فِي التَّعْذِيبِ وَكَثِيرًا مَا يُغْشَىٰ عَلَىٰ بِلَالٍ مِنْ شِدَّةِ التَّعْذِيبِ، وَحِينَمَا يَطْلُبُونَ مِنْهُ الْكُفْرَ بِمُحَمَّدٍ دِينَهُ لَا يَزِيدُ عَلَىٰ قَوْلِهِ: أَحَدٌ أَحَدٌ، وَظَلَّ عَلَىٰ هَذِهِ الْحَالِ حَتَّىٰ اشْتَرَاهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَعْتَقَهُ.

وَمِمَّنْ عُذِّبَ مِنَ الْمَوَالِي خَبَّابُ بْنُ الْأَرَتِّ فقَدْ نَالَهُ قَرِيبٌ مِمَّا نَالَ بِلَالًا بِوَضْعِ الصَّخْرِ الْمُلْتَهِبِ عَلَىٰ جَسَدِهِ، وَمَرَّةً أُوْقِدَتْ نَارٌ وَوُضِعَ عَلَيْهَا، فَمَا أَطْفَأَهَا إِلَّا وَدْكُ ظَهْرِهِ، أَيْ الدُّهْنُ الَّذِي يَسِيلُ مِنْ ظَهْرِهِ، وَقَدْ دَخَلَ خَبَّابٌ عَلَىٰ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فِي خِلَافَتِهِ وَكَشَفَ عَنْ ظَهْرِهِ، وَأَرَاهُ أَثَرَ النَّارِ فِي ظَهْرِهِ.

أَمَّا آلُ يَاسِرٍ، يَاسِرٌ وَزَوْجَتُهُ سُمَيَّةُ وَابْنُهُ عَمَّارٌ فَهُمْ مِثَالُ صِدْقٍ لِلْأُسْرَةِ الْمُبْتَلَاةِ فِي سَبِيلِ الثَّبَاتِ عَلَىٰ الدِّينِ، فَكَانَ أَسْيَادُهُمْ بَنُو مَخْزُومٍ يُخْرِجُونَهُمْ إِذَا اشْتَدَّتْ الظَّهِيرَةُ فَيُعَذِّبُونَهُمْ، فَيَمُرُّ بِهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَا يَمْلِكُ إِلَّا أَنْ يَقُولَ مُثْبِتًا

لَهُمْ: أَبْشِرُوا آلَ عَمَّارٍ وَآلَ يَاسِرٍ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةُ. وَقَدِ اسْتُشْهِدَتْ سُمَيَّةُ مِنْ جَرَّاءِ التَّعْذِيبِ، ثُمَّ لَحِقَ بِهَا زَوْجُهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

وَإِذَا كَانَ نَصِيبُ الْمَوَالِي وَالضُّعَفَاءُ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ عَشِيرَةً تَحْمِيهِمْ مِنْ هَذَا التَّعْذِيبِ أَكْبَرَ قَدْرًا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَإِنَّ أَهْلَ الشَّرَفِ وَمَنْ لَهُمْ عَشِيرَةٌ قَدْ نَالُوا نَصِيبَهُمْ مِنْ أَذَىٰ التَّعْذِيبِ فَقَدْ ضَرَبَ الْمُشْرِكُونَ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ مَا يُعْرَفُ وَجْهُهُ مِنْ أَنْفِهِ.

وَكَانَ الْحَكَمُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ عَمُّ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حِينَ بَلَغَهُ إِسْلَامُ عُثْمَانَ يُوثِقُهُ رِبَاطًا.

وَكَانَ عَمُّ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ يَلُفُّ الزُّبَيْرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِحَصِيرٍ ثُمَّ يُدَخِّنُ عَلَيْهِ النَّارُ.

وَلَمْ تَكُنِ الْمَرْأَةُ الْمُسْلِمَةُ فِي تِلْكَ الْمَرْحَلَةِ بِمَعْزِلٍ عَنْ هَذَا التَّعْذِيبِ الْوَحْشِيِّ، بَلْ كَانَ لَهَا نَصِيبٌ لَا يَقِلُّ عَنْ نَصِيبِ الرَّجُلِ مِنَ الْعَذَابِ كَمَا وَقَعَ لِسُمَيَّةَ أُمِّ عَمَّارٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

فَهَذَا مُجْمَلٌ لِمَا كَانَ.

وَهَذَا بَعْضُ التَّفْصِيلِ:

لَقَدْ مَضَىٰ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَيَئِسَتْ قُرَيْشٌ مِنْهُ، وَأَدْرَكَتْ أَلَّا جَدْوَىٰ مِنْ تِلْكَ الْأَسَالِيبِ الَّتِي سَلَكَتْهَا مَعَهُ فِي كَفِّ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْقَضَاءِ عَلَيْهَا، فَاجْتَمَعَ رُؤَسَاءُ الْمُشْرِكِينَ وَقَرَّرُوا اللُّجُوءَ إِلَىٰ الْعُنْفِ وَالْقُوَّةِ فِي

مُحَارَبَةِ الْإِسْلَامِ وَالْمُنْتَمِينَ إِلَيْهِ، وَأَصْدَرُوا أَوَامِرَهُمْ إِلَىٰ الْقَبَائِلِ لِيَصُبُّوا الْعَذَابَ وَالْأَذَىٰ عَلَىٰ كُلِّ مَنِ اتَّبَعَ النَّبِيَّ ﷺ، وَهَكَذَا تَرَىٰ أَنَّ مُحَارَبَةَ الدَّعْوَةِ كَانَتْ تَسْلُكُ سَبِيلًا مُنَظَّمًا بِخُطَّةٍ مُحْكَمَةٍ، فَالْآنَ صَدَرَتْ الْأَوَامِرُ إِلَىٰ الْقَبَائِلِ لِيَصُبُّوا الْعَذَابَ وَالْأَذَىٰ عَلَىٰ كُلِّ مَنْ اتَّبَعَ النَّبِيَّ ﷺ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: «فَوَثَبَتْ كُلُّ قَبِيلَةٍ عَلَىٰ مَنْ فِيهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَجَعَلُوا يَحْبِسُونَهُمْ وَيُعَذِّبُونَهُمْ بِالضَّرْبِ وَالْجُوعِ وَالْعَطَشِ وَبِرَمْضَاءَ مَكَّةَ إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ، فَكَانَتْ فِتْنَةٌ شَدِيدَةُ الزِّلْزَالِ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ النَّبِيَّ ﷺ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَافْتُتِنَ مَنِ افْتُتِنَ، وَعَصَمَ اللهُ مِنْهُمْ مَنْ شَاءَ، وَمَنَعَ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ مِنْهُمْ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: «فَحَمَىٰ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ لِأَنَّهُ كَانَ شَرِيفًا مُعَظَّمًا فِي قُرَيْشٍ، مُطَاعًا فِي أَهْلِهِ، وَأَهْلُ مَكَّةَ لَا يَتَجَاسَرُونَ عَلَىٰ مُكَاشَفَتِهِ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَذَىٰ، وَكَانَ مِنْ حِكْمَةِ أَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بَقَاؤُهُ عَلَىٰ دِينِ قَوْمِهِ، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْمَصَالِحِ الَّتِي تَبْدُو لِمَنْ تَأَمَّلَهَا».

◉◉◉

www.menhag-un.com

مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة السَّابِعَة)

مِنْ مَادَّةِ

سِيرَة النَّبِيِّ ﷺ

[الْعَهْدُ الْمَكِّيُّ - ج٢]

www.menhag-un.com

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

المُجَاهِرُونَ بِالظُّلْمِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَلِكُلِّ مَنْ آمَنَ بِهِ

أَمَّا الْمُجَاهِرُونَ بِالظُّلْمِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَكَذَلِكَ لِكُلِّ مَنْ آمَنَ بِهِ فَهُمْ:

عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ، وَابْنُ عَمِّهِ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَعُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةُ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَعُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، وَالْحَكَمُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ، وَالنَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ، وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ بْنُ الْعَاصِ بْنِ هِشَامٍ، وَأَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ، وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، وَالْعَاصُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، وَالْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، وَأُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ أَسَدٍ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثَ.

وَقَدْ آمَنَ مَنْ هَؤُلَاءِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ كَابْنِ عَمِّ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ، وَكَذَلِكَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، وَالْحَكَمُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ، فَهُوَلاء أَسْلَمُوا وَحَسُنَ إِسْلَامُهُمْ، وَهَؤُلَاءِ كَانُوا أَشَدَّ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ مُثَابَرَةً بِالْأَذَىٰ وَمَعَهُمْ سَائِرُ قُرَيْشٍ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُعَذِّبُونَ مَنْ لَا مَنَعَةَ لَهُ وَلَا جِوَارَ فِي قَوْمِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْذُونَ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: «وَكَانَ أَبُو جَهْلٍ الْفَاسِقُ الَّذِي يُغْرِي بِهِمْ فِي رِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ إِذَا سَمِعَ بِالرَّجُلِ قَدْ أَسْلَمَ لَهُ شَرَفٌ وَمَنَعَةٌ أَنَّبَهُ وَأَخْزَاهُ، وَقَالَ: تَرَكْتَ دِينَ أَبِيكَ وَهُوَ خَيْرٌ مِنْكَ لَنُسَفِّهَنَّ حِلْمَكَ، وَلَنُفَيِّلَنَّ رَأْيَكَ، وَلَنَضَعَنَّ شَرَفَكَ،

وَإِنْ كَانَ تَاجِرًا قَالَ: وَاللهِ لَنُكْسِدَنَّ تِجَارَتَكَ، وَلَنُهْلِكَنَّ مَالَكَ، وَإِنْ كَانَ ضَعِيفًا ضَرَبَهُ وَأَغْرَىٰ بِهِ».

فَالصُّورَةُ الذِّهْنِيَّةُ الْمَرْدُودَةُ عَنْ مُحَارَبَةِ قُرَيْشٍ لِلدَّعْوَةِ فِيهَا قُصُورٌ وَاضِحٌ، لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَحْسِبُونَ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا كَانَ يَسِيرُ خَبْطَ عَشْوَاءَ، وَلَمْ يَكُنْ مَدْرُوسًا وَلَا مُنَظَّمًا، وَلَكِنْ تَأَمَّلْ!! إِذَا كَانَ لَهُ شَرَفٌ فَإِنَّهُ يُهَدِّدُهُ مِنْ هَذِهِ الْبَابَةِ، وَإِذَا كَانَتْ لَهُ تِجَارَةٌ هَدَّدَهُ مِنْ بَابَةٍ أُخْرَىٰ: لَنُكْسِدَنَّ تِجَارَتَكَ، وَلَنُهْلِكَنَّ مَالَكَ.. وَإِنْ كَانَ ضَعِيفًا ضَرَبَهُ وَأَغْرَىٰ بِهِ.

وَقَدْ رَوَىٰ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ، وَابْنُ مَاجَهْ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ سَبْعَةٌ: رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعَمَّارٌ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلَالٌ، وَالْمِقْدَادُ، فَأَمَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَمَنَعَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللهُ بِقَوْمِهِ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ، وَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرُعَ الْحَدِيدِ، وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ، فَمَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَاتَاهُمْ [أَيْ وَافَقَهُمْ عَلَىٰ مَا أَرَادُوا]، إِلَّا بِلَالًا فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللهِ، وَهَانَ عَلَىٰ قَوْمِهِ، فَأَخَذُوهُ، فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ، فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ، وَهُوَ يَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ.

وَأَوَّلُ شَهِيدَةٍ ضَحَّتْ بِنَفْسِهَا تَحْتَ التَّعْذِيبِ وَكَانَتْ مَوْلَاةً تُسَمَّىٰ زِنَّيْرَةَ، فَقَدَتْ بَصَرَهَا مِنْ شِدَّةِ التَّعْذِيبِ، فَقَالَ لَهَا الْمُشْرِكُونَ: مَا أَذْهَبَ بَصَرَهَا إِلَّا اللَّاتُ وَالْعُزَّىٰ، فَقَالَتْ: كَذَبُوا وَبَيْتِ اللهِ!! مَا تَضُرُّ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَا تَنْفَعَانِ! فَرَدَّ اللهُ بَصَرَهَا.

وَأَمَّا أُمُّ شَرِيكٍ فَحِينَ أَسْلَمَ زَوْجُهَا وَهَاجَرَ، جَاءَهَا أَهْلُ زَوْجِهَا وَسَأَلُوهَا إِنْ كَانَتْ عَلَىٰ دِينِهِ؟ فَلَمَّا أَقَرَّتْ بِإِسْلَامِهَا أَجْمَعُوا عَلَىٰ تَعْذِيبِهَا، فَأَطْعَمُوهَا خُبْزًا وَعَسَلًا، وَمَنَعُوا عَنْهَا الْمَاءَ، وَتَرَكُوهَا فِي الشَّمْسِ حَتَّىٰ ذَهَبَ عَقْلُهَا وَسَمْعُهَا وَبَصَرُهَا، وَكَرَّرُوا ذَلِكَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ طَلَبُوا مِنْهَا تَرْكَ دِينِهَا فَلَمْ تَفْعَلْ غَيْرَ الْإِشَارَةِ بِأُصْبُعِهَا بِالتَّوْحِيدِ، وَلَا تَعِي مَا يَقُولُونَ مِنْ شِدَّةِ الْإِغْمَاءِ، وَفِيمَا هِيَ عَلَىٰ هَذِهِ الْحَالِ أَكْرَمَهَا اللهُ بِدَلْوِ مَاءٍ نَزَلَ إِلَىٰ فِيهَا، فَشَرِبَتْ مِنْهُ، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا فِي إِسْلَامِ أَهْلِ زَوْجِهَا.

وَقَدْ عُذِّبَ أَيْضًا الْأَشْرَافُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَمِنْ قُرَيْشٍ، كَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَأْخُذُهُ عَمُّهُ الْحَكَمُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ، فَيُوثِقُهُ رِبَاطًا وَيَقُولُ لَهُ: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ آبَائِكَ إِلَىٰ دِينٍ مُحْدَثٍ؟ وَاللهِ لَا أَحُلُّكَ أَبَدًا حَتَّىٰ تَدَعَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الدِّينِ، فَيَقُولُ عُثْمَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: وَاللهِ لَا أَدَعُهُ أَبَدًا وَلَا أُفَارِقُهُ، فَلَمَّا رَأَىٰ الْحَكَمُ صَلَابَتَهُ فِي دِينِهِ تَرَكَهُ.

وَكَذَلِكَ عُذِّبَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَانَ عَمُّهُ يَأْخُذُهُ وَيَلُفُّهُ فِي حَصِيرٍ وَيُدَخِّنُ عَلَيْهِ بِالنَّارِ، وَيَقُولُ لَهُ: ارْجِعْ إِلَىٰ الْكُفْرِ، فَيَقُولُ الزُّبَيْرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لَا أَكْفُرُ أَبَدًا.

وَعُذِّبَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رَوَىٰ ابْنُ سَعْدٍ فِي الطَّبَقَاتِ أَنَّ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ كَانَ فَتَىٰ مَكَّةَ شَبَابًا وَجَمَالًا، وَكَانَا أَبَوَاهُ يُحِبَّانِهِ، وَكَانَتْ أُمُّهُ مَلِيئَةً كَثِيرَةَ الْمَالِ تَكْسُوهُ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنَ الثِّيَابِ وَأَرَقَّهَا، وَكَانَ أَعْطَرَ أَهْلِ مَكَّةَ -يَعْنِي قَالَ مِنْ وَصْفِ حَالِهِ: إِنَّهُ كَانَ إِذَا سَلَكَ طَرِيقًا فِي مَكَّةَ فَقَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ فِي طَرِيقٍ

آخَرَ يَسْتَدِلُّونَ بِعِطْرِهِ عَلَيْهِ- فَكَانَ أَعْطَرَ أَهْلِ مَكَّةَ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَذْكُرُهُ وَيَقُولُ: «**مَا رَأَيْتُ بِمَكَّةَ أَحَدًا أَحْسَنَ لِمَّةً، وَلَا أَرَقَّ حُلَّةً، وَلَا أَنْعَمَ نِعْمَةً مِنْ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ**».

اللِّمَّةُ -بِكَسْرِ اللَّامِ- هِيَ شَعْرُ الرَّأْسِ إِذَا كَانَ فَوْقَ الْوَفْرَةِ، فَالنَّبِيُّ ﷺ يَصِفُ بَعْضَ حَالِهِ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ فِي دِينِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا: «**مَا رَأَيْتُ بِمَكَّةَ أَحَدًا أَحْسَنَ لِمَّةً، وَلَا أَرَقَّ حُلَّةً، وَلَا أَنْعَمَ نِعْمَةً مِنْ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ**».

فَبَلَغَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَدْعُو إِلَىٰ الْإِسْلَامِ فِي دَارِ الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ، فَأَسْلَمَ وَصَدَّقَ بِهِ، وَخَرَجَ فَكَتَمَ إِسْلَامَهُ خَوْفًا مِنْ أُمِّهِ وَقَوْمِهِ فَكَانَ يَخْتَلِفُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ سِرًّا، فَبَصُرَ بِهِ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ يُصَلِّي، فَأَخْبَرَ أُمَّهُ وَقَوْمَهُ؛ فَأَخَذُوهُ فَحَبَسُوهُ فَلَمْ يَزَلْ مَحْبُوسًا حَتَّىٰ خَرَجَ إِلَىٰ أَرْضِ الْحَبَشَةِ فِي الْهِجْرَةِ الْأُولَىٰ، ثُمَّ رَجَعَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ حِينَ رَجَعُوا فَرَجَعَ مُتَغَيِّرَ الْحَالِ، قَدْ حَرَجَ -يَعْنِي غَلُظَ- فَكَفَّتْ أُمُّهُ عَنْهُ. وَسَيَأْتِي مَزِيدُ بَيَانٍ لِحَالِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عِنْدَ ذِكْرِ جِهَادِهِ وَهِجْرَتِهِ إِلَىٰ مَدِينَةِ النَّبِيِّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يُهَاجِرَ الرَّسُولُ ﷺ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَأَنْ يُعَلِّمَهُمْ الشَّرِيعَةَ وَالْأَحْكَامَ.

وَمِنَ الَّذِينَ عُذِّبُوا امْرَأَةٌ يُقَالُ لَهَا النَّهْدِيَّةُ وَبِنْتُهَا وَكَانَتَا لِامْرَأَةٍ مِنْ بَنِي عَبْدِالدَّارِ، فَمَرَّ بِهِمَا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَقَدْ بَعَثَتْهُمَا سَيِّدَتُهُمَا بِطَحِينٍ لَهَا، وَهِيَ تَقُولُ: وَاللهِ لَا أُعْتِقُكُمَا أَبَدًا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: حِلُّ يَا أُمَّ فُلَانٍ. أَيْ تَحَلَّلِي مِنْ يَمِينِكَ يَا أُمَّ فُلَانٍ، فَقَالَتْ: حِلُّ أَنْتَ أَنْتَ أَفْسَدْتَهُمَا فَأَعْتِقْهُمَا، قَالَ: قَدِ ابْتَعْتُهُمَا وَهُمَا حُرَّتَانِ.

كَذَلِكَ عُذِّبَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ، وَكَانَ عَمُرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ يُوثِقُ سَعِيدَ بْنَ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّهِ وَزَوْجُ أُخْتِهِ، وَيُعَذِّبُهُ عَلَىٰ إِسْلَامِهِ.

رَوَىٰ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُنِي، وَإِنَّ عُمَرَ لَمُوثِقِي أَيْ مُقَيِّدِي وَرَابِطِي عَلَىٰ الْإِسْلَامِ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ عُمَرُ، وَكَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَبْلَ إِسْلَامِهِ شَدِيدًا عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ، حَتَّىٰ إِنَّ أُمَّ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَتْمَةَ، وَكَانَتْ قَدْ أَجْمَعَتْ عَلَىٰ الْهِجْرَةِ مَعَ زَوْجِهَا مَرَّ بِهَا عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَهِيَ تُعِدُّ الْعُدَّةُ مِنْ أَجْلِ الْهِجْرَةِ وَالرَّحِيلِ، فَقَالَ: أَهُوَ الْفِرَاقُ يَا أُمَّ عَبْدِ اللهِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ آذَيْتُمُونَا وَاضْطَهَدْتُمُونَا وَضَرَبْتُمُونَا، فَقَالَ: صَاحَبَتْكُمْ السَّلَامَةُ يَا أُمَّ عَبْدِ اللهِ. وَوَجَدْتُ مِنْهُ رِقَّةً، فَلَمَّا جَاءَ زَوْجُهَا أَخْبَرَتْهُ بِالَّذِي وَقَعَ وَبِمَا قَالَ عُمَرُ، فَقَالَ زَوْجُهَا: كَأَنَّكِ طَمِعْتِ فِي إِسْلَامِهِ قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: وَاللهِ لَا يُسْلِمُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ حَتَّىٰ يُسْلِمَ حِمَارُ الْخَطَّابِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ صَارَ الرَّجُلَ الثَّانِيَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ.

فَالْبَابُ مَفْتُوحٌ لِكُلِّ مَنْ تَوَرَّطَ لِكُلِّ مَنْ آذَىٰ لِكُلِّ مَنْ وَقَعَ مِنْهُ مَا لَا يَجْمُلُ، الْبَابُ مَفْتُوحٌ، بَلْ إِنَّ الدَّرْجَ نَفْسَهُ مُهَيَّأٌ مِنْ أَجْلِ الصُّعُودِ إِلَىٰ الْكَمَالَاتِ فَهَذَا عُمَرُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَزِيرُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الثَّانِي، وَسَيَأْتِي مَزِيدُ بَيَانٍ لِذَلِكَ عِنْدَ قِصَّةِ إِسْلَامِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

كَذَلِكَ مَا كَانَ مِنْ تَعْذِيبِ جَارِيَةِ بَنِي مُؤَمَّلٍ مِنَ الَّذِينَ عَذَّبُوا هَؤُلَاءِ الْمُسْتَضْعَفِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَهُوَ الَّذِي كَانَ يُعَذِّبُ هَذِهِ الْجَارِيَةَ، وَبَنُو

مُؤَمَّلٍ حَيٌّ مِنْ بَنِي عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ، كَانَ الَّذِي يُعَذِّبُهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَكَانَ عَلَىٰ الشِّرْكِ، فَيُعَذِّبُهَا حَتَّىٰ يَمَلَّ فَيَقُولُ لَهَا: إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكِ، إِنِّي لَمْ أَتْرُكْكِ إِلَّا مَلَالَةً، فَتَقُولُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: كَذَلِكَ فَعَلَ اللهُ بِكَ.

وَأَمَّا تَعْذِيبُ بِلَالِ بْنِ رَبَاحٍ، فَإِنَّهُ كَانَ مَوْلًىٰ لِبَعْضِ بَنِي جُمَحٍ يُخْرِجُهُ سَيِّدُهُ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ -لَعَنَهُ اللهُ- إِذَا حَمِيَتِ الشَّمْسُ وَقْتَ الظَّهِيرَةِ فَيَطْرَحُهُ عَلَىٰ ظَهْرِهِ فِي بَطْحَاءِ مَكَّةَ، ثُمَّ يَأْمُرُهُ أَوْ يَأْمُرُ بِالصَّخْرَةِ الْعَظِيمَةِ فَتُوضَعُ عَلَىٰ صَدْرِهِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: لَا تَزَالُ هَكَذَا حَتَّىٰ تَمُوتَ أَوْ تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ، وَتَعْبُدَ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ فَيَقُولُ وَهُوَ فِي ذَلِكَ الْبَلَاءِ: أَحَدٌ أَحَدٌ.

عِنْدَمَا يَكُونُ هَذَا مَحْضَ كَلَامٍ تَسْمَعُهُ فَإِنَّكَ لَا تُحِسُّ بِهِ لِأَنَّكَ لَا تَتَصَوَّرُهُ، لِأَنَّهُ لَمْ يَتَعَدَّ الْمَرْحَلَةَ الذِّهْنِيَّةَ لَمْ يَصِلْ عِنْدَكَ بَعْدُ إِلَىٰ الْمَرْحَلَةِ الْوِجْدَانِيَّةِ يَعْنِي أَنْتَ لَا تَنْفَعِلُ بِهِ، وَإِنَّمَا تَسْمَعُهُ عَقْلًا لَا عَاطِفَةً، وَلَكِنْ تَصَوَّرْ نَفْسَكَ الْآنَ فِي حَرِّ الشَّمْسِ -نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَنَا جَمِيعًا مِنَ الْبَلَاءِ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ وَالْجَوَادُ الرَّحِيمُ- تَصَوَّرْ مَنْ يُؤْخَذُ هَكَذَا عَارِيًا أَوْ شِبْهَ عَارٍ لَيْسَ هُنَالِكَ إِلَّا مَا يَسْتُرُ عَوْرَتَهُ، وَقَدْ طُرِحَ عَلَىٰ الرِّمَالِ فِي حَرِّ الشَّمْسِ فِي الرَّمْضَاءِ، ثُمَّ جِيءَ بِالصَّخْرَةِ الْعَظِيمَةِ فَوُضِعَتْ عَلَىٰ صَدْرِهِ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَنَفَّسَ أَصْلًا يَتَنَفَّسَ رِمَالًا مِنْ غَيْرِ صَخْرَةٍ فَكَيْفَ يَتَنَفَّسُ وَالصَّخْرَةُ مَعَ هَذَا الْحَرِّ عَلَىٰ صَدْرِهِ؟! لَرُبَّمَا كَانَ الْعَرَقُ مُغْرِقًا لَهُ، وَمَعَ ذَلِكَ لَا يَزِيدُ عَلَىٰ أَنْ يَقُولَ: أَحَدٌ أَحَدٌ!! فَرَضِيَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَنْهُ، تَشْغَلُهُ لَذَّةُ الْمُنَاجَاةِ عَنْ لَذْعَةِ الْعَذَابِ، وَنَشْوَةُ الْأَمَلِ بِالْجَنَّةِ تَشْغَلُهُ عَنْ شَكْوَةِ الْأَلَمِ فِي الدُّنْيَا.

وَأَمَّا آلُ يَاسِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، فَقَدْ نَالَهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْقِدْحُ الْمُعَلَّىٰ وَالنَّصِيبُ الْأَوْفَىٰ، كَانَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ وَأُمُّهُ وَأَبُوهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ الَّذِينَ يُعَذَّبُونَ بِمَكَّةَ لِيَرْجِعُوا عَنْ دِينِهِمْ، فَكَانَتْ بَنُو مَخْزُومٍ وَعَلَىٰ رَأْسِهِم أَبُو جَهْلٍ -لَعَنَهُ اللهُ- يَخْرُجُونَ بِهِمْ إِلَىٰ الْأَبْطَحِ إِذَا حَمِيَتْ الرَّمْضَاءُ، فَيُعَذِّبُونَهُمْ بِحَرِّهَا فَمَرَّ بِهِمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَهُمْ يُعَذَّبُونَ فَقَالَ: «**صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ؛ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةُ**».

مَاتَ يَاسِرٌ فِي الْعَذَابِ، وَأَمَّا سُمَيَّةُ أُمُّ عَمَّارٍ طَعَنَهَا أَبُو جَهْلٍ -لَعَنَهُ اللهُ- بِحَرْبَةٍ فِي قُبُلِهَا فَمَاتَتْ، وَهِيَ أَوَّلُ شَهِيدَةٍ فِي الْإِسْلَامِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وَأَمَّا عَمَّارٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَنَزَلَ عَلَيْهِ أَبُو جَهْلٍ بِالْعَذَابِ الشَّدِيدِ بِالْحَرْقِ تَارَةً وَبِالتَّغْرِيقِ تَارَةً أُخْرَىٰ، وَلَمْ يَزَلْ الْمُشْرِكُونَ يُعَذِّبُونَهُ حَتَّىٰ سَبَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَذَكَرَ آلِهَتَهُمْ بِخَيْرٍ فَتَرَكُوهُ، وَأَتَىٰ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَبْكِي، فجَعَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَمْسَحُ عَنْ عَيْنَيْهِ وَيَقُولُ لَهُ: «**مَا وَرَاءَكَ؟**».

قَالَ: شَرٌّ يَا رَسُولَ اللهِ، مَا تُرِكْتُ حَتَّىٰ نِلْتُ مِنْكَ، وَذَكَرْتَ آلِهَتَهُمْ بِخَيْرٍ.

فَقَالَ لَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**كَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ؟**».

قَالَ: مُطَمْئِنًا بِالْإِيمَانِ.

فَقَالَ لَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنْ عَادُوا فَعُدْ**»، فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ﴿**مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ**﴾ [النحل: ١٠٦].

الْخَبَرُ أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ، وَأَقَرَّهُ الذَّهَبِيُّ، وَأَوْرَدَهُ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»، وَقَالَ:

هُوَ مُرْسَلٌ وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ، وَذَكَرَهُ مِنْ عِدَّةِ طُرُقٍ مُرْسَلَةٍ، وَقَالَ: وَهَذِهِ الْمَرَاسِيلُ يُقَوِّي بَعْضُهَا بَعْضًا.

وَبَعِيدًا عَنْ سَبَبِ النُّزُولِ فَإِنَّ الْآيَةَ مُحْكَمَةٌ، قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَىٰ أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يُوَالِيَ الْمُكْرَهَ عَلَىٰ الْكُفْرِ إِبْقَاءً لِمُهْجَتِهِ، وَيَجُوزُ لَهُ أَنْ يَسْتَقْتِلَ كَمَا كَانَ بِلَالٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَأْبَىٰ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ وَهُمْ يَفْعَلُونَ بِهِ الْأَفَاعِيلَ حَتَّىٰ إِنَّهُمْ لَيَضَعُونَ الصَّخْرَةَ الْعَظِيمَةَ عَلَىٰ صَدْرِهِ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ، وَيَأْمُرُونَهُ أَنْ يُشْرِكَ بِاللهِ فَيَأْبَىٰ عَلَيْهِمْ وَهُوَ يَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ، وَيَقُولُ: وَاللهِ لَوْ أَعْلَمُ كَلِمَةً هِيَ أَغْيَظُ لَكُمْ مِنْهَا لَقُلْتُهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَكَذَلِكَ حَبِيبُ بْنُ زَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا قَالَ لَهُ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ: أَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ.

فَيَقُولُ: أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَسْمَعُ.

فَلَمْ يَزَلْ يُقَطِّعُهُ إِرْبًا إِرْبًا وَهُوَ ثَابِتٌ عَلَىٰ ذَلِكَ حَتَّىٰ قَتَلَهُ».

ثُمَّ قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالْأَفْضَلُ وَالْأَوْلَىٰ أَنْ يَثْبُتَ الْمُسْلِمُ عَلَىٰ دِينِهِ وَلَوْ أَفْضَىٰ إِلَىٰ قَتْلِهِ».

وَأَمَّا تَعْذِيبُ أَبِي فُكَيْهَةَ، فَقَدْ كَانَ بَنُو عَبْدِ الدَّارِ يُخْرِجُونَ أَبَا فُكَيْهَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نِصْفَ النَّهَارِ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، وَهُوَ مُقَيَّدٌ بِالْحَدِيدِ، فَيَبْطَحُونَهُ فِي الرَّمْضَاءِ، وَيَضَعُونَ الصَّخْرَةَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ حَتَّىٰ لَا يَعْقِلَ فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّىٰ هَاجَرَ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ فِي الْهِجْرَةِ الثَّانِيَةِ.

وَمِنَ الَّذِينَ عُذِّبُوا خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَكَانَ يَلْزَمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَيُصَلِّي فِي نَوَاحِي مَكَّةَ خَالِيًا، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا أُحَيْحَةَ، فَدَعَاهُ، فَكَلَّمَهُ أَنْ يَدَعَ مَا هُوَ عَلَيْهِ، فَقَالَ خَالِدٌ: لَا أَدَعُ دِينَ مُحَمَّدٍ حَتَّىٰ أَمُوتَ عَلَيْهِ، فَضَرَبَهُ أَبُو أُحَيْحَةَ بِقَرَّاعَةٍ فِي يَدِهِ، وَالْقَرَّاعَةُ التُّرْسُ حَتَّىٰ كَسَرَهَا عَلَىٰ رَأْسِهِ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ إِلَىٰ الْحَبْسِ وَضَيَّقَ عَلَيْهِ وَأَجَاعَهُ وَأَعْطَشَهُ حَتَّىٰ لَقَدْ مَكَثَ فِي حَرِّ مَكَّةَ ثَلَاثًا مَا يَذُوقُ مَاءً، فَرَأَىٰ خَالِدٌ فُرْجَةً فَخَرَجَ، فَتَغَيَّبَ عَنْ أَبِيهِ فِي نَوَاحِي مَكَّةَ حَتَّىٰ هَاجَرَ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ فِي الْهِجْرَةِ الثَّانِيَةِ.

وَمِنَ الصَّحَابَةِ الْمُسْتَضْعَفِينَ الَّذِينَ عُذِّبُوا فِي مَكَّةَ صُهَيْبُ بْنُ سِنَانٍ الرُّومِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَدْ رَوَىٰ ابْنُ سَعْدٍ فِي طَبَقَاتِهِ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّهُ قَالَ: «كَانَ صُهَيْبُ بْنُ سِنَانٍ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ كَانُوا يُعَذَّبُونَ فِي اللهِ بِمَكَّةَ، وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُ بَعْضٍ مِنْ أَلْوَانِ الْعَذَابِ الَّتِي وَقَعَتْ عَلَيْهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

أَمَّا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَإِنَّ أُمَّهُ حَلَفَتْ أَنْ لَا تُكَلِّمَهُ أَبَدًا حَتَّىٰ يَكْفُرَ بِدِينِهِ، وَقَالَتْ لَهُ: زَعَمْتَ أَنَّ اللهَ أَوْصَاكَ بِوَالِدَيْكَ وَأَنَا أُمُّكَ وَأَنَا آمُرُكَ بِهَذَا لَتَدَعَنَّ دِينَكَ هَذَا، أَوْ لَا آكُلُ وَلَا أَشْرَبُ حَتَّىٰ أَمُوتَ، فَتُعَيَّرُ بِي فَيُقَالُ: يَا قَاتِلَ أُمِّهِ!! فَقَالَ سَعْدٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لَا تَفْعَلِي يَا أُمَّهْ فَإِنِّي لَا أَدَعُ دِينِي هَذَا لِشَيْءٍ، فَمَكَثَتْ ثَلَاثًا لَمْ تَأْكُلْ حَتَّىٰ غُشِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْجُهْدِ، فَلَمَّا رَأَىٰ ذَلِكَ سَعْدٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: يَا أُمَّهْ، وَاللهِ لَوْ كَانَتْ لَكِ مِئَةُ نَفْسٍ فَخَرَجَتْ نَفْسًا نَفْسًا مَا تَرَكْتُ دِينِي هَذَا لِشَيْءٍ فَإِنْ شِئْتِ فَكُلِي، وَإِنْ شِئْتِ لَا تَأْكُلِي، فَلَمَّا رَأَتْ مِنْهُ الْجِدَّ أَكَلَتْ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ:

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾ [العنكبوت: ٨]، وَأَنْزَلَ قَوْلَهُ: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥].

وَأَمَّا تَعْذِيبُ خَبَّابٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَهُوَ مِنْ أَشَدِّ مَا عُذِّبَ بِهِ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ عَنْ نَفْسِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمًا أَخَذُونِي فَأَوْقَدُوا لِي نَارًا، ثُمَّ سَلَخُونِي فِيهَا، سَلَخُوهُ أَيْ: أَحْرَقُوهُ، ثُمَّ وَضَعَ رَجُلٌ رِجْلَهُ عَلَىٰ صَدْرِي فَمَا اتَّقَيْتُ الْأَرْضَ إِلَّا بِظَهْرِي، قَالَ: ثُمَّ كُشِفَ عَنْ ظَهْرِهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ بَرَصَ».

أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهْ وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ، وَكَذَا أَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ فِي «الطَّبَقَاتِ»، وَفِي رِوَايَةٍ «أَنَّهُم كَانُوا يُوقِدُونَ لَهُ نَارًا فَمَا يُطْفِئُهَا إِلَّا الْوَدَكُ الَّذِي يَسِيلُ مِنْ ظَهْرِهِ وَهُوَ دَسَمُ اللَّحْمِ وَدُهْنُهُ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْهُ».

رَوَىٰ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِه» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ حَارِثَةَ بْنِ مُضَرِّبٍ قَالَ: «دَخَلْتُ عَلَىٰ خَبَّابٍ، وَقَدِ اكْتَوَىٰ فِي بَطْنِهِ، فَقَالَ: مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ لَقِيَ مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَقِيتُ، وَلَمَّا مَرَّ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَىٰ قَبْرِهِ وَهُوَ مُنْصَرِفٌ مِنْ صِفِّينَ قَالَ: «رَحِمَ اللهُ خَبَّابًا أَسْلَمَ رَاغِبًا، وَهَاجَرَ طَائِعًا، وَعَاشَ مُجَاهِدًا، وَابتُلِيَ فِي جِسْمِهِ أَحْوَالًا وَلَنْ يُضِيعَ اللهُ أَجْرَهُ».

قَائِمَةُ الْمُعَذَّبِينَ فِي اللهِ تَعَالَىٰ طَوِيلَةٌ وَمُؤْلِمَةٌ جِدًّا، فَمَا مِنْ أَحَدٍ عَلِمُوا بِإِسْلَامِهِ إِلَّا تَصَدَّوْا لَهُ وآذَوْهُ، احْتَمَلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ كُلَّ شَيْءٍ، الضَّرْبَ وَالْجَرْحَ وَالْحَرْقَ وَالْجُوعَ وَالسَّهَرَ، وَاسْتَحْلَوْا فِي سَبِيلِ اللهِ الْمَرَائِرَ، وَاسْتَحَبُّوا بَعْضَ الْمَكَارِهِ إِلَىٰ النُّفُوسِ إِنْ كَانَ ذَلِكَ فِي رِضَىٰ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

النَّبِيُّ ﷺ كَمَا مَرَّ لَمَّا زَادَ إِيذَاؤُهُمْ فَخَرَجَ عَنْ كُلِّ مَنْطِقٍ وَعَقْلٍ، وَصَارَ إِيذَاءً مَجْنُونًا لَا عَقْلَ فِيهِ دَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ؛ ذَكَرَ الْبَيْهَقِيُّ دُعَاءَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَىٰ قُرَيْشٍ حِينَ اسْتَعْصَتْ عَلَيْهِ بِسَبْعٍ مِثْلِ سَبْعِ يُوسُفَ، إِنَّ قُرَيْشًا لَمَّا اسْتَعْصَتْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَبْطَأُوا عَنِ الْإِسْلَامِ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِمْ بِسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ» فَأَصَابَتْهُمْ سَنَةٌ حَتَّىٰ حَصَّتْ كُلَّ شَيْءٍ أَيْ اسْتَأْصَلَتْ حَتَّىٰ أَكَلُوا الْجِيَفَ، وَحَتَّىٰ إِنَّ أَحَدَهُمْ كَانَ يَرَىٰ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ مِنَ الْجُوعِ ولَا دُخَانَ، ثُمَّ دَعَا فَكَشَفَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ، ثُمَّ قَرَأَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ [الدخان: ١٥]. قَالَ: فَعَادُوا فَكَفَرُوا فَأُخِّرُوا إِلَىٰ يَوْمِ بَدْرٍ، قَالَ عَبْدُ اللهِ: «إِنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَانَ لَا يُكْشَفُ عَنْهُمْ ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ﴾ [الدخان: ١٥] ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ [الدخان: ١٦]، قَالَ: بَلْ هُوَ يَوْمُ بَدْرٍ». وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ قَالَ: «لَمَّا رَأَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ النَّاسِ إِدْبَارًا قَالَ: «**اللَّهُمَّ سَبْعٌ كَسَبْعِ يُوسُفَ**»، فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ حَتَّىٰ أَكَلُوا الْمَيْتَةَ وَالْجُلُودَ وَالْعِظَامَ يَعْنِي قُرَيْشًا فَجَاءَهُ أَبُو سُفْيَانَ وَنَاسٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّكَ بُعِثْتَ رَحْمَةً، وَإِنَّ قَوْمَكَ قَدْ هَلَكُوا، فَادْعُ اللهَ تَعَالَىٰ لَهُمْ. فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَسُقُوا الْغَيْثَ فَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِمْ سَبْعًا، فَشَكَىٰ النَّاسُ كَثْرَةَ الْمَطَرِ فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا**» فَانْحَسَرَتْ السَّحَابَةُ عَنْ رَأْسِهِ فَسُقِيَ النَّاسُ حَوْلَهُ، أَلَا يَدْعُوهُمْ هَذَا إِلَىٰ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ وَتَصْدِيقِهِ ﷺ؟

بَلِ ازْدَادُوا كُفْرًا قَالَ: «لَقَدْ مَضَتْ آيَةُ الدُّخَانِ»، وَهُوَ الْجُوعُ الَّذِي أَصَابَهُمْ، وَآيَةُ الرُّومِ وَالْبَطْشَةُ الْكُبْرَىٰ، وَانْشِقَاقُ الْقَمَرِ، وذَلِكَ كُلُّهُ فِي يَوْمِ بَدْرٍ.

فَالنَّبِيُّ ﷺ لَمَّا دَعَا عَلَيْهِمُ اسْتَجَابَ اللهُ لَهُ فِيهِمْ فَلَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَرْجِعُوا إِلَيْهِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَدْعُوَ لَهُمْ كَمَا دَعَا عَلَيْهِمْ.

إِذَنْ هُمْ عَلَىٰ يَقِينٍ أَنَّ الَّذِي نَزَلَ بِهِمْ مِنَ الضُّرِّ إِنَّمَا كَانَ بِسَبَبِ إِجَابَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِدَعْوَتِهِ، وَأَنَّهُ لَا يُكْشَفُ عَنْهُمْ مَا نَزَلَ بِهِمْ إِلَّا بِدُعَائِهِ ﷺ وَاسْتِجَابَةِ اللهِ تَعَالَىٰ لَهُ.

جَاءَ أَبُو سُفْيَانَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَسْتَغِيثُ مِنَ الْجُوعِ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا شَيْئًا حَتَّىٰ أَكَلُوا الْعِهْنَ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٦].

قَالَ: فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ فَرَّجَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ، فَهَذَا لَوْنٌ مِمَّا كَانَ، وَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَأْخُذُهُمْ مِنْ كُلِّ قَبِيلٍ عَسَىٰ أَنْ يُسْلِمُوا أَذِمَّةَ الْقُلُوبِ لِلعَلِيمِ الْخَبِيرِ، وَأَنْ يَتَّبِعُوا الْبَشِيرَ النَّذِيرَ، فَمَرَّةً يَدْعُوهُمْ وَيَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ فَإِذَا بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبَىٰ وَجَاوَزَ الْمَاءُ الطُّبَىٰ أَرَاهُمْ وَجْهًا آخَرَ فَدَعَا عَلَيْهِمْ رَجَاءَ أَنْ يَأْخُذَهُمْ هَذَا وَيَأْخُذَ بِأَيْدِيهِمْ إِلَىٰ الْإِيمَانِ وَإِلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، فَمَا يَزِيدُهُمْ ذَلِكَ إِلَّا عُتُوًّا.

هُمْ يَعْتَدُونَ عَلَىٰ النَّبِيِّ الْمَأْمُونِ ﷺ وَيَعْتَدُونَ عَلَىٰ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ، يُعَذِّبُونَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا كَمَا وَقَعَ لِبِلَالٍ مَثَلًا فِيمَا ذَكَرَهُ الذَّهَبِيُّ، ثُمَّ يَأْتِي الْيَوْمَ أَقْوَامٌ يَقُولُونَ: كَيْفَ يَدْعُو عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ؟ إِذَا مَا وَقَعَ لَوْنٌ مِنْ أَلْوَانِ الصَّدِّ، وَهُوَ

مَشْرُوعٌ عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ بِمَا يُسَمَّىٰ بِالدِّفَاعِ عَنِ النَّفْسِ -مَثَلًا- حَتَّىٰ فِي الشَّرَائِعِ الَّتِي هِيَ لِقَوْمٍ مِنَ الْكَافِرِينَ، بَلْ مِنَ الْمُلْحِدِينَ، فَيُقِرُّونَ ذَلِكَ وَيُقَرِّرُونَهُ وَلَا يَعُدُّونَ ذَلِكَ شَيْئًا يَخْرُجُ عَلَىٰ الْمَأْلُوفِ، وَلَا يُجَاوِزُ الرَّحْمَةَ، وَلَكِنْ إِنْ وَقَعَ مِنْ مُحَمَّدٍ أَوْ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ أَوْ مِنْ أَتْبَاعِ مُحَمَّدٍ، فَهُوَ الْعَيْبُ كُلُّ الْعَيْبِ، وَهُوَ الْقَسْوَةُ وَالْوَحْشِيَّةُ وَالْعُنْفُ وَالْإِرْهَابُ وَمَا شِئْتَ.

مَا السَّبَبُ؟

أَنْتُمْ.

هَلْ حَمَلْتُمُ الدِّينَ حَقَّ الْحَمْلِ فَبَيَّنْتُمُوهُ لِلنَّاسِ عَلَىٰ وَجْهِهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَيْهِ؟!

لَوْ رَأَوْا ذَلِكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَدَخَلُوا فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا؛ فَإِنَّ سُلُوكَ رَجُلٍ أَجْدَىٰ لِأَلْفِ رَجُلٍ مِنْ كَلَامِ أَلْفِ رَجُلٍ لِرَجُلٍ.

أَمَّا أَنْ يَتَوَقَّفَ الْأَمْرُ عِنْدَ حَدِّ الْكَلَامِ مِنْ غَيْرِ عَمَلٍ!!

لِمَ لَمْ تُطَبِّقُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ؟!!

أَنْتُمْ تَدْعُونَ إِلَىٰ تَطْبِيقِ الشَّرِيعَةِ.. لَا أَعْنِيكُمْ!

الَّذِينَ يَتَشَدَّقُونَ بِذَلِكَ يَدْعُونَ إِلَىٰ تَطْبِيقِ الشَّرِيعَةِ بِمُخَالَفَةِ الشَّرِيعَةِ، لِأَنَّ الْغَايَةَ عِنْدَنَا فِي الْإِسْلَامِ مُنْضَبِطَةٌ، وَالْوَسِيلَةُ إِلَىٰ الْغَايَةِ مُنْضَبِطَةٌ انْضِبَاطَ الْغَايَةِ ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩]، فَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَسْلُكَ سَبِيلًا

مُعْوَجَّةً مِنْ أَجْلِ أَنْ يَصِلَ إِلَىٰ غَايَةٍ شَرِيفَةٍ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَصِلَ إِلَىٰ الشَّاطِئِ نَظِيفَ الثَّوْبِ وَالْبَدَنِ وَهُوَ يَخُوضُ إِلَيْهِ فِي بَرَكَةٍ مِنَ الْوَحْلِ وَالدَّنَسِ وَالطِّينِ، فَيَدْعُونَ إِلَىٰ تَطْبِيقِ الشَّرِيعَةِ بِمُخَالَفَةِ الشَّرِيعَةِ، وَهَيْهَاتَ فَإِنَّ مَا عِنْدَ اللهِ لَا يُنَالُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ، وَأَوَّلُ ذَلِكَ أَنْ تُطَبِّقَ عَلَىٰ نَفْسِكَ.. عَلَىٰ نَفْسِكَ أَنْتَ هَذَا بِدَايَةُ الْأَمْرِ، وَهُوَ مَا كَانَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَا كَانَ مَعَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، فَإِذَا وَقَعَ شَيْءٌ مِنْ رَدِّ الِاعْتِدَاءِ بِهَذِهِ الصُّورَةِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ فِي غَايَةِ الرِّفْقِ وَالْحِلْمِ، فَمَا الَّذِي يُرَادُ مِنْهُ فَوْقَ ذَلِكَ؟

هُوَ نَبِيُّ الرَّحْمَةِ.

وَأَيْضًا نَبِيُّ الْمَلْحَمَةِ؛ لِأَنَّ النَّظَرَ إِلَىٰ دِينِ اللهِ بِعَيْنٍ عَوْرَاءَ يُؤَدِّي إِلَىٰ تَشْوِيهِ دِينِ اللهِ، وَتَشْوِيهِ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ، وَتَشْوِيهِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ يَتَمَسَّكُونَ بِدِينِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ -كَمَا مَرَّ- أَنَّنَا نَعْرِفُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي الْجُمْلَةِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ، نَعْرِفُ اللهَ بِصِفَاتِ الْجَمَالِ وَحْدَهُ، وَأَيْنَ صِفَاتُ الْجَلَالِ؟ إِنَّهُ يَنْتَقِمُ إِنَّهُ يَغْضَبُ إِنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَسْخَطُ، إِنَّ لَهُ مِنَ الصِّفَاتِ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُؤْمِنَ بِهِ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا، أَمَّا أَنْ يَعْرِفَ اللهَ بِصِفَةِ الْجَمَالِ اللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ.. نَعَمْ، وَهُوَ ذُو انْتِقَامٍ عَظِيمٍ، وَذُو عَذَابٍ أَلِيمٍ، وَذُو عَذَابٍ مُهِينٍ، فَيَنْبَغِي أَنْ تَعْرِفَ رَبَّكَ بِصِفَاتِ الْجَمَالِ وَصِفَاتِ الْجَلَالِ، وَكَذَلِكَ نَبِيُّكَ ﷺ يَنْبَغِي عَلَيْكَ أَنْ تَعْرِفَهُ مِنْ جَمِيعِ مَا يَنْبَغِي أَنْ تُحِيطَ بِهِ، فَالنَّبِيُّ ﷺ كَانَ يَغْضَبُ، وَكَانَ إِذَا غَضِبَ لَمْ يَقُمْ لِغَضَبِهِ شَيْءٌ، لَكِنَّهُ لَا يَغْضَبُ إِلَّا للهِ إِذَا انْتُهِكَتْ حُرُمَاتِ اللهِ هَذَا لَوْنٌ، وَأَنْ يَتَنَازَلَ عَنْ حَقِّهِ هُوَ لَوْنٌ آخَرُ، هَذَا شَأْنُهُ وَحَقُّهُ وَيَتَنَازَلُ عَنْهُ، فَمَا غَضِبَ لِنَفْسِهِ قَطُّ هَذَا حَقُّهُ، أَمَّا أَنْ يَغْضَبَ للهِ عَزَّ وَجَلَّ فَهَذَا حَقُّ اللهِ، وَهُوَ يَتَنَازَلُ عَنْ حَقِّهِ، وَلَا يَتَنَازَلُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ حَقِّ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَمَا فِي «صَحِيحِ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» كَانُوا يَتَبَادَحُونَ بِالبِطِّيخِ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِهِمْ يَأْكُلُونَ بِطِّيخًا.. عِنَبًا.. يَتَفَكَّهُونَ يَأْكُلُونَ الْفَاكِهَةَ يَجْلِسُونَ، كَانُوا بَشَرًا مِنَ الْبَشَرِ لَمْ يَكُونُوا مُتَصَلِّبِينَ وَلَا مُتَخَشِّنِينَ عَلَىٰ النَّحْوِ الَّذِي هُوَ فِي الصُّورَةِ الذِّهْنِيَّةِ الْمَغْلُوطَةِ عَنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ الْأَمِينِ، وَعَلَيْهِ فَأَنْتَ إِذَا كَانَتْ هَذِهِ الصُّورَةُ الذِّهْنِيَّةُ الْمَغْلُوطَةُ عِنْدَكَ فِي ذِهْنِكَ، فَإِنَّكَ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَتَأَسَّىٰ بِهِمْ، كَيْفَ تَتَأَسَّىٰ بِمَنْ لَا يُتَأَسَّىٰ بِهِ؟ وَهَلْ هَذَا مِنْ طَبَائِعِ الْبَشَرِ؟

مِنْ طَبَائِعِ الْبَشَرِ أَنْ يُسَرُّوا وَأَنْ يَحْزَنُوا، أَنْ يَبْكُوا وَأَنْ يَضْحَكُوا، بَلْ أَنْ يَعْصُوا وَأَنْ يُطِيعُوا، هَذَا كُلُّهُ مِنْ طَبَائِعِ الْبَشَرِ غَيْرِ الْمَعْصُومِينَ، فَكَذَلِكَ كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ الْأَمِينِ، وَلَكِنْ فِي الذِّرْوَةِ مِنَ الْإِنْسَانِيَّةِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ فَيَكُونُ الِاتِّسَاءُ أَوْ الِاقْتِدَاءُ بِهِمْ مَنْشُورًا مُتَاحًا لِكُلِّ مَنْ أَرَادَ وَوَفَّقَهُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا كَانُوا يَتَبَادَحُونَ بِالبِطِّيخِ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِهِمْ -مَثَلًا- يَأْكُلُونَ بِطِّيخًا فَهَذَا يُلْقِي لِأَخِيهِ شَيْئًا وَهَذَا يُلْقِي لَهُ شَيْئًا عَلَىٰ الْمُضَاحَكَةِ أَوِ الْإِكْرَامِ أَوِ الْمُعَابَثَةِ وَلَا شَيْءَ فِي هَذَا، فَإِذَا جَاءَ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِ اللهِ انْقَلَبَتْ حَمَالِيقُ عَيْنِ أَحَدِهِمْ كَأَنَّهُ مَجْنُونٌ، وَهُوَ هُوَ لَمْ يَتَغَيَّرْ يَتَبَادَحُ مَعَ إِخْوَانِهِ بِالبِطِّيخِ، وَتَنْقَلِبُ حَمَالِيقُهُ كَأَنَّهُ مَجْنُونٌ هُوَ هُوَ، وَلَكِنَّ هَذِهِ حَالٌ وَهَذِهِ حَالٌ.

ظَلَّ الْمُشْرِكُونَ يُعَذِّبُونَ بِلَالًا حَتَّىٰ إِنْ كَانَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ -عَلَيْهِ لَعَائِنُ اللهِ- كَمَا مَرَّ يُخْرِجُهُ إِذَا حَمِيَتِ الظَّهِيرَةُ يَطْرَحُهُ عَلَىٰ ظَهْرِهِ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ.

النَّبِيُّ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَمْلِكُ لَهُمْ شَيْئًا سِوَىٰ الدُّعَاءِ وَأَعْظِمْ بِهِ أَنْ يُثَبِّتَهُمْ اللهُ، وَأَنْ يُثِيبَهُمْ، أَمَّا أَنْ يُعْتِقَ فَلَا يَمْلِكُ، أَمَّا أَنْ يَدْفَعَ فَلَا يَقْدِرُ، فَكَانَ يَدْعُو يَدْعُو رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَهُمْ، ظَلَّ بِلَالٌ يَتَحَمَّلُ هَذَا التَّعْذِيبَ الشَّدِيدَ الَّذِي يَفُوقُ طَاقَاتِ الْبَشَرِ، وَهُوَ يُرَدِّدُ كَلِمَتَهُ الْخَالِدَةَ «أَحَدٌ أَحَدٌ» حَتَّىٰ اشْتَرَاهُ الصِّدِّيقُ فَأَعْتَقَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، عَنْ قَيْسٍ قَالَ: «اشْتَرَىٰ أَبُو بَكْرٍ بِلَالًا وَهُوَ مَدْفُونٌ فِي الْحِجَارَةِ بِخَمْسِ أَوَاقٍ مِنْ ذَهَبٍ فَقَالُوا لَوْ أَبَيْتَ إِلَّا أُوقِيَةً لَبِعْنَاكَهُ، قَالَ: لَوْ أَبَيْتُمْ إِلَّا مِئَةَ أُوقِيَةٍ لَأَخَذْتُهُ، فَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ: أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا» أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ». أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا يُرِيدُ بِلَالًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ثُمَّ أَمْكَنَ اللهُ بِلَالًا مِنْ عَدُوِّهِ أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ فَاقْتَصَّ مِنْهُ.

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: «كَاتَبْتُ أُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ كِتَابًا بِأَنْ يَحْفَظَنِي فِي صَاغِيَتِي -مَأْخُوذٌ مِنْ صَاغَ إِلَيْهِ الْمَالَ وَصَاغِيَةُ الرَّجُلِ كُلُّ مَا يَمِيلُ إِلَيْهِ، وَيُطْلَقُ عَلَىٰ الْأَهْلِ وَالْمَالِ- قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: كَاتَبْتُ أُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ كِتَابًا بِأَنْ يَحْفَظَنِي فِي صَاغِيَتِي بِمَكَّةَ وَأَحْفَظَهُ فِي صَاغِيَتِهِ بِالْمَدِينَةِ، فَلَمَّا ذَكَرْتُ الرَّحْمَنَ -يَعْنِي فِي الْكِتَابِ اسْمُهُ يَقُولُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ- قَالَ: لَا أَعْرِفُ الرَّحْمَنَ كَاتِبْنِي بِاسْمِكَ الَّذِي كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَاتَبْتُهُ: عَبْدَ عَمْرٍو فَلَمَّا كَانَ فِي يَوْمِ بَدْرٍ خَرَجْتُ إِلَىٰ جَبَلٍ لِأُحْرِزَهُ حِينَ نَامَ النَّاسُ، فَأَبْصَرَهُ بِلَالٌ، فَخَرَجَ حَتَّىٰ وَقَفَ عَلَىٰ مَجْلِسٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ!! لَا نَجَوْتُ إِنْ نَجَا أُمَيَّةُ، فَخَرَجَ مَعَ بِلَالٍ فَرِيقٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي آثَارِنَا فَلَمَّا خَشِيتُ أَنْ يَلْحَقُونَا خَلَّفْتُ لَهُمُ ابْنَهُ

-ابْنَ أُمَيَّةَ- لِأَشْغَلَهُمْ، فَقَتَلُوهُ، ثُمَّ أَبَوْا حَتَّىٰ يَتَّبِعُونِي، وَكَانَ رَجُلًا -يُرِيدُ أُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ- كَانَ رَجُلًا ثَقِيلًا، فَلَمَّا أَدْرَكُونَا قُلْتُ لَهُ: ابْرُكْ!! فَبَرَكَ، فَأَلْقَيْتُ عَلَيْهِ نَفْسِي لِأَمْنَعَهُ فَتَخَلَّلُوهُ بِالسُّيُوفِ مِنْ تَحْتِي حَتَّىٰ قَتَلُوهُ، وَأَصَابَ أَحَدُهُمْ رِجْلِي بِسَيْفِهِ»، أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ. فَأَمْكَنَ اللهُ مِنْهُ.

فَالنَّبِيُّ ﷺ لَمْ يَمْلِكْ لِهَؤُلَاءِ سِوَىٰ أَنْ يَدْعُوَ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَهُمْ، وَأَنْ يُثَبِّتَهُمْ يَقُولُ: «صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ؛ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةُ».

خَبَّابٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ذَهَبَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَمَعَهُ بَعْضُ مَنْ عُذِّبَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَجَاءَ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بِبُرْدَةٍ لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ فَقَالَ لَهُ هُوَ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلَا تَدْعُو لَنَا؟ فَهَذَا مَلْحَظٌ آخَرُ لَحِظُوهُ، النَّبِيُّ مُسْتَجَابُ الدَّعْوَةِ لَوْ أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَخْرِقَ الْأَسْبَابَ هَاهُنَا بِأَمْرِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِدُعَائِهِ أَنْ لَا يُمَكِّنَ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْهُ وَلَا مِنْ أَتْبَاعِهِ، فَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَسْتَجِيبُ لِنَبِيِّهِ ﷺ، وَهُوَ يَدْعُو عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ، فَيُصِيبُهُمْ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَيَدْعُو لَهُمْ بِكَشْفِ مَا نَزَلَ بِهِمْ، فَيَسْتَجِيبُ اللهُ تَعَالَىٰ لَهُ أَيْضًا، وَيَدْعُو عَلَىٰ أُنَاسٍ بِأَعْيَانِهِمْ فَيَسْتَجِيبُ اللهُ تَعَالَىٰ لَهُ فِيهِمْ، فَذَهَبَ إِلَيْهِ خَبَّابٌ، وَذَهَبَ إِلَيْهِ مَنْ ذَهَبَ مَعَهُ مِمَّنْ أُوذِيَ يَقُولُونَ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلَا تَدْعُو لَنَا؟ فَقَالَ ﷺ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ: «**لَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهَا، ثُمَّ يُؤْتَىٰ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَىٰ رَأْسِهِ، فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللهِ لَيُتِمَنَّ اللهُ تَعَالَىٰ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّىٰ يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَىٰ حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ وَالذِّئْبَ عَلَىٰ غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**».

هِيَ سُنَّةُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِيمَا يَقَعُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَبَيْنَ الْهُدَىٰ وَالضَّلَالِ».

أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ».

وَجَاءَ خَبَّابٌ يَوْمًا إِلَىٰ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَالَ لَهُ: ادْنُ أَيِ اقْتَرِبْ، فَمَا أَحَدٌ أَحَقُّ بِهَذَا الْمَجْلِسِ مِنْكَ إِلَّا عَمَّارٌ، فَجَعَلَ خَبَّابٌ يُرِيهِ آثَارًا بِظَهْرِهِ مِمَّا عَذَّبَهُ الْمُشْرِكُونَ.

وَقَدْ مَرَّ أَيْضًا أَنَّ لَوْنًا مِنْ أَلْوَانِ الْإِسَاءَةِ وَالتَّعْذِيبِ كَانَ يَرْجِعُ إِلَىٰ الْأَذِيَّةِ النَّفْسِيَّةِ كَانُوا يُعَذِّبُونَهُمْ بِاللَّوْنَيْنِ مَعًا، يُؤْذُونَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ.. فِي آبَائِهِمْ.. فِي أُمَّهَاتِهِمْ.. فِي عِرْضِهِمْ -وَالْعِرْضُ هُوَ مَوْطِنُ الْمَدْحِ وَالْقَدْحِ- وَلَيْسَ بِالَّذِي يَذْهَبُ إِلَيْهِ الذِّهْنُ بَادِئَ ذِي بَدْءٍ، فَكَلِمَةُ الْعِرْضِ مَعْنَاهَا مَوْطِنُ الْمَدْحِ وَالذَّمِّ فَإِذَا شَتَمْتَ إِنْسَانًا فَقَدِ اعْتَدَيْتَ عَلَىٰ عِرْضِهِ، وَإِذَا مَا سَبَبْتَهُ فَقَدْ أَيْضًا اعْتَدَيْتَ عَلَىٰ عِرْضِهِ، إِذَا هَجَوْتَهُ بِشِعْرٍ مَثَلًا فَأَيْضًا هَذَا اعْتِدَاءٌ عَلَىٰ عِرْضِهِ، وَلِذَلِكَ لَمَّا جَاءَ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ مُسْلِمًا كَمَا سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا، وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ، وَكَانَ كَثِيرَ الْأَذِيَّةِ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَيَهْجُو النَّبِيَّ ﷺ بِالشِّعْرِ وَالْقَصَائِدِ، وَأَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِ مُسْلِمًا، وَالنَّبِيُّ يَجِدُ فِي نَفْسِهِ عَلَيْهِ مَوْجِدَةً شَدِيدَةً قَالَ: «**أَمَّا ابْنُ عَمِّي فَقَدْ هَتَكَ عِرْضِي**».

مِنْ فُجُورِ الْمُسْتَشْرِقِينَ، وَمِنْ شَيَاطِينِهِمْ مَنْ يَذْهَبُ بِالْعِرْضِ إِلَىٰ مَا هُوَ مَعْلُومٌ، وَيَتَّهِمُ النَّبِيَّ الْمَأْمُونَ ﷺ، وهَكَذَا يَتَنَاوَلُونَ مَا لَا يَعْلَمُونَ، سَوَاءٌ كَانُوا

يَعْلَمُونَ أَوْ لَا يَعْلَمُونَ يَعْنِي سَوَاءٌ قَادَهُمْ الْهَوَىٰ وَالزَّيْغُ حَتَّىٰ صَرَفُوا ذَلِكَ عَنْ ظَاهِرِهِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ، وَصَرَفُوهُ عَنْ مَعْنَاهُ وَعَنْ حَقِيقَتِهِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ، الْعِرْضُ: مَوْطِنُ الْمَدْحِ وَالذَّمِّ مِنَ الْإِنْسَانِ، فَإِذَا هَجَوْتَ إِنْسَانًا فَقَدْ وَقَعْتَ فِي عِرْضِهِ وَهَتَكْتَ عِرْضَهُ. بِالْكَلَامِ لَا بِالْفِعْلِ فَهَذَا هُوَ فِي أَعْلَىٰ الذِّرْوَةِ مِنْ هَتْكِ الْعِرْضِ، بَلْ هَذَا مَأْخُوذٌ بِهِ حَتَّىٰ فِي الْقَوَانِينِ الْوَضْعِيَّةِ، فِي جَرِيمَةِ السَّبِّ وَالْقَذْفِ، فَإِنَّهُ إِذَا سَبَّ أَوْ قَذَفَ لَا يُشْتَرَطُ عِنْدَهُمْ أَنْ يَكُونَ وَاقِعًا فِي عِرْضِهِ بِمَعْنَىٰ أَنَّهُ يَسُبُّهُ وَيَقْذِفُهُ بِمَا يَسْتَوْجِبُ حَدًّا فِي الشَّرِيعَةِ -يَعْنِي بِمَا يَتَعَلَّقُ بِالْفَاحِشَةِ-، وَإِنَّمَا إِذَا جَاءَ بِمَا يُؤْذِيهِ فَإِنَّ الْقَانُونَ الْوَضْعِيَّ يُجَرِّمُهُ، وَيَقْضِي عَلَيْهِ بِغَرَامَةٍ مَالِيَّةٍ وَبِالْحَبْسِ، إِذَا مَا وَقَعَ فِي عِرْضِهِ بِمَعْنَىٰ الْأَذِيَّةِ وَالشَّتْمِ وَالِاعْتِدَاءِ بِالْبَاطِلِ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ.

فَكَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ، وَالنَّبِيُّ ﷺ كَانَ يَحُوطُهُمْ وَيَدْعُو لَهُمْ.

مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ الَّذِينَ عُذِّبُوا صُهَيْبٌ الرُّومِيُّ، كَانَ مِمَّنْ يُعَذَّبُ فِي اللهِ، وَلَمَّا أَقْبَلَ أَبُو ذَرٍّ الْغِفَارِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَىٰ مَكَّةَ مُؤْمِنًا قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «ارْجِعْ إِلَىٰ قَوْمِكَ فَأَخْبِرْهُمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ أَمْرِي» فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَصْرُخَنَّ بِهَا بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ، فَخَرَجَ حَتَّىٰ أَتَىٰ الْمَسْجِدَ فَنَادَىٰ بِأَعْلَىٰ صَوْتِهِ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَثَارَ عَلَيْهِ الْقَوْمُ فَضَرَبُوهُ حَتَّىٰ أَضْجَعُوهُ فَأَتَىٰ الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيْهِ فَقَالَ: وَيْلَكُمْ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ غِفَارٍ؟! وَأَنَّ طَرِيقَ تِجَارَتِكُمْ إِلَىٰ الشَّامِ عَلَيْهَا؟

فَأَنْقَذَهُ مِنْهُمْ، ثُمَّ عَادَ مِنَ الْغَدِ بِمِثْلِهَا، وَثَارُوا عَلَيْهِ فَضَرَبُوهُ، فَأَكَبَّ عَلَيْهِ الْعَبَّاسُ فَأَنْقَذَهُ.

www.menhaa-un.com

وَهَذَا قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ مِمَّا لَاقَاهُ النَّبِيُّ الْبَشِيرُ النَّذِيرُ، وَلَاقَاهُ أَصْحَابُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِنْ كُفَّارِ مَكَّةَ لِإِرْغَامِهِمْ عَلَىٰ تَرْكِ عَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ، وَمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ النَّبِيُّ الرَّشِيدُ ﷺ.

مَا الَّذِي حَمَلَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ؟

الْعِنَادُ الْمَجْنُونُ الْعِنَادُ الْبَغْلِيُّ مَا الَّذِي دَعَاهُمْ إِلَىٰ ذَلِكَ؟ دَعَاهُمْ إِلَيْهِ جُحُودُهُمْ وَظُلْمُهُمْ وَكِبْرُهُمْ ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ﴾ [النمل: ١٤]، وَكَانُوا يُنْكِرُونَ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَيَقُولُونَ: أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا؟ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ، وَكَانَ مِنْ أَسْبَابِ مُحَارَبَتِهِمْ لِلدَّعْوَةِ أَنْ قَالُوا ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١]، فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ أَدْنَىٰ اسْتِعْدَادٍ لِتَرْكِ دِينِ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ حَتَّىٰ قَالُوا: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]، هَلَّا قَالُوا: إِنْ كَانَ هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَاهْدِنَا إِلَيْهِ.. فَأَرْشِدْنَا إِلَيْهِ.. فَاحْمِلْنَا عَلَيْهِ؟ وَلَكِنْ مِنْ شِدَّةِ الْعَدَاوَةِ، وَمِنْ وَفْرَةِ الْحِقْدِ يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَرِنَا آيَةً.. مَا هِيَ الْآيَةُ؟ أَنْ يُهْلِكَهُمْ ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ أَنْعَمَ فَتًىٰ بِمَكَّةَ، وَأَجْوَدَهُ حُلَّةً -أَفْخَمَهُ ثِيَابًا-، وَكَانَ أَبَوَاهُ يُحِبَّانِهِ كَانَتْ أُمُّهُ مَلِيئَةً -كَثِيرَةَ الْمَالِ- تَكْسُوهُ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنَ الثِّيَابِ وَأَرَقَّهُ، وَكَانَ أَعْطَرَ أَهْلِ مَكَّةَ، يَلْبَسُ الْحَضْرَمِيَّ مِنَ النِّعَالِ، وَبَلَغَ مِنْ شِدَّةِ

كَلَفِ أُمِّهِ بِهِ أَنَّهُ يَبِيتُ وَقَعْبُ الْحَيْثُ -وَالْقَعْبُ هُوَ الْقَدَحُ الْغَلِيظُ، الْحَيْثُ تَمْرٌ وَأَقِطٌ وَسَمْنٌ تُخْلَطُ وتُعْجَنُ- فَمِنْ شِدَّةِ كَلَفِ أُمِّهِ بِهِ أَنَّهُ يَبِيتُ وَقَعْبُ الْحَيْثِ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ أَكَلَ، وَلَمَّا عَلِمَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَدْعُو إِلَىٰ الْإِسْلَامِ فِي دَارِ الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ دَخَلَ عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، وَصَدَّقَ بِهِ، وَخَرَجَ فَكَتَمَ إِسْلَامَهُ خَوْفًا مِنْ أُمِّهِ وَقَوْمِهِ، فَكَانَ يَخْتَلِفُ لِي رَسُولِ اللهِ ﷺ فَبَصَرَ بِهِ عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ يُصَلِّي، فَأَخْبَرَ أُمَّهُ وَقَوْمَهُ فَأَخَذُوهُ وَحَبَسُوهُ، فَلَمْ يَزَلْ مَحْبُوسًا حَتَّىٰ خَرَجَ إِلَىٰ أَرْضِ الْحَبَشَةِ فِي الْهِجْرَةِ الْأُولَىٰ، قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لَقَدْ رَأَيْتُهُ جَهِدَ فِي الْإِسْلَامِ جَهْدًا شَدِيدًا، حَتَّىٰ لَقَدْ رَأَيْتُ جِلْدَهُ يَتَحَشَّفُ -أَيْ يَتَطَايَرُ- تَحَشَّفَ جِلْدُ الْحَيَّةِ عَنْهَا، حَتَّىٰ إِنْ كُنَّا لَنَعْرِضُهُ عَلَىٰ قُتُبِنَا فَنَحْمِلُهُ مِمَّا بِهِ مِنَ الْجَهْدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كُلَّمَا ذَكَرَهُ قَالَ: «مَا رَأَيْتُ بِمَكَّةَ أَحَدًا أَحْسَنَ لِمَّةً، وَلَا أَرَقَّ حُلَّةً، وَلَا أَنْعَمَ نِعْمَةً مِنْ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ»، وَمَعَ كُلِّ مَا أَصَابَهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنْ بَلَاءٍ وَمِحْنَةٍ وَوَهَنٍ فِي الْجِسْمِ وَالْقُوَّةِ وَجَفَاءٍ مِنْ أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْهِ لَمْ يُقَصِّرْ عَنْ شَيْءٍ مِمَّا بَلَغَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْخَيْرِ وَالْفَضْلِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَىٰ، حَتَّىٰ أَكْرَمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ بِالشَّهَادَةِ يَوْمَ أُحُدٍ.

مَعَ هَذَا كُلِّهِ هَلْ تَفَرَّغُوا لِتَحْمِلَ ذَلِكَ وَتُلْقِيهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَكُونَ هُنَاكَ دَعْوَةٌ إِلَىٰ التَّوْحِيدِ، وَنَبْذِ الشِّرْكِ؟

لَمْ يَتَأَخَّرْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ فِي تَغْيِيرِ الْمُنْكَرِ مَا اسْتَطَاعُوا إِلَىٰ ذَلِكَ سَبِيلًا مَا لَمْ يَتَرَتَّبْ عَلَيْهِ مَفْسَدَةٌ أَكْثَرُ أَوْ أَذَىٰ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ.

عَنْ عَلِي بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه قَالَ: انْطَلَقْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّ ﷺ حَتَّىٰ أَتَيْنَا الْكَعْبَةَ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اجْلِسْ**»، وَصَعِدَ عَلَىٰ مَنْكِبِي، فَذَهَبْتُ لِأَنْهَضَ بِهِ فَرَأَىٰ مِنِّي ضَعْفًا فَنَزَلَ، وَجَلَسَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**اصْعَدْ عَلَىٰ مَنْكِبِي**»، قَالَ: فَنَهَضَ بِي. قَالَ: فَإِنَّهُ يُخَيَّلُ إِلَيَّ أَنِّي لَوْ شِئْتُ لَنِلْتُ أُفُقَ السَّمَاءِ، حَتَّىٰ صَعِدْتُ عَلَىٰ الْبَيْتِ، وَعَلَيْهِ تِمْثَالُ صُفْرٍ أَوْ نُحَاسٍ، فَجَعَلْتُ أُزَاوِلُهُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ حَتَّىٰ اسْتَمْكَنْتُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اقْذِفْ بِهِ**»، فَقَذَفْتُ بِهِ فَتَكَسَّرَ كَمَا تَتَكَسَّرُ الْقَوَارِيرُ، ثُمَّ نَزَلْتُ فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَرَسُولُ اللهِ ﷺ نَسْتَبِقُ حَتَّىٰ تَوَارَيْنَا بِالْبُيُوتِ خَشْيَةَ أَنْ يَلْقَانَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ.

أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» وَالْبَزَّارُ فِي «مُسْنَدِهِ» وَأَبُو يَعْلَىٰ وَالطَّبَرِيُّ فِي «التَّهْذِيبِ» -«تَهْذِيبِ الْآثَارِ»- وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مُجَادَلَةُ الْمُشْرِكِينَ وَإِقَامَةُ الْحُجَّةَ الدَّامِغَةَ عَلَيْهِمْ بِاعْتِرَافِهِمْ فِي أَنْفُسِهِمْ بِالْحَقِّ

وَكَذَلِكَ جَادَلَ الْمُشْرِكِينَ، وَأَقَامَ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةَ الدَّامِغَةَ بِاعْتِرَافِهِمْ فِي أَنْفُسِهِمْ بِالْحَقِّ، وَإِنْ أَظْهَرُوا الْمُخَالَفَةَ عِنَادًا وَحَسَدًا وَبَغْيًا وَجُحُودًا، كَمَا أَقَرَّ بِذَلِكَ أَبُو جَهْلٍ فِي رِوَايَةِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ جَاءَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ فَكَأَنَّهُ رَقَّ لَهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا جَهْلٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ: يَا عَمُّ إِنَّ قَوْمَكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَجْمَعُوا لَكَ مَالًا، وَيَعْلَمُ صِدْقَ مَا يَفُوهُ بِهِ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ بَلْ قَالَ مِثْلَهُ، وَقَالَ: إِنَّهُمْ إِنَّمَا صَدَّهُمْ عَنِ الدِّينِ الْحَقِّ، وَعَنْ تَوْحِيدِ الْخَالِقِ الْعَظِيمِ أَنَّهُمْ وَبَنُو عَبْدِ مَنَافٍ تَسَابَقُوا، أَعْطَوْا فَأَعْطَيْنَا.. وَتَصَدَّقُوا فَتَصَدَّقْنَا.. وَأَعْتَقُوا فَأَعْتَقْنَا.. إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ، حَتَّىٰ إِذَا كُنَّا كَفَرَسَيْ رِهَانٍ وَتَحَاكَتْ الرُّكَبُ -يَعْنِي لَا سَابِقٌ وَلَا مَسْبُوقٌ- قَالُوا: مِنَّا نَبِيٌّ يَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنَ السَّمَاءِ، قَالَ: فَأَنَّىٰ نُدْرِكُ مِثْلَ هَذِهِ؟! يَعْنِي لَوِ ادَّعَىٰ هُوَ النُّبُوَّةَ أَكَانَ يُمْكِنُ أَنْ يُصَدَّقَ؟

قَالَ: فَأَنَّىٰ نُدْرِكُ مِثْلَ هَذِهِ؟

قَالَ: كُلُّ مَا مَرَّ يُمْكِنُ ادَّعَاؤُهُ.. فِي الْعَطَاءِ.. وَفِي الْبَذْلِ.. وَفِي فَكِّ الْعَانِي.. وَفِي رِعَايَةِ الْأَسِيرِ.. وَبَذْلِ الْمَعْرُوفِ.. هَذَا يُمْكِنُ أَنْ يُفْعَلَ مِنْهُ مَا يُفْعَلُ، وَيُمْكِنُ أَنْ يُدْعَىٰ مِنْهُ مَا يُدْعَىٰ، وَلَكِنِ النُّبُوَّةُ؟!

قَالَ: قَالُوا مِنَّا نَبِيٌّ يَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنَ السَّمَاءِ، فَمَتىٰ نُدْرِكُ مِثْلَ هَذِهِ؟ إِذَنْ سَبَقُونَا؛ وَاللهِ لَا نُؤْمِنُ بِهِ أَبَدًا.

كَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ نَصِيرًا لِلْمُسْتَضْعَفِينَ، وَمُحَرِّرًا لِلرَّقِيقِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ مَنْ يَتَّهِمُ الْإِسْلَامَ فِي هَذَا الْجَانِبِ بِمَا يَتَّهِمُونَهُ بِهِ زُورًا وَعَدْوًا وَطُغْيَانًا، لِأَنَّ الْإِسْلَامَ الْعَظِيمَ جَاءَ فَوَجَدَ وَضْعًا قَائِمًا، فَمَاذَا كَانَ يُمْكِنُ أَنْ يَفْعَلَ مَعَهُ؟

ضَيَّقَ الْمَوَارِدَ وَوَسَّعَ الْمَصَادِرَ، فَرَهِبَ مِنْ أَنْ يُعْتَدَىٰ عَلَىٰ أَحَدٍ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَأَنْ يُؤْسَرَ حُرٌّ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَفِي الْوَقْتِ عَيْنِهِ جَعَلَ عِتْقَ الرَّقَبَةِ دَاخِلًا فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْكَفَّارَاتِ وَالتَّقَرُّبَاتِ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَغَيْرِ ذَلِكَ كَمَا سَيَأْتِي طَرْحُ بَعْضِ ذَلِكَ -إِنْ شَاءَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا- فَعَالَجَ الْمَسْأَلَةَ عَلَىٰ حَسَبِ الْوَاقِعِ الَّذِي كَانَ، ثُمَّ هَذَا أَمْرٌ سَيَكُونُ إِلَىٰ آخِرِ الزَّمَانِ؛ لِأَنَّ الْحُرُوبَ تَقَعُ، وَرُبَّمَا قَامَ الْأَعْدَاءُ بِأَسْرِ الرِّجَالِ، وَسَبْيِ النِّسَاءِ، وَأَخْذِ الذُّرِّيَّةِ، فَمَاذَا يَفْعَلُ مَنْ يُحَارِبُهُمْ؟ يَتَنَزَّهُ الْمُسْلِمُونَ عَنْ ذَلِكَ وَيَتْرُكُونَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالذُّرِّيَّةَ وَيَقُولُونَ: لَا هَذَا.. لَا يَجُوزُ؟

قَدْ يُبَادَلُ هَؤُلَاءِ بِهَؤُلَاءِ، وَقَدْ يَكُونُ الرِّقُّ لَهُمْ خَيْرًا مِنَ الْحُرِّيَّةِ الَّتِي يَدْعُونَ أَنَّهُمْ يَتَنَعَّمُونَ بِهَا، لِأَنَّ الْحُرِّيَّةَ الْحَقَّةَ إِنَّمَا هِيَ فِي عِبَادَةِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا وَتَوْحِيدِهِ وَلَوْ كَانَ قَيْنًا.. وَلَوْ كَانَ رَقِيقًا.. وَلَوْ كَانَ عَبْدًا مَمْلُوكًا فَإِنَّ الْحُرِّيَّةَ الْحَقَّةَ إِنَّمَا هِيَ فِي عِبَادَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَالْعُبُودِيَّةِ للهِ جَلَّ وَعَلَا فَالْعُبُودِيَّةُ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هِيَ مَحْضُ الْحُرِّيَّةِ، لِأَنَّهَا عِتْقٌ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ لِغَيْرِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَهَذِهِ هِيَ الْعُبُودِيَّةُ الْحَقَّةُ.

الْعُبُودِيَّةُ لِغَيْرِ اللهِ وَالْعِبَادَةُ لِغَيْرِ اللهِ هِيَ الْعُبُودِيَّةُ الَّتِي لَيْسَ وَرَاءَهَا عُبُودِيَّةٌ فِي الْمَذَلَّةِ وَفِي الْمَهَانَةِ وَفِي الْهَوَانِ وَفِي الِانْحِطَاطِ، وَأَمَّا الْعُبُودِيَّةُ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَهِيَ الْحُرِّيَّةُ الْحَقَّةُ، إِذْ هِيَ انْعِتَاقٌ لِلْعُبُودِيَّةِ لِسَائِرِ خَلْقِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

وَاهِبُ الْحُرِّيَّاتِ وَمُحَرِّرُ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَالَّذِي عُرِفَ بَيْنَ قَوْمِهِ بِأَنَّهُ يُكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَيَصِلُ الرَّحِمَ، وَيَحْمِلُ الْكَلَّ، وَيَقْرِي الضَّيْفَ، وَيُعِينُ عَلَىٰ نَوَائِبِ الْحَقِّ سَيَذْهَبُ ذِهْنُكَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ وَحُقَّ لَكَ، وَهَذِهِ الصِّفَاتُ قَالَتْهَا خَدِيجَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فِي حَقِّ نَبِيِّنَا ﷺ عِنْدَمَا أَخْبَرَهَا بِنُزُولِ الْوَحْيِ عَلَيْهِ، وَهِيَ مُطَابِقَةٌ لِمَوْضِعِهَا تَمَامَ الْمُطَابَقَةِ، وَلَكِنَّهَا قِيلَتْ أَيْضًا فِيمَنْ؟ فِي أَبِي بَكْرٍ، وَقَدْ شُهِرَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ -كَمَا فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»-، لَمْ يَنْغَمِسْ فِي إِثْمٍ فِي جَاهِلِيَّتِهِ كَانَ إِلْفًا مَأْلُوفًا فِي قَوْمِهِ، يَسِيلُ قَلْبُهُ رِقَّةً وَرَحْمَةً عَلَىٰ الضُّعَفَاءِ وَالْأَرِقَّاءِ، أَنْفَقَ جُزْءًا كَبِيرًا مِنْ مَالِهِ فِي شِرَاءِ الْعَبِيدِ وَعِتْقِهِمْ للهِ وَفِي اللهِ، ذَلِكُمْ الْمُحَرِّرُ لِلْعَبِيدِ هُوَ صِدِّيقُ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْأَكْبَرِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

مِمَّنْ أَعْتَقَهُمْ مِنَ الْكِرَامِ السَّابِقِينَ:

بِلَالُ بْنُ رَبَاحٍ، فَقَدْ أَعْتَقَهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، مَرَّ عَلَىٰ أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ -لَعَنَهُ اللهُ- وَهُوَ يُعَذِّبُ بِلَالًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: أَلَا تَتَّقِي اللهَ فِي هَذَا الْمِسْكِينِ؟ حَتَّىٰ مَتَىٰ؟ قَالَ: أَنْتَ الَّذِي أَفْسَدْتَهُ فَأَنْقِذْهُ مِمَّا تَرَىٰ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَفْعَلُ. عِنْدِي غُلَامٌ أَسْوَدُ وَأَجْلَدُ مِنْهُ وَأَقْوَىٰ عَلَىٰ دِينِكَ، أُعْطِيكَهُ بِهِ. قَالَ أُمَيَّةُ: قَدْ قَبِلْتُ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: هُوَ لَكَ. فَأَعْطَاهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ غُلَامَهُ ذَلِكَ وَأَخَذَ بِلَالًا فَأَعْتَقَهُ.

فِي رِوَايَةٍ أُخْرَىٰ فِي مُسْنَدِ مُسَدَّدِ بْنِ مُسَرْهَدٍ عَنْ مَعْمَرِ بْنِ أَبِي هِنْدٍ قَالَ: «كَانَ بِلَالٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِأَيْتَامِ أَبِي جَهْلٍ، فَعَذَّبَهُ فَبَعَثَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا فَقَالَ لَهُ: اشْتَرِ بِلَالًا فَأَعْتِقْهُ».

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ فِي «مُصَنَّفِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: «اشْتَرَىٰ أَبُو بَكْرٍ بِلَالًا بِخَمْسِ أَوَاقٍ. قَالُوا: لَوْ أَبَيْتَ إِلَّا أُوقِيَةً لَبِعْنَاكَهُ. فَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لَوْ أَبَيْتُمْ إِلَّا مِئَةَ أُوقِيَةٍ لَأَخَذْتُهُ»

قَدْ يُوجَدُ أَحْيَانًا بَعْضُ الِاخْتِلَافِ فِي الْعَدَدِ أَوْ مَا أَشْبَهَ وَهَذَا لَا يَضُرُّ، وَأَمَّا الَّذِي أَعْتَقَ بِلَالًا عَلَىٰ الْحَقِيقَةِ فَهُوَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

لِذَلِكَ قَالَ الْحَافِظُ: «يُجْمَعُ بَيْنَ الْقِصَّتَيْنِ بِأَنَّ كُلًّا مِنْ أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ وَأَبِي جَهْلٍ كَانَ يُعَذِّبُ بِلَالًا وَلَهُمَا نَصِيبٌ فِيهِ».

وَرَوَىٰ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا، وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا» يَعْنِي بِلَالًا.

مِمَّنْ أَعْتَقَهُمْ: أَبُو فُكَيْهَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ اشْتَرَاهُ وَأَعْتَقَهُ.

عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ اشْتَرَاهُ وَأَعْتَقَهُ لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَقَدْ شَهِدَ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ غَزْوَةَ بَدْرٍ وَأُحُدٍ، وَقُتِلَ فِي فَاجِعَةِ بِئْرِ مَعُونَةَ شَهِيدًا سَنَةَ أَرْبَعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ.

زُنَّيْرَةُ اشْتَرَاهَا وَأَعْتَقَهَا.

وَكَذَلِكَ جَارِيَةُ بَنِي مُؤَمَّلٍ، وَكَانَ الَّذِي يُعَذِّبُهَا عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ فَاشْتَرَاهَا وَأَعْتَقَهَا.

النَّهْدِيَّةُ وَابْنَتُهَا، وَكَانَتَا لِامْرَأَةٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ فَمَرَّ بِهِمَا فَاشْتَرَاهُمَا وَأَعْتَقَهُمَا، لَمْ يَكُنْ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقْصِدُ بِعَمَلِهِ مَحْمَدَةً وَلَا جَاهًا وَلَا دُنْيَا، وَإِنَّمَا كَانَ يُرِيدُ وَجْهَ اللهِ -تَعَالَىٰ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ-.

رَوَىٰ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «قَالَ أَبُو قُحَافَةَ وَالِدُ أَبِي بَكْرٍ: يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَاكَ تُعْتِقُ رِقَابًا ضِعَافًا فَلَوْ أَنَّكَ إِذْ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ أَعْتَقْتَ رِجَالًا جُلْدًا يَمْنَعُونَكَ -يَعْنِي لِأَجْلِ الْوَلَاءِ-، وَيَقُومُونَ دُونَكَ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يَا أَبَتِ!! إِنَّمَا أُرِيدُ مَا أُرِيدُ للهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الليل: ٥- ٢١].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: «ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ»، حَتَّىٰ إِنَّ بَعْضَهُمْ حَكَىٰ الْإِجْمَاعَ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ دَاخِلٌ فِيهَا، وَأَوْلَىٰ الْأُمَّةِ بِعُمُومِهَا فَإِنَّ لَفْظَهَا لَفْظُ الْعُمُومِ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ﴾ لَكِنَّهُ مُقَدَّمُ الْأُمَّةِ، وَسَابِقُهُمْ فِي جَمِيعِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ، وَسَائِرِ الْأَوْصَافِ الْحَمِيدَةِ، فَإِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا.. تَقِيًّا.. كَرِيمًا.. جَوَادًا.. بَذَّالًا لِأَمْوَالِهِ فِي طَاعَةِ مَوْلَاهُ، وَنُصْرَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

فَكَمْ مِنْ دَرَاهِمَ وَدَنَانِيرَ بَذَلَهَا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْكَرِيمِ، وَلَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ عِنْدَهُ مِنَّةٌ يَحْتَاجُ أَنْ يُكَافِئَهُ بِهَا، وَلَكِنْ كَانَ فَضْلُهُ وَإِحْسَانُهُ عَلَىٰ السَّادَاتِ وَالرُّؤَسَاءِ مِنْ سَائِرِ الْقَبَائِلِ، وَلِهَذَا قَالَ لَهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ، وَهُوَ سَيِّدُ ثَقِيفٍ يَوْمَ صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ، -وَكَانَ عَلَىٰ الْكُفْرِ مَا أَسْلَمَ بَعْدُ-: أَمَّا وَاللهِ لَوْلَا يَدٌ لَكَ كَانَتْ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لَأَجَبْتُكَ، وَكَانَ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَدْ أَغْلَظَ لَهُ فِي الْمَقَالَةِ.

فَإِذَا كَانَ هَذَا حَالَهُ مَعَ سَادَاتِ الْعَرَبِ، وَرُؤَسَاءِ الْقَبَائِلِ فَكَيْفَ بِمَنْ عَدَاهُمْ؟ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الليل: ١٩- ٢١] مَعَ هَذَا كُلِّهِ، وَمَا كَانُوا يُعَانُونَ فَإِنَّهُمْ كَانُوا مَاضِينَ فِي الدَّعْوَةِ إِلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَهَذَا الَّذِي مَرَّ ذِكْرُهُ، وَمَا سَبَقَ مِنْ قِرَاءَةِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ الْقُرْآنَ جَهْرًا عَلَىٰ قُرَيْشٍ، وَهُوَ يَعْلَمُ يَقِينًا أَنَّهُ سَيُصِيبُهُ الْأَذَىٰ، وَلَكِنْ إِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

اشْتَدَّ أَذَاهُمْ ضَرَاوَةً بِالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَسَامُوهُمْ أَلْوَانًا مِنَ الْعَذَابِ.

رَوَىٰ ابْنُ إِسْحَاقَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: «قُلْتُ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَبْلُغُونَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْعَذَابِ مَا يُعْذَرُونَ فِي تَرْكِ دِينِهِمْ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَاللهِ إِنْ كَانُوا لَيَضْرِبُونَ أَحَدَهُمْ وَيُجِيعُونَهُ وَيُعَطِّشُونَهُ حَتَّىٰ مَا يَقْدِرُ أَنْ يَسْتَوِيَ جَالِسًا مِنْ شِدَّةِ الضُّرِّ الَّذِي نَزَلَ بِهِ حَتَّىٰ يُعْطِيَهُمْ مَا سَأَلُوهُ مِنَ الْفِتْنَةِ، حَتَّىٰ يَقُولُوا لَهُ: اللَّاتُ وَالْعُزَّىٰ إِلَهُكَ مِنْ دُونِ اللهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. حَتَّىٰ إِنَّ

الْجُعَلَ هُوَ حَيَوَانٌ مَعْرُوفٌ بِالْخُنْفُسَاءِ لَيَمُرُّ بِهِمْ فَيَقُولُونَ لَهُ: أَهَذَا الْجُعَلُ إِلَهُكَ مِنْ دُونِ اللهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. افْتِدَاءً مِنْهُمْ مِمَّا يَبْلُغُونَ مِنْ جَهْدِهِ.

لَمَا طَالَ عَلَيْهِمْ شَكَوْا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَمَا مَرَّ فِي حَدِيثِ الْبُخَارِيِّ عَنْ خَبَّابٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي شَكْوَاهُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فذَكَرَ لَهُمْ مَا كَانَ مِنْ شَأْنِ السَّابِقِينَ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ فِي صَبْرِهِمْ وَتَحَمُّلِهِمْ وَجِهَادِهِمْ لِيُثَبِّتَ بِذَلِكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَقْدَامَهُمْ عَلَىٰ الْحَقِّ.

◉◉◉

www.menhag-un.com

لِمَاذَا تَمَّ اخْتِيَار دَارَ الْأَرْقَمِ بِالذَّاتِ لِتَعْلِيمِ الْمُسْلِمِينَ أُمُورَ دِينِهِمْ؟

كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَلْتَقِي سِرًّا بِالدَّاخِلِينَ فِي الْإِسْلَامِ لِيُعْلِمَهُمْ مَا يَنْزِلُ بِهِ الْوَحْيُ مِنْ تَعَالِيمِ الدِّينِ.

فِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ مِنَ ابْتِدَاءِ الدَّعْوَةِ اخْتَارَ الرَّسُولُ ﷺ مَنْزِلَ أَحَدِ الْمُسْلِمِينَ وَهُوَ الْأَرْقَمُ بْنُ أَبِي الْأَرْقَمِ لِيَلْتَقِي بِأَكْبَرِ عَدَدٍ مِنْهُمْ، وَحَافَظُوا عَلَىٰ كِتْمَانِ سِرِّيَّةِ ذَلِكَ الْمَكَانِ، لِأَنَّ عَامَّةَ الصَّحَابَةِ كَانُوا يُخْفُونَ إِسْلَامَهُمْ، وَلِذَا فَمِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ يَتَّبِعُوا ذَلِكَ لِمَا فِيهِ مِنْ صَالِحٍ لِلْمُسْلِمِينَ وَالْإِسْلَامِ، أَمَّا لِمَاذَا اخْتَارَ الرَّسُولُ ﷺ دَارَ الْأَرْقَمِ بِالذَّاتِ؟

فَقَدْ أَجَابَ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ اسْتِنْتَاجًا الْمُبَارَكْفُورِيُّ -غَفَرَ اللهُ لَهُ- فَقَالَ: «لِأَنَّ الْأَرْقَمَ لَمْ يَكُنْ مَعْرُوفًا بِإِسْلَامِهِ، وَلِأَنَّهُ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ الَّتِي تَحْمِلُ لِوَاءَ التَّنَافُسِ وَالْحَرْبِ ضِدَّ بَنِي هَاشِمٍ إِذْ يُسْتَبْعَدُ أَنْ يَخْتَفِيَ الرَّسُولُ ﷺ فِي قَلْبِ الْعَدُوِّ، وَلِأَنَّهُ كَانَ فَتًىٰ صَغِيرًا عِنْدَمَا أَسْلَمَ فِي حُدُودِ السِّتَّ عَشْرَةَ سَنَةً؛ إِذْ أَنَّهُ فِي هَذِهِ الْحَالِ تَنْصَرِفُ الْأَذْهَانُ إِلَىٰ مَنَازِلِ كِبَارِ الصَّحَابَةِ، وَيُلْحَظُ أَنَّ دَارَ الْأَرْقَمِ كَانَتْ قُرْبَ الصَّفَا، وَهِيَ مَنْطِقَةٌ تَشْتَدُّ فِيهَا حَرَكَةُ النَّاسِ بِصُورَةٍ طَبِيعِيَّةٍ مِمَّا يَصْعُبُ مَعَهُ إِدْرَاكُ وُجُودِ حَرَكَةٍ خَاصَّةٍ بِأُنَاسٍ تَجْتَمِعُ وَتَنْفُضُ فِي تِلْكَ

الدَّارِ، وَعِنْدَمَا شَكَّ الْكُفَّارُ فِي وُجُودِ مَكَانٍ يَلْتَقِي فِيهِ الْمُسْلِمُونَ كَانَ كُلُّ الَّذِي تَوَصَّلُوا إِلَيْهِ أَنَّهُ يَلْتَقِي بِهِمْ فِي دَارٍ عِنْدَ الصَّفَا، كَانَتْ تِلْكَ الدَّارُ فِي أَصْلِ الصَّفَا بَعِيدَةً عَنْ أَعْيُنِ قُرَيْشٍ وَطُغَاتِهِمْ وَمَجَالِسِهِمْ، فَاخْتَارَهَا النَّبِيُّ ﷺ لِيَجْتَمِعَ فِيهَا بِالْمُسْلِمِينَ فَيَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِ اللهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، وَيُؤَدِّي الْمُسْلِمُونَ عِبَادَتَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ، وَيَتَلَقَّوْا مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَهُمْ فِي أَمْنٍ وَسَلَامٍ، وَلِيَدْخُلَ مَنْ يَدْخُلُ فِي الْإِسْلَامِ وَلَا يَعْلَمُ بِهِ مِنْ أَصْحَابِ السَّطْوَةِ وَالنِّقْمَةِ أَحَدٌ».

طَبْعِيٌّ وَبَدَهِيٌّ أَنَّ الْمَنْهَجَ الَّذِي كَانَ يُعَلِّمُهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي دَارِ الْأَرْقَمِ مَا هُوَ؟

كِتَابُ اللهِ وَسُنَّةُ رَسُولِ اللهِ لَا يُخْلَطَانِ بِشَيْءٍ، فَهَذَا هُوَ الْمَنْهَجُ الَّذِي كَانَ يُعَلِّمُهُمْ إِيَّاهُ فِي دَارِ الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ، وَضَعْ لَهُمْ هَذَا الْمَنْهَجُ آيَاتِ اللهِ، وَأَحَادِيثُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمِمَّا لَمْ يَكُنْ يُشَكُّ فِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَوْ اجْتَمَعَ بِالْمُسْلِمِينَ عَلَنًا لَحَاوَلَ الْمُشْرِكُونَ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْقَسْوَةِ وَالْغِلْظَةِ أَنْ يَحُولُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يُرِيدُ مِنْ تَزْكِيَةِ نُفُوسِهِمْ، وَمِنْ تَعْلِيمِهِمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، وَرُبَّمَا أَفْضَىٰ ذَلِكَ إِلَىٰ مُصَادَمَةِ الْفَرِيقَيْنِ، بَلْ قَدْ وَقَعَ ذَلِكَ فِعْلًا، فَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانُوا يَجْتَمِعُونَ فِي الشِّعَابِ فَيُصَلُّونَ فِيهَا سِرًّا فَرَآهُمْ نَفَرٌ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ فَسَبُّوهُمْ وقَاتَلُوهُمْ، فَضَرَبَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَجُلًا مِنْهُمْ فَسَالَ دَمُهُ، وَكَانَ أَوَّلَ دَمٍ هُرِيقَ فِي الْإِسْلَامِ.

مَعْلُومٌ أَنَّ الْمُصَادَمَةَ لَوْ تَعَدَّدَتْ وَطَالَتْ لَأَفْضَتْ إِلَىٰ تَدْمِيرِ الْمُسْلِمِينَ وَإِبَادَتِهِمْ، فَكَانَ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ يَجْمَعَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَكَانَ عَامَّةُ الصَّحَابَةِ يُخْفُونَ إِسْلَامَهُمْ وَعِبَادَتَهُمْ وَاجْتِمَاعَهُمْ، أَمَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَكَانَ يَجْهَرُ بِالدَّعْوَةِ وَالْعِبَادَةِ بَيْنَ ظَهْرَانَيِ الْمُشْرِكِينَ لَا يَصْرِفُهُ عَنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، وَلَكِنْ كَانَ يَجْتَمِعُ مَعَ الْمُسْلِمِينَ سِرًّا نَظَرًا لِصَالِحِهِمْ وَصَالِحِ الْإِسْلَامِ.

◉◉◉

www.menhag-un.com

مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة الثَّامِنَة)

مِنْ مَادَّةِ

سِيرَة النَّبِيِّ ﷺ

[الْعَهْدُ الْمَكِّيُّ - ج٢]

www.menhag-un.com

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مَوْقِفُ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الِابْتِلَاءَاتِ:
تَرْسِيخُ الْإِيمَانِ وَتَقْوِيَةُ الصِّلَةِ بِاللهِ ﷻ

وَقَدْ وقَفَ الرَّسُولُ ﷺ فِي تِلْكَ الْمَرْحَلَةِ مَوْقِفًا عَظِيمًا يَلِيقُ بِهِ، وَهُوَ الْمَعْصُومُ ﷺ مِنْ أَنْوَاعِ الِابْتِلَاءَاتِ الَّتِي مَرَّتْ بِهِ وَبِأَصْحَابِهِ يَتَنَاسَبُ مَعَ عَظَمَةِ رِسَالَتِهِ، مُسْتَمِدًّا تِلْكَ الْمَوَاقِفَ مِنْ وَحْيِ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا فَحَرَصَ ﷺ عَلَىٰ تَرْبِيَةِ أَصْحَابِهِ تَرْبِيَةً إِيمَانِيَّةً قَوِيَّةً تُمِدُّهُمْ بِالْعَزِيمَةِ الَّتِي تُعِينُهُمْ عَلَىٰ تَحَمُّلِ تِلْكَ الِابْتِلَاءَاتِ، فَكَانَ يَغْرِسُ فِيهِمُ الْإِيمَانَ وَيُرَسِّخُهُ فِي نُفُوسِهِمْ، حَيْثُ كَانَ يَلْتَقِي بِهِمْ فِي دُورِ بَعْضِهِمْ يُعَلِّمُهُمْ الْقُرْآنَ وَمَا يَنْزِلُ عَلَيْهِ مِنْ تَعَالِيمِ رَبِّهِ، كَمَا كَانَ يُقَوِّي فِيهِمُ الصِّلَةَ بِرَبِّهِمْ، فَيَقُومُ مَعَهُمْ نِصْفَ اللَّيْلِ، أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ لِأَدَاءِ الصَّلَاةِ بِقِيَامِ اللَّيْلِ امْتِثَالًا لِقَوْلِ رَبِّهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ١-٤] فَقَامُوا سَنَةً عَلَىٰ ذَلِكَ حَتَّىٰ تَفَطَّرَتْ أَقْدَامُهُمْ -أَيْ تَشَقَّقَتْ- فَخَفَّفَ اللهُ عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ﴾ [المزمل: ٢٠].

وَلَا شَكَّ أَنَّ لِقِيَامِ اللَّيْلِ أَثَرَهُ الْكَبِيرَ فِي إِعْدَادِ ذَلِكَ الْجِيلِ الْفَرِيدِ فِي تَحَمُّلِ تِلْكَ الْمَسْئُولِيَّةِ السَّامِيَةِ وَالْمُهِمَّةِ الْعَظِيمَةِ، وَهَذَا مَا ذَكَرَهُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي تَوْجِيهِهِ لِنَبِيِّهِ: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: ٥-٦].

وَمِثْلُ هَذِهِ التَّرْبِيَةِ ضَرُورِيَّةٌ لِكُلِّ مَنْ يَتَصَدَّىٰ لِمِثْلِ تِلْكَ الْمُهِمَّةِ الْعَظِيمَةِ مُهِمَّةِ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، وَهِيَ ضَرُورِيَّةٌ لِكُلِّ مَنْ يَنْشُرُ لِنَفْسِهِ اجْتِيَازًا فِي حَالِ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا وَمَفَاتِنِهَا وَابْتِلَاءَاتِهَا بِنَجَاحٍ وَفَلَاحٍ.

فَكَانُوا يَقْرِنُونَ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، أَتَظُنُّ فِي وَسَطِ ذَلِكَ الْأَتُّونِ الْمُسْتَعِرِ مِنَ الْعِنَادِ الْمَجْنُونِ وَالْإِيذَاءِ الَّذِي لَا حَدَّ لَهُ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْمَعُونَ شَيْئًا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ أَمْرًا أَوْ نَهْيًا ثُمَّ لَا يَمْتَثِلُونَ لِأَمْرِهِ وَلَا يَجْتَنِبُونَ نَهْيَهُ؟!

أَتَظُنُّ أَنَّ وَاحِدًا مِنْ هَؤُلَاءِ -وَهُوَ عُرْضَةٌ لِهَذَا الْبَلَاءِ الْعَظِيمِ- كَانَ يَسْمَعُ خَبَرًا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ يَرْتَابُ فِيهِ أَوْ يَشُكُّ -حَاشَاهُمْ- أَوْ لَا يُصَدِّقُهُ؟!

إِذَنْ قَرَنُوا بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، هَذَا جِيلٌ فَرِيدٌ.

وَالْآنَ عِلْمٌ كَثِيرٌ وَعَمَلٌ مُضْمَحِلٌّ، فَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَعْلَمُونَ مِنَ الدِّينِ أُمُورًا كَثِيرَةً بَعْضُهَا مُشَوَّهٌ، وَبَعْضُهَا مُشَعَّسٌ، وَبَعْضُهَا مَغْلُوطٌ، وَبَعْضُهَا خَيَالَاتٌ، وَبَعْضُهَا عُرْفٌ وَمَوْرُوثَاتٌ، وَلَكِنَّ فِيهَا أَيْضًا ذَخِيرَةً مُحْتَرَمَةً مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالدِّينِ فَهَلْ عَمِلَ بِهِ؟

الْفَصْلُ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَالْمُشْكِلَةُ الَّتِي تُوَاجِهُ أَهْلَ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ فِي هَذَا الْعَصْرِ.

كَلَامٌ كَثِيرٌ، وَتَأَمَّلْ فِي الَّذِينَ يَقْضُونَ لَيَالِيَهُمْ بِطُولِهَا بِطَرِيقَةٍ هِيَ طَرِيقَةُ الْمُدْمِنِينَ، وَالْإِدْمَانُ لَا يَتَعَلَّقُ فَقَطْ بِالْمُخَدِّرَاتِ، وَلَا بِالْمُفَتِّرَاتِ، وَلَا

بِالْمُسْكِرَاتِ، بَلْ الْإِدْمَانُ أَيْضًا يَتَعَلَّقُ بِأُمُورٍ كَثِيرَةٍ، فَقَدْ يُدْمِنُ عَادَةً مِنَ الْعَادَاتِ تَصِيرُ إِدْمَانًا حَقِيقِيًّا، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَخَلَّفَ عَنْهَا وَلَا أَنْ يَبْتَعِدَ عَنْهَا.

فَيَصِلُ الْأَمْرُ بِهَؤُلَاءِ فِي عُكُوفِهِمْ عَلَىٰ أَجْهِزَتِهِمْ بِاللَّيْلِ وَبِالنَّهَارِ إِلَىٰ حَدِّ الْإِدْمَانِ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُغْلِقَ صَفْحَتَهُ -كَمَا يَقُولُونَ-، وَلَا أَنْ يُلْغِيَ حِسَابَهُ -كَمَا يَزْعُمُونَ- لَا يَسْتَطِيعُ.

وَلَا أَقُولُ: إِنَّ ذَلِكَ عِنْدَهُ وَصَلَ إِلَىٰ دَرَجَةِ اعْتِيَادِ التَّدْخِينِ مَثَلًا، بَلْ هِيَ إِدْمَانُ الْأَفْيُونِ فَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ، وَجَرِّبْ إِنْ كُنْتَ مُبْتَلًىٰ هَلْ تَصْبِرُ؟

مَا هُوَ إِلَّا أَنْ يُحَرِّكَكَ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: لَقَدْ رَدَّ عَلَيْكَ فُلَانٌ.. لَقَدْ عَرَّضَ بِكَ فُلَانٌ.. لَقَدْ ذَكَرَكَ فُلَانٌ.. أَلَمْ تَسْمَعْ لِقَوْلِ فُلَانٍ؟ أَلَمْ تَدْرِ مَا وَقَعَ بَيْنَ فُلَانٍ وَفُلَانٍ؟ حَتَّىٰ تَعُودَ كَالْمُدْمِنِ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُفَارِقَ مَادَّةَ إِدْمَانِهِ.

فَهَذَا مَا يُلْهِيهِمْ وَمَا يَشْغَلُهُمْ هَؤُلَاءِ هُمُ الدُّعَاةُ؟!!

هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ أَمَانَةَ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ؟!!

أَلَا تَرَوْنَ الْمُسْلِمِينَ بِجَمَاهِيرِهِمْ مِنَ الْعَوَامِّ هُمْ أَوْلَىٰ بِوَقْتِكُمْ.. عَلِّمُوهُمْ.. ادْعُوهُمْ إِلَىٰ التَّوْحِيدِ.. حَذِّرُوهُمْ مِنَ الشِّرْكِ فِي الِاعْتِقَادِ وَالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ.. دُلُّوهُمْ إِلَىٰ الْخَيْرِ.. عَلِّمُوهُمْ الْوُضُوءَ فَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْرِفُ كَيْفَ يَتَوَضَّأُ.. عَلِّمُوهُمْ الطَّهَارَةَ.. عَلِّمُوهُمُ الصَّلَاةَ.. عَلِّمُوهُمْ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ، كَثِيرٌ مِمَّنْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ بِالْمَالِ لَا يَعْرِفُونَ كَيْفَ يُزَكُّونَ أَمْوَالَهُمْ، مَنِ الْمَسْئُولُ عَنْ هَذَا؟

هُمْ وَأَهْلُ الْعِلْمِ، فَهُمْ فَرَّطُوا وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ يُخْرِجُ زَكَاةَ مَالِهِ عَلَىٰ حَسَبِ مَا يَرَاهُ هُوَ، وَيُخَالِفُ مُخَالَفَاتٍ قَاطِعَةً تَقْضِي بِأَنَّهُ لَمْ يُؤَدِّ زَكَاةَ مَالِهِ لِسَنَوَاتٍ مُنْذُ مَلَكَ النِّصَابَ وَحَالَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ؛ اتَّقُوا اللهَ فِيهِمْ وَدَعُوكُمْ مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ!!

اتَّقُوا اللهَ!!

لَا تُضَيِّعُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تُضَيِّعُوا الْأُمَّةَ، إِنَّمَا صَنَعُوا لَكُمْ مَوَاقِعَ التَّوَاصُلِ الِاجْتِمَاعِيِّ لِيُلْهُوكُمْ، وَلِكَيْ يَأْخُذُوا مِنْكُمْ مَعْلُومَاتٍ مَا كَانَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ أَنْ يَبْلُغَ الْوُصُولَ إِلَىٰ عُشْرِ مِعْشَارِهَا لَوْلَا أَنَّكُمْ تَفْعَلُونَ بِأَنْفُسِكُمْ.

أَسْمَعُ الْعَجَائِبَ؛ الرَّجُلُ يَقْضِي حَاجَتَهُ يَكْتُبُ قَضَيْتُ حَاجَتِي.. يَغْتَسِلُ اغْتَسَلْتُ!!

الْمَرْأَةُ صَنَعَتِ الْيَوْمَ طَعَامًا.. صَنَعَتْ كَذَا وَكَذَا، وَمِنْ هَيْئَتِهِ كَذَا.

وَرُبَّمَا -لَا أَدْرِي مَا يَقُولُونَ- أَنْزَلَتْ بَعَثَتْ صَوَّرَتْ صُورَةً وَعَرَضَتْهَا!! مَا هَذَا الْعَبَثُ؟!

عُمُرُكُمْ نَفِيسٌ اتَّقُوا اللهَ فِيهِ، اللَّحْظَةُ الَّتِي تَمُرُّ تُقَرِّبُكَ مِنَ الْقَبْرِ لَحْظَةً لَا مَحَالَةَ الْعُمُرُ مَحْدُودٌ اتَّقِ اللهَ فِيهِ.

إِذَا جِئْتَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِثَانِيَةٍ خَالِيَةٍ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ وَلَمْ تَشْغَلْهَا بِعَمَلٍ طَالِحٍ يَعْنِي فِي مُبَاحٍ كَانَتْ عَلَيْكَ تِرَةً.. وَحَسْرَةً.. وَنَدَامَةً، لِأَنَّهُ يَكُونُ الْأَبْعَدُ كَالَّذِي يَمُرُّ فِي الطَّرِيقِ فَيَجِدُ بَعْرَةً وَيَجِدُ دُرَّةً فَيَتْرُكُ الدُّرَّةَ وَيَأْخُذُ الْبَعْرَةَ!! سَنَلُومُهُ لَكِنْ هَلْ وَقَعَ فِي مَحْظُورٍ شَرْعِيٍّ؟

لَا نَقُولُ.. فَكَذَلِكَ إِذَا مَرَّ عَلَيْكَ وَقْتٌ فِي مُبَاحٍ لَا لَكَ وَلَا عَلَيْكَ كَانَ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَزَانَتُهُ فَارِغَةٌ -كَمَا قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ-.

فَانْظُرْ إِلَىٰ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ فِي وَسَطِ هَذَا الْمَعْمَعَانِ الْمَجْنُونِ، وَالْعَاصِفَةِ الْقَاصِفَةِ، وَالْأَتُّونِ الْمُشْتَعِلِ مِنَ الْإِيذَاءِ وَالْعُدْوَانِ وَالْعِنَادِ الْمَغْلِيِّ يَفْرِضُ اللهُ عَلَيْهِمْ فِي الْبَدْءِ قِيَامَ اللَّيْلِ سَنَةً كَامِلَةً، ثُمَّ يَرْفَعُ ذَلِكَ رَحْمَةً بِهِمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَفِي تِلْكَ الْحَالِ وَفِي تِلْكَ الْأَحْوَالِ وَفِي تِلْكَ الظُّرُوفِ يُفْرَضُ عَلَيْهِمْ قِيَامُ اللَّيْلِ بِهَذِهِ الصِّيغَةِ ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ﴾ اللَّيْلَ ﴿إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾ [المزمل: ١-٤]، كَانَ ذَلِكَ فَرْضًا وَاجِبًا حَتْمًا عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ وَأُمَّتِهِ، بَعْدَ عَامٍ نُسِخَ ذَلِكَ ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾ [المزمل: ٢٠].

وَالْعُلَمَاءُ مُخْتَلِفُونَ هَلْ نُسِخَ فِي حَقِّ الْأُمَّةِ، وَفِي حَقِّ الرَّسُولِ أَمْ فِي حَقِّ الْأُمَّةِ وَحْدَهَا وَهُوَ وَاجِبٌ عَلَىٰ الرَّسُولِ؟ رُبَّمَا جَاءَتِ الْإِشَارَةُ إِلَىٰ ذَلِكَ، وَهِيَ مَسْأَلَةٌ فِقْهِيَّةٌ تُبْحَثُ فِي مَظَانِّهَا، وَلَكِنْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْهِمْ قِيَامَ اللَّيْلِ كُلَّهُ ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾ [المزمل: ١-٤].

هَذِهِ الْآيَةُ مِنْ أَعْظَمِ الْأَدِلَّةِ، بَلْ هِيَ أَعْظَمُهَا عَلَىٰ أَنَّ اقْتِرَانَ الْعِلْمِ بِالْعَمَلِ عِنْدَ كُلِّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ إِلَىٰ اللهِ حَتْمٌ وَاجِبٌ، وَهُوَ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللهُ لَمَّا جَاءَهُ بَعْضُ طُلَّابِ الْعِلْمِ النُّبَهَاءِ أَظُنُّهُ عِصَامَ بْنَ أَبِي عِصْمَةَ فَبَاتَ عِنْدَهُ، فَلَمَّا أَرَادَ أَحْمَدُ أَنْ يَذْهَبَ لِشَأْنِهِ وَقَدْ أَنْزَلَهُ وَضَيَّفَهُ قَالَ: «الْقِبْلَةُ هَكَذَا، وَبَيْتُ الْخَلَاءِ هَاهُنَا،

وَهَذَا وَضُوؤُكَ وَتَرَكَ لَهُ مَاءً وَانْصَرَفَ، فَلَمَّا جَاءَ يُؤْذِنُهُ بِصَلَاةِ الصُّبْحِ وَجَدَ الْأَمْرَ عَلَىٰ حَالِهِ وَوَجَدَهُ نَائِمًا، قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ!! طَالِبُ عِلْمٍ لَيْسَ لَهُ وِرْدٌ بِاللَّيْلِ؟».

لَوْ كَانَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي هَذَا الْعَصْرِ لَقَالَ: وِرْدُهُ فِي لَوْحَةِ مَفَاتِيحِهِ.. فِي عَبَثِهِ.. فِي دَسِّهِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.. فِي أَكَاذِيبِهِ.. فِي إِشْعَالِ الْفِتَنِ، وَإِرَاقَةِ الدِّمَاءِ -بِطَرِيقٍ غَيْرِ مُبَاشِرٍ-.. بِالطَّعْنِ فِي هَذَا وَتَكْفِيرِ هَذَا وَتَهْيِيجِ التَّكْفِيرِيِّينَ عَلَىٰ هَذَا.. إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ هَذَا الْعَبَثِ الْعَابِثِ الَّذِي لَا يَأْتِي بِهِ صَاحِبُ مُرُوءَةٍ.. فَضْلًا عَنْ مُسْلِمٍ.. فَضْلًا عَنْ طَالِبِ عِلْمٍ.. فَضْلًا عَنْ مَنْ يَدَّعِي أَنَّهُ فَوْقَ ذَلِكَ!! مَا هَذَا؟!

النَّبِيُّ ﷺ مِنْ مَوْقِفِهِ مِنْ تِلْكَ الْابْتِلَاءَاتِ أَنَّهُ تَحَلَّىٰ بِالصَّبْرِ، فَكَانَ يَأْمُرُ بِالتَّحَلِّي بِالصَّبْرِ كُلَّ مَنْ لَقِيَ سُخْرِيَةً، أَوْ وَقَعَ عَلَيْهِ أَذًىٰ فِي طَرِيقِ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ، لِأَنَّ اللهَ أَمَرَهُ بِذَلِكَ ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل: ١٠]، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ بِدَوْرِهِ يَحُثُّ أَصْحَابَهُ عَلَىٰ الصَّبْرِ، وَعَلَىٰ مَا يَلْقَوْنَهُ مِنْ تَعْذِيبٍ وَابْتِلَاءٍ، وَيَعِدُهُمُ الْجَنَّةَ لِقَاءَ صَبْرِهِمْ وَثَبَاتِهِمْ كَمَا قَالَ لِآلِ يَاسِرٍ، وَكَما رَاجَعَ خَبَّابًا رضي الله عنهم.

◉◉◉

www.menhag-un.com

أَمْرُ ﷺ النَّبِيِّ أَصْحَابَهُ بِالْهِجْرَةِ إِلَى الْحَبَشَةِ

فَلَمَّا اسْتَمَرَّ مَرِيرُهُمْ، وَزَادَ طُغْيَانُهُمْ حَتَّىٰ لَا يَقِفَ عِنْدَ حَدٍّ أَمَرَ أَصْحَابَهُ بِالْهِجْرَةِ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ، لَمَّا رَأَىٰ الْأَذَىٰ يَزْدَادُ عَلَىٰ أَصْحَابِهِ حَتَّىٰ مَاتَ بَعْضُهُمْ كَسُمَيَّةَ، وَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ حِمَايَتَهُمْ نَدَبَ مَنْ يَسْتَطِيعُ إِلَىٰ أَنْ يُهَاجِرَ إِلَىٰ أَرْضِ الْحَبَشَةِ قَائِلًا: «إِنَّ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ مَلِكًا لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ؛ فَالْحَقُوا بِبِلَادِهِ حَتَّىٰ يَجْعَلَ اللهُ لَكُمْ فَرَجًا وَمَخْرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ».

فَهَاجَرَ جُمْلَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ الْهِجْرَةَ الْأُولَىٰ، وَكَانَ عَدَدُهُمْ أَحَدَ عَشَرَ رَجُلًا وَأَرْبَعَ نِسْوَةٍ، وَمَكَثُوا أَشْهُرًا، ثُمَّ عَادُوا إِلَىٰ مَكَّةَ وَفِي حُسْبَانِهِمْ أَنَّ حِدَّةَ مَوْقِفِ قُرَيْشٍ قَدْ هَدَأَتْ بَعْدَ إِشَاعَةٍ سَرَتْ إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ، لَكِنْ لَمَّا وَجَدُوا أَنْ مَوْقِفَ قُرَيْشٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ -بَلِ ازْدَادَ سُوءًا- عِنْدَهَا أَذِنَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْهِجْرَةِ مَرَّةً أُخْرَىٰ، فَهَاجَرُوا الْهِجْرَةَ الثَّانِيَةَ فِي مَجْمُوعَةٍ أَكْثَرَ مِنَ الْمَرَّةِ الْأُولَىٰ حَيْثُ بَلَغَ عَدَدُهُمْ ثَلَاثَةً وَثَمَانِينَ رَجُلًا وَثَمَانِيَ عَشْرَةَ امْرَأَةً، وَفِي الْحَبَشَةِ تَغَيَّرَتْ الْحَالُ، وَعَاشَ أُولَئِكَ الْمُهَاجِرُونَ كَمَا قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «لَمَّا نَزَلْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ جَاوَرْنَا بِهَا خَيْرَ جَارٍ النَّجَاشِيَّ، أَمِنَّا عَلَىٰ دِينِنَا، وَعَبَدْنَا اللهَ تَعَالَىٰ لَا نُؤْذَىٰ وَلَا نَسْمَعُ شَيْئًا نَكْرَهُهُ».

وَلَمْ يُكَدِّرْ صَفْوَ عَيْشِهِمْ فِي الْحَبَشَةِ سِوَىٰ ثَلَاثَةِ أُمُورٍ:

أَوَّلُهَا غُرْبَتُهُمْ عَنْ وَطَنِهِمْ، وَبُعْدُهُمْ عَنْ أَحِبَّائِهِمْ -لَا سِيَّمَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذِينَ هُمْ بِأَمَسِّ الْحَاجَةِ لِتَوْجِيهَاتِهِ وَإِرْشَادَاتِه وَتَعْلِيمِهِ، وَقَدْ عَبَّرَتْ إِحْدَىٰ الْمُهَاجِرَاتِ -أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي عُمَيْسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَنْ هَذِهِ الْمُعَانَاةِ فِي حِوَارٍ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الَّذِي كَانَ يَرَىٰ أَنَّهُ وَمَنْ بَقِيَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي مَكَّةَ وَهَاجَرَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ كَانُوا أَفْضَلَ مِمَّنْ هَاجَرَ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ حِينَ قَالَ لَهَا: «سَبَقْنَاكُمْ بِالْهِجْرَةِ، فَنَحْنُ أَحَقُّ مِنْكُمْ بِرَسُولِ اللهِ». فَقَالَتْ: «كَلَّا وَاللهِ كُنْتُمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُطْعِمُ جَائِعَكُمْ، وَيَعِظُ جَاهِلَكُمْ، وَكُنَّا فِي دَارِ الْبُعَدَاءِ الْبُغَضَاءِ فِي الْحَبَشَةِ، وَذَلِكَ فِي اللهِ وَفِي رَسُولِ اللهِ ﷺ»، وَالْحَدِيثُ بِأَطْوَلَ مِنْ هَذَا عِنْدَ الْبُخَارِيِّ فِي «الصَّحِيحِ».

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مَكِيدَةُ قُرَيْشٍ بِمُهَاجِرِي الْحَبَشَةِ

الْأَمْرُ الثَّانِي: وَهُوَ أَشَدُّ مَا كَدَّرَ عَلَىٰ الْمُهَاجِرِينَ عَيْشَهُمْ فِي الْحَبَشَةِ حِينَمَا عَلِمُوا بِقُدُومِ وَفْدٍ مُحَمَّلٍ بِالْهَدَايَا بَعَثَتْهُ قُرَيْشٌ لِيَطْلُبَ مِنَ النَّجَاشِيِّ رَدَّ الْمُسْلِمِينَ إِلَىٰ مَكَّةَ، وَبَدَأَ الْوَفْدُ بِالِاتِصَالِ بِالْبَطَارِقَةِ الْمُحِيطِينَ بِالنَّجَاشِيِّ، وَغَمَرُوهُمْ بِالْهَدَايَا، وَطَلَبُوا مِنْهُمْ أَنْ يُشِيرُوا عَلَىٰ النَّجَاشِيِّ بِرَدِّ الْمُسْلِمِينَ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ دُونَ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ، فَوَافَقُوا عَلَىٰ ذَلِكَ، ثُمَّ دَخَلُوا عَلَىٰ النَّجَاشِيِّ وَقَدَّمُوا لَهُ الْهَدَايَا فَقَبِلَهَا، ثُمَّ قَالُوا لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُ قَدْ ضَوَىٰ إِلَىٰ بَلَدِ الْمُلْكِ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ فَارَقُوا دِينَهُمْ، وَلَمْ يَدْخُلُوا دِينَكَ، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتُمْ، ثُمَّ طَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يُسْلِمَهُمْ إِلَيْهِمْ، وَهُنَا تَكَلَّمَ الْبَطَارِقَةُ وَأَشَارُوا عَلَىٰ النَّجَاشِيِّ أَنْ يُسْلِمَهُمْ.

وَلَكِنَّ النَّجَاشِيَّ أَبَىٰ حَتَّىٰ يَسْمَعَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَحَضَرَ الْمُسْلِمُونَ، وَفَوَّضُوا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه لِلْحَدِيثِ عَنْهُمْ، فَبَيَّنَ لِلنَّجَاشِيِّ حَالَهُمْ قَبْلَ مَبْعَثِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم، وَوَضَّحَ حَقِيقَةَ الدِّينِ الَّذِي آمَنُوا بِهِ، وذَكَرَ أَهَمَّ التَّعَالِيمِ وَأَعْظَمَ الْأَخْلَاقِ الَّتِي يَحُثُّهُمْ عَلَيْهَا، ثُمَّ طَلَبَ النَّجَاشِيُّ مِنْ جَعْفَرٍ أَنْ يَقْرَأَ شَيْئًا مِمَّا جَاءَ بِهِ نَبِيُّهُمْ؛ فَقَرَأَ أَوَّلَ سُورَةِ مَرْيَمَ، فَلَمْ يَتَمَالَكْ النَّجَاشِيُّ وَبَطَارِقَتُهُ أَنْفُسَهُمْ مِنَ الْبُكَاءِ تَأَثُّرًا بِمَا سَمِعُوا، وَرَفَضَ طَلَبَ الْوَفْدِ.

الثَّالِثُ: مِمَّا نَغَّصَ عَلَىٰ الْمُهَاجِرِينَ الْهِجْرَةَ الثَّانِيَةَ حَيَاتَهُمْ أَنَّهُمْ عَاوَدَهُمْ -وَهُمْ فِي الْحَبَشَةِ- خَوْفٌ حِينَ ظَهَرَ مُنَازِعٌ لِلنَّجَاشِيِّ فِي حُكْمِهِ، وَدَارَتْ بَيْنَهُمَا حَرْبٌ ظَلَّ الْمُسْلِمُونَ خِلَالَهَا يَدْعُونَ اللهَ أَنْ يَنْصُرَ النَّجَاشِيَّ أَصْحَمَةَ -لِأَنَّ النَّجَاشِيَّ كَمَا سَيَأْتِي لَقَبٌ لِكُلِّ مَنْ حَكَمَ الْحَبَشَةَ- أَنْ يَنْصُرَهُ اللهُ عَلَىٰ خَصْمِهِ، وَزَالَ خَوْفُ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ أَنْ اسْتَجَابَ اللهُ دُعَاءَهُمْ، وَانْتَصَرَ النَّجَاشِيُّ، وَظَلَّ الْمُسْلِمُونَ فِي الْحَبَشَةِ حَتَّىٰ عَادَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ بَعْدَ تِسْعِ سَنَوَاتٍ مِنْ هِجْرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَيْهَا، وَأَمَّا الْبَاقُونَ فَقَدْ مَكَثُوا قُرَابَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً حَتَّىٰ عَادُوا يَوْمَ فَتْحِ خَيبَرَ.

وَهَكَذَا نَجِدُ أَنَّ الْهِجْرَةَ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ قَدْ أَسْهَمَتْ فِي التَّخْفِيفِ مِنْ مُعَانَاةِ بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ.

مِمَّا كَانَ مِنْ مَوْقِفِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِزَاءَ الِابْتِلَاءَاتِ أَنَّهُ أَذِنَ لِلْمُسْلِمِينَ -بَلْ وَقَعَ لَهُ هُوَ ﷺ بِالدُّخُولِ فِي أَمْرٍ قَدْ تَعَارَفَتْ الْعَرَبُ عَلَيْهِ وَتَعَاقَدَتْ، وَهُوَ مَا يُسَمَّىٰ بِالْجِوَارِ فَاسْتَفَادَ مِنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَاسْتَفَادَ مِنْهُ أَصْحَابُهُ لِلتَّخْفِيفِ مِنْ وَطْأَةِ التَّعْذِيبِ، وَالْجِوَارُ عُرْفٌ اجْتِمَاعِيٌّ الْتَزَمَ بِهِ الْعَرَبُ فِي حَيَاتِهِمْ الِاجْتِمَاعِيَّةِ ذَلِكَ حِينَ يَلْجَأُ مَنْ يَخَافُ عَلَىٰ نَفْسِهِ لِأَمْرٍ مَا لِلدُّخُولِ تَحْتَ حِمَايَةِ رَجُلٍ يَحْتَلُّ مَكَانَةً فِي قَوْمِهِ تُمَكِّنُهُ مِنْ حِمَايَةِ مَنْ يَدْخُلُ فِي جِوَارِهِ، فَلَا يَجْرُؤُ أَحَدٌ عَلَىٰ إِيذَائِهِ.

يُشْبِهُ الدُّخُولَ فِي الْجِوَارِ فِي هَذَا الْعَصْرِ مَا يُسَمَّىٰ بِاللُّجُوءِ السِّيَاسِيِّ لَدَىٰ الدُّوَلِ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ.

www.menhag-un.com

❁ ❁ ❁

مِنْ أَبْرَزِ الَّذِينَ دَخَلُوا فِي جِوَارِ بَعْضِ الْمُشْرِكِينَ

مِنْ أَبْرَزِ الَّذِينَ دَخَلُوا فِي جِوَارِ بَعْضِ الْمُشْرِكِينَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ يُرِيدُ الْهِجْرَةَ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ، فَلَقِيَهُ ابْنُ الدَّغِنَة -هَكَذَا بِالتَّخْفِيفِ- أَوِ الدُّغُنَّةِ -هَكَذَا بِتَشْدِيدِ النُّونِ مَعَ الضَّمِّ- ابْنُ الدَّغِنَةِ وَابْنُ الدُّغُنَّةِ سَيِّدُ إِحْدَىٰ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ.

فَقَالَ: مِثْلُكَ يَا أَبَا بَكْرٍ لَا يَخْرُجُ وَلَا يُخْرَجُ وَأَدْخَلَهُ فِي جِوَارِهِ، وَعَادَ مَعَهُ إِلَىٰ مَكَّةَ فَاشْتَرَطَتْ قُرَيْشٌ أَنْ يُصَلِّيَ أَبُو بَكْرٍ دَاخِلَ دَارِهِ بَعِيدًا عَنْ أَنْظَارِ النِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ؛ خَشْيَةَ أَنْ يَتَأَثَّرُوا بِصَوْتِهِ الرَّقِيقِ بِالْقُرْآنِ الَّذِي غَالِبًا مَا يُخَالِطُهُ الْبُكَاءُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَصَلَّىٰ أَبُو بَكْرٍ مُدَّةً فِي دَارِهِ ثُمَّ بَنَىٰ لَهُ مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ، فَإِذَا صَلَّىٰ فِيهِ اجْتَمَعَ نِسَاءُ وَأَطْفَالُ الْمُشْرِكِينَ لِسَمَاعِ قِرَاءَتِهِ، فَأَقْلَقَ ذَلِكَ الْمُشْرِكِينَ، فَكَلَّمُوا ابْنَ الدُّغُنَّةِ لِيَطْلُبَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّيَ دَاخِلَ دَارِهِ حَيْثُ لَا يُسْمَعُ صَوْتُهُ، فَطَلَبَ مِنْهُ ابْنُ الدُّغُنَّةِ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ أَوْ يَرُدُّ عَلَيْهِ جِوَارَهُ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إِنِّي أَرُدُّ عَلَيْكَ جِوَارَكَ، وَأَرْضَىٰ بِجِوَارِ اللهِ وَرَسُولِهِ». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الصَّحِيحِ.

www.mehag-un.com

تَحَمُّلُ عُثْمَان بْن مَظْعُون رضي الله عنه الشَّدَائِد

وَمِنْهُمْ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ، فَقَدْ أَجَارَهُ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، لَكِنَّهُ لَمْ يُطِقْ أَنْ يَرَىٰ إِخوانَه يُعَذَّبُونَ وَهُوَ آمِنٌ، فَرَدَّ جِوَارَ الْمُغِيرَةِ، فَلَمَّا رَأَىٰ الْمُغِيرَةُ عُثْمَانَ وَقَدْ لُطِمَتْ عَيْنُهُ مِنْ أَحَدِ الْمُشْرِكِينَ قَالَ لَهُ: أَمَا وَاللهِ يَا ابْنَ أَخِي إِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ عَمَّا أَصَابَهَا لَغَنِيَّةٌ، لَقَدْ كُنْتَ فِي ذِمَّةٍ مَنِيعَةٍ.

فَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ: «بَلْ إِنَّ عَيْنِي الصَّحِيحَةَ لَفَقِيرَةٌ إِلَىٰ مِثْلِ مَا أَصَابَ أُخْتَهَا فِي اللهِ، وَإِنِّي لَفِي جِوَارِ مَنْ هُوَ أَعَزُّ مِنْكَ وأَقْدَرُ»، وَحِينَ طَلَبَ مِنْهُ الْمُغِيرَةُ الْعَوْدَةَ إِلَىٰ جِوَارِهِ أَبَىٰ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ رضي الله عنه ذَلِكَ.

أَمَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَدِ اضْطُرَّ إِلَىٰ الدُّخُولِ فِي جِوَارِ الْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ لَا مِنْ أَجْلِ حِمَايَتِهِ مِنَ الْأَذَىٰ، وَلَكِنْ لِيَتَمَكَّنَ مِنْ عَرْضِ دَعْوَتِهِ وَنَشْرِ رِسَالَتِهِ حِينَ طَرَدَهُ أَهْلُ الطَّائِفِ، وعَادَ إِلَىٰ أَهْلِ مَكَّةَ الَّذِينَ أَخْرَجُوهُ.

وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ عَدَدًا قَلِيلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ هُمُ الَّذِينَ تَمَكَّنُوا مِنَ الْحُصُولِ عَلَىٰ الْجِوَارِ حَيْثُ لَا يُجَارُ عَادَةً إِلَّا مَنْ كَانَ لَهُ مَكَانَةٌ أَوْ قُرْبَىٰ، وَلَمْ يَتَرَتَّبْ عَلَىٰ هَذَا الْجِوَارِ شَيْءٌ مِنَ الذِّلَّةِ لِمَنْ حَصَلَ عَلَيْهِ فَضْلًا أَنْ يَكُونَ عَلَىٰ حِسَابِ دِينِهِمْ، فَلَمْ يَقْبَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَيَّ شَرْطٍ يَجْبُرُهُ عَلَىٰ التَّخَلِّي عَنْ أَيِّ مُمَارَسَةٍ يُمْلِيهَا عَلَيْهِ دِينُهُ،

بَلْ إِنَّ أَغْلَبَهُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ جَمِيعُهُمْ قَدْ تَحَلَّلَ مِنْ هَذَا الْجِوَارِ حَيْثُ لَمْ تَسْمَحْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَرَوْا إِخْوَانَهُمُ الْمُسْلِمِينَ تَحْتَ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي مَأْمَنٍ مِنْهُ.

وَلَكِنِ الْمُسْلِمُونَ فِي الْحَقِيقَةِ لَمْ يَسْتَفِيدُوا كَثِيرًا مِنَ الْجِوَارِ لِلتَّخْفِيفِ مِنْ أَذَىٰ الْمُشْرِكِينَ، لِذَا كَانَ تَعْوِيضُ الرَّسُولِ ﷺ الْأَكْبَرُ لِتَخَطِّي تِلْكَ الْمَرْحَلَةِ الْحَرِجَةِ مِنْ عُمُرِ الدَّعْوَةِ فِي مَكَّةَ عَلَىٰ تَرْبِيَةِ أَصْحَابِهِ تَرْبِيَةً إِيمَانِيَّةً تُقَوِّي صِلَتَهُمْ بِاللهِ، وتُغَذِّيهِمْ بِالصَّبْرِ فِي سَبِيلِ اللهِ احْتِسَابًا لِمَا أَعَدَّهُ اللهُ لِلصَّابِرِينَ مِنْ أَجْرٍ.

كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَتَنَافَسُونَ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ، مَعَ تَعَرُّضِهِمْ لِمَا يَتَعَرَّضُونَ لَهُ، وَكَانَ الضُّعَفَاءُ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ عَشَائِرُ قَوِيَّةٌ تَحْمِيهِمْ يَتَحَمَّلُونَ النَّصِيبَ الْأَكْبَرَ مِنْ هَذَا الْأَذَىٰ.

أَمَّا الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ، وَأَصْحَابِ الْقُرْبَىٰ وَالْقَرَابَةِ، فَرُبَّمَا وَجَدُوا مِنْ عَشَائِرِهِمْ مَنْ يُجِيرُهُمْ وَيَحْمِيهِمْ مِنَ الْأَذَىٰ -كَمَا وَقَعَ لِعُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَقِصَّتُهُ بِالتَّفْصِيلِ ذَكَرَهَا ابْنُ إِسْحَاقَ فِي السِّيرَةِ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ شُيُوخِهِ: «لَمَّا رَأَىٰ عُثْمَانَ بْنَ مَظْعُونٍ مَا فِيهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْبَلَاءِ، وَهُوَ يَغْدُو وَيَرُوحُ فِي أَمَانٍ مِنَ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ قَالَ: «وَاللهِ إِنَّ غُدُوِّي وَرَوَاحِي آمِنًا بِجِوَارِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ وأَصْحَابِي وَأَهْلِ دِينِي يَلْقَوْنَ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْأَذَىٰ فِي اللهِ مَا لَا يُصِيبُنِي، لَنَقْصٌ كَبِيرٌ فِي نَفْسِي»، فَمَشَىٰ إِلَىٰ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ فَقَالَ لَهُ: «يَا أَبَا عَبْدِ شَمْسٍ وَفَّتْ ذِمَّتُكَ، قَدْ رَدَدْتُ إِلَيْكَ جِوَارَكَ».

فَقَالَ لَهُ: لِمَ يَا ابْنَ أَخِي؟ لَعَلَّهُ آذَاكَ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِي.

قَالَ: لَا، وَلَكِنِّي أَرْضَىٰ بِجِوَارِ اللهِ لَا أُرِيدُ أَنْ أَسْتَجِيرَ بِغَيْرِهِ.

قَالَ: فَانْطَلِقْ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ فَارْدُدْ عَلَيَّ جِوَارِي عَلَانِيَةً كَمَا أَجَرْتُكَ عَلَانِيَةً.

قَالَ: فَانْطَلَقَا، فَخَرَجَا حَتَّىٰ أَتَيَا الْمَسْجِدَ، فَقَالَ الْوَلِيدُ: هَذَا عُثْمَانُ قَدْ جَاءَ يَرُدُّ عَلَيَّ جِوَارِي.

قَالَ: صَدَقَ!! قَدْ وَجَدْتُهُ وَفِيًّا كَرِيمَ الْجِوَارِ وَلَكِنِّي قَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أَسْتَجِيرَ بِاللهِ وَأَلَّا أَسْتَجِيرَ بِسِوَاهُ فَقَدْ رَدَدْتُ عَلَيْهِ جِوَارَهُ.

ثُمَّ انْصَرَفَ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ، وَلَبِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جَعْفَرَ بْنِ كِلَابٍ فِي مَجْلِسٍ مِنْ قُرَيْشٍ يُنْشِدُهُمْ -لَبِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ صَاحِبُ الْمُعَلَّقَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَدْ أَسْلَمَ بَعْدُ، وَجَدَهُ فِي مَجْلِسٍ مِنْ قُرَيْشٍ يُنْشِدُهُمْ شِعْرًا، فَجَلَسَ مَعَهُمْ عُثْمَانُ فَقَالَ لَبِيدٌ:

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلُ.

قَالَ عُثْمَانُ: صَدَقْتَ. قَالَ لَبِيدٌ: وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلُ.

قَالَ عُثْمَانُ: كَذَبْتَ؛ نَعِيمُ الْجَنَّةِ لَا يَزُولُ. فَقَالَ لَبِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ وَاللهِ مَا كَانَ يُؤْذَىٰ جَلِيسُكُمْ، فَمَتَىٰ حَدَثَ هَذَا فِيكُمْ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: إِنَّ هَذَا سَفِيهٌ فِي سُفَهَاءَ مَعَهُ قَدْ فَارَقُوا دِينَنَا فَلَا تَجِدُ فِي نَفْسِكَ مِنْ قَوْلِهِ. فَرَدَّ عَلَيْهِ عُثْمَانُ حَتَّىٰ شَرَىٰ أَمْرُهُمَا، فَقَامَ إِلَيْهِ ذَلِكَ الرَّجُلُ فَلَطَمَ عَيْنَهُ فَخَضَّرَهَا.

وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ قَرِيبٌ يَرَىٰ مَا بَلَغَ عُثْمَانَ فَقَالَ: أَمَا وَاللهِ يَا ابْنَ أَخِي إِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ عَمَّا أَصَابَهَا لَغَنِيَّةٌ، لَقَدْ كُنْتَ فِي ذِمَّةٍ مَنِيعَةٍ.

قَالَ: يَقُولُ عُثْمَانُ: بَلْ وَاللهِ إِنَّ عَيْنِي الصَّحِيحَةَ لَفَقِيرَةٌ إِلَىٰ مِثْلِ مَا أَصَابَ أُخْتَهَا فِي اللهِ، وَإِنِّي لَفِي جِوَارِ مَنْ هُوَ أَعَزُّ مِنْكَ وَأَقْدَرُ يَا أَبَا عَبْدِ شَمْسٍ.

فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ: هَلُمَّ يَا ابْنَ أَخِي إِنْ شِئْتَ فَعُدْ إِلَىٰ جِوَارِي.

فَقَالَ: لَا.

أَخْرَجَهَا أَيْضًا -أَيْ هَذِهِ الْقِصَّةَ- الْبَيْهَقِيُّ بِإِسْنَادِهِ فِي الدَّلَائِلِ عَنْ مُوسَىٰ بْنِ عُقْبَةَ وَذَكَرَ نَحْوَهُ.

وَفِي بَعْضِهَا مُرَاجَعَةٌ، وَلَكِنْ يَبْقَىٰ الْمَدْلُولُ عَلَىٰ ما هُوَ.

فِيهَا إِشَارَةٌ إِلَىٰ مَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ مِنَ التَّنَافُسِ فِي سَبِيلِ الْخَيْرِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَفِيهَا فَضِيلَةُ إِنْكَارِ الْمُنْكَرِ، وَلَكِنْ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ يُرَاعَىٰ فِي ذَلِكَ قَوَاعِدُهُ.

اسْتَمَرَّتْ قُرَيْشٌ فِي قَسْوَتِهَا عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ، وَتَفَنَّنُوا فِي إِيذَائِهِمْ فلَمْ يُرَاعُوا فِيهِمْ قَرَابَةً، وَتَخَطَّوْا حُدُودَ الْإِنْسَانِيَّةِ فِي مَعُامَلَاتِهِمْ، وَكَانَ اضْطِهَادُهُمْ لَهُمْ يَزْدَادُ ضَرَاوَةً يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ حَتَّىٰ ضَاقَ بِالْمُسْلِمِينَ الْمُقَامُ فِي مَكَّةَ، وَأَخَذُوا يُفَكِّرُونَ فِي حِيلَةٍ تُنَجِّيهِمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ.

www.merhag-un.com

الْهِجْرَةُ إِلَى الْحَبَشَةِ وَأَسْبَابُهَا

كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ عَلِمَ أَنَّ أَصْحَمَةَ النَّجَاشِيَّ -مَلِكَ الْحَبَشَةِ- مَلِكٌ عَادِلٌ لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ أَبَدًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ، وَقَدْ رَأَىٰ مَا يَنْزِلُ بِهِمْ مِنَ الْبَلَاءِ، وَمَا يُصِيبُهُمْ مِنَ الْقَهْرِ وَالْأَذَىٰ وَهُوَ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ يَمْنَعَهُمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ، قَالَ لَهُمْ: «لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَىٰ أَرْضِ الْحَبَشَةِ، فَإِنَّ بِهَا مَلِكًا لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ، وَهِيَ أَرْضُ صِدْقٍ، حَتَّىٰ يَجْعَلَ اللهُ لَكُمْ فَرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ».

كَانَتْ هُنَاكَ أَسْبَابٌ دَعَتْ إِلَىٰ الْهِجْرَةِ الْأُولَىٰ إِلَىٰ أَرْضِ الْحَبَشَةِ:

اشْتَدَّ الْبَلَاءُ عَلَىٰ الْأَصْحَابِ رضي الله عنه، وَجَعَلَ الْكُفَّارَ يَحْبِسُونَهُمْ وَيُعَذِّبُونَهُمْ بِالضَّرْبِ وَالْجُوعِ وَالتَّعْطِيشِ وَرَمْضَاءِ مَكَّةَ وَالنَّارِ؛ لِيَفْتِنُوهُمْ عَنْ دِينِهِمْ.

فَهَذَا هُوَ السَّبَبُ الرَّئِيسُ الَّذِي لِأَجْلِهِ تَمَّتْ الْهِجْرَةُ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ مَا وَقَعَ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْمَشَقَّةِ وَالْعَنَتِ.

وَهُنَاكَ أَيْضًا أَسْبَابٌ أُخْرَىٰ عَدِيدَةٌ:

مِنْهَا ظُهُورُ الْإِيمَانِ حَيْثُ كَثُرَ الدَّاخِلُونَ فِي الْإِسْلَامِ، وَظَهَرَ الْإِيمَانُ وَتَحَدَّثَ النَّاسُ بِهِ.

قَالَ الزُّهْرِيُّ فِي حَدِيثِهِ عَنْ عُرْوَةَ فِي هِجْرَةِ الْحَبَشَةِ: «فَلَمَّا كَثُرَ الْمُسْلِمُونَ، وَظَهَرَ الْإِيمَانُ فَتُحُدِّثَ بِهِ ثَارَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ بِمَنْ آمَنَ مِنْ قَبَائِلِهِمْ يُعَذِّبُونَهُمْ وَيَسْجِنُونَهُمْ، وَأَرَادُوا فِتْنَتَهُمْ عَنْ دِينِهِمْ فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ «تَفَرَّقُوا فِي الْأَرْضِ»، قَالُوا: فَأَيْنَ نَذْهَبُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «هاهُنَا»، وَأَشَارَ إِلَىٰ أَرْضِ الْحَبَشَةِ.

وَمِنَ الْأَسْبَابِ أَيْضًا: الْفِرَارُ بِالدِّينِ كَانَ الْفِرَارُ بِالدِّينِ خَشْيَةَ الِافْتِنَانِ فِيهِ سَبَبًا مُهِمًّا مِنْ أَسْبَابِ هِجْرَتِهِمْ لِلْحَبَشَةِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: «فَخَرَجَ عِنْدَ ذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ أَرْضِ الْحَبَشَةِ مَخَافَةَ الْفِتْنَةِ، وَفِرَارًا إِلَىٰ اللهِ بِدِينِهِمْ».

وَمِنْهَا: نَشْرُ الدَّعْوَةِ خَارِجَ مَكَّةَ كَمَا وَقَعَ؛ لِأَنَّ جَعْفَرًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَمَا وَقَعَ فِي الْهِجْرَةِ الثَّانِيَةِ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ دَخَلَ النَّجَاشِيُّ فِي الْإِسْلَامِ عَلَىٰ يَدَيْهِ، وَأَسْلَمَ أَيْضًا مَنْ أَسْلَمَ فَكَانَ هَذَا أَيْضًا لِنَشْرِ الدَّعْوَةِ، وَنَشْرِ دِينِ الْإِسْلَامِ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يُهَاجِرُونَ إِلَيْهِ.

وَمِنْهَا: الْبَحْثُ عَنْ مَكَانٍ آمِنٍ لِلْمُسْلِمِينَ، فَكَانَتْ الْخُطَّةُ الْأَمْنِيَّةُ لِلرَّسُولِ ﷺ تَسْتَهْدِفُ الْحُفَّاظَ عَلَىٰ الصَّفْوَةِ الْمُؤْمِنَةِ، وَلِذَلِكَ رَأَىٰ الرَّسُولُ ﷺ أَنَّ الْحَبَشَةَ تُعْتَبَرُ مَكَانًا آمِنًا لِلْمُسْلِمِينَ رَيْثَمَا يَشْتَدُّ عُودُ الْإِسْلَامِ وَتَهْدَأُ الْعَاصِفَةُ، وَقَدْ وَجَدَ الْمُهَاجِرُونَ فِي أَرْضِ الْحَبَشَةِ مَا أَمَّنَهُمْ وَطَمْأَنَهُمْ.

وَفِي ذَلِكَ تَقُولُ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «لَمَّا نَزَلْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ جَاوَرْنَا بِهَا خَيْرَ جَارٍ النَّجَاشِيَّ أَمِنَّا عَلَىٰ دِينِنَا وَعَبَدْنَا اللهَ تَعَالَىٰ لَا نُؤْذَىٰ».

لِمَاذَا اخْتَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْحَبَشَةَ مُهَاجَرًا؟

هُنَاكَ عِدَّةُ أَسْبَابٍ تُسَاعِدُ فِي الْإِجَابَةِ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ مِنْهَا:

النَّجَاشِيُّ الْعَادِلُ، وَالنَّجَاشِيُّ الصَّالِحُ، فَقَدْ وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ثَنَاؤُهُ عَلَىٰ مَلِكِ الْحَبَشَةِ بِقَوْلِهِ «وَكَانَ فِي الْحَبَشَةِ مِلِكٌ عَادِلٌ يُقَالُ لَهُ النَّجَاشِيُّ لَا يُظْلَمُ أَحَدٌ بِأَرْضِهِ».

وَكَانَ يُثْنَىٰ عَلَيْهِ مَعَ ذَلِكَ بِالصَّلَاحِ -أَيْ بِالْعَدْلِ وَبِالصَّلَاحِ-، وَيَظْهَرُ هَذَا الصَّلَاحُ فِي حِمَايَتِهِ لِلْمُسْلِمِينَ وَتَأَثُّرِهِ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، فَهَذَا شَيْءٌ سِوَىٰ الْعَدْلِ، الْعَدْلُ أَلَّا يُسْلِمَهُمْ إِلَّا بِبَيِّنَةٍ وَدَلِيلٍ، وَأَمَّا الصَّلَاحُ فَإِنَّهُ يَتَأَثَّرُ بِسَبَبِهِ إِذَا سَمِعَ دَعْوَةَ الْإِسْلَامِ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ، فَتَأَثَّرَ بِالْقُرْآنِ عِنْدَمَا سَمِعَهُ مِنْ جَعْفَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ مُعْتَقَدُهُ فِي عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ صَحِيحًا -كَمَا سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ ذِكْرُهُ-.

أَيْضًا كَانَتِ الْحَبَشَةُ مَتْجَرَ قُرَيْشٍ، فَالْحَبَشَةُ تُعْتَبَرُ مِنْ مَرَاكِزِ التِّجَارَةِ بِالْجَزِيرَةِ، فَرُبَّمَا عَرَفَهَا بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَمَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ فِي التِّجَارَةِ أَوْ ذَكَرَهَا لَهُمْ مَنْ ذَهَبَ إِلَيْهَا قَبْلَهُمْ.

وَقَدْ ذَكَرَ الطَّبَرِيُّ فِي مَعْرِضِ ذِكْرِهِ لِأَسْبَابِ الْهِجْرَةِ لِلْحَبَشَةِ وَكَانَتْ أَرْضُ الْحَبَشَةِ مَتْجَرًا لِقُرَيْشٍ يَتَّجِرُونَ فِيهَا يَجِدُونَ فِيهَا رَفَاغًا مِنَ الرِّزْقِ وَأَمْنًا، وَمَتْجَرًا حَسَنًا. الرِّفَاغُ سَعَةُ الْعَيْشِ وَالْخَصْبِ.

أَيْضًا كَانَتِ الْحَبَشَةُ بَلدًا آمِنًا، فَلَمْ يَكُنْ فِي خَارِجِ الْجَزِيرَةِ بَلَدًا أَكْثَرَ أَمْنًا مِنْ بِلَادِ الْحَبَشَةِ، وَمِنَ الْمَعْلُومِ بُعْدُ الْحَبَشَةِ عَنْ سَطْوَةِ قُرَيْشٍ مِنْ جَانِبٍ وَهِيَ لَا تَدِينُ لِقُرَيْشٍ بِالِاتِّبَاعِ كَغَيْرِهَا.

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ عَنْ أَسْبَابِ اتِّخَاذِ الْحَبَشَةِ مَكَانًا لِلْهِجْرَةِ أَنَّهَا أَرْضُ صِدْقٍ، وَأَنَّ بِهَا مَلِكًا لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ، فَهِيَ أَرْضُ صِدْقٍ، وَمَلِكُهَا عَادِلٌ، وَفِيهِ صَلَاحٌ وَتِلْكَ مِنْ أَهَمِّ سِمَاتِ الْبَلَدِ الْآمِنِ.

فِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ مِنَ الْبِعْثَةِ هَاجَرَ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ بِإِذْنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حِفَاظًا عَلَىٰ دِينِهِمْ مِنْهُمْ:

عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَزَوْجُهُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَأَقَامُوا بِهَا عَشْرَ سِنِينَ.

كَانَ وُقُوعُ ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ، وَذَكَرَ أَهْلُ السِّيَرِ أَنَّ الْمَرَّةَ الْأُولَىٰ كَانَتْ فِي شَهْرِ رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ خَمْسٍ مِنَ الْمَبْعَثِ، وَأَنَّ أَوَّلَ مَنْ هَاجَرَ مِنْهُمْ أَحَدَ عَشَرَ رَجُلًا وَأَرْبَعُ نِسْوَةٍ، وَقِيلَ امْرَأَتَانِ، وَقِيلَ: كَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، وَقِيلَ عَشْرَةً، وَأَنَّهُمْ خَرَجُوا مُشَاةً إِلَىٰ الْبَحْرِ فَاسْتَأْجَرُوا سَفِينَةً بِنِصْفِ دِينَارٍ، قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «لَمَّا ضَاقَتْ مَكَّةَ وَأُوذِيَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَفُتِنُوا، وَرَأَوْا مَا يُصِيبُهُمْ مِنَ الْبَلَاءِ وَمِنَ الْفِتْنَةِ فِي دِينِهِمْ، وَأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَا يَسْتَطِيعُ دَفْعَ ذَلِكَ عَنْهُمْ.

وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي مَنَعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَمِنْ عَمِّهِ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ شَيْءٌ مِمَّا يَكْرَهُ وَمِمَّا يَنَالُ أَصْحَابَهُ.

فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ مَلِكًا لَا يُظْلَمُ أَحَدٌ عِنْدَهُ، فَالْحَقُوا بِبِلَادِهِ حَتَّىٰ يَجْعَلَ اللهُ لَكُمْ فَرَجًا وَمَخْرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ».

فَخَرَجْنَا إِلَيْهَا أَرْسَالًا حَتَّىٰ اجْتَمَعْنَا بِهَا، فَنَزَلْنَا بِخَيْرِ دَارٍ إِلَىٰ خَيْرِ جَارٍ آمِنِينَ عَلَىٰ دِينِنَا، وَلَمْ نَخْشَ فِيهَا ظُلْمًا.

كَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ أَوَّلَ مَنْ خَرَجَ إِلَىٰ أَرْضِ الْحَبَشَةِ وَمَعَهُ امْرَأَتُهُ رُقَيَّةُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَحَاطِبُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ وُدٍّ، وَأَبُو حُذَيْفَةَ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَمَعَهُ امْرَأَتُهُ سَهْلَةُ بِنْتُ سُهَيْلٍ، فَوَلَدَتْ لَهُ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي حُذَيْفَةَ، ثُمَّ تَبِعَهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَأَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ وَمَعَهُ امْرَأَتُهُ أُمُّ سَلَمَةَ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ، وَعُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ، وَعَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ ومَعَهُ امْرَأَتُهُ لَيْلَىٰ بِنْتُ أَبِي حَثْمَةَ، وَأَبُو سَبْرَةَ بْنُ أَبِي رَهْبٍ الْعَامِرِيُّ وَامْرَأَتُهُ أُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو، وَسُهَيْلُ بْنُ بَيْضَاءَ، فَهَؤُلَاءِ أَحَدَ عَشَرَ رَجُلًا وَخَمْسَةُ نِسْوَةٍ، وَقِيلَ: «كَانَ عَلَيْهِمْ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ» وَهُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ أَهْلِ السِّيَرِ، وَقِيلَ: كَانَ عَلَيْهِمْ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

◉◉◉

www.menhag-un.com

وَقْتُ خُرُوجِ الْمُهَاجِرِينَ، وَسَرِيَّةُ الْخُرُوجِ، وَالْوُصُولِ إِلَى الْحَبَشَةِ

وَأَمَّا وَقْتُ خُرُوجِ الْمُهَاجِرِينَ، وَخُرُوجُ سَرِيَّةِ الْخُرُوجِ وَمَا كَانَ مِنْ الْوُصُولِ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ، فَقَدْ غَادَرَ الْمُهَاجِرُونَ مَكَّةَ فِي رَجَبٍ مِنَ السَّنَةِ الْخَامِسَةِ لِلْبِعْثَةِ، وَكَانُوا عَلَىٰ الْعُدَّةِ الَّتِي مَرَّ ذِكْرُهَا -وَإِنْ وَقَعَ فِيهَا خِلَافٌ-.

وَحَاوَلَتْ قُرَيْشٌ أَنْ تُدْرِكَهُمْ لِتَرُدَّهُمْ إِلَىٰ مَكَّةَ، وَخَرَجُوا فِي أَثَرِهِمْ حَتَّىٰ وَصَلُوا الْبَحْرَ، وَلَكِنَّ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا قَدْ أَبْحَرُوا مُتَوَجِّهِينَ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ.

وَالْمُتَأَمِّلُ فِي أَسْمَاءِ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ هَاجَرُوا لَا يَجِدُ فِيهِمْ أَحَدًا مِنَ الْمَوَالِي الَّذِينَ نَالَهُمْ مِنْ أَذَىٰ قُرَيْشٍ وَتَعْذِيبِهَا أَشَدَّ مِنْ غَيْرِهِمْ كَبِلَالٍ وَخَبَّابٍ وَعَمَّارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، بَلْ نَجِدُ غَالِبِيَّتَهُمْ مِنْ ذَوِي النَّسَبِ وَالْمَكَانَةِ فِي قُرَيْشٍ، وَيُمَثِّلُونَ عَدَدًا مِنَ الْقَبَائِلِ.

صَحِيحٌ أَنَّ الْأَذَىٰ شَمَلَ ذَوِي النَّسَبِ وَالْمَكَانَةِ كَمَا طَالَ غَيْرَهُمْ، وَلَكِنَّهُ كَانَ عَلَىٰ الْمَوَالِي أَشَدَّ فِي بِيئَةٍ تُقِيمُ وَزْنًا لِلْقَبِيلَةِ وَتَرْعَىٰ النَّسَبَ، وَبِالتَّالِي فَلَوْ كَانَ الْفِرَارُ مِنَ الْأَذَىٰ وَحْدَهُ السَّبَبَ فِي الْهِجْرَةِ لَكَانَ هَؤُلَاءِ الْمَوَالِي الْمُعَذَّبُونُ أَحَقَّ بِالْهِجْرَةِ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَيُؤَيِّدُ هَذَا أَنَّ ابْنَ إِسْحَاقَ وَغَيْرَهُ ذَكَرَ عُدْوَانَ الْمُشْرِكِينَ عَلَىٰ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَلَمْ يَذْكُرْ هِجْرَتَهُمْ لِلْحَبَشَةِ.

فَيَصِلُ الْبَاحِثُ إِلَىٰ حَقِيقَةٍ مُهِمَّةٍ أَلَا وَهِيَ: أَنَّ ثَمَّةَ أَسْبَابًا أُخْرَىٰ تَدْفَعُ لِلْهِجْرَةِ سِوَىٰ الْأَذَىٰ، اخْتَارَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ نَوْعِيَّةً مِنْ أَصْحَابِهِ تُمَثِّلُ عَدَدًا مِنْ الْقَبَائِلِ، وَقَدْ يَكُونُ لِذَلِكَ أَثَرٌ فِي حِمَايَتِهِمْ لَوْ وَصَلَتْ قُرَيْشٌ إِلَىٰ إِقْنَاعِ أَهْلِ الْحَبَشَةِ بِإِرْجَاعِهِمْ مِنْ جَانِبٍ، وَتَهُزُّ هِجْرَتُهُمْ قَبَائِلَ قُرَيْشًا كُلَّهَا أَوْ مُعْظَمَهَا مِنْ جَانِبٍ آخَرَ، فَمَكَّةُ ضَاقَتْ بِأَبْنَائِهَا، وَلَمْ يَجِدُوا بُدًّا مِنَ الْخُرُوجِ عَنْهَا بَحْثًا عَنِ الْأَمْنِ فِي بَلَدٍ آخَرَ.

وَمِنْ جَانِبٍ ثَالِثٍ يَرْحَلُ هَؤُلَاءِ الْمُهَاجِرُونَ بِدِينِ اللهِ لِيَنْشُرُوهُ فِي الْآفَاقِ، وَقَدْ تَكُونُ مَحَلًّا أَصْوَبَ وَأَبْرَكَ لِلدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ فَتَتَفَتَّحُ عُقُولٌ وَقُلُوبٌ حِينَ يَسْتَغْلِقُ سِوَاهَا.

وَهَذَا كُلُّهُ مُتَّسِقٌ يَتَمَاشَىٰ مَعَ الْوَضْعِ الَّذِي كَانَ ولَا يُجَافِيهِ، وَلَا هُوَ بِمُعَارِضٍ لِشَيْءٍ ولَا هُوَ بِمُعَارَضٍ بِشَيْءٍ، لِأَنَّ هِجْرَةَ هَؤُلَاءِ وَهُمْ مِنْ قَبَائِلِهِمْ بِالْمَحَلِّ الْمَرْمُوقِ تَهُزُّ تِلْكَ الْقَبَائِلَ هَزًّا، وَتَكُونُ دِعَايَةً قَوِيَّةً جِدًّا ضِدَّ قُرَيْشٍ وَقَبَائِلِهَا عِنْدَمَا يَشِيعُ فِي أَرْجَاءِ الْجَزِيرَةِ أَنَّ مَكَّةَ قَدْ ضَاقَتْ بِأَبْنَائِهَا، وَأَنَّ الصَّفْوَةَ مِنْ شَبَابِهَا قَدْ تَرَكُوهَا يَبْحَثُونَ عَنْ مَلْجَأٍ آمِنٍ وَمَثَابَةٍ آمِنَةٍ لِأَنَّهُ عَزَّ عَلَيْهِمُ الْأَمْنُ بَيْنَ أَهْلِيهِمْ وَبَيْنَ ذَوِيهِمْ وَبَيْنَ قَبَائِلِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ، هَذَا سَبَبٌ قَوِيٌّ جِدًّا، وَلَابُدَّ أَنَّهُ كَانَ مَلْحُوظًا فِي هِجْرَةِ هَؤُلَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الْأُوَلِ إِلَىٰ أَرْضِ الْحَبَشَةِ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ لَا يَصْدُرُ فِي ذَلِكَ إِلَّا عَنْ وَحْيٍ مَعْصُومٍ.

أَفَيَجُوزُ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَتَخَيَّلَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَهُمْ بِالْهِجْرَةِ، وَسَمَحَ لَهُمْ وَمِنْهُمْ

ابْنَتُهُ رُقَيَّةُ وَكَانَتْ زَوْجًا لِعُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، سَمَحَ لَهُمْ بِالْخُرُوجِ هَكَذَا مِنْ رَأْسِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ رَبُّهُ؟!

حَاشَاهُ ﷺ!! ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣-٤].

كَانَ رَحِيلُهُمْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ تَسَلُّلًا فِي الْخَفَاءِ، وَقَدْ خَرَجُوا مُتَّجِهِينَ إِلَىٰ الْبَحْرِ فِيهِمُ الرَّاكِبُ وَالْمَاشِي، وَوَفَّقَ اللهُ تَعَالَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ سَاعَةً قَدَّرَهَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَإِنَّهُمْ لَمَّا وَصَلُوا إِلَىٰ الْبَحْرِ وَجَدُوا سَفِينَتَيْنِ لِلتِّجَارَةِ، فَحَمَلَهُمْ أَهْلُ السَّفِينَتَيْنِ فِي السَّفِينَتَيْنِ إِلَىٰ أَرْضِ الْحَبَشَةِ بِنِصْفِ دِينَارٍ، وَفَطِنَتْ لَهُمْ قُرَيْشٌ فَخَرَجَتْ فِي آثَارِهِمْ، لَكِنْ عِنْدَمَا بَلَغَتْ قُرَيْشٌ السَّاحِلَ كَانَ الْمُسْلِمُونَ قَدِ انْطَلَقُوا آمِنِينَ، وَأَقَامَ الْمُسْلِمُونَ فِي الْحَبَشَةِ بِخَيْرِ دَارٍ عِنْدَ خَيْرِ جَارٍ بَقِيَّةَ رَجَبٍ وَشَعْبَانَ إِلَىٰ رَمَضَانَ، ثُمَّ عَادُوا إِلَىٰ مَكَّةَ.

فِي رَمَضَانَ فِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ لِلْبِعْثَةِ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ الْحَرَمِ، وَكَانَ هُنَاكَ جَمْعٌ كَبِيرٌ مِنْ قُرَيْشٍ كَانَ فِيهِ سَادَتُهَا وَكُبَرَاؤُهَا، فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتْلُو سُورَةَ النَّجْمِ، حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ السَّجْدَةَ سَجَدَ، وَسَجَدَ مَعَهُ الْقَوْمُ جَمِيعًا الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ إِلَّا رَجُلَانِ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، وَالْمُطَّلِبُ بْنُ أَبِي وَدَاعَةَ.

رَوَىٰ الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «أَوَّلُ سُورَةٍ أُنْزِلَتْ فِيهَا سَجْدَةٌ «وَالنَّجْمِ» قَالَ: فَسَجَدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَسَجَدَ مِنْ خَلْفِهِ إِلَّا رَجُلًا رَأَيْتُهُ أَخَذَ كَفًّا مِنْ تُرَابٍ فَسَجَدَ عَلَيْهِ، فَرَأَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ قُتِلَ كَافِرًا وَهُوَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ». الْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ».

وَفِيهِ أَنَّهُمْ سَجَدُوا جَمِيعًا الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ سِوَىٰ مَا كَانَ مِنْ أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ فَإِنَّهُ أَخَذ كَفًّا مِنْ تُرَابٍ فَسَجَدَ عَلَيْهِ.

وَرَوَىٰ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَالْحَاكِمُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ أَبِي وَدَاعَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ سَجَدَ فِي النَّجْمِ -أَيْ فِي سُورَةِ النَّجْمِ-، وَسَجَدَ النَّاسُ مَعَهُ، وَلَمْ أَسْجُدْ مَعَهُمْ -وَهُوَ يَوْمَئِذٍ مُشْرِكٌ- فَلَا أَدَعُ السُّجُودَ فِيهَا أَبَدًا».

قَالَ السِّنْدِيُّ فِي شَرْحِ الْمُسْنَدِ: «قَوْلُهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ «فَلَا أَدَعُ السُّجُودَ فِيهَا أَبَدًا» تَقْرِيعٌ عَلَىٰ فَوْتِهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ -أَيْ حَيْثُ فَاتَنِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فَكَيْفَ أَتْرُكُ بَعْدَهُ؟- بَلْ أَلْتَزِمُ بَعْدُ جَبْرًا لِمَا فَاتَ.

❁❁❁

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

أَقْوَالُ الْعُلَمَاءِ فِي بُطْلَانِ قِصَّةِ الْغَرَانِيقِ

هُنَا قِصَّةٌ، هِيَ قِصَّةُ الْغَرَانِيقِ -كَمَا مَرَّ أَيْضًا- فِي بَلَاغَاتِ الزُّهْرِيِّ فِي الْقِصَّةِ الَّتِي ذَكَرَ فِيهَا الزُّهْرِيُّ بَلَاغًا عِنْدَ فَتْرَةِ الْوَحْيِ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَيَقُولُونَ: الرِّوَايَةُ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ فِي الصَّحِيحِ، وَقَدْ هَمَّ النَّبِيُّ ﷺ بِإِلْقَاءِ نَفْسِهِ مِنْ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ عِنْدَ فَتْرَةِ الْوَحْيِ، وَهَمَّ بِالِانْتِحَارِ!!

وَيُطَنْطِنُونَ وَيُدَنْدِنُونَ، وَيَهْرِفُونَ بِمَا لَا يَعْرِفُونَ، مَعَ أَنَّهَا مِنْ رِوَايَةِ الزُّهْرِيِّ بَلَاغًا، وَبَلَاغَاتُ الزُّهْرِيِّ ضَعِيفَةٌ، وَقَدْ مَرَّ نَقْضُ هَذِهِ الْقِصَّةِ، وَبَيَانُ وَجْهِ الْحَقِّ فِيهَا.

هُنَا أَيْضًا مُعْضِلَةٌ أُخْرَىٰ، إِنَّمَا يُثِيرُهَا مَنْ فِي قَلْبِهِ شُبْهَةٌ وَفِي عَقْلِهِ ضَعْفٌ، وَفِي إِيمَانِهِ -إِنْ وُجِدَ- رِقَّةٌ، لِذَلِكَ كَانَ يُطَنْطِنُ وَيُدَنْدِنُ حَوْلَهَا مَنْ يُحَارِبُ الرَّسُولَ ﷺ، وَمَنْ لَمْ فَقَدْ أَرَادَ أَنْ يَبْحَثَ عَنْ تَأْوِيلٍ يُمْكِنُ أَنْ يَحْمِلَ عَلَيْهِ الرِّوَايَةَ.

*** قِصَّةُ الْغَرَانِيقِ:**

الْغَرَانِيقُ هَا هُنَا هِيَ الْأَصْنَامُ، وَهِيَ فِي الْأَصْلِ جَمْعُ غُرْنُوقٍ، وَهُوَ طَيْرٌ مِنْ طَيْرِ الْمَاءِ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِبَيَاضِهِ، وَالْعَجِيبُ أَنْ تُذْكَرَ الْغَرَانِيقُ فِي بِيئَةٍ صَحْرَاوِيَّةٍ كَمَا سَيَأْتِي

إِنْ شَاءَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا، يَعْنِي لَمْ يَأْتُوا بِذِكْرِ طَائِرٍ مِنْ طُيُورِ الرِّمَالِ وَلَا الصَّحْرَاءِ، وَإِنَّمَا الَّذِي ذُكِرَ فِيمَنْ نَحَلَ الرِّوَايَةَ وَوَضَعَهَا وَكَذَبَهَا وَاخْتَلَقَهَا أَنَّهُ أَتَىٰ بِذِكْرِ الْغَرَانِيقِ وَالْغَرَانِيقُ مِنْ طُيُورِ الْمَاءِ، وَلَيْسَتْ مَعْهُودَةً عِنْدَ قُرَيْشٍ وَلَا عِنْدَ الْعَرَبِ.

ذَكَرَ بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ قِصَّةً بَاطِلَةً مُخْتَلَقَةً تُعْرَفُ بِاسْمِ قِصَّةِ الْغَرَانِيقِ، وَهِيَ قِصَّةٌ افْتَرَاهَا بَعْضُ الزَّنَادِقَةِ، وَزَعَمُوا فِيهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَقَرَّبَ إِلَىٰ الْمُشْرِكِينَ بِمَدْحِ أَصْنَامِهِمْ، وَأَنَّهُ قَالَ عَنْهَا بَعْدَ أَنْ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩-٢٠]، قَالَ: «تِلْكَ الْغَرَانِيقُ الْعُلَىٰ، وَإِنَّ شَفَاعَتَهُنَّ لَتُرْتَجَىٰ، مَعَ أَنَّ سِيَاقَ الْآيَاتِ بَعْدَ ذَلِكَ فِيهَا طَعْنٌ فِي اللَّاتِ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةِ الْأُخْرَىٰ.

فَيَقُولُ وَاضِعُ الْقِصَّةِ: إِنَّهُ قَالَ: تِلْكَ الْغَرَانِيقُ الْعُلَىٰ وَإِنَّ شَفَاعَتَهُنَّ لَتُرْتَجَىٰ، وَزَعَمُوا أَنَّ الْمُشْرِكِينَ أَعْلَنُوا رِضَاهُمْ عَمَّا تَلَا النَّبِيُّ ﷺ فَسَجَدُوا مَعَهُ حِينَ سَجَدَ.

وَاسْتِنَادًا إِلَىٰ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَالْقِصَّةُ بَاطِلَةٌ وَمَوْضُوعَةٌ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤].

وَصَحَّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَتَقَرَّبْ لِصَنَمٍ قَطُّ حَتَّىٰ أَكْرَمَهُ اللهُ بِالنُّبُوَّةِ، وَلَا مَسَّهُ كَمَا مَرَّ، وَأَنَّهُ مَا هَمَّ بِعَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ الْجَاهِلِيَّةِ قَبْلَ النُّبُوَّةِ إِلَّا عَصَمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ كَمَا فِي الْمَرَّتَيْنِ اللَّتَيْنِ ذَكَرَهُمَا.

عِنْدَمَا نَزَلَ إِلَىٰ مَكَّةَ ثُمَّ ضُرِبَ بِالنَّوْمِ عَلَىٰ أَجْفَانِ عَيْنَيْهِ حَتَّىٰ أَيْقَظَتْهُ حَرَارَةُ الشَّمْسِ، فَلَا شَيْءَ قَطُّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَبْلَ أَنْ يُوحَىٰ إِلَيْهِ، فَكَيْفَ يَكُونُ فِي الْإِسْلَامِ؟!

*** وَأَمَّا أَقْوَالُ الْعُلَمَاءِ فِي بُطْلَانِ قِصَّةِ الْغَرَانِيقِ، فَقَدْ طَعَنَ فِي صِحَّةِ الْقِصَّةِ جَمْعٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ.**

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ لَمْ يُخْرِجْهَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الصِّحَّةِ، وَلَا رَوَاهَا ثِقَةٌ بِسَنَدٍ سَلِيمٍ مُتَّصِلٍ، وَإِنَّمَا أُولَعَ بِهَا وَبِمِثْلِهَا الْمُفَسِّرُونَ، وَالْمُؤَرِّخُونَ الْمُولَعُونَ بِكُلِّ غَرِيبٍ، الْمُتَلَقِّفُونَ مِنَ الصُّحُفِ كُلَّ صَحِيحٍ وَسَقِيمٍ، وَمَنْ حُكِيَتْ هَذِهِ الْحِكَايَةُ عَنْهُ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ وَالتَّابِعِينَ لَمْ يُسْنِدْهَا أَحَدٌ مِنْهُمْ وَلَا رَفَعَهَا إِلَىٰ صَاحِبٍ، وَأَكْثَرُ الطُّرُقِ عَنْهُمْ فِيهَا ضَعِيفَةٌ وَاهِيَةٌ».

قَالَ ذَلِكَ فِي كِتَابِ «الشِّفَا» رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَقَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَأَمَّا مَا يَرْوِيهِ الْإِخْبَارِيُّونَ وَالْمُفَسِّرُونَ أَنَّ سَبَبَ ذَلِكَ مَا جَرَىٰ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الثَّنَاءِ عَلَىٰ آلِهَةِ الْمُشْرِكِينَ فِي سُورَةِ النَّجْمِ، فَبَاطِلٌ لَا يَصِحُّ فِيهِ شَيْءٌ لَا مِنْ جِهَةِ النَّقْلِ وَلا مِنْ جِهَةِ الْعَقْلِ؛ لِأَنَّ مَدْحَ إِلَهٍ غَيْرِ اللهِ كُفْرٌ! وَلَا يَصِحُّ نِسْبَةُ ذَلِكَ إِلَىٰ لِسَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا أَنْ يَقُولَهُ الشَّيْطَانُ عَلَىٰ لِسَانِهِ كَمَا ادَّعَوْا.

وَلَا يَصِحُّ تَصْمِيتُ الشَّيْطَانِ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَإِلَّا لَانْهَدَمَتْ الشَّرِيعَةُ أُصُولًا وَفُرُوعًا، فَيُقَالُ: هَذَا مِمَّا أَلْقَاهُ الشَّيْطَانُ عَلَىٰ لِسَانِهِ، أَوْ هَذَا مِمَّا أَلْقَاهُ

الشَّيْطَانُ مِمَّا لَمْ يَقُلْهُ وَسَمِعَهُ النَّاسُ، ثُمَّ لَمْ يَأْتِ تَكْذِيبٌ لَهُ وَنَفْيٌ لَهُ، هَذَا يَهْدِمُ الشَّرِيعَةَ أُصُولًا وَفُرُوعًا».

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَدْ ذَكَرَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ هَا هُنَا قِصَّةَ الْغَرَانِيقِ وَمَا كَانَ مِنْ رُجُوعِ كَثِيرٍ مِنَ الْمُهَاجِرَةِ مِنْ أَرْضِ الْحَبَشَةِ، فَجَعَلُوا ذَلِكَ سَبَبًا لِرُجُوعِ الْمُهَاجِرَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ الْأُولَىٰ، ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ قَدْ أَسْلَمُوا، وَلَكِنَّهَا مِنْ طُرُقٍ كُلُّهَا مُرْسَلَةٌ، وَلَمْ أَرَهَا مُسْنَدَةً مِنْ وَجْهٍ صَحِيحٍ».

يَزْعُمُ بَعْضُ الْمُغَفَّلِينَ أَنَّهُ وَقَعَتْ هُدْنَةٌ حَقًّا بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالْوَثَنِيَّةِ أَسَاسُهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَقَرَّبَ إِلَىٰ الْمُشْرِكِينَ بِمَدْحِ أَصْنَامِهِمْ وَالِاعْتِرَافِ بِمَنْزِلَتِهَا، وَأَنَّ هَذِهِ الْهُدْنَةَ الْوَاقِعَةَ هِيَ الَّتِي أَعَادَتْ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْحَبَشَةِ، وَمَاذَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي مَدْحِ الْأَصْنَامِ؟

يُجِيبُ هَؤُلَاءِ الْمُغَفَّلُونَ بِأَنَّهُ قَالَ: تِلْكَ الْغَرَانِيقُ الْعُلَىٰ، وَإِنَّ شَفَاعَتَهُنَّ لَتُرْتَجَىٰ!!

وَأَيْنَ وَضَعَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ؟

وَضَعَهَا فِي سُورَةِ النَّجْمِ مُقْحَمَةً وَسْطَ الْآيَاتِ الَّتِي جَاءَ فِيهَا ذِكْرُ هَذِهِ الْأَصْنَامِ، فَأَصْبَحَتْ هَكَذَا أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ تِلْكَ الْغَرَانِيقُ الْعُلَىٰ وَإِنَّ شَفَاعَتَهُنَّ لَتُرْتَجَىٰ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَىٰ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَىٰ الْأَنْفُسُ.

وَيَكُونُ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ عَلَىٰ هَذَا: خَبِّرُونِي عَنْ أَصْنَامِكُمْ أَهِيَ كَذَا وَكَذَا، إِنَّ شَفَاعَتَهَا مَرْجُوَّةٌ.. إِنَّهَا أَسْمَاءٌ لَا حَقَائِقَ لَهَا.. إِنَّهَا خُرَافَاتٌ ابْتُدِعَتْ وَاتُّبِعَتْ.. مَا لَكُمْ جَعَلْتُمُوهَا إِنَاثًا وَنَسَبْتُمُوهَا للهِ تَعَالَىٰ وَأَنْتُمْ تَكْرَهُونَ نِسْبَةَ الْإِنَاثِ لَكُمْ، تِلْكَ قِسْمَةٌ جَائِرَةٌ!!

هَلْ هَذَا كَلَامٌ يَصْدُرُ عَنْ عَاقِلٍ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ وَحْيٌ كَرِيمٌ؟!

وَلَكِنَّ هَذَا السُّخْفَ قَدْ وَجَدَ مِنْ يَكْتُبُهُ وَمَنْ يَنْقُلُهُ، يَمْدَحُهَا وَيُعَقِّبُ الْمَدْحَ بِذَمِّهَا.. بِذَمِّهَا الشَّدِيدِ!!

وَالْمُتَلَقُّونَ أَلَمْ يَفْطِنُوا لِذَلِكَ؟

هُمْ أَهْل لِسَانٍ، هُمْ أَصْحَابُ الْعَقِيدَةِ فِي الْأَصْنَامِ، أَمَرَّرُوا ذَلِكَ؟!

فَقَالُوا: إِنَّهُ قَدْ مَدْحَهَا ثُمَّ ذَمَّهَا فِي السِّيَاقِ نَفْسِهِ ذَمًّا شَدِيدًا ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ﴾ [النجم: ٢٣].

ثُمَّ يَقُولُ: «هَذِهِ إِنَاثٌ وَأَنْتُمْ تَكْرَهُونَ الْإِنَاثَ».

ثُمَّ: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ [النجم: ٢١- ٢٢]، فَيَذُمُّهَا هَذَا الذَّمَّ الشَّدِيدَ بَعْدَ ادِّعَاءِ مَدْحِهَا، وَيَمُرُّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ لَا يَلْتَفِتُونَ إِلَيْهِ، وَلَا يُعَوِّلُونَ عَلَيْهِ؟!

إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ -وَحَاشَاهُ- لَوْ كَذَبَ عَلَىٰ اللهِ بِاخْتِلَاقِ كَلَامٍ عَلَيْهِ لِقَطْعِ عُنُقِهِ بِنَصِّ الْكِتَابِ الَّذِي جَاءَ بِهِ، بِنَصِّ الْكِتَابِ الَّذِي بَلَغَهُ ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤- ٤٧].

الَّذِي فِي الصَّحِيحِ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَرَأَ سُورَةَ النَّجْمِ فِي مَحْفَلٍ يَضُمُّ مُسَلِّمِينَ وَمُشْرِكِينَ، وَخَوَاتِيمُ هَذِهِ السُّورَةِ أَيْ سُورَةِ النَّجْمِ قَوَارِعُ تَطِيرُ لَهَا الْقُلُوبُ، فَلَمَّا أَخَذَ صَوْتُ الرَّسُولِ ﷺ يَهْدِرُ بِهَا وَيَرْعُدُ بِنُذُرِهَا حَتَّىٰ وَصَلَ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾﴾ [النجم: ٥٣- ٦٢].

كَانَتْ رَوْعَةُ الْحَقِّ قَدْ صَدَعَتِ الْعِنَادَ فِي نُفُوسِ الْمُسْتَكْبِرِينَ وَالْمُسْتَهْزِئِينَ فَمَا تَمَالَكُوا أَنْ يَخِرُّوا للهِ سَاجِدِينَ مَعَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ؛ لِأَنَّ الَّذِي كَانَ يَتْلُو الْآيَاتِ هُوَ مَنْ أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ الْآيَاتُ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ يَتْلُوهَا هُنَالِكَ عِنْدَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، وَفِي الْمَجْلِسِ مَنْ فِيهِ وَهُمْ يَفْهَمُونَ الْكَلَامَ الْعَرَبِيَّ الْفَصِيحَ وَيُقَدِّرُونَهُ مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الزَّوَاجِرِ وَالْقَوَارِعِ فَلَمْ يَمْلِكِ الْمُشْرِكُونَ أَنْفُسَهُمْ أَنْ سَجَدُوا للهِ مَعَ مَنْ سَجَدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَعَ رَسُولِ اللهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ وَلَا آمَنُوا بِهِ، فَلِمَاذَا سَجَدُوا؟

إِذَنْ: الصَّحِيحُ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارَ إِنَّمَا سَجَدُوا لِمَا فَهِمُوا مِنْ بَلَاغَةِ الْقُرْآنِ، وَلِأَنَّهُمْ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ كَانُوا يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ مِنْ غَيْرِ تَشْوِيشٍ.

قَالَ الْمُبَارَكْفُورِيُّ -غَفَرَ اللهُ لَهُ-: «إِنَّ أُولَئِكَ الْكُفَّارَ لَمْ يَكُونُوا سَمِعُوا كَلَامَ اللهِ قَبْلَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ أُسْلُوبَهُمُ الْمُتَوَاصِلَ كَانَ هُوَ الْعَمَلُ بِمَا تَوَاصَىٰ بِهِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مِنْ قَوْلِهِم ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦].

فَلَمَّا بَاغَتَهُمْ بِتِلَاوَةِ هَذِهِ السُّورَةِ -يَعْنِي النَّجْمَ-، وَقَرَعَ آذَانَهُمْ كَلَامٌ إِلَهِيٌّ رَائِعٌ خَلَّابٌ، لَا يُحَاطُ بِرَوْعَتِهِ وَلَا يُحِيطُ بِرَوْعَتِهِ الْبَيَانُ، تَفَانَوْا عَمَّا هُمْ فِيهِ وَبَقِيَ كُلُّ وَاحِدٍ مُصْغِيًا إِلَيْهِ لَا يَخْطُرُ بِبَالِهِ شَيْءٌ سِوَاهُ حَتَّىٰ إِذَا تَلَا خَوَاتِيمَ هَذِهِ السُّورَةِ فَإِذَا هِيَ قَوَارِعُ تَطِيرُ لَهَا الْقُلُوبُ، ثُمَّ سَجَدَ، لَمْ يَتَمَالَكْ أَحَدٌ نَفْسَهُ حَتَّىٰ خَرَّ سَاجِدًا.

وَفِي الْحَقِيقَةِ كَانَتْ رَوْعَةُ الْحَقِّ قَدْ صَدَّعَتِ الْعِنَادَ فِي نُفُوسِ الْمُسْتَكْبِرِينَ وَالْمُسْتَهْزِئِينَ، فَمَا تَمَالَكُوا إِلَّا أَنْ يَخِرُّوا للهِ سَاجِدِينَ، وَسُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ لَمَّا أَحَسُّوا أَنَّ جَلَالَ كَلَامِ اللهِ لَوَىٰ زِمَامَهُمْ، فَارْتَكَبُوا عَيْنَ مَا كَانُوا يَبْذُلُونَ قُصَارَىٰ جُهْدِهِمْ فِي مَحْوِهِ وَإِفْنَائِهِ.

وَقَدْ تَوَالَىٰ عَلَيْهِمُ اللَّوْمُ وَالْعِتَابُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ مِمَّنْ لَمْ يَحْضُرْ هَذَا الْمَشْهَدَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَعِنْدَ ذَلِكَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَافْتَرَوْا عَلَيْهِ أَنَّهُ عَطَفَ عَلَىٰ أَصْنَامِهِمْ بِكَلِمَةِ تَقْدِيرٍ، وَأَنَّهُ قَالَ عَنْهَا: تِلْكَ الْغَرَانِيقُ الْعُلَىٰ وَإِنَّ شَفَاعَتَهُنَّ لَتُرْتَجَىٰ، فَجَاءُوا بِهَذَا الْإِفْكِ الْمُبِينِ لِيَعْتَذِرُوا عَنْ سُجُودِهِمْ مَعَ النَّبِيِّ الْأَمِينِ ﷺ، وَلَيْسَ يُسْتَغْرَبُ هَذَا مِنْ قَوْمٍ كَانُوا يَأْلَفُونَ الْكَذِبَ، وَيُطِيلُونَ الدَّسَّ وَالِافْتِرَاءَ!

هَلْ هَذَا يَكْفِي فِي رَدِّ الْقِصَّةِ؟

قَدْ يَقُولُ قَائِلٌ: هَذَا كَلَامٌ عَاطِفِيٌّ، وَتَأْوِيلٌ خَيَالِيٌّ، وَافْتِرَاضٌ لَا يَسْتَنِدُ إِلَىٰ دَلِيلٍ، قَدْ يَقُولُ قَائِلٌ هَذَا مَعَ مَا مَرَّ قَبْلَ ذَلِكَ مِنْ أَنَّ الْإِسْنَادَ وَاهٍ تَالِفٌ، وَهَذَا يَكْفِي، وَلَكِنَّ الْعُلَمَاءَ -رَحِمَهُمُ اللهُ- قَدِيمًا وَحَدِيثًا لَمْ يَكْتَفُوا بِذَلِكَ، بَلْ نَظَرُوا فِي الْقِصَّةِ وَفَنَّدُوهَا، وَبَيَّنُوا زَيْفَهَا وَكَذِبَهَا.

وَفِي هَذَا الْعَصْرِ كَتَبَ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ رِسَالَةً مُفْرَدَةً سَمَّاهَا نَصْبُ الْمَجَانِيقِ فِي نَسْفِ قِصَّةِ الْغَرَانِيقِ، وَبَحَثَ الْأَمْرَ بَحْثًا حَدِيثِيًّا عَلَىٰ طَرِيقَةِ الْعُلَمَاءِ -رَحِمَهُمُ اللهُ-، وَكَتَبَ غَيْرُهُ أَيْضًا.

مُلَخَّصُ الْقِصَّةِ أَنَّهَا تَبْدَأُ مِنْ هِجْرَةِ الْحَبَشَةِ الْأُولَىٰ التَّارِيخُ مُهِمٌّ هَاهُنَا، وَاسْتِعْمَالُهُ فِي النَّقْدِ مِنْ أَقْوَىٰ الْأَدِلَّةِ كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا.

تَبْدَأُ الْقِصَّةُ مِنْ هِجْرَةِ الْحَبَشِةِ الْأُولَىٰ؛ حَيْثُ رَأَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا يُصِيبُ أَصْحَابَهُ مِنَ الْبَلَاءِ فَنَصَحَهُمْ بِالْهِجْرَةِ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ، فَخَرَجَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ إِلَيْهَا فِي شَهْرِ رَجَبٍ مِنَ السَّنَةِ الْخَامِسَةِ مِنَ الْبِعْثَةِ فِي شَهْرِ رَجَبٍ وَالتَّارِيخِ مُهِمٌّ.

فِي شَهْرِ رَجَبٍ مِنَ السَّنَةِ الْخَامِسَةِ مِنَ الْبِعْثَةِ، لَمْ يَطُلْ غِيَابُهُمْ يَعْنِي فِي أَرْضِ الْحَبَشَةِ حَيْثُ عَادُوا بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ حِينَ بَلَغَهُمْ أَنَّ قُرَيْشًا صَافَوُا الرَّسُولَ ﷺ وَكَفُّوا عَنْهُ، كَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الرَّسُولَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَرَأَ سُورَةَ النَّجْمِ فِي مَجْلِسٍ ضَمَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ، فَلَمَّا وَصَلَ فِي تِلَاوَتِهِ إِلَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩-٢٠].

قَالُوا: أَلْقَىٰ الشَّيْطَانُ عَلَىٰ لِسَانِهِ تِلْكَ الْغَرَانِيقَ الْعُلَا وَإِنَّ شَفَاعَتَهُنَّ لَتُرْتَجَىٰ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: مَا ذَكَرَ آلِهَتَنَا بِخَيْرٍ قَبْلَ الْيَوْمِ، وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ اللهَ يَخْلُقُ وَيَرْزُقُ وَيُحْيِي وَيُمِيتُ، وَلَكِنَّ آلِهَتَنَا تَشْفَعُ عِنْدَهُ، لِأَنَّ الَّذِي وَضَعَ الْقِصَّةَ وَضَعَهَا بِحَبْكَةٍ فَنِّيَّةٍ مُحْكَمَةٍ، الْمُشْرِكُونَ كَانَ شِرْكُهُمْ فِي أَنَّهُمْ يَتَّخِذُونَ الْأَصْنَامَ شُفَعَاءَ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

وَيَقُولُونَ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

فَهُمْ يُقَرِّبُونَهُمْ عِنْدَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تَقْرِيبًا، وَهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ.. هَذَا شِرْكُهُمْ.

وَأَمَّا فِي الرُّبُوبِيَّةِ فَلَمْ يَقُولُوا: إِنَّ هُبُلًا يَرْزُقُ أَوْ يَخْلُقُ أَوْ يُحْيِي أَوْ يُمِيتُ، وَلَا كَذَلِكَ اللَّاتُ، وَلَا مَنَاةُ، وَإِنَّمَا كَانُوا يَقُولُونَ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾.

فَهَذَا مَوْطِنُ النِّزَاعِ، وَإِلَّا فَإِنَّ الْقُرْآنَ قَدْ أَثْبَتَ أَنَّهُمْ يُقِرُّونَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ، وَهُوَ الَّذِي يَرْزُقُهُمْ، وَهُوَ الَّذِي يُدَبِّرُ الأَمْرَ، وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، بَلْ إِنَّهُمْ يُقِرُّونَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ هُوَ الَّذِي خَلَقَ الْأَصْنَامَ، وَلَكِنَّهُمْ يَعْبُدُونَهَا.. يَتَقَرَّبُونَ إِلَيْهَا.. يَذْبَحُونَ عِنْدَهَا لِتُقَرِّبَهُمْ عِنْدَ اللهِ تَقْرِيبًا، وَلِتَكُونَ شُفَعَاءَ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ.

هَذَا مَوْطِنُ النِّزَاعِ كَمَا بَيَّنَهُ الْإِمَامُ الْمُجَدِّدُ رَحِمَهُ اللهُ، وَقَبْلَ ذَلِكَ بَيَّنَهُ عُلَمَاؤُنَا مِنْ فَجْرِ تَارِيخِ الْإِسْلَامِ، هَذَا مَوْطِنُ النِّزَاعِ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَعْتَقِدُ أَنَّ مَوْطِنَ

النِّزَاعِ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ أَوْ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ عُمُومًا وَالْمُرْسَلِينَ وَبَيْنَ أَقْوَامِهِمْ فِي إِثْبَاتِ وُجُودِ اللهِ.. لَا!

وَإِنْ كَانُوا يُثْبِتُونَ وُجُودَ اللهِ إِلَّا فِئَةً شَاذَّةً وَهُمُ الدَّهْرِيُّونَ لَيْسَتْ لَهُمْ قِيمَةٌ وَلا وَزْنٌ وَلَا عَدَدٌ، وَلَكِنْ كَانُوا جَمِيعًا يُقِرُّونَ بِأَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ وَخَلَقَ آبَاءَهُمْ الْأَوَّلِينَ، وَهَذَا ثَابِتٌ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ، وَذِكْرُ الدَّلَائِلِ عَلَىٰ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ اتُّخِذَ فِي الْقُرْآنِ سُلَّمًا مِنْ أَجْلِ إِلْزَامِهِمْ بِصَرْفِ عِبَادَاتِهِمْ إِلَىٰ اللهِ وَحْدَهُ بِإِثْبَاتِ الْأُلُوهِيَّةِ، وَتَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ كَمَا فِي صَدْرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ.

إِذَنْ: الَّذِي وَضَعَ هَذِهِ الْقِصَّةَ جَعَلَهَا فِي حَبْكَةٍ مُحْكَمَةٍ، يَقُولُ: وَإِنَّ شَفَاعَتَهُنَّ لَتُرْتَجَىٰ.

فَقَالَتْ قُرَيْشٌ: قَدْ عَلِمْنَا أَنَّ اللهَ يَخْلُقُ وَيَرْزُقُ وَيُحْيِي وَيُمِيتُ، وَلَكِنَّ آلِهَتَنَا تَشْفَعُ عِنْدَهُ.

إِذَنْ: فَقَدْ جَاءَ لَهُمْ بِالضَّرْبِ فِي الْمَفْصِلِ عَلَىٰ الْمَحَزِّ، فَيَصْدُقُ هَذَا!!

فَلَمَّا بَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ فِيمَا يَأْفِكُونَ، آيَةُ السَّجْدَةِ فِي هَذِهِ السَّجْدَةِ سَجَدَ، وَسَجَدَ مَعَهُ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ كُلُّهُمْ إِلَّا شَيْخًا مِنْ قُرَيْشٍ رَفَعَ إِلَىٰ جَبْهَتِهِ كَفًّا مِنْ حَصًىٰ فَسَجَدَ عَلَيْهِ وَقَالَ: يَكْفِينِي هَذَا.

قَالُوا يَعْنِي فِي بَقِيَّةِ الْقِصَّةِ: فَحَزِنَ النَّبِيُّ ﷺ حُزْنًا شَدِيدًا لَمَّا عَلِمَ بِمَا حَدَثَ، وَخَافَ مِنَ اللهِ خَوْفًا عَظِيمًا، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ تَسْلِيَةً لَهُ وَتَخْفِيفًا عَنْهُ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ مِنْ سُورَةِ الْحَجِّ، مُهِمٌّ جِدًّا أَنْ تَكُونَ الْقِصَّةُ مُتَكَامِلَةً حَتَّىٰ يُمْكِنَ نَقْدُهَا نَقْدًا صَحِيحًا.

فَأَدْخَلُوا هُنَا أَيْضًا ذِكْرًا لِآيَةِ سُورَةِ الْحَجِّ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج: ٥٢].

قَالُوا: فَسُرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِذَلِكَ، وَذَهَبَ عَنْهُ مَا وَجَدَ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْخَوْفِ بِمَا أَعْلَمَهُ اللهُ بِهِ مِنْ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ جَرَىٰ عَلَىٰ سُنَّةٍ مِنْ سِنَنِهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ لِحِكَمٍ عَالِيَةٍ يَعْلَمُهَا اللهُ، فَأَدْخَلُوا الْأَنْبِيَاءَ وَالْمُرْسَلِينَ جَمِيعًا فِي الْأَمْرِ، وَأَنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ يُلْقِي عَلَىٰ أَلْسِنَتِهِمْ، فَيَأْتُونَ بِالْوَحْيِ مِنَ اللهِ، وَبِمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢].

وَقَالُوا فِي أُمْنِيَّتِهِ يَعْنِي فِي تِلَاوَتِهِ قَوْلًا وَاحِدًا، وَأَنَّ الْأُمْنِيَّةَ هَاهُنَا، وَلَا يُهِمُّ أَبَدًا مَا يَقُولُهُ أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ وَلَا مَا تَنْطِقُ بِهِ الْعَرَبِيَّةُ بِلِسَانِهَا الْفَصِيحِ الْبَلِيغِ، فَيَقُولُونَ: الْأُمْنِيَّةُ هِيَ التِّلَاوَةُ قَوْلًا وَاحِدًا، وَإِذَنْ: ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ أَيْ تَلَا، ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ أَيْ فِي تِلَاوَتِهِ، وَانْتَهَىٰ الْأَمْرُ.

إِذَنْ: فَلَيْسَ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ فِي هَذَا.. كُلُّهُمْ وَقَعَ لَهُ.. أَيُّ هُرَاءٍ هَذَا؟!

وَأَيُّ طَعْنٍ فِي الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَفِي النَّبِيِّ الْأَمِينِ ﷺ؟

تِلْكَ هِيَ الْقِصَّةُ، وَلَا أَنَّهَا صِيغَتْ بِأُسْلُوبٍ دَقِيقٍ، وَبِأَنَّ الَّذِي صَاغَهَا عَلَىٰ عِلْمٍ لَا بَأْسَ بِهِ، إِذِ اتَّخَذَ مِنْ قِصَّةِ السُّجُودِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» وَغَيْرِهِمَا مِحْوَرًا لِقِصَّتِهِ، فَسُجُودُ الْمُشْرِكِينَ ثَابِتٌ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»، أَنَّهُمْ سَجَدُوا عِنْدَمَا سَمِعُوا سُورَةَ النَّجْمِ، وَتَلَا النَّبِيُّ آيَةَ السَّجْدَةِ وَسَجَدَ فَسَجَدُوا.

هَذَا ثَابِتٌ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» أَنَّ الْمُشْرِكِينَ سَجَدُوا لَمَّا سَمِعُوا آيَةَ السَّجْدَةِ يَتْلُوهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَخَذَ هَذَا تَكِئَةً لَهُ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَبْنِيَ عَلَيْهِ مِمَّا يَجْعَلُ الْمَرْءَ لِلْوَهْلَةِ الْأُولَىٰ يُصَدِّقُ كُلَّ مَا جَاءَ فِيهَا بِنَاءً عَلَىٰ ذَلِكَ كُأُسْلُوبِ الْكُهَّانِ عِنْدَمَا يَسْتَرِقُ الشَّيْطَانُ كَلِمَةً مِنَ الْحَقِّ فَيُقِرُّهَا فِي أُذُنِ الْكَاهِنِ كَالدَّجَاجَةِ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِئَةَ كَذْبَةٍ، فَيَنْظُرُ النَّاسُ إِلَىٰ الْحَقِّ الَّذِي فِي كَلامِهِ، ثُمَّ يُمَرِّرُونَ الْبَاطِلَ الَّذِي فِي كَلَامِهِ، فَيَقُولُونَ: صَدَقَ فِي يَوْمِ كَذَا، وَصَدَقَ فِي قَوْلِ كَذَا.

فَهَذَا الَّذِي وَضَعَ الْقِصَّةَ إِنَّمَا نَحَا هَذَا الْمَنْحَىٰ فَاتَّكَأَ عَلَىٰ رِوَايَةٍ ثَابِتَةٍ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ سُجُودِ الْكُفَّارِ، وَلَكِنْ مَا السَّبَبُ؟

هُوَ غَيْرُ مَذْكُورٍ، وَحَاشَا أَنْ يُذْكَرَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»، فَوَضَعَ هُوَ سَبَبًا مِنْ عِنْدِهِ.

مَا هُوَ مَحَلُّ الْإِشْكَالِ؟

قَبْلَ بَيَانِ مَوْقِفِ الْعُلَمَاءِ يَحْسُنُ أَنْ نَتَبَيَّنَ مَوْضِعَ النِّزَاعِ، عَنْ أَيِّ شَيْءٍ نَتَكَلَّمُ؟

فِي أَيِّ شَيْءٍ كَانَ النِّزَاعُ وَالِاقْتِتَالُ؟

وَلِمَاذَا رَفَضَ الْعُلَمَاءُ هَذِهِ الرِّوَايَةَ؟

أَوَّلُ مُعْطَيَاتِ هَذِهِ الْقِصَّةِ هُوَ بُرُوزُ احْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ الشَّيْطَانُ قَدْ أَدْخَلَ فِي الْقُرْآنِ مَا لَيْسَ مِنْهُ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ لَمْ يَنْتَبِهْ إِلَىٰ مَا حَدَثَ كَمَا تَقُولُ الْقِصَّةُ إِلَّا بَعْدَ سُجُودِ الْمُشْرِكِينَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَنَّ الْمُسْلِمِينَ سَمِعُوا قَوْلَ الشَّيْطَانِ وَلَمْ يَنْتَبِهُوا كَمَا تَقُولُ الْقِصَّةُ.

هَذِهِ الْقَضِيَّةُ مُعَارِضَةٌ لِأُصُولِ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي الْأَنْبِيَاءِ وَعِصْمَتِهِمْ، ثُمَّ هِيَ كَمَا قَالَ الْعُلَمَاءُ مُعَارِضَةٌ لِلْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَقُولُ: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ [الحجر: ٤٢].

وَإِذَا لَمْ يَكُنِ الرَّسُولُ ﷺ مِنْ عِبَادِ اللهِ الَّذِينَ وَرَدَ ذِكْرُهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَالَّذِينَ لَا سُلْطَانَ لِلشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ، فَمَنْ هُمْ إِذَنْ عِبَادُ اللهِ؟!

وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنِ الشَّيْطَانِ: ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [النحل: ٩٩].

وَفِي مُقَدِّمَةِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا سُلْطَانَ لِلشَّيْطَانِ عَلَيْهِمُ الْأَنْبِيَاءُ وَعَلَىٰ رَأْسِهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، بَلْ إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَذْكُرُ إِقْرَارَ الشَّيْطَانِ بِذَلِكَ وَاعْتِرَافَهُ بِهِ فَيَنْقُلُ لَنَا ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص: ٨٢- ٨٣].

وَإِذَا لَمْ يَكُنِ الرَّسُولُ ﷺ مِنَ الْمُخْلَصِينَ فَمَنْ هُمُ الْمُخْلَصُونَ؟

إِذَنْ قِصَّةُ الْغَرَانِيقِ مُعَارِضَةٌ لِكُلِّ هَذِهِ الْآيَاتِ، لِأَنَّهَا تُقَرِّرُ أَنَّ الشَّيْطَانَ أَلْقَىٰ عَلَىٰ لِسَانِهِ ذَلِكَ الْكَلَامَ، أَوْ تَكَلَّمَ بِهِ الشَّيْطَانُ، وَسَمِعَهُ الْحَاضِرُونَ، وَلَمْ يَنْتَبِهْ لَهُ الرَّسُولُ ﷺ، وَلَيْسَ هُنَاكَ سُلْطَانٌ هُوَ أَكْبَرُ مِنْ هَذَا السُّلْطَانِ.

مِثْلُ هَذَا الْكَلَامِ الَّذِي لَا سَنَدَ لَهُ لَا يَقِفُ فِي مُقَابَلَةِ هَذِهِ الْآيَاتِ الصَّرِيحَةِ.

وَبَعْدَ هَذِهِ الْمُقَدِّمَةِ فِي بَيَانِ مَحَلِّ الْإِشْكَالِ، نَنْتَقِلُ إِلَىٰ بَيَانِ مَوْقِفِ الْعُلَمَاءِ مِنَ الْقِصَّةِ.

سَلَكَ الْعُلَمَاءُ أَكْثَرَ مِنْ طَرِيقٍ لِإِبْطَالِ هَذِهِ الْقِصَّةِ، الْآيَاتُ الَّتِي مَرَّتْ كَافِيَةٌ فِي دَحْضِهَا.. فِي تَزْيِيفِهَا.. فِي مَحْقِهَا وَسَحْقِهَا، وَلَكِنَّ الْعُلَمَاءَ تَنَاوَلُوا الْقِصَّةَ سَنَدًا وَمَتْنًا، فَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ إِبْطَالِهَا مِنْ حَيْثُ السَّنَدُ، وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ إِبْطَالِهَا مِنْ حَيْثُ الْمَتْنُ، وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ إِثْبَاتِهَا وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يُقِرُّوا مَعْنَاهَا، فَفَتَّشُوا عَنْ مَخْرَجٍ حَتَّىٰ يُخْرِجُوا عَلَيْهِ هَذِهِ الْقِصَّةَ.

إِذَنْ؛ عِنْدَنَا مَسَالِكُ سَلَكَهَا الْعُلَمَاءُ فِي إِبْطَالِ هَذِهِ الْقِصَّةِ يَعْنِي «قِصَّةَ الْغَرَانِيقِ».

الْبَحْثُ فِي السَّنَدِ.

الْبَحْثُ فِي الْمَتْنِ.

إِثْبَاتُهَا مَعَ تَخْرِيجِهَا عَلَىٰ وَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ.

*** إِبْطَالُهَا مِنْ حَيْثُ السَّنَدُ:**

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: «فَيَكْفِيكَ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ لَمْ يُخْرِجْهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الصِّحَّةِ، وَلَا رَوَاهُ ثِقَةٌ بِسَنَدٍ مُتَّصِلٍ سَلِيمٍ، وَإِنَّمَا أُولَعُ بِهِ وَبِمِثْلِهِ الْمُفَسِّرُونَ، وَالْمُؤَرِّخُونَ الْمُولَعُونَ بِكُلِّ غَرِيبٍ الْمُتَلَقِّفُونَ مِنَ الصُّحُفِ كُلَّ صَحِيحٍ وَسَقِيمٍ، وَصَدَقَ الْقَاضِي -الْكَلَامُ لِعِيَاضٍ- وَصَدَقَ الْقَاضِي بَكْرُ بْنُ الْعَلَاءِ الْمَالِكِيُّ حَيْثُ قَالَ: «لَقَدْ بُلِيَ النَّاسُ بِبَعْضِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالتَّفْسِيرِ، وَتَعَلَّقَ بِذَلِكَ الْمُلْحِدُونَ مَعَ ضَعْفِ نَقْلِهِ».

وَمَنْ حُكِيَتْ عَنْهُ هَذِهِ الْحِكَايَةِ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ وَالتَّابِعِينَ لَمْ يُسْنِدْهَا أَحَدٌ مِنْهُمْ وَلَا رَفَعَهَا إِلَىٰ صَاحِبٍ، وَأَكْثَرُ الطُّرُقِ عَنْهُمْ فِيهَا ضَعِيفَةٌ وَاهِيَةٌ».. هَذَا كَلَامُ الْقَاضِي عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالسَّنَدِ.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ عِنْدَ تَفْسِيرِ آيَةِ سُورَةِ الْحَجِّ: «ذَكَرَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ قِصَّةَ الْغَرَانِيقِ... إِلَىٰ أَنْ قَالَ: وَلَكِنَّهَا مِنْ طُرُقٍ كُلُّهَا مُرْسَلَةٌ، وَلَمْ أَرَهَا مُسْنَدَةً مِنْ وَجْهٍ صَحِيحٍ، ثُمَّ قَالَ بَعْدَ أَنْ سَاقَ الرِّوَايَاتُ: وَكُلُّهَا مُرْسَلَاتٌ وَمُنْقَطِعَاتٌ».

قَالَ الشَّوْكَانِيُّ: «وَلَمْ يَصِحَّ شَيْءٌ مِنْ هَذَا وَلَا يَثْبُتُ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ، وَمَعَ عَدَمِ صِحَّتِهِ بَلْ بُطْلَانِهِ، فَقَدْ دَفَعَهُ الْمُحَقِّقُونَ بِكِتَابِ اللهِ -سُبْحَانَهُ-، ثُمَّ ذَكَرَ بَعْضَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ الْبُطْلَانِ ثُمَّ قَالَ: وَقَالَ إِمَامُ الْأَئِمَّةِ ابْنُ خُزَيْمَةَ: إِنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ مِنْ وَضْعِ الزَّنَادِقَةِ».

وَقَالَ الْأَلُوسِيُّ: «لَكِنَّ إِثْبَاتَ صِحَّةِ الْخَبَرِ أَشَدُّ مِنْ خَرْقِ الْقَتَادِ، فَإِنَّ الطَّاعِنِينَ فِيهِ مِنْ حَيْثُ النَّقْلُ عُلَمَاءُ أَجِلَّاءُ، عَارِفُونَ بِالْغَثِّ وَالثَّمِينِ مِنَ الْأَخْبَارِ، وَقَدْ بَذَلُوا الْوُسْعَ فِي تَحْقِيقِ الْحَقِّ فِيهِ، فَلَمْ يَرَوْهُ إِلَّا مَرْدُودًا»

فَهَذِهِ نَمَاذِجُ مِنْ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ نَقَضُوا الْقِصَّةَ مِنْ حَيْثُ السَّنَدُ، وَبَيَّنُوا أَنَّ أَسَانِيدَهَا لَا تَصْلُحُ لِلِاعْتِدَادِ بِهَا.

وَالْقِصَّةُ لَمْ يُخْرِجْهَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ الصِّحَاحِ، وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ الْكُتُبِ الْمُعْتَمِدَةِ، كَالسُّنَنِ الْأَرْبَعَةِ وَمُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ هَذَا كَلَامُ الدُّكْتُور أَبِي شَهْبَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ.

مُجْمَلُ مَا مَرَّ مِنْ كَلَامِ أَهْلِ الْعِلْمِ يُثْبِتُ تَلَفَ الْقِصَّةِ أَخْذًا بِأَقْوَالِ الْأَئِمَّةِ الْأَعْلَامِ.

*** وَأَمَّا إِبْطَالُهَا مِنْ حَيْثُ الْمَتْنُ:**

فَقَدْ ذَهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ إِلَىٰ إِبْطَالِهَا مِنْ جِهَةِ الْمَتْنِ، إِضَافَةً إِلَىٰ إِبْطَالِهَا مِنْ جِهَةِ السَّنَدِ، وَذَلِكَ بِسَبَبِ اضْطِرَابِ الرِّوَايَاتِ، فَأَعَلُّوهَا بِالِاضْطِرَابِ.

مِنْ ذَلِكَ كَلَامُ الْقَاضِي عِيَاضٍ قَالَ: «وَتَعَلَّقَ بِذَلِكَ الْمُلْحِدُونَ مَعَ ضَعْفِ نَقْلِهِ وَاضْطِرَابِ رِوَايَاتِهِ، وَانْقِطَاعِ إِسْنَادِهِ، وَاخْتِلَافِ كَلِمَاتِهِ.

فَقَائِلٌ يَقُولُ: إِنَّهُ فِي الصَّلَاةِ، وَآخَرُ يَقُولُ: قَالَهَا فِي نَادِي قَوْمِهِ حِينَ أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ السُّورَةُ، وَآخَرُ يَقُولُ: قَالَهَا وَقَدْ أَصَابَتْهُمْ سَنَةٌ، وَآخَرُ يَقُولُ: بَلْ حَدَّثَ نَفْسَهُ فَسَهَىٰ، وَآخَرُ يَقُولُ: إِنَّ الشَّيْطَانَ قَالَهَا عَلَىٰ لِسَانِهِ.

وَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا عَرَضَهَا عَلَىٰ جِبْرِيلَ قَالَ: مَا هَكَذَا أَقْرَأْتُكَ، وَآخَرُ يَقُولُ: بَلْ أَعْلَمَهُمْ الشَّيْطَانُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَرَأَهَا، فَلَمَّا بَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ قَالَ: وَاللهِ مَا هَكَذَا أُنْزِلَتْ.. إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ اخْتِلَافِ الرِّوَايَاتِ.

فَهَذَا اضْطِرَابٌ ظَاهِرٌ فِي مَتْنِ هَذَا الْمَكْذُوبِ الْمَوْضُوعِ».

تِلْكَ بَعْضُ الرِّوَايَاتِ الْوَارِدَةِ فِي الْقِصَّةِ كَمَا يَقُولُ الْقَاضِي عِيَاضٌ.

وَمَا كَانَ كَذَلِكَ مُضْطَرِبًا لَا يَصْلُحُ لِلِاحْتِجَاجِ بِهِ خَاصَّةً فِي مِثْلِ هَذَا الْأَمْرِ الْخَطِيرِ الَّذِي يَمَسُّ الْعَقِيدَةَ، فَالْأَمْرُ هَاهُنَا أَمْرُ اعْتِقَادٍ، لَيْسَ أَمْرًا يَتَعَلَّقُ بِمَشْرُوعِيَّةِ

السُّجُودِ عِنْدَ آيَةِ النَّجْمِ مَثَلًا فَيَكُونُ خِلَافًا فِقْهِيًّا هَذَا أَمْرٌ اعْتِقَادِيٌّ ذِكْرٌ لِلْأَصْنَامِ وَمَدْحٌ لَهَا وَعَلَىٰ لِسَانِ مَنْ؟ عَلَىٰ لِسَانِ الْمَعْصُومِ ﷺ؟!

مَعَ هَذِهِ التَّأْوِيلَاتِ الَّتِي مَرَّتْ، كَأَنَّهَا تَأْوِيلَاتٌ فِي الرِّوَايَاتِ، فَكَأَنَّمَا يُرِيدُ مَنْ يُرِيدُ إِمْرَارَهَا أَنْ تَكُونَ سَائِغَةً فِي الْعُقُولِ، فَيَقُولُ: إِنَّهُ قَدْ تَلَاهَا وَهُوَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ فَسَهَا، أَوْ أَصَابَتْهُ سَنَةٌ وَهِيَ مُقَدِّمَاتُ النَّوْمِ، هَذَا كَلَامٌ يُقَالُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟!

يَعْنِي يَتْلُو الْوَحْيَ الْمُنَزَّلَ فَتُصِيبُهُ سِنَةٌ مِنْ نَوْمٍ فَيَدْخُلُ فِي كَلَامِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَا لَمْ يُنَزِّلْهُ عَلَيْهِ؟

هَذَا يُقَالُ فِي حَقِّ الرَّسُولِ الْمَعْصُومِ ﷺ؟

وَفِي مَاذَا؟ فِي أَمْرِ الْوَحْيِ؟

فَهَذَا الِاضْطِرَابُ كَافٍ، كَمَا أَنَّ الطَّعْنَ فِي الْإِسْنَادِ كَانَ كَافِيًا.

وَلَكِنَّ الْعُلَمَاءَ مِنْهُمْ فَرِيقٌ أَثْبَتَ لِلْقِصَّةِ شَيْئًا مِنْ أَصْلِ بِنَاءٍ عَلَىٰ قَوَاعِدِ عِلْمِ مُصْطَلَحِ الْحَدِيثِ، وَيُمَثِّلُ هَذَا الْفَرِيقَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ صَاحِبُ الْفَتْحِ جَاءَ فِي ذَلِكَ قَوْلُهُ بَعْدَ أَنْ سَاقَ الرِّوَايَاتِ: «وَكُلُّهَا سِوَىٰ طَرِيقِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ إِمَّا ضَعِيفٌ وَإِمَّا مُنْقَطِعٌ، لَكِنَّ كَثْرَةَ الطُّرُقِ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ لِلْقِصَّةِ أَصْلًا، مَعَ أَنَّهَا لَهَا طَرِيقَيْنِ آخَرَيْنِ مُرْسَلَيْنِ رِجَالُهُمَا عَلَىٰ شَرْطِ «الصَّحِيحَيْنِ»، ثُمَّ ذَكَرَهُمَا.

هَذَا كَلَامُ الْحَافِظِ ابْنِ حَجَرٍ.

ثُمَّ قَالَ: «وَقَدْ ذَكَرْتُ أَنَّ ثَلَاثَةَ أَسَانِيدَ مِنْهَا عَلَىٰ شَرْطِ الصَّحِيحِ وَهِيَ مَرَاسِيلُ يَحْتَجُّ بِمِثْلِهَا مَنْ يَحْتَجُّ بِالْمُرْسَلِ، وَكَذَا مَنْ لَا يَحْتَجُّ بِهِ لِاعْتِضَادِهَا بَعْضُهَا بِبَعْضٍ».

ابْنُ حَجَرٍ وَإِنْ رَأَىٰ صِحَّةَ السَّنَدِ بِنَاءً عَلَىٰ قَوْلِهِ هَذَا، فَهُوَ مُتَّفِقٌ عَلَىٰ بُطْلَانِ مَا جَاءَ فِي الْقِصَّةِ، وَرَأَىٰ ضَرُورَةَ السَّعْيِ إِلَىٰ تَأْوِيلِ مَا يُسْتَنْكَرُ مِنْهَا.

فَقَالَ: «وَإِذَا تَقَرَّرَ ذَلِكَ تَعَيَّنَ تَأْوِيلُ مَا وَقَعَ فِيهَا مِمَّا يُسْتَنْكَرُ وَهُوَ قَوْلُ: أَلْقَىٰ الشَّيْطَانِ عَلَىٰ لِسَانِهِ: تِلْكَ الْغَرَانِيقُ الْعُلَىٰ، وَإِنَّ شَفَاعَتَهُنَّ لَتُرْتَجَىٰ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَجُوزُ حَمْلُهُ عَلَىٰ الظَّاهِرِ، لِأَنَّهُ يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ ﷺ أَنْ يَزِيدَ فِي الْقُرْآنِ عَمْدًا مَا لَيْسَ مِنْهُ، وَكَذَا سَهْوًا إِذَا كَانَ مُغَايِرًا لِمَا جَاءَ بِهِ مِنَ التَّوْحِيدِ لِمَكَانِ عِصْمَتِهِ».

فَهَكَذَا يَعُودُ ابْنُ حَجَرٍ لِيَلْتَقِيَ مَعَ الْقَائِلِينَ بِرَفْضِ الْقِصَّةِ لِتَعَارُضِهَا مَعَ مُسَلَّمَاتِ الْعَقِيدَةِ.

ثُمَّ يَذْهَبُ لِيُفَتِّشَ عَنْ تَأْوِيلٍ لَهَا، وَلَكِنَّ إِثْبَاتَ صِحَّةِ الْمَرَاسِيلِ أَمْرٌ غَيْرُ مُسَلَّمٍ لِابْنِ حَجَرٍ، فَهِيَ قَدْ تَكُونُ صَحِيحَةَ السَّنَدِ إِلَىٰ الشَّخْصِ الْمُرْسِلِ، وَلَا يَعْنِي ذَلِكَ صِحَّةَ الْخَبَرِ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي عِلْمِ أُصُولِ الْحَدِيثِ.

فَمَنْ فَوْقَهُ؟ هُوَ أَرْسَلَهَا.. عَمَّنْ أَرْسَلَهَا؟ يَعْنِي هَلْ هَذَا الْكَلَامُ سَنَقُولُ: هُوَ مِنْ كَلَامِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَصِحَّ إِسْنَادُهُ إِلَّا إِلَيْهِ، ثُمَّ هُوَ أَرْسَلَهُ؟

إِذَنْ هُوَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، هَلْ يُؤْخَذُ بِكَلَامِهِ فِي مِثْلِ هَذَا حَتَّىٰ لَوْ قَالَهُ، وَتَحَقَّقْنَا أَنَّهُ قَالَهُ؟

فَإِذَنْ قَدْ تَكُونُ صَحِيحَةَ السَّنَدِ إِلَىٰ الشَّخْصِ الْمُرْسِلِ، وَلَا يَعْنِي ذَلِكَ صِحَّةَ الْخَبَرِ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي عِلْمِ أُصُولِ الْحَدِيثِ.

إِنَّ جُمْهُورَ الْمُحَدِّثِينَ لَمْ يَحْتَجُّوا بِالْمُرْسَلِ، وَجَعَلُوهُ مِنْ قِسْمِ الضَّعِيفِ لِاحْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ الْمَحْذُوفُ غَيْرَ صَحَابِيٍّ، وَحِينَئِذٍ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ ثِقَةً أَوْ غَيْرَ ثِقَةٍ، لِأَنَّ الصَّحَابَةَ كُلَّهُمْ عُدُولٌ، فَإِذَا كَانَ الِاحْتِمَالُ قَائِمًا عَلَىٰ أَلَّا يَكُونَ صَحَابِيًّا وُجِدَ الطَّعْنُ، فَإِنَّهُ قَدْ يَكُونُ ثِقَةً أَوْ غَيْرَ ثِقَةٍ، عَلَىٰ الثَّانِي فَلَا يُؤْمَنُ أَنْ يَكُونَ كَذَّابًا.

وَقَدْ قَرَّرَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ فِي مُقَدِّمَةِ «صَحِيحِهِ» فَقَالَ: «وَالْمُرْسَلُ فِي أَصْلِ قَوْلِنَا وَقَوْلِ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْأَخْبَارِ لَيْسَ بِحُجَّةٍ».

وَقَالَ ابْنُ الصَّلَاحِ فِي «الْمُقَدِّمَةِ»: «وَمَا ذَكَرْنَا مِنْ سُقُوطِ الِاحْتِجَاجِ بِالْمُرْسَلِ وَالْحُكْمِ بِضَعْفِهِ هُوَ الَّذِي اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ آرَاءُ جَمَاهِيرِ حُفَّاظِ الْحَدِيثِ وَتَدَاوَلُوهُ فِي تَصَانِيفِهِمْ».

فَيَبْقَىٰ النَّظَرُ فِي الَّذِي صَنَعَ ابْنُ حَجَرٍ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِتَأْوِيلِ هَذِهِ الْقِصَّةِ.

وَاللهُ تَعَالَىٰ الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

◉ ◉ ◉

www.menhag-un.com

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة التَّاسِعَة)

مِنْ مَادَّةِ

سِيرَة النَّبِيِّ ﷺ

[الْعَهْدُ الْمَكِّيُّ - ج٢]

www.menhag-un.com

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

بُطْلَانُ قِصَّةِ الْغَرَانِيقِ

فَمَوْقِعُ قِصَّةِ الْغَرَانِيقِ فِي السِّيرَةِ يُذْكَرُ عِنْدَ عَوْدَةِ الْمُهَاجِرِينَ مَنْ الْحَبَشَةِ إِلَىٰ مَكَّةَ عَلَىٰ إِثْرِ دِعَايَةٍ رُوِّجَ لَهَا، وَشَائِعَاتٍ قِيلَتْ مِنْ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ صَالَحُوا النَّبِيَّ ﷺ وَدَخَلُوا فِي دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ.

وَقِصَّةُ الْغَرَانِيقِ مَوْضُوعَةٌ مُخْتَلَقَةٌ تَعَامَلَ مَعَهَا الْعُلَمَاءُ إِسْنَادًا وَمَتْنًا وَتَأْوِيلًا.

فَأَمَّا مِنْ حَيْثُ الْإِسْنَادُ فَقَدْ زَيَّفُوهَا وَعَدُّوهَا سَاقِطَةً وَاهِيَةً.

وَأَمَّا مِنْ حَيْثُ الْمَتْنُ، فَأَعَلُّوهَا بِالنَّكَارَةِ، إِذْ إِنَّ مَتْنَهَا مُصَادِمٌ لِمُسَلَّمَاتِ الْعَقِيدَةِ وَقَوَاعِدِ الشَّرِيعَةِ، وَالنُّصُوصِ وَآيَاتِ الْكِتَابِ الْمَجِيدِ، ثُمَّ هِيَ بَعْدَ ذَلِكَ مُضْطَرِبَةٌ اضْطِرَابًا كَبِيرًا لَا يُمْكِنُ التَّوْفِيقُ بَيْنَ رِوَايَاتِهَا بِحَالٍ.

* تَأْوِيلُ الْمُثْبِتِينَ لِلْقِصَّةِ:

وَأَمَّا مَنْ ثَبَّتَ إِسْنَادَهَا كَالْحَافِظِ ابْنِ حَجَرٍ فَإِنَّهُ مُوَافِقٌ لِلَّذِينَ يَقُولُونَ بِرَدِّهَا، وَلَكِنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ عَلَىٰ سَبِيلِ تَأْوِيلِ مَا وَرَدَ فِي ذَلِكَ الْمَتْنِ، وَهُوَ رَحِمَهُ اللَّهُ لَمْ يَقْبَلْ مَا جَاءَ فِي الْقِصَّةِ وَإِنْ كَانَ قَبِلَ سَنَدَهَا الْمُرْسَلَ، ثُمَّ اضْطُرَّ إِلَىٰ تَأْوِيلِهَا، فَقَالَ فِي الْفَتْحِ: «وَقَدْ سَلَكَ الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ احْتَجُّوا بِالْقِصَّةِ فِي ذَلِكَ مَسَالِكَ، فَقِيلَ: جَرَىٰ ذَلِكَ عَلَىٰ لِسَانِهِ حِينَ أَصَابَتْهُ سِنَةٌ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ، فَلَمَّا عَلِمَ بِذَلِكَ أَحْكَمَ اللهُ آيَاتِهِ، وَهَذَا أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ عَنْ قَتَادَةَ».

*** الرَّدُّ عَلَى الْمُثْبِتِينَ لِلْقِصَّةِ:**

وَرَدَّ عِيَاضٌ بِأَنَّهُ لَا يَصِحُّ لِكَوْنِهِ لَا يَجُوزُ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ ذَلِكَ، وَلَا وِلَايَةَ لِلشَّيْطَانِ عَلَيْهِ فِي النَّوْمِ.

وَقِيلَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ أَلْجَأَهُ إِلَىٰ أَنْ قَالَ ذَلِكَ بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِ، وَرَدَّهُ ابْنُ الْعَرَبِيِّ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ حِكَايَةً عَنِ الشَّيْطَانِ: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ...﴾ الآية [إبراهيم: ٢٢]، قَالَ: فَلَوْ كَانَ لِلشَّيْطَانِ قُوَّةٌ عَلَىٰ ذَلِكَ لَمَا بَقِيَ لِأَحَدٍ قُوَّةٌ فِي طَاعَةٍ.

وَقِيلَ: إِنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا إِذَا ذَكَرُوا آلِهَتَهُمْ وَصَفُوهُمْ بِذَلِكَ فَعَلَّقَ ذَلِكَ بِحِفْظِهِ ﷺ فَجَرَىٰ عَلَىٰ لِسَانِهِ لَمَّا ذَكَّرَهُمْ سَهْوًا.

وَقَدْ رَدَّ ذَلِكَ عِيَاضٌ فَأَجَادَ.

وَقِيلَ: لَعَلَّهُ قَالَهَا تَوْبِيخًا لِلْكُفَّارِ.

قَالَ عِيَاضٌ: «وَهَذَا جَائِزٌ إِذَا كَانَتْ هُنَاكَ قَرِينَةٌ تَدُلُّ عَلَىٰ الْمُرَادِ، وَلَا تُوجَدُ قَرِينَةٌ كَمَا هُوَ سِيَاقُ الْقِصَّةِ الْمَزْعُومَةِ الْمَكْذُوبَةِ لَا سِيَّمَا وَقَدْ كَانَ الْكَلَامُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ فِي الصَّلَاةِ جَائِزًا».

هَذَا عَلَىٰ الْقَوْلِ بِأَنَّ الْقِصَّةَ وَقَعَتْ فِي الصَّلَاةِ وَإِلَىٰ هَذَا نَحَا الْبَاقِلَّانِيُّ.

وَقِيلَ: إِنَّهُ لَمَّا وَصَلَ إِلَىٰ ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٠]، خَشِيَ الْمُشْرِكُونَ أَنْ يَأْتِيَ بَعْدَهَا بِشَيْءٍ يَذُمُّ آلِهَتَهُمْ بِهِ، فَبَادَرُوا إِلَىٰ ذَلِكَ الْكَلَامِ فَخَلَطُوهُ

فِي تِلَاوَةِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَىٰ عَادَتِهِمْ فِي قَوْلِهِمْ ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ [فصلت: ٢٦]، وَنُسِبَ ذَلِكَ لِلشَّيْطَانِ لِكَوْنِهِ الَّذِي حَمَلَ لَهُمْ وَحَمَلَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ، أَوْ الْمُرَادُ بِالشَّيْطَانِ شَيْطَانُ الْإِنْسِ.

وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالْغَرَانِيقِ الْعُلَا الْمَلَائِكَةُ، وَكَانَ الْكُفَّارُ يَقُولُونَ: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللهِ! وَيَعْبُدُونَهَا، فَسِيقَ ذِكْرُ الْكُلِّ لِيَرُدَّ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ [النجم: ٢١].

فَلَمَّا سَمِعُوا الْمُشْرِكُونَ حَمَلُوهُ عَلَىٰ الْجَمِيعِ وَقَالُوا: وَقَدْ عَظَّمَ آلِهَتَنَا وَرَضُوا بِهِ، فَنَسَخَ اللهُ تِلْكَ الْكَلِمَتَيْنِ وَأَحْكَمَ آيَاتِهِ.

وَقِيلَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُرَتِّلُ الْقُرْآنَ فَارْتَصَدَهُ الشَّيْطَانُ فِي سَكْتَةٍ مِنَ السَّكَتَاتِ، وَنَطَقَ بِتِلْكَ الْكَلِمَاتِ مُحَاكِيًا نَغْمَتَهُ بِحَيْثُ سَمِعَهُ مَنْ دَنَا إِلَيْهِ فظَنَّهَا مِنْ قَوْلِهِ وَأَشَاعَهَا.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: «وَهَذَا أَحْسَنُ الْوُجُوهِ».

تِلْكَ هِيَ الْأَقْوَالُ الَّتِي قِيلَتْ فِي تَأْوِيلِ الْقِصَّةِ وَهِيَ أَقْوَالٌ ضَعِيفَةٌ وَبَعْضُهَا مُضْحِكٌ، وَهَذَا دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَىٰ مُعَارَضَةِ الْقِصَّةِ لِأُصُولِ الِاعْتِقَادِ.

أَمَّا الْقَوْلُ الَّذِي اخْتَارَهُ ابْنُ حَجَرٍ وَهُوَ الْقَوْلُ الْأَخِيرُ، فَقَدْ قَالَ عَنْهُ أَبُو شَهْبَةَ فِي رَدِّهِ «هَذَا التَّأْوِيلُ الَّذِي ارْتَضَاهُ الْحَافِظُ وَغَيْرُهُ مِمَّنْ تَابَعَهُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا مَا أَضْعَفَهُ عِنْدَ النَّظَرِ وَالتَّأَمُّلِ، فَهُوَ يُوقِعُ الْقَائِلَ بِهِ فِيمَا فَرَّ مِنْهُ، وَهُوَ تَسَلُّطُ الشَّيْطَانِ

عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ؛ فَالتَّسَلُّطُ عَلَيْهِ بِالْمُحَاكَاةِ كَالتَّسَلُّطِ عَلَيْهِ بِالْإِجْرَاءِ عَلَىٰ لِسَانِهِ كِلَاهُمَا لَا يَجُوزُ، وَفَتْحُ هَذَا الْبَابِ خَطَرٌ عَلَىٰ الرِّسَالَاتِ الْإِلَهِيَّةِ، وَإِذَا سَلَّمْنَا أَنَّ الشَّيْطَانَ هُوَ الَّذِي نَطَقَ بِهَذا الْمُنْكَرِ مِنَ الْقَوْلِ فِي أَثْنَاءِ سُكُوتِ النَّبِيِّ ﷺ فَكَيْفَ لَمْ يَسْمَعْ مَا حَكَاهُ الشَّيْطَانُ؟ وَإِذَا كَانَ سَمِعَهُ فَلِمَ لَمْ يُبَادِرْ إِلَىٰ الْإِنْكَارِ؟ وَالْبَيَانُ فِي مِثْلِ هَذَا وَاجِبٌ عَلَىٰ الْفَوْرِ.

وَإِذَا لَمْ يَسْمَعِ النَّبِيُّ ﷺ أَلَمْ يَسْمَعْ أَصْحَابُهُ؟ وَإِذَا سَمِعُوا فَلِمَ لَمْ يُبَادِرُوا إِلَىٰ تَنْبِيهِ الرَّسُولِ؟ وَالْحَقُّ أَنَّ نَسْجَ الْقِصَّةِ مَهْمَا تَأَوَّلَ فِيهِ الْمُتَأَوِّلُونَ، وَحَاوَلُوا إِثْبَاتَ أَنَّ لَهَا أَصْلًا أَنَّ نَسْجَ الْقِصَّةِ مُهَلْهَلٌ.. مُتَدَاعٍ.. لَا يَثْبُتُ أَمَامَ الْبَحْثِ، وَأَنَّ أَغْلَبَ الْبَلَاءِ دَخَلَ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ مِنَ الْمُنْقَطِعَاتِ وَالْمَرَاسِيلِ».

فَرِيقٌ رَابِعٌ، وَذِكْرُهُ اسْتِكْمَالٌ لِجَمِيعِ الْجَوَانِبِ فِي الْمَوْضُوعِ؛ فَكَانَ لَابُدَّ مِنَ الْإِشَارَةِ إِلَىٰ هَذَا الْفَرِيقِ، وَابْنُ حَجَرٍ وَمَنْ ذَهَبَ مَذْهَبَهُ مَنْ قَبْلَهُ أَوْ بَعْدَهُ مُتَّفِقُونَ عَلَىٰ ضَرُورَةِ تَأْوِيلِ الْقِصَّةِ، وَهُمْ فِي هَذَا يَلْتَقُونَ مَعَ الْفَرِيقِ الَّذِي رَفَضَهَا؛ وَلَكِنَّ بَعْضَ الْعُلَمَاءِ -وَهُمْ قَلِيلٌ- ذَهَبَ إِلَىٰ تَصْحِيحِ الْقِصَّةِ مَعَ التَّسْلِيمِ بِهَا دُونَ اسْتِنْكَارِ أَيِّ شَيْءٍ مِنْهَا، أَوْ تَأْوِيلٍ لَهَا، بَلْ جَوَّزَ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ جَمِيعَ مَا فِيهَا زَاعِمًا أَنَّ ذَلِكَ لَا يَتَنَافَىٰ مَعَ عِصْمَتِهِ، بَلْ هُوَ تَأْدِيبٌ لَهُ».

هَذَا مَا جَاءَ فِي كَلَامِ الْأَلُوسِيِّ، وَعَلَّقَ عَلَيْهِ الشَّيْخُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ بِقَوْلِهِ: «هُوَ الشَّيْخُ إِبْرَاهِيمُ الْكُورَانِيُّ وُلِدَ سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَأَلْفٍ وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ وَلَازَمَ الْقَشَاشِيَّ، وَتُوُفِّيَ بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ إِحْدَىٰ وَمِئَةٍ وَأَلْفٍ».

قَالَ الشَّيْخُ نَاصِرٌ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ هَذَا الْقَوْلِ: «يُغْنِي وُضُوحُ بُطْلَانِهِ عَنْ إِيرَادِهِ، وَتَسْوِيدِ الصَّفَحَاتِ لِرَدِّهِ» -قَالَ ذَلِكَ فِي نَصْبِ الْمَجَانِيقِ-.

هَذَا الْفَرِيقُ الَّذِي صَحَّحَ الْإِسْنَادَ وَقَبِلَ الرِّوَايَةَ مِنْ غَيْرِ اعْتِرَاضٍ عَلَىٰ شَيْءٍ عِنْدَهُ إِمْكَانِيَّةٌ عَقْلِيَّةٌ لِقَبُولِ الْمُتَنَاقِضَاتِ، وَهَاهُنَا مِثَالٌ لِهَذَا الْفَرِيقِ مِمَّا جَاءَ فِي وَاحِدٍ مِنْ كُتُبِ السِّيرَةِ لِكَاتِبٍ مُعَاصِرٍ، وَهُوَ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْعِبَرِ الْمُسْتَفَادَةِ مِنْ هِجْرَةِ الْحَبَشَةِ.

قَالَ: «تَقْرِيرُ قِصَّةِ الْغَرَانِيقِ، وَإِنَّ مِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ يُكَذِّبَ بِهَا أُنَاسٌ لِمُجَرَّدِ الْخَوْفِ مِنْ أَنْ يُقَالَ: إِذَا صَحَّتْ قِصَّةُ الْغَرَانِيقِ فَمِنَ الْجَائِزِ أَنْ يَكُونَ الشَّيْطَانُ قَدْ أَدْخَلَ فِي الْقُرْآنِ مَا لَيْسَ مِنْهُ، وَهُوَ وَهْمٌ بَحْتٌ شَبِيهٌ بِوَهْمِ الرَّوَافِضِ الْقَائِلِينَ بِأَنَّ جِبْرِيلَ بَدَلًا أَنْ يَأْتِيَ عَلِيًّا بِالْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ أَتَىٰ بِهِمَا مُحَمَّدًا ﷺ، إِذَا لَازَمَ هَذَا أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ عَاجِزٌ وَنِسْبَةُ الْعَجْزِ إِلَىٰ اللهِ كُفْرٌ وَكَذِبٌ وَبَاطِلٌ، إِذْ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَقَعَ فِي الْكَوْنِ غَيْرُ مَا يُرِيدُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وَلَوْ فَرَضْنَا أَنَّ الشَّيْطَانَ أَلْقَىٰ -يَقُولُ-: لَوْ فَرَضْنَا أَنَّ الشَّيْطَانَ أَلْقَىٰ بِكَلِمَةٍ أَوْ كَلِمَاتٍ فِي قِرَاءَةِ الرَّسُولِ ﷺ أَلَيْسَ اللهُ قَادِرًا عَلَىٰ تَبْيِينِهَا وَإِبْطَالِهَا؟

بَلْ وَكَيْفَ وَقَدْ قَالَ: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الشورىٰ: ٢٤].

رَاجِعْ فِي هَذَا كِتَابَ «هَذَا الْحَبِيبُ يَا مُحِبُّ» لِلشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ الْجَزَائِرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَهَذَا الْقَوْلُ شَبِيهٌ بِالْقَوْلِ الَّذِي قَبْلَهُ فِيمَا ذَكَرَهُ الْأَلُوسِيُّ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الْكُورَانِيِّ، فَيُكْتَفَىٰ بِرَدِّ الشَّيْخِ نَاصِرٍ عَلَىٰ الْقَوْلِ الَّذِي سَبَقَ.

وَيُلَاحَظُ أَيْضًا أَنَّ مَوْطِنَ النِّزَاعِ هَاهُنَا لَيْسَ هُوَ الْمَذْكُورَ، فَمَوْطِنُ النِّزَاعِ هَاهُنَا فِي هَذَا الْكِتَابِ هُوَ أَنَّهُ لَوْ وَقَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَىٰ مَحْوِهِ، هَذَا لَيْسَ بِمَوْطِنِ النِّزَاعِ مَوْطِنُ النِّزَاعِ فِيهِ هَلْ يَقَعُ هَذَا أَوْ لَا يَقَعُ أَصْلًا؟

هَلْ يَجُوزُ أَنْ يَقَعَ هَذَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَوْ لَا يَجُوزُ؟

هَذَا مَوْطِنُ النِّزَاعِ..

أَمَّا أَنْ نَقُولَ إِنَّهُ وَقَعَ، فَمَاذَا تَسْتَنْكِرُونَ؟

مَا دَامَ قَدْ وَقَعَ فاللهُ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَمْحُوَهُ، ثُمَّ نَأْتِي بِالْآيَاتِ وَالنُّصُوصِ فَهَذَا خُرُوجٌ عَنْ مَحَلِّ النِّزَاعِ، وَلَابُدَّ مِنْ تَحْرِيرِ مَحَلِّ النِّزَاعِ أَوَّلًا -كَمَا سَبَقَ-.

*** فَالْخُلَاصَةُ قِصَّةُ الْغَرَانِيقِ بَاطِلَةٌ مِنْ وَجْهَيْنِ:**

لِثُبُوتِهَا بِأَخْبَارٍ ضَعِيفَةٍ وَمَرَاسِيلَ لَا تَقُومُ بِهَا الْحُجَّةُ.

وَلِاضْطِرَابِ الرِّوَايَاتِ وَنَكَارَتِهَا وَتَعَارُضِهَا مَعَ أَحْكَامٍ تَتَعَلَّقُ بِالْعَقِيدَةِ، وَهَذَا مَا عَلَيْهِ جُمْهُورُ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ.

هَاهُنَا نَصٌّ قَدْ يُعَدُّ كَافِيًا فِي تَفْنِيدِ هَذِهِ الْقِصَّةِ، وَهُوَ لِلشَّيْخِ أَبِي شَهْبَةَ فِي كِتَابِهِ عَنِ السِّيرَةِ؛ حَيْثُ قَالَ: «وَإِنِّي لَأُجِيبُ عَلَىٰ مَا ذَكَرَهُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «الْفَتْحِ»، وَتَابَعَهُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ بِمَا يَلِي: أَنَّ جُمْهُورَ الْمُحَدِّثِينَ لَمْ يَحْتَجُّوا بِالْمُرْسَلِ

وَجَعَلُوهُ مِنْ قِسْمِ الضَّعِيفِ، وَذَكَرَ مَا قَرَّرَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مُقَدِّمَةِ «الصَّحِيحِ»، وَكَذَا مَا ذَكَرَهُ الْحَافِظُ ابْنُ الصَّلَاحِ فِي «مُقَدِّمَتِهِ».

وَأَيْضًا يَقُولُ: هَذَا التَّأْوِيلِ الَّذِي ارْتَضَاهُ الْحَافِظُ وَغَيْرُهُ مِمَّنْ تَابَعَهُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا مَا أَضْعَفَهُ عِنْدَ النَّظَرِ وَالتَّأَمُّلِ، فَهُوَ يُوقِعُ الْقَائِلَ بِهِ فِيمَا فَرَّ مِنْهُ، وَهُوَ تَسَلُّطُ الشَّيْطَانِ عَلَىٰ النَّبِيِّ؛ فَالتَّسَلُّطُ عَلَيْهِ بِالْمُحَاكَاةِ كَالتَّسَلُّطِ عَلَيْهِ بِالْإِجْرَاءِ عَلَىٰ لِسَانِهِ كِلَاهُمَا لَا يَجُوزُ، وَهَذا فَتْحُ بَابٍ خَطِرٍ عَلَىٰ الرِّسَالَاتِ الْإِلَهِيَّةِ، وَلَوْ سَلَّمْنَا أَنَّ الشَّيْطَانَ هُوَ الَّذِي نَطَقَ بِهَذَا الْمُنْكَرِ مِنَ الْقَوْلِ فِي أَثْنَاءِ سُكُوتِ النَّبِيِّ، فَكَيْفَ لَمْ يَسْمَعْ مَا حَاكَاهُ الشَّيْطَانُ؟

وَإِذَا كَانَ سَمِعَهُ فَلِمَ لَمْ يُبَادِرْ إِلَىٰ الْإِنْكَارِ، وَالْبَيَانِ فِي مِثْلِ هَذَا وَاجِبٌ عَلَىٰ الْفَوْرِ؟!

إِلَىٰ أَنْ خَلُصَ إِلَىٰ أَنَّ نَسْجَ الْقِصَّةِ مَهْمَا تَأَوَّلَ فِيهِ الْمُتَأَوِّلُونَ، وَحَاوَلُوا إِثْبَاتَ أَنَّ لَهَا أَصْلًا فَهُوَ نَسْجٌ مُتَهَلْهِلُ مُتَدَاعٍ لَا يَثْبُتُ أَمَامَ النَّقْدِ الْعِلْمِيِّ الصَّحِيحِ، وَفَتْحُ هَذَا الْبَابِ يُؤَدِّي إِلَىٰ ذَهَابِ الثِّقَةِ بِالْأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ وَجَدَ الْمَارِقُونَ سَبِيلًا لِلتَّشْكِيكِ فِي الْأَدْيَانِ».

◉◉◉

www.menhag-un.com

بَيَانُ نُزُولِ سُورَةِ النَّجْمِ

وَوَجْهٌ آخَرُ لِفَسَادِ هَذِهِ الْقِصَّةِ: هُوَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذَمَّ الْأَصْنَامَ فِي سُورَةِ النَّجْمِ، وَأَنْكَرَ عَلَىٰ عَابِدِيهَا، وَجَعَلَهَا أَسْمَاءً لَا مُسَمًّىٰ لَهَا، وَأَنَّ التَّمَسُّكَ بِعِبَادَتِهَا أَوْهَامٌ وَظُنُونٌ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩-٢٢].

فَقَدْ جَاءَتِ الْآيَاتُ عَلَىٰ هَذا الْأُسْلُوبِ الْإِنْكَارِيِّ وَالتَّوْبِيخِيِّ التَّهَكُّمِيِّ بِالْأَصْنَامِ وَعَابِدِيهَا، وَقَالَ بَعْدَ الْمَوْضِعِ الَّذِي زَعَمُوا أَنَّهُ ذُكِرَتْ فِيهِ الْفِرْيَةُ: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٣].

فَلَوْ أَنَّ الْقِصَّةَ صَحِيحَةٌ لَمَا كَانَ هُنَاكَ تَنَاسُبٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا، وَلَكَانَ النَّظْمُ مُفَكَّكًا، وَكَانَ الْكَلَامُ مُتَنَاقِضًا، وَكَيْفَ يَطْمَئِنُّ إِلَىٰ هَذَا التَّنَاقُضِ السَّامِعُونَ وَهُمْ أَهْلُ اللِّسَنِ وَالْفَصَاحَةِ، وَأَصْحَابُ عُقُولٍ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهَا مِثْلُ هَذَا لَا سِيَّمَا أَعْدَاؤُهُ الَّذِينَ يَتَلَمَّسُونَ لَهُ الْعَثَرَاتِ وَالزَّلَّاتِ.

فَلَوْ أَنَّ مَا رُوِيَ كَانَ وَاقِعًا لَشَغَبَ عَلَيْهِ الْمُعَادُونَ لَهُ، وَلَارْتَدَّ الضُّعَفَاءُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَثَارَتْ ثَائِرَةُ مَكَّةَ، وَلَاتَّخَذَ مِنْهُ الْيَهُودُ بَعْدَ الْهِجْرَةِ مُتَّكِئًا يَسْتَنِدُونَ إِلَيْهِ فِي الطَّعْنِ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، وَالتَّشْكِيكِ فِي عِصْمَتِهِ، وَلَكِنَّ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ.

وَوَجْهٌ آخَرُ: هُوَ أَنَّ بَعْضَ الرِّوَايَاتِ ذَكَرَتْ أَنَّ فِيهَا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٣-٧٤].

وَهَاتَانِ الْآيَتَانِ تَرُدَّانِ الْخَبَرَ الَّذِي رَوَوْهُ؛ لِأَنَّ اللهَ ذَكَرَ أَنَّهُمْ كَادُوا يَفْتِنُونَهُ، وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتَهُ لَكَادَ أَنْ يَرْكَنَ إِلَيْهِمْ، وَكَمَا هُوَ مَعْلُومٌ أَنَّ هَذِهِ الْأَدَاةَ إِنَّمَا هِيَ امْتِنَاعٌ لِوُجُودٍ ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٤].

فَلَمَّا وُجِدَ التَّثْبِيتُ امْتَنَعَتْ كَيْدُودَةُ الرُّكُونِ الْمُقَلَّلَةِ؛لِأَنَّ الَّذِي هُنَا فِي الْآيَةِ هُوَ كَيْدُودَةُ الرُّكُونِ وَقَدْ ذُكِرَتْ مُقَيَّدَةً ﴿لَقَدْ كِدتَّ﴾ هَذِهِ هِيَ الْكَيْدُودَةُ ﴿تَرْكَنُ ﴾ هَذَا هُوَ الرُّكُونُ إِلَيْهِمْ ﴿شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾ فهَذَا مَنْفِيٌّ لَمْ يَقَعْ مِنْهُ شَيْءٌ لِوُجُودِ التَّثْبِيتِ؛ لِأَنَّ «لَوْلَا» تُثْبِتُ الِامْتِنَاعَ لِلْوُجُودِ، فَلَمَّا وُجِدَ الْإِثْبَاتُ هَاهُنَا وَالتَّثْبِيتُ امْتَنَعَ هَذَا الَّذِي هُوَ مَذْكُورٌ فِي الْآيَةِ مِنْ كَيْدُودَةِ الرُّكُونِ الْمُقَلَّلَةِ وَحَاشَاهُ ﷺ.

إِذَنْ؛ لَمْ يَحْدُثْ مِنْ هَذَا شَيْءٌ فَالْآيَةُ الَّتِي أَتَوْا بِهَا وَقَالُوا إِنَّها تُثْبِتُ ذَلِكَ وَنَزَلَتْ فِيهِ، هِيَ تَدُلُّ عَلَىٰ كَذِبِهِمْ وَاخْتِلَاقِهِمْ وَافْتِرَائِهِمْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

هَذَا مَا ذَكَرَهُ الْعُلَمَاءُ -رَحِمَهُمُ اللهُ- فِي التَّعَامُلِ مَعَ هَذِهِ الْقِصَّةِ.

◉ ◉ ◉

www.menhag-un.com

النَّقْدُ التَّارِيخِيِّ لِقِصَّةِ الْغَرَانِيقِ

هُنَاكَ وَجْهٌ آخَرُ وَهُوَ النَّظَرُ التَّارِيخِيُّ، وَيُعَدُّ النَّقْدُ التَّارِيخِيُّ مِنْ أَدَقِّ الْكَوَاشِفِ الَّتِي وَضَعَهَا الْعُلَمَاءُ لِبَيَانِ الْأَحَادِيثِ الْمَوْضُوعَةِ، ذَلِكَ أَنَّهُ يَعْتَمِدُ -يَعْنِي النَّقْدَ التَّارِيخِيَّ- يَعْتَمِدُ عَلَىٰ أَمْرٍ غَيْرِ قَابِلٍ لِلْمُنَاقَشَةِ.

قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَمَّا اسْتَعْمَلَ الرُّوَاةُ الْكَذِبَ، اسْتَعْمَلْنَا لَهُمُ التَّارِيخَ».

مِنَ الْأَمْثِلَةِ عَلَىٰ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الْخَطِيبُ فِي «الْكِفَايَةِ» عَنْ عُفَيْرِ بْنِ مَعْدَانَ قَالَ: «قَدِمَ عَلَيْنَا عَمْرُو بْنُ مُوسَىٰ حِمْصَ، فَاجْتَمَعْنَا إِلَيْهِ فِي الْمَسْجِدِ فَجَعَلَ يَقُولُ: حَدَّثَنَا شَيْخُكُمْ الصَّالِحُ فَلَمَّا أَكْثَرَ قُلْتُ لَهُ: مَنْ شَيْخُنَا هَذَا الصَّالِحُ؟ سَمِّهِ لَنَا نَعْرِفْهُ. قَالَ: خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ، قُلْتُ لَهُ: فِي أَيِّ سَنَةٍ لَقِيتَهُ؟ قَالَ: لَقِيتُهُ سَنَةَ ثَمَانٍ وَمِئَةٍ. قُلْتُ: فَأَيْنَ لَقِيتَهُ؟ قَالَ: لَقِيتُهُ فِي غَزَاةِ أَرْمِينِيَّةَ -أَيْ فِي غَزْوَةِ أَرْمِينِيَّةَ- فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ قُلْتُ لَهُ: اتَّقِ اللهَ يَا شَيْخُ وَلَا تَكْذِبْ، مَاتَ خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَمِئَةٍ، وَأَنْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ لَقِيتَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ بِأَرْبَعِ سِنِينَ، وَأَزِيدُكَ أُخْرَىٰ إِنَّهُ لَمْ يَغْزُ أَرْمِينِيَّةَ قَطُّ. كَانَ يَغْزُو الرُّومَ.

وَمِنَ الْأَمْثِلَةِ عَلَىٰ ذَلِكَ أَيْضًا مَا ذَكَرَهُ الذَّهَبِيُّ مِنْ أَنَّ سُهَيْلَ بْنَ ذَكْوَانَ قَالَ: «لَقِيتُ عَائِشَةَ بِوَاسِطَ، قَالَ الذَّهَبِيُّ فِي التَّعْلِيقِ عَلَىٰ هَذِهِ الْكِذْبَةِ: وَهَكَذَا يَكُونُ الْكَذِبُ! فَقَدْ مَاتَتْ عَائِشَةُ قَبْلَ أَنْ يَخُطَّ الْحَجَّاجَ مَدِينَةَ وَاسِطٍ بِدَهْرٍ».

مِثَالٌ ثَالِثٌ ذَكَرَهُ السُّيُوطِيُّ فِي قَوْلِهِ: مِنْ فَوَائِدِ التَّارِيخِ وَاقِعَةُ رَئِيسِ الرُّؤَسَاءِ مَعَ الْيَهُودِيِّ الَّذِي أَظْهَرَ كِتَابًا فِيهِ -أَيْ فِي الْكِتَابِ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَمَرَ بِإِسْقَاطِ الْجِزْيَةِ عَنْ أَهْلِ خَيْبَرَ، وَفِيهِ شَهَادَةُ الصَّحَابَةِ -يَعْنِي عَلَىٰ كِتَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَحُمِلَ الْكِتَابُ إِلَىٰ رَئِيسِ الرُّؤَسَاءِ، فَعَرَضَهُ عَلَىٰ الْحَافِظِ أَبِي بَكْرٍ الْخَطِيبُ، فَتَأَمَّلَهُ وَقَالَ: مُزَوَّرٌ!!

فَقِيلَ لَهُ: مِنْ أَيْنَ لَكَ ذَلِكَ؟ قَالَ: فِيهِ شَهَادَةُ مُعَاوِيَةَ وَهُوَ أَسْلَمَ عَامَ الْفَتْحِ، وَفُتُوحِ خَيْبَرَ سَنَةَ سَبْعٍ، وَفِيهِ شَهَادَةُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَمَاتَ سَعْدٌ يَوْمَ قُرَيْظَةَ قَبْلَ خَيْبَرَ بِسَنَتَيْنِ».

فَتِلْكَ أَمْثِلَةٌ عَلَىٰ النَّقْدِ اعْتِمَادًا عَلَىٰ التَّارِيخِ تُبَيِّنُ قُوَّةَ الْحُجَجِ الَّتِي تَعْتَمِدُ عَلَيْهِ، ذَلِكَ أَنَّهَا تَعْتَمِدُ عَلَىٰ لُغَةِ الْأَرْقَامِ، وَهِيَ لُغَةٌ دَقِيقَةٌ حَاسِمَةٌ.

قِصَّةُ الْغَرَانِيقِ وَفْقًا لِلْمُلَخَّصِ الَّذِي مَرَّ ذِكْرُهُ وَقَعَتْ أَحْدَاثُهَا جَمِيعًا خِلَالَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ هِيَ رَجَبٌ وَشَعْبَانُ وَرَمَضَانُ وَشَوَّالٌ مِنَ السَّنَةِ الْخَامِسَةِ لِلنُّبُوَّةِ، فَقَدْ ذَهَبَ الْمُهَاجِرُونَ فِي شَهْرِ رَجَبٍ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ، ثُمَّ حَدَثَتْ فِي غِيَابِهِمْ قِرَاءَةُ سُورَةِ النَّجْمِ، ثُمَّ رَجَعُوا بِنَاءً عَلَىٰ ذَلِكَ فِي شَهْرِ شَوَّالٍ بَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ آيَةُ سُورَةِ الْحَجِّ تَسْلِيَةً لِلرَّسُولِ ﷺ فَهَلْ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ -يَعْنِي مِنْ حَيْثُ التَّارِيخُ-؟

لِبَيَانِ ذَلِكَ لَابُدَّ مِنَ اسْتِعْرَاضٍ دَقِيقٍ لِحَادِثَةِ هِجْرَةِ الْحَبَشَةِ وَمَا تَبِعَهَا، وَالْعَنَاصِرُ الَّتِي تُكَوِّنُ الْقِصَّةَ وَالَّتِي يُحْتَاجُ إِلَىٰ فَحْصِهَا هِيَ:

الْهِجْرَةُ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ، وَتَحْدِيدُ التَّوَارِيخِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِهَا.

بِيَانُ التَّارِيخِ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ سُورَةُ النَّجْمِ.

بِيَانُ التَّارِيخِ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ آيَةُ الْحَجِّ، وَبَيَانُ تَفْسِيرِهَا.

فَهَذِهِ هِيَ الْعَنَاصِرُ الَّتِي تُكَوِّنُ هَذِهِ الْقِصَّةَ -أَعْنِي قِصَّةَ الْغَرَانِيقِ-، وَهِيَ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَىٰ الْفَحْصِ التَّارِيخِيِّ.

الْهِجْرَةُ الْأُولَىٰ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ:

مِنَ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ هَاجَرُوا إِلَىٰ الْحَبَشِة مَرَّتَيْنِ، وَكَانَتْ الْهِجْرَةُ الْأُولَىٰ عِنْدَمَا اشْتَدَّ الْبَلَاءُ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَىٰ أَرْضِ الْحَبَشَةِ فَإِنَّ بِهَا مَلِكًا لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ، وَهِيَ أَرْضُ صِدْقٍ حَتَّىٰ يَجْعَلَ اللهُ لَكُمْ فَرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ**».

وَخَرَجَ عِنْدَ ذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ أَرْضِ الْحَبَشَةِ مَخَافَةَ الْفِتْنَةِ، وَفِرَارًا إِلَىٰ اللهِ بِدِينِهِمْ فَكَانَتْ أَوَّلَ هِجْرَةٍ فِي الْإِسْلَامِ، وَالْمُهَاجِرُونَ هُمْ:

عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ وَمَعَهُ امْرَأَتُهُ رُقَيَّةُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، -وَمَعْرِفَتُهُمْ وَعَدُّهُمْ مُفِيدٌ فِي تَحْدِيدِ التَّارِيخِ-، عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَامْرَأَتُهُ رُقَيَّةُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَبُو حُذَيْفَةَ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَمَعَهُ امْرَأَتُهُ سَهْلَةُ بِنْتُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو، الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ وَمَعَهُ

امْرَأَتُهُ أُمُّ سَلَمَةَ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ، عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ وَمَعَهُ امْرَأَتُهُ لَيْلَىٰ بِنْتُ أَبِي حَثْمَةَ، أَبُو سَبْرَةَ بْنُ أَبِي رُهْمٍ، وَسُهَيْلُ بْنُ بَيْضَاءَ؛ وَكَانَ خُرُوجُهُمْ فِي شَهْرِ رَجَبٍ مِنَ السَّنَةِ الْخَامِسَةِ لِلْبِعْثَةِ.

وَقَدْ حَاوَلَتْ قُرَيْشٌ اسْتِرْجَاعَهُمْ فَفَاتُوهَا، وَلَمْ تَعْدِمْ قُرَيْشٌ الْحِيلَةَ فَوَصَلَ خَبَرٌ إِلَىٰ الْمُهَاجِرِينَ مَفَادُهُ أَنَّ هُدْنَةً قَامَتْ بَيْنَ قُرَيْشٍ وَبَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ فَعَادُوا إِلَىٰ مَكَّةَ، وَتَبَيَّنَ لَهُمْ كَذِبُ الْخَبَرِ فَلَمْ يَدْخُلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا بِجِوَارٍ، وَكَانَ رُجُوعُهُمْ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ خَمْسٍ مِنَ الْبِعْثَةِ، فَهَاجَرُوا فِي رَجَبٍ مِنَ السَّنَةِ الْخَامِسَةِ مِنَ الْبِعْثَةِ ورَجَعُوا فِي شَوَّالٍ سَنَةَ خَمْسٍ مِنَ الْبِعْثَةِ.

◉ ◉ ◉

www.menhag-un.com

الْهِجْرَةُ الثَّانِيَةُ:

اشْتَدَّ الْبَلَاءُ مَرَّةً أُخْرَىٰ أَكْثَرَ مِنْ ذِي قَبْلُ؛ فَأَذِنَ الرَّسُولُ ﷺ بِالْخُرُوجِ مَرَّةً ثَانِيَةً، وَكَانَ عَدَدُ مَنْ خَرَجَ هَذِهِ الْمَرَّةَ ثَلَاثَةٌ وَثَمَانِينَ رَجُلًا، وَمِنَ النِّسَاءِ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ امْرَأَةً، وَاسْتَمَرَّتْ إِقَامَتُهُمْ حَتَّىٰ سَمِعُوا بِمُهَاجَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ؛ فَرَجَعَ مِنْهُمْ ثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ رَجُلًا إِلَىٰ مَكَّةَ، وَمِنَ النِّسَاءِ ثَمَانِي نِسْوَةٍ؛ فَمَاتَ مِنْهُمْ رَجُلَانِ بِمَكَّةَ، وحُبِسَ بِهَا سَبْعَةُ نَفَرٍ، وَشَهِدَ بَدْرًا مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ.

أَمَّا بَقِيَّةُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ وَمَعَهُمْ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَدْ ظَلُّوا مُقِيمِينَ فِي الْحَبَشَةِ إِلَىٰ الْعَامِ السَّابِعِ مِنَ الْهِجْرَةِ عِنْدَمَا طَلَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَوْدَتَهُمْ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، فَوَصَلُوا إِلَيْهَا بَعْدَ غَزْوَةِ خَيْبَرَ.

ذَلِكَ مُجْمَلُ أَحْدَاثِ الْهِجْرَتَيْنِ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ.

وَيُتَوَقَّفُ هُنَا عِنْدَ النِّقَاطِ ذَاتِ الْعَلَاقَةِ بِالْمَوْضُوعِ وَهِيَ:

تَارِيخُ ذَهَابِ الْمُهَاجِرِينَ فِي الْهِجْرَةِ الْأُولَىٰ وَتَارِيخُ عَوْدَتِهِمْ.

وَهِجْرَةُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ.

وَإِثْبَاتُ عَوْدَةِ الْفَرِيقِ الْأَوَّلِ مِنْ مُهَاجِرِي الْهِجْرَةِ الثَّانِيَةِ إِلَىٰ مَكَّةَ، وَتَحْدِيدُ تَارِيخِ هَذِهِ الْعَوْدَةِ.

أَوَّلًا:-

الْهِجْرَةُ الْأُولَىٰ: تَتَّفِقُ الرِّوَايَاتُ عَلَىٰ أَنَّ ذَهَابَ أَصْحَابِ الْهِجْرَةِ الْأُولَىٰ كَانَ فِي شَهْرِ رَجَبٍ مِنَ السَّنَةِ الْخَامِسَةِ مِنَ الْبِعْثَةِ، وَأَنَّ عَوْدَتَهُمْ كَانَتْ فِي شَهْرِ شَوَّالٍ مِنَ الْعَامِ نَفْسِهِ هَذَا مَا تَتَّفِقُ عَلَيْهِ الرِّوَايَاتُ.

ثَانِيًا:-

هِجْرَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ لَمْ يَذْكُرْ -لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي رَوَىٰ كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ الْحَدِيثَ فِي سُجُودِ الْمُشْرِكِينَ عِنْدَ سَمَاعِ التِّلَاوَةِ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؛ هِجْرَةَ ابْنِ مَسْعُودٍ: لَمْ يَذْكُرِ ابْنُ إِسْحَاقَ ابْنَ مَسْعُودٍ فِي عِدَادِ الْمُهَاجِرِينَ فِي الْهِجْرَةِ الْأُولَىٰ بَيْنَمَا ذَكَرَهُ ابْنُ سَعْدٍ مَعَهُمْ، وَرِوَايَةُ ابْنِ سَعْدٍ مُعَارَضَةٌ بِأُمُورٍ: جَزَمُ ابْنُ إِسْحَاقَ أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ لَمْ يَكُنْ فِي الْأُولَىٰ وَإِنَّمَا كَانَ فِي الثَّانِيَةِ.

هُنَاكَ عَدَدٌ مِنَ الرِّوَايَاتِ تَدُلُّ عَلَىٰ شُهُودِ ابْنِ مَسْعُودٍ حَادِثَةَ إِسْلَامِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَكَانَ إِسْلَامُهُ -أَيْ: إِسْلَامُ عُمَرَ- كَانَ بَعْدَ هِجْرَةِ الْمُهَاجِرِينَ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَىٰ، فَأَسْلَمَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَأَسْلَمَ حَمْزَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ: «مَازِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ».

وَقَالَ أَيْضًا: «مَا اسْتَطَعْنَا أَنْ نُصَلِّي حَوْلَ الْبَيْتِ ظَاهِرِينَ حَتَّىٰ أَسْلَمَ عُمَرُ».

www.menhag-un.com

فَلَيْسَ مَعْقُولًا أَنْ يَكُونَ ابْنُ مَسْعُودٍ مُهَاجِرًا، ثُمَّ يَشْهَدُ إِسْلَامَ عُمَرَ، وَيُصَرِّحُ بِمَا رَأَىٰ مِنْ عِزِّ الْمُسْلِمِينَ إِثْرَ ذَلِكَ، وَمِنَ اسْتِعْلَانِهِمْ وَظُهُورِهِمْ بِالصَّلَاةِ حَوْلَ الْبَيْتِ ظَاهِرِينَ وَذَلِكَ لَمْ يَقَعْ إِلَّا بَعْدَ إِسْلَامِ عُمَرَ.

كَانَتْ الْهِجْرَةُ -هِجْرَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ- مَعَ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَذَلِكَ وَقَعَ فِي الْهِجْرَةِ الثَّانِيَةِ كَمَا فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: «بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ النَّجَاشِيِّ وَنَحْنُ نَحْوًا مِنْ ثَمَانِينَ رَجُلًا فِيهِمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَجَعْفَرٌ».

مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّهُ لَا يَضِيرُ الْبَحْثُ أَنْ يَكُونَ ابْنُ مَسْعُودٍ فِي الْهِجْرَةِ الْأُولَىٰ أَوْ لَا يَكُونُ، فَقَدْ أَوْرَدَ ابْنُ سَعْدٍ فِي طَبَقَاتِهِ رِوَايَةً عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ وَمُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ بِأَنَّهُ هَاجَرَ إِلَىٰ أَرْضِ الْحَبَشَةِ الْهِجْرَتَيْنِ جَمِيعًا.

ثَالِثًا:-

رُجُوعُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَىٰ مَكَّةَ: إِذَنْ كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ غَيْرَ شَاهِدٍ -كَمَا هُوَ الْمَعْلُومَ- بَلْ كَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَوْجُودًا -كَمَا مَرَّ- لَمْ يُهَاجِرِ الْهِجْرَةَ الْأُولَىٰ مَعَ أَنَّهُ لَا يَضِيرُ -كَمَا سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ- إِنْ كَانَ فِي الْأُولَىٰ وَالثَّانِيَةِ جَمِيعًا.

رُجُوعُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَىٰ مَكَّةَ:

مَرَّ أَنَّ مُهَاجِرِي الْهِجْرَةِ الثَّانِيَةِ عَادَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ إِلَىٰ مَكَّةَ عِنْدَمَا سَمِعَ بِمُهَاجَرِ النَّبِيِّ ﷺ، وَتَأَخُّرِ الْفَرِيقِ الثَّانِي حَتَّىٰ كَانَتْ عَوْدَتُهُ بِأَمْرٍ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ فِي الْعَامِ السَّابِعِ مِنَ الْهِجْرَةِ.

فَالْبَحْثُ فِي حَاجَةٍ إِلَىٰ أَمْرَيْنِ هُمَا:

إِثْبَاتُ عَوْدَتِهِمْ إِلَىٰ مَكَّةَ.

وَبَيَانُ الزَّمَنِ الَّذِي رَجَعُوا فِيهِ.

الْأَمْرُ الْأَوَّلُ: الْأَدِلَّةُ عَلَىٰ رُجُوعِ هَذَا الْفَرِيقِ إِلَىٰ مَكَّةَ كَثِيرَةٌ، وَلَيْسَ الْبَحْثُ فِي حَاجَةٍ إِلَيْهَا لَوْلَا الْإِشْكَالُ الَّذِي طَرَحَهُ كُلٌّ مِنَ ابْنِ الْقَيِّمِ وَابْنِ حَجَرٍ فِي هَذَا الشَّأْنِ.

طَرَحَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ هَذَا الْإِشْكَالَ فِي كِتَابِهِ «زَادِ الْمَعَادِ» فَقَرَّرَ وُجُودَ هِجْرَتَيْنِ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ، وَأَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ كَانَ وَاحِدًا مِنْ أَصْحَابِ الْهِجْرَةِ الْأُولَىٰ الَّذِينَ عَادُوا إِلَىٰ مَكَّةَ عَلَىٰ إِثْرِ سَمَاعِهِمْ بِإِسْلَامِ أَهْلِهَا، وَأَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ عَادَ مَعَهُمْ.

ثُمَّ كَانَتْ الْهِجْرَةُ الثَّانِيَةُ، وَأَصْحَابُ هَذِهِ الْهِجْرَةِ لَمْ يَعُودُوا إِلَّا فِي الْعَامِ السَّابِعِ مِنَ الْهِجْرَةِ حَيْثُ عَادُوا مَعَ جعفرٍ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ -يَعْنِي لَمْ يَرْجِعُوا إِلَىٰ مَكَّةَ-، ثُمَّ قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ مُتَسَائِلًا: «وَلَمْ يَذْكُرْ أَحَدٌ قُدُومَ مُهَاجِرِي الْحَبَشَةِ إِلَّا بِالْقَدْمَةِ الْأُولَىٰ إِلَىٰ مَكَّةَ، وَالثَّانِيَةِ عَامَ خَيْبَرَ مَعَ جَعْفَرٍ».

فَمَتَىٰ قَدِمَ ابْنُ مَسْعُودٍ فِي غَيْرِ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، وَمَعَ مَنْ؟

وَبِمَا أَنَّ بَعْضَ الْمُهَاجِرِينَ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ حَضَرُوا غَزْوَةَ بَدْرٍ مِنْ أَمْثَالِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ وَعَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، فَإِنَّ ابْنَ الْقَيِّمِ يَقُولُ: «فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ هَذَا

وَهْمًا -يُرِيدُ حُضُورَهُمْ بَدْرًا-، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ قَدْمَةٌ أُخْرَىٰ قَبْلَ بَدْرٍ فَيَكُونُ لَهُمْ ثَلَاثُ قَدْمَاتٍ؛ قَدْمَةٌ قَبْلَ الْهِجْرَةِ، وَقَدْمَةٌ بَعْدَ بَدْرٍ، وَقَدْمَةٌ عَامَ خَيْبَرَ».

هَذَا مُلَخَّصُ مَا جَاءَ فِي إِشْكَالِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَفِي الْأَدِلَّةِ الَّتِي تَأْتِي مَا يُزِيلُ هَذَا الْإِشْكَالُ -إِنْ شَاءَ اللهُ-.

مِنْ هَذِهِ الْأَدِلَّةِ:

اتِّفَاقُ رِوَايَتَيِ ابْنِ إِسْحَاقَ وَابْنِ سَعْدٍ عَلَىٰ النَّصِّ التَّالِي: «إِنَّ الْمُسْلِمِينَ بِالْحَبَشَةِ لَمَّا سَمِعُوا بِمُهَاجَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ رَجَعَ مِنْهُمْ إِلَىٰ مَكَّةَ ثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ رَجُلًا، فَمَاتَ مِنْهُمْ رَجُلانِ بِمَكَّةَ، وَحُبِسَ مِنْهُمْ سَبْعَةٌ، وَشَهِدَ مِنْهُمْ بَدْرًا أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ».

يَعْنِي رَجَعُوا لَمَّا سَمِعُوا أَنَّ النَّبِيَّ سَيُهَاجِرُ ﷺ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ رَجَعُوا إِلَىٰ مَكَّةَ، هَؤُلَاءِ الَّذِينَ رَجَعُوا كَانُوا ثَلَاثَةً وَثَلَاثِينَ مِنْ نَيِّفٍ وَثَمَانِينَ، مَاتَ مِنْهُمْ رَجُلَانِ بِمَكَّةَ، وَحُبِسَ مِنْهُمْ سَبْعَةٌ فَلَمْ يُمَكَّنُوا مِنَ الْهِجْرَةِ إِلَىٰ مَدِينَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَهَاجَرَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ فَشَهِدُوا بَدْرًا.

لَمَّا عَدَّ ابْنُ هِشَامٍ الْعَائِدِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ الثَّانِيَةِ ذَكَرَ عَبْدَ اللهِ بْنَ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو، وَقَالَ: «وَكَانَ حُبِسَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ هَاجَرَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ».

فَهَذَا يَدُلُّ صَرَاحَةً عَلَىٰ رُجُوعِهِمْ إِلَىٰ مَكَّةَ -كَمَا فِي رِوَايَةِ ابْنِ إِسْحَاقَ نَصًّا، وَبِدَلَالَةِ السِّيَاقِ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ سَعْدٍ- فَلَوْ كَانَ رُجُوعُهُمْ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ مُبَاشَرَةً لَمَا

مَاتَ مِنْهُمْ مَنْ مَاتَ بِمَكَّةَ، وَلَمَّا حُبِسَ مِنْهُمْ فِيهَا مَنْ حُبِسَ، وَإِلَّا فَمَا الَّذِي جَاءَ بِمَنْ حُبِسَ؟ ومَا الَّذِي جَاءَ بِمَنْ مَاتَ فَدُفِنَ بِمَكَّةَ وَهُمْ لَمْ يَرْجِعُوا إِلَىٰ مَكَّةَ أَصْلًا، وَإِنَّمَا رَجَعُوا مِنَ الْحَبَشَةِ إِلَىٰ مْدَينةَ النَّبِيِّ ﷺ؟

هَلْ حُملُوا مِنْ مَدِينَةِ النَّبِيِّ ﷺ -مَنْ مَاتَ وَمَنْ حُبِسَ- حَتَّىٰ كَانَ بِمَكَّةَ بَعْدَ ذَلِكَ؟

مِمَّا يُؤَكِّدُ رُجُوعَهُمْ إِلَىٰ مَكَّةَ حَدِيثُ أُمِّ سَلَمَةَ عِنْدَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، الَّذِي تَتَحَدَّثُ فِيهِ تَفْصِيلًا عَنِ الْهِجْرَةِ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ، وَفِيهِ مُقَابَلَةُ جَعْفَرٍ لِلنَّجَاشِيِّ، وَالْأَمْرُ الَّذِي يُبَيِّنُ أَنَّهَا كَانَتْ تَتَحَدَّثُ عَنِ الْهِجْرَةِ الثَّانِيَةِ وَفِي آخِرِه تَقُولُ: «فَكُنَّا عِنْدَهُ -أَيِ النَّجَاشِيِّ- فِي خَيْرِ مَنْزِلٍ حَتَّىٰ قَدِمْنَا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ بِمَكَّةَ».

فَهَكَذَا صَرَّحَتْ بِأَنَّ الرُّجُوعَ كَانَ إِلَىٰ مَكَّةَ؛ خَبَرُ هِجْرَةِ أَبِي سَلَمَةَ وَأُمِّ سَلَمَةَ مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، وَمَا حَصَلَ مِنْ حَبْسِ أُمِّ سَلَمَةَ مِنْ قِبَلِ أَهْلِهَا، وَانْتِزَاعِ وَلَدِهَا مِنْهَا مِنْ قِبَلِ أَهْلِ زَوْجِهَا، وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ الْعَوْدَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْحَبَشَةِ، وَلَوْ كَانَتْ عَوْدَتُهُمْ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ مُبَاشَرَةً فَكَيْفَ يَحْصُلُ هَذَا؟

لِأَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ قَدْ ذَكَرَتْ قِصَّةَ هِجْرَتِهَا، وَلَمْ تَقَعْ هَذِهِ الْهِجْرَةُ إِلَّا بَعْدَ هِجْرَةِ زَوْجِهَا بِعَامٍ كَامِلٍ، فَقَدْ حَبَسَهَا أَهْلُ زَوْجِهَا يُرِيدُونَ أَخْذَ سَلَمَةَ مِنْهَا فَيَقُولُونَ: هُوَ ابْنُنَا حَتَّىٰ رَقَّتْ قُلُوبُهُمْ فَتَرَكُوهَا -عَلَىٰ مَا سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي بَيَانِ قِصَّةِ هِجْرَتِهَا-.

إِذَنْ؛ رَجَعَتْ هِيَ وَزَوْجُهَا مِنَ الْهِجْرَةِ الثَّانِيَةِ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ رَجَعُوا جَمِيعًا إِلَىٰ مَكَّةَ تَمَكَّنَ أَبُو سَلَمَةَ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَبَقِيَتْ هِيَ عَامًا كَامِلًا لَا تَسْتَطِيعُ حَتَّىٰ هَاجَرَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، لَوْ كَانَتْ هَاجَرَتْ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ، وَمِنَ الْحَبَشَةِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ فَكَيْفَ وَقَعَ هَذَا بِمَكَّةَ وَهُوَ ثَابِتٌ صَحِيحٌ لَا يُمَارَىٰ فِيهِ؟

كَذَلِكَ وُجُودُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ بِمَكَّةَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ وَهُوَ أَحَدُ الْمُهَاجِرِينَ الْهِجْرَةَ الثَّانِيَةَ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ، وَذَلِكَ بِدَلَالِ رِوَايَتِهِ لِحَادِثَةِ السُّجُودِ فِي سُورَةِ النَّجْمِ، وَرِوَايَتُهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ، وَهِيَ إِنَّمَا كَانَتْ بَعْدَ عَوْدَةِ مُهَاجِرِي الْهِجْرَةِ الثَّانِيَةِ.

جَاءَ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» وَغَيْرِهِ قَوْلُ ابْنِ مَسْعُودٍ: «كُنَّا نُسَلِّمُ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ، فَيَرُدُّ عَلَيْنَا -كَانَ ذَلِكَ جَائِزًا- فَلَمَّا رَجَعْنَا مِنْ عِنْدِ النَّجَاشِيِّ سَلَّمْنَا فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْنَا، وَقَالَ: «**إِنَّ فِي الصَّلَاةِ شُغُلًا**».

فَهُوَ يَنُصُّ صَرَاحَةً أَنَّ ذَلِكَ كَانَ بَعْدَ رُجُوعِهِمْ مِنْ عِنْدِ النَّجَاشِيِّ قَالَ: «سَلَّمْنَا عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْنَا وَقَالَ بَعْدَ الصَّلَاةِ: «**إِنَّ فِي الصَّلَاةِ شُغُلًا**»».

نُزُولُ مَنْعِ الْكَلَامِ فِي الصَّلَاةِ إِنَّمَا حَدَثَ فِي وَقْتٍ مُتَأَخِّرٍ، بَعْدَ بَدْءِ إِسْلَامِ الْأَنْصَارِ أَيْ بَعْدَ الْعَامِ الْعَاشِرِ مِنَ الْبِعْثَةِ بِدَلَالَةِ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ وَهُوَ مِنَ الْأَنْصَارِ حَيْثُ قَالَ: «إِنَّا كُنَّا لَنَتَكَلَّمُ فِي الصَّلَاةِ عَلَىٰ عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ يُكَلِّمُ أَحَدُنَا

صَاحِبَهُ بِحَاجَتِهِ، حَتَّىٰ نَزَلَتْ ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ...﴾ [البقرة: ٢٣٨]. فَأُمِرْنَا بِالسُّكُوتِ» الْحَدِيثُ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ فِي «الصَّحِيحِ».

مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ مَنْعَ الْكَلَامِ فِي الصَّلَاةِ إِنَّمَا كَانَ فِي مَكَّةَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ، فَهَذِهِ الْأَدِلَّةِ فِيهَا الْكِفَايَةُ لِإِثْبَاتِ رُجُوعِ بَعْضِ مُهَاجِرِي الْهِجْرَةِ الثَّانِيَةِ إِلَىٰ مَكَّةَ.

أَمَّا حَدِيثُ عَائِشَةَ الَّذِي تَتَحَدَّثُ فِيهِ عَنْ هِجْرَةِ أَبِيهَا وَالَّذِي قَالَتْ فِيهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنِّي رَأَيْتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ -وَهُمَا الْحَرَّتَانِ- فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قِبَلَ الْمَدِينَةِ، وَرَجَعَ عَامَّةُ مَنْ كَانَ هَاجَرَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ**».

هَذَا الْحَدِيثُ وَهُوَ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ فِي الصَّحِيحِ لَمْ تَقُلْ فِيهِ: رَجَعُوا إِلَىٰ مَكَّةَ فَهُوَ مِنْ بَابِ الْاخْتِصَارِ وَالْإِجْمَالِ، وَقَدْ نَقَلَتِ الرِّوَايَاتُ الْأُخْرَىٰ بِإِيضَاحِ ذَلِكَ -كَمَا مَرَّ ذِكْرُهُ- لِهَذَا قَالَ صَاحِبُ الْفَتْحِ فِي بَيَانِ قَوْلِهَا إِلَىٰ الْمَدِينَةِ قَالَ: «رَجَعُوا إِلَىٰ مَكَّةَ، فَهَاجَرَ إِلَىٰ أَرْضِ الْمَدِينَةِ مُعْظَمُهُمْ لَا جَمِيعُهُمْ».

فَالنَّظَرُ فِيهِ وَتَوْجِيهُهُ قَدِيمٌ؛ تَحْدِيدُ تَارِيخِ الْعَوْدَةِ إِلَىٰ مَكَّةَ.

الْمُنَاقَشَةُ السَّابِقَةُ تُلْقِي الضَّوْءَ عَلَىٰ تَحْدِيدِ تَارِيخِ عَوْدَةِ مَنْ عَادَ إِلَىٰ مَكَّةَ مِنْ مُهَاجِرِي الْهِجْرَةِ الثَّانِيَةِ، فَقَدْ رَأَيْنَا فِي رِوَايَتِي ابْنِ إِسْحَاقَ وَابْنِ سَعْدٍ قَوْلَهُمَا إِنَّ الْمُسْلِمِينَ بِالْحَبَشَةِ لَمَّا سَمِعُوا بِمُهَاجَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ رَجَعَ مِنْهُمْ إِلَىٰ مَكَّةَ ثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ، وَرَأَيْنَا قَبْلَ قَلِيلٍ حَدِيثَ عَائِشَةَ عَنْ هِجْرَةِ أَبِيهَا وَفِيهِ فَقَالَ

النَّبِيُّ ﷺ لِلْمُسْلِمِينَ: «**إِنِّي رَأَيْتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ -وَهُمَا الْحَرَّتَانِ- فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قِبَلَ الْمَدِينَةِ، وَرَجَعَ عَامَّةُ مَنْ هَاجَرَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ**».

هَذَا يَعْنِي أَنَّ رُجُوعَهُمْ كَانَ بَعْدَ لِقَاءِ الرَّسُولِ ﷺ بِالْأَنْصَارِ فِي اللِّقَاءِ الْأَوَّلِ فِي السَّنَةِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ مِنَ الْبِعْثَةِ، أَوْ فِي اللِّقَاءِ الثَّانِي الَّذِي حَدَثَتْ فِيهِ بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ الْأُولَىٰ فِي الْعَامِ الثَّانِيَ عَشَرَ.

لِأَنَّ اللِّقَاءَ بِالْأَنْصَارِ وَقَعَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَقِيَ مِنْهُمْ مَنْ لَقِيَ أَوَّلًا فَحَدَّثَهُمْ عَنِ الْإِسْلَامِ وَقَارَبُوهُ، ثُمَّ عَادُوا فِي السَّنَةِ الَّتِي بَعْدَهَا فَبَايَعُوا بَيْعَةَ الْعَقَبَةِ الْأُولَىٰ، وَفِي الَّتِي بَعْدَهَا بَايَعُوا بَيْعَةَ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ -عَلَىٰ مَا سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بَيَانُهُ-؛ كَانَ اللِّقَاءُ الْأَوَّلُ بِالْأَنْصَارِ بَعْدَ حَادِثَةِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ.

*** الْخُلَاصَةُ الْمُسْتَفَادَةُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ:**

إِثْبَاتُ وُجُودِ هِجْرَتَيْنِ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ.

إِثْبَاتُ وُجُودِ رُجُوعَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ إِلَىٰ مَكَّةَ.

أَنَّ الرُّجُوعَ الْأَوَّلَ عَقِبَ الْهِجْرَةِ الْأُولَىٰ كَانَ لِجَمِيعِ الْمُهَاجِرِينَ بِسَبَبِ إِشَاعَةٍ كَاذِبَةٍ.

وَأَنَّ الرُّجُوعَ الثَّانِيَ لِبَعْضِ مُهَاجِرِي الْهِجْرَةِ الثَّانِيَةِ كَانَ عَقِبَ الْإِذْنِ بِالْهِجْرَةِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، وَأَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ كَانَ وَاحِدًا مِنْهُمْ.

بَيَانُ نُزُولِ سُورَةِ النَّجْمِ، تُعَدُّ آيَاتُ سُورَةِ النَّجْمِ قُطْبَ الرَّحَىٰ فِي قِصَّةِ الْغَرَانِيقِ، فَمِنْ خِلَالِهَا حَاوَلَ الشَّيْطَانُ إِلْقَاءَ مَا أَرَادَ -كَمَا تَقُولُ الْقِصَّةُ-؛ تَقُولُ الْقِصَّةُ: بَيْنَمَا كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَقْرَأُ سُورَةَ النَّجْمِ وَوَصَلَ إِلَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩- ٢٠] أَلْقَىٰ الشَّيْطَانُ عَلَىٰ لِسَانِهِ تِلْكَ الْغَرَانِيقُ الْعُلَا وَإِنَّ شَفَاعَتَهُنَّ لَتُرْتَجَىٰ، قَالُوا وَسَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ فِي آخِرِهَا وَسَجَدَ مَعَهُمُ الْمُشْرِكُونَ، وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِعَوْدَةِ مُهَاجِرِي الْهِجْرَةِ الْأُولَىٰ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ.

هَذَا فِيهِ خَلْطٌ لِلْبَاطِلِ بِالْحَقِّ، فَقَدْ خَلَطَ وَاضِعُو الْقِصَّةِ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ فِي إِتْقَانِ خَبِيثٍ، فَقِصَّةُ السُّجُودِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ جَاءَتْ فِي الصَّحِيحِ وَمَا عَدَا ذَلِكَ فَهُوَ كَذِبٌ وَافْتِرَاءٌ.

وَوُجُودُ الْخَبَرِ الصَّحِيحِ فِي الْقِصَّةِ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَهَا الْقَبُولَ لَدَىٰ بَعْضِهِمْ مِمَّنْ لَا يَتَثَبَّتُ فِي قَبُولِ الْأَخْبَارِ وَلَا يُمَحِّصُهَا.

مَا هُوَ تَحْدِيدُ زَمَنِ النُّزُولِ؟

الْمَطْلُوبُ هُنَا تَحْدِيدُ الزَّمَنِ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ سُورَةُ النَّجْمِ.

سُورَةُ النَّجْمِ كَمَا هُوَ وَاضِحٌ مِنْ آيَاتِهَا تُعَالِجُ قِصَّةَ الْمِعْرَاجِ كَمَا تَحَدَّثَتْ سُورَةُ الْإِسْرَاءِ عَنِ الْإِسْرَاءِ، فَقَدْ ذُكِرَ الْإِسْرَاءُ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ، وَأُشِيرَ إِلَىٰ الْمِعْرَاجِ فِي سُورَةِ النَّجْمِ، فَهِيَ تُؤَكِّدُ صِدْقَ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَقُولُ وَأَنَّ قَوْلَهُ مِنَ الْوَحْيِ، وَتُؤَكِّدُ صِدْقَهُ فِيمَا يَنْقُلُهُ مِنْ مُشَاهَدَاتِهِ.

وَمِنْهَا مَا حَصَلَ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ، وَمِنْ ذَلِكَ مُشَاهَدَتُهُ لِجِبْرِيلَ عليه السلام عَلَىٰ صُورَتِهِ الْمَلَائِكِيَّةِ الْحَقِيقِيَّةِ فَهِيَ مُؤَازِرَةٌ لِلرَّسُولِ ﷺ فِي مُوَاجَهَةِ التَّكْذِيبِ الَّذِي نَالَهُ مِنَ الْكُفَّارِ، وَهَذَا مَا يُفَسِّرُ قِرَاءَتَهَا مِنْ قِبَلِ الرَّسُولِ ﷺ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ كَانَ فِيهِ الْفَرِيقَانِ، مَا الَّذِي جَمَعَهُمْ؟

مَا الَّذِي جَمَعَ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ، وَمَا الَّذِي مَكَّنَ لِكَيْ تُتْلَىٰ هَذِهِ السُّورَةُ عَلَىٰ أَسْمَاعِ مَنْ حَضَرَ؟

انْظُرْ إِلَىٰ هَذَا الْجَانِبِ مِنَ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ كَيْ تَكُونَ الصُّورَةُ وَاضِحَةً أَمَامَنَا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾ [النجم: ١-١٨].

وَاضِحٌ مِنْ هَذَا النَّصِّ الكَرِيمِ أَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ تُؤَكِّدُ صِدْقَ الرَّسُولِ ﷺ فِيمَا يَقُولُ وَفِي وَصْفِهِ فِيمَا شَاهَدَ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ، وَمِنْ نَافِلَةِ الْقَوْلِ التَّأْكِيدُ أَنَّ نُزُولَ سُورَةِ النَّجْمِ كَانَتْ بَعْدَ حَادِثَةِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ، فَهِيَ تَعْقِيبٌ عَلَىٰ الْحَدَثِ وَتَأْكِيدٌ لَهُ كَمَا هُوَ وَاضِحٌ.

إِذَنْ لِمَعْرِفَةِ زَمَنِ نُزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ نَحْنُ بِحَاجَةٍ إِلَىٰ بَيَانِ الزَّمَنِ الَّتِي وَقَعَتْ فِيهِ الْمُعْجِزَةُ الْكُبْرَىٰ مِعْجِزَةُ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ. عَامَّةً كُتَّابُ السِّيرَةِ مُتَّفِقُونَ عَلَىٰ أَنَّهَا وَقَعَتْ بَعْدَ الْعَامِ الْعَاشِرِ مِنَ الْبِعْثَةِ؛ فَقَدْ ذَكَرَ مُوسَىٰ بْنُ عُقْبَةَ عَنِ الزُّهْرِيِّ وَعُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ الْإِسْرَاءَ كَانَ قَبْلَ خُرُوجِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ بِسَنَةٍ -أَيْ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِسَنَةٍ- وَادَّعَىٰ ابْنُ حَزْمٍ الْإِجْمَاعَ عَلَىٰ هَذَا.

وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ وَغَيْرُهُ: كَانَ بَيْنَ الْإِسْرَاءِ وَالْهِجْرَةِ سَنَةٌ وَشَهْرَانِ.

وَقَالَ السُّدِّيُّ: كَانَ الْإِسْرَاءُ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِسِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَقَالَ ابْنُ فَارِسٍ: كَانَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِسَنَةٍ وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ، وَقِيلَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ -ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَثِيرِ-.

إِذَنْ هَذِهِ الْأَقْوَالُ تَلْتَقِي عَلَىٰ أَنَّ حَادِثَةَ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ كَانَتْ بَعْدَ الْعَامِ الْعَاشِرِ مِنَ الْبِعْثَةِ -اتِّفَاقًا-، كُلُّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَىٰ أَنَّهَا إِنَّمَا وَقَعَتْ بَعْدَ الْعَامِ الْعَاشِرِ مِنَ الْبِعْثَةِ.

وَبَدَهِيٌّ أَنْ يَكُونَ نُزُولُ سُورَةِ النَّجْمِ بَعْدَ الْإِسْرَاءِ كَمَا مَرَّ، وَعَلَىٰ هَذَا فَقَدْ كَانَ نُزُولُ سُورَةِ النَّجْمِ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِسَنَةٍ أَوْ سَنَتَيْنِ، وَكَانَ نُزُولُهَا بَعْدَ عَوْدَةِ الْمُهَاجِرِينَ الْهِجْرَةَ الثَّانِيَةَ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ بِدَلَالَةِ أَنَّ حَادِثَةَ السُّجُودِ إِنَّمَا رَوَاهَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ، وَقَدْ كَانَ مُهَاجِرًا الْهِجْرَةَ الثَّانِيَةَ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ.

فَقَدْ أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ وَغَيْرُهُمَا عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: «أَوَّلُ سُورَةٍ أُنْزِلَتْ فِيهَا سَجْدَةٌ ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾، قَالَ: فَسَجَدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَسَجَدَ مَنْ خَلْفِهِ إِلَّا

رَجُلًا رَأَيْتُهُ أَخَذَ كَفًّا مِنْ تُرَابٍ فَسَجَدَ عَلَيْهِ فَرَأَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ قُتِلَ كَافِرًا وَهُوَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ». وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ أَيْضًا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فَالَّذِي يُنْظَرُ فِيهِ هُنَا أَنَّ حَدِيثَ ابْنِ مَسْعُودٍ نَصٌّ صَرِيحٌ بِحُضُورِ ابْنِ مَسْعُودٍ حَادِثَةَ تِلَاوَةِ السُّورَةِ وسَجُودِ الْحَاضِرِينَ مُسْلِمِينَ وَغَيْرَ مُسْلِمِينَ، لِأَنَّهُ هُوَ رَاوِي الْحَدِيثِ وَقَالَ إِنَّهُ رَأَىٰ أَكَّدَ ذَلِكَ بِرُؤْيَتِهِ لِذَلِكَ الَّذِي أَخَذَ حَفْنَةً مِنْ تُرَابٍ وَسَجَدَ عَلَيْهَا، فَقَدْ كَانَ حَاضِرًا لِسُجُودِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ وَعَدَمِ سُجُودِ هَذَا الَّذِي أَخَذَ حَفْنَةً مِنْ تُرَابٍ فَسَجَدَ عَلَيْهَا.

عَبْدُ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَجَعَ إِلَىٰ مَكَّةَ وَجَلَسَ فِيهَا حَتَّىٰ هَاجَرَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ.

فَالْخُلَاصَةُ:

أَنَّ سُورَةَ النَّجْمِ كَانَ نُزُولُهَا بَعْدَ السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ مِنَ الْبِعْثَةِ، وَمِنَ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ أَنَّ نُزُولَهَا كَانَ دَفْعَةً وَاحِدَةً -يَعْنِي لَمْ تَنْزِلْ مُنَجَّمَةً-، وَإِنَّمَا نَزَلَتْ سُورَةُ النَّجْمِ دَفْعَةً وَاحِدَةً.

فَالْقِصَّةُ تُصَادِمُ الْقُرْآنَ مُصَادَمَةً ظَاهِرَةً -كَمَا مَرَّ ذِكْرُ ذَلِكَ فِي كَلَامِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ كَلَامِ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الَّذِي أَوْحَاهُ إِلَىٰ نَبِيِّنَا ﷺ الَّذِي يَفْتَرُونَ عَلَيْهِ مَا يَفْتَرُونَ.

فَهُوَ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْهِ: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٣- ٤٧]. بَلْ نَفَتْ كَيْدَوُدَةَ

الرُّكُونِ إِلَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ.. نَفَتْ ذَلِكَ كُلَّهُ، فَالنَّبِيُّ ﷺ يُكَذِّبُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مَا افْتُرِيَ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْأَمْرِ.

فِي ضَوْءِ الْمُعَطَيَاتِ السَّابِقَةِ كَيْفَ تُبْطَلُ الْقِصَّةُ عَلَىٰ دَلَالَةِ التَّارِيخِ؟

يُمْكِنُ أَنْ تُبْطِلَهَا حَتَّىٰ قَبْلَ النَّظَرِ فِي آيَةِ سُورَةِ الْحَجِّ -لِأَنَّهَا أُدْخِلَتْ أَيْضًا فِي الْقِصَّةِ-، وَأَنَّ اللهَ هَوَّنَ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ مَا وَقَعَ بِأَنْ قَالَ: إِنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا وَقَعَ لِلْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ مِنْ قَبْلُ، كَمَا سَيَأْتِي ذِكْرُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ.

الْهِجْرَةُ الْأُولَىٰ: كَانَتْ بَيْنَ شَهْرَيْ رجَبٍ وَشَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ الْخَامِسَةِ لِلْبِعْثَةِ بِاتِّفَاقِ كُتَّابِ السِّيرَةِ.

مِنْ مُقْتَضَىٰ صِحَّةِ قِصَّةِ الْغَرَانِيقِ أَنْ تَكُونَ سُورَةُ النَّجْمِ قَدْ نَزَلَتْ قَبْلَ شَهْرِ شَوَّالٍ حَتَّىٰ تَكُونَ سَبَبًا فِي رُجُوعِ الْمُهَاجِرِينَ، وَلَكِنَّ هَذَا لَمْ يَحْدُثْ فَقَدْ ثَبَتَ بِالدَّلِيلِ الْقَاطِعِ أَنَّ سُورَةَ النَّجْمِ نَزَلَتْ بَعْدَ الْعَامِ الْعَاشِرِ مِنَ الْبِعْثَةِ -كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِيمَا مَرَّ- فَهَلْ يُعْقَلُ أَنْ تَكُونَ الْآيَاتُ الَّتِي نَزَلَتْ فِي الْعَامِ الْعَاشِرِ سَبَبًا فِي رُجُوعِ الْمُهَاجِرِينَ مِنَ الْحَبَشَةِ فِي الْعَامِ الْخَامِسِ؟

أَيْ قَبْلَ نُزُولِهَا بِخَمْسِ سَنَوَاتٍ عَلَىٰ أَقَلِّ تَقْدِيرٍ؟

الْأَمْرُ وَاضِحٌ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ بِحَيْثُ لَا يُكَابِرُ فِيهِ إِلَّا مُعَانِدٌ لَا يُرِيدُ الِانْصِيَاعَ إِلَىٰ الْحَقِّ، وَبِهَذَا نُلَاحِظُ أَنَّ النَّقْدَ التَّارِيخِيَّ مِنْ أَقْوَىٰ أَنْوَاعِ النَّقْدِ وَأَوْضَحِهَا فِي إِظْهَارِ الْبَاطِلِ.

بَعْدَ إِثْبَاتِ زَيْفِ الْقِصَّةِ بِمَا لَا يَقْبَلُ الشَّكَّ يَحْسُنُ أَنْ يُبَيَّنَ عَوَارُ الْمَعْنَىٰ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ جُمْلَةُ الْغَرَانِيقِ فِي سِيَاقِ الْآيَاتِ؛ سِيَاقُ الْآيَاتِ بَعْدَ إِدْخَالِ جُمْلَةِ الْغَرَانِيقِ فِيهِ يُصْبِحُ هَكَذا «أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ تِلْكَ الْغَرَانِيقُ الْعُلَا وَإِنَّ شَفَاعَتَهُنَّ لَتُرْتَجَىٰ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَىٰ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ».

عِنْدَ إِدْخَالِ هَذَا الْكَلَامِ فِي السِّيَاقِ يَكُونُ هَكَذَا.

الْغَرَانِيقُ: جَمْعٌ وَاحِدُهَا غُرْنُوقٌ وَغِرْنِيقٌ وَهُوَ الذَّكَرُ مِنْ طَيْرِ الْمَاءِ سُمِّيَ بِهِ لِبَيَاضِهِ، وَقِيلَ هُوَ الْكَرْكِيُّ وَهُوَ أَيْضًا مِنْ طُيُورِ الْمَاءِ.

قَالَ شُرَّاحُ الْقِصَّةِ: «إِنَّ الْمَقْصُودَ بِهَا الْأَصْنَامُ، وَقَالُوا إِنَّ الْأَصْنَامَ شُبِّهَتْ بِالطُّيُورِ الَّتِي تَعْلُو فِي السَّمَاءِ وَتَرْتَفِعُ، فَالْأَصْلُ تِلْكَ آلِهَةٌ كَالْغَرَانِيقِ فِي ارْتِفَاعِهَا».

إِنَّ تَشْبِيهَ الْأَصْنَامِ بِالْغَرَانِيقِ غَيْرُ مَعْقُولِ الْمَعْنَىٰ، فَالْغُرْنُوقُ طَائِرٌ مَائِيٌّ وَهُوَ لَيْسَ فِي بِيئَةِ أَهْلِ مَكَّةَ، وَهُمُ الْمُخَاطَبُونَ حِينَئِذٍ، ثُمَّ إِذَا كَانَ وَجْهُ الشَّبَهِ فِي الْعُلُوِّ وَالْقُوَّةِ فَهُمَا مُتَوَافِرَانِ فِي غَيْرِ الْغَرَانِيقِ مِنَ الطُّيُورِ -كَالنُّسُورِ مَثَلًا- فَلَمْ يَسْبِقْ لِلْعَرَبِ أَنْ وَرَدَ هَذَا الِاسْتِعْمَالُ فِي كَلَامِهِمْ شِعْرًا وَلَا نَثْرًا -أَيْ الْغَرَانِيقُ- فَكَيْفَ فَهِمُوا أَنَّ الْمَقْصُودَ بِهِ تِلْكَ الْأَصْنَامَ؟

إِنَّ سِيَاقَ السُّورَةِ يَنْفِي ذَلِكَ -أَيْ يَنْفِي رِوَايَةَ الْغَرَانِيقِ- نَفْيًا قَاطِعًا لِأَنَّهُ يَتَصَدَّىٰ لِتَوْهِينِ عَقِيدَةِ الْمُشْرِكِينَ فِي هَذِهِ الْآلِهَةِ وَأَسَاطِيرِهِمْ حَوْلَهَا فَلَا مَجَالَ لِإِدْخَالِ هَاتَيْنِ الْعِبَارَتَيْنِ فِي سِيَاقِ السُّورَةِ بِحَالٍ.

حَتَّىٰ عَلَىٰ قَوْلِ مَنْ قَالَ إِنَّ الشَّيْطَانَ أَلْقَىٰ بِهِمَا فِي أَسْمَاعِ الْمُشْرِكِينَ دُونَ الْمُسْلِمِينَ؛ لِأَنَّ الَّذِي كَانَ سَيُبَادِرُ بِالْإِنْكَارِ هُمُ الْمُشْرِكُونَ، فَيَقُولُونَ: هَذَا سِيَاقٌ لَا يَتَّسِقُ فَهَذا فِيهِ مِنَ التَّفَكُّكِ وَالرِّكَّةِ مَا فِيهِ، فَكَيْفَ يَأْتِي بِهَذَا الْمَدْحِ بَيْنَ مَذَمَّتَيْنِ لِلْأَصْنَامِ الْمَذْكُورَةِ؟

فَمَا كَانُوا لِيَقْبَلُوا ذَلِكَ بِحَالٍ.

يَبْقَىٰ مَعَنَا تَفْسِيرُ آيَةِ سُورَةِ الْحَجِّ، لَمَّا تَمَّ إِبْطَالُ قِصَّةِ الْغَرَانِيقِ سَنَدًا، وَمَتْنًا، وَتَأْوِيلًا، وَتَارِيخًا مِمَّا لَا حَاجَةَ مَعَهُ إِلَىٰ أَيِّ كَلَامٍ آخَرَ؛ يَحْسُنُ أَنْ يُنْظَرَ فِي آيَةِ سُورَةِ الْحَجِّ لِأَنَّهَا كَانَتْ ذَاتَ دَوْرٍ فَاعِلٍ فِي حَبْكِ الْقِصَّةِ، لِذَا يُتَوَقَّفُ عِنْدَهَا بِالْقَدْرِ الَّذِي يُعِيدُ الْحَقَّ إِلَىٰ نِصَابِهِ.

رَأْيُ الْمُفَسِّرِينَ تَقُولُ الْقِصَّةُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا أَلْقَىٰ الشَّيْطَانُ عَلَىٰ لِسَانِهِ مَا أَلْقَىٰ حَزِنَ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ هَذِهِ الْآيَةَ مِنْ سُورَةِ الْحَجِّ تَسْلِيَةً لَهُ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [الحج: ٥٢].

قَالُوا مَعْنَىٰ تَمَنَّىٰ: تَلَا أَوْ قَرَأَ.

فِي هَذَا التَّفْسِيرِ لِلْكَلِمَةِ تَسْلِيَةٌ لِلرَّسُولِ ﷺ لِأَنَّهَا قَاعِدَةٌ عَامَّةٌ، فَكُلُّ نَبِيٍّ يَحْدُثُ مَعَهُ هَذَا الْأَمْرُ.

يَنْقُلُ لَنَا ابْنُ كَثِيرٍ طَائِفَةً مِنَ الْأَقْوَالِ فَيَقُولُ: قَالَ الْبَغَوِيُّ: «وَأَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ قَالُوا: مَعْنَىٰ قَوْلِهِ تَمَنَّىٰ أَيْ تَلَا وَقَرَأَ كِتَابَ اللهِ أَلْقَىٰ الشَّيْطَانَ فِي أُمْنِيَّتِهِ أَيْ فِي تِلَاوَتِهِ».

قَالَ الشَّاعِرُ فِي عُثْمَانَ حِينَ قُتِلَ:

تَمَنَّـــىٰ كِتَـــابَ اللهِ أَوَّلَ لَيْلَـــةٍ وَآخِرُهَـــا ذَاقَ حِمَـــامَ الْمَقَـــادِرِ

قَالَ الضَّحَّاكُ: «إِذَا تَمَنَّىٰ: إِذَا تَلَا»، وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: «هَذَا الْقَوْلُ أَشْبَهُ بِتَأْوِيلِ الْكَلَامِ»، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: «إِذَا تَمَنَّىٰ يَعْنِي إِذَا قَالَ وَيُقَالُ أُمْنِيَّتُهُ أَيْ قِرَاءَتُهُ».

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَخْبَرَ أَنَّهُ مَا أَرْسَلَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَىٰ الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ»، وَالسَّلَفُ كُلُّهُمْ عَلَىٰ أَنَّ الْمَعْنَىٰ إِذَا تَلَا أَلْقَىٰ الشَّيْطَانُ فِي تِلَاوَتِهِ».

قَالَ الشَّيْخُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ بَعْدَ أَنْ سَاقَ بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ: «فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ إِذَنْ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَلَا كِتَابَ اللهِ وَقَرَأَ أَوْ حَدَّثَ وَتَكَلَّمَ أَلْقَىٰ الشَّيْطَانُ فِي كِتَابِ اللهِ الَّذِي تَلَاهُ وَقَرَأَهُ، أَوْ فِي حَدِيثِهِ الَّذِي حَدَّثَ وَتَكَلَّمَ فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ فَيُذْهِبُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ مِنْ ذَلِكَ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ وَيُبْطِلُهُ».

هَذَا هُوَ الْمُرَادُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، وَهِيَ -كَمَا تَرَىٰ- لَيْسَ فِيهَا إِلَّا أَنَّ الشَّيْطَانَ يُلْقِي عِنْدَ تِلَاوَةِ النَّبِيِّ مَا يُفْتَتَنُ بِهِ الَّذِين فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ.

تَرَىٰ بِهَذَا أَنَّ قِصَّةَ الْغَرَانِيقِ أَلْقَتْ بِظِلَالِهَا عَلَىٰ كُلِّ هَذِهِ التَّفَاسِيرِ عَلَىٰ الرَّغْمِ مِنْ إِنْكَارِ أَصْحَابِهَا لِهَذِهِ الْقِصَّةِ -يَعْنِي كَمَا تَرَىٰ فِي كَلَامِ ابْنِ الْقَيِّمِ، وَكَذَلِكَ فِي كَلَامِ ابْنِ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ بَلْ فِيمَا ذَكَرَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ لَعَلَّ مَصْدَرَ هَذَا كُلِّهِ

يَرْجِعُ إِلَىٰ مَا ذَكَرَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ تَعْلِيقًا بِقَوْلِهِ: وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِيهِ: «إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَىٰ الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ.. إِذَا حَدَّثَ أَلْقَىٰ الشَّيْطَانُ فِي حَدِيثِهِ فَيُبْطِلُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ وَيُحْكِمُ آيَاتِهِ» يَلْزَمُ بِنَاءً عَلَىٰ قَوْلِهِمْ تَفْسِيرُ تَمَنَّىٰ بِتَلَا أَوْ قَرَأَ يَلْزَمُ مِنْهُ أَمْرَانِ:

أَنَّ كُلَّ الرُّسُلِ قَدْ حَدَثَ مَعَهُمْ مَا حَدَثَ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ مِنْ إِلْقَاءِ الشَّيْطَانِ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ، وَلَا شَكَّ بِأَنَّهُمْ جَمِيعًا يَتْلُونَ كُتُبَ اللهِ، وَالْوَحْيَ الَّذِي يُوحَىٰ بِهِ إِلَيْهِمْ، وَأَنَّ هَذَا الْأَمْرَ يَتَكَرَّرُ عِنْدَ كُلِّ تِلَاوَةٍ مِنْ نَظْمِ الْآيَةِ أَنَّ هَذَا يَتَكَرَّرُ عِنْدَ كُلِّ تِلَاوَةٍ يَقُومُ بِهَا الرَّسُولُ أَوِ النَّبِيُّ، فَهُوَ بِاسْتِمْرَارٍ عُرْضَةٌ لِأَنْ يُلْقِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ هَذَا مَا يَقْتَضِيهِ الشَّرْطُ «إِذَا» كَمَا فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿**وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ**﴾ [الحج: ٥٢]، جَوَابُ الشَّرْطِ: ﴿**أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ**﴾ [الحج: ٥٢] تَمَنَّىٰ: قَرَأَ .. تَلَا.

إِذَنْ النَّظْمُ مَعْنَاهُ: إِلَّا إِذَا قَرَأَ أَوْ تَلَا أَوْ حَدَّثَ أَلْقَىٰ الشَّيْطَانُ فِي تِلَاوَتِهِ وَكَلَامِهِ وَحَدِيثِهِ.. فَهَذَا يَحْدُثُ عِنْدَ كُلِّ تِلَاوَةٍ، وَيَحْدُثُ عِنْدَ كُلِّ كَلَامٍ وَيَحْدُثُ عِنْدَ كُلِّ حَدِيثٍ مِنْ نَظْمِ الْآيَةِ وَمِنْ ظَاهِرِهَا عَلَىٰ حَسَبِ مَا يُفِيدُهُ الشَّرْطُ ﴿**إِذَا تَمَنَّىٰٓ**﴾ هَذَا شَرْطٌ، جَوَابُهُ ﴿**أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ**﴾.

إِذَا تَمَنَّىٰ إِذَا تَلَا، أَلْقَىٰ الشَّيْطَانُ فِي تِلَاوَتِهِ، فَكُلَّمَا تَلَا أَلْقَىٰ الشَّيْطَانُ فِي تِلَاوَتِهِ؛ فَلَمْ يَحْدُثْ هَذَا مَعَ نَبِيِّنَا وَحْدَهُ، بَلْ يَقُولُونَ: مَعَ كُلِّ نَبِيٍّ وَرَسُولٍ، فَكُلَّمَا قَرَأَ وَتَلَا ﴿**أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ**﴾.

هَذَا اللَّازِمُ مِنْ تَفْسِيرِ الْآيَةِ بِهَذَا الشَّكْلِ لَمْ يَرِدْ بِهِ نَصٌّ مِنْ آيَةٍ وَلَا حَدِيثٍ؛ بَلْ هُوَ أَمْرٌ غَيْرُ مَعْقُولٍ!! مَعَ مَا عَصَمَ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ أَنْبِيَاءَهُ، فَأَيْنَ الْعِصْمَةُ؟

لِهَذَا يَنْبَغِي أَنْ نَتَحَرَّرَ مِنْ سَيْطَرَةِ قِصَّةِ الْغَرَانِيقِ عَلَىٰ تَفْسِيرِ الْآيَةِ، وَنَعُودُ إِلَىٰ الْأَصْلِ اللُّغَوِيِّ، مَا مَعْنَىٰ تَمَنَّىٰ فِي أَصْلِ اللُّغَةِ؟

لَا عَلَىٰ حَسَبِ مَا صَارَ يُلْقِي بِظِلَالِهِ عَلَىٰ كُلِّ مَنْ تَكَلَّمَ فِيهَا، وَفِي تَفْسِيرِ آيَةِ الْحَجِّ جَاءَ فِي اللِّسَانِ: التَّمَنِّي حَدِيثُ النَّفْسِ بِمَا يَكُونُ وَمَا لَا يَكُونُ.. هَذَا هُوَ الْأَصْلُ.

التَّمَنِّي: هُوَ حَدِيثُ النَّفْسِ بِمَا يَكُونُ وَمَا لَا يَكُونُ.

التَّمَنِّي: السُّؤَالُ لِلرَّبِّ فِي الْحَوَائِجِ، وَفِي الْحَدِيثِ: «**إِذَا تَمَنَّىٰ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَكْثِرْ فَإِنَّمَا يَسْأَلُ رَبَّهُ**».

فَيَتَمَنَّىٰ عَلَىٰ رَبِّهِ لَا تِلَاوَةً وَلَا قِرَاءَةً، وَإِنَّمَا يَسْأَلُ رَبَّهُ.

التَّمَنِّي: حَدِيثُ النَّفْسِ بِمَا يَكُونُ وَمَا لَا يَكُونُ.. هَذَا هُوَ الْأَصْلُ.

التَّمَنِّي: السُّؤَالُ لِلرَّبِّ فِي الْحَوَائِجِ، وَفِي الْحَدِيثِ «**إِذَا تَمَنَّىٰ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَكْثِرْ فَإِنَّمَا يَسْأَلُ رَبَّهُ**».

فَيَتَمَنَّىٰ عَلَىٰ رَبِّهِ لَا تِلَاوَةً وَلَا قِرَاءَةً، وَإِنَّمَا يَسْأَلُ رَبَّهُ الْحَوَائِجَ.

قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: «التَّمَنِّي: تَشَهِّي حُصُولِ الْأَمْرِ الْمَرْغُوبِ فِيهِ، وَحَدِيثُ النَّفْسِ بِمَا يَكُونُ وَمَا لَا يَكُونُ، وَتَمَنَّىٰ الشَّيْءَ: أَرَادَهُ».

الْآيَاتُ -وَهَذَا مَسْلَكٌ حَسَنٌ جِدًّا عَلَىٰ كُلِّ مَنْ نَظَرَ فِي كِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تَفْسِيرًا وَتَأْوِيلًا أَنْ يَلْحَظَهُ وَأَنْ يَسْلُكَهُ وَهُوَ: أَنْ تَنْظُرَ إِلَىٰ اللَّفْظِ الَّذِي تَتَصَدَّىٰ لَهُ عَلَىٰ حَسَبِ وُرُودِهِ فِي مُجْمَلِ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ.

الْآيَاتُ الَّتِي وَرَدَ فِيهَا لَفْظُ التَّمَنِّي.. جَاءَتْ كَلِمَةُ التَّمَنِّي بِهَذَا الْمَعْنَىٰ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ اللُّغَةُ كَمَا فِي «اللِّسَانِ»، وَكَما فِي «النِّهَايَةِ» فِي كَلَامِ ابْنِ الْأَثِيرِ جَاءَتْ بِهَذَا الْمَعْنَىٰ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ اللُّغَةُ الَّذِي هُوَ الْأَصْلُ فِي مَادَّةِ الْكَلِمَةِ فَالْقُرْآنُ عَرَبِيٌّ، وَأُنْزِلَ عَلَىٰ أَفْصَحِ مَنْ نَطَقَ بِلُغَةِ الْعَرَبِ، وَسَمِعَهُ أَفْصَحُ مَنْ كَانُوا يَتَكَلَّمُونَ بِالْعَرَبِيَّةِ فِي وَقْتِهِمْ، وَهُمُ الْجَاهِلِيُّونَ الَّذِينَ بُعِثَ فِيهِمْ النَّبِيُّ ﷺ؛ وَالصَّحَابَةُ الَّذِينَ أَسْلَمُوا هُمْ أَفْصَحُ النَّاسِ لِسَانًا كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ.

إِذَنْ فِي أَصْلِ اللُّغَةِ لِكَلِمَةِ التَّمَنِّي مَعْنًىٰ، وَالْقُرْآنُ نَزَلَ بِهَذِهِ اللُّغَةِ الشَّرِيفَةِ، فَلَا يُصْرَفُ اللَّفْظُ عَنْ ظَاهِرِهِ إِلَّا بِقَرِينَةٍ دَاعِيَةٍ، وَلَا قَرِينَةَ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ.

فَلْنَنْظُرْ فِي الْآيَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا كَلِمَةُ التَّمَنِّي فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ..

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ﴾ [البقرة: ٩٤]. فَاتْلُوا الْمَوْتَ؟. فَاقْرَأُوا الْمَوْتَ؟

هَذَا عَلَىٰ الْأَصْلِ اللُّغَوِيِّ ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٩٤-٩٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٤٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ ذَاكِرًا مَا قَالَ الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [النساء: ١١٩].

ثُمَّ قَالَ: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: ١٢٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ﴾ [القصص: ٨٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾ [النجم: ٢٤- ٢٥].

وهي في سورة النجم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ﴾ [الحديد: ١٤].

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [الجمعة: ٦- ٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨].

هَذِهِ هِيَ الْمَوَاضِعُ الِتي وَرَدَتْ فِيهَا الْكَلِمَةُ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ.. هَذَا كُلُّ مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي جَاءَ فِيهَا لَفْظُ التَّمَنِّي، وَكُلُّهَا بِاسْتِثْنَاءِ الْآيَةِ الْأَخِيرَةِ وَرَدَتْ بِالْمَعْنَىٰ اللُّغَوِيِّ الْأَصْلِيِّ الَّذِي نُقِلَ عَنِ اللِّسَانِ وَلَا يَصْلُحُ أَبَدًا أَنْ نُفَسِّرَ أَيَّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا بِمَعْنَىٰ تَلَا أَوْ قَرَأَ.

أَمَّا الْآيَةُ الْأَخِيرَةُ فَفِي «فَتْحِ الْقَدِيرِ»: ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ مِنْ كَوْنِهِمْ مَغْفُورًا لَهُمْ بِمَا يَدْعُونَ لِأَنْفُسِهِمْ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ.

وَقِيلَ: الْأَمَانِيُّ: التِّلَاوَةُ، أَيْ لَا عِلْمَ لَهُمْ سِوَىٰ مُجَرَّدِ التِّلَاوَةِ دُونَ تَفَهُّمٍ.

قَالَ الْفَخْرُ فِي تَفْسِيرِهِ: «تَمَنَّىٰ أَيْ جَاءَتْ هَذِهِ اللَّفْظَةُ بِمَعْنَيَيْنِ بِمَعْنَىٰ تَمَنِّي الْقَلْبِ، وَبِمَعْنَي الْقِرَاءَةِ كَمَا فِي ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ الْقِرَاءَةُ أُمْنِيَةً؛ لِأَنَّ الْقَارِئَ إِذَا انْتَهَىٰ إِلَىٰ آيَةِ رَحْمَةٍ تَمَنَّىٰ حُصُولَهَا، وَإِذَا انْتَهَىٰ إِلَىٰ آيَةِ عَذَابٍ تَمَنَّىٰ أَلَّا يُبْتَلَىٰ بِهَا.

لَا تَخْرُجُ هَذِهِ الْآيَةُ عَنِ الْمَعْنَىٰ الَّذِي وَرَدَتْ بِهِ الْآيَاتُ الْأُخْرَىٰ بِدَلَالَةِ الْآيَةِ الَّتِي بَعْدَهَا، حَتَّىٰ هَذِهِ الْآيَةُ الَّتِي قَالُوا: إِنَّ التَّمَنِّي الَّذِي وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ، وَرَدَ عَلَىٰ أَصْلِهِ اللُّغَوِيِّ سِوَىٰ هَذِهِ الْآيَةِ، وَذَكَرُوا مَا ذَكَرُوا، هِيَ لَا تَخْرُجُ عَنِ الْمَعْنَىٰ اللُّغَوِيِّ الَّذِي وَرَدَتْ بِهِ الْآيَاتُ الْأُخْرَىٰ بِدَلَالَةِ الْآيَةِ الَّتِي بَعْدَهَا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٧٨- ٧٩].

فَهُنَاكَ مَنْ يَتَمَنَّىٰ وَهُنَاكَ مَنْ يُلَبِّي لَهُ هَذِهِ الرَّغْبَةَ فَيَكْتُبُ لَهُ مَا يُرِيدُ، وَهَكَذَا أَخْضَعُوا الْكِتَابَ لِمَا تُمْلِيهِ عَلَيْهِمْ شَهَوَاتُهُمْ وَأَهْوَاؤُهُمْ.

إِذَنْ: كُلُّ الْآيَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا كَلِمَةُ التَّمَنِّي إِنَّمَا وَرَدَتْ بِمَعْنَىٰ حَدِيثِ النَّفْسِ بِمَا يَكُونُ وَمَا لَا يَكُونُ.

وَبِمَعْنَىٰ تَشَهِّي حُصُولِ الْأَمْرِ الْمَرْغُوبِ فِيهِ.

وَبِمَعْنَىٰ إِرَادَةِ الشَّيْءِ.

فَلِمَاذَا تَنْفَرِدُ آيَةُ سُورَةِ الْحَجِّ عَنْ هَذَا النَّسَقِ الْمُضْطَّرِدِ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ؟

هَذَا مَا يُؤَكِّدُ أَنَّ تَفْسِيرَ تَمَنَّىٰ بِتَلَا أَوْ قَرَأَ إِنَّمَا كَانَ تَحْتَ وَطْأَةِ قِصَّةِ الْغَرَانِيقِ الَّتِي أَخَذَتْ أَبْعَادَهَا فِي نُفُوسِ كَثِيرٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا التَّحَرُّرَ مِنْهَا عَلَىٰ الرَّغْمِ مِنْ إِنْكَارِهِمْ لِلْقِصَّةِ وَإِقْرَارِهِمْ لِمُخَالَفَتِهَا لِأَمْرِ الْعَقِيدَةِ.

عِنْدَ أَبِي السُّعُودِ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿**وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ**﴾ [الحج: ٥٢]، قَالَ: هَيَّأَ فِي نَفْسِهِ مَا يَهْوَاهُ، فَخَرَجَ عَنِ الْإِطَارِ التَّفْسِيرِيِّ فِي أَنَّ التَّمَنِّي هُوَ التِّلَاوَةُ، فَقَالَ: هَيَّأَ فِي نَفْسِهِ مَا يَهْوَاهُ.

﴿**أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ**﴾ [الحج: ٥٢] فِي تَشَهِّيهِ أَلْقَىٰ فِي تَشَهِّيهِ مَا يُوجِبُ اشْتِغَالَهُ بِالدُّنْيَا كَمَا قَالَ ﷺ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»: «**وَإِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَىٰ قَلْبِي، فَأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً**».

فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فَيُبْطِلُهُ وَيَذْهَبُ بِهِ بِعِصْمَتِهِ عَنِ الرُّكُونِ إِلَيْهِ وَإِرْشَادِهِ إِلَىٰ مَا يُزِيحُهُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ أَيْ يُثْبِتُ آيَاتِهِ الدَّاعِيَةَ إِلَىٰ الِاسْتِغْرَاقِ فِي شُؤُونِ الْحَقِّ».

فَهَذَا مِنْ وَاحِدٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ لَا تُؤَثِّرُ فِيهِ وَطْأَةُ قِصَّةِ الْغَرَانِيقِ حَتَّىٰ يُفَسَّرَ التَّمَنِّي فِي سُورَةِ الْحَجِّ أَوْ فِي آيَةِ الْحَجِّ بِأَنَّهُ التِّلَاوَةُ أَوِ الْقِرَاءَةُ، وَبِذَلِكَ يُسْلَكُ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ وَجَمِيعُ الْمُرْسَلِينَ فِي سِلْكٍ وَاحِدٍ هُوَ أَنَّهُمْ كَانُوا عُرْضَةً لِأَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا تَلَا الْوَاحِدُ مِنْهُمْ أَوْ قَرَأَ أَوْ حَدَّثَ أَوْ تَكَلَّمَ أَلْقَىٰ الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ عَلَىٰ حَسَبِ تَفْسِيرِهِمْ لِلتَّمَنِّي.

فَشَذَّ هَذَا عَنْهُمْ وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

سُورَةُ الْحَجِّ الَّتِي مِنْهَا هَذِهِ الْآيَاتُ سُورَةٌ مَدَنِيَّةٌ، بَلْ هِيَ مِنْ أَوَاخِرِ السُّوَرِ الْمَدَنِيَّةِ نُزُولًا، وَمَعَ ذَلِكَ أَتَوْا بِهَذِهِ الْآيَةِ فَأَقْحَمُوهَا فِي السِّيَاقِ الَّذِي وَقَعَ تَارِيخًا بِمَكَّةَ مَا بَيْنَ رَجَبٍ وَشَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ الْخَامِسَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ.

الْمَفْرُوضُ -وَفْقًا لِقِصَّةِ الْغَرَانِيقِ- أَنْ يَكُونَ نُزُولُ آيَاتِ سُورَةِ الْحَجِّ قَدْ حَصَلَ قَبْلَ نِهَايَةِ شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ الْخَامِسَةِ مِنَ الْبِعْثَةِ كَمَا مَرَّ، وَهُنَا سُؤَالَانِ:

فِي الْفُصُولِ السَّابِقَةِ اسْتِكْمَالُ مُنَاقَشَةِ الْعَنَاصِرِ الْمُكَوِّنَةِ لِقِصَّةِ الْغَرَانِيقِ قَدْ تَمَّ، فَتَبَيَّنَ أَنَّهَا مِنْ وَضْعِ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ، وَكَانَ حَبْكُ الْقِصَّةِ قَوِيًّا وَمُتَمَاسِكًا، مِمَّا

يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ وَاضِعِيهَا مِنَ الْعُلَمَاءِ الْحَاقِدِينَ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَلَكِنَّهُمْ فِي حَبْكِهِمْ لِتِلْكَ الْقِصَّةِ طَرَحُوا مِنْ حِسَابِهِمْ مُلَاحَظَةِ جَانِبِ الزَّمَنِ التَّارِيخِ أَثْنَاءَ السَّبْكِ أَوْ غَابَ عَنْهُمْ ذَلِكَ، فَقَدْ جَعَلُوا قِرَاءَةَ سُورَةِ النَّجْمِ، ونُزُولَ آيَةِ الْحَجِّ سَبَبًا لِرُجُوعِ الْمُهَاجِرِينَ فِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ، وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ النَّجْمِ إِلَّا بَعْدَ الْعَامِ الْعَاشِرِ، وَكَانَ نُزُولُ آيَةِ الْحَجِّ فِي الْمَدِينَةِ؛ فَهَذَا الْعَمَلُ شَبِيهٌ بِفِعْلِ الْأَغْبِيَاءِ مِنْ وُضَّاعِ الْحَدِيثِ الَّذِين يَنْكَشِفُ زَيْفُ عَمَلِهِمْ لِلْوَهْلَةِ الْأُولَىٰ.

وَمِنَ الْغَرِيبِ أَنَّ مُنَاقَشَةَ الْقِصَّةِ مِنْ وِجْهَةِ النَّظَرِ هَذِهِ لَمْ يَقِفْ عِنْدَهُمْ كَثِيرٌ مِمَّنْ تَنَاوَلُوهَا، وَوُفِّقَ صَاحِبُ الْبَحْثِ -حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- فِي الْوُصُولِ إِلَىٰ ذَلِكَ، وَقَوْلُهُ مَتِينٌ كَمَا تَرَىٰ لِأَنَّ التَّارِيخَ لَا يُعَالَجُ، هَذَا لَا يُرَاجَعُ، لَا مُرَاجَعَةَ فِيهِ.

◉◉◉

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

سَبَبُ رُجُوعِ مُهَاجِرِي الْحَبَشَةِ:

مَا سَبَبُ رُجُوعِ الْمُهَاجِرِينَ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ فِي الْهِجْرَةِ الْأُولَىٰ؟

لِمَاذَا رَجَعُوا؟

وَمَا سَبَبُ سُجُودِ الْمُشْرِكِينَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَ تِلَاوَةِ سُورَةِ النَّجْمِ؟

سُؤَالٌ مَشْرُوعٌ؛ لِأَنَّ هَذَا فِي الصَّحِيحِ، وَرَوَاهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ قَالَ: «فَسَجَدَ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ جَمِيعًا».

مَا الَّذِي جَعَلَ الْمُشْرِكِينَ يَسْجُدُونَ؟

سُؤَالٌ.

وَأَيْضًا: مَا سَبَبُ رُجُوعِ الْمُهَاجِرِينَ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ فِي الْهِجْرَةِ الْأُولَىٰ إِذَا لَمْ يَكُنِ السَّبَبُ مَا أُشِيعَ مِنْ أَنَّ الْكُفَّارَ وَالْمُشْرِكِينَ قَدْ سَجَدُوا مَعَ النَّبِيِّ، وَآمَنُوا بِالْإِسْلَامِ وَدَخَلُوا فِيهِ؟ فَكَانَتْ هَذِهِ الْإِشَاعَةُ سَبَبًا لِرُجُوعِهِمْ.

لِمَاذَا رَجَعُوا إِذَنْ؟

سُؤَالَانِ مَشْرُوعَانِ، وَلَا بُدَّ مِنَ الْإِجَابَةِ عَنْهُمَا حَتَّىٰ يَكُونَ الرَّدُّ مُتَكَامِلًا.

سَبَبُ رُجُوعِ مُهَاجِرِي الْحَبَشَةِ يَقْتَضِي أَنْ نَعْلَمَ سَبَبَ رُجُوعِ الْمُهَاجِرِينَ الْهِجْرَةَ الْأُولَىٰ، وَسَبَبُ رُجُوعِ الْمُهَاجِرِينَ الْهِجْرَةَ الثَّانِيَةَ.

فَأَمَّا الْهِجْرَةُ الثَّانِيَةُ فَقَدْ مَرَّ سَبَبُ رُجُوعِ الْمُهَاجِرِينَ مِنْهَا، لِأَنَّهُمْ تَنَامَىٰ إِلَيْهِمْ بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَيُهَاجِرُ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ وَبَيَّنَ وَصْفَهَا، فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ بِفَضْلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَلَمَّا سَمِعُوا بِذَلِكَ رَجَعَ مَنْ رَجَعَ عَلَىٰ حَسَبِ مَا ذُكِرَ مِنَ الْعَدَدِ مَاتَ اثْنَانِ وَحُبِسَ سَبْعَةٌ وَهَاجَرَ الْبَاقُونَ إِلَىٰ مَدِينَةِ الْمَأْمُونِ ﷺ.

كُتَّابُ السِّيرَةِ يَذْكُرُونَ أَحَدَ سَبَبَيْنِ لِهَذَا الرُّجُوعِ:

السَّبَبُ الْأَوَّلُ: قِصَّةُ الْغَرَانِيقِ، وَقَدْ ظَهَرَ بُطْلَانُهَا.

الْقَوْلُ الْآخَرُ -هُوَ الَّذِي يَعُدُّ سَبَبَ رُجُوعِهِمْ- وَهُوَ: سَمَاعُهُمْ بِإِسْلَامِ أَهْلِ مَكَّةَ.

لَيْسَ هُنَاكَ مُسْتَنَدٌ لِهَذَا الْقَوْلِ.

الْقَوْلُ بِحَدِّ ذَاتِهِ غَيْرَ مُقْنِعٍ، فَلَيْسَ مِنَ الْمَعْقُولِ أَنْ يُسْلِمَ أَهْلُ مَكَّةَ هَكَذَا بَيْنَ عَشِيَّةٍ وَضُحَاهَا؛ هُمْ هَاجَرُوا فِي شَهْرِ رَجَبٍ، لَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِمْ شَهْرُ شَوَّالٍ -وَقَدْ رَجَعُوا فِيهِ- سَمِعُوا أَنَّ مَكَّةَ أَطْبَقَتْ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، هُمْ يَعْلَمُونَ أَحْوَالَهُمْ قَبْلَ الْهِجْرَةِ لَيْسَ ذَلِكَ عَلَىٰ اللهِ بِعَزِيزٍ لَكِنْ هُنَاكَ أَسْبَابٌ، وَلَيْسَتْ هُنَالِكَ مُقَدِّمَاتٌ بِالْمَرَّةِ، فَهَذَا يُعَدُّ غَيْرَ مُقْنِعٍ أَنْ يُقَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَهْلَ مَكَّةَ قَدْ دَخَلُوا جَمِيعًا فِي الْإِسْلَامِ فَرَجَعُوا.

هَذَا الْقَوْلُ نَاتِجٌ عَنْ قِصَّةِ الْغَرَانِيقِ، فَمَا الَّذِي كَانَ سَبَبًا إِذَنْ لِرُجُوعِهِمْ؟

الْهِجْرَةُ الْأُولَىٰ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ تُعَدُّ الْهِجْرَةَ الْأُولَىٰ مِنْ نَوْعِهَا فِي تَارِيخِ قُرَيْشٍ إِنْ لَمْ نَقُلْ فِي تَارِيخِ الْعَرَبِ -يَعْنِي عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ-، وَقَدْ تَعَوَّدَ أَهْلُ مَكَّةَ الرِّحْلَةَ

فِي طَلَبِ الرِّزْقِ، وَنَصَّ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عَلَىٰ رِحْلَتَيْ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ وَهُمَا رِحْلَتَانِ تِجَارِيَّتَانِ بَوَاعِثُهُمَا مَادِّيَّةٌ صِرْفَةٌ، يُخَفِّفُ آلَامَ الْغُرْبَةِ فِيهِمَا الْأَمْلُ فِي الرِّبْحِ الْمُتَوَقَّعِ، وَالِاطْمِئْنَانُ إِلَىٰ قُرْبِ الْعَوْدَةِ إِلَىٰ الْوَطَنِ بَعْدَ انْتِهَاءِ عَمَلِيَّةِ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ؛ فَهِيَ رِحْلَةٌ تِجَارِيَّةٌ مَحْدُودَةُ الزَّمَانِ وَمَحْدُودَةٌ وَمَعْرُوفَةُ الْمَكَانِ، لَكِنَّ هِجْرَةَ الْحَبَشَةِ كَانَتْ بِبَاعِثٍ غَيْرِ مَادِّيٍّ، وَالْغُرْبَةُ أَمْرٌ قَاسٍ عَلَىٰ النَّفْسِ خَاصَّةً إِذَا كَانَتْ إِلَىٰ قَوْمٍ تَفْصِلُكَ عَنْهُمْ حَوَاجِزُ اللُّغَةِ وَالْأَعْرَافِ وَالْعَادَاتِ وَالتَّقَالِيدِ.

وَمُدَّةُ هَذِهِ الْهِجْرَةُ مَفْتُوحَةٌ غَيْرُ مُحَدَّدَةٍ؛ فَالْمُهَاجِرُونَ لَا يَدْرُونَ مَتَىٰ سَتَنْصَاعُ قُرَيْشٌ إِلَىٰ كَلِمَةِ الْحَقِّ، صَحِيحٌ أَنَّ النَّجَاشِيَّ أَكْرَمَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ فِي عَيْشِهِمْ إِنَّمَا هُمْ مَعَ شَعْبِ النَّجَاشِيِّ لَا مَعَ النَّجَاشِيِّ.

وَلَقَدْ عَبَّرَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ الضِّيقِ الَّذِي كَانُوا يُكَابِدُونَهُ فِي الْحَبَشَةِ، وَهِيَ وَإِنْ كَانَتْ مِنْ أَصْحَابِ الْهِجْرَةِ الثَّانِيَةِ، إِلَّا أَنَّ الْمَشَاعِرَ وَاحِدَةٌ فِي هَذَا الْمَيْدَانِ، وَاسْمَعْ حَدِيثَهَا كَمَا ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«دَخَلَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ عَلَىٰ حَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ زَائِرَةً، وَقَدْ كَانَتْ هَاجَرَتْ إِلَىٰ النَّجَاشِيِّ فِيمَنْ هَاجَرَ، فَدَخَلَ عُمَرُ عَلَىٰ حَفْصَةَ وَهِيَ ابْنَتُهُ -زَوْجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ عِنْدَهَا، فَقَالَ عُمَرُ حِينَ رَأَىٰ أَسْمَاءَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَتْ: أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ.

قَالَ عُمَرُ: الْحَبَشِيَّةُ هِيَ؟! -لِأَنَّهَا هَاجَرَتْ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ-.

قَالَ: آلْحَبَشِيَّةُ هِيَ؟ آلْبَحْرِيَّةُ هِيَ؟ -لِأَنَّهُمْ رَكِبُوا الْبَحْرَ فِي أَثْنَاءِ هِجْرَتِهِمْ-، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: الْحَبَشِيَّةُ هَذِهِ؟ الْبَحْرِيَّةُ هَذِهِ؟

قَالَتْ أَسْمَاءُ: نَعَمْ.

قَالَ: سَبَقْنَاكُمْ بِالْهِجْرَةِ فَنَحْنُ أَحَقُّ بِرَسُولِ اللهِ مِنْكُمْ.

فَغَضِبَتْ، وَقَالَتْ: كَلَّا وَاللهِ، كُنْتُمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُطْعِمُ جَائِعَكُمْ، وَيَعِظُ جَاهِلَكُمْ، وَكُنَّا فِي دَارِ الْبُعَدَاءِ وَالْبُغَضَاءِ بِالْحَبَشَةِ، وَذَلِكَ فِي اللهِ وَفِي رَسُولِهِ ﷺ، وَايْمُ اللهِ لَا أَطْعَمُ طَعَامًا، وَلَا أَشْرَبُ شَرَابًا حَتَّىٰ أَذْكُرَ مَا قُلْتُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ. غَضِبَتْ! رَضِيَ اللهُ عَنْهَا. قَالَتْ: وَنَحْنُ كُنَّا نُؤْذَىٰ وَنَخَافُ وَسَأَذْكُرُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَسْأَلُهُ»، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

تَأَمَّلْ فِي قَوْلِهَا كُنَّا فِي دَارِ الْبُعَدَاءِ وَالْبَغْضَاءِ، أَوْ وَالْبُغَضَاءِ، وَقَوْلُهَا: وَكُنَّا نُؤْذَىٰ وَنَخَافُ. هَذَا يُعَبِّرُ عَنِ الضِّيقِ وَالْأَلَمِ وَعَنِ الرَّاحَةِ، تَقُولُ هَذَا وَهِيَ مِنْ أَصْحَابِ الْهِجْرَةِ الثَّانِيَةِ، وَالْمُهَاجِرُونَ فِيهَا كَثِيرٌ يُوَاسِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيُخَفِّفُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ آلَامِ الْغُرْبَةِ.

◉◉◉

www.menhag-un.com

إِسْلَامُ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أَمَّا الْمُهَاجِرُونَ الْأُوَلُ، فَكَانَ عَدَدُهُمْ قَلِيلًا، جَاءُوا إِلَىٰ مُجْتَمَعٍ غَرِيبٍ عَنْهُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ، فَلَا شَكَّ أَنَّ مَشَاعِرَ الْغُرْبَةِ كَانَتْ قَاسِيَةً عَلَيْهِمْ، الْأَمْرُ الَّذِي جَعَلَهُمْ يَرَوْنَ إِيذَاءَ قَوْمِهِمْ مُحْتَمَلًا إِزَاءَ مَا كَانُوا يُعَانُونَ مِنْ غُرْبَتِهِمْ، وَهَذَا مَا دَفَعَهُمْ إِلَىٰ الْعَوْدَةِ، وَرُبَّمَا سَاعَدَ عَلَىٰ ذَلِكَ وُصُولُ نَبَإِ إِسْلَامِ حَمْزَةَ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، بَلْ رُبَّمَا كَانَ خَبَرُ إِسْلَامِهِمَا السَّبَبَ الْحَقِيقِيَّ لِلرُّجُوعِ مِنَ الْهِجْرَةِ الْأُولَىٰ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ، وَهُمَا مَنْ هُمَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فَهَذَا مَا يَتَعَلَّقُ بِسَبَبِ رُجُوعِهِمْ، مَا كَانُوا يُعَانُونَ مِنَ الضِّيقِ وَالْغُرْبَةِ مَع قِلَّةِ عَدَدِهِمْ.

www.menhag-un.com

إِسْلَامُ عُمَرَ رضي الله عنه

وَشَيْءٌ آخَرُ أَيْضًا وَهُوَ: أَنَّهُمْ سَمِعُوا بِإِسْلَامِ عُمَرَ، وَسَعَوْا أَيْضًا بِإِسْلَامِ حَمْزَةَ، وأَصْبَحَ الْمُسْلِمُونَ ظَاهِرِينَ يُصَلُّونَ ظَاهِرًا عِنْدَ الْكَعْبَةِ، وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ لَا يَصْنَعُونَ كَمَا مَرَّ ذِكْرُهُ فِي الْحَدِيثِ الثَّابِتِ الصَّحِيحِ.

يَبْقَىٰ مَعَنَا سَبَبُ سُجُودِ الْمُشْرِكِينَ، هَذَا سَبَبُ رُجُوعِ الْمُهَاجِرِينَ، فَمَا سَبَبُ سُجُودِ الْمُشْرِكِينَ؟

هَذِهِ الْحَادِثَةُ -يَعْنِي سُجُودَ الْمُشْرِكِينَ عِنْدَ تِلَاوَةِ سُورَةِ النَّجْمِ- وَرَدَتْ فِي الصَّحِيحِ، وَكُتَّابُ السِّيرَةِ لَمْ يُعْنَوْا بِالْبَحْثِ عَنْ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ، فَالَّذِينَ نَفَوْا قِصَّةَ الْغَرَانِيقِ اعْتَبَرُوا الْحَادِثَةَ بَاطِلَةً كُلَّهَا، لَمْ يَسْتَوْقِفْهُمْ قَضِيَّةُ السُّجُودِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي الصَّحِيحِ، بَلْ لَمْ يُشِرْ إِلَيْهَا مَنْ تَعَرَّضَ لَهَا.

وَالَّذِينَ قَالُوا بِصِحَّتِهَا لَمْ يَكُونُوا بِحَاجَةٍ إِلَىٰ ذَلِكَ لِأَنَّهَا كَانَتْ نَتِيجَةً طَبِيعِيَّةً لِقِصَّةِ الْغَرَانِيقِ الْمَزْعُومَةِ.

لَا بُدَّ هَا هُنَا مِنَ الْإِجَابَةِ عَنْ سُؤَالٍ مُلِحٍّ، هُوَ: كَيْفَ تَسَنَّىٰ لِلرَّسُولِ ﷺ أَنْ يَجْمَعَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ؟

ثُمَّ كَيْف تَسَنَّىٰ لَهُ أَنْ يَقْرَأَ عَلَيْهِمْ سُورَةَ النَّجْمِ؟ وَهُمْ يَتَواصَوْنَ فِيمَا بَيْنَهُمْ أَنْ يَلْغَوْا فِيهِ وَأَلَّا يَسْتَمِعُوا لَهُ؟

فَكَيْفَ جُمِعُوا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ؟ وَكَيْفَ صَبَرُوا عَلَىٰ أَنْ تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ سُورَةُ النَّجْمِ؟

لَمْ يَكُنِ الْمُسْلِمُونَ كَمَا يَتَبَادَرُ لِلْوَهْلَةِ الْأُولَىٰ بِمَعْزِلٍ عَنِ الْحَيَاةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ بِمَكَّةَ عَلَىٰ الرَّغْمِ مِنْ تِلْكَ الْعَدَاوَةِ الْقَائِمَةِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ، وَهَذا صُورَةٌ ذِهْنِيَّةٌ يَنْبَغِي أَنْ تُصَحَّحَ أَيْضًا، لِأَنَّ بَعْضَ النَّاظِرِينَ فِي السِّيرَةِ وَالْمُتَلَقِّينَ لَهَا رُبَّمَا ظَنُّوا أَنَّهُمْ كَانُوا قَدْ وَقَعَ بَيْنَهُمْ مُفَاصَلَةٌ جَسَدِيَّةٌ، بِمَعْنَىٰ أَنْ لَا يَقَعَ أَبَدًا بَيْنَهُمْ لَا لِقَاءٌ وَلَا كَلَامٌ وَلَا بَيْعٌ وَلَا شِرَاءٌ وَلَا شَيْءٌ، وَهَذَا تَرُدُّهُ الْوَقَائِعُ الَّتِي دَلَّتْ عَلَيْهَا السِّيرَةُ فِي قِصَّةِ الصَّحِيفَةِ، فكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَنْكِحُونَ مِنْهُمْ وَيُنْكِحُونَهُمْ، وَيَبِيعُونَهُمْ وَيَبْتَاعُونَ مِنْهُمْ، وَكَانُوا يُخَالِطُونَهُمْ، يُسَاكِنُونَهُمْ وَيُجَاوِرُونَهُمْ، بَلْ رُبَّمَا كَانَ الْمُسْلِمُ فِي بَيْتِ الْمُشْرِكِ وَتَكُونُ هُنَالِكَ مِنَ الْعِلَاقَاتِ مَا هُوَ مَعْلُومٌ، بِدَلِيلِ أَنَّ الصَّحِيفَةَ كَانَتْ حَدًّا فَاصِلًا فَمَنَعَتْ هَذَا كُلَّهُ، ثُمَّ لَمَّا نُقِضَتْ عَادَ الْأَمْرُ عَلَىٰ مَا كَانَ عَلَيْهِ قَبْلُ.

فَهُنَاكَ صُورَةٌ ذِهْنِيَّةٌ مَغْلُوطَةٌ يَنْبَغِي أَنْ تُصَحَّحَ فِي هَذَا الْأَمْرِ.

كَانُوا يُجَالِسُونَهُمْ، وَيُنَاقِشُونَهُمْ، وَيُدْلُونَ بِآرَائِهِمْ فِي مَجَالِسِهِمْ، بَلْ رُبَّمَا تَحَرَّشَ الْمُشْرِكُونَ بِالْمُسْلِمِينَ مِنْ بَابِ السُّخْرِيَةِ وَالْإِيذَاءِ كَمَا مَرَّ، فَيَكُونُ الْجَوَابُ إِصْرَارًا عَلَىٰ الْعَقِيدَةِ وَتَمَسُّكًا بِهَا، وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُ وَاقِعَةٍ تَدُلُّ عَلَىٰ هَذَا.

عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ لَمَّا رَجَعَ مِنَ الْهِجْرَةِ الْأُولَىٰ مِنَ الْحَبَشَةِ دَخَلَ فِي جِوَارِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قُرَيْشٍ فِيهِ لَبِيدٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الشَّاعِرُ يُنْشِدُ قَوْلَهُ:

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلُ

فَقَالَ عُثْمَانُ: صَدَقْتَ.

فَقَالَ لَبِيدٌ: وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلُ.

فَقَالَ: كَذَبْتَ! نَعِيمُ الْجَنَّةِ لَا يَزُولُ.

فَقَامَ رَجُلٌ فَلَطَمَ عُثْمَانَ كَمَا مَرَّ فِي سِيَاقِ الْقِصَّةِ، فَكَانَ يَغْشَىٰ مَجَالِسَهُمْ، بَلْ وَيُحَاوِرُهُمْ، بَلْ وَيَعْتَرِضُ عَلَيْهِمْ.

الْحَادِثَةُ الْأُخْرَىٰ:

لِقَاءُ أَبِي جَهْلٍ بِالرَّسُولِ ﷺ صَبِيحَةَ لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ، قَالَ لَهُ: هَلْ مِنْ شَيْءٍ؟

قَالَ ﷺ: نَعَمْ.

جَمَعَ أَبُو جَهْلٍ الْمُشْرِكِينَ لِيَسْمَعُوا حَدِيثَ الْإِسْرَاءِ، وَاجْتَمَعَ الْمُسْلِمُونَ أَيْضًا.

إِذَا عَرَفْنَا أَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ كَانَ النَّادِيَ الَّذِي يَجْتَمِعُ فِيهِ الْقَوْمُ مُسْلِمُهُمْ وَكَافِرُهُمْ، فَلَا يُسْتَبْعَدُ أَنْ يَكُونَ الرَّسُولُ ﷺ أَتَىٰ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَسَأَلَهُ

أَحَدُهُمْ مِثْلَ سُؤَالِ أَبِي جَهْلٍ فَأَجَابَهُ بِتِلَاوَةِ سُورَةِ النَّجْمِ، فَكَانَ مَا كَانَ، لِأَنَّ أَبَا جَهْلٍ صَبِيحَةَ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ لَقِيَ النَّبِيَّ ﷺ فَسَأَلَهُ: هَلْ مِنْ شَيْءٍ؟

إِذَنْ: كَانَ يُتَابِعُهُ، وَيُتَابِعُ أَخْبَارَهُ؛ هَلْ مِنْ شَيْءٍ؟

فَقَالَ: «نَعَمْ، **أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ**»، كَانَ هَذَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ قَالَ: لَوْ جَمَعْتُ لَكَ قَوْمَكَ تُعِيدُ عَلَيْهِمْ مَا أَخْبَرْتَنِي بِهِ؟ لِأَنَّهُ يَرَاهَا أُسْطُورِيَّةً خَيَالِيَّةً لَا يُمْكِنُ أَنْ تُصَدَّقَ، فَأَرَادَ أَنْ يُكَذِّبُوهُ وَقَدْ سَمِعُوا مِنْ فِيهِ.

قَالَ: لَوْ جَمَعْتُ لَكَ قَوْمَكَ أَتُخْبِرُهُمْ بِمَا أَخْبَرْتَنِي بِهِ؟

قَالَ: **نَعَمْ**.

فَأَخَذَ يُنَادِي عَلَيْهِمْ يَا بَنِي فَلُانٍ يَا بَنِي فُلَانٍ! الْمُهِمُّ أَنَّهُ جَمَعَهُمْ.

فَقَالَ: أَعِدْ عَلَيْهِمْ مَا قُلْتَ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ مَا قَالَ قَبْلُ.

فَمِنْ وَاضِعٍ يَدَهُ عَلَىٰ رَأْسِهِ، وَمِنْ ضَارِبٍ كَفًّا بِكَفٍّ تَعَجُّبًا، وَمِنْ مُكَذِّبٍ، وَمِنْ مُثَبَّتٍ بِتَثْبِيتِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَكَانُوا يَسْمَعُونَ، كَانُوا يَبْحَثُونَ، يَسْأَلُونَ، فَلَا يُسْتَبْعَدُ أَنَّ أَحَدَهُمْ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ هَلْ مِنْ شَيْءٍ؟

فَقَالَ: نَعَمْ! وَتَلَا عَلَيْهِ سُورَةَ النَّجْمِ.

يُؤَيِّدُ هَذَا أَنَّ الْحَادِثَةَ كَانَتْ بَعْدَ حَادِثَةِ الْإِسْرَاءِ يَعْنِي مَا وَقَعَ مِنْ سُجُودِهِمْ عِنْدَ تِلَاوَةِ سُورَةِ النَّجْمِ كَانَ بَعْدَ حَادِثَةِ الْإِسْرَاءِ؛ لِأَنَّ فِي سُورَةِ النَّجْمِ ذِكْرًا لِلْمَشَاهِدِ الَّتِي

رَآهَا النَّبِيُّ ﷺ وَأَخْبَرَهُمْ بِهَا فِي الْإِسْرَاءِ عَلَىٰ سَبِيلِ الْإِجْمَالِ بِتَصْدِيقِ ذَلِكَ، وَفِيهَا أَيْضًا إِشَارَةٌ لِمِعْرَاجِهِ ﷺ، فَلَعَلَّهُمْ أَحَبُّوا أَنْ يَعْرِفُوا مَا هُوَ الْجَدِيدُ، فَطَرَحُوا السُّؤَالَ نَفْسَهُ، وَفِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسْتَمِعُوا مَا طَلَبُوهُ.

وَمِنَ الْمُحْتَمَلِ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ نَزَلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ النَّجْمِ، فَخَرَجَ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ وَالْمَسْجِدُ فِيهِ الْمُسْلِمُ وَالْمُشْرِكُ، فَتَلَا عَلَيْهِمْ السُّورَةَ.

وَإِذَنْ؛ فَلَمْ يَكُنِ الْمُسْلِمُونَ بِمَعْزِلٍ عَنِ الْمُشْرِكِينَ، وَقَدِ اسْتَمَعُوا هَذِهِ السُّورَةَ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَىٰ آخِرِهَا، حَيْثُ آخِرُ السُّورَةِ فِيهِ السَّجْدَةُ.

أَمَّا تَعْلِيلُ سُجُودِهِمْ، هَذَا جَوَابٌ عَنِ السُّؤَالِ الْأَوَّلِ: كَيْفَ تُنْسَىٰ لَهُ أَنْ يَجْمَعَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ؟

الْإِجَابَةُ عَنِ السُّؤَالِ الثَّانِي وَهُوَ تَعْلِيلُ السُّجُودِ: لِمَاذَا سَجَدُوا؟

هُنَاكَ أَكْثَرُ مِنْ عَامِلٍ أَدَّىٰ إِلَىٰ ذَلِكَ، وَرُبَّمَا اجْتَمَعَتِ الْعَوَامِلُ كُلُّهَا.

الْكَلِمَةُ الْبَلِيغَةُ تَأْخُذُ عَلَىٰ الْعَرَبِيِّ لُبَّهُ.

تَذْكُرُونَ قِصَّةَ أَبِي فِرَاسٍ، وَهُوَ الْفَرَزْدَقُ لَمَّا أُنْشِدَ قَصِيدَةً فَاسْتَحْسَنَهَا، فَسَجَدَ فِي أَثْنَاءِ إِنْشَادِهَا، لَمَّا سَمِعَ بَيْتًا مِنْ أَبْيَاتِهَا سَجَد، ثُمَّ قَامَ، فَلَمَّا قَامَ سُئِلَ، مَا هَذَا الَّذِي فَعَلْتَ يَا أَبَا فِرَاسٍ؟

قَالَ: هَذِهِ سَجْدَةُ الشِّعْرِ.

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَعْفُوَ عَنَّا وَعَنِ الْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ.

www.menhag-

كَانُوا يَحْتَرِمُونَ الْكَلِمَةَ الْبَلِيغَةَ، لَا كَمَنْ يَنْتَسِبُ إِلَىٰ الْعَرَبِيَّةِ فِي هَذَا الْأَوَانِ وَيَدْعُو إِلَىٰ الْبُعْدِ عَنْهَا حَتَّىٰ مِمَّنْ يَدْعُونَ إِلَىٰ الْحَقِّ لَا يَلْتَفِتُونَ، فَالْكَلِمَةُ الْبَلِيغَةُ كَانَتْ تَأْخُذُ عَلَىٰ الْعَرَبِيِّ لُبَّهُ.

وَمِنْ هُنَا جَاءَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي بَعْضِ مَا جَاءَ بِهِ يَتَحَدَّاهُمْ بِهَذَا الْجَانِبِ.

كَانَ هُنَاكَ قَبِيلَةٌ يُقَالُ لَهَا: أَنْفُ النَّاقَةِ، فَكَانَ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَىٰ تِلْكَ الْقَبِيلَةِ يَسْتَحِي إِذَا قِيلَ لَهُ مِمَّنْ الرَّجُلُ؟ أَنْ يَقُولَ مِنْ بَنِي أَنْفِ النَّاقَةِ؛ فَيَذْهَبُ إِلَىٰ مَنْ فَوْقَهَا فَيَقُولُ مِنْ بَنِي فُلَانٍ حَتَّىٰ جَاءَ شَاعِرٌ بِبَيْتِ شِعْرٍ بِبَيْتٍ مِنَ الشِّعْرِ

قَوْمٌ هُمُ الْأَنْفُ وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمُ ... فَمِنْ يُسَوِّي بِأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّنَبَا

فَكَانَ الرَّجُلُ مِنْ بَنِي أَنْفِ النَّاقَةِ إِذَا قِيلَ لَهُ مِمَّنِ الرَّجُلُ؟ يَقُولُ: مِنْ بَنِي أَنْفِ النَّاقَةِ.

بِبَيْتِ شِعْرٍ يَرْفَعُ قَبِيلَةً وَيَخْفِضُ أُخْرَىٰ فَكَانُوا يَحْتَرِمُونَ الْكَلِمَةَ الْبَلِيغَةَ تَأْخُذُ عَلَيْهِمْ أَلْبَابَهُمْ، وَمِنْ هُنَا جَاءَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي بَعْضِ مَا جَاءَ بِهِ يَتَحَدَّاهُمْ بِهَذَا الْجَانِبِ وَقَدْ عَجَزُوا، وَكَانَ كُلٌّ مِنْهُمْ فِي نَفْسِهِ كُلُّ الرَّغْبَةِ إِلَىٰ اسْتِمَاعِ كَلَامِ اللهِ -كَمَا مَرَّ بِنَا- فِي شَأْنِ أَبِي سُفْيَانَ وأَبِي جَهْلٍ وَالْأَسْوَدِ بْنِ شَرِيقٍ، هَذَا يَدُورُ مِنْ وَرَاءِ النَّاسِ لِيَسْمَعَ الْقُرْآنَ، وَهَذَا يَدُورُ مِنْ وَرَائِهِمْ وَهَكَذَا.

كُلٌّ مِنْهُمْ عِنْدَهُ مَيْلٌ شَدِيدٌ فِي نَفْسِهِ إِلَىٰ الِاسْتِمَاعِ.

الْأَمْثِلَةُ عَلَىٰ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ مِنْهَا مَا هُوَ ثَابِتٌ وَمِنْهَا مَا لَمْ يَثْبُتْ فَمَا لَمْ يَثْبُتْ مَثَلًا مَا وَرَدَ فِي إِحْدَىٰ رِوَايَتَيْ إِسْلَامِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَأَنَّهُ سَمِعَ صَدْرًا مِنْ سُورَةِ طَه، فَدَخَلَهُ الْإِسْلَامُ، وَهَذَا فِي الْحَقِّ لَمْ يَثْبُتْ.

كَذَلِكَ مَا رَوَاهُ ابْنُ هِشَامٍ وَقَدْ مَرَّ مِنَ اسْتِمَاعِ أَبِي سُفْيَانَ وَأَبِي جَهْلٍ وَالْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيقٍ الْقُرْآنَ لَيْلًا مِنْهُ أَيْضًا وَهَذَا ثَابِتٌ.

ازْدِحَامُ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ عَلَىٰ أَبِي بَكْرٍ حِينَ كَانَ يَقْرَأُ فِي صَلَاتِهِ.

الِاسْتِمَاعُ هُنَا سَيَعْقُبُهُ حَتْمًا إِعْجَابٌ وَاسْتِحْسَانٌ لَا مَحَالَةَ هُوَ كَلَامُ اللهِ -كَمَا قَالَ الْوَلِيدُ ذَلِكَ صَرَاحَةً- فَلَمَّا وَصَلَ ﷺ فِي تِلَاوَتِهِ إِلَىٰ السَّجْدَةِ وَجَدُوا أَنْفُسَهُمْ مُنْسَاقِينَ إِلَىٰ السُّجُودِ بِدَافِعِ الْإِعْجَابِ، وَقَدْ أَخَذَتِ الْآيَاتُ مِنْ نُفُوسِهِمْ مَأْخَذَهَا. هَذَا مَلْحَظٌ.

www.menhag-un.com

مُفَاوَضَةُ قُرَيْشٍ أَبَا طَالِبٍ فِي أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ

أَيْضًا قَنَاعَةُ قُرَيْشٍ كَانَتْ قَائِمَةً بِصِدْقِ الرَّسُولِ ﷺ لِذَا وَجَدْنَا عُتْبَةَ بْنَ الرَّبِيعَةِ عِنْدَمَا ذَهَبَ لِلْمُفَاوَضَةِ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ فَبَدَأَ ﷺ بِتِلَاوَةِ سُورَةِ فُصِّلَتْ فَلَمَّا وَصَلَ إِلَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣].

مَا كَانَ مِنْ عُتْبَةُ إِلَّا أَنْ وَضَعَ يَدَهُ عَلَىٰ فَمِ الرَّسُولِ لِيُصَمِّتَهُ، يُرِيدُ أَنْ لَا يُتِمَّ تِلَاوَتَهُ -وَهُوَ خَائِفٌ مَذْعُورٌ-، وَجَعَلَ يُنَاشِدُهُ الرَّحِمَ خَوْفًا مَنْ نُزُولِ تِلْكَ الصَّاعِقَةِ، وَرُبَّمَا كَانَ سُجُودُهُمْ هُنَا انْطِلَاقًا مِنْ هَذَا الْمَعْنَىٰ فَقَدْ وَرَدَ قَبْلَ الْأَمْرِ بِالسُّجُودِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ﴾ [النجم: ٥٧].

كَانَ مِنْ عَادَتِهِمْ وَمَا تَوَارَثُوهُ أَيْضًا أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا دُعِيَ عَلَيْهِ فَاضْجَعَ لِجَنْبِهِ زَالَتْ عَنْهُ تِلْكَ الدَّعْوَةُ وَلَمْ يُصِبْهُ مَكْرُوهٌ، وَهَذَا مَا فَعَلَهُ أَبُو سُفْيَانَ حِينَ سَمِعَ دَعْوَةَ خُبَيْبِ بْنِ عَدِيٍّ رضي الله عنه فَأَلْقَىٰ أَبُو سُفْيَانَ بِنَفْسِهِ حِينَئِذٍ وَبِابْنِهِ مُعَاوِيَةَ إِلَىٰ الْأَرْضِ حَتَّىٰ لَا تُصِيبَهُ دَعْوَةُ خُبَيْبٍ.

فَكَانَ هذَا مِنْ مُعْتَقَدَاتِهِمْ، فَلَعَلَّهُمْ أَيْضًا كَانُوا مُعْتَقِدِينَ ذَلِكَ عِنْدَ سُجُودِهِمْ.

نَسْتَحْضِرُ هَذِهِ الْمَعَانِي جَمِيعًا مِنْ تَذَوُّقٍ لِبَلَاغَةِ الْكَلِمَةِ وَمِنْ يَقِينٍ بِصِدْقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَبِالتَّالِي مِنْ تَخَوُّفٍ مِنْ وَعِيدِهِ، وَمِنْ تَلَهُّفٍ إِلَىٰ سَمَاعِ الْقُرْآنِ؛

فَلْنَسْتَحْضِرْ هَذَا وَنَحْنُ نَنْظُرُ فِي آيَاتِ سُورَةِ النَّجْمِ ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩- ٤٥]. إِلَىٰ أَنْ بَلَغَ آخِرَ السُّورَةِ، وَفِي آخِرِ آيَاتِهَا آيَةُ السَّجْدَةِ فَسَجَدَ وَسَجَدَ كُلُّ مَنْ حَضَرَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْكَافِرِينَ.

ثَمَّةَ قِصَصٌ كَثِيرَةٌ تَدُلُّ عَلَىٰ انْبِهَارِ الْكُفَّارِ بِالْقُرْآنِ، وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَقِفُوا أَمَامَ بَلَاغَتِهِ.

مِنْ ذَلِكَ مَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» فِي قِصَّةِ إِسْلَامِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ جُبَيْرٌ: «سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِسُورَةِ الطُّورِ فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴾ [الطور: ٣٥-٣٧]. قَالَ: كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ» وَكَانَ مُشْرِكًا عِنْدَمَا أَوْفَدَتْهُ قُرَيْشٌ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ لِيُفَاوِضَ النَّبِيَّ ﷺ فِي أَسْرَىٰ بَدْرٍ، فِي رِوَايَةٍ أُخْرَىٰ: «فَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ مَا دَخَلَ الْإِسْلَامُ فِي قَلْبِي» صُدِعَ قَلْبُهُ لَمَّا سَمِعَ الْآيَاتِ.

فَالْقُرْآنُ كَانَ يُحْدِثُ عِنْدَهُمْ أَمْثَالَ هَذِهِ الْحَالَاتِ، وَالْحَدِيثُ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ فِي «الصَّحِيحِ».

النَّبِيُّ ﷺ لَمْ يَقَعْ مِنْهُ شَيْءٌ مِمَّا قَالُوا، وَمَا أَلْقَىٰ الشَّيْطَانُ عَلَىٰ لِسَانِهِ مِنْ شَيْءٍ حَاشَاهُ، وَقِصَّةُ الْغَرَانِيقِ كَمَا مَرَّ قِصَّةٌ وَاهِيَةٌ سَاقِطَةٌ مَكْذُوبَةٌ مِنَ الْكَذِبِ

الْأَبْلَقِ، وَلَكِنَّهَا وُضِعَتْ مَحْبُوكَةً فِي حَبْكَةٍ قَصَصِيَّةٍ مَتِينَةٍ بِحَيْثُ تَدْخُلُ بِزَيْفِهَا عَلَىٰ مَنْ لَمْ يُعْمِلِ النَّظَرَ الثَّاقِبَ فِي أَطْوَائِهَا.

وَأَنْتَ خَبِيرٌ بِأَنَّ النَّظَرَ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ يَحْتَاجُ نَظَرَ الْأَئِمَّةِ الَّذِينَ نَظَرُوا، وَأَمَّا مَنْ كَانَ دُونَهُمْ، فَلَابُدَّ أَنْ يَقَعَ مِنْهُ التَّخْلِيطُ.

الْإِسْنَادُ قَدْ يَكُونُ نَظِيفًا جِدًّا وَيَكُونُ الْحَدِيثُ ضَعِيفًا؛ لِذَلِكَ فَرَّقَ الْعُلَمَاءُ كَمَا عِنْدَ ابْنِ الصَّلَاحِ فِي «الْمُقَدِّمَةِ» فِي مَبْحَثِ الصَّحِيحِ، بَيْنَ قَوْلِ الْقَائِلِ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْجَهَابِذَةِ النَّقَدَةِ بَيْنَ قَوْلِ الْوَاحِدِ مِنْهُمْ حَدِيثٌ صَحِيحٌ، وَقَوْلِهِ حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ.

قَالُوا: إِذَا قَالَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ فَقَدْ حَكَمَ عَلَىٰ الْمَتْنِ وَالْإِسْنَادِ جَمِيعًا، وَإِذَا قَالَ حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ فَمَعْنَىٰ ذَلِكَ أَنَّهُ إِنَّمَا فَحَصَ الْإِسْنَادَ فَقَضَىٰ بِصِحَّتِهِ، لِأَنَّ الْمَتْنَ قَدْ يَكُونُ ضَعِيفًا، بَلْ يَكُونُ مَكْذُوبًا وَيَكُونُ الْإِسْنَادُ نَظِيفًا، مِثْلُ أَنْ يَأْتِيَ الرَّجُلُ بِحِكْمَةٍ، أَوْ بِقَاعِدَةٍ مِنَ الْقَوَاعِدِ الَّتِي لَا يُمَارَىٰ فِيهَا بِبَدَهِيَّةٍ مِنَ الْبَدَهِيَّاتِ، وَيَأْتِي بِإِسْنَادٍ نَظِيفٍ ثُمَّ يَأْتِي بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ.

الْإِسْنَادُ الَّذِي مَرَّ وَإِنْ كَانَ نَظِيفًا مِنْ حَيْثُ الظَّاهِرُ فَهُوَ مَكْذُوبٌ، وَلَكِنَّ هَذَا الْمَتْنَ مَتْنٌ صَحِيحٌ، وَلِذَلِكَ تَجِدُ كَثِيرًا فِي كَلَامِ الْعُلَمَاءِ النَّقَدَةِ أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُ مِنْهُمْ «الْإِسْنَادُ ضَعِيفٌ وَمَعْنَىٰ الْحَدِيثِ صَحِيحٌ» يَقُولُ: الْإِسْنَادُ ضَعِيفٌ، وَلَكِنَّ مَعْنَىٰ الْحَدِيثِ صَحِيحٌ، قَدْ يَكُونُ قَاعِدَةً مِنْ قَوَاعِدِ الشَّرْعِ، قَدْ يَكُونُ مُسَلَّمَةً مِنْ مُسَلَّمَاتِ الْعَقِيدَةِ، أَوْ مُسَلَّمَةً مِنْ مُسَلَّمَاتِ الْعُقُولِ.

وَهُمْ اسْتَعْمَلُوا الْعَقْلَ أَيْضًا فِي الرَّدِّ لِأَنَّهُمْ نَقَدُوا الْمَتْنَ كَمَا نَقَدُوا الْإِسْنَادَ سَوَاءً بِسَوَاءٍ، بَلْ تَوَفَّرُوا عَلَىٰ نَقْدِ الْمَتْنِ تَوَفُّرًا عَظِيمًا، وَتَجِدُ ذَلِكَ فِي بَحْثِهِمْ عَنِ الْمُشْكِلِ، وَفِي تَهْذِيبِهِمْ لِلْآثَارِ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا أَتَوْا بِه -رَحِمَهُمُ اللهُ-.

يَعْنِي مَثَلًا عِنْدَمَا تَنْظُرُ فِي الْمَنَارِ الْمُنِيفِ لِلْإِمَامِ ابْنِ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ وَهُوَ يَتَكَلَّمُ عَنْ عَلَامَاتِ وَأَمَارَاتِ الْحَدِيثِ الضَّعِيفِ، وَالضَّعِيفُ قَدْ يَكُونُ مَوْضُوعًا فَهُوَ أَنْوَاعٌ كَثِيرَةٌ -أَيِ الضَّعِيفُ- أَرْذَلُهَا وَأَحَطُّهَا وَأَخَسُّهَا هُوَ الْمَوْضُوعُ.

وَبَعْضُ الْعُلَمَاءِ يَقُولُ: لَيْسَ بِحَدِيثٍ أَصْلًا، لِأَنَّ الْبَحْثَ فِي الصِّحَّةِ وَالضَّعْفِ إِنَّمَا لِمَا يَكُونُ فِيهِ ثُبُوتٌ أَوْ شُبْهَةُ ثُبُوتٍ لِرَسُولِ اللهِ، فَالثُّبُوتُ مَعَ الصِّحَّةِ وَالْحُسْنِ، وَأَمَّا شُبْهَةُ الثُّبُوتِ فَمَعَ الضَّعْفِ؛ الْمَوْضُوعُ الْمَكْذُوبُ الَّذِي أَلْصَقُ بِالرَّسُولِ لَيْسَ هُنَاكَ شُبْهَةٌ فِي اتِّصَالِهِ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَيَقُولُونَ: «لَيْسَ هَذَا مِنْ جِنْسِ الْحَدِيثِ أَصْلًا».

عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ عِنْدَمَا كَانُوا يَضَعُونَ الْقَوَاعِدَ الَّتِي عَلَىٰ أَسَاسِهَا يُمْكِنُ الْحُكْمُ عَلَىٰ الْحَدِيثِ بِأَنَّهُ صَحِيحٌ أَوْ أَنَّهُ ضَعِيفٌ أَفْرَدُوا الضَّعِيفَ بِعَلَامَاتٍ يُعْرَفُ بِهَا الضَّعِيفُ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ، فَمَثَلًا إِذَا كَانَ مُخَالِفًا لِلْعَادَةِ الْمُسْتَقِرَّةِ.

وَضَرَبَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ لِذَلِكَ مَثَلًا فَقَالَ: «افْتَرَىٰ بَعْضُ الْكَذِبَةِ هَذَا الْقَوْلَ وَأَلْصَقَهُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ -يَعْنِي يَأْتِي بِالْإِسْنَادِ وَيَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: الْبَاذِنْجَانُ لِمَا أُكِلَ لَهُ!!- فَيَقُولُ الْإِمَامُ رَحِمَهُ اللهُ مُعَلِّقًا «هَكَذَا يَكُونُ الْكَذِبُ».

واللهِ مَا أَكَلَ أَحَدٌ الْبَاذِنْجَانَ بِنِيَّةِ الْغِنَىٰ إِلَّا افْتَقَرَ، وَلَا بِنِيَّةِ الصِّحَّةِ إِلَّا مَرِضَ، الْبَاذِنْجَانُ لِمَا أُكِلَ لَهُ؟!!

يَقُولُ أَيْضًا فِيمَا زُيِّفَ: «إِنَّ سَفِينَةَ نُوحٍ فِي الطُّوفَانِ طَافَتْ حَوْلَ الْبَيْتِ سَبْعًا، وَصَلَّتْ عِنْدَ الْمَقَامِ رَكْعَتَيْنِ»، أَيْنَ كَانَ الْمَقَامُ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ فِي أَيَّامِ نُوحٍ؟!!

ثُمَّ إِنَّ الطُّوفَانَ كَانَ يَغْمُرُ الْأَرْضَ، أَيْنَ الْبَيْتُ؟!

هَلْ كَانَ الْبَيْتُ قَدْ بُنِيَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَيَّامَ نُوحٍ وَالطُّوفَانُ يَغْمُرُ الْأَرْضَ كُلَّهَا؟

وَمَعَ ذَلِكَ جَاءَتْ السَّفِينَةُ بِقُدْرَةِ قَادِرٍ لَا تَسْأَلُ إِيَّاكَ أَنْ تُعَقِّبَ فَطَافَتْ حَوْلَ الْبَيْتِ سَبْعًا وَصَلَتْ عِنْدَ الْمَقَامِ رَكْعَتَيْنِ؛ تَنْزِلُ وَتَطْلُعُ!! تَنْزِلُ وَتَطْلُعُ!!

الَّذِي مَرَّ مَعَنَا يَدْخُلُ فِي مِثْلِ هَذَا، مُصَادَمَةٌ صَرِيحَةٌ لِلْآيَاتِ فِي ظَوَاهِرِهَا مِنْ غَيْرِ مَا تَأْوِيلٍ يُصَادِمُ الْآيَاتِ يَطْعُنَ فِي عِصْمَةِ الْأَنْبِيَاءِ، يُشَكِّكُ فِي الرِّسَالَةِ، يَجْعَلُ لِلشَّيْطَانِ سُلْطَانًا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحْوَالٌ عَجِيبَةٌ فَفِيهِ نَكَارَاتٌ مُنْكَرَةٌ، وَأَيْضًا فِيهِ اضْطِرَابٌ ظَاهِرٌ.

كَلَامٌ كَثِيرٌ يَضْرِبُ بَعْضُهُ بَعْضًا وَهَذَا اضْطِرَابٌ فِي الْمَتْنِ.

وَأَمَّا الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فَقَدْ نَظَرَ فِي إِسْنَادِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فَثَبَّتَهُ، لَا بَأْسَ!! حَتَّىٰ لَوْ كَانَ صَحِيحًا عَنْ سَعِيدٍ فَإِنَّهُ لَا يُقْبَلُ فَهَذَا مُرْسَلٌ مَنِ الَّذِي فَوْقَ سَعِيدٍ؟ قَدْ يَكُونُ كَذَّابًا وَحَتَّىٰ لَوْ كَانَ فَوْقَهُ مَنْ فَوْقِهِ مَعَ هَذِهِ الْمُصَادَمَةِ.

نَقْضُ الْمَتْنِ لَابُدَّ أَنْ يَقْضِيَ بِأَنْ تَكُونَ هَذِهِ مَكْذُوبَةً عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ لِأَنَّهَا تَطْعَنُ فِيهِ بَلْ تَطْعَنُ فِي الْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ، لِأَنَّ الْقُرْآنَ يُثْبِتُ عَكْسَ ذَلِكَ، فَالْإِنْسَانُ يَنْبَغِي أَنْ يَتَوَقَّىٰ وَأَنْ يَجْتَهِدَ، وَأَنْ يَتَّقِيَ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِذَا نَظَرَ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ الْمَسَائِلِ لَا يَجُوزُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهَا نَظْرَةً عَابِرَةً، وَلَا أَنْ يَمُرَّ بِهَا مُرُورَ الْكِرَامِ، إِنَّمَا يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَبْحَثَ وَأَنْ يَكِلَ الْأَمْرَ إِلَىٰ عَالِمِهِ، كَمَا أَفْعَلُ، أَرْجِعُ إِلَىٰ الْعُلَمَاءِ كَلَامِهِمْ، وَأَنْتَ تَأْخُذُ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الدَّلِيلُ، أَمَّا أَنْ تَتَسَنَّمَ ذِرْوَةً لَيْسَتْ لَكَ فَلَا يَجُوزُ، أَمَّا أَنْ تَتَشَبَّعَ بِمَا لَمْ تُعْطَ فَهَذَا لَا يَجُوزُ.

وَأَمْثَالُ هَذِهِ الْأُمُورِ مُهْلِكَةٌ لِأَنَّهَا قَوْلٌ عَلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِغَيْرِ عِلْمٍ.

أَيْضًا أَنْ تَتَقَمَّشَ لَا يَجُوزُ -بِمَعْنَىٰ مَثَلًا- أَنْ تَذْهَبَ إِلَىٰ فَحْصِ هَذِهِ الْقِصَّةِ، فَتَجِدُ كَلَامَ الْحَافِظِ فِي الْفَتْحِ، فَتَقُولُ: ثَبَّتَهَا الْحَافِظُ إِذَنْ هِيَ ثَابِتَةٌ!! وَتَصْنَعُ كَمَا صَنَعَ مَنْ ذَكَرَهُ الْآلُوسِيُّ تَقُولُ: وَمَا الَّذِي فِي هَذَا؟ فَتَنْقُلُ مَوْطِنَ النِّزَاعِ مِنَ مَوْطِنِهِ الْأَصْلِيِّ؛ فَمَوْطِنُ النِّزَاعِ فِي هَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَقُولَ الرَّسُولُ ﷺ هَذَا؟ أَوْ هَذَا لَيْسَ بِمُمْكِنٍ؟ هَذَا مَوْطِنُ النِّزَاعِ، هَلْ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَكُونَ قَالَهُ أَوْ لَا يُتَصَوَّرُ؟ هَذَا مَوْطِنُ النِّزَاعِ.

أَمَّا أَنْ نَقُولَ إِنَّهُ لَوْ كَانَ قَالَهُ فَمَاذَا هُنَالِكَ؟ يَنْسَخُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ، وَهَلْ كَانَ اللهُ سَيُبْقِي مَا أَلْقَىٰ الشَّيْطَانُ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِ اللهِ؟

أَوَّه!!

www.menhag-un.com

فَقَدْ أَثْبَتَ أَنَّ الشَّيْطَانَ أَلْقَىٰ عَلَىٰ لِسَانِهِ!!

مَنْ قَالَ هَذَا؟!

هَذَا لَيْسَ بِمَوْطِنِ النِّزَاعِ يَعْنِي مَوْطِنُ النِّزَاعِ الْآنَ عِنْدَمَا نَقُولُ: يُمْكِنُ أَنْ يُلْقِيَ عَلَىٰ لِسَانِهِ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَنْسَخُ اللهُ مَا أَلْقَىٰ عَلَىٰ لِسَانِهِ مِنَ الْبَاطِلِ وَالْكَذِبِ وَالْكُفْرِ ويُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ. أَنْتَ أَثْبَتَّ الْإِلْقَاءَ عَلَىٰ لِسَانِهِ هَذَا مَوْطِنُ النِّزَاعِ: هَلْ يَثْبُتُ أَوْ لَا يَثْبُتُ؟

وَكَمَا مَرَّ عِنْدَ فَحْصِهِ، فَهُوَ لَا يَثْبُتُ بِمَرَّةٍ فَلَا يُحْتَاجُ إِلَىٰ مَا فَوْقَهُ.

فَالْمَسْأَلَةُ تَحْتَاجُ إِلَىٰ كَثِيرِ نَظَرِ طُلَّابِ الْعِلْمِ خَاصَّةً، وَأَنا طُوَيْلِبٌ وَلَسْتُ بِطَالِبٍ- طُلَّابُ الْعِلْمِ خَاصَّةً -وَأَنَا أَقَلُّهُمْ وَأَجْهَلُهُمْ- يَنْبَغِي عَلَيْهِمْ عِنْدَ التَّعَرُّضِ لِأَمْثَالِ هَذِهِ الْمَبَاحِثِ أَنْ يَرْجِعُوا إِلَىٰ الْعُلَمَاءِ، وَأَنْ يَسْتَخْلِصُوا النَّتَائِجَ مِمَّا دَلَّتْ عَلَيْهِ الدَّلَائِلُ، وَإِلَّا فَهُمْ مُتَهَجِّمُونَ مُفْتَرُونَ عَلَىٰ اللهِ وَمُفْتَرُونَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَقَدْ ذَكَرْتُ فِي بِدَايَةِ هَذِهِ الْمَجَالِسِ أَنْ لَيْسَ لِي فِي هَذَا الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا أُعَلِّقُ بِهِ أَنْتَ تَعْلَمُهُ، وَأَمَّا مَا أَقْرَأُهُ فَأَنْتَ تَفْهَمُهُ، وَلَيْسَ شَرْطًا عِنْدِي كُلَّمَا أَتَىٰ سَطْرٌ لِأَنِّي أُؤَلِّفُ بَيْنَ ذَلِكَ تَأْلِيفًا قَدْ لَا يَتَصَوَّرُهُ كَثِيرٌ مِنَ الْخَلْقِ؛ لَيْسَ شَرْطًا عِنْدِي مَا دُمْتُ أَقْرَأُهُ لَكَ إِذَا حَرَّرْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ أَوْ فِي رِسَالَةٍ فَكُلِّ كَلِمَةٍ إِلَىٰ صَاحِبِهَا.

وَهَذَا مَا يَقَعُ مِنَّا بِفَضْلِ اللهِ، إِلَّا مَا تُعَجِّلُ فِيهِ أَيَّامَ الْأَحْدَاثِ حَتَّىٰ يَكُونَ بَيْنَ أَيْدِي النَّاسِ؛ فَدَعُوكُمْ مِنْ هَذِهِ الْخُرَافَاتِ وَالتُّرَّهَاتِ، وَاحْرِصُوا عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكُمْ بَارَكَ فِيكُمْ رَبُّ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ.

هَلْ يَبْقَىٰ مَعَنا فِي هَذَا شَيْءٌ؟

يَبْقَىٰ مَعَنا شَيْءٌ يَسِيرٌ، شَيْءٌ يَسِيرٌ جِدًّا إِنْ شَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ تَعَلُّقًا غَيْرَ مُبَاشِرٍ بِمَا مَرَّ.

عَادَ مُهَاجِرُو الْحَبَشَةِ بَعْدَ أَنْ بَلَغَهُمْ مَا بَلَغَهُمْ، وَالصَّوَابُ -كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ- أَنَّهُمْ إِنَّمَا رَجَعُوا لِمَا أَثَّرَتْ فِيهِمُ الْغُرْبَةُ، وَأَوْقَعَتْهُ بِهِمْ مِنَ الْكُرَبِ، وَالْغُرْبَةُ كُرْبَةٌ -كَمَا يَقُولُونَ-.

وَكَمَا قَالَ الشَّاعِرُ الْقَدِيمُ:

لَعَمْرُكَ مَا ضَاقَتْ بِلَادٌ بِأَهْلِهَا ... وَلَكِنَّ أَخْلَاقَ الرِّجَالِ تَضِيقُ

الْبِلَادُ لَا تَضِيقُ بِأَهْلِهَا، الْأَرْضُ وَاسِعَةٌ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةٌ، وَلَكِنَّ أَخْلَاقَ الرِّجَالِ تَضِيقُ، فَعِنْدَمَا تَضِيقُ بِالْمَكَانِ أَنْتَ لَا تَضِيقُ بِالْحِيطَانِ وَلَا بِالْجُدْرَانِ، لَا تَضِيقُ بِالْأَرْضِ وَلَا بِالسَّمَاءِ، وَإِنَّمَا تَضِيقُ بِالْمُعَاشِرِينَ، تَضِيقُ بِمَنْ حَوْلَكَ.

لَعَمْرُكَ مَا ضَاقَتْ بِلَادٌ بِأَهْلِهَا ... وَلَكِنَّ أَخْلَاقَ الرِّجَالِ تَضِيقُ

فَوَجَدُوا الْكُرَبَ فِي تِلْكَ الْغُرْبَةِ كَمَا ذَكَرَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ -مَعَ أَنَّهَا كَانَتْ فِي الْهِجْرَةِ الثَّانِيَةِ-، وَوَصَفَتْ كُرْبَةَ الْغُرْبَةِ بِمَا عَانَتْ فِي الْهِجْرَةِ الثَّانِيَةِ

وَكَانُوا مُتَوَافِرِينَ كَانُوا كَثْرَةً -أَعْنِي الْمُهَاجِرِينَ-، وَكَانُوا فِي اطْمِئْنَانٍ مِنَ الْعَيْشِ وَهُدُوءٍ لَا يَهِيجُهُمْ أَحَدٌ وَلَا يُنَفِّرُهُمْ عَنْ دِينِهِمْ أَحَدٌ، بَلْ كَانُوا فِي خَيْرِ جِوَارٍ عِنْدَ خَيْرِ جَارٍ كَمَا قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

وَأَيْضًا لِمَا سَمِعُوا بِأَمْرٍ آخَرَ، وَهُوَ مَا كَانَ مِنْ إِسْلَامِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَكَذَا مَا كَانَ مِنْ إِسْلَامِ حَمْزَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ مِنَ الْبِعْثَةِ أَسْلَمَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فَعَزَّ الْإِسْلَامُ بِإِسْلَامِهِمَا، كَانَ إِسْلَامُ الْفَارُوقِ وأَسَدُ اللهِ حَمْزَةُ نَصْرًا وَفَتْحًا كَبِيرًا لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، فَهُمَا لَمْ يَكُونَا مُجَرَّدَ رَجُلَيْنِ عَادِيَّيْنِ كَبَقِيَّةِ الرِّجَالِ، وَلَا شَخْصَيْنِ كَبَقِيَّةِ الْأَشْخَاصِ، لَمْ يَكُونَا رَقْمًا فِي مَجْمُوعٍ لَا يُحْصَىٰ مِنَ الْبَشَرِ، لَكِنْ كَانُوا مُتَمَيِّزِينَ كَسَائِرِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ الْأَمِينِ، كَانَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا جَبَلَيْنِ شَامِخَيْنِ، وَأَسَدَيْنِ جَسُورَيْنِ وَبَطَلَيْنِ كَبِيرَيْنِ دَحَضَ اللهُ بِهِمَا جَحَافِلَ الْمُشْرِكِينَ، وَأَذَلَّ بِهِمَا طَوَائِفَ الْحَاقِدِينَ وَالْمُعَانِدِينَ، وَأَعَزَّ بِهِمَا الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ.

عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَرَدَ فِي قِصَّةِ إِسْلَامِهِ كَلَامٌ كَثِيرٌ وَوَرَدَتْ رِوَايَاتٌ لَا تَصِحُّ فِي قِصَّةِ إِسْلَامِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَأَمَّا حَمْزَةُ، فَقَدْ ذَكَرَ أَصْحَابُ السِّيَرِ أَنَّهُ كَانَ فِي صَيْدٍ وَقَنْصٍ، وَكَانَ مِنْ عَادَتِهِ إِذَا رَجَعَ مِنْ صَيْدِهِ أَنْ يَذْهَبَ أَوَّلَ مَا يَذْهَبُ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ، وَرُبَّمَا وَقَفَ عَلَىٰ حَلْقَاتِ قُرَيْشٍ فِي الْمَسْجِدِ فَيَقُولُ فَعَلْتُ كَذَا وَفَعَلْتُ كَذَا، هُوَ أَسَدُ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَهُوَ أَخُو النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنَ الرَّضَاعَةِ كَمَا مَرَّ ذِكْرُ

ذَلِكَ، وَكَانَ بَطْلًا لَا يُشَقُّ لَهُ غُبَارٌ، وَمَا قُتِلَ إِلَّا غِيلَةً كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ، وأَمَّا كِفَاحًا فَكَانَ لَا يَثْبُتُ لَهُ أَحَدٌ وَلَا يَقُومُ لَهُ قَائِمٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، هُوَ أَسَدُ اللهِ.

فَلَمَّا رَجَعَ لَقِيَتْهُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ جَارِيَةٌ، فَأَفْضَتْ إِلَيْهِ بِكَلَامٍ كَانَتْ قَدْ سَمِعَتْ أَبَا جَهْلٍ يَتَطَاوَلُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَيَسُبُّهُ سَبًّا قَبِيحًا، وَرُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ بِغَيْرِ مَحْضَرٍ مِنْ أَحَدٍ لَكِنَّهَا هِيَ سَمِعَتْ ذَلِكَ، رُبَّمَا مِنْ وَرَاءِ جِدَارٍ، مِنْ وَرَاءِ سِتَارٍ الْمُهِمُّ أَنَّهَا سَمِعَتْ فَلَمَّا رَجَعَ الْحَمْزَةُ أَخْبَرَتْهُ.

قَالَتْ: لَوْ أَنَّكَ سَمِعْتَ مَا قَالَهُ أَبُو جَهْلٍ لِابْنِ أَخِيكَ فَأَهَاجَتْ فِيهِ نَخْوَةَ الْعَصَبِيَّةِ لَمْ يَكُنْ أَسْلَمَ كَانَ عَلَىٰ الشِّرْكِ، وَلَكِنْ أَرَادَ اللهُ بِهِ خَيْرًا -كَمَا سَيَأْتِي تَفْصِيلُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا لَمْ يُعَتِّمْ أَنْ أَخَذَ قَوْسَهُ بِسِيَتِهِ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ فَذَهَبَ إِلَىٰ الْحَلْقَةِ الَّتِي فِيهَا أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ لَهُ تَسُبُّهُ وَأَنَا عَلَىٰ دِينِهِ؟ ثُمَّ ضَرَبَهُ فَشَجَّهُ شَجَّةً مُنْكَرَةً.

أَرَادَ بَعْضُ أَهْلِ أَبِي جَهْلٍ أَنْ يَتَصَدَّوْا لِحَمْزَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَنَهَاهُمْ أَبُو جَهْلٍ وَذَكَرَ أَنَّهُ إِنَّمَا وَقَعَ مِنْهُ أَمْرٌ يَسْتَحِقُّ غَضَبَهُ، فَقَالَ: وَأَنَا عَلَىٰ دِينِهِ. سَيَأْتِي أَنَّهُ رَاجَعَ نَفْسَهُ بَعْدَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ قَالَهَا فِي ثَوْرَةِ نَخْوَةٍ عَصَبِيَّةٍ مِنْ غَيْرِ مَا تَفَكُّرٍ وَلَا رَوِيَّةٍ، وَلَكِنْ لَا شَكَّ أَنَّ لَهَا رَصِيدًا مَذْخُورًا كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ وَرُوحِهِ وَضَمِيرِهِ، لَمْ تَأْتِ هَكَذَا عَفْوًا لِمُجَرَّدِ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: إِنَّ أَبَا جَهْلٍ قَدْ سَبَّ ابْنَ أَخِيكَ كَانَ يُمْكِنُ أَنْ يَضْرِبَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْتَعْلِنَ بِأَنَّهُ عَلَىٰ دِينِهِ، وَلَكِنْ قَالَ: تَضْرِبُهُ وَأَنَا عَلَىٰ دِينِهِ؟ فَشَجَّهُ شَجَّةً مُنْكَرَةً، لَا يُبَالِي بِمَا يَكُونُ مِنَ الْآثَارِ وَالنَّتَائِجِ.

بَاتَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ بِشَرٍّ لَيْلَةٍ، هَلْ تَسَرَّعَ وَتَرَكَ دِينَ أَبِيهِ؟

وَهُوَ يَرَىٰ أَخَاهُ وَهُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ وَهُوَ سَيِّدُ الْأُسْرَةِ وَمُقَدَّمُهَا، يَرَىٰ أَبَا طَالِبٍ وَيَرَىٰ إِخْوَتَهُ وَيَرَىٰ حَرْبَ أَبِي لَهَبٍ لِرَسُولِ اللهِ، لَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، حَتَّىٰ الْعَبَّاسُ لَمْ يَكُنْ قَدْ دَخَلَ فِي دِينِ اللهِ بَعْدُ، وَإِنَّمَا دَخَلَ مُؤَخَّرًا وَاسْتَسَرَّ بِإِسْلَامِهِ حَتَّىٰ أَرْجَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي قِصَّةِ إِسْلَامِهِ -كَمَا سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا إِذَنْ فَكَأَنَّمَا قَالَ لِنَفْسِهِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ مَا هَذَا الَّذِي صَنَعْتَ بِنَفْسِكَ؟

هُوَ لَا يَسْتَطِيعُ التَّرَاجُعَ، يَعْنِي لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقِفَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ لِكَيْ يَقُولَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، لَقَدْ كُنْتُ غَاضِبًا فَقُلْتُ مَا قُلْتُ وَلَسْتُ عَلَىٰ دِينِ مُحَمَّدٍ- لَيْسَتْ هِيَ بِلُعْبَةٍ وَلَا الْمَجَالُ فِيهَا بِمَلْعَبَةٍ- كَلِمَةٌ تُلْزِمُ، وكَذَلِكَ كَانُوا بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ يَدْخُلُ بِهَا الرَّجُلُ فِي جِوَارٍ يُؤَدِّي إِلَىٰ إِفْنَاءِ قَبِيلَةٍ أَوْ عِزِّهَا بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ إِذَا قَالَ: أَجَرْتُكَ. بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ؛ كَانُوا رِجَالًا وَخَيْرَ النَّاسِ كَمَا هُوَ لِأَنَّ النَّاسَ مَعَادِنُ -كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ- مَنْ كَانَ خَيْرُهُمْ مَعْدِنًا «**تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ فَخِيَارُكُمْ فِي الْإِسْلَامِ خِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا فَقُهُوا**».

فِي الْجَاهِلِيَّةِ فِي عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، وَالذَّبْحِ لِلْأَوْثَانِ، وَالشِّرْكِ بِاللهِ الْمَلِيكِ الْعَلَّامِ، وَوَأْدِ الْبَنَاتِ، وَأَكْلِ الْمَيْتَةِ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ، خِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَيْ كَانُوا رِجَالًا فِيهِمْ فَضَائِلُ، لَا كَالْآنَ تَجِدُ الرَّجُلَ يَدَّعِي الْإِسْلَامَ وَلَيْسَ فِيهِ مِنَ الْفَضَائِلِ شَيْءٌ!!

الدِّيُن خُلُقٌ فَمَنْ زَادَ عَلَيْكَ فِي الْخَلْقِ زَادَ عَلَيْكَ فِي الدِّينِ.

الدِّينُ خُلُقٌ فَمَنْ زَادَ عَلَيْكَ فِي الْخُلُقِ زَادَ عَلَيْكَ فِي الدِّينِ.

فَبَاتَ بِشَرِّ لَيْلَةٍ مَاذَا يَصْنَعُ؟ وَكَيْفَ يَخْرُجُ؟ يَعْنِي إِنْ أَرَادَ أَنْ يَعُودَ فِيمَا قَلَّ كَيْفَ يَعُودُ؟

لَا مَجَالَ لِلْعَوْدَةِ، وَالْقَلْبُ هَلْ هُوَ مُطْمَئِنٌّ الْآنَ بِالْإِسْلَامِ؟ إِنَّمَا جَاءَتْ فِي ثَوْرَةِ غَضَبٍ. فِي الصَّبَاحِ لَقِيَ رَسُولَ اللهِ فَقَالَ لَهُ: إِنِّي أَشْتَاقُ إِلَىٰ حَدِيثِكَ -عَلَىٰ مَعْنَىٰ مَا قَالَ كَمَا سَيَأْتِي نَصًّا إِنْ شَاءَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا إِنِّي أَشْتَاقُ إِلَىٰ حَدِيثِكَ -يَعْنِي لَمْ تُحَدِّثْنِي مِنْ قَدِيمٍ-، وَقَدْ قُلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَثَبَّتَهُ رَسُولُ اللهِ فَبَقِيَ عَلَىٰ مَا كَانَ وَهُوَ أَسَدُ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ تَمَسَّكَ بِهَدْيِهِ وَاتَّبَعَ سُنَّتَهُ، وَلَزِمَ طَرِيقَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ.

◉◉◉

www.menhag-un.com

مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة الْعَاشِرَة)

مِنْ مَادَّةِ

سِيرَة النَّبِيِّ ﷺ

[الْعَهْدُ الْمَكِّيُّ - ج٢]

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

تَحْرِيضُ أَبُو طَالِبٍ أَبَا لَهَبٍ عَلَى نُصْرَتِهِ وَنُصْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ

فَإِنَّ الْمُهَاجِرِينَ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ، لَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ مَكَّةَ مَا دَخَلَ أَحَدٌ إِلَّا بِجِوَارٍ، دَخَلَ أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ الْمَخْزُومِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي جِوَارِ خَالِهِ أَبِي طَالِبٍ؛ فَسَعَىٰ إِلَيْهِ رِجَالٌ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ فَقَالُوا لَهُ: يَا أَبَا طَالِبٍ، لَقَدْ مَنَعْتَ ابْنَ أَخِيكَ مُحَمَّدًا فَمَالُكَ وَلِصَاحِبِنَا تَمْنَعُهُ مِنَّا؟! فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: «إِنَّهُ اسْتَجَارَ بِي وَهُوَ ابْنُ أُخْتِي، وَإِنْ أَنَا لَمْ أَمْنَعْ ابْنَ أُخْتِي لَمْ أَمْنَعْ ابْنَ أَخِي!».

فَقَامَ أَبُو لَهَبٍ غَاضِبًا، وَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، وَاللهِ لَقَدْ أَكْثَرْتُمْ عَلَىٰ الشَّيْخِ مَا تَزَالُونَ تَتَوَاثَبُونَ عَلَيْهِ فِي جِوَارِهُ مِنْ بَنِي قَوْمِهِ، وَاللهِ لَتَنْتَهُنَّ عَنْهُ أَوْ لَنَقُومَنَّ مَعَهُ فِي كُلِّ مَا قَامَ فِيهِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ مَا أَرَادَ!» وَهَذِهِ يَصْنَعُهَا عَصَبِيَّةً حَمِيَّةً، فَقَالُوا: «بَلْ نَنْصَرِفُ عَمَّا تَكْرَهُ يَا أَبَا عُتْبَةَ».

وَكَانَ أَبُو لَهَبٍ وَلِيًّا وَمُنَاصِرًا لَهُمْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَبْقَوْا عَلَىٰ ذَلِكَ! فَلَمَّا سَمِعَ أَبُو طَالِبٍ مِنْهُ ذَلِكَ طَمِعَ فِيهِ، وَرَجَا أَنْ يَقُومَ مَعَهُ فِي شَأْنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَالَ قَصِيدَةً يُحَرِّضُ فِيهَا أَبَا لَهَبٍ عَلَىٰ نُصْرَتِهِ وَنُصْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ:

وَإِنَّ امْـــرَأً أَبُـــو عُتَيْبَـــةَ عَمُّـــهُ
لَفِـي رَوْضَـةٍ مَـا إِنْ يُسَـامُ الْمَظَالِمَـا

أَقُــولُ لَــهُ وَأَيْــنَ مِنْــهُ نَصِــيحَتِي
أَبَــا مُعْتِــبٍ ثَبْــتٌ سَــوَادُكَ قَائِمًــا
وَلَا تَقْــبَلَنَّ الــدَّهْرَ مَــا عِشْــتَ خُطَّــةً
تُسَــبُّ بِهَــا إِمَّــا هَبَطْــتَ الْمَوَاسِــمَا
وَوَلِّ سَــبِيلَ الْعَجْــزِ غَيْــرَكَ مِــنْهُمُ
فَإِنَّــكَ لَــمْ تُخْلَــقْ عَلَــىٰ الْعَجْــزِ لَازِمَــا
وَحَارِبْ فَإِنَّ الْحَرْبَ نُصْفٌ وَلَنْ تَرَىٰ
أَخَا الْعُرْبِ يُعْطَىٰ الْخَسْفَ حَتَّىٰ يُسَالِمَا
وَكَيْــفَ وَلَــمْ يَجْنَــوْا عَلَيْــكَ عَظِيمَــةً
وَلَــمْ يَخْــذِلُوكَ غَانِمًــا أَوْ مُغَارِمَــا
جَــزَىٰ اللهُ عَنَّــا عَبْــدَ شَــمْسٍ وَنَــوْفلًا
وَتَيْمًــا وَمَخْزُومًــا عُقُوقًــا وَمَأْثَمَــا
بِتَفْــرِيقِهِمْ مِــنْ بَعْــدِ وُدٍّ وَأُلْفَــةٍ
جَمَاعَتَنَــا كَيْمَــا يَنَــالُوا الْمَحَارِمَــا
كَــذَبْتُمْ وَبَيْــتِ اللهِ نُبْــزَىٰ مُحَمَّــدًا
وَلَمَّــا تَــرَوْا يَوْمًــا لَــدَىٰ الشِّــعْبِ قَائِمَــا

وَلَكِنَّ أَبَا لَهَبٍ مَع هَذَا الْمَدِيحِ وَالِاسْتِشَارَةِ لَمْ يَسْتَجِبْ لِأَخِيهِ أَبِي طَالِبٍ فِي نُصْرَةِ الرَّسُولِ ﷺ، وَسَارَ فِي رَكْبِ قُرَيْشٍ.

◉◉◉

www.menhag-un.com

قِصَّةُ إِسْلَامِ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

* **دَخَلَ حَمْزَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الْإِسْلَامَ**، وَجَاءَ فِي قِصَّةِ إِسْلَامِهِ عَلَيْهِ رِضْوَانُ اللهِ آثَارٌ مُرْسَلَةٌ بِأَسَانِيدَ رِجَالُهَا ثِقَاتٌ.

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ قَالَ: «كَانَ إِسْلَامُ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حَمِيَّةً [هَذَا كَلَامُ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ] قَالَ: كَانَ إِسْلَامُ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حَمِيَّةً، وَكَانَ يَخْرُجُ مِنَ الْحَرَمِ فَيَصْطَادُ، فَإِذَا رَجَعَ مَرَّ بِمَجْلِسِ قُرَيْشٍ، وَكَانُوا يَجْلِسُونَ عِنْدَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، فَيَمُرُّ بِهِمْ فَيَقُولُ: رَمَيْتُ كَذَا وَكَذَا وَصَنَعْتُ كذا وَكَذَا، ثُمَّ يَنْطَلِقُ إِلَىٰ مَنْزِلِهِ، فَأَقْبَلَ مِنْ رَمْيِهِ ذَاتَ يَوْمٍ فَلَقِيَتْهُ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: يَا أَبا عُمَارَةَ، مَاذَا لَقِيَ ابْنُ أَخِيكَ مِنْ أَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ، شَتَمَهُ وَتَنَاوَلَهُ وَعَمِلَ وَفَعَلَ، فَقَالَ: هَلْ رَآهُ أَحَدٌ؟

قَالَتْ: إِي وَاللهِ لَقَدْ رَآهُ نَاسٌ، فَأَقْبَلَ حَتَّىٰ انْتَهَىٰ إِلَىٰ ذَلِكَ الْمَجْلِسِ عِنْدَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، فَإِذَا هُمْ جُلُوسٌ وَأَبُو جَهْلٍ فِيهِمْ، فَاتَّكَأَ عَلَىٰ قَوْسِه.

وَقَالَ: رَمَيْتُ كَذَا وَكَذَا وَفَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، ثُمَّ جَمَعَ يَدَيْهِ بِالْقَوْسِ فَضَرَبَ بِهَا بَيْنَ أُذُنَيْ أَبِي جَهْلٍ.

ثُمَّ قَالَ: خُذْهَا بِالْقَوْسِ، وَأُخْرَىٰ بِالسَّيْفِ، وَأَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللهِ.

قَالُوا: يَا أَبَا عُمَارَةَ إِنَّهُ سَبَّ آلِهَتَنَا، وَإِنْ كُنْتَ أَنْتَ -وَأَنْتَ أَفْضَلُ مِنْهُ- مَا أَقَرَرْنَاكَ وذَاكَ، وَمَا كُنْتَ يَا أَبَا عُمَارَةَ فَاحِشًا».

جَاءَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَسْلَمَ فَذَكَرَ الْقِصَّةَ أَطْوَلَ مِمَّا هُنَا، يَقُولُ ابْنُ مَسْعُودٍ: «مَازِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ» أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

وَيَقُولُ ابْنُ مَسْعُودٍ أَيْضًا: «مَا كُنَّا نَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ نُصَلِّيَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ حَتَّىٰ أَسْلَمَ عُمَرُ، فَلَمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ قَاتَلَ قُرَيْشًا حَتَّىٰ صَلَّىٰ عِنْدَ الْكَعْبَةِ وَصَلَّيْنَا مَعَهُ».

وَقَالَ أَيْضًا: «إِنَّ إِسْلَامَ عُمَرَ كَانَ فَتْحًا، وَإِنَّ هِجْرَتَهُ كَانَتْ نَصْرًا، وَإِنَّ إِمَارَتَهُ كَانَتْ رَحْمَةً».

وَأَمَّا حَمْزَةُ فَكَانَ فَتًىٰ قَوِيَّ الشَّكِيمَةِ تَهَابُهُ قُرَيْشٌ، وَيَعْمَلُونَ لَهُ حِسَابًا؛ حَتَّىٰ إِنَّهُ لَمَّا ضَرَبَ أَبَا جَهْلٍ عَلَيْهِ لَعَائِنُ اللهِ عَلَىٰ رَأْسِهِ بِالْقَوْسِ مَا اسْتَطَاعَ أَبُو جَهْلٍ أَنْ يَتَفَوَّهَ بِكَلِمَةٍ مَعَ قُوَّةِ أَبِي جَهْلٍ وَجَبَرُوتِهِ.

مَرَّ أَبُو جَهْلٍ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ عِنْدَ الصَّفَا فَآذَاهُ وَشَتَمَهُ وَنَالَ مِنْهُ بَعْضَ مَا يَكْرَهُ مِنَ الْعَيْبِ لِدِينِهِ وَالتَّضْعِيفِ لِأَمْرِهِ، فَلَمْ يُكَلِّمْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَوْالَاةٌ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ جُدْعَانَ فِي مَسْكَنٍ لَهَا تَسْمَعُ ذَلِكَ مِنْهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ فَعَمَدَ إِلَىٰ نَادِي قُرَيْشٍ عِنْدَ الْكَعْبَةِ فَجَلَسَ مَعَهُمْ.

فَلَمْ يَلْبَثْ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنْ أَقْبَلَ مُتَوَشِّحًا قَوْسَهُ، رَاجِعًا مِنْ قَنْصٍ لَهُ، وَكَانَ صَاحِبَ قَنْصٍ يَرْمِيهِ وَيَخْرُجُ لَهُ، وَكَانَ إِذَا رَجَعَ مِنْ قَنْصِهِ لَمْ

يَصِلْ إِلَىٰ أَهْلِهِ حَتَّىٰ يَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ، وَكَانَ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ يَمُرَّ عَلَىٰ نَادٍ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا وَقَفَ وَسَلَّمَ وَتَحَدَّثَ مَعَهُمْ، وَكَانَ أَعَزَّ فَتًىٰ فِي قُرَيْشٍ، وَأَشَدَّهُمْ شَكِيمَةً.

فَلَمَّا مَرَّ بِالْمَوْلَاةِ، وَقَدْ رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ بَيْتِهِ، قَالَتْ لَهُ: يَا أَبَا عُمَارَةَ، لَوْ رَأَيْتَ مَا لَقِيَ ابْنُ أَخِيكَ مُحَمَّدٌ آنِفًا مِنْ أَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ، وَجَدَهُ هَاهُنَا جَالِسًا فَآذَاهُ وَسَبَّهُ، وَبَلَغَ مِنْهُ مَا يَكْرَهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ وَلَمْ يُكَلِّمْهُ مُحَمَّدٌ ﷺ.

فَاحْتَمَلَ حَمْزَةَ الْغَضَبُ -لِمَا أَرَادَ اللهُ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ- فَخَرَجَ يَسْعَىٰ وَلَمْ يَقِفْ عَلَىٰ أَحَدٍ، مُعِدًّا لِأَبِي جَهْلٍ إِذَا لَقِيَهُ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَلَمَّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ نَظَرَ إِلَيْهِ جَالِسًا فِي الْقَوْمِ، فَأَقْبَلَ نَحْوَهُ، حَتَّىٰ إِذَا قَامَ عَلَىٰ رَأْسِهِ وَرَفَعَ الْقَوْسَ فَضَرَبَهُ بِهَا فَشَجَّهُ شَجَّةً مُنْكَرَةً، ثُمَّ قَالَ: أَتَشْتُمُهُ وَأَنَا عَلَىٰ دِينِهِ أَقُولُ كَمَا يَقُولُ؟!

فَرُدَّ ذَلِكَ عَلَيَّ إِنِ اسْتَطَعْتَ! فَقَامَتْ رِجَالٌ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ إِلَىٰ حَمْزَةَ؛ لِيَنْصُرُوا أَبَا جَهْلٍ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: دَعُوا أَبَا عُمَارَةَ، فَإِنِّي وَاللهِ قَدْ سَبَبْتُ ابْنَ أَخِيهِ سَبًّا قَبِيحًا.

وَتَمَّ حَمْزَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَىٰ إِسْلَامِهِ، وعَلَىٰ مَا تَابَعَ عَلَيْهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنْ قَوْلِهِ. فَلَمَّا أَسْلَمَ حَمْزَةُ عَرَفَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ عَزَّ وَامْتَنَعَ، وَأَنَّ حَمْزَةَ سَيَمْنَعُهُ، فَكَفُّوا عَنْ بَعْضِ مَا كَانُوا يَنَالُونَ مِنْهُ.

ذَكَرَ ذَلِكَ كُلَّهُ ابْنُ هِشَامٍ فِي سِيرَتِهِ.

عَادَ حَمْزَةُ إِلَىٰ بَيْتِهِ وَقَدْ سَاوَرَتْهُ الْوَسْوَاسُ الشَّيْطَانِيَّةُ وَالْهَوَاجِسُ النَّفْسَانِيَّةُ وَكَيْفَ تَرَكَ دِينَ قَوْمِهِ وَاتَّبَعَ دِينَ ابْنِ أَخِيهِ، ثُمَّ الْتَمَسَ التَّوْفِيقَ وَالرُّشْدَ مِنَ اللهِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا رُشْدًا فَاجْعَلْ تَصْدِيقَهُ فِي قَلْبِي، وَإِلَّا فَاجْعَلْ لِي مِمَّا وَقَعْتُ فِيهِ مَخْرَجًا».

فَبَاتَ بِلَيْلَةٍ لَمْ يَبِتْ بِمِثْلِهَا مِنْ وَسْوَسَةِ الشَّيْطَانِ حَتَّىٰ أَصْبَحَ، فَغَدَا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا ابْنَ أَخِي إِنِّي قَدْ وَقَعْتُ فِي أَمْرٍ لَا أَعْرِفُ الْمَخْرَجَ مِنْهُ وَإِقَامَةُ مِثْلِي عَلَىٰ مَا لَا أَدْرِي أَرُشْدٌ هُوَ أَمْ غَيٌّ شَدِيدٌ؟ فَحَدِّثْنِي حَدِيثًا فَقَدْ اشْتَهَيْتُ يَا ابْنَ أَخِي أَنْ تُحَدِّثَنِي».

فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ بِحَدِيثِهِ الَّذِي يُنِيرُ الْقُلُوبَ وَيُطَمْئِنُ النُّفُوسَ وَيُذْهِبُ ظُلُمَاتِ الشَّكِّ وَالْوَسَاوِسِ؛ فَذَكَرَهُ وَبَشَّرَهُ وَأَنْذَرَهُ، فَثَبَّتَ اللهُ فِي قَلْبِهِ الْإِيمَانَ فَقَالَ: «أَشْهَدُ أَنَّكَ صَادِقٌ، فَأَظْهِرْ دِينَكَ، فَوَ اللهِ مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي مَا أَظَلَّتْهُ السَّمَاءُ وَأَنِّي عَلَىٰ دِينِي الْأَوَّلِ!»

وَقَدِ اكْتَسَبَ الْمُسْلِمُونَ بِإِسْلَامِهِ عِزَّةً وَقُوَّةً، وَازْدَادَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ نُصْرَةً وَمَنَعَةً.

◉ ◉ ◉

www.menhag-un.com

قِصَّةُ إِسْلَامِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

* **وَأَمَّا إِسْلَامُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:**

فَفِي صَحِيحِ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَلَمَّا قَدِمَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ عَلَىٰ قُرَيْشٍ، وَلَمْ يُدْرِكُوا مَا طَلَبُوا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَرَدَّهُمَا النَّجَاشِيُّ بِمَا يَكْرَهُونَ.

وَأَسْلَمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَكَانَ رَجُلًا ذَا شَكِيمَةٍ لَا يُرَامُ مَا وَرَاءَ ظَهْرِهِ، امْتَنَعَ بِهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَبِحَمْزَةَ حَتَّىٰ غَاظُوا قُرَيْشًا.

فَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ يَقُولُ: «مَا كُنَّا نَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ نُصَلِّيَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ، حَتَّىٰ أَسْلَمَ عُمَرُ، فَلَمَّا أَسْلَمَ قَاتَلَ قُرَيْشًا حَتَّىٰ صَلَّىٰ عِنْدَ الْكَعْبَةِ، وَصَلَّيْنَا مَعَهُ».

وَثَبَتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ».

وَقَالَ زِيَادٌ الْبُكَّائِيُّ: حَدَّثَنِي مُسَعَّرُ بْنُ كِدَامٍ عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: «إِنَّ إِسْلَامَ عُمَرَ كَانَ فَتْحًا وَإِنَّ هِجْرَتَهُ كَانَتْ نَصْرًا وَإِنَّ إِمَارَتَهُ كَانَتْ رَحْمَةً، ولَقَدْ كُنَّا وَمَا نُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ حَتَّىٰ أَسْلَمَ عُمَرُ، فَلَمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ قَاتَلَ قُرَيْشًا حَتَّىٰ صَلَّىٰ عِنْدَ الْكَعْبَةِ وَصَلَّيْنَا مَعَهُ».

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ إِسْلَامُ عُمَرَ بَعْدَ خُرُوجِ مَنْ خَرَجَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ.

حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَيَّاشِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أُمِّهِ أُمِّ عَبْدِ اللهِ بِنْتِ أَبِي حَثْمَةَ قَالَت: «وَاللهِ إِنَّا لَنَتَرَحَّلُ إِلَىٰ أَرْضِ الْحَبَشَةِ وَقَدْ ذَهَبَ عَامِرٌ -تُرِيدُ زَوْجَهَا- فِي بَعْضِ حَاجَتِنَا إِذْ أَقْبَلَ عُمَرُ فَوَقَفَ وَهُوَ عَلَىٰ شِرْكِهِ -فَقَالَتْ-: وَكُنَّا نَلْقَىٰ مِنْهُ أَذًىٰ لَنَا وَشِدَّةً عَلَيْنَا.

قَالَتْ: فَقَالَ: إِنَّهُ لَلِانْطِلَاقُ يَا أُمَّ عَبْدِ اللهِ؟

قُلْتُ: نَعَمْ وَاللهِ لَنَخْرُجَنَّ فِي أَرْضٍ مِنْ أَرْضِ اللهِ إِذْ آذَيْتُمُونَا وَقَهَرْتُمُونَا حَتَّىٰ يَجْعَلَ اللهُ لَنَا مَخْرَجًا!

قَالَتْ: فَقَالَ: صَحِبَكُمُ اللهُ. وَرَأَيْتُ لَهُ رِقَّةً لَمْ أَكُنْ أَرَاهَا، ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدْ أَحْزَنَهُ فِيمَا أَرَىٰ خُرُوجُنَا.

قَالَتْ: فَجَاءَ عَامِرٌ بِحَاجَتِنَا تِلْكَ فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، لَوْ رَأَيْتَ عُمَرَ آنِفًا وَرِقَّتَهُ وَحُزْنَهُ عَلَيْنَا!

قَالَ: أَطَمِعْتِ فِي إِسْلَامِهِ؟ قَالَتْ: قُلْتُ: نَعَمْ.

قَالَ: لَا يُسْلِمُ الَّذِي رَأَيْتِ حَتَّىٰ يُسْلِمَ حِمَارُ الْخَطَّابِ!

قَالَتْ: يَأْسًا مِنْهُ لِمَا كَانَ يَرَىٰ مِنْ غِلْظَتِهِ وَقَسْوَتِهِ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ».

قُلْتُ: «هَذَا يَرُدُّ قَوْلَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ كَانَ تَمَامَ الْأَرْبَعِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّ الْمُهَاجِرِينَ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ كَانُوا فَوْقَ الثَّمَانِينَ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ كَانَ تَمَامَ الْأَرْبَعِينَ بَعْدَ خُرُوجِ الْمُهَاجِرِينَ».

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي نَافِعٌ مَوْلَىٰ ابْنِ عُمَرَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: لَمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ، قَالَ: «أَيُّ قُرَيْشٍ أَنْقَلَ لِلْحَدِيثِ؟!».

فَقِيلَ لَهُ: جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ الْجُمَحِيُّ [كَأَنَّمَا كَانَ وَكَالَةَ أَنْبَاءٍ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ فَيَسْتَوَلَّىٰ تَطْيِيرَ الْخَبَرِ وَلَا يَتَوَانَىٰ فِي ذَلِكَ] فَغَدَا عَلَيْهِ.

قَالَ عَبْدُ اللهِ: وَغَدَوْتُ أَتْبَعُ أَثَرَهُ -يَتْبَعُ أَثَرَ أَبِيهِ- وَأَنْظُرُ مَا يَفْعَلُ وَأَنَا غُلَامٌ أَعْقِلُ كُلَّ مَا رَأَيْتُ حَتَّىٰ جَاءَهُ فَقَالَ لَهُ: «أَعَلِمْتَ يَا جَمِيلُ أَنِّي أَسْلَمْتُ وَدَخَلْتُ فِي دِينِ مُحَمَّدٍ ﷺ؟».

قَالَ: فَوَاللهِ مَا رَاجَعَهُ حَتَّىٰ قَامَ يَجُرُّ رِدَاءَهُ وَاتَّبَعَهُ عُمَرُ وَاتَّبَعْتُهُ أَنَا حَتَّىٰ إِذَا قَامَ عَلَىٰ بَابِ الْمَسْجِدِ صَرَخَ بِأَعْلَىٰ صَوْتِهِ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ -وَهُمْ فِي أَنْدِيَتِهِمْ حَوْلَ الْكَعْبَةِ-: أَلَا إِنَّ ابْنَ الْخَطَّابِ قَدْ صَبَأَ».

كَمْ تَعْرِفُوا مِنْ أَمْثَالِ ابْنِ جَمِيلٍ؟!

أَنَا أَعْرِفُ الْكَثِيرَ!

قَالَ: يَقُولُ عُمَرُ مِنْ خَلْفِهِ: كَذَبَ! وَلَكِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَشَهِدْتُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ. وَثَارُوا إِلَيْهِ فَمَا بَرِحَ يُقَاتِلُهُمْ وَيُقَاتِلُونَهُ حَتَّىٰ قَامَتْ الشَّمْسُ عَلَىٰ رُؤُوسِهِمْ.

قَالَ: وَطَلَحَ - أَيْ أَعْيَا وَاسْتَحْسَرَ- فَقَعَدَ وَقَامُوا عَلَىٰ رَأْسِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «افْعَلُوا مَا بَدَا لَكُمْ، فَأَحْلِفُ بِاللهِ أَنْ لَوْ قَدْ كُنَّا ثَلَاثَمِائَةٍ -يُرِيدُ الْمُسْلِمِينَ- رَجُلٍ لَقَدْ تَرَكْنَاهَا لَكُمْ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا لَنَا».

قَالَ: فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَ شَيْخٌ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَيْهِ حُلَّةٌ حِبَرَةٌ وَقَمِيصٌ مُوَشًّىٰ، حَتَّىٰ وَقَفَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟

فَقَالُوا: صَبَأَ عُمَرُ!

قَالَ: فَمَهْ؟ رَجُلٌ اخْتَارَ لِنَفْسِهِ أَمْرًا فَمَاذَا تُرِيدُونَ؟! أَتَرَوْنَ بَنِي عَدِيٍّ يُسْلِمُونَ لَكُمْ صَاحِبَكُمْ هَكَذَا؟! خَلُّوا عَنِ الرَّجُلِ.

قَالَ: فَوَاللهِ لَكَأَنَّمَا كَانُوا ثَوْبًا كُشِطَ عَنْهُ.

قَالَ: فَقُلْتُ لِأَبِي بَعْدَ أَنْ هَاجَرَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ: «يَا أَبَتِ، مَنِ الرَّجُلُ الَّذِي زَجَرَ الْقَوْمَ عَنْكَ بِمَكَّةَ يَوْمَ أَسْلَمْتَ وَهُمْ يُقَاتِلُونَكَ؟».

قَالَ: «ذَاكَ أَيْ بُنَيِّ، الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ السَّهْمِيُّ».

وَهَذَا إِسْنَادٌ جَيِّدٌ قَوِيٌّ وَهُوَ يَدُلُّ عَلَىٰ تَأَخُّرِ إِسْلَامِ عُمَرَ؛ لِأَنَّ ابْنَ عُمَرَ عُرِضَ يَوْمَ أُحُدٍ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَكَانَتْ أُحُدٌ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ مِنَ الْهِجْرَةِ وَقَدْ كَانَ مُمَيِّزًا يَوْمَ أَسْلَمَ أَبُوهُ، فَيَكُونُ إِسْلَامُهُ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِنَحْوٍ مِنْ أَرْبَعِ سِنِينَ وَذَلِكَ بَعْدَ الْبِعْثَةِ بِنَحْوِ تِسْعِ سِنِينَ.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ**».

قَالَ: «فَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَيْهِ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ». وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَابْنُ سَعْدٍ وَالْحَاكِمُ وَأَحْمَدُ، وَقَالَ الْحَاكِمُ: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ ووَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «أَوَّلُ مَنْ جَهَرَ بِالْإِسْلَامِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ» رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ كَمَا فِي الْمَجْمَعِ كَذَا يَقُولُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي صَحِيحِ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ.

وَعَنْ عُمَرَ أَنَّهُ أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي لَا أَدَعُ مَجْلِسًا جَلَسْتُهُ فِي الْكُفْرِ إِلَّا أَعْلَنْتُ فِيهِ الْإِسْلَامَ».

فَأَتَىٰ الْمَسْجِدَ وَفِيهِ بُطُونُ قُرَيْشٍ مُتَحَلِّقَةٌ، فَجَعَلَ يُعْلِنُ الْإِسْلَامَ وَيَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَثَارَ الْمُشْرِكُونَ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ وَيَضْرِبُهُمْ، فَلَمَّا تَكَاثَرُوا خَلَّصَهُ رَجُلٌ.

قَالَ: فَقُلْتُ لِعُمَرَ: «مَنِ الرَّجُلُ الَّذِي خَلَّصَكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ؟» قَالَ: «ذَاكَ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ السَّهْمِيُّ». رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، قَالَ: وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ كَمَا قَالَ الْهَيْثَمِيُّ.

لَمْ تَصِحَّ رِوَايَةٌ فِي تَحْدِيدِ وَقْتِ إِسْلَامِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ عَلَىٰ وَجْهِ الدِّقَّةِ، وَلَكِنَّ ابْنَ إِسْحَاقَ جَعَلَ إِسْلَامَ عُمَرَ بَعْدَ هِجْرَةِ الْحَبَشَةِ، وَذَكَرَ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ أَنَّهُ عَقِبَ هِجْرَةِ الْحَبَشَةِ الْأُولَىٰ.

وَتُحَدِّدُ رِوَايَةُ الْوَاقِدِيِّ إِسْلَامَهُ فِي ذِي الْحَجَّةِ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ مِنَ الْبِعْثَةِ وَهُوَ ابْنُ سِتٍّ وَعِشْرِينَ سَنَةً.

هُنَا أَيْضًا صُورَةٌ ذِهْنِيَّةٌ مَغْلُوطَةٌ بِالنِّسْبَةِ لِعُمَرَ وَبِالنِّسْبَةِ لِكَثِيرٍ مِنَ الْأَصْحَابِ، فَكَثِيرٌ مِنَ الْأَصْحَابِ كَمَا مَرَّ ذِكْرُ ذَلِكَ كَانُوا عِنْدَ بَدْءِ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ مِنَ الْكِبَارِ كَالزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ، وَكَذَلِكَ مَا كَانَ مِنْ شَأْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَكَذَلِكَ مَا كَانَ مِنْ شَأْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَكَذَلِكَ مَا كَانَ مِنْ شَأْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ..

كَثِيرٌ مِنَّا عِنْدَهُ صُورَةٌ ذِهْنِيَّةٌ مَغْلُوطَةٌ، فَنَحْنُ لِتَقْدِيرِنَا لَهُمْ وَهُمْ أَهْلٌ لِلتَّقْدِيرِ نَعْتَبِرُهُمْ كَأَنَّمَا وُلِدُوا كَمَا انْتَهَوْا!

كَانَ عُمَرُ عِنْدَمَا أَسْلَمَ ابْنُ سِتٍّ وَعِشْرِينَ سَنَةً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، مَعَ أَنَّهُ تَأَخَّرَ فِي إِسْلَامِهِ نَوْعًا -كَمَا تَرَىٰ- لِأَنَّه كَمَا يَقُولُ ابْنُ إِسْحَاقَ: إِنَّمَا أَسْلَمَ بَعْدَ هِجْرَةِ الْحَبَشَةِ الْأُولَىٰ؛ يَعْنِي فِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ مِنْ بَعْثَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَعْنِي كَانَ فِي حُدُودِ الْعِشْرِينَ عِنْدَمَا جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِدَعْوَتِهِ الْمُبَارَكَةِ.

جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَكَذَلِكَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ عِنْدَمَا كَانَ مُهَاجِرًا فِي الْحَبَشَةِ كَانَ فِي حُدُودِ السَّابِعَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمُرِهِ، وَجَعْفَرٌ هُوَ الَّذِي كَانَ يَعْرِضُ

الْإِسْلَامَ عَلىٰ النَّجَاشِيِّ، وَكَانَ هُوَ الَّذِي يُنَاظِرُهُ وَهُوَ الَّذِي قُدِّمَ مِنْ وَفْدِ الصَّحَابَةِ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَكُونَ مُتَكَلِّمَهُمْ كَمَا سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ ذِكْرُ ذَلِكَ.

وَلَكِنْ أَنْتَ عِنْدَمَا تَسْمَعُ عُمَرَ عِنْدَمَا أَسْلَمَ تَظُنُّ أَنَّهُ كَانَ فَوْقَ الْأَرْبَعِينَ فِي الْخَمْسِينَ، وَلَكِنْ كَانَ فِي السَّادِسَةِ وَالْعِشْرِينَ وَهَذَا دَرْسٌ لِشَبَابِ الْمُسْلِمِينَ، فَكَثِيرٌ مِنْ شَبَابِ الْمُسْلِمِينَ فِي مِثْلِ هَذِهِ السِّنِّ يَلْعَبُونَ فِي التُّرَابِ لَا قِيمَةَ لَهُمْ، لَا تَعْرِفُ إِذَا كَانَ ذَكَرًا أَمْ أُنْثَىٰ، وَحَتَّىٰ إِذَا قُلْتَ إِنَّهُ خُنْثَىٰ لَا تَعْرِفُ هَلْ هُوَ خُنْثَىٰ أَوْ خُنْثَىٰ مُشْكِلٌ؟!

وَهُوَ ابْنُ سِتٍّ وَعِشْرِينَ سَنَةً كَمَا تُحَدِّدُ رِوَايَاتُ الْوَاقِدِيُّ أَنَّ عَدَدَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا أَرْبَعِينَ أَوْ خَمْسِينَ أَوْ سِتًّا وَخَمْسِينَ مِنْهُمْ عَشْرُ نِسْوَةٍ أَوْ إِحْدَىٰ عَشْرَةَ.

كَانَ عُمَرُ مَعَ ذَلِكَ رَجُلًا قَوِيًّا مَهِيبًا، وَكَانَ يُؤْذِي الْمُسْلِمِينَ وَيَشْتَدُّ عَلَيْهِمْ، قَالَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ عُمَرَ وَزَوْجُ أُخْتِهِ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْخَطَّابِ: «وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَإِنَّ عُمَرَ لَمُوثِقِي عَلَىٰ الْإِسْلَامِ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ» أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

وَهَكَذَا رَبَطَ عُمَرُ سَعِيدًا بِسَبَبِ إِسْلَامِهِ؛ لِيَصُدَّهُ عَنْ دِينِهِ، وَلَكِنَّ شِدَّتَهُ الظَّاهِرَةَ تَكْمُنُ خَلْفَهَا رَحْمَةٌ وَرِقَّةٌ، فَقَدْ أَخْبَرَتْ أُمُّ عَبْدِ اللهِ بِنْتُ أَبِي حَثْمَةَ أَنَّهُ رَقَّ لَهُمْ رِقَّةً شَدِيدَةً، وَقَالَ: «أَهُوَ الِانْطِلَاقُ يَا أُمَّ عَبْدِ اللهِ؟!».

قَالَتْ: «فَقُلْتُ: نَعَمْ وَاللهِ، لَنَخْرُجَنَّ فِي أَرْضِ اللهِ، آذَيْتُمُونَا وَقَهَرْتُمُونَا حَتَّىٰ يَجْعَلَ اللهُ مَخْرَجًا».

فَقَالَ: «صَحِبَكُمُ اللهُ».

قَالَتْ: «وَرَأَيْتُ لَهُ رِقَّةً لَمْ أَكُنْ أَرَاهَا، وَقَدِ انْصَرَفَ وَأَحْزَنَهُ- تَقُولُ- فِيمَا أَرَىٰ خُرُوجَنَا».

فَهَذِهِ الشِّدَّةُ الظَّاهِرَةُ كَانَ يَكْمُنُ وَرَاءَهَا رَحْمَةٌ بَاهِرَةٌ، رَضِيَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَنْهُ وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ.

عَرَفَ عُمَرُ قَدْرَ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ يَعْرِفُ قَدْرَ نَبِيِّهِ، وَمَنِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ بِمَكَّةَ لَا يَعْرِفُ قَدْرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟!

كَانَ رَدُّ فِعْلِ قُرَيْشٍ عَنِيفًا أَمَامَ حَادِثَةِ إِسْلَامِ عُمَرَ حَتَّىٰ سَالَ بِهِمُ الْوَادِي يُرِيدُونَ قَتْلَهُ؛ لَوْلَا إِجَارَةُ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ لَهُ.

أَمَّا قِصَّةُ اسْتِمَاعِهِ الْقُرْآنَ يَتْلُوهُ الرَّسُولُ ﷺ فِي صَلَاتِهِ قُرْبَ الْكَعْبَةِ وَعُمَرُ مُسْتَخِفٍ بِأَسْتَارِهَا، وَكَذَلِكَ قِصَّتُهُ مَعَ أُخْتِهِ فَاطِمَةَ حِينَ لَطَمَهَا؛ لِإِسْلَامِهَا وَضَرَبَ زَوْجَهَا سَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ، ثُمَّ اطِّلَاعُهُ عَلَىٰ صَحِيفَةٍ فِيهَا آيَاتٌ وَإِسْلَامُهُ، فَهَذَا لَمْ يَثْبُتْ شَيْءٌ مِنْهُ مِنْ طَرِيقٍ صَحِيحَةٍ.

وَلَكِنَّ الْحَافِظَ ابْنَ حَجَرٍ ذَكَرَ أَنَّ الْبَاعِثَ لَهُ عَلَىٰ دُخُولِهِ فِي الْإِسْلَامِ مَا سَمِعَ فِي بَيْتِ أُخْتِهِ فَاطِمَةَ مِنَ الْقُرْآنِ.

وَلَا شَكَّ أَنَّ الْقُرْآنَ بِبَيَانِهِ وَرَوْعَةِ تَصْوِيرِهِ لِمَشَاهِدِ الْقِيَامَةِ وَصِفَةِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ لَا شَكَّ أَنَّ الْقُرْآنَ كَانَ لَهُ تَأْثِيرٌ كَبِيرٌ فِي اجْتِذَابِ عُمَرَ إِلَىٰ صَفِّ الْمُسْلِمِينَ؛

لِأَنَّ عُمَرَ كَانَ يَتَذَوَّقُ الْكَلَامَ الْبَلِيغَ وَيُعْجَبُ بِهِ، وَكَانَ مُقَدَّرًا وَمُعْلِيًا لِشِعْرِ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلْمَىٰ خَاصَّةً، وَذَلِكَ لِمَا فِيهِ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلِأَنَّهُ كَانَ يَتْبَعُ مَذْهَبَ أَصْحَابِ الْحَوْلِيَّاتِ، فَكَانَ إِذَا كَتَبَ الْقَصِيدَةَ لَمْ يُذِعْهَا وَلَمْ يُظْهِرْهَا حَتَّىٰ يُنَقِّحْهَا وَحَتَّىٰ يَنْظُرَ فِيهَا وَيُثَقِّفُهَا، فَإِذَا مَا تَمَّ حَوْلٌ عَلَىٰ ذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ يُذِيعُهَا وَيُنْشِدُهَا، فَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ الْحَوْلِيَّاتِ.

وَكَثِيرٌ مِنَ النُّقَّادِ يَحْمِلُ عَلَىٰ أَصْحَابِ الْحَوْلِيَّاتِ، وَيَقُولُ: إِنَّ الشِّعْرَ إِنَّمَا هُوَ دَفْقَةٌ عَاطِفِيَّةٌ تَأْتِي مُبَاشَرَةً فَتُتَرْجَمُ كَلَامًا يُسْمَعُ فَإِذَا مَا نُقِّحَ وَثُقِّفَ وَحُكِّكَ وَكَانَ فِيهِ مَا فِيهِ مِنَ الْمُرَاجَعَاتِ فَلَا يَكُونُ تَعْبِيرًا صَادِقًا عَنِ الدَّفْقَةِ الشُّعُورِيَّةِ الْأُولَىٰ! دَعْكَ مِنْ كَلَامِ هَؤُلَاءِ لَا قِيمَةَ لَهُ وَابْقَ مَعَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فَكَانَ يَتَذَوَّقُ الْكَلَامَ الْبَلِيغَ وَيُعْجَبُ بِهِ، وَعَدَمُ ثُبُوتِ الرِّوَايَاتِ حَدِيثِيًّا لَا يَعْنِي حَتْمِيَّةَ عَدَمِ وُقُوعِهَا تَارِيخِيًّا.

هُنَاكَ فَرْقٌ كَبِيرٌ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ بَيْنَ الْمُؤَرِّخِينَ وَالْمُحَدِّثِينَ، وَقَالُوا: لَوْ أَنَّ التَّارِيخَ حُوكِمَ مُحَاكَمَةً صَارِمَةً لِقَوَاعِدِ الْمُصْطَلَحِ وَعِلْمِ الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ فَرُبَّمَا لَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا الْقَلِيلُ، لِذَلِكَ يَقُولُونَ أَمْثَالَ هَذَا الْكَلَامِ.

يَقُولُونَ: عَدَمُ ثُبُوتِ الرِّوَايَاتِ حَدِيثِيًّا لَا يَعْنِي حَتْمِيَّةَ عَدَمِ وُقُوعِهَا تَارِيخِيًّا، يَعْنِي قَدْ تَقَعُ مِنْ حَيْثُ التَّارِيخُ وَتَكُونُ عِنْدَنَا مُلَابَسَاتٌ تَقْضِي بِأَنَّهَا حَتْمًا قَدْ وَقَعَتْ، يَعْنِي يَرْوِيهَا أُنَاسٌ يُؤْمَنُ أَنْ يَتَوَاطَؤُوا عَلَىٰ الْكَذِبِ، وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ فِي

الْمُنْتَهَىٰ لَوْ أَنَّكَ عَرَضْتَ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ عَلَىٰ قَوَاعِدِ الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ وَاحِدًا وَاحِدًا لَرُبَّمَا لَمْ يَصِحَّ مَعَكَ مِنْهُمْ أَحَدٌ.

وَلَكِنَّ الْوَاقِعَةَ فِي حَدِّ ذَاتِهَا تَكُونُ فِي أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ بِمَشْهَدِ جُمُوعٍ لَا يُحْصِيهِمْ إِلَّا اللهُ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تُنْقَلُ أَوْ يُدَّعَىٰ أَنَّهَا تَكُونُ كَذَلِكَ ثُمَّ لَا تُنْقَلُ فَيَكُونُ النَّظَرُ الْأَوَّلُ مُقَوِّيًا لِإِثْبَاتِهَا، وَالنَّظَرُ الثَّانِي أَيْ فِي الْأَمْرِ الثَّانِي، يَعْنِي أَنْ تَكُونَ قَدْ وَقَعَتْ بِمَحْضَرٍ جُمُوعٍ لَا يُحْصِيهِمْ إِلَّا اللهُ، وَمِنَ الْمُوجِبِ لِذَلِكَ أَنْ يَنْتَشِرَ ذِكْرُهَا ثُمَّ لَا يَذْكُرُهَا إِلَّا وَاحِدٌ؛ فَإِنَّهُمْ يَقِفُونَ حِينَئِذٍ وَيَتَكَلَّمُونَ كَلَامًا..

عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ عِنْدَهُمْ هَذَا الْقَوْلُ: «عَدَمُ ثُبُوتِ الرِّوَايَاتِ حَدِيثِيًّا لَا يَعْنِي حَتْمِيَّةَ عَدَمِ وُقُوعِهَا تَارِيخِيًّا».

هَذَا الْكَلَامُ فِيهِ مُرَاجَعَةٌ، هَلْ يُؤْخَذُ هَكَذَا عَلَىٰ إِطْلَاقٍ أَوْ لَا؟ هَذَا مَبْحَثٌ يُبْحَثُ فِي مَظَانِّهِ.

لِذَلِكَ وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ ذَكَرَ قِصَّةَ إِسْلَامِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَمِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَحَتَّىٰ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ لِشُهْرَتِهَا لَا لِصِحَّتِهَا، وَالشُّهْرَةُ هُنَا بِالْمَعْنَىٰ اللُّغَوِيِّ لَا بِالْمَعْنَىٰ الِاصْطِلَاحِيِّ مَا رَوَاهُ ثَلَاثَةٌ أَوْ أَكْثَرُ دُونَ الْعَشْرَةِ فِي كُلِّ طَبَقَةٍ مِنْ طَبَقَاتِ الْإِسْنَادِ، الْمَشْهُورُ مِنْ أَقْسَامِ الْآحَادِ، هَذَا هُوَ الْمَعْنَىٰ الِاصْطِلَاحِيُّ.

وَلَكِنَّ الْمَقْصُودَ هُنَا الْمَعْنَىٰ اللُّغَوِيُّ؛ لِأَنَّ الْحَدِيثَ قَدْ يَكُونُ فَرْدًا، قَدْ يَكُونُ فَذًّا يَعْنِي لَمْ يَرْوِهِ إِلَّا وَاحِدٌ حَتَّىٰ وَلَوْ كَانَتْ أَوَّلِيَّتُهُ تَكُونُ مُطْلَقَةً بِمَعْنَىٰ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي أَصْلِ الْإِسْنَادِ كَمَا فِي حَدِيثِ: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**»، لَمْ يَرْوِهِ عَنِ

النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الصَّحَابَةِ سِوَىٰ عُمَرَ، وَلَكِنْ يَكُونُ كَذَلِكَ مِنْ حَيْثُ التَّفَرُّدُ وَهُوَ أَيْضًا مَشْهُورٌ، بَسْ وَلَكِنْ، بَسْ فَصِيحَةٌ، كَلِمَةُ بَسْ كَلِمَةٌ فَصِيحَةٌ صَحِيحٌ كَلِمَةٌ فَصِيحَةٌ، فَيَكُونُ مَشْهُورًا وَهُوَ فَرْدٌ بَلْ فَرْدٌ مُطْلَقٌ.

إِذَنْ؛ ذَكَرَ هَذِهِ الْقِصَّةَ قِصَّةَ إِسْلَامِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ لِشُهْرَتِهَا لَا لِصِحَّتِهَا.

كَانَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَدْ سَبَقَتْهُ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ هِيَ وَزَوْجُهَا سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ وَهُوَ أَحَدُ الْعَشْرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ وَهُوَ ابْنُ عَمِّهَا، وَكَانَا يُخْفِيَانِ إِسْلَامَهُمَا.

وَكَانَ خَبَّابُ بْنُ الْأَرَتِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنْ قُدَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ يَعْنِي مِنَ السَّابِقِينَ يَخْتَلِفُ إِلَىٰ فَاطِمَةَ وَزَوْجِهَا يُقْرِئُهَا الْقُرْآنَ.

وَكَذَلِكَ كَانَ سَعِيدٌ وَفَاطِمَةُ -كَمَا مَرَّ بِنَا- فَهُمَا مِنَ الرَّعِيلِ الْمُتَقَدِّمِ، وَمِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ إِلَىٰ دِينِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ مِنَ الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ، وَأَسْلَمَ مُبَكِّرًا وَكَذَا امْرَأَتُهُ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

لَمَّا رَجَعَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَىٰ بَيْتِهِ أَخَذَ يُفَكِّرُ فِي أَمْرِ لَيْلَىٰ بِنْتِ أَبِي حَثْمَةَ وَزَوْجِهَا عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ وَكَيْفَ تَفَرَّقَتْ قُرَيْشٌ، وَهَاجَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ، فَقَالَ: كَيْفَ يَحْدُثُ هَذَا؟

مِنْ وَرَاءِ كُلِّ هَذِهِ الْأَحْدَاثِ؟

وَرَاءَ كُلِّ هَذِهِ الْأَحْدَاثِ مُحَمَّدٌ ﷺ، فعَزَمَ عَلَىٰ قَتْلِ النَّبِيِّ ﷺ كَذَا فِي قِصَّةِ إِسْلَامِهِ لِشُهْرَتِهَا لَا لِصِحَّتِهَا.

فَخَرَجَ رضي الله عنه مُتَوَشِّحًا سَيْفَهُ يُرِيدُ قَتْلَ الرَّسُولِ ﷺ، وَقَدْ ذَكَرُوا لَهُ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ يَجْتَمِعُ مَعَ أَصْحَابِهِ فِي بَيْتٍ عِنْدَ الصَّفَا فِي دَارِ الْأَرْقَمِ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُونُوا يَعْرِفُونَ عَلَىٰ وَجْهِ التَّحْدِيدِ أَيْنَ يَجْتَمِعُ بِأَصْحَابِهِ كَمَا مَرَّ.

وَالَّذِي وَصَلُوا إِلَيْهِ فِي النِّهَايَةِ أَنَّ الدَّارَ الَّتِي يَجْتَمِعُ بِأَصْحَابِهِ فِيهَا تَقَعُ عِنْدَ الصَّفَا فَخَرَجَ رضي الله عنه مُتَوَشِّحًا سَيْفَهُ يُرِيدُ قَتْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَدْ ذَكَرُوا لَهُ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ يَجْتَمِعُ مَعَ أَصْحَابِهِ فِي بَيْتٍ عِنْدَ الصَّفَا وَهُمْ قَرِيبٌ مِنْ أَرْبَعِينَ مَا بَيْنَ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ، وَمِنْهُمْ: أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَحَمْزَةُ رضي الله عنهم آثَرُوا الْمُقَامَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَمْ يَخْرُجُوا مُهَاجِرِينَ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ.

لَقِيَهُ نُعَيْمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ النَّحَّامُ الْعَدَوِيُّ رضي الله عنه وَكَانَ يُخْفِي إِسْلَامَهُ، فَقَالَ: «أَيْنَ تُرِيدُ يَا عُمَرُ؟».

قَالَ: «أُرِيدُ مُحَمَّدًا هَذَا الصَّابِئَ الَّذِي فَرَّقَ أَمْرَ قُرَيْشٍ وَسَفَّهَ أَحْلَامَهَا وَعَابَ دِينَهَا وَسَبَّ آلِهَتَهَا فَأَقْتُلَهُ!».

فَقَالَ لَهُ نُعَيْمٌ: «وَاللهِ، لَقَدْ غَرَّتْكَ نَفْسُكَ يَا عُمَرُ، أَتَرَىٰ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ وَبَنِي زُهْرَةَ تَارِكِيكَ تَمْشِي عَلَىٰ الْأَرْضِ وَقَدْ قَتَلْتَ مُحَمَّدًا؟!

أفَلَا تَرْجِعُ إِلَىٰ أَهْلِ بَيْتِكَ فَتُقِيمَ أَمْرَهُمْ؟!».

قَالَ: «وَأَيُّ أَهْلِ بَيْتِي؟».

قَالَ: «أُخْتُكَ فَاطِمَةُ وَزَوْجُهَا سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ قَدْ وَاللهِ أَسْلَمَا وتَابَعَا مُحَمَّدًا عَلَىٰ دِينِهِ، وتَرَكَا دِينَكَ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ فَارْجِعْ إِلَىٰ أَهْلِ بَيْتِكَ فَأَقِمْ أَمْرَهُمْ!».

فَرَجَعَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَامِدًا إِلَىٰ أُخْتِهِ وَزَوْجِهَا وَعِنْدَهُمَا خَبَّابُ بْنُ الْأَرَتِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَعَهُ صَحِيفَةٌ فِيهَا سُورَةُ طه، يُقْرِئُهُمَا إِيَّاهَا، وَكَانَ خَبَّابٌ يَخْتَلِفُ إِلَيْهِمَا وَيُقْرِئُهُمَا الْقُرْآنَ.

وَفِي رِوَايَةٍ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَجْمَعُ الرَّجُلَ وَالرَّجُلَيْنِ إِذَا أَسْلَمَا عِنْدَ الرَّجُلِ الَّذِي فِي يَدِهِ السَّعَةُ يَكُونَانِ مَعَهُ يُصِيبَانِ مِنْ طَعَامِهِ، وَقَدْ ضَمَّ إِلَىٰ زَوْجِ أُخْتِ عُمَرَ، إِلَىٰ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ، رَجُلَيْنِ مِمَّنْ أَسْلَمَا أَحَدُهُمَا خَبَّابٌ فَلَمَّا سَمِعُوا حِسَّ عُمَرَ، تَغَيَّبَ خَبَّابٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي مَخْدَعٍ لَهُمْ [الْمَخْدَعُ الْبَيْتُ الصَّغِيرُ، يَكُونُ دَاخِلَ الْبَيْتِ الْكَبِيرِ] لَمَّا سَمِعَ صَوْتَ عُمَرَ آذَنَ بِشَرٍّ فدَخَلَ إِلَىٰ هَذَا الْمَخْدَعِ إِلَىٰ هَذَا الْبَيْتِ الصَّغِيرِ لِيَخْتَبِأَ فِيهِ.

وَأَخَذَتْ فَاطِمَةُ الصَّحِيفَةَ فَجَعَلَتْهَا فَخِذَهَا أَيْ تَحْتَ فَخِذِهَا، وَقَدْ سَمِعَ عُمَرُ حِينَ دَنَا إِلَىٰ الْبَيْتِ قِرَاءَةَ خَبَّابٍ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِمَا قَالَ: «مَا هَذِهِ الْهَيْنَمَةُ؟» وَالْهَيْنَمَةُ هِيَ الْكَلَامُ الْخَفِيُّ الَّذِي لَا يُفْهَمُ.

«مَا هَذِهِ الْهَيْنَمَةُ الَّتِي سَمِعْتُهَا عِنْدَكُمْ؟».

فَقَالَ: «مَا عَدَا حَدِيثًا تَحَدَّثْنَاهُ بَيْنَنَا».

قَالَ: «فَلَعَلَّكُمَا قَدْ صَبَوْتُمَا».

فَقَالَ لَهُ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ زَوْجُ فَاطِمَةَ: «يَا عُمَرُ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ الْحَقُّ فِي غَيْرِ دِينِكَ؟» فَضَرَبَ عُمَرُ سَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ ضَرْبَةً شَدِيدَةً فَسَقَطَ؛ فَقَامَتْ فَاطِمَةُ لِتَمْنَعَ زَوْجَهَا سَعِيدًا مِنْ أَخِيهَا عُمَرَ، فَضَرَبَهَا عُمَرُ فَشَجَّهَا حَتَّىٰ سَالَ مِنْهَا الدَّمُ فَلَمَّا فَعَلَ عُمَرُ بِهِمْ ذَلِكَ.

قَالَا لَهُ: «نَعَمْ قَدْ أَسْلَمْنَا وَآمَنَّا بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَاصْنَعْ مَا بَدَا لَكَ!».

فَلَمَّا رَأَىٰ عُمَرُ مَا بِأُخْتِهِ مِنَ الدَّمِ نَدِمَ عَلَىٰ مَا صَنَعَ وَارْعَوَىٰ، أَيْ كَفَّ وَارْتَدَعَ وَهَدَأَتْ نَفْسُهُ فَقَالَ لِأُخْتِهِ: «أَعْطِينِي هَذِهِ الصَّحِيفَةَ الَّتِي سَمِعْتُكُمْ تَقْرَؤُونَهَا آنِفًا أَنْظُرُ مَا هَذَا الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ» وَكَانَ عُمَرُ يَقْرَأُ وَيَكْتُبُ.

فَقَالَتْ لَهُ أُخْتُهُ فَاطِمَةُ: «إِنَّا نَخْشَاكَ عَلَيْهَا».

قَالَ: «لَا تَخَافِي».

وَحَلَفَ لَهَا بِآلِهَتِهِ لَيَرُدَّنَّهَا إِلَيْهَا إِذَا قَرَأَهَا، فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ طَمِعَتْ فِي إِسْلَامِهِ، فَقَالَتْ لَهُ: «يَا أَخِي إِنَّكَ نَجِسٌ عَلَىٰ شِرْكِكَ وَإِنَّهُ لَا يَمَسُّهَا إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ فَقُمْ فَاغْتَسِلْ».

فَقَامَ عُمَرُ فَاغْتَسَلَ، فَأَعْطَتْهُ الصَّحِيفَةَ، فَقَرَأَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ

ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ١-٥]، حَتَّىٰ انْتَهَىٰ إِلَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴾ [طه:١٤].

فَرَقَّ قَلْبُهُ وَقَالَ: «مَا أَحْسَنَ هَذَا الْكَلَامَ وَمَا أَكْرَمَهُ!! مَا يَنْبَغِي لِمَنْ يَقُولُ هَذَا الْكَلَامَ أَنْ يُعْبَدَ مَعَهُ غَيْرُهُ، دُلُّونِي عَلَىٰ مُحَمَّدٍ!»

فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ خَبَّابٌ خَرَجَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ: «أَبْشِرْ يَا عُمَرُ! فَإِنِّي وَاللهِ لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللهُ قَدْ خَصَّكَ بِدَعْوَةِ نَبِيِّهِ ﷺ، فَإِنِّي سَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَوْ بِعَمْرِو بْنِ هِشَامٍ**» -وَهُوَ أَبُو جَهْلٍ- «فَاللهَ اللهَ يَا عُمَرُ».

فَقَالَ لَهُ: «فَدُلَّنِي يَا خَبَّابُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ حَتَّىٰ آتِيَهُ فَأُسْلِمَ، فَقَالَ لَهُ خَبَّابٌ: «هُوَ فِي دَارِ أَرْقَمَ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ بِأَسْفَلِ الصَّفَا، وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ».

فَأَخَذَ عُمَرُ سَيْفَهُ فَتَوَشَّحَهُ، ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ فِي دَارِ الْأَرْقَمِ، فَضَرَبَ عَلَيْهِمْ الْبَابَ، فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ قَامَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَنَظَرَ مِنْ خَلَلِ الْبَابَ -أَيْ مِنْ شَقِّ الْبَابِ أَوْ فُرْجَتِهِ- فَرَآهُ مُتَوَشِّحًا السَّيْفَ، فَرَجَعَ إِلَىٰ الرَّسُولِ ﷺ وَهُوَ فَزِعٌ، فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مُتَوَشِّحًا السَّيْفَ».

وَوَجِلَ الْقَوْمُ -أَيْ خَافُوا-، فَقَالَ لَهُمْ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه: «مَالَكُمْ؟!».

قَالُوا: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ.

www.menhag-un.com

فَقَالَ: «افْتَحُوا لَهُ الْبَابَ، فَإِنْ كَانَ جَاءَ يُرِيدُ خَيْرًا بَذَلْنَاهُ لَهُ، وَإِنْ كَانَ جَاءَ يُرِيدُ شَرًّا قَتَلْنَاهُ بِسَيْفِهِ» الْحَمْزَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ائْذَنْ لَهُ**».

فَفَتَحُوا لَهُ وَنَهَضَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ لَقِيَهُ، فَأَخَذَ بِمَجَامِعِ ثَوْبِهِ، ثُمَّ جَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً، فَمَا تَمَالَكَ عُمَرُ أَنْ وَقَعَ عَلَىٰ رُكْبَتَيْهِ عَلَىٰ الْأَرْضِ، مَنِ الَّذِي يَجْذِبُهُ؟ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ لَهُ ﷺ: «**مَا جَاءَ بِكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟ فَوَاللهِ مَا أَرَىٰ أَنْ تَنْتَهِيَ حَتَّىٰ يُنْزِلَ اللهُ بِكَ قَارِعَةً**».

فَقَالَ عُمَرُ: «يَا رَسُولَ اللهِ، جِئْتُ لِأُؤْمِنَ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، وَبِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ».

فَكَبَّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَكْبِيرَةً، عَرَفَ مِنْهَا أَهْلُ الْبَيْتِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنَّ عُمَرَ قَدْ أَسْلَمَ، وَكَبَّرَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ تَكْبِيرَةً سَمِعَهَا أَهْلُ مَكَّةَ.

أَخْرَجَ قِصَّةَ إِسْلَامِ عُمَرَ عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ» وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ»، وَابْنُ سَعْدٍ فِي «طَبَقَاتِهِ»، وَسَنَدُهَا ضَعِيفٌ.

وَأَخْرَجَهَا ابْنُ إِسْحَاقَ فِي «السِّيرَةِ» بِدُونِ سَنَدٍ.

أَمَّا الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِيمَا نَقَلَهُ عَنْهُ الْحَافِظُ فِي «لِسَانِ الْمِيزَانِ» فِي تَرْجَمَةِ قَاسِمِ بْنِ عُثْمَانَ الْبَصْرِيِّ أَحَدُ رُوَاةِ قِصَّةِ إِسْلَامِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَالَ -أَيِ الْبُخَارِيُّ-: «لَهُ أَحَادِيثُ لَا يُتَابَعُ عَلَيْهَا».

قَالَ الْحَافِظُ فِي «لِسَانِ الْمِيزَانِ» فِي تَرْجَمَةِ قَاسِمِ بْنِ عُثْمَانَ الْبَصْرِيِّ: «حَدَّثَ عَنْهُ إِسْحَاقُ الْأَزْرَقُ بِمَتْنٍ مَحْفُوظٍ وَبِقَصَّةِ إِسْلَامِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَهِيَ مُنْكَرَةٌ جِدًّا».

رِوَايَةٌ ثَانِيَةٌ فِي خَبَرِ إِسْلَامِهِ.

رَوَىٰ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ جِدًّا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «سَأَلْتُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لِأَيِّ شَيْءٍ سُمِّيتَ الْفَارُوقَ؟

قَالَ: أَسْلَمَ حَمْزَةُ قَبْلِي بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، ثُمَّ شَرَحَ اللهُ صَدْرِي لِلْإِسْلَامِ فَقُلْتُ: اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ، فَمَا فِي الْأَرْضِ نَسَمَةٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ نَسَمَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

قُلْتُ: أَيْنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟

قَالَتْ أُخْتِي: هُوَ فِي دَارِ الْأَرْقَمِ بْنِ الْأَرْقَمِ عِنْدَ الصَّفَا، فَأَتَيْتُ الدَّارَ وَحَمْزَةُ فِي أَصْحَابِهِ جُلُوسٌ فِي الدَّارِ، وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي الْبَيْتِ، فَضَرَبْتُ الْبَابَ فَاسْتَجْمَعَ الْقَوْمُ.

فَقَالَ لَهُمْ حَمْزَةُ: مَا لَكُمْ؟

قَالُوا: عُمَرُ.

قَالَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذَ بِمَجَامِعِ ثِيَابِهِ ثُمَّ نَثَرَهُ فَمَا تَمَالَكَ أَنْ وَقَعَ عَلَىٰ رُكْبَتِهِ فَقَالَ: «مَا أَنْتَ بِمُنْتَهٍ يَا عُمَرُ؟».

قَالَ: فَقُلْتُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

قَالَ: فَكَبَّرَ أَهْلُ الدَّارِ تَكْبِيرَةً سَمِعَهَا أَهْلُ الْمَسْجِدِ.

قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَلَسْنَا عَلَىٰ الْحَقِّ إِنْ مُتْنَا وَإِنْ حَيِينَا؟

قَالَ: «بَلَىٰ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّكُمْ عَلَىٰ الْحَقِّ إِنْ مُتُّمْ وَإِنْ حَيِيتُمْ».

قَالَ: فَقُلْتُ: فَفِيمَ الِاخْتِفَاءُ؟ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَتَخْرُجَنَّ، فَأَخْرَجْنَاهُ فِي صَفَّيْنِ، حَمْزَةُ فِي أَحَدِهِمَا، وَأَنَا فِي الْآخَرِ، لَهُ كَدِيدٌ كَكَدِيدِ الطَّحِينِ -وَالْكَدِيدُ التُّرَابُ النَّعِيمُ، فَإِذَا وُطِئَ ثَارَ غُبَارُهُ، أَرَادَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي جَمَاعَةٍ وَأَنَّ الْغُبَارَ كَانَ يَثُورُ مِنْ مَشْيِهِمْ-، حَتَّىٰ دَخَلْنَا الْمَسْجِدَ، قَالَ: فَنَظَرَتْ إِلَيَّ قُرَيْشٌ وَإِلَىٰ حَمْزَةَ، فَأَصَابَتْهُمْ كَآبَةٌ لَمْ يُصِبْهُمْ مِثْلَهَا، فَسَمَّانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ الْفَارُوقَ، وَفَرَّقَ اللهُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ». أَخْرَجَهُ أَيْضًا أَبُو نُعَيْمٍ فِي «الْحِلْيَةِ»، وَأَوْرَدَهَا -أَيْ هَذِهِ الْقِصَّةَ- الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «السِّلْسِلَةِ الضَّعِيفَةِ»، وَقَالَ: إِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ جِدًّا.

وَمِنْ طَرِيقِهِ أَخْرَجَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ فِي «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ» وَذَكَرَ فِي إِسْلَامِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عِدَّةَ رِوَايَاتٍ لَا يَصِحُّ شَيْءٌ مِنْ أَسَانِيدِهَا، فَلِمَاذَا نَأْتِي بِهَا؟

لِأَنَّ هَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ، يَعْنِي هَذَا هُوَ الَّذِي يَعْلَمُهُ الصِّبْيَانُ فِي مَرَاحِلِ التَّعْلِيمِ فِي قِصَّةِ إِسْلَامِ عُمَرَ، وَأَنَّهُ خَرَجَ بَعْدَ ذَلِكَ يُعْلِنُ إِسْلَامَ الْكُلِّ، وَكَانَ عَلَىٰ رَأْسِ

صَفٍّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ الْحَمْزَةُ عَلَىٰ رَأْسِ الصَّفِّ الْآخَرِ، مَعَ أَنَّ الرِّوَايَةَ ضَعِيفَةٌ جِدًّا كَمَا مَرَّ.

*** قِصَّةٌ أُخْرَىٰ فِي خَبَرِ إِسْلَامِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:**

رَوَىٰ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ؛ لِانْقِطَاعِهِ، عَنْ شُرَيْحِ بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «خَرَجْتُ أَتَعَرَّضُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَبْلَ أَنْ أُسْلِمَ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي إِلَىٰ الْمَسْجِدِ، فَقُمْتُ خَلْفَهُ، فَقُلْتُ: هَذَا وَاللهِ شَاعِرٌ كَمَا قَالَتْ قُرَيْشٌ.

قَالَ: فَقَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحاقة: ٤٠ - ٤١]، هُوَ يَقُولُ فِي نَفْسِهِ عَلَىٰ حَسَبِ الرِّوَايَةِ وَسَنَدُهَا ضَعِيفٌ.

يَقُولُ فِي نَفْسِهِ: إِنَّهُ شَاعِرٌ، كَمَا قَالَتْ قُرَيْشٌ، وَالنَّبِيُّ ﷺ لَا يَعْلَمُ مَكَانَهُ لَا يَعْلَمُ أَنَّهُ خَلْفَهُ، فَهُوَ يَسْمَعُ النَّبِيَّ ﷺ مِنْ غَيْرِ عِلْمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي، هَذَا وَاللهِ شَاعِرٌ كَمَا قَالَتْ قُرَيْشٌ، قَالَ: فَقَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَكْذِيبَ مَا فِي نَفْسِهِ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحاقة: ٤٠ - ٤١].

قَالَ: قُلْتُ -أَيْ فِي نَفْسِهِ-: كَاهِنٌ، قَالَ فَقَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٢ - ٤٧] إِلَىٰ آخِرِ السُّورَةِ.

قَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فَوَقَعَ الْإِسْلَامُ فِي قَلْبِي كُلَّ مَوْقِعٍ». هَذَا ضَعِيفٌ كَمَا مَرَّ، أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ؛ لِانْقِطَاعِهِ.

*** مَتَىٰ كَانَ إِسْلَامُهُ إِذَنْ؟**

وَقَعَ عِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ فِي طَبَقَاتِهِ أَنَّ إِسْلَامَ عُمَرَ كَانَ فِي ذِي الْحَجَّةِ مِنَ السَّنَةِ السَّادِسَةِ لِلْبَعْثَةِ، وَهَذَا فِيهِ نَظَرٌ، لِأَنَّ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يَوْمَ أَسْلَمَ أَبُوهُ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَانَ عُمُرُهُ سِتَّ سِنِينَ كَمَا عِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ فِي طَبَقَاتِهِ، وَقَدِ اسْتُصْغِرَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يَوْمَ غَزْوَةِ أُحُدٍ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَكَانَتْ غَزْوَةُ أُحُدٍ سَنَةَ ثَلَاثٍ مِنَ الْهِجْرَةِ فَعَلَىٰ هَذَا يَكُونُ إِسْلَامُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِنَحْوٍ مِنْ أَرْبَعِ سِنِينَ وَذَلِكَ فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ لِلْبَعْثَةِ، وَاللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَمُ!

كَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي **السَّادِسَةِ وَالْعِشْرِينَ** مِنْ عُمُرِهِ يَوْمَ أَسْلَمَ بَعْدَ أَنْ دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ دَارَ الْأَرْقَمِ، وَبَعْدَ أَرْبَعِينَ نَفْسًا بَيْنَ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ أَحْرَارٍ قَدْ أَسْلَمُوا قَبْلَهُ.

وَهَذَا أَيْضًا فِيهِ مُرَاجَعَةٌ كَمَا مَرَّ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الَّذِي كَانُوا فِي هِجْرَةِ الْحَبَشَةِ الثَّانِيَةِ كَانُوا فَوْقَ الثَّمَانِينَ مِنَ الرِّجَالِ، فَإِذَا قُلْنَا بِتَأَخُّرِ إِسْلَامِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَىٰ السَّنَةِ التَّاسِعَةِ لِلْبَعْثَةِ، فَهَذَا الَّذِي وَقَعَ كَانَ فِي حُدُودِ السَّنَةِ السَّادِسَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ الثَّانِيَةِ، فَالْهِجْرَةُ الْأُولَىٰ وَقَعَتْ فِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ وَرَجَعَ الَّذِينَ هَاجَرُوا الْهِجْرَةَ الْأُولَىٰ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ إِلَىٰ مَكَّةَ وَلَمْ يَدْخُلُوهَا، إِلَّا مَنْ دَخَلَ فِي جِوَارٍ، فَإِنَّهُمْ رَجَعُوا إِلَىٰ الْحَبَشَةِ مَرَّةً أُخْرَىٰ.

رَوَىٰ ابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ» بِسَنَدٍ قَوِيٍّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «لَمَّا أَسْلَمَ أَبِي عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَمْ تَعْلَمْ قُرَيْشٌ بِإِسْلَامِهِ» فَذَكَرَ الْحَدِيثَ الَّذِي مَرَّ بِشَأْنِ جَمِيلِ بْنِ مَعْمَرَ الْجُمَحِيِّ، وَكَيْفَ أَعْلَنَ إِسْلَامَهُ، وَكَيْفَ انْتَشَرَ خَبَرُ إِسْلَامِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَكَانَ الَّذِي دَفَعَ عَنْهُ قُرَيْشًا لَمَّا هَمُّوا بِهِ كَانَ الْعَاصَ بْنَ وَائِلٍ السَّهْمِيَّ لَا جَزَاهُ اللهُ خَيْرًا، هَذَا الْكَلَامُ هُوَ الَّذِي نُسِبَ لِعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَمَا فِي رِوَايَةِ سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ.

قَالَ: «يَا بُنَيَّ ذَاكَ الْعَاصِ بْنُ وَائِلٍ لَا جَزَاهُ اللهُ خَيْرًا» لِأَنَّهُ مَاتَ كَافِرًا، فَلَيْسَ مَعْنَىٰ أَنَّهُ صَنَعَ لَهُ مَعْرُوفًا أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَاءٌ، اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ لِكَافِرٍ عِنْدِي يَدًا حَتَّىٰ لَا أُحِبَّهُ! لِأَنَّهُ إِذَا صَنَعَ إِلَيْكَ الْمَعْرُوفَ فَلَا شَكَّ أَنَّ ذَلِكَ يَكُونُ مَدْعَاةً لِلْمَحَبَّةِ، فَيَقُولُ -مَعَ أَنَّهُ دَفَعَ الْقَوْمَ عَنْهُ- يَقُولُ: «لَا جَزَاهُ اللهُ خَيْرًا».

زَحَفَ الْمُشْرِكُونَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَىٰ بَيْتِ عُمَرَ يُرِيدُونَ قَتْلَهُ.

رَوَىٰ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «بَيْنَمَا هُوَ فِي الدَّارِ -يُرِيدُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، أَبَاهُ- خَائِفًا إِذْ جَاءَهُ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ السَّهْمِيُّ أَبُو عَمْرٍو وَهُوَ مِنْ بَنِي سَهْمٍ وَهُمْ حُلَفَاؤُنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ.

فَقَالَ لَهُ: «مَا بَالُكَ؟».

قَالَ: «زَعَمَ قَوْمُكَ أَنَّهُمْ سَيَقْتُلُونَنِي أَنْ أَسْلَمْتُ!».

قَالَ: «لَا سَبِيلَ إِلَيْكَ».

فَخَرَجَ الْعَاصُ فَلَقِيَ النَّاسَ قَدْ سَالَ بِهِمُ الْوَادِي، فَقَالَ: «أَيْنَ تُرِيدُونَ؟».

فَقَالُوا: «نُرِيدُ هَذَا ابْنَ الْخَطَّابِ الَّذِي صَبَأَ».

قَالَ: «لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ».

قَالَ: فَكَرَّ -أَيْ رَجَعَ- النَّاسُ» الرِّوَايَةُ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ فِي «الصَّحِيحِ».

فَزَحَفُوا زَحْفًا وَجَاءُوا جَيْشًا مِنْ أَجْلِ أَنْ يَقْتُلُوا عُمَرَ؛ لِأَنَّ إِسْلَامَ عُمَرَ يَغِيظُهُمْ إِغَاظَةً شَدِيدَةً، فَقَالُوا: لَا بُدَّ مِنْ قَتْلِهِ، فَزَحَفُوا مِنْ أَجْلِ قَتْلِهِ، فَرَدَّهُمْ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ السَّهْمِيُّ، وَهُوَ إِنَّمَا يَرُدُّهُمْ كَمَا يُفَسِّرُ ذَلِكَ ابْنُ عُمَرَ فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ «كَانُوا حُلَفَاءَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ».

وَالْحَلِيفُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مَعَ حَلِيفِهِ وَلَا بُدَّ أَنْ يُدَافِعَ عَنْهُ وَمَعَرَّةٌ أَنْ يُصِيبَ حَلِيفَهُ شَيْءٌ وَهُوَ عَلَىٰ قَيْدِ الْحَيَاةِ، فَهَذَا يُفَسِّرُ لَنَا دِفَاعَ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَمَّا أَعْلَنَ إِسْلَامَهُ وَظَاهَرَ بِهِ.

بِإِسْلَامِ عُمَرَ عَزَّ الْمُسْلِمُونَ وَصَارُوا يَغْشَوْنَ الْكَعْبَةَ وَيَطُوفُونَ حَوْلَهَا وَيُصَلُّونَ لَا يَخَافُونَ قُرَيْشًا.

رَوَىٰ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ».

قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: لِمَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْجَلَدِ وَالْقُوَّةِ فِي أَمْرِ اللهِ تَعَالَىٰ.

وَرَوَىٰ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ» وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ إِسْلَامُ عُمَرَ فَتْحًا وَهِجْرَتُهُ نَصْرًا وَإِمَارَتُهُ رَحْمَةً وَاللهِ مَا اسْتَطَعْنَا أَنْ نُصَلِّيَ حَوْلَ الْبَيْتِ ظَاهِرِينَ حَتَّىٰ أَسْلَمَ عُمَرُ».

قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْإِصَابَةِ»: ثُمَّ أَسْلَمَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَكَانَ إِسْلَامُهُ فَتْحًا عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ وفَرَجًا لَهُمْ مِنَ الضِّيقِ.

ذَكَرَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْزَلَ فِي عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَبِي جَهْلٍ لَعَنَهُ اللهُ تَعَالَىٰ أَنْزَلَ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْآيَةَ عَامَّةٌ، يَدْخُلُ فِيهَا كُلُّ مُؤْمِنٍ وَكَافِرٍ، فَهِيَ مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ تَعَالَىٰ لِلْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا﴾ فِي شِرْكِهِ وَضَلَالَتِهِ وَكُفْرِهِ ﴿فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ بِالْإِسْلَامِ ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ -رَحِمَهُمَا اللهُ-: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: ٦٥]. قَالَا: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ حِينَ أَسْلَمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَكَمُلَ بِهِ الْأَرْبَعُونَ.

رَدَّ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ ذَلِكَ أَيْضًا وَقَالَ: وَفِي هَذَا نَظَرٌ، لِأَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَدَنِيَّةٌ، وَإِسْلَامُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ بِمَكَّةَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ بِاتِّفَاقٍ، بَعْدَ أَنْ عَادَ الْمُهَاجِرُونَ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ إِلَىٰ مَكَّةَ، عَادَتْ قُرَيْشٌ إِلَىٰ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ التَّنْكِيلِ وَالِاضْطِهَادِ كَأَشَدَّ مَا كَانَ! وَأَغْرَتْ سَائِرَ الْقَبَائِلِ بِمُضَاعَفَةِ الْأَذَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ. فَسَطَتْ، -وَالسَّطْوُ الْقَهْرُ بِالْبَطْشِ- بِهِمْ عَشَائِرُهُمْ وَلَقُوا مِنْهُمْ أَذًىٰ شَدِيدًا حَتَّىٰ بَلَغَ الْجَهْدَ وَاشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْبَلَاءُ، فَلَمَّا رَأَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا أَصَابَ أَصْحَابَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِنَ الْبَلَاءِ أَذِنَ لَهُمْ بِالْهِجْرَةِ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ مَرَّةً ثَانِيَةً.

◉◉◉

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

الْهِجْرَةُ الثَّانِيَةُ إِلَى الْحَبَشَةِ، وَمَكِيدَةُ قُرَيْشٍ بِمُهَاجِرِي الْحَبَشَةِ

كَانَتْ الْهِجْرَةُ الثَّانِيَةُ أَشَقَّ مِنْ سَابِقَتِهَا، وَلَقِيَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ قُرَيْشٍ تَعْنِيفًا شَدِيدًا وَنَالُوهُمْ بِالْأَذَىٰ.

كَانَ عِدَّةُ مَنْ خَرَجَ فِي هَذِهِ الْهِجْرَةِ مِنَ الرِّجَالِ -فِي الْهِجْرَةِ الثَّانِيَةِ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ- كَانَ عِدَّةَ مَنْ خَرَجَ فِي هَذِهِ الْهِجْرَةِ مِنَ الرِّجَالِ ثَلَاثَةٌ وَثَمَانُونَ رَجُلًا إِنْ كَانَ فِيهِمْ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فَإِنَّهُ يَشُكُّ فِي هِجْرَتِهِ وَاثْنَانِ وَثَمَانُونَ رَجُلًا إِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ.

قَالَ السُّهَيْلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَشَكَّ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هَلْ هَاجَرَ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ أَمْ لَا؟ وَالْأَصَحُّ عِنْدَ أَهْلِ السِّيَرِ كَالْوَاقِدِيِّ وَابْنِ عُقْبَةَ وَغَيْرِهِمَا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ.

انْتَهَىٰ كَلَامُ السُّهَيْلِيِّ.

وَمِنَ النِّسَاءِ خَرَجَ ثَمَانِي عَشْرَةَ امْرَأَةً، إِحْدَىٰ عَشْرَةَ مِنَ الْقُرَشِيَّاتِ، وَسَبْعٌ غَيْرُ قُرَشِيَّاتٍ ذَلِكَ عَدَا أَبْنَائِهِمْ الَّذِينَ وُلِدُوا لَهُمْ فِي الْحَبَشَةِ.

كَانَ أَمِيرُهُمْ فِي هَذِهِ الْهِجْرَةِ الثَّانِيَةِ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

اسْتِعْرَاضُ قَائِمَةِ الْمُهَاجِرِينَ يَدُلُّ عَلَىٰ سَعَةِ الدَّائِرَةِ الْبَشَرِيَّةِ وَتَنَوُّعِهَا وَشُمُولِهَا لِلطَّبَقَاتِ وَالْمُسْتَوَيَاتِ فِي الْمُجْتَمَعِ الْمَكِّيِّ كُلِّهِ، فَفِيهِمْ -يَعْنِي فِي هَؤُلَاءِ الْمُهَاجِرِينَ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ- الْغَنِيُّ وَالْفَقِيرُ، وَالْكَهْلُ وَالشَّابُّ، وَالرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ، وَيَنْتَمِي أَغْلَبُهُمْ إِلَىٰ أُسْرَةٍ مَكِّيَّةٍ عَرِيقَةٍ، فَدَلَّ عَلَىٰ شِدَّةِ تَأْثِيرِ الدَّعْوَةِ وَقُوَّتِهَا وَشُمُولِهَا.

فِي طَرِيقِ الْهِجْرَةِ الثَّانِيَةِ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ مَاتَ خَالِدُ بْنُ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ حَيَّةٍ نَهَشَتْهُ، فَقَدْ رَوَىٰ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «هَاجَرَ خَالِدُ بْنُ حِزَامٍ إِلَىٰ أَرْضِ الْحَبَشَةِ، فَنَهَشَتْهُ حَيَّةٌ فِي الطَّرِيقِ فَمَاتَ، فَنَزَلَتْ فِيهِ: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠].

الْمَشْهُورُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي جُنْدُبِ بْنِ ضَمْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهَذَا مَا رَجَّحَهُ الْحَافِظُ فِي الْإِصَابَةِ وَبِهِ جَزَمَ ابْنُ الْأَثِيرِ.

قَالَ الزُّبَيْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَكُنْتُ أَتَوَقَّعُهُ وَأَنْتَظِرُ قُدُومَهُ وَأَنَا فِي أَرْضِ الْحَبَشَةِ، فَمَا أَحْزَنَنِي شَيْءٌ حُزْنَ وَفَاتِهِ حِينَ بَلَغَتْنِي لِأَنَّهُ قَلَّ أَحَدٌ مِمَّنْ هَاجَرَ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا مَعَهُ بَعْضُ أَهْلِهِ أَوْ ذَوِي رَحِمِهِ وَلَمْ يَكُنْ مَعِي أَحَدٌ مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّىٰ وَلَا أَرْجُو غَيْرَهُ».

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: وَهَذَا الْأَثَرُ غَرِيبٌ جِدًّا، فَإِنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ مَكِّيَّةٌ، وَنُزُولُ هَذِهِ الْآيَةِ مَدَنِيَّةٌ، فَلَعَلَّهُ أَرَادَ أَنَّهَا أَنْزَلَتْ تَعُمُّ حُكْمَهُ مَعَ غَيْرِهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ

سَبَبَ النُّزُولِ، وَهَذِهِ أَيْضًا مِمَّا يَأْخُذُ بِهِ الْعُلَمَاءُ، فَإِذَا كَانَ مِمَّنْ يُمْكِنُ أَنْ يَدْخُلَ فِي مَعْنَىٰ الْآيَةِ الَّتِي نَزَلَتْ ذَكَرُوهَا عِنْدَ ذِكْرِهِ، وَلَمْ تَكُنْ كَذَلِكَ فِي أَصْلِ النُّزُولِ وَلَا يَكُونُ هُوَ سَبَبًا لِنُزُولِهَا كَمَا قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَلَعَلَّهُ أَرَادَ أَنَّهَا أُنْزِلَتْ تَعُمُّ حُكْمَهُ مَعَ غَيْرِهِ، فَهُوَ دَاخِلٌ فِيهَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ سَبَبَ النُّزُولِ.

خَالِدُ بْنُ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَنْ هُوَ؟ هُوَ أَخُو حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَابْنُ أَخِي خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَسْلَمَ قَدِيمًا وَهَاجَرَ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ الْهِجْرَةَ الثَّانِيَةَ فَنَهَشَتْهُ حَيَّةٌ فَمَاتَ فِي الطَّرِيقِ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ إِلَىٰ أَرْضِ الْحَبَشَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

هِجْرَةُ مَنْ هَاجَرَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ أَرْضِ الْحَبَشَةِ فِرَارًا بِدِينِهِمْ مِنَ الْفِتْنَةِ.

رَوَىٰ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بِسَنَدِهِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ النَّجَاشِيِّ، وَنَحْنُ نَحْوٌ مِنْ ثَمَانِينَ رَجُلًا، فِيهِمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ، وَجَعْفَرٌ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عَرْفَطَةَ، وَعُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ، وَأَبُو مُوسَىٰ، فَأَتَوْا النَّجَاشِيَّ، وَبَعَثَتْ قُرَيْشٌ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ، وَعِمَارَةَ بْنَ الْوَلِيدِ بِهَدِيَّةٍ فَلَمَّا دَخَلَا عَلَىٰ النَّجَاشِيِّ سَجَدَا لَهُ، ثُمَّ ابْتَدَرَاهُ عَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ.

ثُمَّ قَالَا لَهُ: «إِنَّ نَفَرًا مِنْ بَنِي عَمِّنَا نَزَلُوا أَرْضَكَ، وَرَغِبُوا عَنَّا وَعَنْ مِلَّتِنَا».

قَالَ: «فَأَيْنَ هُمْ؟».

قَالَا: «هُمْ فِي أَرْضِكَ، فَابْعَثْ إِلَيْهِمْ».

فبَعَثَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ جَعْفَرٌ لِلْمُهَاجِرِينَ: «أَنَا خَطِيبُكُمُ الْيَوْمَ»، فَاتَّبَعُوهُ، فَسَلَّمَ عَلَىٰ النَّجَاشِيِّ، وَلَمْ يَسْجُدْ، فَقَالُوا لَهُ: «مَا لَكَ لَا تَسْجُدُ لِلْمَلِكِ؟» -يَعْنِي كَمَا صَنَعَ عَمْرٌو وَعُمَارَةُ، وَكَمَا يَصْنَعُونَ هُمْ يَسْجُدُونَ لِلْمَلِكِ، أَمَّا جَعْفَرٌ فَإِنَّهُ دَخَلَ فَسَلَّمَ وَلَمْ يَسْجُدْ- فَقَالُوا لَهُ: «مَا لَكَ لَا تَسْجُدُ لِلْمَلِكِ؟!».

قَالَ: «إِنَّا لَا نَسْجُدُ إِلَّا للهِ ﷻ».

قَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟».

قَالَ: «إِنَّ اللهَ ﷻ بَعَثَ إِلَيْنَا رَسُولًا، ثُمَّ أَمَرَنَا أَلَّا نَسْجُدَ لِأَحَدٍ إِلَّا للهِ ﷻ، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ».

قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: «فَإِنَّهُمْ يُخَالِفُونَكَ فِي عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ».

قَالَ: «فَمَا تَقُولُونَ فِي عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأُمِّهِ؟».

قَالَ جَعْفَرٌ: «نَقُولُ كَمَا قَالَ اللهُ، هُوَ كَلِمَتُهُ وَرُوحُهُ، أَلْقَاهَا إِلَىٰ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ الَّتِي لَمْ يَمَسَّهَا بَشَرٌ، وَلَمْ يَفْرِضْهَا وَلَدٌ» -لَمْ يُؤَثِّرْ فِيهَا وَلَمْ يَحُزْهَا، يَعْنِي قَبْلَ الْمَسِيحِ عليه السلام.

قَالَ: «فَرَفَعَ النَّجَاشِيُّ عُودًا مِنَ الْأَرْضِ».

ثُمَّ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْحَبَشَةِ، وَالْقِسِّيسِينَ، وَالرُّهْبَانِ، وَاللهِ مَا يَزِيدُونَ عَلَىٰ الَّذِي نَقُولُ فِيهِ مَا سِوَىٰ هَذَا، مَرْحَبًا بِكُمْ، وَبِمَنْ جِئْتُمْ مِنْ عِنْدِهِ، أَشْهَدُ أَنَّهُ

رَسُولُ اللهِ، وَأَنَّهُ الَّذِي نَجِدُ فِي الْإِنْجِيلِ، وَأَنَّهُ الرَّسُولُ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ، انْزِلُوا حَيْثُ شِئْتُمْ، وَاللهِ لَوْلَا مَا أَنَا فِيهِ مِنْ الْمُلْكِ لَأَتَيْتُهُ حَتَّىٰ أَكُونَ أَنَا الَّذِي أَحْمِلُ نَعْلَيْهِ، وَأُوَضِّئُهُ!» ﷺ.

وَهَذَا يُذَكِّرُكَ بِمَا سَيَأْتِي بَعْدُ مَا بَيْنَ سَنَةَ سِتٍّ وَسَنَةِ ثَمَانٍ فِي وَقْتِ الْمُوَادَعَةِ مِنْ لِقَاءِ هِرَقْلَ بِأَبِي سُفْيَانَ، فَقَدْ قَالَ هِرَقْلُ نَحْوًا مِمَّا قَالَ النَّجَاشِيُّ، وَكَانَ أَيْضًا مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَكَانَ عَلَىٰ النَّصْرَانِيَّةِ.

يَقُولُ الْمَلِكُ: «وَاللهِ لَوْلَا مَا أَنَا فِيهِ مِنَ الْمُلْكِ لَأَتَيْتُهُ حَتَّىٰ أَكُونَ أَنَا الَّذِي أَحْمِلُ نَعْلَيْهِ وَأُوَضِّئُهُ، وَأَمَرَ بِهَدِيَّةِ الْآخَرَيْنِ -عَمْرٍو وَعِمَارَةَ- فَرُدَّتْ إِلَيْهِمَا، ثُمَّ تَعَجَّلَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ حَتَّىٰ أَدْرَكَ بَدْرًا» كَمَا مَرَّ.

هَذَا نَصٌّ صَرِيحٌ فِي ذَلِكَ، رَجَعَ إِلَىٰ مَكَّةَ رضي الله عنه.

وَزَعَمَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَغْفَرَ لَهُ حِينَ بَلَغَهُ مَوْتُهُ يُرِيدُ النَّجَاشِيَّ.

هَذَا إِسْنَادٌ جَيِّدٌ قَوِيٌّ يَقُولُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ: «هَذَا إِسْنَادٌ جَيِّدٌ قَوِيٌّ وَسِيَاقٌ حَسَنٌ وَفِيهِ مَا يَقْتَضِي أَنَّ أَبَا مُوسَىٰ كَانَ فِيمَنْ هَاجَرَ مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ أَرْضِ الْحَبَشَةِ إِنْ لَمْ يَكُنْ مُدْرَجًا مِنْ بَعْضِ الرُّوَاةِ».

فِي هَذَا إِشْكَالٌ سَيَأْتِي -إِنْ شَاءَ اللهُ- عَرْضُهُ؛ لِأَنَّ أَبَا مُوسَىٰ وَفَدَ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فِي وَقْتٍ سِوَىٰ هَذَا، فَكَيْفَ كَانَ مُهَاجِرًا إِلَىٰ الْحَبَشَةِ هَذَا فِيهِ إِشْكَالٌ سَيَأْتِي ذِكْرُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ.

قَالَ: «وَرَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي (الدَّلَائِلِ) عَنْ أَبِي مُوسَىٰ قَالَ: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ نَنْطَلِقَ مَعَ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَىٰ أَرْضِ النَّجَاشِيِّ، فَبَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا فَبَعَثُوا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ وَعُمَارَةَ بْنَ الْوَلِيدِ وجَمَعُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدِيَّةً وَقَدِمَا عَلَىٰ النَّجَاشِيِّ فَأَتَيَاهُ بِالْهَدِيَّةِ فَقَبِلَهَا وَسَجَدَا لَهُ. ثُمَّ قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: «إِنَّ نَاسًا مِنْ أَرْضِنَا رَغِبُوا عَنْ دِينِنَا وَهُمْ فِي أَرْضِكَ!».

قَالَ لَهُمُ النَّجَاشِيُّ: «فِي أَرْضِي؟»

قَالُوا: «نَعَمْ».

فَبَعَثَ إِلَيْنَا فَقَالَ لَنَا جَعْفَرٌ: «لَا يَتَكَلَّمُ مِنْكُمْ أَحَدٌ أَنَا خَطِيبُكُمُ الْيَوْمَ»، فَانْتَهَيْنَا إِلَىٰ النَّجَاشِيِّ وَهُوَ جَالِسٌ فِي مَجْلِسِهِ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَنْ يَمِينِهِ وَعُمَارَةُ عَنْ يَسَارِهِ وَالْقِسِّيسُونَ جُلُوسٌ سِمَاطَيْنِ وَقَدْ قَالَ لَهُ عَمْرٌو وَعِمَارَةُ: «إِنَّهُمْ لَا يَسْجُدُونَ لَكَ»، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا بَدَرَنَا مِنْ عِنْدِهِ مِنَ الْقِسِّيسِينَ وَالرُّهْبَانِ: «اسْجُدُوا لِلْمَلِكِ!». فَقَالَ جَعْفَرٌ: «لَا نَسْجُدُ إِلَّا للهِ ﷻ».

فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: «وَمَا ذَاكَ؟»

قَالَ: «إِنَّ اللهَ بَعَثَ فِينَا رَسُولًا، وَهُوَ الرَّسُولُ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ عِيسَىٰ بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ بَعْدِهِ، اسْمُهُ أَحْمَدُ؛ فَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَنُقِيمَ الصَّلَاةَ وَنُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَأَمَرَنَا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ»، فَأَعْجَبَ النَّجَاشِيَّ قَوْلُهُ!

فَلَمَّا رَأَىٰ ذَلِكَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ قَالَ: «أَصْلَحَ اللهُ الْمَلِكَ إِنَّهُمْ يُخَالِفُونَكَ فِي عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ!»

فَقَالَ النَّجَاشِيُّ: «مَا يَقُولُ صَاحِبُكُمْ فِي ابْنِ مَرْيَمَ؟»

قَالَ: «يَقُولُ فِيهِ قَوْلَ اللهِ هُوَ رُوحُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَخْرَجَهُ مِنَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ الَّتِي لَمْ يَقْرَبْهَا بَشَرٌ وَلَمْ يَفْرِضْهَا وَلَدٌ».

فتَنَاوَلَ النَّجَاشِيُّ عُودًا مِنَ الْأَرْضِ فرَفَعَهُ فَقَالَ: «يَا مَعَشَر الْقِسِّيسِينَ وَالرُّهْبَانِ مَا يَزِيدُ هَؤُلَاءِ عَلَىٰ مَا نَقُولُ فِي مَرْيَمَ وَلَا وَزْنَ هَذِهِ! مَرْحَبًا بِكُمْ وَبِمَنْ جِئْتُمْ مِنْ عِنْدِهِ فَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ وَأَنَّهُ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ عِيسَىٰ وَلَوْلَا مَا أَنَا فِيهِ مِنَ الْمَلِكِ لَأَتَيْتُهُ حَتَّىٰ أُقَبِّلَ نَعْلَيْهِ، امْكُثُوا فِي أَرْضِي مَا شِئْتُمْ!».

وَأَمَرَ لَنَا بِطَعَامٍ وَكِسْوَةٍ. وَقَالَ: «رُدُّوا عَلَىٰ هَذَيْنِ هَدِيَّتَهُمَا».

وَكَانَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رَجُلًا قَصِيرًا وَكَانَ عُمَارَةُ رَجُلًا جَمِيلًا وَكَانَا أَقْبَلَا فِي الْبَحْرِ فَشَرِبَا -يَعْنِي خَمْرًا- وَمَعَ عَمْرٍو امْرَأَتُهُ فَلَمَّا شَرِبَا قَالَ عُمَارَةُ لِعَمْرٍو: «مُرِ امْرَأَتَكَ فَلْتُقَبِّلْنِي».

فَقَالَ لَهُ عَمْرٌو: «أَلَا تَسْتَحِي؟!».

فَأَخَذَ عُمَارَةُ عَمْرًا فَرَمَىٰ بِهِ فِي الْبَحْرِ، فَجَعَل عَمْرٌو يُنَاشِدُهُ حَتَّىٰ أَدْخَلَهُ السَّفِينَةَ؛ فَحَقَدَ عَلَيْهِ عَمْرٌو فِي ذَلِكَ فَقَالَ عَمْرٌو لِلنَّجَاشِيِّ: «إِنَّكَ إِذَا خَرَجْتَ خَلَفَكَ عُمَارَةُ فِي أَهْلِكَ».

فَدَعَا النَّجَاشِيُّ بِعُمَارَةَ فَنَفَخَ فِي إِحْلِيلِهِ فَطَارَ مَعَ الْوَحْشِ هَكَذَا رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي (الدَّلَائِلِ) إِلَىٰ قَوْلِهِ: «فَأَمَرَ لَنَا بِطَعَامٍ وَكِسْوَةٍ».

قَالَ: «وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ وَظَاهِرُهُ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ أَبَا مُوسَىٰ كَانَ بِمَكَّةَ، وَأَنَّهُ خَرَجَ مَعَ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَىٰ أَرْضِ الْحَبَشَةِ.

وَالصَّحِيحُ عَنْ بُرَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ جَدِّهِ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَىٰ: أَنَّهُمْ بَلَغَهُمْ مَخْرَجَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُمْ بِالْيَمَنِ؛ فَخَرَجُوا مُهَاجِرِينَ فِي بِضْعٍ وَخَمْسِينَ رَجُلًا فِي سَفِينَةٍ فَأَلْقَتْهُمْ سَفِينَتُهُمْ إِلَىٰ النَّجَاشِيِّ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ فَوَافَقُوا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَصْحَابَهُ عِنْدَهُمْ فَأَمَرَهُ جَعْفَرٌ بِالْإِقَامَةِ فَأَقَامُوا عِنْدَهُ حَتَّىٰ قَدِمُوا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي زَمَنِ خَيْبَرَ» هَذَا حَلُّ الْإِشْكَالِ.

قَالَ: «وَأَبُو مُوسَىٰ شَهِدَ مَا جَرَىٰ بَيْنَ جَعْفَرٍ وَبَيْنَ النَّجَاشِيِّ فَأَخْبَرَ بِهِ» هُوَ لَمْ يَخْرُجْ مِنْ مَكَّةَ وَإِنَّمَا خَرَجُوا -وَهُوَ مِنَ الْأَشْعَرِيِّينَ فِي الْيَمَنِ- خَرَجُوا وَقَدْ رَكِبُوا فِي السَّفِينَةِ يُرِيدُونَ أَنْ يَصِلُوا إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَانْكَسَرَتْ سَفِينَتُهُمْ فَأَلْقَتْهُمْ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ فَلَقَوْا جَعْفَرًا وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فَأَمَرَهُمْ بِالْبَقَاءِ حَيْثُ هُمْ.

قَالَ: قَالَ: «وَأَبُو مُوسَىٰ شَهِدَ مَا جَرَىٰ بَيْنَ جَعْفَرٍ وَبَيْنَ النَّجَاشِيِّ فَأَخْبَرَ عَنْهُ».

قَالَ: وَلَعَلَّ الرَّاوِي وَهِمَ فِي قَوْلِهِ: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ نَنْطَلِقَ» فَهَذَا أُسْنِدَ إِلَىٰ أَبِي مُوسَىٰ فِي مَطْلَعِ كَلَامِهِ: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ نَنْطَلِقَ» قَالَ: «فَلَعَلَّ الرَّاوِيَ قَدْ وَهِمَ فِي قَوْلِهِ هَذَا!».

هَكَذَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي هِجْرَةِ الْحَبَشَةِ، وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي مُوسَىٰ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «بَلَغْنَا مَخْرَجُ النَّبِيِّ وَنَحْنُ بِالْيَمَنِ فَرَكِبْنَا سَفِينَةً فَأَلْقَتْنَا سَفِينَتُنَا إِلَىٰ النَّجَاشِيِّ بِالْحَبَشَةِ فَوَافَقْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَأَقَمْنَا مَعَهُ حَتَّىٰ قَدِمْنَا فَوَافَيْنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حِينَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَكُمْ أَنْتُمْ أَهْلَ السَّفِينَةِ هِجْرَتَانِ**».

وَرَوَيَاهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مُطَوَّلًا.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَارِثِ بْنِ هِشَامٍ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «لَمَّا ضَاقَتْ مَكَّةُ، وَأُوذِيَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَفُتِنُوا، وَرَأَوْا مَا يُصِيبُهُمْ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْفِتْنَةِ فِي دِينِهِمْ، وَأَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَا يَسْتَطِيعُ دَفْعَ ذَلِكَ عَنْهُمْ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي مَنَعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَمِنْ عَمِّهِ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ شَيْءٌ مِمَّا يَكْرَهُ وَمِمَّا يَنَالُ أَصْحَابُهُ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ مَلِكًا لَا يُظْلَمُ أَحَدٌ عِنْدَهُ فَالْحَقُوا بِبِلَادِهِ حَتَّىٰ يَجْعَلَ اللهُ لَكُمْ فَرَجًا وَمَخْرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ**».

قَالَتْ: فَخَرَجْنَا إِلَيْهَا أَرْسَالًا حَتَّىٰ اجْتَمَعْنَا بِهَا فَنَزَلْنَا بِخَيْرِ دَارٍ إِلَىٰ خَيْرِ جَارٍ آمِنِينَ عَلَىٰ دِينِنَا وَلَمْ نَخْشَ فِيهَا ظُلْمًا، فَلَمَّا رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنَّا قَدْ أَصَبْنَا دَارًا وَأَمْنًا غَارُوا مِنَّا فَاجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثُوا إِلَىٰ النَّجَاشِيِّ فِينَا؛ لِيُخْرِجَنَا مِنْ بِلَادِهِ وَلِيَرُدَّنَا عَلَيْهِمْ، فَبَعَثُوا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ وَعَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ -فِي الرِّوَايَةِ الَّتِي مَرَّتْ: عُمَارَةُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَهُنَا بَعَثُوا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ وَعَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ-فَجَمَعُوا لَهُ هَدَايَا وَلِبَطَارِقَتِهِ فَلَمْ يَدَعُوا رَجُلًا إِلَّا هَيَّئُوا لَهُ هَدِيَّةً عَلَىٰ حِدَةٍ.

وَقَالُوا لَهُمَا: «ادْفَعُوا إِلَىٰ كُلِّ بَطْرِيقٍ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ تتكَلَّمُوا فِيهِمْ ثُمَّ ادْفَعُوا إِلَيْهِ هَدَايَاهُ فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ يَرُدَّهُمْ عَلَيْكُمْ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ -أَيْ أَنْ يُكَلِّمَ الْمُهَاجِرِينَ- فَافْعَلُوا..».

هُنَا مَلْحَظٌ يُمْكِنُ أَنْ يُلْحَظَ، هَذَا الْمَلْحَظُ هُوَ أَنَّ قُرَيْشًا كَانَتْ عَلَىٰ عِلْمٍ بِبَطَارِقَتِهِ بِطْرِيقًا بِطْرِيقًا وَعَلىٰ عِلْمٍ بِمَا يَسُرُّهُ وَمَا يُمْكِنُ أَنْ يُقَدَّمَ إِلَيْهِ مِنَ الْهَدَايَا فَكَانَتْ لَهُمُ اسْتِخْبَارَاتٌ.

وَرُبَّمَا فَعَلُوا ذَلِكَ بَعْدَ هِجْرَةِ الْمُهَاجِرِينَ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ فَكَلَّفُوا مَنْ يَطَّلِعُ عَلَىٰ أَمْثَالِ هَذِهِ الدَّقَائِقِ حَتَّىٰ يَسْتَغِلُّوهَا وَحَتَّىٰ يَدْخُلُوا إِلَىٰ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ مِنْ مَدْخَلِهِ الَّذِي يُدْخَلُ إِلَيْهِ مِنْهُ، وَلِذَلِكَ لَمْ يَدَعُوا رَجُلًا إِلَّا هَيَّئُوا لَهُ هَدِيَّةً عَلَىٰ حِدَةٍ.

وَقَالُوا لَهُمَا: ادْفَعُوا إِلَىٰ كُلِّ بَطْرِيقٍ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ تتكَلَّمُوا فِيهِمْ، أَعْطُوا الْهَدِيَّةَ أَوَّلًا، أَطْعِمِ الْفَمَ تَسْتَحِي الْعَيْنُ، أَعْطُوهُمْ أَوَّلًا ثُمَّ كَلِّمُوهُمْ فِيهِمْ.

قُولُوا: جِئْنَا مِنْ أَجْلِ كَذَا وَكَذَا- ثُمَّ ادْفَعُوا إِلَيْهِ هَدَايَاهُ - أَيْ لِلنَّجَاشِيِّ- فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ يَرُدَّهُمْ عَلَيْكُمْ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ فَافْعَلُوا، فَقَدِمَا عَلَيْهِ.

هَذَا أَيْضًا مَلْحَظٌ دَقِيقٌ يَدُلُّ عَلَىٰ ذَكَائِهِمْ فِي الشَّرِّ، هُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ جَعْفَرًا وَالْمُهَاجِرِينَ لَوْ كَلَّمُوا النَّجَاشِيَّ لَأَقْنَعُوهُ لَهُمْ حُجَّةٌ، أَصْحَابُ قَضِيَّةٍ، أَمَّا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَهَبُوا لِيُرْجِعُوهُمْ مَا قَضِيَّتُهُمْ؟! وَهُوَ صَاحِبُ دِينٍ، هُوَ عَلَىٰ دِينِ الْمَسِيحِ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ عَلَىٰ السَّوِيَّةِ، بِدَلِيلِ اسْتِجَابَتِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

إِذَنْ هُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ الْمُهَاجِرِينَ لَوْ كَلَّمُوا النَّجَاشِيَّ فَسَيَحْظَىٰ شَأْنُهُمْ عِنْدَهُ، وَعِنْدَئِذٍ سَيَرْجِعُ الرَّسُولَانِ عَمْرٌو وَمَنْ مَعَهُ بِخُفَّيْ حُنَيْنٍ -كَمَا يَقُولُونَ-.

قَالُوا: فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ يَرُدَّهُمْ عَلَيْكُمْ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمُوهُمْ فَافْعَلُوا، فقَدِمَا عَلَيْهِ، فَلَمْ يَبْقَ بَطْرِيقٌ مِنْ بَطَارِقَتِهِ إِلَّا قَدَّمُوا إِلَيْهِ هَدِيَّتَهُ فَكَلَّمُوهُ فقَالُوا لَهُ: «إِنَّمَا قَدِمْنَا عَلَىٰ هَذَا الْمَلِكِ فِي سُفَهَائِنَا فَارَقُوا أَقْوَامَهُمْ فِي دِينِهِمْ وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكُمْ فَبَعَثْنَا قَوْمَهُمْ لِيَرُدَّهُمْ الْمَلِكُ عَلَيْنَا فَإِذَا نَحْنُ كَلَّمْنَاهُ فَأَشِيرُوا عَلَيْهِ بِأَنْ يَفْعَلَ». فَقَالُوا: «نَفْعَلُ».

ثُمَّ قَدَّمُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَاهُ وَكَانَ مِنْ أَحَبِّ مَا يَهْدُونَ إِلَيْهِ مِنْ مَكَّةَ الْأُدُمُ. وَذَكَر مُوسَىٰ بْنُ عُقْبَةَ: أَنَّهُمْ أَهْدَوْا إِلَيْهِ فَرَسًا وَجُبَّةَ دِيبَاجٍ.

فَلَمَّا أَدْخَلُوا عَلَيْهِ هَدَايَاهُ قَالُوا لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّ فِتْيَةً مِنَّا سُفَهَاءُ فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكَ -يَعْنِي لَيْسَ هُنَاكَ مَجَالٌ لِأَنْ تُدَافِعَ عَنْهُمْ هُمْ فَارَقُوا دِينَنَا وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكَ- وَجَاؤُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لَا نَعْرِفُهُ، وَقَدْ لَجَؤُوا إِلَىٰ بِلَادِكَ وَقَدْ بَعَثَنَا إِلَيْكِ فِيهِمْ عَشَائِرُهُمْ آبَاؤُهُمْ وَأَعْمَامُهُمْ وَقَوْمُهُمْ لِتَرُدَّهُمْ عَلَيْهِمْ -هَذِهِ حُجَّةٌ قَوِيَّةٌ، يَعْنِي نَحْنُ إِنَّمَا جِئْنَا مُوفَدَيْنِ مِنْ قِبَلِ آبَائِهِمْ وَأَعْمَامِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ مِنْ قِبَلِ أَوْلِيَاءِ أُمُورِهِمْ لِتَرُدَّهُمْ عَلَيْهِمْ- فَإِنَّهُمْ أَعْلَىٰ بِهِمْ عَيْنًا فَإِنَّهُمْ لَنْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكَ فَتَمْنَعُهُمْ لِذَلِكَ، فَغَضِبَ ثُمَّ قَالَ: «لَا لَعَمْرُ اللهِ لَا أَرُدُّهُمْ عَلَيْكُمْ حَتَّىٰ أَدْعُوهُمْ فَأُكَلِّمَهُمْ وَأَنْظُرَ مَا أَمْرُهُمْ».

كَمَا قَالَ النَّبِيُّ: «**مَلِكٌ عَادِلٌ لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ**» فَصَارَ حَكَمًا وَالْحَكَمُ لَا بُدَّ أَنْ يَسْمَعَ مِنَ الْخَصْمَيْنِ جَمِيعًا، أَمَّا مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ حَكَمًا كَمَا يَصْنَعُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لَا يَسْمَعُ إِلَّا حُجَّةَ خَصْمٍ وَاحِدٍ وَيَقْضِي بِذَلِكَ فَهَذَا ظَالِمٌ! لِأَنَّهُ صَارَ خَصْمًا يَعْنِي هُوَ جَالِسٌ عَلَىٰ مِنَصَّةِ قَضَاءٍ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ خَصْمَانِ، فَعَرَضَ خَصْمٌ مِنْهُمَا قَضِيَّتَهُ، وَلَمْ يَسْمَعْ هُوَ مِنَ الْخَصْمِ الْآخَرِ فَصَارَ مَعَ هذَا الْخَصْمِ صَارَ خَصْمًا لَا حَكَمًا، الْعَدْلُ يَقْتَضِي أَنْ يَسْمَعَ مِنَ الْخَصْمِ الْآخَرِ، وَأَنْ يُوازِنَ بَيْنَ الْحِجَجِ وَأَنْ يَسْتَدْعِيَ الشُّهُودَ، وَأَنْ يَنْظُرَ فِي الْأَدِلَّةِ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ وَإِلَّا كَانَ ظَالِمًا، كَانَ النَّجَاشِيُّ عَادِلًا كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

فَلَمَّا قَالُوا لَهُ: رُدَّهُمْ عَلَىٰ آبَائِهِمْ وَأَعْمَامِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ هُمْ أَعْلَىٰ بِهِمْ عَيْنًا وَهُمْ لَنْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكَ، لَمْ يَرُجْ عِنْدَهُ هَذَا الْكَلَامُ.

وَإِنَّمَا قَالَ غَاضِبًا، فَغَضِبَ ثُمَّ قَالَ: «لَا، لَعَمْرُ اللهِ، لَا أَرُدُّهُمْ عَلَيْكُمْ حَتَّىٰ أَدْعُوهُمْ فَأُكَلِّمَهُمْ وَأَنْظُرَ مَا أَمْرُهُمْ! قَوْمٌ لَجَؤُوا إِلَىٰ بِلَادِي وَاخْتَارُوا جِوَارِي عَلَىٰ جِوَارِ غَيْرِي فَإِنْ كَانُوا كَمَا يَقُولُونَ رَدَدْتُهُمْ عَلَيْهِمْ وَإِنْ كَانُوا عَلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مَنَعْتُهُمْ، وَلَمْ أَدْخُلْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ وَلَمْ أَنْعَمْ عَيْنًا».

ذَكَرَ مُوسَىٰ بْنُ عُقْبَةَ: أَنَّ أُمَرَاءَهُ أَشَارُوا عَلَيْهِ بِأَنْ يَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ -لَقَدْ أَخَذُوا الْهَدِيَّةَ- فَقَالَ: «لَا وَاللهِ، حَتَّىٰ أَسْمَعَ كَلَامَهُمْ وَأَعْلَمَ عَلَىٰ أَيِّ شَيْءٍ هُمْ عَلَيْهِ!».

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ سَلَّمُوا وَلَمْ يَسْجُدُوا لَهُ فَقَالَ: «أَيُّهَا الرَّهْطُ أَلَا تُحَدِّثُونِي مَا لَكُمْ لَا تُحَيُّونِي كَمَا يُحَيِّينِي مَنْ أَتَانَا مِنْ قَوْمِكُمْ؟! فَأَخْبِرُونِي مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَىٰ؟!

وَمَا دِينُكُمْ؟

أَنَصَارَىٰ أَنْتُمْ؟!».

قَالُوا: «لَا».

قَالَ: «أَفَيَهُودٌ أَنْتُمْ؟!».

قَالُوا: «لَا».

قَالَ: «فَعَلَىٰ دِينِ قَوْمِكُمْ؟!».

قَالُوا: «لَا».

قَالَ: «فَمَا دِينُكُمْ؟!».

قَالُوا: «الْإِسْلَامُ».

قَالَ: «وَمَا الْإِسْلَامُ؟!».

قَالُوا: «نَعْبُدُ اللهَ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا».

هَذَا كَانَ مُبَكِّرًا جِدًّا بَعْدَ هِجْرَةِ الْحَبَشَةِ الثَّانِيَةِ فِي أَثْنَائِهَا فِي مَطَالِعِهَا يَقُولُ ذَلِكَ جَعْفَرٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. انْظُرْ كَيْفَ فَهِمَ الدَّعْوَةَ! وَكَيْفَ كَانَ الْفَهْمُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ، فَهَذَا

يَدُلُّكَ عَلَىٰ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ بَيَّنَ حَقِيقَةَ الْإِسْلَامِ، وَهَذَا الْقَوْلُ بِعَيْنِهِ هُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ أَبُو سُفْيَانَ لِهِرَقْلَ إِلَىٰ مَا يَدْعُوكُمْ؟! يَدْعُونَا إِلَىٰ أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَنَخْلَعَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا!

الْيَوْمَ عِنْدَمَا تَسْأَلُ أَحَدًا حَتَّىٰ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُونَ فِي الدِّينِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ إِلَامَ تَدْعُو؟ يَقُولُ: إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، تَقُولُ لَهُ: مَا الْإِسْلَامُ؟ يَقُولُ: الرَّحْمَةُ، الْأَخْلَاقُ الْحَسَنَةُ.

قَالَ: مَا الْإِسْلَامُ؟!».

قَالُوا: «نَعْبُدُ اللهَ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا».

قَالَ: «مَنْ جَاءَكُمْ بِهَذَا؟!».

قَالُوا: «جَاءَنَا بِهِ رَجُلٌ مِنْ أَنْفُسِنَا قَدْ عَرَفْنَا وَجْهَهُ وَنَسَبَهُ، بَعَثَهُ اللهُ إِلَيْنَا كَمَا بَعَثَ الرُّسُلَ إِلَىٰ مَنْ قَبْلَنَا فَأَمَرَنَا بِالْبِرِّ وَالصَّدَقَةِ وَالْوَفَاءِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَنَهَانَا أَنْ نَعْبُدَ الْأَوْثَانَ وَأَمَرَنَا بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فَصَدَّقْنَاهُ وَعَرَفْنَا كَلَامَ اللهِ وَعَلِمْنَا أَنَّ الَّذِي جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَلَمَّا فَعَلْنَا ذَلِكَ عَادَانَا قَوْمُنَا وَعَادَوْا النَّبِيَّ الصَّادِقَ وكَذَّبُوهُ وَأَرَادُوا قَتْلَهُ وأَرَادُونَا عَلَىٰ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ فَفَرَرْنَا إِلَيْكَ بِدِينِنَا وَدِمَائِنَا مِنْ قَوْمِنَا!».

فَقَالَ: «وَاللهِ، إِنَّ هَذَا لَمِنَ الْمِشْكَاةِ الَّتِي خَرَجَ مِنْهَا أَمْرُ مُوسَىٰ!».

قَالَ جَعْفَرٌ: «وَأَمَّا التَّحِيَّةُ فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَخْبَرَنَا أَنَّ تَحِيَّةَ أَهْلِ الْجَنَّةِ السَّلَامُ، وَأَمَرَنَا بِذَلِكَ فَحَيَّيْنَاكَ بِالَّذِي يُحَيِّي بَعْضُنَا بَعْضًا السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ، وَأَمَّا عِيسَىٰ بْنُ مَرْيَمَ فَعَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَابْنُ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ».

فَأَخَذَ عُودًا وَقَالَ: «وَاللهِ، مَا زَادَ ابْنُ مَرْيَمَ عَلَىٰ هذَا وَزْنَ هَذَا الْعُودِ!».

فَقَالَ عُظَمَاءُ الْحَبَشَةِ: «وَاللهِ، لَئِنْ سَمِعَتِ الْحَبَشَةُ لَتَخْلَعَنَّكَ!».

فَقَالَ: «وَاللهِ لَا أَقُولُ فِي عِيسَىٰ غَيْرَ هَذا أَبَدًا! ومَا أَطَاعَ اللهُ النَّاسَ فِي حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِي فَأُطِيعَ النَّاسَ فِي دِينِ اللهِ؟! مَعَاذَ اللهِ مِنْ ذَلِكَ!».

قَالَ يُونُسُ عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ: فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ النَّجَاشِيُّ فَجَمَعَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضَ لِعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَعَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ مِنْ أَنْ يَسْمَعَ كَلَامَهُمْ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُ النَّجَاشِيِّ اجْتَمَعَ الْقَوْمُ فَقَالُوا: مَاذَا تَقُولُونَ؟!

فَقَالُوا: وَمَاذَا نَقُولُ؟!

نَقُولُ -وَاللهِ، مَا نَعْرِفُ وَمَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دِينِنَا وَمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا ﷺ كَائِنٌ فِي ذَلِكَ مَا كَانَ.

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ كَانَ الَّذِي يُكَلِّمُهُ مِنْهُمْ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه.

فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ؟ فَارَقْتُمْ دِينَ قَوْمِكُمْ وَلَمْ تَدْخُلُوا فِي يَهُودِيَّةٍ وَلَا نَصْرَانِيَّةٍ!

فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: أَيُّهَا الْمَلِكُ كُنَّا قَوْمًا عَلَىٰ الشِّرْكِ نَعْبُدُ الْأَوْثَانَ وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنُسِيءُ الْجِوَارَ يَسْتَحِلُّ الْمَحَارِمَ بَعْضُنَا مِنْ بَعْضٍ فِي سَفْكِ الدِّمَاءِ وَغَيْرِهَا لَا نُحَلِّلُ شَيْئًا وَلَا نُحَرِّمُهُ؛ فَبَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا نَبِيًّا مِنْ أَنْفُسِنَا نَعْرِفُ وَفَاءَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ فَدَعَانَا إِلَىٰ أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَنَصِلَ الْأَرْحَامَ وَنَحْمِيَ الْجِوَارَ وَنُصَلِّيَ للهِ ﷻ وَنَصُومَ لَهُ وَلَا نَعْبُدَ غَيْرَهُ.

وَقَالَ زِيَادٌ عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ: فَدَعَانَا إِلَىٰ اللهِ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ، قَالَ: فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ.

قَالَ: فَصَدَّقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَىٰ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَعَبَدْنَا اللهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا؛ فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا فَعَذَّبُونَا، لِيَفْتِنُونَا عَنْ دِينِنَا وَيَرُدُّونَا إِلَىٰ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللهِ وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الْخَبَائِثِ...

كَمَا مَرَّ هَذَا اللِّقَاءُ كَانَ مُبَكِّرًا جِدًّا فِي عُمُرِ الدَّعْوَةِ؛ لِأَنَّ هِجْرَةَ الْحَبَشَةِ الْأُولَىٰ كَانَتْ فِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ مِنَ الْبِعْثَةِ، وَفِي بِدَايَةِ الْهِجْرَةِ الثَّانِيَةِ وَقَعَ هَذَا اللِّقَاءُ بَيْنَ جَعْفَرٍ وَبَيْنَ النَّجَاشِيِّ.

انْظُرْ مَا تَكَلَّمَ بِهِ جَعْفَرٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِيَدُلَّكَ عَلَىٰ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ عِنْدَمَا كَانَ يَجْتَمِعُ بِهِمْ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ يَعْنِي لَمْ يَكُنْ مَشْغُولًا بِالْقَصْدِ الْأَوَّلِ بِمَاذَا نَصْنَعُ مَعَ أَبِي جَهْلٍ؟! وَكَيْفَ نُقَابِلُ أَبَا سُفْيَانَ؟! وَمَا الَّذِي نَرُدُّ بِهِ عَلَىٰ فُلَانٍ؟!

وَمَا الَّذِي نَفْعَلُهُ لِعِلَّانٍ؟!

وَمَا الَّذِي نَأْخُذُ بِهِ تِجَاهَ تِرْتَانَ؟!

كَانَ يُعَلِّمُهُمْ؛ فِي هَذِهِ الْفَتْرَةِ الْبَاكِرَةِ الْمُبَكِّرَةِ تَعَلَّمُوا هَذَا كُلَّهُ وَعَرَفُوهُ وَأَيْقَنُوا بِهِ، اعْتَقَدُوا، وَصَدَّقُوهُ وعَمِلُوا بِهِ وَنَفَّذُوهُ وَحَوَّلُوهُ إِلَىٰ وَاقِعٍ يَعِيشُونَهُ مُجْتَمَعٌ مُسْلِمٌ نَظِيفٌ شَرِيفٌ.

عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ الْمَوْصُوفِ، وَهُوَ يَقُولُ هَذَا كُلُّهُ لِلنَّجَاشِيِّ؛ فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ مَشْغُولًا بِالتَّعْلِيمِ وَبِالتَّرْبِيَةِ لَا بِـ«قَالَ فُلَانٌ، وَقَالَ عِلَّان» وَإِضَاعَةِ الْأَوْقَاتِ، وأَمْثَالِ هَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي يَأْتِي بِهَا طُلَّابُ الْعِلْمِ أُمُورٌ مُحْزِنَةٌ فِيهَا قَتْلٌ لِلْأَوْقَاتِ وَتَضْيِيعٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْأَعْمَارِ فِيمَا يَضُرُّ وَلَا يُفِيدُ، ثُمَّ فِيهَا تَغْيِيرٌ عَظِيمٌ لِلْقُلُوبِ وَتَعْكِيرٌ لِلسَّلَامِ النَّفْسِيِّ وَالْقَلْبِيِّ وَإِضَاعَةٌ لِلِاسْتِقْرَارِ الْإِيمَانِيِّ؛ لِأَنَّ مَا عِنْدَ اللهِ لَا يُنَالُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ، وَالْمَعَاصِي آثَارُهَا مُتَرَاكِمَةٌ؛ يَعْنِي إِذَا عَصَيْتَ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَلَمْ يُبَادِرْكَ بِالْعُقُوبَةِ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَسْتَدْرِجَ لَعَلَّهُ اسْتِدْرَاجٌ إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يُبَارِزُ اللهَ بِالْعَظَائِمِ وَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ مَعَ ذَلِكَ يَكْلَأُهُ وَيَحْمِيهِ وَيُعْطِيهِ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ اسْتِدْرَاجٌ، حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَهُ أَخَذَهُ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ!

فَالْإِنْسَانُ يَجِبُ أَنْ يَعْلَمَ -كَمَا قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي الدَّاءِ وَالدَّوَاءِ- إِنَّ الْمَعَاصِي آثَارُهَا مُتَرَاكِمَةٌ تَتَرَاكَمُ شَيْئًا فَشَيْئًا، فَلا تَحْسَبَنَّ أَنَّ الْمَعَاصِي تَفْتَرِقُ شَيْئًا عَنِ الْأَمْرَاضِ الْبَدَنِيَّةِ، فَالْمَرَضُ يُمْكِنُ أَنْ يَبْدَأَ طَفِيفًا ثُمَّ يَسْتَفْحِلُ حَتَّىٰ يَصِيرَ مُزْمِنًا، ثُمَّ يَصِيرُ عُضَالًا لَا دَوَاءَ لَهُ وَلَا عِلَاجَ مِنْهُ؛ فَكَذَلِكَ الْمَعَاصِي نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ! فَهَذَا يَدُلُّكَ عَلَىٰ أَنَّ نَبِيَّكَ ﷺ بَعَثَهُ اللهُ مُعَلِّمًا مُؤَدِّبًا وَمُرَبِّيًا.

فَتَأَمَّلْ فِي كَلَامِ جَعْفَرٍ وَكَيْفَ سَرَدَ هَذَا كُلَّهُ لِلنَّجَاشِيِّ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الْمُبَكِّرِ!

قَالَ: فَلَمَّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا وَضَيَّقُوا عَلَيْنَا وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا، خَرَجْنَا إِلَىٰ بِلَادِكَ وَاخْتَرْنَاكَ عَلَىٰ مَنْ سِوَاكَ وَرَغِبْنَا فِي جِوَارِكَ وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ!

قَالَتْ: فَقَالَ النَّجَاشِيُّ: هَلْ مَعَكَ شَيْءٌ مِمَّا جَاءَ بِهِ؟

فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم: ١]؛ فَبَكَىٰ وَاللهِ النَّجَاشِيُّ حَتَّىٰ اخْضَلَّتْ لِحْيَتُهُ، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّىٰ أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ -يَعْنِي أَوْرَاقَهُمْ- حِينَ سَمِعُوا مَا تَلَا عَلَيْهِمْ.

ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ لَيَخْرُجُ مِنَ الْمِشْكَاةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا مُوسَىٰ انْطَلِقُوا رَاشِدِينَ لَا وَاللهِ لَا أَرُدُّهُمْ عَلَيْكُمْ وَلَا أُنْعِمُكُمْ عَيْنًا!

فَخَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ وَكَانَ أَبْقَىٰ الرَّجُلَيْنِ فِينَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: وَاللهِ لَآتِينَّهُ غَدًا بِمَا أَسْتَأْصِلُ بِهِ خَضَرَاءَهُمْ وَلَأُخْبِرَنَّهُ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ إِلَهَهُ الَّذِي يُعْبَدُ عِيسَىٰ بْنُ مَرْيَمَ عَبْدٌ!

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ: لَا تَفْعَلْ فَإِنَّهُمْ وَإِنْ كَانُوا خَالَفُونَا فَإِنَّ لَهُمْ رَحِمًا وَلَهُمْ حَقًّا فَقَالَ: وَاللهِ لَأَفْعَلَنَّ!

فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ دَخَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ: أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي عِيسَىٰ قَوْلًا عَظِيمًا فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ فَسَلْهُمْ عَنْهُ

فَبَعَثَ وَاللهِ إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَنْزِلْ بِنَا مِثْلُهَا! تَقُولُ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: فَبَعَثَ وَاللهِ إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَنْزِلْ بِنَا مِثْلُهَا!

فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ: مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَىٰ إِنْ هُوَ سَأَلَكُمْ عَنْهُ؟ فَقَالُوا: نَقُولُ وَاللهِ، الَّذِي قَالَهُ اللهُ فِيهِ وَالَّذِي أَمَرَنَا نَبِيُّنَا أَنْ نَقُولَهُ فِيهِ!

فَدَخَلُوا عَلَيْهِ وَعِنْدَهُ بَطَارِقَتُهُ فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَىٰ بْنِ مَرْيَمَ؟!

فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: نَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ!

فَدَلَّىٰ النَّجَاشِيُّ يَدَهُ إِلَىٰ الْأَرْضِ فَأَخَذَ عُودًا بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ فَقَالَ: مَا عَدَا عِيسَىٰ بْنَ مَرْيَمَ مِمَّا قُلْتَ هَذَا الْعُوَيْدَ! تَصْغِيرُ عُودٍ.

فَتَنَاخَرَتْ بَطَارِقَتُهُ فَقَالَ: وَإِنْ تَنَاخَرْتُمْ وَاللهِ! اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ شُيُومٌ فِي الْأَرْضِ -الشُّيُومُ: الْآمِنُونَ فِي الْأَرْضِ بِلُغَةِ الْحَبَشَةِ- مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ، مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ، مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ، مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ -ثَلَاثًا- مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي دَبْرًا وَأَنِّي آذَيْتُ رَجُلًا مِنْكُمْ. -وَالدَّبْرُ بِلِسَانِهِمْ: الذَّهَبُ-.

قَالَ زِيَادٌ عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ: مَا أُحِبُّ لِي دَبْرًا مِنَ الذَّهَبِ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ زَبْرًا وَهُوَ الْجَبَلُ بِلُغَتِهِمْ. يَعْنِي وَلَوْ كَانَ لِي جَبَلًا مِنْ ذَهَبٍ وَأَنِّي آذَيْتُكُمْ أَوْ آذَيْتُ وَاحِدًا مِنْكُمْ.

ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: فَوَاللهِ مَا أَخَذَ اللهُ مِنِّي الرِّشْوَةَ حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِي وَلَا أَطَاعَ النَّاسَ فِيَّ فَأُطِيعَ النَّاسَ فِيهِ؟! رُدُّوا عَلَيْهِمَا هَدَايَاهُمْ فَلَا حَاجَةَ لِي بِهَا وَاخْرُجَا مِنْ بِلَادِي! فَطَرَدَهُمَا.

فَخَرَجَا مَقْبُوحَيْنِ مَرْدُودًا عَلَيْهِمَا مَا جَاءَا بِهِ.

قَالَتْ: فَأَقَمْنَا مَعَ خَيْرِ جَارٍ فِي خَيْرِ دَارٍ، فَلَمْ يَنْشَبْ أَنْ خَرَجَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْحَبَشَةِ يُنَازِعُهُ الْمُلْكَ، فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُنَا حَزِنَّا حُزْنًا قَطُّ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ فَرَقًا -أَيْ خَوْفًا- مِنْ أَنْ يَظْهَرَ ذَلِكَ الْمَلِكُ عَلَيْهِ فَيَأْتِي مَلِكٌ لَا يَعْرِفُ مَنْ حَقِّنَا مَا كَانَ يَعْرِفُهُ، فَجَعَلْنَا نَدْعُو اللهَ وَنَسْتَنْصِرُهُ لِلنَّجَاشِيِّ فَخَرَجَ إِلَيْهِ سَائِرًا -يَعْنِي خَرَجَ النَّجَاشِيُّ إِلَىٰ مُنَازَعَةٍ فِي الْمُلْكِ سَائِرًا-.

فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَنْ يَخْرُجْ فَيَحْضُرَ الْوَقْعَةَ حَتَّىٰ يَنْظُرَ عَلَىٰ مَنْ تَكُونُ، فَقَالَ الزُّبَيْرُ، وَكَانَ مِنْ أَحْدَثِنَا سِنًّا: أَنَا،

فَنَفَخُوا لَهُ قِرْبَةً فَجَعَلَهَا فِي صَدْرِهِ فَجَعَلَ يَسْبَحُ عَلَيْهَا فِي النِّيلِ حَتَّىٰ خَرَجَ مِنْ شِقِّهِ الْآخَرِ إِلَىٰ حَيْثُ الْتَقَىٰ النَّاسُ فَحَضَرَ الْوَقْعَةَ؛ فَهَزَمَ اللهُ ذَلِكَ الْمَلِكَ وَقَتَلَهُ وَظَهَرَ النَّجَاشِيُّ عَلَيْهِ.

فَجَاءَنَا الزُّبَيْرُ فَجَعَلَ يُلِيحُ لَنَا بِرِدَائِهِ وَيَقُولُ: أَلا فَأَبْشِرُوا فَقَدْ أَظْهَرَ اللهُ النَّجَاشِيَّ!

قَالَتْ: فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُنَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ قَطُّ فَرَحَنَا بِظُهُورِ النَّجَاشِيِّ ثُمَّ أَقَمْنَا عِنْدَهُ حَتَّىٰ خَرَجَ مَنْ خَرَجَ مِنَّا إِلَىٰ مَكَّةَ وَأَقَامَ مَنْ أَقَامَ!

إِلَىٰ هُنَا أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ أَيْضًا -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-.

قَالَ الزُّهْرِيُّ: فَحَدَّثَتْ هَذَا الْحَدِيثَ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ فَقَالَ عُرْوَةُ: أَتَدْرِي مَا قَوْلُهُ: مَا أَخَذَ اللهُ مِنِّي الرِّشْوَةَ حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِي فَآخُذُ الرِّشْوَةَ فِيهِ، وَلَا أَطَاعَ النَّاسَ فِيَّ فَأُطِيعُ النَّاسَ فِيهِ؟

فَقُلْتُ: لَا مَا حَدَّثَنِي ذَلِكَ أَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ. فَقَالَ عُرْوَةُ: فَإِنَّ عَائِشَةَ حَدَّثَتْنِي: أَنَّ أَبَاهُ -أَبَا النَّجَاشِيِّ- كَانَ مَلِكَ قَوْمِهِ وَكَانَ لَهُ أَخٌ مِنْ صُلْبِهِ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا، وَلَمْ يَكُنْ لِأَبِي النَّجَاشِيِّ وَلَدٌ غَيْرُ النَّجَاشِيِّ فَأَدَارَتْ الْحَبَشَةُ رَأْيَهَا بَيْنَهَا فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا قَتَلْنَا أَبَا النَّجَاشِيِّ ومَلَّكْنَا أَخَاهُ فَإِنَّ لَهُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ صُلْبِهِ فَتَوَارَثُوا الْمُلْكَ لَبَقِيَتِ الْحَبَشَةُ عَلَيْهِمْ دَهْرًا طَوِيلًا لَا يَكُونُ بَيْنَهُمْ اخْتِلَافٌ -وَأَمَّا أَبُو النَّجَاشِيِّ فَلَيْسَ لَهُ وَلَدٌ سِوَىٰ النَّجَاشِيِّ فَإِذَا مَاتَ وَقَعَ النِّزَاعُ.

فَقَالُوا: نَقْتُلُ أَبَا النَّجَاشِيِّ وَنُمَلِّكُ أَخَاهُ وَلَهُ اثْنَا عَشَرَ وَلَدًا يتَوَارَثُونَ الْمُلْكَ دَهْرًا طَوِيلًا بِلَا اخْتِلَافٍ- فَعَدَوْا عَلَيْهِ فقَتَلُوهُ ومَلَّكُوا أَخَاهُ -وَهُوَ عَمُّ النَّجَاشِيِّ-.

فَدَخَلَ النَّجَاشِيُّ بِعَمِّهِ حَتَّىٰ غَلَبَ عَلَيْهِ فَلَا يُدِيرُ أَمْرَهُ غَيْرُهُ، وَكَانَ لَبِيبًا حَازِمًا مِنَ الرِّجَالِ، فَلَمَّا رَأَتِ الْحَبَشَةُ مَكَانَ النَّجَاشِيِّ مِنْ عَمِّهِ قَالُوا: قَدْ غَلَبَ هَذَا الْغُلَامُ عَلَىٰ أَمْرِ عَمِّهِ فَمَا نَأْمَنُ أَنْ يُمَلِّكَهُ عَلَيْنَا -فَلَا نَكُونُ قَدْ صَنَعْنَا شَيْئًا بِقَتْلِ أَبِيهِ- وَقَدْ عَرَفَ أَنَّا قَتَلْنَا أَبَاهُ، فَلَئِنْ فَعَلَ وَصَارَ مَلِكًا لَمْ يَدَعْ مِنَّا شَرِيفًا إِلَّا قَتَلَهُ فَكَلَّمُوهُ فِيهِ فَلْيَقْتُلْهُ أَوْ لِيُخْرِجْهُ مِنْ بِلَادِنَا!

فَمَشَوْا إِلَىٰ عَمِّهِ فَقَالُوا: قَدْ رَأَيْنَا مَكَانَ هَذَا الْفَتَىٰ مِنْكَ، وَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّا قَتَلْنَا أَبَاهُ وَجَعَلْنَاكَ مَكَانَهُ وَإِنَّا لَا نَأْمَنُ أَنْ يَمْلِكَ عَلَيْنَا فَيَقْتُلَنَا فَإِمَّا أَنْ تَقْتُلَهُ وَإِمَّا أَنْ تُخْرِجَهُ مِنْ بِلَادِنَا

قَالَ: وَيْحَكُمْ قَتَلْتُمْ أَبَاهُ بِالْأَمْسِ وَأَقْتُلُهُ الْيَوْمَ؟! بَلْ أُخْرِجُهُ مِنْ بِلَادِكُمْ!

فَخَرَجُوا بِهِ فَوَقَفُوهُ فِي السُّوقِ وَبَاعُوهُ مِنْ تَاجِرٍ مِنَ التجَّارِ قَذَفَهُ فِي سَفِينَةٍ بِسِتِّمِائَةِ دِرْهَمٍ أَوْ بِسَبْعِمِائَةِ دِرْهَمٍ، فَانْطَلَقَ بِهِ -قَذَفَهُ فِي السَّفِينَةِ وَانْطَلَقَ بِهِ- فَلَمَّا كَانَ الْعَشِيُّ هَاجَتْ سَحَابَةٌ مِنْ سَحَائِبِ الْخَرِيفِ فَخَرَجَ عَمُّهُ يَتَمَطَّرُ تَحْتَهَا -يَتَعَرَّضُ لِلْمَطَرِ- فَأَصَابَتْهُ صَاعِقَةٌ فَقَتَلَتْهُ!

فَفَزِعُوا إِلَىٰ وَلَدِهِ فَإِذَا هُمْ مُحَمَّقُونَ لَيْسَ فِي أَحَدٍ مِنْهُمْ خَيْرٌ فَمَرَجَ عَلَىٰ الْحَبَشَةِ أَمْرُهُمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: تَعْلَمُونَ وَاللهِ أَنَّ مَلِكَكُمْ الَّذِي لَا يُصْلِحُ

أَمْرَكُمْ غَيْرُهُ لَلَّذِي بِعْتُمُ الْغَدَاةَ -يُرِيدُونَ النَّجَاشِيَّ- فَإِنْ كَانَ لَكُمْ بِأَمْرِ الْحَبَشَةِ حَاجَةٌ فَأَدْرِكُوهُ قَبْلَ أَنْ يَذْهَبَ!

فَخَرَجُوا فِي طَلَبِهِ فَأَدْرَكُوهُ فَرَدُّوهُ، فَعَقَدُوا عَلَيْهِ تَاجَهُ وَأَجْلَسُوهُ عَلَىٰ سَرِيرِهِ وَمَلَّكُوهُ!

فَقَالَ التَّاجِرُ: رُدُّوا عَلَيَّ مَالِي كَمَا أَخَذْتُمْ مِنِّي غُلَامِي -وَغُلَامُهُ هُوَ الْمَلِكُ، يَقُولُ: رُدُّوا عَلَيَّ مَالِي كَمَا أَخَذْتُمْ مِنِّي غُلَامًا- فَقَالُوا: لَا نُعْطِيكَ. فَقَالَ: إِذَنْ وَاللهِ لَأُكَلِّمَنَّهُ!

فَمَشَىٰ إِلَيْهِ فَكَلَّمَهُ فَقَالَ: أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنِّي ابْتَعْتُ غُلَامًا فَقَبَضَ مِنِّي الَّذِينَ بَاعُوهُ ثَمَنَهُ، ثُمَّ عَدَوْا عَلَىٰ غُلَامِي فَنَزَعُوهُ مِنْ يَدِي وَلَمْ يَرُدُّوا عَلَيَّ مَالِي!

فَكَانَ أَوَّلَ مَا خَبَرَ وخُبِرَ مِنْ صَلَابَةِ حُكْمِهِ وَعَدْلِهِ أَنْ قَالَ: لَتُرَدُنَّ عَلَيْهِ مَالَهُ أَوْ لَتَجْعَلُنَّ يَدَ غُلَامِهِ فِي يَدِهِ فَلْيَذْهَبَنَّ بِهِ حَيْثُ شَاءَ!

فَقَالُوا: بَلْ نُعْطِيهِ مَالَهُ! فَأَعْطَوْه إِيَّاهُ.

فَلِذَلِكَ يَقُولُ: مَا أَخَذَ اللهُ مِنِّي الرِّشْوَةَ فَآخُذُ الرِّشْوَةَ حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِي؟ وَمَا أَطَاعَ النَّاسَ فِيَّ فَأُطِيعُ النَّاسَ فِيهِ؟

وَالَّذِي وَقَعَ فِي سِيَاقِ ابْنِ إِسْحَاقَ إِنَّمَا هُوَ ذِكْرُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَعَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ، وَالَّذِي ذَكَرَهُ مُوسَىٰ بْنُ عُقْبَةَ وَالْأُمَوِيُّ وَغَيْرُهُمَا أَنَّهُمَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَعِمَارَةُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، وَهُوَ أَحَدُ السَّبْعَةِ الَّذِينَ دَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ

تَضَاحَكُوا يَوْمَ وَضْعِ سَلَا الْجَزُورِ عَلَىٰ ظَهْرِهِ ﷺ وَهُوَ سَاجِدٌ عِنْدَ الْكَعْبَةِ -أَشْقَاهَا- وَهَكَذَا تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَأَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ.

الْمَقْصُودُ أَنَّهُمَا حِينَ خَرَجَا مِنْ مَكَّةَ كَانَتْ زَوْجَةُ عَمْرٍو مَعَهُ وَعُمَارَةُ كَانَ شَابًّا حَسَنًا فَاصْطَحَبَا فِي السَّفِينَةِ وكَأَنَّ عُمَارَةَ طَمِعَ فِي امْرَأَةِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، فَأَلْقَىٰ عَمْرًا فِي الْبَحْرِ؛ لِيُهْلِكَهُ فَسَبَحَ حَتَّىٰ رَجَعَ إِلَيْهَا -أَيْ إِلَىٰ السَّفِينَةِ- فَقَالَ لَهُ عُمَارَةُ: لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تُحْسِنُ السِّبَاحَةَ لَمَا أَلْقَيْتُكَ -يَعْنِي إِنَّمَا كُنْتُ أَعْتَقِدُ أَنَّكَ لَا تُحْسِنُ السِّبَاحَةَ فَأَرَدْتُ إِهْلَاكَكَ، أَمَّا أَنْ تَعُودَ إِلَيَّ فَمَا إِلَىٰ هَذَا أَرَدْتُ!- فَحَقَدَ عَمْرٌو عَلَيْهِ، فَلَمَّا لَمْ يُقْضَ لَهُمَا حَاجَةٌ فِي الْمُهَاجِرِينَ مِنَ النَّجَاشِيِّ، وَكَانَ عُمَارَةُ قَدْ تَوَصَّلَ إِلَىٰ بَعْضِ أَهْلِ النَّجَاشِيِّ، فَوَشَىٰ بِهِ عَمْرٌو فَأَمَرَ بِهِ النَّجَاشِيُّ فَسُحِرَ حَتَّىٰ ذَهَبَ عَقْلُهُ، وَسَاحَ فِي الْبَرِّيَّةِ مَعَ الْوُحُوشِ.

وَقَدْ ذَكَرَ الْأُمَوِيُّ قِصَّتَهُ مُطَوَّلَةً جِدًّا وَأَنَّهُ عَاشَ إِلَىٰ زَمَنِ إِمَارَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَأَنَّهُ تَقَصَّدَهُ بَعْضُ الصَّحَابَةِ ومَسَكَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ: أَرْسِلْنِي أَرْسِلْنِي وَإِلَّا مِتُّ. فَلَمَّا لَمْ يُرْسِلْهُ مَاتَ مِنْ سَاعَتِهِ.

وَرَوَىٰ ابْنُ إِسْحَاقَ بِسَنَدِهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «لَمَّا مَاتَ النَّجَاشِيُّ كَانَ يُتَحَدَّثُ أَنَّهُ لَا يَزَالُ يُرَىٰ عَلَىٰ قَبْرِهِ نُورٌ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَعَىٰ النَّجَاشِيَّ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، وَخَرَجَ بِهِمْ إِلَىٰ الْمُصَلَّىٰ فَصَفَّ بِهِمْ وَكَبَّرَ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ**».

وَرَوَىٰ الْبَخُارِيُّ فِي مَوْتِ النَّجَاشِيِّ بِسَنَدِهِ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ مَاتَ النَّجَاشِيُّ: «**مَاتَ الْيَوْمَ رَجُلٌ صَالِحٌ فَقُومُوا فَصَلُّوا عَلَىٰ أَخِيكُمْ أَصْحَمَةَ**».

وَرُوِيَ ذَلِكَ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَغَيْرِ وَاحِدٍ.

وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ تَسْمِيَتُهُ أَصْحَمَةَ وَفِي رِوَايَةٍ مَصْحَمَةَ وَهُوَ أَصْحَمَةُ بْنُ بَحْرٍ، وَكَانَ عَبْدًا صَالِحًا لَبِيبًا ذَكِيًّا وَكَانَ عَادِلًا عَالِمًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ!

وَقَالَ يُونُسُ عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ: اسْمُ النَّجَاشِيِّ مَصْحَمَةُ، وَفِي نُسْخَةٍ صَحَّحَهَا الْبَيْهَقِيُّ: أَصْحَمُ، وَهِيَ بِالْعَرَبِيَّةِ: عَطِيَّةٌ -أَيْ مَعْنَاهَا فِي الْعَرَبِيَّةِ عَطِيَّةٌ-.

قَالَ: وَإِنَّمَا النَّجَاشِيُّ اسْمُ الْمَلِكِ كَقَوْلِكَ: كِسْرَىٰ وَهِرَقْلُ.

كَذَا وَلَعَلَّهُ يُرِيدُ بِهِ قَيْصَرُ؛ فَإِنَّهُ عَلَمٌ لِكُلِّ مَنْ مَلَكَ الشَّامَ مَعَ الْجَزِيرَةِ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ -فَيَكُونُ اللَّقَبُ قَيْصَرَ لَا هِرَقْلَ، هِرَقْلُ مِنَ الْقَيَاصِرَةِ وَأَمَّا قَيْصَرُ بِإِطْلَاقٍ فَهُوَ لِكُلِّ مَنْ مَلَكَ الرُّومَ- وَكِسْرَىٰ عَلَمٌ عَلَىٰ مَنْ مَلَكَ الْفُرْسَ.

وَفِرْعَوْنُ عَلَمٌ لِمَنْ مَلَكَ مِصْرَ كَافَّةً.

الْمُقَوْقِسُ لِمَنْ مَلَكَ الْإِسْكَنْدَرِيَّةَ.

وَتُبَّعٌ لِمَنْ مَلَكَ الْيَمَنَ وَالشَّحْرَ.

النَّجَاشِيُّ لِمَنْ مَلَكَ الْحَبَشَةَ.

بَطْلَيْمُوسُ لِمَنْ ملَكَ الْيُونَانَ، وَقِيلَ: الْهِنْدَ.

خَاقَانُ لِمَنْ مَلَكَ التُّرْكَ.

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: إِنَّمَا صَلَّىٰ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ مِنْ قَوْمِهِ فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ يَوْمَ مَاتَ مَنْ يُصَلِّي عَلَيْهِ؛ فَلِهَذَا صَلَّىٰ عَلَيْهِ.

قَالُوا: فَالْغَائِبُ إِنْ كَانَ قَدْ صُلِّيَ عَلَيْهِ بِبَلَدِهِ فَلَا تُشْرَعُ الصَّلَاةُ عَلَيْهِ بِبَلَدٍ أُخْرَىٰ؛ لِهَذَا لَمْ يُصَلَّ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَيْرِ الْمَدِينَةِ لَا أَهْلُ مَكَّةَ وَلَا غَيْرُهُمْ. وَهَكَذَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الصَّحَابَةِ لَمْ يُنْقَلْ أَنَّهُ صُلِّيَ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ فِي غَيْرِ الْبَلْدَةِ الَّتِي صُلِّيَ عَلَيْهِ فِيهَا.

عَنْ عُمَيْرِ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ: قَالَ جَعْفَرٌ: «يَا رَسُولَ اللهِ ائْذَنْ لِي أَنْ آتِيَ أَرْضًا أَعْبُدُ اللهَ فِيهَا لَا أَخَافُ أَحَدًا». قَالَ: قَالَ: «فَأَذِنَ لَهُ فِيهَا فَأَتَىٰ النَّجَاشِيَّ».

قَالَ عُمَيْرُ: حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ قَالَ: «لَمَّا رَأَيْتُ جَعْفَرًا وَأَصْحَابَهُ آمِنِينَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ حَسَدْتُهُ لَأَسْتَقْبِلَنَّ لِهَذَا وَأَصْحَابِهِ، فَأَتَيْتُ النَّجَاشِيَّ فَقُلْتُ: ائْذَنْ لِعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ. فَأَذِنَ لِي فَدَخَلْتُ فَقُلْتُ: إِنَّ بِأَرْضِنَا ابْنَ عَمٍّ لِهَذَا يَزْعُمُ أَنَّهُ لَيْسَ لِلنَّاسِ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ، وَإِنَّا وَاللهِ إِنْ لَمْ تُرِحْنَا مِنْهُ وَأَصْحَابِهِ لَا قَطَعْتُ إِلَيْكَ هَذِهِ النُّطْفَةُ -يُرِيدُ مَاءَ الْبَحْرِ- وَلَا أَحَدَ مِنْ أَصْحَابِي أَبَدًا! -يُهَدِّدُهُ بِأَنَّهُ سَيُقَاطِعُهُ وَلَنْ يَرْحَلَ إِلَيْهِ وَلَنْ يُرِيَهُ وَجْهَهُ.

فَيَقُولُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -كَانَ مَا زَالَ مُشْرِكًا، عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، يَقُولُ: وَإِنَّا وَاللهِ إِنْ لَمْ تُرِحْنَا مِنْهُ وَأَصْحَابِهِ لَا قَطَعْتُ إِلَيْكَ هَذِهِ النُّطْفَةَ -يُرِيدُ مَاءَ الْبَحْرِ، وَهُوَ الْبَحْرُ الْأَحْمَرُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْحَبَشَةِ، فَالْحَبَشَةُ فِي إِفْرِيقِيَّةَ وَهُمْ آسيا فَبَيْنَهُمَا الْبَحْرُ الْأَحْمَرُ- فَقَالَ: لَا قَطَعْتُ إِلَيْكَ هِذِه النُّطْفَةَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِي أَبَدًا!

فَقَالَ: وَأَيْنَ هُوَ؟

قُلْتُ: إِنَّهُ يَجِيءُ مَعَ رَسُولِكَ إِنَّهُ لَا يَجِيءُ مَعِي.

فَأَرْسَلَ مَعِي رَسُولًا فَوَجَدْنَاهُ قَاعِدًا بَيْنَ أَصْحَابِهِ فَدَعَاهُ فَجَاءَ، فَلَمَّا أَتَيْتُ الْبَابَ نَادَيْتُ: ائْذَنْ لِعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ. وَنَادَىٰ خَلْفِي: ائْذَنْ لِحِزْبِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. فَسَمِعَ النَّجَاشِيُّ صَوْتَ جَعْفَرٍ فَأَذِنَ لَهُ قَبْلِي، فَدَخَلَ وَدَخَلْتُ، فَإِذَا النَّجَاشِيُّ عَلَىٰ السَّرِيرِ قَالَ: فَذَهَبْتُ حَتَّىٰ قَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَجَعَلْتُهُ خَلْفِي وَجَعَلْتُ بَيْنَ كُلِّ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِهِ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِي، قَالَ: فَسَكَتَ وَسَكَتْنَا، وَسَكَتُّ وَسَكَتْنَا حَتَّىٰ قُلْتُ فِي نَفْسِي: أَلْعَنُ هَذَا الْعَبْدَ الْحَبَشِيَّ أَلَا يَتَكَلَّمُ؟ ثُمَّ تَكَلَّمَ فَقَالَ النَّجَاشِيُّ: نَجِرُوا قَالَ عَمْرٌو: يَعْنِي: تَكَلَّمُوا.

قُلْتُ: إِنَّ بِأَرْضِكَ رَجُلًا ابْنُ عَمِّهِ بِأَرْضِنَا وَيَزْعُمُ أَنَّهُ لَيْسَ لِلنَّاسِ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ. وَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَقْطَعْهُ وَأَصْحَابُهُ لَا أَقْطَعُ إِلَيْكَ هَذِهِ النُّطْفَةَ أَنَا وَلَا أَحَدَ مِنْ أَصْحَابِي أَبَدًا!

قَالَ: يَا حِزْبَ اللهِ -لِجَعْفَرٍ لِأَنَّهُ لَمَّا اسْتَأْذَنَ قَالَ: ائْذَنْ لِحِزْبِ اللهِ- فَقَالَ: يَا حِزْبَ اللهِ نَجِرْ -يَعْنِي تَكَلَّمْ-.

قَالَ جَعْفَرٌ: صَدَقَ ابْنُ عَمِّي وَأَنَا عَلَىٰ دِينِهِ -أَيْ عَلَىٰ دِينِ ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي يَتَكَلَّمُ عَنْهُ عَمْرٌو وَهُوَ ابْنُ عَمِّي، صَدَقَ ابْنُ عَمِّي وَأَنا عَلَىٰ دِينِهِ-.

قَالَ: فَصَاحَ صِيَاحًا وَقَالَ: أَوَّهْ. حَتَّىٰ قُلْتُ -يَقُولُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ-: مَا لِابْنِ الْحَبَشِيَّةِ لَا يَتَكَلَّمُ؟! وَقَالَ: أَنَامُوسٌ كَنَامُوسِ مُوسَىٰ؟! قَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَىٰ بْنِ مَرْيَمَ؟! قَالَ: أَقُولُ: هُوَ رُوحُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ

قَالَ: فَتَنَاوَلَ شَيْئًا مِنَ الْأَرْضِ فَقَالَ: مَا أَخْطَأَ فِي أَمْرِهِ مِثْلُ هَذَا! فَوَاللهِ لَوْلَا مُلْكِي لَاتَّبَعْتُكُمْ! وَقَالَ لِي: مَا كُنْتُ أُبَالِي أَلَّا تَأْتِيَنِي أَنْتَ -يَقُولُ لِعَمْرٍو-: مَا كُنْتُ أُبَالِي أَلَّا تَأْتِيَنِّي أَنْتَ، وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِكَ أَبَدًا، أَنْتَ -لِجَعْفَرٍ- آمِنٌ بِأَرْضِي مَنْ ضَرَبَكَ قَتَلْتُهُ، وَمَنْ سَبَّكَ غَرَّمْتُهُ!

وَقَالَ لِآذِنِه -أَيْ لِحَاجِبِهِ- وَقَالَ لِآذِنِهِ: مَتَىٰ اسْتَأْذَنَكَ هَذَا فَائْذَنْ لَهُ إِلَّا أَنْ أَكُونَ عِنْدَ أَهْلِي، فَإِنْ أَبَىٰ فَأْذَنْ لَهُ -يَعْنِي إِذَا جَاءَ فَاسْتَأْذَنَ فَقُلْتَ لَهُ إِنَّهُ عِنْدَ أَهْلِهِ عِنْدَ حَرِيمِهِ بَيْنَ أَهْلِهِ فَقَالَ: بَلْ يَنْبَغِي أَنْ تَأْذَنَ لِي عَلَيْهِ، يَعْنِي فَإِنْ أَبَىٰ فَائْذَنْ لَهُ-.

قَالَ: فَتَفَرَّقْنَا وَلَم يَكُنْ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَلْقَاهُ مِنْ جَعْفَرٍ!

قَالَ: فَاسْتَقْبَلَنِي مِنْ طَرِيقٍ مَرَّةٍ فَنَظَرْتُ خَلْفَهُ فَلَمْ أَرَ أَحَدًا فَنَظَرْتُ خَلْفِي فَلَمْ أَرَ أَحَدًا فَدَنَوْتُ مِنْهُ وَقُلْتُ: أَتَعْلَمُ أَنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؟

قَالَ: فَقَدْ هَدَاكَ اللهُ فَاثْبُتْ. فَتَرَكَنِي وَذَهَبَ

www.menhag-un.com

فَأَتَيْتُ أَصْحَابِي فَكَأَنَّمَا شَهِدُوهُ مَعِي فَأَخَذُوا قَطِيفَةً أَوْ ثَوْبًا فَجَعَلُوهُ عَلَيَّ حَتَّىٰ غَمَّوْنِي بِهَا. -يَعْنِي حَتَّىٰ كَادَ نَفْسِي أَنْ يَنْقَطِعَ-.

قَالَ: وَجَعَلْتُ أُخْرِجُ رَأْسِي مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ مَرَّةً وَمِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ مَرَّةً حَتَّىٰ أَفْلَتُّ وَمَا عَلَيَّ قِشْرَةٌ -أَيْ ثَوْبٌ-، وَلَمْ يَدَعُوا لِي شَيْئًا إِلَّا ذَهَبُوا بِهِ -كَأَنَّمَا خَرَجَ عَارِيًا مِنْ هَذِهِ الْمَلْحَمَةِ-.

قَالَ: فَمَرَرْتُ عَلَىٰ حَبَشِيَّةٍ فَأَخَذَتْ قِنَاعَهَا فَجَعَلَتْهُ عَلَىٰ عَوْرَتِي رضي الله عنه.

فَأَتَيْتُ جَعْفَرًا فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: مَا لَكَ؟ فَقُلْتُ: أُخِذَ كُلَّ شَيْءٍ لِي مَا تَرَكَ عَلَيَّ قِشْرَةٌ - أَيْ ثَوْبٌ- فَأَتَيْتُ حَبَشِيَّةً فَأَخَذْتُ قِنَاعَهَا فَجَعَلْتُهُ عَلَىٰ عَوْرَتِي.

قَالَ: فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقْتُ مَعَهُ حَتَّىٰ أَتَىٰ إِلَىٰ بَابِ الْمَلِكِ فَقَالَ جَعْفَرٌ لِآذِنِهِ: اسْتَأْذِنْ لِي. قَالَ: إِنَّهُ عِنْدَ أَهْلِهِ. فَقَالَ: اسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ. فَاسْتَأْذَنَ لَهُ، فَأَذِنَ لَهُ فَقَالَ: إِنَّ عَمْرًا تَابَعَنِي عَلَىٰ دِينِي. قَالَ: كَلَّا. قَالَ: بَلَىٰ.

فَقَالَ لِإِنْسَانٍ: اذْهَبْ مَعَهُ فَإِنْ فَعَلَ فَلا يَقُلْ شَيْئًا إِلَّا كَتَبْتَهُ. قَالَ: فَجَاءَ فَقَالَ: نَعَمْ. فَجَعَلْتُ أَقُولُ وَجَعَلَ يَكْتُبُ حَتَّىٰ كَتَبَ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّىٰ الْقَدَحَ -يَعْنِي يُرِيدُ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِ مَا اسْتُلِبَ مِنْهُ، فَأَخَذَ يَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّىٰ الْقَدَحَ مِمَّا سَلَبَهُ أَصْحَابُهُ مِنْهُ لِيُعَادَ إِلَيْهِ-.

قَالَ: وَلَوْ شِئْتَ آخُذُ شَيْئًا مِنْ أَمْوَالِهِمْ إِلَىٰ مَالِي فَعَلْتُ -يَعْنِي لَوْ أَمْلَيْتَ الْكَاتِبَ كُلَّ مَا عِنْدَهُمْ فَكَتَبَهُ لَأَخَذْتُهُ مِنْهُمْ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ-.

قَالَ: ثُمَّ كُنْتُ بَعْدُ مِنَ الَّذِينَ أَقْبَلُوا فِي السُّفُنِ مُسْلِمِينَ» رَوَاهُ الطَّبَرانِيُّ وَالْبَزَّارُ، وَصَدَرَ الْحَدِيثُ فِي أَوَّلِهِ وَالزِّيَادَةُ فِي آخرِهِ لَهُ.

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ قَالَ: «كُنْتُ جَالِسًا مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ حَاطِبٍ فَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَرْضًا ذَاتَ نَخْلٍ فَاخْرُجُوا**»، فَخَرَجَ حَاطِبٌ وَجَعْفَرٌ فِي الْبَحْرِ قِبَلَ النَّجَاشِيِّ.

قَالَ: «فَوُلِدْتُ أَنَا فِي تِلْكَ السَّفِينَةِ». رَوَاهُ أَحْمَدُ، قَالَ الْأَلْبَانِيُّ: وَسَنَدُهُ صَحِيحٌ.

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ -أَيْ لِأَحْمَدَ- مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَىٰ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَاطِبٍ عَنْ أُمِّهِ قَالَتْ: «أَقْبَلْتُ بِكَ مِنْ أَرْضِ الْحَبَشَةِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَىٰ لَيْلَةٍ أَوْ لَيْلَتَيْنِ طَبَخْتُ لَكَ طَبِيخًا فَفَنِيَ الْحَطَبُ فَخَرَجْتُ أَطْلُبُهُ فَتَنَاوَلْتُ الْقَدَرَ فَانْكَفَأْتُ عَلَىٰ ذِرَاعِكَ فَأَتَيْتُ بِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ حَاطِبٍ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ سُمِّيَ بِكَ. فَتَفَلَ فِي فِيكَ -تَقُولُ لِابْنِهَا- فَتَفَلَ فِي فِيكَ، وَمَسَحَ عَلَىٰ رَأْسِكَ وَدَعا لَكَ وَجَعَلَ يَتْفُلُ عَلَىٰ يَدِكَ وَيَقُولُ: «**أَذْهِبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا**».

فَقَالَتْ: فَمَا قُمْتُ بِكَ مِنْ عِنْدِهِ حَتَّىٰ بَرِأَتْ يَدُكَ. ﷺ.

هَذَا مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ مُهَاجِرِي الْحَبَشَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

وَأَمَّا فَضْلُهُمْ، فَعَنْ أَبِي مُوسَىٰ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «بَلَغَنا مَخْرَجَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ بِالْيَمَنِ، فَخَرَجْنَا مُهَاجِرِينَ إِلَيْهِ أَنَا وَأَخَوَانِ لِي، أَنَا أَصْغَرُهُمْ أَحَدُهُمَا أَبُو بُرْدَةَ وَالْآخَرُ أَبُو رُهْمٍ، إِمَّا قَالَ: بِضْعٌ وَإِمَّا قَالَ: فِي ثَلَاثَةٍ وَخَمْسِينَ أَوِ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِي.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

◉◉◉

www.menhag-un.com

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة الْحَادِيَة عَشْرَة)

مِنْ مَادَّةِ

سِيرَة النَّبِيِّ ﷺ

[الْعَهْدُ الْمَكِّيُّ - ج٢]

www.menhag-un.com

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مِنَ النُّصُوصِ فِي فَضْلِ مُهَاجِرِي الْحَبَشَةِ

فَقَدْ مَرَّ مَعَنا بِفَضْلِ اللهِ وَقُوَّتِهِ وحَوْلِهِ وَطَوْلِهِ وَمِنَّتِهِ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِجْرَةِ الْمُسْلِمِينَ الْأَوَائِلِ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ مَرَّةً وَمَرَّةً.

وَقَدْ وَرَدَ فِي فَضْلِ مُهَاجِرِي الْحَبَشَةِ نُصُوصٌ:

عَنْ أَبِي مُوسَىٰ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «بَلَغَنَا مَخْرَجُ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ بِالْيَمَنِ فَخَرَجْنَا مُهَاجِرِينَ إِلَيْهِ أَنَا وَأَخَوَانِ لِي أَنَا أَصْغَرُهُمْ أَحَدُهُمَا أَبُو بُرْدَةَ وَالْآخَرُ أَبُو رُهْمٍ، إِمَّا قَالَ: بِضْعٌ، وَإِمَّا قَالَ: فِي ثَلَاثَةٍ وَخَمْسِينَ أَوْ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِي، فَرَكِبْنَا سَفِينَةً فَأَلْقَتْنَا سَفِينَتُنَا إِلَىٰ النَّجَاشِيِّ بِالْحَبَشَةِ، فَوَافَقْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَأَقَمْنَا مَعَهُ حَتَّىٰ قَدِمْنَا جَمِيعًا فَوَافَقْنَا النَّبِيَّ ﷺ حِينَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ، وَكَانَ أُنَاسٌ مِنْ النَّاسِ يَقُولُونَ لَنَا يَعْنِي لِأَهْلِ السَّفِينَةِ: سَبَقْنَاكُمْ بِالْهِجْرَةِ، وَدَخَلَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ، وَهِيَ مِمَّنْ قَدِمَ مَعَنَا عَلَىٰ حَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ زَائِرَةً، وَقَدْ كَانَتْ هَاجَرَتْ إِلَىٰ النَّجَاشِيِّ فِيمَنْ هَاجَرَ.

فَدَخَلَ عُمَرُ عَلَىٰ حَفْصَةَ وَأَسْمَاءُ عِنْدَهَا، فَقَالَ عُمَرُ حِينَ رَأَىٰ أَسْمَاءَ مَنْ هَذِهِ؟

قَالَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ: قَالَ عُمَرُ: الْحَبَشِيَّةُ هَذِهِ؟ الْبَحْرِيَّةُ هَذِهِ؟

www.menhag-un.com

قَالَتْ أَسْمَاءُ: نَعَمْ.

قَالَ: سَبَقْنَاكُمْ بِالْهِجْرَةِ فَنَحْنُ أَحَقُّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْكُمْ.

فَغَضِبَتْ وَقَالَتْ: كَلَّا وَاللهِ كُنْتُمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُطْعِمُ جَائِعَكُمْ، وَيَعِظُ جَاهِلَكُمْ، وَكُنَّا فِي دَارٍ أَوْ فِي أَرْضِ الْبُعَدَاءِ الْبُغَضَاءِ بِالْحَبَشَةِ وَذَلِكَ فِي اللهِ، وَفِي رَسُولِهِ ﷺ، وَايْمُ اللهِ لَا أَطْعَمُ طَعَامًا وَلَا أَشْرَبُ شَرَابًا حَتَّىٰ أَذْكُرَ مَا قُلْتَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَنَحْنُ كُنَّا نُؤْذَىٰ وَنُخَافُ، وَسَأَذْكُرُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَأَسْأَلُهُ وَاللهِ لَا أَكْذِبُ وَلَا أَزِيغُ وَلَا أَزِيدُ عَلَيْهِ.

فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللهِ إِنَّ عُمَرَ قَالَ كَذَا وَكَذَا.

قَالَ: فَمَا قُلْتِ لَهُ؟

قَالَتْ: قُلْتُ لَهُ كَذَا وَكَذَا.

قَالَ: لَيْسَ بِأَحَقَّ بِي مِنْكُمْ وَلَهُ وَلِأَصْحَابِهِ هِجْرَةٌ وَاحِدَةٌ، وَلَكُمْ أَنْتُمْ أَهْلَ السَّفِينَةِ هِجْرَتَانِ.

قَالَتْ: لَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا مُوسَىٰ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ يَأْتُونِي أَرْسَالًا يَسْأَلُونِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ، مَا مِنَ الدُّنْيَا شَيْءٌ هُمْ بِهِ أَفْرَحُ وَلَا أَعْظَمُ فِي أَنْفُسِهِمْ مِمَّا قَالَ لَهُمْ النَّبِيُّ ﷺ.

قَالَ أَبُو بُرْدَةَ: قَالَتْ أَسْمَاءُ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا مُوسَىٰ وَإِنَّهُ لَيَسْتَعِيدُ هَذَا الْحَدِيثَ مِنِّي»، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَيْسَ بِأَحَقَّ بِي مِنْكُمْ وَلَهُ وَلِأَصْحَابِهِ هِجْرَةٌ وَاحِدَةٌ وَلَكُمْ أَنْتُمْ أَهْلَ السَّفِينَةِ هِجْرَتَانِ**».

فَهَذَا مِمَّا وَرَدَ فِي فَضْلِ مُهَاجِرِي الْحَبَشَةِ رضي الله عنهم.

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْمَغَازِي وَالسِّيَرِ فِيمَنْ أَرْسَلَتْهُ قُرَيْشٌ مَعَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ إِلَىٰ النَّجَاشِيِّ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ إِلَىٰ النَّجَاشِيِّ مَرَّتَيْنِ، فَمَرَّةً أَرْسَلُوا مَعَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ عَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ، وَمَرَّةً أَرْسَلُوا مَعَهُ عُمَارَةَ بْنَ الْوَلِيدِ.

وَقَالَ آخَرُونَ: لَمْ تُرْسِلْ قُرَيْشٌ إِلَىٰ النَّجَاشِيِّ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً، وَانْقَسَمَ أَصْحَابُ هَذَا الْقَوْلِ إِلَىٰ فَرِيقَيْنِ:

فَرِيقٌ قَالَ: كَانَ مَعَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ، وَهُمْ الْأَكْثَرُونَ.

وفَرِيقٌ قَالَ: كَانَ مَعَهُ عُمَارَةُ بْنُ الْوَلِيدِ.

وَسَبَبُ هَذَا الِاخْتِلَافِ هُوَ الِاخْتِلَافُ الَّذِي وَقَعَ فِي الرِّوَايَاتِ الَّتِي ذَكَرَتْ قِصَّةَ الْهِجْرَةِ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ؛ حَيْثُ ذُكِرَ فِي حَدِيثَيْ أَبِي مُوسَىٰ وَابْنِ مَسْعُودٍ: عُمَارَةُ بْنُ الْوَلِيدِ مَعَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُ تِلْكَ الرِّوَايَاتِ.

وَأَمَّا حَدِيثُ أُمِّ سَلَمَةَ فَذُكِرَ فِيهِ: عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ مَعَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ.

وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ النَّاظِرَ فِي الرِّوَايَاتِ يَعْلَمُ يَقِينًا أَنَّ قَوْلَ مَنْ قَالَ كَانَ هَذَا مَرَّتَيْنِ فَكَانَ فِي إِحْدَاهُمَا عُمَارَةُ بْنُ الْوَلِيدِ وَفِي الْأُخْرَىٰ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ قَوْلٌ بَعِيدٌ

كُلَّ الْبُعْدِ عَنِ الْحَقِيقَةِ وَالصَّوَابِ؛ ذَلِكَ لِأَنَّ الرِّوَايَاتِ الثَّلَاثَ ذُكِرَ فِيهَا الْحِوَارُ الَّذِي دَارَ بَيْنَ الْأَطْرَافِ الثَّلَاثَةِ: النَّجَاشِيِّ وَالْمُسْلِمِينَ وَرَسُولَيْ قُرَيْشٍ.

وَجَاءَ ذِكْرُ الْحِوَارِ فِي جَمِيعِ الرِّوَايَاتِ هُوَ هُوَ، لَمْ يَتَغَيَّرْ حَتَّىٰ عِنْدَمَا قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: «إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي عِيسَىٰ قَوْلًا عَظِيمًا!».

فَأَرْسَلَ النَّجَاشِيُّ إِلَىٰ الْمُسْلِمِينَ يَسْأَلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ، فَأَجَابَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَأَخَذَ النَّجَاشِيُّ عُودًا مِنَ الْأَرْضِ وَقَالَ: «مَا عَدَا عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ مَا قُلْتَ هَذَا الْعُودَ!»؛ فَلِأَنَّ الْحِوَارَ وَاحِدٌ فِي الرِّوَايَات الثَّلَاثِ فَيَبْعُدُ جِدًّا أَنْ تَكُونَ الْقِصَّةُ قَدْ تَكَرَّرَتْ! وَإِلَّا لَوْ حَدَثَ هَذَا مَرَّتَيْنِ لَمَا أَعَادَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ قَوْلَتَهُ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ؛ لِأَنَّ الْجَوَابَ وَقَعَ عَنْ ذَلِكَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَىٰ، وَسَعَايَتُهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ بِالْوَقِيعَةِ بَيْنَ النَّجَاشِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ لَمْ تُؤْتِ أُكُلَها فَمَا كَانَ لِيُكَرِّرَهَا وَعَقْلُهُ عَقْلُهُ وَدَهَاؤُهُ دَهَاؤُهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وَلَمْ يَكُنْ قَدْ أَسْلَمَ بَعْدُ!

فَهُوَ يَسْأَلُهُمْ وَهُمْ يُجِيبُونَ فَيَبْعُدُ جِدًّا أَنْ تَكُونَ الْقِصَّةُ قَدْ تَكَرَّرَتْ وَإِلَّا لَوْ حَدَثَ هَذَا مَرَّتَيْنِ لَمَا أَعَادَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ قَوْلَتَهُ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ، وَلَمَا كَانَ أَرْسَلَ النَّجَاشِيُّ لِلْمُسْلِمِينَ مَرَّةً أُخْرَىٰ يَسْأَلُهُمْ عَمَّا يَقُولُونَ فِي عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَقَدْ سَمِعَ قَوْلَهُمْ فِيهِ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَىٰ، وَكَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَقُولَ: عَلِمْنَا قَوْلَهُمْ فِي عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ قَبْلَ ذَلِكَ، وَقَدْ مَرَّ أَنَّ النَّجَاشِيَّ كَانَ رَجُلًا عَلِيمًا حَلِيمًا ذَا أَنَاةٍ وَكَانَ عِنْدَهُ مَا عِنْدَهُ مِنَ الذَّكَاءِ وَالْفِطْنَةِ.

فَبِهَذَا يُعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ غَيْرُ صَحِيحٍ أَنَّ قُرَيشًا أَرْسَلَتْ وَفْدَهَا مَرَّتَيْنِ، فَيَبْقَىٰ قَوْلُ مَنْ قَالَ كَانَ هَذَا مَرَّةً وَاحِدَةً.

وَكَمَا سَبَقَ ذَهَبَ أَصْحَابُ هَذَا الْقَوْلِ إِلَىٰ أَنَّ الْمُرْسَلَ مَعَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ هُوَ عُمَارَةُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ وَهُوَ الصَّوَابُ، ذَلِكَ لِأَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ جَاءَ ذِكْرُهُ فِي حَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَهُوَ حَدِيثٌ سَنَدُهُ مُسَلْسَلٌ بِالثِّقَاتِ غَيْرَ ابْنِ إِسْحَاقَ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ إِمَامِ أَهْلِ الْمَغَازِي وَالسِّيَرِ.

وَقَدْ قَالَ عَنْهُ الْحَافِظُ فِي «التَّقْرِيبِ»: «صَدُوقٌ يُدَلِّسُ»، وَقَدْ أَمِنَّا مِنْ تَدْلِيسِهِ حَيْثُ صَرَّحَ بِالتَّحْدِيثِ، فَقَالَ: «حَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ..».

وَأَمَّا حَدِيثَا أَبِي مُوسَىٰ وَابْنَ مَسْعُودٍ فَمَدَارُهُمَا عَلَىٰ أَبِي إِسْحَاقَ السَّبِيعِيِّ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُبَيْدٍ ثِقَةٌ لَكِنَّهُ مُدَلِّسٌ لَا تُقْبَلُ رِوَايَتُهُ إِلَّا إِذَا صَرَّحَ بِالتَّحْدِيثِ وَلَمْ يُصَرِّحْ بِالتَّحْدِيثِ فِي الرِّوَايَتَيْنِ، حَيْثُ قَالَ فِي حَدِيثِ أَبِي مُوسَىٰ: «عَنْ أَبِي بُرْدَةَ..» وَقَالَ فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ: «عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ..».

ثُمَّ هُوَ قَدْ اخْتَلَطَ بِأَخَرَةٍ وَالرَّاوِي عَنْهُ حَدِيثُ أَبِي مُوسَىٰ هُوَ إِسْرَائِيلُ بْنُ يُونُسَ وَهُوَ مِمَّنْ أَخَذَ عَنْهُ بَعْدَ الِاخْتِلَاطِ، مِمَّنْ أَخَذَ عَنِ السَّبِيعِيِّ بَعْدَ اخْتِلَاطِهِ.

الرَّاوِي عَنْهُ حَدِيثَ ابْنِ مَسْعُودٍ هُوَ حُدَيْجُ بْنُ مُعَاوِيَةَ وَهُوَ صَدُوقٌ يُخْطِئُ كَمَا قَالَ الْحَافِظُ، وَضَعَّفَهُ ابْنُ مَعِينٍ وَغَيْرُهُ.

فَالظَّاهِرُ هُنَا أَنَّ ذِكْرَ عُمَارَةَ بْنَ الْوَلِيدِ فِي الْحَدِيثِ وَهْمٌ مِنْ أَبِي إِسْحَاقَ السَّبِيعِيِّ أَيْ مِمَّا اخْتَلَطَ عَلَيْهِ فِيهِ، خَاصَّةً وَأَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ وَعُمَارَةَ بْنَ الْوَلِيدِ مِنْ قَبِيلَةٍ وَاحِدَةٍ، وَهِيَ قَبِيلَةُ بَنِي مَخْزُومٍ؛ فَلِذَلِكَ يَظْهَرُ أَنَّهُ شُبِّهَ عَلَيْهِ فِيهِ.

◉◉◉

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

بَعْضُ مَا فِي قِصَّةِ الْهِجْرَةِ إِلَى الْحَبَشَةِ مِنَ الْفِقْهِ

قَالَ السُّهَيْلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَفِي قِصَّةِ الْهِجْرَةِ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ مِنَ الْفِقْهِ: «الْخُرُوجُ عَنْ الْوَطَنِ وَإِنْ كَانَ الْوَطَنُ مَكَّةَ عَلَىٰ فَضْلِهَا، إِذَا كَانَ الْخُرُوج فِرَارًا بِالدِّينِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَىٰ إِسْلَامٍ فَإِنَّ الْحَبَشَةَ كَانُوا نَصَارَىٰ يَعْبُدُونَ الْمَسِيحَ وَلَا يَقُولُونَ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ، وَقَدْ تَبَيَّنَ ذَلِكَ فِي كَلَامِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعَ النَّجَاشِيِّ، وَكَيْفَ نَخَرَتْ بَطَارِقَتُهُ، وَسُمُّوا بِهَذِهِ مُهَاجِرِينَ، وَهُمْ أَصْحَابُ الْهِجْرَتَيْنِ الَّذِينَ أَثْنَىٰ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِالسَّبْقِ فَقَالَ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وَجَاءَ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الآيَةِ أَنَّهُمْ الَّذِينَ صَلَّوْا الْقِبْلَتَيْنِ وَهَاجَرُوا الْهِجْرَتَيْنِ.

وَقَدْ قِيلَ أَيْضًا: هُمْ الَّذِينَ شَهِدُوا بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ.

فَانْظُرْ كَيْفَ أَثْنَىٰ اللهُ عَلَيْهِمْ بِهَذِهِ الْهِجْرَةِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا مِنْ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ إِلَىٰ دَارِ كُفْرٍ لِمَا كَانَ فِي فِعْلِهِمْ مِنَ الِاحْتِيَاطِ عَلَىٰ دِينِهِمْ وَرَجَاءَ أَنْ يُخَلَّىٰ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عِبَادَةِ رَبِّهِمْ يَذْكُرُونَهُ آمِنِينَ مُطْمَئِنِّينَ.

وَهَذَا حُكْمٌ مُسْتَمِرٌّ مَتَىٰ غَلَبَ الْمُنْكَرُ فِي بَلَدٍ وَأُوذِيَ عَلَىٰ الْحَقِّ مُؤْمِنٌ وَرَأَىٰ الْبَاطِلَ قَاصِرًا لِلْحَقِّ، وَرَجَاءَ أَنْ يَكُونَ فِي بَلَدٍ آخَرَ -أَيِّ بَلَدٍ كَانَ- يُخَلَّىٰ بَيْنَهُ

وَبَيْنَ دِينِهِ، وَيُظْهِرُ فِيهِ عِبَادَةَ رَبِّهِ فَإِنَّ الْخُرُوجَ عَلَىٰ هَذَا الْوَجْهِ حَتْمٌ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِ وَهَذِهِ الْهِجْرَةُ الَّتِي لَا تَنْقَطِعُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

انْتَهَىٰ كَلَامُ السُّهَيْلِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الرَّوْضِ الْأُنُفِ».

قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: «فَالْهِجْرَةُ وَاجِبَةٌ مِنْهَا عَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَخَشِيَ أَنْ يُفْتَنَ عَنْ دِينِهِ».

❁ ❁ ❁

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

وَفْدُ النَّصَارَى مِنَ الْحَبَشَةِ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: «ثُمَّ قَدِمَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ بِمَكَّةَ عِشْرُونَ رَجُلًا أَوْ قَرِيبٌ مِنْ ذَلِكَ مِنَ النَّصَارَىٰ، حِينَ بَلَغَهُمْ خَبَرُهُ مِنَ الْحَبَشَةِ، فَوَجَدُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ فَجَلَسُوا إِلَيْهِ وَكَلَّمُوهُ وَسَأَلُوهُ وَرِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ فِي أَنْدِيَتِهِمْ حَوْلَ الْكَعْبَةِ، فَلَمَّا فَرَغُوا مِنْ مَسْأَلَةِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ عَمّا أَرَادُوا، دَعَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ اللهِ ﷻ وَتَلَا عَلَيْهِمْ الْقُرْآنَ فَلَمّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ فَاضَتْ أَعْيُنُهُمْ مِنْ الدّمْعِ ثُمّ اسْتَجَابُوا لِلّهِ وَآمَنُوا بِهِ وَصَدّقُوهُ وَعَرَفُوا مِنْهُ مَا كَانَ يُوصَفُ لَهُمْ فِي كِتَابِهِمْ مِنْ أَمْرِهِ.

فَلَمّا قَامُوا عَنْهُ اعْتَرَضَهُمْ أَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ -لَعَنَهُ اللهُ- فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالُوا لَهُمْ: خَيَّبَكُمْ اللّهُ مِنْ رَكْبٍ بَعَثَكُمْ مَنْ وَرَاءَكُمْ مِنْ أَهْلِ دِينِكُمْ تَرْتَادُونَ -أَيْ تَنْظُرُونَ وَتَطْلُبُونَ وَتَخْتَارُونَ الأَفْضَلَ- لَهُمْ لِتَأْتُوهُمْ بِخَبَرِ الرّجُلِ فَلَمْ تَطْمَئِنّ مَجَالِسُكُمْ عِنْدَهُ حَتّىٰ فَارَقْتُمْ دِينَكُمْ وَصَدّقْتُمُوهُ بِمَا قَالَ، مَا نَعْلَمُ رَكْبًا أَحْمَقَ مِنْكُمْ، فَقَالُوا لَهُمْ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نُجَاهِلُكُمْ لَنَا مَا نَحْنُ عَلَيْهِ وَلَكُمْ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ، لَمْ نَأْلُ أَنْفُسَنَا خَيْرًا. يَعْنِي لَمْ نُقَصِّرْ بِهَا عَنْ بُلُوغِ الخَيْرِ، يُقَالُ: مَا أَلَوْتُ، أَيْ مَا فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، أَيْ مَا قَصَّرْتُ.

وَيُقَالُ: إِنَّ النَّفَرَ مِنْ النَّصَارَىٰ مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ، فَاللهُ أَعْلَمُ أَيْ ذَلِكَ كَانَ.

فَيُقَالُ -وَاللَّهُ أَعْلَمُ- فِيهِمْ نَزَلَتْ هَؤُلَاءِ الْآيَات: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٥٢ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾، إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [القَصَص: ٥٢ - ٥٥].

الْخَبَرُ ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاق وَهُوَ فِي «سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ»، وذَكَرَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ».

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَاتِ: يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَىٰ عَنِ الْعُلَمَاءِ الْأَوْلِيَاءِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِالْقُرْآنِ، كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [البقرة: ١٢١] وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [القصص: ٥٤]، أَيْ هَؤُلَاءِ الْمُتَّصِفُونَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ الْأَوَّلِ ثُمَّ بِالثَّانِي يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِإِيمَانِهِمْ بِالرَّسُولِ الْأَوَّلِ ثُمَّ بِإِيمَانِهِمْ بِالرَّسُولِ الثَّانِي.

وَقَدْ وَرَدَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ عَامِرٍ الشَّعْبِيِّ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَأَدْرَكَ النَّبِيَّ ﷺ فَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ وَصَدَّقَهُ، عَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَدَّىٰ حَقَّ اللهِ وَحَقَّ سَيِّدِهِ، وَرَجُلٌ كَانَتْ لَهُ أَمَةٌ فَغَذَاهَا فَأَحْسَنَ غِذَاءَهَا ثُمَّ أَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا ثُمَّ أَعْتَقَهَا فَتَزَوَّجَهَا**».

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ﴾ [القصص: ٥٥]، أَيْ لَا يُخَالِطُونَ أَهْلَهُ وَلَا يُعَاشِرُونَهُمْ؛ بَلْ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

◉◉◉

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

عَزْمُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه عَلَى الْهِجْرَةِ إِلَى الْحَبَشَةِ

يَذْكُرُ أَصْحَابُ السِّيرَةِ هَاهُنَا عَزْمَ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه عَلَىٰ الْهِجْرَةِ إِلَىٰ أَرْضِ الْحَبَشَةِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَدْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه، كَمَا حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ الزُّهْرِيُّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ، حِينَ ضَاقَتْ عَلَيْهِ مَكَّةُ وَأَصَابَهُ فِيهَا الْأَذَىٰ، وَرَأَىٰ مِنْ تَظَاهُرِ قُرَيْشٍ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ مَا رَأَىٰ، اسْتَأْذَنَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي الْهِجْرَةِ فَأَذِنَ لَهُ.

فَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه مُهَاجِرًا، حَتَّىٰ إِذَا سَارَ مِنْ مَكَّةَ يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ، لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ، أَوْ ابْنُ الدُّغُنَّةِ أَخُو بَنِي الْحَارِثِ بْنِ يَزِيدَ أَحَدُ بَنِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ سَيِّدُ الْأَحَابِيشِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَالْأَحَابِيشُ: بَنُو الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ، وَالْهُونُ بْنُ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ، وَبَنُو الْمُصْطَلِقِ مِنْ خُزَاعَةَ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: تَحَالَفُوا جَمِيعًا، فَسُمُّوا الْأَحَابِيشَ؛ لِأَنَّهُمْ تَحَالَفُوا بِوَادٍ يُقَالُ لَهُ الْأَحْبَشُ بِأَسْفَلَ مِنْ مَكَّةَ لِلْحِلْفِ، أَيْ لِيَكُونُوا حِلْفًا.

قَالَ ابْنُ الدُّغُنَّةِ: «إِلَىٰ أَيْنَ يَا أَبَا بَكْرٍ؟».

قَالَ: «أَخْرَجَنِي قَوْمِي وَآذَوْنِي وَضَيَّقُوا عَلَيَّ».

قَالَ: «وَلِمَ؟! وَاللهِ إِنَّكَ لَتَزِينُ الْعَشِيرَةَ، وَتُعِينُ عَلَىٰ النَّوائِبِ، وَتَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ، وَتُكْسِبُ الْمَعْدُومَ، ارْجِعْ فَإِنَّكَ فِي جِوَارِي».

فَرَجَعَ مَعَهُ، حَتَّىٰ إِذَا دَخَلَ مَكَّةَ، قَامَ مَعَهُ ابْنُ الدُّغُنَّةِ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ؛ إِنِّي قَدْ أَجَرْتُ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ، فَلَا يَعْرِضُ لَهُ أَحَدٌ إِلَّا بِخَيْرٍ»..

قَالَ: «فَكَفُّوا عَنْهُ».

قَالَتْ: «وَكَانَ لِأَبِي بَكْرٍ مَسْجِدٌ عِنْدَ بَابِ دَارِهِ فِي بَنِي جُمَحَ، فَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ، وَكَانَ رَجُلًا رَقِيقًا، إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ اسْتَبْكَىٰ».

قَالَتْ: «فَيَقِفُ عَلَيْهِ الصِّبْيَانُ وَالْعَبِيدُ وَالنِّسَاءُ، يَعْجَبُونَ لِمَا يَرَوْنَ مِنْ هَيْئَتِهِ».

قَالَ: «فَمَشَىٰ رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَىٰ ابْنِ الدُّغُنَّةِ، فَقَالُوا: «يَا ابْنَ الدُّغُنَّةِ، إِنَّكَ لَمْ تُجِرْ هَذَا الرَّجُلَ لِيُؤْذِيَنَا! إِنَّهُ رَجُلٌ إِذَا صَلَّىٰ وَقَرَأَ يَرِقُّ وَكَانَتْ لَهُ هَيْئَةٌ وَنَحْنُ نَتَخَوَّفُ عَلَىٰ صِبْيَانِنَا وَنِسَائِنَا وَضُعَفَائِنَا أَنْ يَفْتِنَهُمْ؛ فَأْتِهِ فَمُرْهُ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَهُ فَلْيَصْنَعْ فِيهِ مَا شَاءَ».

قَالَتْ: «فَمَشَىٰ إِلَيْهِ؛ فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا بَكْرٍ؛ إِنِّي لَمْ أُجِرْكَ لِتُؤْذِيَ قَوْمَكَ؛ وَقَدْ كَرِهُوا مَكَانَكَ الَّذِي أَنْتَ بِهِ وَتَأَذَّوْا بِذَلِكَ مِنْكَ، فَادْخُلْ بَيْتَكَ، فَاصْنَعْ فِيهِ مَا أَحْبَبْتَ!».

قَالَ: «أَوْ أَرُدُّ عَلَيْكَ جِوَارَكَ وَأَرْضَىٰ بِجِوَارِ اللهِ؟».

قَالَ: «فَارْدُدْ عَلَيَّ جِوَارِي».

قَالَ: «قَدْ رَدَدْتُهُ عَلَيْكَ».

فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ قَدْ رَدَّ عَلَيَّ جِوَارِي فَشَأْنُكُمْ بِصَاحِبُكُمْ».

رَوَىٰ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ هَذَا الْحَدِيثَ مُنْفَرِدًا بِهِ، وَفِيهِ زِيَادَةٌ حَسَنَةٌ أَخْرَجَهُ بِإِسْنَادِهِ عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: «لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ قَطُّ، إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ طَرَفَيْ النَّهَارِ، بُكْرَةً وَعَشِيَّةً.

فَلَمَّا ابْتُلِيَ الْمُسْلِمُونَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا نَحْوَ أَرْضِ الْحَبَشَةِ، حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَرَكَ الْغِمَادِ لَقِيَهُ ابْنُ الدُّغُنَّةِ وَهُوَ سَيِّدُ الْقَارَةِ، فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَخْرَجَنِي قَوْمِي، فَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِي الأَرْضِ، فَأَعْبُدَ رَبِّي.

قَالَ ابْنُ الدَّغِنَةِ: إِنَّ مِثْلَكَ لاَ يَخْرُجُ وَلاَ يُخْرَجُ، فَإِنَّكَ تَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَىٰ نَوَائِبِ الحَقِّ، وَأَنَا لَكَ جَارٌ، فَارْجِعْ فَاعْبُدْ رَبَّكَ بِبِلاَدِكَ.

فَارْتَحَلَ ابْنُ الدَّغِنَةِ، فَرَجَعَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ، فَطَافَ فِي أَشْرَافِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لاَ يَخْرُجُ مِثْلُهُ وَلاَ يُخْرَجُ، أَتُخْرِجُونَ رَجُلًا يُكْسِبُ المَعْدُومَ، وَيَصِلُ الرَّحِمَ، وَيَحْمِلُ الكَلَّ، وَيَقْرِي الضَّيْفَ، وَيُعِينُ عَلَىٰ نَوَائِبِ الحَقِّ.

فَلَمْ تُكَذِّبْ قُرَيْشٌ بِجِوَارِهِ، وَقَالُوا: مُرْ أَبَا بَكْرٍ، فَلْيَعْبُدْ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، فَلْيُصَلِّ، وَلْيَقْرَأْ مَا شَاءَ، وَلاَ يُؤْذِينَا بِذَلِكَ، وَلاَ يَسْتَعْلِنَنَّ بِهِ، فَإِنَّا قَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا.

فَقَالَ ذَلِكَ أَبِي بَكْرٍ، فَلَبِثَ أَبُو بَكْرٍ يَعْبُدُ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، وَلاَ يَسْتَعْلِنُ بِصَلاَتِهِ، وَلاَ يَقْرَأُ فِي غَيْرِ دَارِهِ، ثُمَّ بَدَا لِأَبِي بَكْرٍ، فَابْتَنَىٰ مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ، وَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ، وَيَقْرَأُ القُرْآنَ، فَيَتَقَذَّفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ المُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ، وَيَعْجَبُونَ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ.

وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَّاءً، لاَ يَمْلِكُ عَيْنَهُ إِذَا قَرَأَ القُرْآنَ، فَأَفْزَعَ ذَلِكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ المُشْرِكِينَ.

فَأَرْسَلُوا إِلَىٰ ابْنِ الدَّغِنَةِ، فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا لَهُ: إِنَّا كُنَّا أَجَرْنَا أَبَا بَكْرٍ بِجِوَارِكَ عَلَىٰ أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، فَقَدْ جَاوَزَ ذَلِكَ، فَابْتَنَىٰ مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ، فَأَعْلَنَ الصَّلاَةَ وَالقِرَاءَةَ، وَإِنَّا قَدْ خَشِينَا أَنْ يُفْتَنَ أَبْنَاؤُنَا وَنِسَاؤُنَا، فَأْتِهِ، فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَىٰ أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَعَلَ، وَإِنْ أَبَىٰ إِلَّا أَنْ يُعْلِنَ ذَلِكَ، فَسَلْهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْكَ ذِمَّتَكَ -أَيْ جِوَارَكَ- فَإِنَّا كَرِهْنَا أَنْ نَخْفُرَكَ -يَعْنِي فِي جِوَارِكَ-، وَلَسْنَا مُقِرِّينَ لِأَبِي بَكْرٍ الِاسْتِعْلاَنَ -يَعْنِي بِعِبَادَتِكَ وَتِلاَوَةِ الْقُرْآنِ-.

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَتَىٰ ابْنُ الدَّغِنَةِ أَبَا بَكْرٍ، فَقَالَ: قَدْ عَلِمْتَ الَّذِي عَاقَدْتُكَ عَلَيْهِ، فَإِمَّا أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَإِمَّا أَنْ تَرُدَّ إِلَيَّ ذِمَّتِي، فَإِنِّي لاَ أُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ العَرَبُ، أَنِّي أُخْفِرْتُ فِي رَجُلٍ عَقَدْتُ لَهُ -أَيْ جِوَارًا-.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَإِنِّي أَرُدُّ إِلَيْكَ جِوَارَكَ، وَأَرْضَىٰ بِجِوَارِ اللهِ ﷻ...» ثُمَّ ذَكَرَ تَمَامَ الْحَدِيثِ فِي هِجْرَةِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

هُنَا مَلْحَظٌ يُمْكِنُ أَنْ يُفِيدَ مِنْهُ مَنْ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَهُوَ أَنْ تَتَّخِذَ فِي بَيْتِكَ مَسْجِدًا يَعْنِي أَنْ تَجْعَلَ مَكَانًا حُجْرَةً مَهْمَا كَانَتْ وَلَوْ كَانَتْ ضَيِّقَةً أَنْ تَجْعَلَهَا مَسْجِدًا؛ فَالصَّحَابَةُ مَنْ تَيَسَّرَ لَهُمْ ذَلِكَ صَنَعَهُ، وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَطْلُبُ مِنَ النَّبِي ﷺ أَنْ يَزُورَهُ؛ لِيَطْعَمَ عِنْدَهُ، وَلِيُصَلِّيَ فِي مَوْضِعٍ يَتَّخِذُهُ مَسْجِدًا كَمَا فِي حَدِيثِ أَنَسٍ وَفِي حَدِيثِ عِتْبَانَ بْنِ مَالِكٍ.

وَهُنَا اتَّخَذَ أَبُو بَكْرٍ مَسْجِدًا لَيْسَ مَسْجِدًا بِالْمَعْنَىٰ الْمَعْهُودِ يَعْنِي أَنْ يَكُونَ مِثْلَ هَذَ الْمَسْجِدِ مَثَلًا فِي دَارِهِ، وَلَكِنْ إِنْ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْكَ، وَكَانَ عِنْدَكَ حُجْرَةٌ حَتَّىٰ وَلَوْ كَانَتْ ضَيِّقَةً أَنْ تَجْعَلَهَا مَسْجِدًا لَا تَجْعَلْ فِيهَا شَيْئًا تَجْعَلُ فِيهَا بِسَاطًا، تَجْعَلُ لَهَا عِنْدَ الْمَدْخَلِ حَاجِزًا يُشْعِرُ بِأَنَّهَا مَسْجِدٌ، تَجْعَلُ فِيهَا مَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ الْمَصَاحِفُ، لَا تَجْعَلْهَا مَكْتَبَةً، مَسْجِدٌ لَيْسَتْ بِمَكْتَبَةٍ وَلَيْسَتْ بِحُجْرَةِ مَعِيشَةٍ، وَلَا بِحُجْرَةِ اسْتِقْبَالِ الضُّيُوفِ وَالسَّمَرِ.

فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَتَهَجَّدَ تَتَهَجَّدُ فِيهَا، أَرَادَ أَحَدٌ مِنْ أَبْنَائِكَ أَوْ أَرَادَ أَهْلُكَ أَنْ يَتَهَجَّدُوا أَنْ يَتْلُوا كِتَابَ اللهِ أَنْ يُسَبِّحُوا أَنْ يَخْلُوا بِرَبِّهِمْ يَتَفَكَّرُونَ، يَعْبُدُونَ اللهَ، مَسْجِدٌ كَمَا صَنَعَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه وَكَمَا صَنَعَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ كَمَا فِي حَدِيثِ عِتْبَانَ وَكَمَا فِي حَدِيثِ أَنَسٍ رضي الله عنه؛ فَيَكُونُ بَرَكَةً وَرَحْمَةً وَنُورًا نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُوَسِّعَ عَلَيْنَا أَجْمَعِينَ.

صَارَتْ الْمُفَاوَضَاتُ حِينَئِذٍ مَعَ أَبِي طَالِبٍ عَلَىٰ قَدَمٍ وَسَاقٍ فِي أَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لَمْ يَصْرِفِ النَّاسَ عَنِ الِاسْتِجَابَةِ لِدَعْوَةِ اللهِ تَعَالَىٰ مِمَّنْ آمَنَ بِالنَّبِيِّ ﷺ شَيْءٌ مَعَ مَا كَانَ مِنَ الِاسْتِهْزَاءِ وَالْإِيذَاءِ.

وَكَذَلِكَ الَّذِينَ تَلَقَّوْا الدَّعْوَةَ مِمَّنْ لَا حِقْدَ فِي قَلْبِهِ وَلَا عِنْدَهُ مَا يَمْنَعُهُ مِنْ تِلْكَ الْعَوَامِلِ النَّفْسِيَّةِ وَالنَّوَازِعِ الْحِقْدِيَّةِ.

أَيْضًا لَمْ يَصْرِفْهُمْ شَيْءٌ عَنِ الِاسْتِمَاعِ فَلَمْ يُفْلِحْ فِي الصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَا أَخَذَتْ بِهِ قُرَيْشٌ مِنَ الْأَسَالِيبِ؛ لِتَصُدَّ النَّاسَ عَنْ دَعْوَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَجَأَتْ قُرَيْشٌ إِلَىٰ أُسْلُوبِ الْمُفَاوَضَاتِ مَرَّةً أُخْرَىٰ.

ذَهَبُوا إِلَىٰ أَبِي طَالِبٍ مَرَّةً أُخْرَىٰ فَقَالُوا لَهُ: «يَا أَبَا طَالِبٍ، إِنَّ لَكَ سِنًّا وَشَرَفًا وَمَنْزِلَةً فِينَا، وَإِنَّ ابْنَ أَخِيكَ يُؤْذِينَا فِي نَادِينَا وَفِي مَجْلِسِنَا، وَإِنَّا قَدْ اسْتَنْهَيْنَاكَ مِنَ ابْنِ أَخِيكِ فَلَمْ تَنْهَهُ عَنَّا، وَإِنَّا وَاللهِ لَا نَصْبِرُ عَلَىٰ هَذَا مِنْ شَتْمِ آبَائِنَا وَتَسْفِيهِ أَحْلَامِنَا، وَعَيْبِ آلِهَتِنَا، حَتَّىٰ تَكُفَّهُ عَنَّا، أَوْ نُنَازِلَهُ وَإِيَّاكَ فِي ذَلِكَ، حَتَّىٰ يَهْلِكَ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ..».

أَخَذُوا يَسْتَعْلِنُونَ بِالْعَدَاوَةِ مَعَ أَبِي طَالِبٍ نَفْسِهِ؛ فَعَظُمَ عَلَىٰ أَبِي طَالِبٍ فِرَاقُ قَوْمِهِ وَعَدَاوَتُهُمْ وَلَمْ يَطِبْ نَفْسًا بِإِسْلَامِ رَسُولِ اللهِ لَهُمْ وَلَا بِخِذْلَانِهِ؛ فَبَعَثَ عَقِيلًا ابْنَهُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ لَهُ: «يَا ابْنَ أَخِي إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَاءُونِي، فَزَعَمُوا أَنَّكَ تُؤْذِيهِمْ فِي نَادِيهِمْ وَفِي مَجْلِسِهِمْ فَانْتَهِ عَنْ ذَلِكَ، وَأَبْقِ عَلَيَّ، وَعَلَىٰ نَفْسِكَ، وَلَا تُحَمِّلْنِي مِنَ الْأَمْرِ مَا لَا أُطِيقُ!».

فَحَلَّقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِبَصَرِهِ -أَيْ رَفَعَهُ- إِلَىٰ السَّمَاءِ، فَقَالَ: «**تَرَوْنَ هَذِهِ الشَّمْسَ؟**».

قَالُوا: «نَعَمْ»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا أَنَا بِأَقْدَرَ عَلَىٰ أَنْ أَدَعَ ذَلِكَ مِنْكُمْ عَلَىٰ أَنْ تُشْعِلُوا مِنْهَا شُعْلَةً**».

مَرَّ هَذَا عِنْدَ ذِكْرِ إِيذَائِهِمْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ.

فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: «وَاللهِ، مَا كَذَبَ ابْنُ أَخِي قَطُّ، فَارْجِعُوا» أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الصَّحِيحَةِ».

ثُمَّ أَطْلَقَ أَبُو طَالِبٍ أَبْيَاتَهُ الْمَشْهُورَةَ فِي نُصْرَةِ الرَّسُولِ ﷺ، فَقَالَ:

وَاللهِ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ ... حَتَّىٰ أُوَسَّدَ فِي التُّرَابِ دَفِينَا
فَامْضِي لِأَمْرِكَ مَا عَلَيْكَ غَضَاضَةٌ ... أَبْشِرْ وَقَرَّ بِذَاكَ مِنْكَ عُيُونَا
وَدَعَوْتَنِي وَعَلِمْتُ أَنَّكَ نَاصِحِي ... فَلَقَدْ صَدَقْتَ وَكُنْتَ قِدَمَ أَمِينَا
وَعَرَضْتَ دِينًا قَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّهُ ... مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينَا
لَوْلَا الْمَلَامَةُ أَوْ حَذَارُ مَسَبَّةً ... لَوَجَدْتَنِي سَمْحًا بِذَاكَ أَمِينَا

فَيَقُولُ إِنَّ الَّذِي يَمْنَعُهُ أَنَّهُ سَيَلُومُونَهُ تَرْكَ دِينِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ تُسَفِّهُ أَحْلَامَ آبَائِكَ، تَطْعَنُ فِي الْآلِهَةِ وَهُوَ لَا يُرِيدُ أَنْ يُفَارِقَ قَوْمَهُ، فَهَذَا هُوَ الَّذِي مَنَعَهُ، وَاللهُ تَعَالَىٰ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ.

وَقَارِنْ بَيْنَ إِسْلَامِ سَلْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَبَيْنَ إِبَاءِ أَبِي طَالِبٍ؛ لِتَعلَمَ أَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ للهِ؛ فَإِنَّ سَلْمَانَ لَقِيَ مَا لَقِيَ مِنَ الْعَنَاءِ وَالْبَلَاءِ وَالرِّحْلَةِ وَالرِّقِّ ومَا أَشْبَهَ مِنْ أَلْوَانِ الْبَلَاءِ وَالْعَذَابِ، حَتَّىٰ كَانَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ كَمَا فِي الرِّوَايَةِ الضَّعِيفَةِ: «**سَلْمَانُ مِنا آلَ الْبَيْتِ**».

وَأَبُو طَالِبٍ النَّبِيُّ عَلَىٰ رَأْسِهِ وَهُوَ فِي سِيَاقِ الْمَوْتِ، يَقُولُ: «**يَا عَمُّ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ**» فَكَانَ آخِرَ مَا قَالَ أَنَّهُ عَلَىٰ دِينِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَمَاتَ كَافِرًا.

فَاعْلَمْ أَنَّ الْأَمْرَ للهِ وَاسْأَلْ رَبَّكَ حُسْنَ الْخِتَامِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ مَنْ أَخَذَ عَهْدًا عَلَىٰ رَبِّهِ أَنْ يَمُوتَ مُسْلِمًا، مَا مِنْ أَحَدٍ مَهْمَا بَلَغَ عِلْمًا وَتُقًىٰ وَثَبَاتًا وَرُسُوخًا إِلَّا وَيَخْشَىٰ عَلَيْهِ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا كَافِرًا! «**وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُ النَّارَ**».

وَفِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَىٰ: «**فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ**»؛ لِوُجُودِ دَسِيسَةٍ بَاطِنَةٍ فِي الْقَلْبِ، ثُمَّ تَظْهَرُ عِنْدَ الْمَمَاتِ نَسْأَلُ اللهَ الثَّبَاتَ عِنْدَ الْمَمَاتِ.

فَتَأَمَّلْ فِي شِعْرِهِ وَفِي حِيَاطَتِهِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَمَا وَجَدَ مِنَ الْأَذَىٰ بِسَبَبِ ذَلِكَ، وَتَأَمَّلْ فِي مَحَبَّتِهِ وَهِيَ مَحَبَّةٌ طَبِيعَيَّةٌ لَيْسَتْ بِمَحَبَّةٍ شَرْعِيَّةٍ، وَتَأَمَّلْ فِي شِعْرِهِ وَهُوَ يَمْدَحُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَيَمْدَحُ دِينَ الْإِسْلَامِ مَدْحًا عَظِيمًا، وَتَأَمَّلْ أَيْضًا فِي نِهَايَتِهِ! نَسْأَلُ اللهَ تَعَالَىٰ حُسْنَ الْخِتَامِ.

الرِّوَايَةُ الْمَشْهُورَةُ وَقَدْ مَرَّ التَّنْبِيهُ إِلَىٰ ذَلِكَ: «**يَا عَمُّ، وَاللهِ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلَىٰ أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّىٰ يُظْهِرَهُ اللهُ أَوْ أَهْلِكَ دُونَهُ مَا تَرَكْتُهُ**».

هَذِهِ ضَعَّفَهَا الْعُلَمَاءُ وَمِنْهُمُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي «السِّلْسِلَةِ الضَّعِيفَةِ»؛ فَهَذِهِ رِوَايَةٌ مَشْهُورَةٌ ذَائِعَةٌ وَلَكِنَّهَا ضَعِيفَةٌ: «**يَا عَمُّ وَاللهِ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي...**».

لَمَّا رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَاضٍ فِي دَعْوَتِهِ، وَأَنَّ أَبَا طَالِبٍ قَدْ أَبَىٰ خِذْلَانَ ابْنِ أَخِيهِ وَأَبَىٰ إِسْلَامَهُ؛ يَعْنِي أَنْ يُسْلِمَهُ لَهُمْ، وَرَأَوْا إِجْمَاعَهُ؛ يَعْنِي عَزْمَهُ حَتَّىٰ يَكُونَ عَزْمًا جَمِيعًا، وَرَأَوْا إِجْمَاعَهُ لِفِرَاقِهِمْ فِي ذَلِكَ وَعَدَاوَتِهِمْ مَشَوْا إِلَيْهِ بِعُمَارَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ.

فَقَالُوا لَهُ: «يَا أَبَا طَالِبٍ، قَدْ جِئْنَاكَ بِفَتَىٰ قُرَيْشٍ جَمَالًا وَنَسبًا وَنَهَادَةً -أَيْ كَانَ قَوِيًّا ضَخْمًا- وَشِعْرًا، فَخُذْهُ فَلَكَ نَصْرُهُ وعَقْلُهُ وَمِيرَاثُهُ، وَاتَّخِذْهُ وَلَدًا فَهُوَ لَكَ وَأَسْلِمْ إِلَيْنَا ابْنَ أَخِيكَ هَذَا الَّذِي قَدْ خَالَفَ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ وَفَرَّقَ جَمَاعَةَ قَوْمِكَ وَسَفَّهَ أَحْلَامَهُمْ فَنَقْتُلَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ لِلْعَشِيرَةِ وَأَفْضَلُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ مَغَبَّةً، وَإِنَّمَا هُوَ رَجُلٌ بِرَجُلٍ».

هَكَذَا رَجُلٌ بِرَجُلٍ؟! وَلَا يُسَاوِي قُلَامَةَ ظُفُرِهِ ﷺ، وَمَنِ الَّذِي يَفْعَلُ ذَلِكَ؟ يَأْخُذُ مِثْلَ هَذَا لِيَغْذُوهُ، وَيُسْلِمُهُمْ وَلَدَهُ لِيَقْتُلُوهُ.

قَالَ: «وَاللهِ مَا أَنْصَفْتُمُونِي! أَتُعْطُونَنِي ابْنَكُمْ أَكْفُلُهُ لَكُمْ وَأُعْطِيكُمْ ابْنِي تَقْتُلُونَهُ مَا هَذَا بِالنِّصَفِ، تَسُومُونَنِي سَوْمَ الْعَرِيرِ الذَّلِيلِ، هَذَا وَاللهِ لَا يَكُونُ أَبَدًا!».

قَالَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ: «وَاللهِ يَا أَبَا طَالِبٍ، لَقَدْ أَنْصَفَكَ قَوْمُكَ، وَجَهِدُوا عَلَىٰ التَّخَلُّصِ مِمَّا تَكْرَهُهُ، فَمَا أَرَاكَ تُرِيدُ أَنْ تَقْبَلَ مِنْهُمْ شَيْئًا».

فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: «وَاللهِ مَا أَنْصَفْتُمُونِي، وَلَكِنَّكَ قَدْ أَجْمَعْتَ خِذْلَانِي وَمُظَاهَرَةً عَلَيَّ فَاصْنَعْ مَا بَدَا لَكَ».

◉ ◉ ◉

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

حِمَايَةُ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ لِلنَّبِيِّ ﷺ

هُنَا قَامَ أَبُو طَالِبٍ حِينَ رَأَىٰ مَا تَصْنَعُ قُرَيْشٌ بِالْمُسْلِمِينَ قَامَ فِي بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ فَدَعَاهُمْ إِلَىٰ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ مَنْعِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَالْقِيَامِ دُونَهُ؛ فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ وَقَامُوا مَعَهُ وَأَجَابُوهُ إِلَىٰ مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ أَبِي لَهَبٍ عَمِّ الرَّسُولِ ﷺ.

فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ فِي ذَلِكَ قَصِيدَةً يَمْدَحُهُمْ وَيُحَرِّضُهُمْ عَلَىٰ مَا وَافَقَهُ عَلَيْهِ مِنَ الْحَدَبِ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَالنُّصْرَةِ لِلنَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ فَشَلِ مُفَاوَضَاتِ قُرَيْشٍ مَعَ أَبِي طَالِبٍ اشْتَدَّ مَكْرُ زُعَمَائِهَا وَأَجْمَعُوا عَلَىٰ قَتْلِ النَّبِيِّ ﷺ وَاغْتِيَالِهِ.

فَلَمَّا كَانَ مَسَاءُ اللَّيْلَةِ الَّتِي عَرَضُوا فِيهَا عُمَارَةَ بْنَ الْوَلِيدِ عَلَىٰ أَبِي طَالِبٍ، فُقِدَ رَسُولُ ﷺ، وَجَاءَ أَبُو طَالِبٍ وَعُمُومَتُهُ إِلَىٰ مَنْزِلِهِ فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَجَمَعَ أَبُو طَالِبٍ فِتْيَانًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، وَبَنِي الْمُطَّلِبِ.

ثُمَّ قَالَ: «لِيَأْخُذَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ حَدِيدَةً صَارِمَةً، ثُمَّ لِيَتْبَعَنِي إِذَا دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَلْيَنْظُرْ كُلُّ فَتًىٰ مِنْكُمْ فَلْيَجْلِسْ إِلَىٰ عَظِيمٍ مِنْ عُظَمَائِهِمْ فِيهِمْ ابْنُ الْحَنْظَلِيَّةِ، يُرِيدُ أَبَا جَهْلٍ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِبْ عَنْ شَرٍّ إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ قَدْ قُتِلَ».

فَقَالَ الْفِتْيَانُ: «نَفْعَلُ»، فَجَاءَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَوَجَدَ أَبَا طَالِبٍ عَلَىٰ تِلْكَ الْحَالِ.

فَقَالَ: «يَا زَيْدُ، أَحَسَسْتَ ابْنَ أَخِي؟».

قَالَ: «نَعَمْ، كُنْتُ مَعَهُ آنِفًا».

فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: «لَا أَدْخُلُ بَيْتِي أَبَدًا حَتَّىٰ أَرَاهُ»، فَخَرَجَ زَيْدٌ سَرِيعًا حَتَّىٰ أَتَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ فِي دَارِ الْأَرْقَمِ، وَمَعَهُ أَصْحَابُه يَتَحَدَّثُونَ، فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: «يَا ابْنَ أَخِي أَيْنَ كُنْتَ؟ أَكُنْتَ فِي خَيْرٍ؟».

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ**».

قَالَ: «ادْخُلْ بَيْتَكَ»، فَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُو طَالِبٍ غَدَا عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَوَقَفَ بِهِ عَلَىٰ أَنْدِيَةِ قُرَيْشٍ، وَمَعَهُ الْفِتْيَانُ الْهَاشِمِيُّونَ وَالْمُطَّلَبِيُّونَ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ هَلْ تَدْرُونَ مَا هَمَمْتُ بِهِ؟».

قَالُوا: «لَا»، فَأَخْبَرَهُمُ الْخَبَرَ.

وَقَالَ لِلْفِتْيَانِ: «اكْشِفُوا عَمَّا فِي أَيْدِيكُمْ» -يَعْنِي مِنَ الْحَدَائِد الصَّارِمَةِ- فَكَشَفُوا، فَإِذَا كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَعَهُ حَدِيدَةٌ صَارِمَةٌ.

فَقَالَ: «وَاللهِ لَوْ قَتَلْتُمُوهُ مَا بَقِيَ مِنْكُمْ أَحَدٌ حَتَّىٰ نَتَفَانَىٰ نَحْنُ وَأَنْتُمْ!»، فَانْكَسَرَ الْقَوْمُ، وَكَانَ أَشَدَّهُمْ انْكِسَارًا أَبُو جَهْلٍ لَعَنَهُ اللهُ تَعَالَىٰ.

◉◉◉

www.mentug-un.com

عَزْمُ أَبِي جَهْلٍ عَلَى قَتْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ

وَرَوَىٰ الْبَيْهَقِيُّ فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «إِنَّ أُنَاسًا مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ تَوَاصَوْا بِالنَّبِيِّ ﷺ؛ لِيَقْتُلُوهُ، مِنْهُمْ: أَبُو جَهْلٍ، وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، وَنَفَرٌ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ.

فَبَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا سَمِعُوا قِرَاءَتَهُ أَرْسَلُوا الْوَلِيدَ لِيَقْتُلَهُ، فَانْطَلَقَ حَتَّىٰ انْتَهَىٰ إِلَىٰ الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ يُصَلِّي النَّبِيُّ ﷺ فِيهِ، فَجَعَلَ يَسْمَعُ قِرَاءَتَهُ وَلَا يَرَاهُ، فَانْصَرَفَ إِلَيْهِمْ فَأَعْلَمَهُمْ ذَلِكَ، فَأَتَاهُ أَبُو جَهْلٍ، وَالْوَلِيدُ، وَنَفَرٌ مِنْهُمْ، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَىٰ الْمَكَانِ الَّذِي هُوَ فِيهِ يُصَلِّي سَمِعُوا قِرَاءَتَهُ، فَيَذْهَبُونَ إِلَىٰ الصَّوْتِ فَإِذَا الصَّوْتُ مِنْ خَلْفِهِمْ، فَيَنْتَهُونَ إِلَيْهِ فَيَسْمَعُونَ أَيْضًا مِنْ خَلْفِهِمْ، فَانْصَرَفُوا وَلَمْ يَجِدُوا إِلَيْهِ سَبِيلًا، قَالَ: فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٩].

لَمْ تَزَلْ فِكْرَةُ اغْتِيَالِ النَّبِيِّ ﷺ تَزْدَادُ فِي قُلُوبِ الْمُشْرِكِينَ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ، رَوَىٰ ابْنُ إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُ قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ -لَعَنَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ أَبَىٰ إِلَّا مَا تَرَوْنَ مِنْ عَيْبِ دِينِنَا، وَشَتْمِ آبَائِنَا، وَتَسْفِيهِ أَحْلَامِنَا، وَشَتْمِ آلِهَتِنَا، وَإِنِّي أُعَاهِدُ اللهَ لَأَجْلِسَنَّ لَهُ غَدًا بِحَجَرٍ مَا أُطِيقُ حَمْلَهُ، فَإِذَا سَجَدَ

فِي صَلَاتِهِ فَضَخْتُ بِهِ رَأْسَهُ، فَأَسْلِمُونِي عِنْدَ ذَلِكَ أَوْ امْنَعُونِي، فَلْيَصْنَعْ بَعْدَ ذَلِكَ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ مَا بَدَا لَهُمْ».

فَقَالُوا: «وَاللهِ لَا نُسْلِمُكَ لِشَيْءٍ أَبَدًا، فَامْضِ لِمَا تُرِيدُ».

فَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُو جَهْلٍ أَخَذَ حَجَرًا كَمَا وَصَفَ، ثُمَّ جَلَسَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ يَنْتَظِرُهُ، وَغَدَا رَسُولُ اللهِ ﷺ كَمَا كَانَ يَغْدُو، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَكَّةَ وَقِبْلَتُهُ إِلَىٰ الشَّامِ، فَكَانَ إِذَا صَلَّىٰ صَلَّىٰ بَيْنَ الرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ وَالْحَجَرِ الْأَسْوَدِ، وَجَعَلَ الْكَعْبَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّامِ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي، وَقَدْ غَدَتْ قُرَيْشٌ فَجَلَسُوا فِي أَنْدِيَتِهِمْ يَنْتَظِرُونَ مَا أَبُو جَهْلٍ فَاعِلٌ، فَلَمَّا سَجَدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ احْتَمَلَ أَبُو جَهْلٍ الْحَجَرَ، ثُمَّ أَقْبَلَ نَحْوَهُ، حَتَّىٰ إِذَا دَنَا مِنْهُ رَجَعَ مُنْهَزِمًا مُنْتَقِعًا -أَيْ مُتَغَيِّرًا لَوْنُهُ- مَرْعُوبًا، قَدْ يَبِسَتْ يَدَاهُ عَلَىٰ حِجْرِهِ، حَتَّىٰ قَذَفَ الْحَجَرَ مِنْ يَدِهِ.

وَقَامَتْ إِلَيْهِ رِجَالُ قُرَيْشٍ، فَقَالُوا لَهُ: «مَالَكَ يَا أَبَا الْحَكَمِ؟».

قَالَ: «قُمْتُ إِلَيْهِ لِأَفْعَلَ بِهِ مَا قُلْتُ لَكُمْ الْبَارِحَةَ، فَلَمَّا دَنَوْتُ مِنْهُ عَرَضَ لِي دُونَهُ فَحْلٌ مِنَ الْإِبِلِ، لَا وَاللهِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَ هَامَتِهِ -وَالْهَامَةُ الرَّأْسُ- وَلَا مِثْلَ قَصَرَتِهِ -وَالْقَصَرَةُ أَصْلُ الْعُنُقِ- وَلَا أَنْيَابِهِ لِفَحْلٍ قَطُّ، فَهَمَّ بِي أَنْ يَأْكُلَنِي».

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَذُكِرَ لِي أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**ذَلِكَ جِبْرِيلُ** عليه السلام **لَوْ دَنَا لَأَخَذَهُ**».

www.menhag-un.com

❁ ❁ ❁

أَوَّلُ مَنْ سَلَّ سَيْفًا فِي سَبِيلِ اللهِ

رَوَىٰ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي مُصَنَّفِهِ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ مُرْسَلٍ لَكِنَّهُ يَتَقَوَّىٰ إِلَىٰ دَرَجَةِ الْحُسْنِ لِشَوَاهِدِهِ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «إِنَّ أَوَّلَ مَنْ سَلَّ سَيْفًا فِي سَبِيلِ اللهِ الزُّبَيْرُ؛ نُفِحَ نَفْحَةً نَفَحَهَا الشَّيْطَانُ: أُخِذَ رَسُولُ اللهِ -أَيْ قُتِلَ، يَعْنِي أَذَاعُوا ذَلِكَ وَبَثُّوهُ- فَخَرَجَ الزُّبَيْرُ يَشُقُّ النَّاسَ بِسَيْفِهِ وَالنَّبِيُّ ﷺ بِأَعْلَىٰ مَكَّةَ فَلَقِيَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ ﷺ: «**مَا لَكَ يَا زُبَيْرُ؟**».

قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّكَ أُخِذْتَ؟

قَالَ: فَصَلَّىٰ عَلَيْهِ - أَيْ فَدَعَا لَهُ- ودَعَا لَهُ وَلِسَيْفِهِ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

حَاوَلَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَرَادَ تَرْغِيبَهُ مِنْ بَعْدِمَا حَاوَلُوا تَرْهِيبَهُ فعَرَضَ عَلَيْهِ أُمُورًا: إِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تُرِيدُ بِمَا جِئْتَ بِهِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مَالًا جَمَعْنَا لَكَ أَمْوَالًا حَتَّىٰ تَكُونَ أَكْثَرَنَا مَالًا! وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ شَرَفًا سَوَّدْنَاكَ عَلَيْنَا حَتَّىٰ لَا نَقْطَعُ أَمْرًا دُونَكَ! وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ مُلْكًا مَلَّكْنَاكَ عَلَيْنَا! وَإِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ رِئِيًّا تَرَاهُ لَا تَسْتَطِيعُ رَدَّهُ عَنْ نَفْسِكَ طَلَبْنَا لَكَ الطِّبَّ وَبَذَلْنَا فِيهِ أَمْوَالَنَا حَتَّىٰ نُبْرِئَكَ مِنْهُ؛ فَإِنَّهُ رُبَّمَا غَلَبَ التَّابِعُ عَلَىٰ الرَّجُلِ -يَعْنِي الْجِنِّيَّ-.

فَيَقُولُ إِنْ كَانَ بِكَ صَرَعٌ أَوْ جُنُونٌ فَإِنَّا نَبْذُلُ أَمْوَالَنَا مِنْ أَجْلِ أَنْ نُطَبِّبَكَ- حَتَّىٰ يُدَاوَىٰ مِنْهُ».

يَعْنِي فَإِنَّهُ رُبَّمَا غَلَبَ التَّابِعُ عَلَىٰ الرَّجُلِ حَتَّىٰ يُدَاوَىٰ مِنْهُ، فَصَارَ يَتَكَلَّمُ وَالنَّبِيُّ سَاكِتٌ ﷺ لَا يَتَكَلَّمُ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَقَدْ فَرَغْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟**».

قَالَ: «نَعَمْ».

قَالَ: «**فَاسْمَعْ مِنِّي**».

قَالَ: «أَفْعَلُ» فَقَرَأَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ آيَاتٍ مِنْ صَدْرِ سُورَةِ فُصِّلَتْ فَلَمَّا وَصَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ مَوْضِعِ السَّجْدَةِ فِي سُورَةِ فُصِّلَتْ سَجَدَ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «**قَدْ سَمِعْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ مَا سَمِعْتَ أَنْتَ وَذَاكَ**».

مَا تَكَلَّمَ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ مِنْ كَلَامِ الْبَشَرِ، وَإِنَّمَا قَرَأَ عَلَيْهِ كَلَامَ رَبِّ الْبَشَرِ.

وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا بَلَغَ ﴿**فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ**﴾ [فصلت: ١٣].

قَامَ عُتْبَةُ وَوَضَع يَدَهُ عَلَىٰ فَمِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَ: «أَنْشُدُكَ اللهَ وَالرَّحِمَ» يَعْنِي لَا تَفْعَلْ لَا تَدْعُ اللهَ عَلَيْنَا أَنْ يَأْتِيَنَا بِصَاعِقَةٍ.

❁ ❁ ❁

www.menhag-un.com

مُقَاطَعَةُ قُرَيْشٍ لِبَنِي هَاشِمٍ وَالْإِضْرَابُ عَنْهُمْ

حَاوَلُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مَا حَاوَلُوا، ذَهَبُوا يُفَاوِضُونَ عَلَيْهِ أَبَا طَالِبٍ، ثُمَّ كَانُوا يُكَلِّمُونَهُ هُوَ، ثُمَّ أَرَادُوا اغْتِيَالَهُ وَصَرَفَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ذَلِكَ؛ فَلَجَأَتْ قُرَيْشٌ إِلَىٰ وَسِيلَةٍ أُخْرَىٰ وَهِيَ الْمُقَاطَعَةُ بَعْدَ أَنْ قَامَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَ مَا قَالَ رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ حَلٍّ لِهَذِهِ الْمُشْكِلَةِ الَّتِي وَقَعَتْ لَهُمْ وَنَزَلَتْ بِهِمْ.

فَرَأَوْا أَنْ تَكُونَ الْمُقَاطَعَةُ التَّامَّةُ لِبَنِي هَاشِمٍ؛ ذَلِكَ أَنَّهُمْ اجْتَمَعُوا فَتَحَالَفُوا عَلَىٰ بَنِي هَاشِمٍ عَلَىٰ أَلَّا يُنَاكِحُوهُمْ وأَلَّا يُبَايِعُوهُمْ وَلَا يُجَالِسُوهُمْ وأَلَّا يُكَلِّمُوهُمْ، وَكَتَبُوا بِذَلِكَ صَحِيفَةً فِيهَا عُهُودٌ وَمَوَاثِيقُ أَلَّا يَقْبَلُوا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ صُلْحًا أَبَدًا وَلَا تَأْخُذْهُمْ بِهِمْ رَأْفَةٌ حَتَّىٰ يُسْلِمُوا لَهُمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَيَقْتُلُوهُ، تَمَّ هَذَا الْمِيثَاقُ وَعُلِّقَتِ الصَّحِيفَةُ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ.

لَمَّا رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَدْ كَثُرُوا وَعَزُّوا بَعْدَ إِسْلَامِ حَمْزَةَ وَعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَأَنَّ الْمُهَاجِرِينَ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ قَدْ نَزَلُوا بَلَدًا أَصَابُوا بِهِ أَمْنًا وَقَرَارًا، وَأَنَّ النَّجَاشِيَّ قَدْ مَنَعَ مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ، ورَأَوُا الْإِسْلَامَ يَفْشُو فِي الْقَبَائِلِ وحَاوَلُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يَصِلُوا إِلَىٰ شَيْءٍ؛ أَجْمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَقْتُلُوا النَّبِيَّ ﷺ.

فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا طَالِبٍ فجمَعَ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ فَأَمَرَهُمْ فَأَدْخَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ شِعْبَهُمْ شِعْبِ بَنِي هَاشِمٍ ومَنَعُوهُ مِمَّنْ أَرَادُوا قَتْلَهُ؛ فَأَجَابُوهُ لِذَلِكَ حَتَّىٰ كُفَّارُهُمْ حَتَّىٰ كُفَّارُ بَنِي هَاشِمٍ دَخَلُوا مَعَ أَبِي طَالِبٍ فِي هَذَا الْأَمْرِ حِمَايَةً لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَعَلُوا ذَلِكَ حَمِيَّةً لِلرَّحِمِ وَالْقَرَابَةِ عَلَىٰ عَادَةِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي ذَلِكَ.

وَلَمْ يَشِذَّ عَنْ هَذَا الْإِجْمَاعِ إِلَّا أَبُو لَهَبِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَدِ انْحَازَ إِلَىٰ قُرَيْشٍ وَظَاهَرَهُمْ، فَلَمَّا رَأَتْ قُرَيْشٌ ذَلِكَ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَائْتَمَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ عَلَىٰ أَنْ يَكْتُبُوا كِتَابًا يَتَعَاقَدُونَ فِيهِ عَلَىٰ بَنِي هَاشِمٍ وَالْمُطَّلِبِ: أَلَّا يَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ وَلَا يُنْكِحُوهُمْ، وَلَا يَبِيعُوا مِنْهُمْ شَيْئًا وَلَا يَبْتَاعُوا، وَلَا يَقْبَلُوا مِنْهُمْ صُلْحًا أَبَدًا حَتَّىٰ يُسْلِمُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ إِلَيْهِمْ؛ لِيَقْتُلُوهُ، وَكَتَبُوهُ فِي صَحِيفَةٍ بِخَطِّ مَنْصُورِ بْنِ عِكْرِمَةَ فِي رِوَايَةِ ابْنِ إِسْحَاقَ: وَقَالَ ابْنُ سَعْدٍ: بِخَطِّ بَغِيضِ بْنِ عَامِرٍ وَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ: بِخَطِّ النَّضِرِ بْنِ الْحَارِثِ، فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ كَاتِبِهَا فشَلَّتْ يَمِينُهُ، وَعَلَّقُوا الصَّحِيفَةَ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ هِلَالَ الْمُحَرَّمِ سَنَةَ سَبْعٍ مِنَ النُّبُوَّةِ.

مَا وَرَدَ مِنْ تَفَاصِيلِ أَمْرِ الْمُقَاطَعَةِ كُلُّهُ مَرَاسِيلُ لَمْ تَثْبُتْ رِوَايَةٌ صَحِيحَةٌ فِي تَفَاصِيلِهَا لَكِنَّ أَصْلَ الْحَادِثَةِ ثَابِتٌ.

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: وَلَمَّا لَمْ يَثْبُتْ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ اكْتَفَىٰ بِإِيرَادِ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ لِأَنَّ فِيهِ دَلَالَةً عَلَىٰ أَصْلِ الْقِصَّةِ؛ لِأَنَّ الَّذِي أَوْرَدَهُ أَهْلُ الْمَغَازِي مِنْ ذَلِكَ كَالشَّرْحِ لِقَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ: «**تَقَاسَمُوا عَلَىٰ الْكُفْرِ**».

لَمَّا رَأَتْ قُرَيْشٌ صَبْرَ الْمُسْلِمِينَ عَلَىٰ الْأَذَىٰ وَفُشُوَّ الْإِسْلَامِ فِي الْقَبَائِلِ سَاءَهَا ذَلِكَ، وَأَجْمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَتَعَاقَدُوا عَلَىٰ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ ابْنَيْ عَبْدِ مَنَافٍ بِبُنُودِ الْمُقَاطَعَةِ الَّتِي مَرَّ ذِكْرُهَا.

◉◉◉

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

ثَلَاثَةُ أَعْوَامٍ فِي شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ

فَمَكَثَ بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ مُؤْمِنُهُمْ وَكَافِرُهُمْ إِلَّا أَبَا لَهَبٍ لَبِثُوا فِي شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ مَحْصُورِينَ مُضَيَّقًا عَلَيْهِمْ جِدًّا نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِ سِنِينَ، ثُمَّ سَعَىٰ فِي نَقْضِ تِلْكَ الصَّحِيفَةِ أَقْوَامٌ مِنْ قُرَيْشٍ، ثُمَّ رَجَعَ بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ إِلَىٰ مَكَّةَ يَعْنِي مِنَ الشِّعْبِ.

وَالشِّعْبُ طَرِيقٌ بَيْنَ جَبَلَيْنِ، وَشِعْبُ أَبِي طَالِبٍ مَا زَالَ مَعْرُوفًا إِلَىٰ الْيَوْمِ بِمَكَّةَ.

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيْنَ تَنْزِلُ غَدًا؟ -فِي حَجَّتِهِ- قَالَ: «**وَهَلْ تَرَكَ لَنَا عَقِيلٌ مَنْزِلًا؟**».

ثُمَّ قَالَ: «**نَحْنُ نَازِلُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللهُ بِخَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ** -يَعْنِي الْمُحَصَّبَ- **حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَىٰ الْكُفْرِ**».

ذَلِكَ أَنَّ بَنِي كِنَانَةَ حَالَفَتْ قُرَيْشًا عَلَىٰ بَنِي هَاشِمٍ أَلَّا يُنَاكِحُوهُمْ وَلَا يُبَايِعُوهُمْ وَلَا يُؤْوهُمْ، ثُمَّ قَالَ عِندَ ذَلِكَ «**لَا يَرِثُ الْكَافِرُ الْمُسْلِمَ، وَلَا الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ**» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ بِمِنًىٰ: «**نَحْنُ نَازِلُونَ غَدًا بِخَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ حَيْثُ تَقَاسَمُوا** -أَيْ تعَاقَدُوا وَتَعَاهَدُوا- **عَلَىٰ الْكُفْرِ بِمَسْأَلَةِ الصَّحِيفَةِ ذَلِكَ أَنَّ قُرَيْشًا وَبَنِي كِنَانَةَ تَحَالَفَتْ عَلَىٰ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ أَلَّا يُنَاكِحُوهُمْ وَلَا يُبَايِعُوهُمْ حَتَّىٰ يُسْلِمُوا إِلَيْهِمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَعْنِي بِذَلِكَ الْمُحَصَّبَ**» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الَّذِي ذَكَرَهُ أَصْحَابُ الْمَغَازِي كَمَا قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ كَالشَّرْحِ لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ هَذَا وَهُوَ ثَابِتٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ: «**حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَىٰ الْكُفْرِ**».

هَذَا هُوَ، وَهُوَ لَوْنٌ جَدِيدٌ، هَذَا هُوَ مَا لَجَأَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ فِي مُحَارَبَةِ الدَّعْوَةِ: الْحِصَارُ الِاقْتِصَادِيُّ، وَالْحِصَارُ الِاجْتِمَاعِيُّ فِي آخِرِ الْعَامِ السَّابِعِ مِنَ الْبِعْثَةِ.

ازْدَادَ إِيذَاءُ قُرَيْشٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَلِأَصْحَابِهِ أَمَامَ صَبْرِ الرَّسُولِ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ عَلَىٰ الْأَذَىٰ وَإِصْرَارِهِمْ عَلَىٰ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ وَإِزَاءَ فُشُوِّ الْإِسْلَامِ فِي الْقَبَائِلِ وَبُلُوغِ الْأَذَىٰ قِمَّتَهُ فِي الْحِصَارِ الْمَادِيِّ وَالْمَعْنَوِيِّ الَّذِي ضَرَبَتْهُ قُرَيْشٌ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ وَمَا انْعَطَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَرَابَتِهِ حَتَّىٰ الْكُفَّارُ مِنْهُمْ الَّذِينَ دَخَلُوا الشِّعْبَ أَيْضًا وَقَعَتْ بُنُودُ الْمُقَاطَعَةِ عَلَيْهِمْ! لَا يُنَاكِحُونَهُمْ وَلَا يُبَايِعُونَهُمْ وَلَا يُؤْوِنَهُمْ حَتَّىٰ وَهُمْ عَلَىٰ دِينِهِمْ.

قَالَ الزُّهْرِيُّ: ثُمَّ إِنَّ الْمُشْرِكِينَ اشْتَدُّوا عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ كَأَشَدِّ مَا كَانُوا حَتَّىٰ بَلَغَ الْمُسْلِمِينَ الْجُهْدَ وَاشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْبَلَاءُ وَأَجْمَعَتْ قُرَيْشٌ فِي مَكْرِهَا أَنْ يَقْتُلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَانِيَةً.

فَلَمَّا رَأَىٰ أَبُو طَالِبٍ ذَلِكَ، وَرَأَىٰ عَمَلَ الْقَوْمِ؛ جَمَعَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُدْخِلُوا رَسُولَ الله ﷺ شِعْبَهُمْ، فَلَمَّا رَأَتْ قُرَيْشٌ ذَلِكَ وَأَنَّهُ قَدْ حَظِيَ بِالْمَنَعَةِ لَجَأُوا إِلَىٰ هَذَا الْأُسْلُوبِ وَهُوَ الْحِصَارُ الِاقْتِصَادِيُّ وَالِاجْتِمَاعِيُّ عَلَىٰ أَلَّا يَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ وَلَا يُنْكِحُوهُمْ وَلَا يَبِيعُوهُمْ شَيْئًا وَلَا يَبْتَاعُوا مِنْهُمْ وَلَا يَدَعُوا سَبَبًا مِنْ أَسْبَابِ الرِّزْقِ يَصِلُ إِلَيْهِم، وَلَا يَقْبَلُوا مِنْهُمْ صُلْحًا وَلَا تَأْخُذُهُمْ بِهِمْ رَأْفَةٌ وَلَا يُخَالِطُوهُمْ وَلَا يُجَالِسُوهُمْ وَلَا يُكَلِّمُوهُمْ وَلَا يَدْخُلُوا بُيُوتَهُمْ حَتَّىٰ يُسْلِمُوا إِلَيْهِم رَسُولَ اللهِ ﷺ لِلقَتْلِ، ثُمَّ تَعَاهَدُوا وَتَوَاثَقُوا عَلَىٰ ذَلِكَ وَعَلَّقُوا الصَّحِيفَةَ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ تَوْكِيدًا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ.

لَبِثَ بَنُو هَاشِمٍ فِي شِعْبِهِمْ ثَلَاثَ سِنِينَ، وَاشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْبَلَاءُ وَالْجَهْدُ وَقَطَعُوا عَنْهُمُ الْأَسْوَاقَ، فَلَا يَتْرُكُونَ طَعَامًا يَقْدَمُ مِنْ مَكَّةَ وَلَا بَيْعًا إِلَّا بَادَرُوهُمْ إِلَيْهِ فَاشْتَرَوْهُ يُرِيدُونَ بِذَلِكَ أَنْ يُدْرِكُوا سَفْكَ دَمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَكَانَ أَبُو طَالِبٍ إِذَا أَخَذَ النَّاسُ مَضَاجِعَهُمْ أَمَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَتَىٰ فِرَاشَهُ؛ حَتَّىٰ يَرَاهُ مَنْ أَرَادَ بِهِ مَكْرًا أَوْ غَائِلَةً، فَإِذَا نَامَ النَّاسُ أَخَذَ أَحَدَ بَنِيهِ أَوْ إِخْوَتِهِ أَوْ بَنِي عَمِّهِ فَاضْطَجَعَ عَلَىٰ فِرَاشِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَمَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يَأْتِيَ بَعْضَ فُرُوشِهِمْ حَتَّىٰ يَرْقُدَ عَلَيْهِ.

وَاشْتَدَّ الْحِصَارُ عَلَىٰ الصَّحَابَةِ وَبَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ حَتَّىٰ اضْطُرُّوا إِلَىٰ أَكْلِ وَرَقِ الشَّجَرِ، وَقَدْ أُصِيبُوا بِظَلَفِ الْعَيْشِ وَشِدَّتِهِ إِلَىٰ حَدٍّ أَنَّ أَحَدَهُمْ

يَخْرُجُ لِيَبُولَ فَيَسْمَعَ بِقَعْقَعَةِ شَيْءٍ تَحْتَهُ أَيْ تَحْتَ بَوْلِهِ فَإِذَا هِيَ قِطْعَةٌ مِنْ جِلْدِ بَعِيرٍ فَيَأْخُذُهَا فَيَغْسِلُهَا ثُمَّ يَحْرِقُهَا ثُمَّ يَسْحَقُهَا ثُمَّ يَسْتَفُّهَا وَيَشْرَبُ عَلَيْهَا الْمَاءَ، فَيَتَقَوَّىٰ بِهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَحَتَّىٰ لَتَسْمَعُ قُرَيْشٌ صَوْتَ الصِّبْيَةِ يَتَضَاغَوْنَ مِنْ وَرَاءِ الشِّعْبِ مِنَ الْجُوعِ!

❁ ❁ ❁

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة الثَّانِيَة عَشْرَة)

مِنْ مَادَّةِ

سِيرَة النَّبِيِّ ﷺ

[الْعَهْدُ الْمَكِّيُّ - ج٢]

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

نَقْضُ الصَّحِيفَةِ وَإِنْهَاءُ الْمُقَاطَعَةِ

فَلَمَّا كَانَ رَأْسُ ثَلَاثِ سِنِينَ قَيَّضَ اللهُ تَعَالَىٰ لِنَقْضِ الصَّحِيفَةِ أُنَاسًا مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ فَسَعَوْا فِي نَقْضِهَا حَتَّىٰ نُقِضَتْ.

فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَهِيَ السَّنَةُ السَّابِعَةُ مِنَ الْبِعْثَةِ اعْتَزَلَ بَنُو هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ وَتَبِعَهُمْ إِخْوَانُهُمْ بَنُو الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ مَعَ أَبِي طَالِبٍ إِلَىٰ شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ أَقَامُوا بِهِ ثَلَاثَ سِنِينَ إِلَىٰ أَنْ سَعَىٰ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيِّ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ وَزَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ أَسَدٍ فِي نَقْضِ الصَّحِيفَةِ؛ فَخَرَجَ بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ مِنَ الشِّعْبِ فِي أَوَاخِرِ السَّنَةِ التَّاسِعَةِ مِنَ الْبِعْثَةِ ثَلَاثَةَ أَعْوَامٍ كَامِلَةٍ عِجَافٍ مُسْنِتَةٍ شَاقَّةٌ مُجْهِدَةٌ فِيهَا الْجُوعُ وَفِيهَا الْحِصَارُ وَفِيهَا الْقَلَقُ وَفِيهَا الِانْتِظَارُ وَفِيهَا الْخَوْفُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَمْ يَصْرِفْهُمْ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِمْ وَلَا حَرَّكَهُمْ قِيدَ أُنْمُلَةٍ عَنْ إِيمَانِهِمْ رضي الله عنهم.

وَمَعَهُمْ كُفَّارٌ يُعَانُونَ مَا يُعَانُونَ، وَيَجْهَدُونَ كَمَا يَجْهَدُونَ، وَيَتَأَلَّمُونَ كَمَا يَتَأَلَّمُونَ، وَيَجُوعُونَ كَمَا يَجُوعُونَ؛ وَالْبَاعِثُ لَهُمُ الْحَمِيَّةُ وَالْعَصَبِيَّة عَلَىٰ مَا كَانَ مِنَ التَّقَالِيدِ الْعَرَبِيَّةِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقٍ: فَلَمَّا فَعَلَتْ ذَلِكَ قُرَيْشٌ -أَيْ كَتَبَتْ صَحِيفَةَ الْمُقَاطَعَةِ- انْحَازَتْ بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ إِلَىٰ أَبِي طَالِبِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَدَخَلُوا مَعَهُ فِي شِعْبِهِ وَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ وَخَرَجَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ أَبُو لَهَبٍ عَبْدُ الْعُزَّىٰ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، إِلَىٰ قُرَيْشٍ، فَظَاهَرَهُمْ.

فَأَقَامُوا عَلَىٰ ذَلِكَ ثَلَاثَ سِنِينَ جَزَمَ مُوسَىٰ بْنُ عُقْبَةَ بِأَنَّهَا كَانَتْ ثَلَاثَ سِنِينَ حَتَّىٰ جَهِدُوا وَلَمْ يَكُنْ يَأْتِيهِمْ شَيْءٌ مِنَ الْأَقْوَاتِ إِلَّا خُفْيَةً؛ حَتَّىٰ كَانُوا يُؤْذُونَ مَنِ اطَّلَعُوا عَلَىٰ أَنَّهُ أَرْسَلَ إِلَىٰ بَعْضِ أَقَارِبِهِ شَيْئًا مِنَ الصِّلَاتِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ مَعَهُمْ مِنْ شَتَّىٰ الْقَبَائِلِ.

الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حُوصِرُوا فِي الشِّعْبِ وَلَمْ يَكُونُوا جَمِيعًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَلَا مِنْ بَنِي الْمُطَّلِبِ فَبَعْضُ قَرَابَتِهِمْ رُبَّمَا أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ خُفْيَةً بَعْضَ الْأَمْدَادِ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ أَوِ الْكِسَاءِ، فَمَنْ عَلِمُوا أَنَّهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ وَاطَّلَعُوا عَلَىٰ أَنَّهُ أَرْسَلَ إِلَىٰ بَعْضِ أَقَارِبِهِ شَيْئًا مِنَ الصَّلَاتِ آذَوْهُ، إِلَىٰ أَنْ قَامَ فِي نَقْضِ الصَّحِيفَةِ نَفَرٌ مِنْ أَشَدِّهِمْ فِي ذَلِكَ صَنِيعًا: هِشَامُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ الْعَامِرِيُّ.

كَانَتْ أُمُّ أَبِيهِ تَحْتَ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ قَبْلَ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا جَدُّهُ، فَكَانَ يَصِلُهُمْ وَهُمْ فِي الشِّعْبِ، ثُمَّ مَشَىٰ إِلَىٰ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ وَكَانَتْ أُمُّهُ عَاتِكَةَ بِنْتَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَكَلَّمَهُ فِي ذَلِكَ فَوَافَقَهُ، وَمَشَيَا جَمِيعًا إِلَىٰ الْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ وَإِلَىٰ زَمْعَةَ بْنِ الْأَسْوَدِ فَاجْتَمَعُوا عَلَىٰ ذَلِكَ، فَلَمَّا جَلَسُوا بِالْحِجْرِ تَكَلَّمُوا فِي ذَلِكَ وَأَنْكَرُوهُ وَتَوَاطَئُوا عَلَيْهِ؛ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: «هَذَا أَمْرٌ قُضِيَ بِلَيْلٍ!».

وَفِي آخِرِ الْأَمْرِ أَخْرَجُوا الصَّحِيفَةَ فَمَزَّقُوهَا وَأَبْطَلُوا حُكْمَهَا، وَذَكَر ابْنُ هِشَامٍ أَنَّهُمْ وَجَدُوا الْأَرَضَةَ قَدْ أَكَلَتْ جَمِيعَ مَا فِيهَا إِلَّا اسْمَ اللهِ، وَقِيلَ أَنَّهَا لَمْ تَدَعْ اسْمًا للهِ إِلَّا أَكَلَتْهُ.

كَأَنَّ مَنْ قَالَ هَذَا يُرِيدُ تَنْزِيهَ اسْمَ اللهِ أَنْ يَكُونَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ الظَّالِمَةِ، وَأَنْ يَكُونَ مُهَانًا هَكَذَا وَقَدْ عُلِّقَ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ وَتَجْرِي عَلَيْهِ الْأَحْوَالُ وَالظُّرُوفُ الْجَوِيَّةُ وَمَا أَشْبَهَ!

لَمَّا رَأَتْ قُرَيْشٌ ذَلِكَ وَصَلَتْ إِلَىٰ هَذَا الْحَدِّ الْبَعِيدِ فِي التَّجَرُّدِ مِنْ كُلِّ الْمَعَانِي الْإِنْسَانِيَّةِ لَيْسُوا بِمُسْلِمِينَ فَإِلَىٰ أَيِّ شَيْءٍ نُحَاكِمُهُمْ؟!

هَؤُلَاءِ كُفَّارٌ وَمُشْرِكُونَ؛ فَنَقُولُ: وَصَلُوا إِلَىٰ حَدٍّ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُتَصَوَّرَ فِي تَجَاوُزِ كُلِّ الْحُدُودِ الْإِنْسَانِيَّةِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ يَتَوَقَّفَ عِنْدَهَا الْإِنْسَانُ؛ فَهُمْ كُفَّارٌ؛ سَنُحَاكِمُهُمْ إِلَىٰ إِنْسَانِيَّتِهِمْ، وَلَكِنْ لَا يُبَالُونَ بِشَيْءٍ.

كَاتِبُ الصَّحِيفَةِ قَالُوا: مَنْصُورُ بْنُ عِكْرِمَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: الْمَشْهُورُ أَنَّ مَنْصُورَ بْنَ عِكْرِمَةَ هُوَ الَّذِي كَتَبَ الصَّحِيفَةَ كَمَا ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ؛ فَدَعَا عَلَيْهِ الرَّسُولُ ﷺ فَشَلَّتْ يَدُهُ؛ فَمَا كَانَ يَنْتَفِعُ بِهَا!

جمَعَ أَبُو طَالِبٍ جَمِيعَ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ ومَعَهُمْ الْأَصْحَابُ رضي الله عنهم دَاخِلَ الشِّعْبِ وَلَبِثَ الْمُسْلِمُونَ فِي الشِّعْبِ ثَلَاثَ سِنِينَ اشْتَدَّ عَلَيْهِمْ فِيهِنَّ الْبَلَاءُ وَالْجَهْدُ؛ قَطَعَتْ عَنْهُمْ قُرَيْشٌ الْمِيرَةَ وَالْمَادَّةَ، وَقَطَعَتْ عَلَيْهِمْ الْأَسْوَاقَ لَا يَتْرُكُونَ طَعَامًا يَدْنُو مِنْ مَكَّةَ وَلَا بَيْعًا إِلَّا بَادَرُوا إِلَيْهِ فَاشْتَرَوْهُ دُونَهُمْ؛ لِيَقْتُلَهُمُ الْجُوعُ.

وَكَانَ أَبُو لَهَبٍ يَدُورُ بَيْنَ التُّجَّارِ وَيَقُولُ لَهُمْ: «غَالُوا عَلَىٰ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ؛ حَتَّىٰ لَا يُدْرِكُوا مَعَكُمْ شَيْئًا وَأَنَا أَدْفَعُ لَكُمْ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً!».

فَيَزِيدُونَ عَلَيْهِمْ فِي السِّلْعَةِ قِيمَتَهَا أَضْعَافًا حَتَّىٰ يَرْجِعَ الرَّجُلُ إِلَىٰ أَطْفَالِهِ وَهُمْ يَتَضَاغَوْنَ مِنَ الْجُوعِ وَلَيْسَ فِي يَدَيْهِ شَيْءٌ يُطْعِمُهُمْ بِهِ، وَيَغْدُو التُّجَّارُ عَلَىٰ أَبِي لَهَبٍ فَيُرْبِحَهُمْ؛ حَتَّىٰ جَهِدَ الْمُؤْمِنُونَ وَمَنْ مَعَهُمْ جُوعًا وَعُرْيًا وَحَتَّىٰ سُمِعَ أَصْوَاتُ صِبْيَانِهِمْ مِنْ وَرَاءِ الشِّعْبِ، وَاضْطُرُّوا إِلَىٰ أَكْلِ وَرَقِ الشَّجَرِ وَالْجُلُودِ وَهَلَكَ مِنْهُمْ مَنْ هَلَكَ!

أَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: «خَرَجْتُ مِنَ اللَّيْلِ أَبُولُ، وَإِذَا أَنَا أَسْمَعُ بِقَعْقَعَةٍ تَحْتَ بَوْلِي، فَإِذَا قِطْعَةُ جِلْدِ بَعِيرٍ، فَأَخَذْتُهَا وَغَسَلْتُهَا ثُمَّ أَحْرَقْتُهَا ثُمَّ رَضَضْتُهَا وَسَفَفْتُهَا بِالْمَاءِ وَشَرِبْتُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَاءِ، فَقَوِيتُ بِهَا ثَلَاثًا».

ضُيِّقَ الْحِصَارُ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ وَانْقَطَعَ عَنْهُمُ الْعَوْنُ وَقَلَّ الْغَذَاءُ حَتَّىٰ بَلَغَ الجَهْدُ أَقْصَاهُ وَسَمِعَ بِبُكَاءِ أَطْفَالِهِمْ مَنْ وَرَاءَ الشِّعْبِ وَعَضَّدَتْهُمُ الْأَزَمَاتُ

الْعَصَبِيَّةُ؛ حَتَّىٰ رَثِي لِحَالِهِمْ الْخُصُومُ وَمَعَ اكْفِهْرَارِ الْجَوِّ فِي وُجُوهِهِمْ فَقَدْ تحَمَّلُوا فِي ذَاتِ اللهِ الْوَيْلَاتِ.

سَرَّ هَذَا الْأَمْرَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ وَكَانَ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَبْعَثَ إِلَىٰ الْمَحْصُورِينَ طَعَامًا إِلَّا سِرًّا مُسْتَخْفِينَ مِمَّنْ أَرَادَ صِلَتَهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ، وَكَانَ مِمَّنْ يَصِلُهُمْ حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ.

أَسْلَمَ حَكِيمٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي فَتْحِ مَكَّةَ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ، يَعْنِي لَمْ يَكُنْ مُسْلِمًا وَهُوَ يَصْنَعُ ذَلِكَ، هُوَ ابْنُ أَخِي السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

وَيَصِلُهُمْ أَيْضًا هِشَامُ بْنُ عَمْرٍو الْعَامِرِيُّ، وكَانَ أَوْصَلَهُمْ لِبَنِي هَاشِمٍ، فَكَانَ يَأْتِي بِالْبَعِيرِ لَيْلًا، فَيُوقِرُهُ، يَعْنِي يَحْمِلُهُ، فَيُوقِرُهُ طَعَامًا ثُمَّ يَضْرِبُهُ بِاتِّجَاهِ الشِّعْبِ وَيَتْرُكُ زِمَامَهُ؛ لِيَصِلَ إِلَىٰ الْمَحْصُورِينَ.

وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ كَانَ حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ مَعَهُ غُلَامٌ يَحْمِلُ قَمْحًا يُرِيدُ بِه عَمَّتَهُ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَهِيَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ فِي الشِّعْبِ مَحْصُورَةٌ أَيْضًا، وَكَانَتْ مِنْ أَيْسَرِ قُرَيْشٍ وَلَها تِجَارَةٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فَقَابَلَهُ أَبُو جَهْلٍ فَتَعَلَّقَ بِهِ، وَقَالَ لَهُ: «أَتَذْهَبُ بِالطَّعَامِ إِلَىٰ بَنِي هَاشِمٍ؟ فَوَاللهِ لَا تَبْرَحُ أَنْتَ وَطَعَامُكَ حَتَّىٰ أَفْضَحَكَ بِمَكَّةَ!».

فَجَاءَهُ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ بْنُ هِشَامٍ فَقَالَ: «مَا لَكَ وَلَهُ؟!».

فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: «يَحْمِلُ الطَّعَامَ إِلَىٰ بَنِي هَاشِمٍ».

فَقَالَ لَهُ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ: «طَعَامٌ كَانَ لِعَمَّتِهِ عِنْدَهُ بَعَثَتْ إِلَيْهِ أَفَتَمْنَعُهُ أَنْ يَأْتِيَهَا بِطَعَامِهَا؟! خَلِّ سَبِيلَ الرَّجُلِ».

فَأَبَىٰ أَبُو جَهْلٍ حَتَّىٰ نَالَ أَحَدُهُمَا مِنَ الْآخَرِ، فَأَخَذ أَبُو الْبَخْتَرِيُّ لَحْيَ بَعِيرٍ فَضَرَبَهُ بِهِ فَشَجَّهُ وَوَطِئَهُ وَطْأً شَدِيدًا، وَحَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَرِيبٌ يَرَىٰ ذَلِكَ وَهُمْ يَكْرَهُونَ أَنْ يَبْلُغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ فَيَشْمَتُوا بِهِمْ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقٍ: وَمَعَ كُلِّ ذَلِكَ فَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُو قَوْمَهُ لَيْلًا وَنَهارًا سِرًّا وَجَهْرًا مُبَادِيًا بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَىٰ لَا يَتَّقِي فِيهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ.

فِي فَتْرَةِ الْمُقَاطَعَةِ فِي الشِّعْبِ **وُلِدَ حَبْرُ الْأُمَّةِ وَتَرْجُمَانِ الْقُرْآنِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

قَالَ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: هُوَ حَبْرُ الأُمَّةِ، وَفَقِيْهُ العَصْرِ، وَإِمَامُ التَّفْسِيرِ، أَبُو العَبَّاسِ عَبْدُ اللهِ، ابْنُ، عَمِّ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ العَبَّاسِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ القُرَشِيُّ، الهَاشِمِيُّ.

مَوْلِدُهُ: بِشِعْبِ بَنِي هَاشِمٍ، قَبْلَ عَامِ الهِجْرَةِ بِثَلاَثِ سِنِيْنَ.

صَحِبَ النَّبِيَّ ﷺ نَحْواً مِنْ ثَلاَثِينَ شَهْرًا، وَحَدَّثَ عَنْهُ بِجُمْلَةٍ صَالِحَةٍ.

وَكَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَسِيمًا جَمِيلًا، مَدِيدَ الْقَامَةِ، مَهِيبًا، كَامِلَ الْعَقْلِ، ذَكِيَّ النَّفْسِ، مِنْ رِجَالِ الْكَمَالِ.

تُوُفِّيَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِالطَّائِفِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ لِلْهِجْرَةِ، فَوُلِدَ فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ فَتْرَةِ الْمُقَاطَعَةِ فِي الشِّعْبِ حَبْرُ الْأُمَّةِ وَتَرْجُمَانِ الْقُرْآنِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

مَكَثَ بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ بِالشِّعْبِ ثَلَاثَ سِنِينَ حَتَّىٰ بَلَغَ مِنْهُمُ الْجُهْدُ وَالْأَذَىٰ مَبْلَغَهُ كَمَا رَأَيْنَا.

قَامَ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ أَهْلِ الْمُرُوءَةِ وَالضَّمَائِرِ فِي مُقَدِّمَتِهِمْ هِشَامُ بْنُ عَمْرِو بْنِ رَبِيعَةَ الَّذِي تَصِلُهُ بِبَنِي هَاشِمٍ صِلَةُ قَرَابَةٍ، وَكَانَ ذَا شَرَفٍ فِي قَوْمِهِ، وَكَانَ قَدْ بَذَلَ جُهْدَهُ أَيَّامَ الْحِصَارِ فَقَدْ مَشَىٰ إِلَىٰ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ الْمَخْزُومِيِّ أُمُّهُ عَاتِكَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ.

فَقَالَ: «يَا زُهَيْرُ، أَقَدْ رَضِيتَ أَنْ تَأْكُلَ الطَّعَامَ وَتَلْبَسَ الثِّيَابَ وتَنْكِحَ النِّسَاءَ وَأَخْوَالُكَ حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ لَا يُبَايَعُونَ وَلا يُبْتَاعُ مِنْهُمْ وَلَا يُنْكَحُونَ وَلَا يُنْكَحُ إِلَيْهِمْ أَمَا إِنِّي أَحْلِفُ بِاللهِ لَوْ كَانُوا أَخْوَالِ أَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ ثُمَّ دَعَوْتَهُ أَنْتَ إِلَىٰ مِثْلِ مَا دَعَاكَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ مَا أَجَابَكُمْ إِلَيْهِ أَبَدًا!».

قَالَ: «وَيْحَكَ يَا هِشَامُ مَاذَا أَصْنَعُ؟!

إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَاللهِ لَوْ كَانَ مَعِي رَجُلٌ آخَرُ لَقُمْتُ فِي نَقْضِهَا حَتَّىٰ أَنْقُضَهَا!».

قَالَ: «قَدْ وَجَدْتُ رَجُلًا».

قَالَ: «مَنْ هُوَ؟».

قَالَ: «أَنَا».

قَالَ لَهُ زُهَيْرٌ: «ابْغِنَا رَجُلًا ثَالِثًا»، فَذَهَبَ إِلَىٰ الْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ فقَالَ: «يَا مُطْعِمُ أَقَدْ رَضِيتَ أَنْ يَهْلِكَ بَطْنَانِ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ وَأَنْتَ شَاهِدٌ عَلَىٰ ذَلِكَ مُوَافِقٌ لِقُرَيْشٍ فِيهِ؟! أَمَا وَاللهِ لَئِنْ أَمْكَنْتُمُوهُمْ مِنْ هَذِهِ لَتَجِدِنَّهُمْ إِلَيْهَا مِنْكُمْ أَسْرَعَ!».

قَالَ: «وَيْحَكَ فَمَاذَا أَصْنَعُ؟! إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ وَاحِدٌ».

قَالَ: «قَدْ وَجَدْتُ ثَانِيًا».

قَالَ: «مَنْ هُوَ؟».

قَالَ: «أَنَا؟».

قَالَ: «ابْغِنَا ثَالِثًا».

قَالَ: «قَدْ فَعَلْتُ».

قَالَ: «مَنْ هُوَ؟».

قَالَ: «زُهَيْرُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ».

قَالَ: «ابْغِنَا رَابِعًا».

فَذَهَبَ إِلَىٰ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ بْنِ هِشَامٍ، فَقَالَ لَهُ نَحْوًا مِمَّا قَالَ لِلْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ، فَقَالَ: «وَهَلْ مِنْ أَحَدٍ يُعِينُ عَلَىٰ هَذَا؟».

قَالَ: «نَعَمْ».

قَالَ: «مَنْ هُوَ؟».

قَالَ: «زُهَيْرُ ابْنُ أَبِي أُمَيَّةَ، وَالْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ، وَأَنَا مَعَكَ».

قَالَ: «ابْغِنَا خَامِسًا».

فَذَهَبَ إِلَىٰ زَمْعَةَ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ الْمُطَّلِبِ، فَكَلَّمَهُ، وَذَكَرَ لَهُ قَرَابَتَهُمْ وَحَقَّهُمْ، فَقَالَ لَهُ: «وَهَلْ عَلَىٰ هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي تَدْعُونِي إِلَيْهِ مِنْ أَحَدٍ؟».

قَالَ: «نَعَمْ»، ثُمَّ سَمَّىٰ لَهُ الْقَوْمَ.

فَاتَّعَدُوا الْحُجُونَ لَيْلًا بِأَعْلَىٰ مَكَّةَ -اتَّعَدُوا أَيْ تَوَاعَدُوا، وَالْحُجُونُ الْجَبَلُ الْمُشْرِفُ مِمَّا يَلِي شِعْبَ الْجَزَّارِينَ بِمَكَّةَ- فَاجْتَمَعُوا هُنَالِكَ. فَأَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وتَعَاقَدُوا عَلَىٰ الْقِيَامِ فِي الصَّحِيفَةِ حَتَّىٰ يَنْقُضُوهَا، قَالَ زُهَيْرٌ: «أَنَا أَبْدَؤُكُمْ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَتَكَلَّمُ!».

فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَوْا إِلَىٰ أَنْدِيَتِهِمْ، وَغَدَا زُهَيْرُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ عَلَيْهِ حُلَّةٌ، فَطَافَ بِالْبَيْتِ سَبْعًا، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَىٰ النَّاسِ فَقَالَ: «يَا أَهْلَ مَكَّةَ، أَنَأْكُلُ الطَّعَامَ وَنَلْبَسُ الثِّيَابَ، وَبَنُو هَاشِمٍ هَلْكَىٰ لَا يُبَاعُونَ وَلَا يُبْتَاعُ مِنْهُمْ، وَاللهِ لَا أَقْعُدُ حَتَّىٰ تُشَقَّ هَذِهِ الصَّحِيفَةُ الْقَاطِعَةُ الظَّالِمَةُ!».

فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ لَعَنَهُ اللهُ، وكَانَ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ: «كَذَبْتَ وَاللهِ لَا تُشَقُّ!».

قَالَ زَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ: «أَنْتَ وَاللهِ أَكْذَبُ، مَا رَضِينَا كِتَابَهَا حَتَّىٰ كُتِبَتْ، أَوْ مَا رَضِينَا كِتَابَهَا حَيْثُ كُتِبَتْ!».

قَالَ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ: «صَدَقَ زَمْعَةُ، لَا نَرْضَىٰ مَا كُتِبَ فِيهَا، وَلَا نُقِرُّ بِهِ» فَهُنَا قَامَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ فَقَالَ: «صَدَقْتُمَا وَكَذَبَ مَنْ قَالَ غَيْرُ ذَلِكَ، نَبْرَأُ إِلَىٰ اللهِ مِنْهَا، وَمِمَّا كُتِبَ فِيهَا» وَقَالَ هِشَامُ بْنُ عَمْرٍو نَحْوًا مِنْ ذَلِكَ. فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ حِينَئِذٍ: «هَذَا أَمْرٌ قُضِيَ بِلَيْلٍ، تُشُورِ فِيهِ بِغَيْرِ هَذَا الْمَكَانِ».

كَانَ الرَّسُولُ ﷺ قَدْ أَخْبَرَ عَمَّهُ أَبَا طَالِبٍ أَنَّ اللهَ قَدْ أَطْلَعَهُ عَلَىٰ أَمْرِ الصَّحِيفَةِ وَأَنَّهُ سُلِّطَ عَلَيْهَا الْأَرَضَةُ -دُوَيْبَةٌ تَأْكُلُ الْخَشَبَ وَالْوَرَقَ وَنَحْوَهُ-؛ فَلَحَسَتْ كُلَّ مَا كَانَ فِيهَا مِنْ جَوْرٍ أَوْ ظُلْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمَ أَوْ بُهْتَانٍ وَلَمْ تَدَعْ فِيهَا اسْمًا للهِ إِلَّا أَثْبَتَتْهُ فِيهَا!

وَفِي رِوَايَةٍ: لَمْ تَتْرُكْ الْأَرَضَةُ اسْمًا للهِ ﷻ إِلَّا لَحَسَتْهُ، وَبَقِيَ مَا فِيهَا مِنْ شِرْكٍ أَوْ ظُلْمٍ وَبَغْيٍ. وَالرِّوَايَةُ الْأُولَىٰ أَثْبَتُ.

فَلَمَّا ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَلِكَ لِعَمِّهِ قَالَ لَهُ: «أَرَبُّكَ أَخْبَرَك بِهَذَا؟!» يَقُولُ لَهُ أَبُو طَالِبٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «أَرَبُّكَ أَخْبَرَكَ بِهَذَا؟!».

قَالَ: «**نَعَمْ**».

قَالَ أَبُو طَالِبٍ: «لَا وَالثَّوَاقِبِ مَا كَذَبْتَنِي!» الثَّوَاقِبُ يُرِيدُ الْكَوَاكِبَ الْمُضِيئَةَ، قَالَ: أَنْتَ إِذًا صَادِقٌ عِنْدِي.

انْطَلَقَ يَمْشِي فِي جَمَاعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ حَتَّىٰ أَتَوْا الْمَسْجِدَ فَلَمَّا رَأَتْهُمْ قُرَيْشٌ ظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ خَرَجُوا مِنْ شِدَّةِ الْبَلَاءِ؛ لِيُسْلِمُوهُمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ،

فَتكَلَّمَ أَبُو طَالِبٍ فقَالَ: «قَدْ حَدَثَتْ أُمُورٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ فَأْتُوا بِصَحِيفَتِكُمْ الَّتِي فِيهَا مَوَاثِيقُكُمْ؛ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ صُلْحٌ».

وَإِنَّمَا قَالَ أَبُو طَالِبٍ ذَلِكَ خَشْيَةَ أَنْ يَنْظُرُوا فِي الصَّحِيفَةِ قَبْلَ أَنْ يَأْتُوا بِهَا! ثُمَّ قَالَ أَبُو طَالِبٍ: «إِنَّمَا أَتَيْتُكُمْ لِأُعْطِيَكُمْ أَمْرًا فِيهِ نَصَفٌ» أَيْ هُوَ أَمْرٌ وَسَطٌ.

«فِيهِ نَصَفٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّ ابْنَ أَخِي قَدْ أَخْبَرَنِي وَلَمْ يَكْذِبْنِي قَطُّ أَنَّ اللهَ سَلَّطَ عَلَىٰ صَحِيفَتِكُمْ الَّتِي كَتَبْتُمْ الْأَرَضَةَ فَأَكَلَتْ جَمِيعَ مَا فِيهَا إِلَّا بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ».

فِي رِوَايَةٍ قَالَ: «لَمْ تَتْرُكْ فِيهَا اسْمًا للهِ إِلَّا لَحَسَتْهُ وَتَرَكَتْ فِيهَا غَدْرَكُمْ وَتَظَاهُرَكُمْ عَلَيْنَا بِالظُّلْمِ، فَإِنْ كَانَ الْحَدِيثُ كَمَا يَقُولُ فَأَفِيقُوا فَوَاللهِ لَا نُسْلِمُهُ حَتَّىٰ نَمُوتَ عَنْ آخِرِنَا، وَإِنْ كَانَ الَّذِي يَقُولُ بَاطِلًا دَفَعْنَا إِلَيْكُمْ صَاحِبَنَا فَقَتَلْتُمْ أَوْ اسْتَحْيَيْتُمْ» يَعْنِي أَنْتُمْ وَمَا تُرِيدُونَ مِنْ شَأْنِكُمْ مَعَهُ.

لَا يُغَامِرُ، كَانَ غَيْرَ مغَامِرٍ هُوَ يَعْلَمُ يَقِينًا صِدْقَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

فَقَالُوا: «قَدْ أَنْصَفْتَنَا، رَضِينَا بِالَّذِي تَقُولُ» فَفَتَحُوا الصَّحِيفَةَ فَوَجَدُوا الْأَمْرَ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ ﷺ.

فلَمَّا رَأَتْ قُرَيْشٌ صِدْقَ مَا جَاءَ بِهِ أَبُو طَالِبٍ سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَنُكِسُوا عَلَىٰ رُؤُوسِهِمْ وَقَالُوا: هَذَا سِحْرُ ابْنُ أَخِيكَ! وَزَادَهُمْ ذَلِكَ بَغْيًا وَعُدْوَانًا وَظُلْمًا.

قَالَ أَبُو طَالِبٍ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، عَلَامَ نُحْبَسُ وَنُحْصَرُ؟! وَقَدْ بَانَ الْأَمْرُ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ أَنَّكُمْ أَوْلَىٰ بِالظُّلْمِ وَالْقَطِيعَةِ وَالْإِسَاءَةِ».

ثُمَّ دَخَلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ بَيْنَ أَسْتَارِ الْكَعْبَةِ وَالْكَعْبَةِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ انْصُرْنَا عَلَىٰ مَنْ ظَلَمَنَا، وَقَطَعَ أَرْحَامَنَا، وَاسْتَحَلَّ مَا يَحْرُمُ عَلَيْهِ مِنَّا» ثُمَّ انْصَرَفُوا إِلَىٰ الشِّعْبِ.

عِنْدَ ذَلِكَ قَامَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ إِلَىٰ الصَّحِيفَةِ فَمَزَّقَهَا، ثُمَّ مَشَىٰ إِلَىٰ أُولَئِكَ الرَّهْطِ مِنْ قُرَيْشٍ الَّذِينَ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عَلَىٰ نَقْضِ الصَّحِيفَةِ؛ فَلَبِسُوا السِّلَاحَ ثُمَّ خَرَجُوا إِلَىٰ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ فَأَمَرُوهُمْ بِالْخُرُوجِ إِلَىٰ مَسَاكِنِهِمْ فَفَعَلُوا، وَكَانَ خُرُوجُهُمْ مِنَ الشِّعْبِ فِي أَوَّلِ السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ مِنَ الْبِعْثَةِ.

لَوْ سَمِعْتَ خَبَرَ الصَّحِيفَةِ وَخَبَرَ نَقْضِهَا مِنَ الدُّكْتُور مُحَمَّد الطَّيِّب النَّجَّار رَحِمَهُ اللَّهُ وَهُوَ يَحْكِيهَا وَيَرْوِيهَا لَنَا فِي سَنَةِ ثَلَاثَةٍ وَسَبْعِينَ وَتِسْعِمِئَةٍ وَأَلْفٍ لَسَمِعْتَ عَجَبًا رَحِمَهُ اللَّهُ وَغَفَرَ لَهُ.

خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الشِّعْبِ يَدْعُو إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَعَادَتْ قُرَيْشٌ لِشَرِّ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ تَعَالَىٰ وَالشِّدَّةِ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، وَظَلَّ أَبُو طَالِبٍ يَحُوطُ ابْنَ أَخِيهِ وَيَمْنَعُهُ إِلَىٰ أَنْ لَاحَقَهُ الْمَرَضُ وَاشْتَدَّ بِهِ؛ حِينَئِذٍ حَاوَلَ الْمُشْرِكُونَ مَرَّةً أُخْرَىٰ أَنْ يَتَفَاوَضُوا مَعَ أَبِي طَالِبٍ وَأَنْ يُفَاوِضُوا النَّبِيَّ نَفْسَهُ ﷺ بَيْنَ يَدَيْ أَبِي طَالِبٍ؛ لِخَوْفِهِمْ أَنْ تُعَيِّرَهُمُ الْعَرَبُ إِنْ أَتَوْا بَعْدَ وَفَاتِهِ بِمُنْكَرٍ عَلَىٰ ابْنِ أَخِيهِ فَيَقُولُونَ: تَرَكُوهُ حَتَّىٰ إِذَا مَاتَ عَمُّهُ تَنَاوَلُوهُ!

انْظُرْ إِلَىٰ مَا يُرَاعُونَ مِنَ الْقَوَاعِدِ الْحَاكِمَةِ لِلْعُرْفِ الَّذِي كَانَ يَحْكُمُ الْبِيئَةَ الْعَرَبِيَّةَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ.

قَالُوا: إِنَّنَا لَوْ سَكَتْنَا حَتَّىٰ يَمُوتَ أَبُو طَالِبٍ ثُمَّ نِلْنَا مِنْ مُحَمَّدٍ لِعَيَّرَتْنَا الْعَرَبُ بِذَلِكَ، فَنُرِيدُ أَنْ نَقْطَعَ هَذَا الْأَمْرَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ أَبُو طَالِبٍ.

❁ ❁ ❁

www.menhag-un.com

آخِرُ مُفَاوَضَاتِ قُرَيْشٍ مَعَ أَبِي طَالِبٍ

فَلَمَّا اشْتَكَىٰ -أَيْ مَرِضَ- أَبُو طَالِبٍ وَبَلَغَ قُرَيْشًا ثِقَلُهُ، قَالَتْ قُرَيْشٌ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ: إِنَّ حَمْزَةَ وَعُمَرَ قَدْ أَسْلَمَا وَقَدْ فَشَا أَمْرُ مُحَمَّدٍ فِي قَبَائِلِ قُرَيْشٍ كُلِّهَا؛ فَانْطَلِقُوا بِنَا إِلَىٰ أَبِي طَالِبٍ؛ فَلْيَأْخُذْ لَنَا عَلَىٰ ابْنِ أَخِيهِ وَلْيُعْطِهِ مِنَّا وَاللهِ لَا نَأْمَنُ أَنْ يَبْتَزُّونَا أَمْرَنَا! ابْتَزَّهُ يَعْنِي قَهَرَهُ وَغَلَبَهُ.

فَمَشَىٰ إِلَيْهِ أَشْرَافُهُمْ، وَكَانُوا خَمْسَةً وَعِشْرِينَ رَجُلًا، مِنْهُمْ: عُتْبَةُ وَشَيْبَةُ ابْنَا رَبِيعَةَ وَأَبُو جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ وَالْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ وَالْأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ وَالْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثَ؛ فَقَدِمُوا رَجُلًا مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنَ لَهُمْ عَلَىٰ أَبِي طَالِبٍ؛ فَأَذِنَ لَهُم.

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا: يَا أَبَا طَالِبٍ، إِنَّكَ كَبِيرُنَا وَسَيِّدُنَا فَأَنْصِفْنَا مِنَ ابْنِ أَخِيكَ؛ فَمُرْهُ فَلْيَكُفَّ عَنْ شَتْمِ آلِهَتِنَا وَنَدَعُهُ وَإِلَهَهُ!

وَفِي لَفْظٍ قَالُوا: يَا أَبَا طَالِبٍ إِنَّكَ مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ، وَقَدْ حَضَرَكَ مَا تَرَىٰ وَتَخَوَّفْنَا عَلَيْكَ وَقَدْ عَلِمْتَ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَ ابْنِ أَخِيكَ فَادْعُهُ فَخُذْ لَنَا مِنْهُ وَخُذْ لَهُ مِنَّا؛ لِيَكُفَّ عَنَّا وَنَكُفَّ عَنْهُ، وَلْيَدَعْنَا وَدِينَنَا وَنَدَعَهُ وَدِينَهُ! فَبَعَثَ إِلَيْه أَبُو طَالِبٍ فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ، فَدَخَلَ الْبَيْتَ وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَبِي طَالِبٍ عِنْدَمَا جَلَسُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ

أَبِي طَالِبٍ قَدْرَ مَجْلِسِ رَجُلٍ، فَخَشِيَ أَبُو جَهْلٍ إِنْ جَلَسَ الرَّسُولُ ﷺ إِلَىٰ جَنْبِ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يَكُونَ أَرَقَّ لَهُ عَلَيْهِ.

كَانَ دَارِسًا لِعِلْمِ النَّفْسِ!! كَانَ ذَكِيًّا فِي الشَّرِّ!

فَوَثَبَ فَجَلَسَ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ، وَلَمْ يَجِدِ النَّبِيُّ ﷺ مَجْلِسًا قُرْبَ عَمِّهِ فَجَلَسَ عِنْدَ الْبَابِ.

فَقَالَ لَهُ أَبُو طَالِبٍ: «يَا ابْنَ أَخِي، هَؤُلَاءِ أَشْرَافُ قَوْمِكَ قَدِ اجْتَمَعُوا لَكَ لِيُعْطُوكَ وَيَأْخُذُوا مِنْكَ».

وَفِي لَفْظٍ: «هَؤُلَاءِ مَشْيَخَةُ قَوْمِهِمْ وَقَدْ سَأَلُوكَ أَنْ تَكُفَّ عَنْ شَتْمِ آلِهَتِهِمْ وَيَدَعُوكَ وَإِلَهَكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ فَقَدْ أَنْصَفُوكَ!».

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَعْطَيْتُكُمْ هَذِهِ هَلْ أَنْتُمْ مُعْطِيَّ كَلِمَةً إِنْ أَنْتُمْ تَكَلَّمْتُمْ بِهَا مَلَكْتُمْ بِهَا الْعَرَبَ وَدَانَتْ لَكُمْ بِهَا الْعَجَمُ؟!**».

وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَ أَبُو طَالِبٍ: «يَا ابْنَ أَخِي مَا تُرِيدُ مِنْ قَوْمِكَ؟».

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أُرِيدُ مِنْهُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً تَدِينُ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ وَتُؤَدِّي إِلَيْهِمْ الْعَجَمُ الْجِزْيَةَ**».

قَالَ أَبُو طَالِبٍ: «كَلِمَةً وَاحِدَةً؟».

قَالَ ﷺ: «**كَلِمَةً وَاحِدَةً**».

فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: «نَعَمْ وَأَبِيكَ وَعَشْرَ كَلِمَاتٍ».

وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ مِنْ بِيْنِ الْقَوْمِ: «إِنَّ هَذِهِ لَكَلِمَةٌ مُرْبِحَةٌ! لَنُعْطِيَنَّكَهَا وَعَشْرًا مَعَهَا فَمَا هِيَ؟!».

قَالَ ﷺ: «**تَقُولُونَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَتَخْلَعُونَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ**».

فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: «وَاللهِ يَا ابْنَ أَخِي مَا رَأَيْتُكَ سَأَلْتَهُمْ شَطَطًا».

أَمَّا زُعَمَاءُ قُرَيْشٍ فَصَفَّقُوا بِأَيدِيهِمْ، ثُمَّ قَالُوا: أَتُرِيدُ يَا مُحَمَّدُ أَنْ تَجْعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ أَمْرَكَ لَعَجَبٌ؟!

ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّهُ وَاللهِ مَا هَذَا الرَّجُلُ بِمُعْطِيكُمْ شَيْئًا مِمَّا تُرِيدُونَ فَانْطَلِقُوا وَامْضُوا عَلَىٰ دِينِ آبَائِكُمْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ، ثُمَّ قَامُوا مِنْ عِنْدِهِ وَهُمْ يَقُولُونَ: وَاللهِ لَنَشْتُمَنَّكَ وَإِلَهَكَ الَّذِي يَأْمُرُكَ بِهَذَا! قَالُوا: فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ صَدْرَ سُورَةِ ص.

الْعَجِيبُ مِنْ شَأْنِ هَؤُلَاءِ مَا فِيهِ حَالُ قُلُوبِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَعُقُولِهِمْ مِنَ التَّخْلِيطِ، يَعْنِي فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ وَقَدِ الْتَقَىٰ الْجَمْعَانِ كَانَ مِنْ دُعَاءِ أَبِي جَهْلٍ «اللَّهُمَّ عَلَىٰ أَقْطَعِنَا لِلرَّحِمِ».

إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ يَدْعُو عَلَىٰ مَنْ يَقْطَعُ الرَّحِمَ وَمَنْ يَأْتِي بِالظُّلْمِ، فَكَانَ يَدْعُو عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ عِنْدَ نَفْسِهِ دَاعِيًا عَلَىٰ نَفْسِهِ. أَمْرٌ عَجِيبٌ!

هُنَا أَيْضًا يَقُولُ: «حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ» هَذَا الْقَائِلُ يَقُولُ لِمَنْ حَضَرَ مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيْشٍ وَهُمْ عَلَىٰ الْكُفْرِ «حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ» يَعْرِفُونَ اللهَ، يَعْبُدُونَ اللهَ، يُحَارِبُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَيَقُولُونَ: «حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ» حُكْمُ اللهِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ.

إِنَّ الْمَبَادِئَ السَّامِيَةَ تَظَلُّ مُثُلًا عُلْيَا فِي عَالَمِ الذِّهْنِ حَتَّىٰ يُوجَدَ مَنْ يُمَثِّلُهَا فِي عَالَمِ الْوَاقِعِ.

وَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ يَتَصَوَّرُ هَذِهِ الْمَبَادِئَ فِي ذِهْنِهِ وَيَتَحَمَّسُ لِلدِّفَاعِ عَنْهَا فِي تَخَيُّلِهِ وَيَرَاهَا الْحَقَّ كُلَّ الْحَقِّ حَتَّىٰ إِذَا تَحَوَّلَ إِلَىٰ عَالَمِ الْوَاقِعِ جَبُنَ عَنِ الدِّفَاعِ عَنْهَا وَضَعُفَ عَنْ تَمْثِيلِهَا بِنَفْسِهِ، وَفَضَّلَ مُدَارَاةِ النَّاسِ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ بَاطِلٍ عَلَىٰ مُجَابَهَتِهِمْ بِمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ.

أَمَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَهُوَ الْإِمَامُ الْأَعْظَمُ وَالْمَثَلُ الْعَالِي فِي تَمْثِيلِ الْحَقِّ وَالدِّفَاعِ عَنْهُ وَمُجَابَهَةِ الْبَاطِلِ وَأَهْلِهِ وَإِنْ اغْتَرُّوا بِكَثْرَتِهِمْ وَقُوَّتِهِمْ الْمَادِيَّةِ! يُبَيِّنُ ذَلِكَ خَيْرَ بَيَانٍ وَأَوْضَحَهُ الرِّوَايَةَ مَرَّتْ عِنْدَ الطَّبَرِيِّ وَغَيْرِهِ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ لَمَّا جَاءَ وَجَدَ الْمَشْيَخَةَ كُلَّهَا، وَجَدَ مَشْيَخَةَ قُرَيْشٍ حَاضِرَةً لَمْ يَرْعَهُ هُوَ وَحْدَهُ بَيْنَهُمْ عَلَىٰ الْحَقِّ، وَهُمْ يَفْعَلُونَ مَا يَفْعَلُونَ وَقَدْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَجَاءُوا بِقَضِّهِمْ وَقَضِيضِهِمْ وَجَاءُوا عَلَىٰ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ وَلَكِنْ فِي الشَّرِّ، وَأَرَادُوا مَا أَرَادُوا وَمَكَرُوا مَا مَكَرُوا وَانْتَصَرَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

يَقُولُ أَبُو طَالِبٍ عِنْدَمَا سَمِعَ كَلَامَهُمْ: «إِنَّهُمْ قَدْ أَنْصَفُوكَ يَا ابْنَ أَخِي» فَلَمَّا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**بَلْ عَلَيْهِمْ أَنْ يُعْطُونِي كَلِمَةً وَاحِدَةً تَدِينُ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ وَتُؤَدِّي لَهُمْ بِهَا الْجِزْيَةَ الْعَجَمُ**».

يَقُولُونَ كَلِمَةً وَاحِدَةً؟ يَقُولُ كَلِمَةً وَاحِدَةً، يَقُولُونَ نُعْطِيكَ عَشْرَ كَلِمَاتٍ، فَحِينَئِذٍ يَقُولُ: قَدْ أَنْصَفَكُمْ! يَعْنِي رَسُولَ اللهِ ﷺ فَانْقَلَبَ الْأَمْرُ عَلَيْهِمْ وَانْقَلَبَ السِّحْرُ عَلَىٰ السَّاحِرِ كَمَا يَقُولُونَ، فَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**الْكَلِمَةُ هِيَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**».

النَّبِيُّ ﷺ وَعَدَ قَوْمَهُ بِالسِّيَادَةِ عَلَىٰ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ إِضَافَةً إِلَىٰ سَعَادَةِ الْآخِرَةِ الَّتِي تَتَمَثَّلُ بِالْفَوْزِ بِرِضْوَانِ اللهِ تَعَالَىٰ وَالظَّفَرِ بِالْجَنَّةِ وَالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّهُمْ ظَلُّوا مُتَمَسِّكِينَ بِخُرَافَاتٍ وَأَوْهَامٍ تُتِيحُ لَهُمُ السِّيَادَةَ عَلَىٰ مَكَّةَ وَحْدَهَا وَلَا يَضْمَنُونَ بِهَا سَعَادَةً بَعْدَ الْمَوْتِ!

يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَهُمْ مِنْ ضِيقِ مَا هُمْ فِيهِ إِلَىٰ سَعَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، يُرِيدُونَ السِّيَادَةَ عَلَىٰ مَكَّةَ وَهُوَ يَعِدُهُمْ بِالسِّيَادَةِ عَلَىٰ الْعَالَمِ عَلَىٰ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، وَلَكِنَّ قُلُوبَهُمْ مُغْلَقَةٌ، قُلُوبُهُمْ غُلْفٌ وَعُقُولُهُمْ مُغْلَقَةٌ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يُبَيِّنُ لَهُمْ مَا يُبَيِّنُ وَهُمْ لَا يَفْهَمُونَ!

قِيلَ إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْعَرَبِ فِي سَبْيٍ أَوْ سَطْوٍ أَوْ مَعْرَكَةٍ سَبَىٰ ابْنَةَ مَلِكٍ مِنَ الْمُلُوكِ؛ فَأَرَادَ الْمَلِكُ أَنْ يَفْدِيَهَا، فَتَوَاصَلَ مَعَ هَذَا السَّابِي الْآسِرِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَدْفَعَ إِلَيْهِ الْفِدَاءَ.

فَقَالَ: مَا تُرِيدُ فِي فِدَائِهَا؟

فَقَالَ: أُرِيدُ أَلْفَ دِينَارٍ، فَاسْتَقَلَّ الْمَلِكُ هَذَا الْفِدَاءَ؛ ابْنَةُ الْمَلِكِ لَا تُفْدَىٰ إِلَّا بِأَلْفِ دِينَارٍ؟ لَوْ قَالَ مِئَةَ أَلْفٍ، أَلْفَ أَلفٍ لَأَعْطَاهُ، فَقَالَ: هَلَّا زِدْتَ؟! قَالَ: وَاللهِ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ وَرَاءَ الْأَلْفِ شَيْئًا لَزِدْتُ! لَا أَعْرِفُ أَكْثَرَ مِنَ الْأَلْفِ! فَقُلْتُ آخِرَ مَا عِنْدِي.

فَهُؤَلَاءِ أَيْضًا يَدْعُوهُمْ الرَّسُولُ ﷺ إِلَىٰ سِيَادَةِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَهُمْ يَقُولُونَ بِسِيَادَةِ مَكَّةَ وَالنِّزَاعُ الْحَاصِلُ فِيهَا إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ، فَمَا أَنْقَصَ عُقُولَهُمْ! وَمَا أَضْعَفَ تَفْكِيرَهُمْ! حِينَمَا قَصَرُوا اهْتِمَامَهُمْ عَلَىٰ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلَمْ يَقْبَلُوا دَعْوَةَ الْإِصْلَاحِ الَّتِي تُتِيحُ لَهُمْ مَجْدَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

الَّذِينَ وَرِثُوا هَذَا الدِّينَ جِيلًا عَنْ جِيلٍ وَأَصْبَحَتْ أَنْظَارُهُمْ مَقْصُورَةً عَلَىٰ السِّيَادَةِ عَلَىٰ بُلْدَانِهِمْ وَلَيْسَ فِي حِسِّهِمْ نَقْلُ هَذَا الدِّينِ إِلَىٰ الْعَالَمِ؛ مِنْ أَجْلِ اسْتِنْقَاذِهِ مِنَ الشَّرِّ الَّذِي تَوَرَّطَ فِيهِ وَالْبَاطِلِ الَّذِي يَحْتَوِيهِ وَلَيْسَ حَاضِرًا فِي وِجْدَانِهِمْ مُسْتَقْبَلُهُمُ الْأُخْرَوِيُّ وَقَدْ عَمُرَتْ أَفْكَارُهُمْ بِالْحِفَاظِ عَلَىٰ الْمُسْتَوىٰ الْأَعْلَىٰ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا وَلَوْ فِي ظِلِّ هَيْمَنَةِ أَعْدَائِهِمْ عَلَيْهِمْ هَؤُلَاءِ فِيهِمْ مَشَابِهُ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ!

النَّبِيُّ ﷺ لَمَّا زَادَ طُغْيَانُ هَؤُلَاءِ دَعَا عَلَيْهِمْ كَمَا مَرَّ فِي بَيَانِ مُجَابَهَةِ إِيذَائِهِمْ.

وَفِي السِّيَاقِ عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إِنَّمَا كَانَ هَذَا لِأَنَّ قُرَيْشًا لَمَّا اسْتَعْصَوْا عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ دَعَا عَلَيْهِمْ بِسِنِينَ كَسِنِيِّ يُوسُفَ

فَأَصَابَهُمْ قَحْطٌ وَجَهْدٌ حَتَّىٰ أَكَلُوا الْعِظَامَ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَىٰ السَّمَاءِ فَيَرَىٰ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ مِنَ الْجَهْدِ.

فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الدخان: ١٠- ١١].

قَالَ: فَأَتَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اسْتَسْقِ اللهَ لِمُضَرَ، فَإِنَّهَا قَدْ هَلَكَتْ!

قَالَ: «لِمُضَرَ؟ إِنَّكَ لَجَرِيءٌ» فَاسْتَسْقَىٰ فَسُقُوا، فَنَزَلَتْ: ﴿إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ [الدخان: ١٥]، فَلَمَّا أَصَابَتْهُمْ الرَّفَاهِيَةُ، عَادُوا إِلَىٰ حَالِهِمْ حِينَ أَصَابَتْهُمْ الرَّفَاهِيَةُ، فَأَنْزَلَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ [الدخان: ١٦] قَالَ: يَعْنِي يَوْمَ بَدْرٍ». أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ.

www.menhag-un.com

قِصَّةُ فَارِسِ وَالرُّومِ

حَدَثَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ أَنْ تَحَارَبَتْ فَارِسُ وَالرُّومُ؛ فَغَلَبَتْ فَارِسُ الرُّومَ فَفَرِحَ بِذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ، وَكَانُوا يُحِبُّونَ أَنْ تَظْهَرَ فَارِسُ عَلَىٰ الرُّومِ؛ لِأَنَّهُمْ أَصْحَابُ أَوْثَانٍ مِثْلُهُمْ. وَسَاءَ ذَلِكَ الْمُسْلِمِينَ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُحِبُّونَ أَنْ تَظْهَرَ الرُّومُ عَلَىٰ فَارِسَ؛ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ مِثْلُهُمْ.

وَلَقِيَ الْمُشْرِكُونَ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ وَقَالُوا: إِنَّكُمْ أَهْلُ كِتَابٍ وَالنَّصَارَىٰ أَهْلُ كِتَابٍ وَنَحْنُ أُمِّيُّونَ وَقَدْ ظَهَرَ إِخْوَانُنَا مِنْ أَهْلِ فَارِسَ عَلَىٰ إِخْوَانِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَإِنَّكُمْ إِنْ قَاتَلْتُمُونَا لَنَظْهَرَنَّ عَلَيْكُمْ! فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم: ١ - ٧].

فَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ إِلَىٰ الْكُفَّارِ، فَقَالَ: «أَفَرِحْتُمْ بِظُهُورِ إِخْوَانِكُمْ عَلَىٰ إِخْوَانِنَا فَلَا تَفْرَحُوا، لَا يُقِرَّنَّ اللهُ أَعْيُنَكُمْ، فَوَاللهِ لَيُظْهِرَنَّ اللهُ الرُّومَ عَلَىٰ فَارِسَ أَخْبَرَنَا بِذَلِكَ نَبِيُّنَا ﷺ».

قِصَّةُ فَارِسَ وَالرُّومِ أَخْرَجَهَا أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ جَرِيرٍ وَأَوْرَدَ الْبَيْهَقِيُّ الْقِصَّةَ وَمَا كَانَ مِنْ نُزُولِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾.

ثُمَّ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ الْمُسْلِمُونَ يُحِبُّونَ أَنْ يَظْهَرَ الرُّومُ عَلَىٰ فَارِسَ؛ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يُحِبُّونَ أَنْ تَظْهَرَ فَارِسُ عَلَىٰ الرُّومِ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ أَوْثَانٍ، فَذَكَرَ ذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ لِأَبِي بَكْرٍ فَذَكَرَهُ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «أَمَا إِنَّهُمْ سَيَظْهَرُونَ».

فَذَكَرَ ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ لِلْمُشْرِكِينَ، فَقَالُوا: اجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ أَجَلًا إِنْ ظَهَرُوا كَانَ لَكَ كَذَا وَكَذَا وَإِنْ ظَهَرْنَا كَانَ لَكَ كَذَا وَكَذَا، فَجَعَلَ أَجَلًا خَمْسَ سِنِينَ فَلَمْ يَظْهَرُوا عَلَيْهِمْ فَذَكَرَ ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «أَلَا جَعَلْتَهُ» قَالَ: أُرَاهُ قَالَ: «دُونَ الْعَشْرِ» فَظَهَرَتِ الرُّومُ بَعْدَ ذَلِكَ.

السَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْبِضْعَ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ مِنَ الثَّلَاثِ إِلَىٰ التِّسْعِ؛ فَأَبُو بَكْرٍ خَاطَرَهُمْ وَقَامَرَهُمْ وَجَعَلَ الْخَطَرَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ عَلَىٰ خَمْسِ سِنِينَ فَلَمْ يَظْهَرُوا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَهَلَّا جَعَلْتَهُ دُونَ الْعَشْرِ».

الْمُنَاحِبُ أَيْ الْمَرَاهِنُ لِأَبِي بَكْرٍ أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَالرِّهْنُ كَانَ عَلَىٰ خَمْسِ قَلَائِصَ، وَكَانَ إِلَىٰ مُدَّةٍ فَزَادَ فِيهَا الصِّدِّيقُ عَنْ أَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَفِي الرَّهْنِ، وَغَلَبَتِ الرُّومُ عَلَىٰ فَارِسَ، قَالُوا: كَانَتْ يَوْمَ بَدْرٍ أَوْ كَانَتْ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ.

بَعْدَ ذَلِكَ وَقَعَ حَادِثٌ أَلِيمٌ أَثَّرَ تَأْثِيرًا كَبِيرًا فِي نَفْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ مَوْتُ أَبِي طَالِبٍ، وَخَدِيجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

انْجَابَتِ الْغُمَّةُ وَأَزَالَ اللهُ الْكُرْبَةَ عَنْ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ وَخَرَجُوا مِنَ الْحِصَارِ فِي الشِّعْبِ، وَالرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ أَكْرَمَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ وَمَنَّ عَلَيْهِمْ بِشَقِّ الصَّحِيفَةِ الظَّالِمَةِ وَعَادَتِ الْأُمُورُ كَمَا كَانَتْ، لَكِنْ حَدَثَ حَادِثَانِ سَبَّبَا لِلنَّبِيِّ ﷺ غَايَةَ الْحُزْنِ، هُمَا: مَوْتُ أَبِي طَالِبٍ، وَمَوْتُ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

لَمْ يَلْبَثْ أَبُو طَالِبٍ بَعْدَ الْخُرُوجِ مِنَ الشِّعْبِ أَنْ وَافَتْهُ الْمَنِيَّةُ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بَعْدَ خُرُوجِهِمْ مِنَ الشِّعْبِ فِي آخِرِ السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ مِنَ الْمَبْعَثِ، وَذَلِكَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ ابْنُ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً.

◉◉◉

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

وَفَاةُ أَبِي طَالِبٍ

لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ دخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَيْ عَمُّ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ**».

فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: «أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟» فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ وَيُعِيدُ لَهُ تِلْكَ الْمَقَالَةَ حَتَّىٰ قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: «عَلَىٰ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ».

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَاللهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ**» أَوْ «**مَا لَمْ أُنْهَ عَنْهُ**» يَعْنِي عَنِ الِاسْتِغْفَارِ. الْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ».

تَأَمَّلْ فِي أَثَرِ الصَّحَابَةِ الْفَاسِدَةِ كَيْفَ جَعَلَتْ أَبَا طَالِبٍ بِقَدَرِ اللهِ يَمُوتُ عَلَىٰ الْكُفْرِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْمَرْءُ عَلَىٰ دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ**» وَفِي رِوَايَةٍ: «**مَنْ يُخَالِطْ**».

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ
فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارَنِ يَقْتَدِي

فَـــإِنْ كَـــانَ ذَا شَـــرٍّ فَجَنِّبْـــهُ سُـــرْعَةً
وَإِنْ كَـــانَ ذَا خَيْـــرٍ فَقَارِنْـــهُ تَهْتَـــدِ
إِذَا كُنْـــتَ فِـــي قَـــوْمٍ فَصَـــاحِبْ خِيَـــارَهُمْ
وَلَا تَصْـــحَبْ الْأَرْدَىٰ فَتَـــرْدَىٰ مَـــعَ الـــرَّدِي

فِي رِوَايَةٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعَمِّهِ: «**قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ أَشْهَدُ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» قَالَ: «لَوْلَا أَنْ تُعَيِّرَنِي قُرَيْشٌ يَقُولُونَ: إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ الْجَزَعُ لَأَقْرَرْتُ بِهَا عَيْنَكَ!» فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

هَلْ تُعَيِّرُ قُرَيْشٌ رَجُلًا مَاتَ، يَعْنِي مَا يُقَالُ عَنْكَ بَعْدَ أَنْ تَمُوتَ مِنَ الْبَاطِلِ هُلْ يُؤْذِيكَ؟ هَلْ يَضُرُّكَ؟ هَلْ يَحُطُّ مِنْ قَدْرِكَ؟ شَيْءٌ عَجِيبٌ! وَلَكِنْ كَأَنَّمَا غُرِسَ فِي الْفِطْرَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، كَأَنَّمَا وُضِعَ فِي النَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ.

يَعْنِي هَذَا رَجُلٌ فِي سِيَاقِ الْمَوْتِ وَيَقُولُ: سَيَقُولُونَ إِنَّمَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مِنَ الْجَزَعِ، فَلْيَقُولُوا مَا يَقُولُونَ إِنَّهُمْ يَقُولُونَ مَاذَا يَقُولُونَ؟ دَعْهُمْ يَقُولُونَ، لَا تَلْتَفِتْ امْضِ لِطِيَّتِكَ وَدَعْهُمْ يَقُولُونَ لَنْ يَضُرَّكَ؛ كَلَامٌ! وَلَنْ يُؤَثِّرَ فِيكَ شَيْئًا إِذَا كَانَ بَاطِلًا، كُلُّ بَاطِلٍ لَا يَضُرُّ إِلَّا الْمُبْطِلَ، وَلَا تَخْشَ أَبَدًا مِمَّنْ حَارَبَكَ وَهُوَ عَلَىٰ الْبَاطِلِ؛ فَإِنَّهُ مَخْذُولٌ! لَا يُمْكِنُ أَبَدًا أَنْ يُنْصَرَ بَاطِلٌ، الْبَاطِلُ لَا يُنْصَرُ، الْحَقُّ مَنْصُورٌ.

فَإِذَا كُنْتَ عَلَىٰ الْحَقِّ فَلَا تَهْتَمَّ مَهْمَا حَارَبَكَ مَنْ حَارَبَكَ، وَلَوْ أَجْمَعَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا عَلَىٰ مُحَارَبَتِكَ وَهُمْ عَلَىٰ الْبَاطِلِ فَسُيْخَذَلُون لَنْ يُنْصَرُوا مَهْمَا صَنَعُوا وَمَهْمَا حَاوَلُوا؛ لِأَنَّ الْبَاطِلَ مَخْذُولٌ مَقْهُورٌ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يَقُومَ، وَالْحَقُّ مَنْصُورٌ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُخْذَلَ الْحَقُّ أبدًا، وَكُلُّ مَنْ حَارَبَكَ بِبَاطِلٍ فَلَا تَخْشَ مِنْهُ.

لَقَدْ أَمْكَنَ مِنْ نَفْسِهِ وَأَمْكَنَ مِنْ رَقَبَتِهِ بِمَا يُحَارِبُ بِبَاطِلِهِ؛ وَلِأَنَّهُ اتَّخَذَ الْعُدَّةَ الَّتِي بِهَا يُخْزَىٰ وَبِهَا يُذَلُّ وَبِهَا يُهْزَمُ.

أَمَّا أَصْحَابُ الْحَقِّ فَهُمْ مَنْصُورُونَ وَإِنْ طَالَ الْمَدَىٰ، فَمَهْمَا قَالَ النَّاسُ عَنْكَ بِبَاطِلٍ فَاجْعَلْهُ تَحْتَ مَوَاطِئِ قَدَمَيْكَ؛ فَإِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا، أَمَّا إِذَا تَكَلَّمَ أَحَدٌ فِيكَ بِحَقٍّ فَاخْشَعْ عِنْدَهُ؛ أَيْ عِنْدَ الْحَقِّ وَتَوَقَّفْ وَخُذْ بِهَذا الْحَقِّ، وَلَا تُكَابِرْ؛ لِأَنَّكَ إِنْ حَارَبْتَ حَارَبْتَ الْحَقَّ، وَمَنْ حَارَبَ الْحَقَّ فَهُوَ مَخْذُولٌ مَغْلُوبٌ مَهْزُومٌ، نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَعْفُوَ عَنَّا أَجْمَعِينَ!

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْهُ**»، أَيْ عَنِ الِاسْتِغْفَارِ، فَأَخَذَ الْمُسْلِمُونَ يَسْتَغْفِرُونَ لِمَوْتَاهُمُ الَّذِينَ مَاتُوا وَهُمْ مُشْرِكُونَ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣].

وَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ كَذَلِكَ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْهِدَايَةَ مِمَّنْ يَسْتَحِقُّ الْغِوَايَةَ.

وَلَقَدْ ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي أَبِي طَالِبٍ عَمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَ يَحُوطُهُ وَيَنْصُرُهُ وَيَقُومُ فِي صَفِّهِ وَيُحِبُّهُ حُبًّا شَدِيدًا طَبِيعِيًّا لَا شَرْعِيًّا، وَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ وَحَانَ أَجَلُهُ، دَعَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ الْإِيمَانِ وَالدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ. فَسَبَقَ الْقَدَرُ فِيهِ وَاخْتُطِفَ مِنْ يَدِهِ، فَاسْتَمَرَّ عَلَىٰ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ، وَللهِ الْحِكْمَةُ التَّامَّةُ. نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَتَوَفَّانَا مُسْلِمِينَ.

رَوَىٰ أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ» وَالطَّيَالِسِيُّ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه قَالَ: «لَمَّا مَاتَ أَبُو طَالِبٍ أَتَيْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ: إِنَّ عَمَّكَ الشَّيْخَ الضَّالَّ قَدْ مَاتَ!

فَقَالَ ﷺ: «**اذْهَبْ فَوَارِ أَبَاكَ**» التَّوَارِي هُوَ الِاسْتِتَارُ أَرَادَ بِهِ الدَّفْنَ، قَالَ: «**اذْهَبْ فَوَارِ أَبَاكَ، ثُمَّ لَا تُحْدِثَنَّ شَيْئًا حَتَّىٰ تَأْتِيَنِي**».

قَالَ رضي الله عنه: «فَوَارَيْتُهُ ثُمَّ جِئْتُهُ فَأَمَرَنِي فَاغْتَسَلْتُ وَدَعَا لِي» ﷺ.

رَوَىٰ الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَارِثِ عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «مَا أَغْنَيْتَ عَنْ عَمِّكَ -يَعْنِي أَبَا طَالِبٍ- فَوَاللهِ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ».

فَقَالَ ﷺ: «**هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

رَوَىٰ الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ فَقَالَ: «**لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُجْعَلَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ**».

قَالَ الْحَافِظُ: وَالنَّفْعُ الَّذِي حَصَلَ لِأَبِي طَالِبٍ مِنْ خَصَائِصِهِ بِبَرَكَةِ النَّبِيِّ ﷺ.

لِأَنَّ هَذِهِ الشَّفَاعَةَ خَاصَّةٌ، هُنَاكَ شَفَاعَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْهَا مَا هُوَ مُشْتَرَكٌ وَمِنْهَا مَا هُوَ خَاصٌّ، مِنْهَا مَا هُوَ خَاصٌّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ لَا يُشَارِكُهُ فِيهِ أَحَدٌ؛ لِأَنَّهُ لَا شَفَاعَةَ فِي كَافِرٍ إِلَّا شَفَاعَةَ الرَّسُولِ ﷺ فِي عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ هَذِهِ لِلنَّبِيِّ خَاصَّةً، فَهَذِهِ مِنَ الشَّفَاعَاتِ الْخَاصَّةِ.

قَالَ: «**أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ** -أَقَلُّهُمْ عَذابًا أَبُو طَالِبٍ- **وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ مِنْهُمَا دِمَاغُهُ**» نَسْأَلُ اللهَ الْعَافِيَةَ، فَهَذَا أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا وَهُوَ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ أَشَدُّ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا!

الْحِكْمَةُ فِيهِ أَنَّ أَبَا طَالِبٍ كَانَ تَابِعًا لِرَسُولِ ﷺ بِجُمْلَتِهِ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ مُثَبِّتًا لِقَدَمَيْهِ عَلَىٰ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؛ فَسَلَّطَ الْعَذَابَ عَلَىٰ قَدَمَيْهِ خَاصَّةً لِتَثْبِيتِهِ إِيَّاهُمَا عَلَىٰ مِلَّةِ آبَائِهِ، فَلَمْ يُفْلِحْ أَبُو طَالِبٍ رَغْمَ كُلِّ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْحِيَاطَةِ وَالنَّصْرِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ.

❁ ❁ ❁

www.mennag-un.com

وَفَاةُ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا

وَأَمَّا خَدِيجَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فَإِنَّ وَفَاتَهَا كَانَتْ مِنَ الْمَآسِي الْكُبْرَىٰ، وَأَثَّرَتْ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِحُزْنٍ شَدِيدٍ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ مِنْ نِعَمِ اللهِ الْجَلِيلَةِ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ فَقَدْ آزَرَتْهُ فِي أَحْرَجِ الْأَوْقَاتِ! وَأَعَانَتْهُ عَلَىٰ إِبْلَاغِ رِسَالَتِهِ، وَشَارَكَتْهُ مَغَارِمَ الْجِهَادِ الْمُرِّ، وَوَاسَتْهُ بِنَفْسِهَا وَمَالِهَا.

وَإِنَّكَ لَتُحِسُّ قَدْرَ هَذِهِ النِّعْمَةِ عِنْدَمَا تَعْلَمُ أَنَّ مِنْ زَوْجَاتِ الْأَنْبِيَاءِ مَنْ خُنَّ الرِّسَالَةَ وَكَفَرْنَ بِرِجَالِهِنَّ وَكُنَّ مَعَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِهِنَّ وَإِلَهِهِنَّ حَرْبًا عَلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ؛ فَتَعْلَمُ قَدْرَ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

رَوَىٰ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «تُوُفِّيَتْ خَدِيجَةُ قَبْلَ مَخْرَجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ».

قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: وَكَانَ مَوْتُهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ وَذَلِكَ بَعْدَ الْمَبْعَثِ عَلَىٰ الصَّوَابِ بِعَشْرِ سِنِينَ.

مَاتَتْ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَبْلَ أَنْ تُفْرَضَ الصَّلَاةُ فِي الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ، لَكِنِ اخْتُلِفَ فِي تَعْيِينِ الْيَوْمِ وَالشَّهْرِ فَقِيلَ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِي طَالِبٍ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَقِيلَ بِشَهْرٍ وَقِيلَ بِشَهْرَيْنِ.

وَدُفِنَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِالْحَجُونِ فِي مَقَابِرِ أَهْلِ مَكَّةَ وَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حُفْرَتِهَا وَلَمْ تَكُنْ صَلَاةُ الْجَنَازَةِ شُرِعَتْ.

وَكَانَتْ مُدَّةُ إِقَامَةِ النَّبِيِّ ﷺ مَعَهَا خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً، فَقَدْ تُوُفِّيَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَلَهَا مِنَ الْعُمُرِ خَمْسٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ إِذْ ذَاكَ فِي الْخَمْسِينَ مِنْ عُمُرِهِ ﷺ.

لَا تَلِدُ لِسِتِّينَ إِلَّا الْقُرَشِيَّةُ؛ يَعْنِي يُمْكِنُ أَنْ تَلِدَ الْقُرَشِيَّةُ وَلَهَا مِنَ الْعُمُرِ سِتُّونَ عَامًا.

وَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ لِفَقْدِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حُزْنًا شَدِيدًا، وَلَزِمَ بَيْتَهُ وَأَقَلَّ الْخُرُوجَ.

قَالَ ابْنُ سَعْدٍ فِي طَبَقَاتِهِ: لَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو طَالِبٍ وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ مُصِيبَتَانِ، فَلَزِمَ بَيْتَهُ وأَقَلَّ الْخُرُوجَ.

وَكَانَ مِنْ هَدْيِهِ ﷺ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ السُّكُونُ وَالرِّضَا بِقَضَاءِ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَالِاسْتِرْجَاعُ، وَيَبْرَأُ مِمَّنْ خَرَقَ لِأَجْلِ الْمَصِيبَةِ ثِيَابَهُ أَوْ رَفَعَ صَوْتَهُ بِالنَّدْبِ وَالنِّيَاحَةِ أَوْ حَلَقَ لِلْمُصِيبَةِ شَعْرَهُ.

رَوَىٰ الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «**أَتَىٰ جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ؟ هَذِه خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ، أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ**» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قَالَ السُّهَيْلِيُّ: مُنَاسَبَةُ هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ أَعْنِي الْمُنَازَعَةَ وَالتَّعَبَ «**لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ**»، أَنَّهُ ﷺ لَمَّا دَعَا إِلَىٰ الْإِسْلَامِ أَجَابَ خَدِيجَةُ طَوْعًا فَلَمْ تُحْوِجْهُ إِلَىٰ رَفْعِ صَوْتٍ وَلَا مُنَازَعَةَ وَلَا تَعَبَ فِي ذَلِكَ، بَلْ أَزَالَتْ عَنْهُ كُلَّ نَصَبٍ، وَآنَسَتْهُ مِنْ كُلِّ وَحْشَةٍ وَهَوَّنَتْ عَلَيْهِ كُلَّ مَكْرُوهٍ، فَنَاسَبَ أَنْ يَكُونَ مَنْزِلُهَا الَّذِي بَشَّرَهَا بِهِ رَبُّهَا بِالصِّفَةِ الْمُقَابِلَةِ لِفَعَالِهَا.

وَرَوَىٰ ابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» وَالتِّرْمِذِيُّ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ، وَخَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، وَآسِيَةَ امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ**».

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: الْقَدْرُ الْمُشْتَرَكُ بَيْنَ آسِيَةَ وَمَرْيَمَ وَخَدِيجَةَ أَنَّ كُلًّا مِنْهُنَّ كَفِلَتْ نَبِيًّا مُرْسَلًا، وَأَحْسَنَتْ الصُّحْبَةَ فِي كَفَالَتِهَا وَصَدَّقَتْهُ، فَآسِيَةُ رَبَّتْ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَحْسَنَتْ إِلَيْهِ، وَصَدَّقَتْهُ حِينَ بُعِثَ، وَمَرْيَمُ عَلَيْهَا السَّلَامُ كَفِلَتْ وَلَدَهَا أَتَمَّ كَفَالَةٍ وَأَعْظَمَهَا وَصَدَّقَتْهُ حِينَ أُرْسِلَ، وَخَدِيجَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا رَغِبَتْ فِي تَزْوِيجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِهَا، وَبَذَلَتْ فِي ذَلِكَ أَمْوَالَهَا وَصَدَّقَتْهُ حِينَ نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

رَوَىٰ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ**» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قَالَ النَّوَوِيُّ: وَالْأَظْهَرُ أَنَّ مَعْنَاهُ أَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا خَيْرُ نِسَاءِ الْأَرْضِ فِي عَصْرِهَا.

وَرَوَىٰ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» وَابْنُ حِبَّانَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «خَطَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْأَرْضِ خُطُوطًا أَرْبَعَةً، فَقَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ**».

وَرَوَىٰ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «مَا غِرْتُ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ مَا غِرْتُ عَلَىٰ خَدِيجَةَ، وَمَا رَأَيْتُهَا، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةُ، فَيَقُولُ: «**إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ**».

وَأَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ أَثْنَىٰ عَلَيْهَا فَأَحْسَنَ الثَّنَاءَ، قَالَتْ: فَغِرْتُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: مَا أَكْثَرَ مَا تَذْكُرُهَا حَمْرَاءَ الشِّدْقِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا!».

وَعَائِشَةُ هِيَ أَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَيْهِ كَمَا هُوَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «مَنْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْكَ؟! قَالَ: «**عَائِشَةُ**».

قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فَمِنَ الرِّجَالِ؟

قَالَ: «**أَبُوهَا**».

فَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْهِ فَكَانَتْ تُدِلُّ بِمَكَانِهَا عِنْدَهُ فَقَالَتْ مَا قَالَتْ فِي حَقِّ خَدِيجَةَ وَلَمْ تَتَوَقَّعْ رَدَّهُ ﷺ!

قَالَتْ: مَا أَكْثَرَ مَا تَذْكُرُهَا حَمْرَاءَ الشِّدْقِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ ﷻ خَيْرًا مِنْهَا!

الْمُرَادُ بِالشِّدْقَيْنِ مَا فِي بَاطِنِ الْفَمِ فَكَنَّتْ بِذَلِكَ عَنْ سُقُوطِ أَسْنَانِهَا حَتَّىٰ لَا يَبْقَىٰ دَاخِلَ فَمِهَا سِوَىٰ اللَّحْمِ الْأَحْمَرِ مِنَ اللَّثَةِ وَغَيْرِهَا، وَالْمَعْنَىٰ كَمَا قَالَ النَّوَوِيُّ: عَجُوزٌ كَبِيرٌ جِدًّا حَتَّىٰ سَقَطَتْ أَسْنَانُهَا مِنَ الْكِبَرِ وَلَمْ يَبْقَ لِشِدْقَيْهَا بَيَاضُ شَيْءٍ مِنَ الْأَسْنَانِ إِنَّمَا بَقِيَ فِيهِ حُمْرَةُ لِثَاتِهَا، فَأَرَادَتْ ذَلِكَ تَقُولُ: قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ ﷻ خَيْرًا مِنْهَا!

فَقَالَ ﷺ: «**مَا أَبْدَلَنِي اللهُ ﷻ خَيْرًا مِنْهَا، قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللهُ ﷻ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ**».

فِي رِوَايَةٍ: أَنَّهَا قَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ بِشَأْنِ خَدِيجَةَ.

قَالَتْ: «فَغَضِبَ، قَالَتْ: وَكَانَ فِي مُقَدَّمِ شَعْرِ رَأْسِهِ شَعَرَاتٌ إِذَا غَضِبَ انْتَصَبْنَ!

قَالَتْ: فَرَأَيْتُ ذَلِكَ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: للهِ عَلَيَّ أَلَّا أَذْكُرَهَا بَعْدَ ذَلِكَ بِسُوءٍ أَبَدًا إِذَا سَكَّنَ اللهُ عَنِّي غَضَبَ نَبِيِّهِ ﷺ».

وَلَكِنْ تَأَمَّلْ فِي مَحَبَّتِهَا تَغَارُ مِمَّنْ؟

لَقَدْ مَاتَتْ خَدِيجَةَ قَدِيمًا وَمَعَ ذَلِكَ تَغَارُ مِنْهَا هَذِهِ الْغَيْرَةَ الْكَبِيرَةَ وَتَقُولُ: مَا غِرْتُ مِنْ أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ مَا غِرْتُ مِنْ خَدِيجَةَ!

وَالْبَاقِيَاتُ -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِنَّ جَمْعَاوَاتٍ- مَوْجُودَاتٌ وَلَكِنْ تَغَارُ مِمَّنْ مَاتَتْ لِمَحَبَّةِ النَّبِيِّ إِيَّاهَا؛ لِأَنَّهُ كَانَ أَوْفَىٰ الْأَوْفِيَاءِ! وَكَانَ مُقَدِّرًا لِلْجَمِيلِ مُحْتَرِمًا لِلْعَهْدِ؛ لِذَلِكَ كَافَأَهَا فِي حَيَاتِهَا وَبَعْدَ مَوْتِهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

وَكُلُّ مَنْ تَعَثَّرَتْ بِهِ سَبِيلُهُ فِي حَيَاتِهِ الزَّوْجِيَّةِ وَهُوَ يَتَصَدَّىٰ لِدَعْوَةٍ أَوْ طَلَبَةِ عِلْمٍ يَعْلَمُ قَدْرَ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، تَعْلَمُونَ أَوْ لَا تَعْلَمُونَ؟!

مِمَّا كَافَأَ النَّبِيُّ ﷺ بِهِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فِي الدُّنْيَا أَنَّهُ لَمْ يَتَزَوَّجْ فِي حَيَاتِهَا غَيْرَهَا، وَكَانَ شَابًّا ثُمَّ كَهْلًا.

مَاتَتْ وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ خَمْسُونَ عَامًا، وَكَانَتْ هِيَ فِي الْخَامِسَةِ وَالسِّتِّينَ، عِنْدَمَا تَزَوَّجَهَا كَانَ فِي الْخَامِسَةِ وَالْعِشْرِينَ وَكَانَتْ هِيَ فِي الْأَرْبَعِينَ، وَلَمْ يُؤْذِهَا بِزَوَاجِ سِوَاهَا عَلَيْهَا؛ لِأَنَّ الضَّرَّةَ مِنَ الْمَضَرَّةِ، فَلَمْ يَضُرَّهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ.

رَوَىٰ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» مِنْ طَرِيقِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «لَمْ يَتَزَوَّجْ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ خَدِيجَةَ حَتَّىٰ مَاتَتْ».

وَهَذَا مِمَّا لَا خِلَافَ فِيهِ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْأَخْبَارِ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَىٰ عِظَمِ قَدْرِهَا عِنْدَهُ وَعَلَىٰ مَزِيدِ فَضْلِهَا؛ لِأَنَّهَا أَغْنَتْهُ عَنْ غَيْرِهَا وَاخْتَصَّتْ بِهِ بِقَدْرِ مَا اشْتَرَكَ فِيهِ

غَيْرُهَا مَرَّتَيْنِ؛ لِأَنَّهُ ﷺ عَاشَ بَعْدَ أَنْ تَزَوَّجَهَا ثَمَانِيَةً وَثَلَاثِينَ عَامًا انْفَرَدَتْ خَدِيجَةُ مِنْهَا بِخَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ عَامًا وَهِيَ نَحْوُ الثُّلُثَيْنِ مِنَ الْمَجْمُوعِ.

وَمَعَ طُولِ الْمُدَّةِ فَصَانَ قَلْبَهَا فِيهَا مِنَ الْغَيْرَةِ وَمِنْ نَكِدِ الضَّرَائِرِ الَّذِي رُبَّمَا حَصَلَ لَهُ هُوَ مِنْهُ مَا يُشَوِّشُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ، وَهِيَ فَضِيلَةٌ لَمْ يُشَارِكْهَا فِيهَا غَيْرُهَا.

وَمِمَّا اخْتُصَّتْ بِهِ سَبْقُهَا نِسَاءَ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَىٰ الْإِيمَانِ فَسَنَّتْ بِذَلِكَ لِكُلِّ مَنْ آمَنَتْ بَعْدَهَا فَيَكُونُ لَهَا مِثْلُ أَجْرِهِنَّ؛ لِمَا ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَىٰ شَرْطِ مُسْلِمٍ: «**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً كَانَ لَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ**».

شَارَكَهَا فِي ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ الرِّجَالِ، وَلَا يَعْرِفُ قَدْرَ مَا لِكُلٍّ مِنْهُمَا مِنَ الثَّوَابِ بِسَبَبِ ذَلِكَ إِلَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ؛ لِأَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ أَيْضًا يُحَوطُ النَّبِيَّ ﷺ وَيُوَاسِيهِ بِنَفْسِهِ وَبِمَالِهِ فَكَانَ نَصِيرًا فِي الْخَارِجِ كَمَا كَانَتْ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا نَصِيرًا فِي الدَّاخِلِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَلْقَىٰ أَذًىٰ كَثِيرًا فِي الْفَتْرَةِ الَّتِي عَاشَرَهَا فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

لَقِيَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ الْبَعْثَةِ الْكَثِيرَ مِنَ الْأَذَىٰ مِنَ الِاسْتِهْزَاءِ وَالتَّهَكُّمِ وَالسُّخْرِيَةِ وَالشَّتْمِ حَتَّىٰ وَصَلَ الْأَمْرُ إِلَىٰ الْإِيذَاءِ الْبَدَنِيِّ فَكَانَ هَذَا كُلُّهُ إِذَا دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ خَدِيجَةَ يُخْلَعُ عِنْدَ عَتَبَةِ الْبَابِ، فَلَا يَجِدُ إِلَّا الْهَنَاءَ وَالِاسْتِقْرَارَ ﷺ وَرَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ يَقُولُ النَّوَوِيُّ: دَلِيلٌ لِحُسْنِ الْعَهْدِ وَحِفْظِ الْوُدِّ وَرِعَايَةِ حُرْمَةِ الصَّاحِبِ وَالْعَشِيرَةِ حَيًّا وَمَيِّتًا وَإِكْرَامِ أَهْلِ ذَلِكَ الصَّاحِبِ.

قَالَ رَجُلٌ يَوْمًا لِامْرَأَتِهِ وَقَدْ قَالَتْ لَهُ: يَا فُلَانُ، فَقَالَ: مَا لَكِ؟!

قَالَتْ: رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا.

فَقَالَ: مَا هِيَ؟!

قَالَتْ: رَأَيْتُ أَنِّي وَأَنَّكَ قَدْ دَخَلْنَا الْجَنَّةَ.

قَالَ: أَمَا وَجَدَ الشَّيْطَانُ أَحَدًا يَعْبَثُ بِهِ سِوَاكِ! يَعْنِي أَيْنَ أَنْتِ مِنَ الْجَنَّةِ؟!

◉ ◉ ◉

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مِنْ فَضَائِلِ وَخَصَائِصِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَمِنْ خَصَائِصِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَتَزَوَّجْ عَلَيْهَا غَيْرَهَا.

وَمِنْهَا: أَنَّ أَوْلَادَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كُلَّهُمْ مِنْهَا إِلَّا إِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ مِنْ سُرِّيَّتِهِ مَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وَمِنْ خَصَائِصِهَا: أَنَّهَا خَيْرُ نِسَاءِ الْأُمَّةِ، وَهَذَا فِيهِ نِزَاعٌ مَشْهُورٌ حَرَّرَهُ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي جِلَاءِ الْأَفْهَامِ، فَهُنَاكَ نِزَاعٌ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ أَيُّهَا أَفْضَلُ أَمْ عَائِشَةُ؟

فَقَالُوا: هِيَ أَفْضَلُ فِي بَدْءِ الْإِسْلَامِ وَعَائِشَةُ أَفْضَلُ فِي نِهَايَةِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي انْتَهَتْ بِمَوْتِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وَهِيَ أَيْضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَهَذَا عَجِيبٌ لَمْ تَسُؤْهُ قَطُّ، وَلَمْ تُغَاضِبْهُ، وَلَمْ يَنَلْهَا مِنْهُ بَلَاءٌ وَلَا عَتْبٌ قَطُّ وَلَا هَجْرٌ قَطُّ، وَكَفَىٰ بِهَذِهِ مَنْقَبَةٌ وَفَضِيلَةٌ؛ لِأَنَّ هَذَا لَا يُتَصَوَّرُ فِي النِّسَاءِ، لَا تَسُوؤُهُ قَطُّ أَبَدًا، لَا تُغَاضِبْهُ أَبَدًا!

تَزَوَّجَ الْإِمَامُ أَحْمَدَ امْرَأَةً وُصِفَتْ لَهُ يَعْنِي كَانَ قَدْ أَرْسَلَ بَعْضَ نِسَائِهِ مِنْ مَحَارِمِهِ؛ لِيَخْطُبَ امْرَأَةً فَرَجَعَتْ فَقَالَتْ: وَافَقَتْ.

قَالَ: كَانَ هُنَاكَ مَنْ يَسْمَعُ؟

قَالَتْ: نَعَمْ، أُخْتٌ لَهَا، وَلَكِنَّهَا عَوْرَاءُ.

قَالَ: اذْهَبِي فَاخْطُبِي لَكِ تِلْكَ الْعَوْرَاءَ، فَذَهَبَتْ، فَخَطَبَتْهَا فَتَزَوَّجَهَا، بَعْدَ سَبْعِ سِنِينَ مِنْ مُعَاشَرَةِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، قَالَتْ لَهُ: يَا ابْنَ عَمٍّ، هَلْ رَابَكَ مِنِّي شَيْءٌ؟ فَقَالَ: لَا، إِلَّا أَنَّ نَعْلَكِ هَذِهِ تَصِرُّ، يَعْنِي نَعْلُكَ إِذَا مَشِيَتْ تُحْدُثِ صَوْتًا، هَذَا مَا رَابَهُ مِنْهَا بَعْدَ سَبْعِ سِنِينَ! كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَشْكُو مِنْ صَرِيرِ النَّعْلِ عَلَىٰ رَأْسِهِ!

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

◉ ◉ ◉

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة الثَّالِثَة عَشْرَة)

مِنْ مَادَّةِ

سِيرَة النَّبِيِّ ﷺ

[الْعَهْدُ الْمَكِّيُّ - ج٢]

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

الزَّوَاجُ بِسَوْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

فَبَعْدَ مَوْتِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَقَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَكَذَا عَلَىٰ سَوْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

رَوَىٰ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» وَأَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» وَاللَّفْظُ لِأَحْمَدَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: لَمَّا كَبُرَتْ سَوْدَةُ وَهَبَتْ يَوْمَهَا لِي فَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقْسِمُ لِي فِي بِيَوْمِهَا مَعَ نِسَائِهِ قَالَتْ: وَكَانَتْ أَوَّلَ امْرَأَةٍ تَزَوَّجَهَا بَعْدِي.

قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: مَعْنَىٰ «عَقَدَ عَلَيْهَا» أَيْ عَلَىٰ سَوْدَةَ بَعْدَ أَنْ عَقَد عَلَىٰ عَائِشَةَ، وَأَمَّا دُخُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهَا -أَيْ عَلَىٰ سَوْدَةَ- فَكَانَ قَبْلَ دُخُولِهِ عَلَىٰ عَائِشَةَ بِالِاتِّفَاقِ.

رَوَىٰ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي شَوَّالٍ وَهُوَ اسْمُ الشَّهْرِ الَّذِي يَلِي شَهْرَ رَمَضَانَ وَهُوَ أَوَّلُ أَشْهُرِ الْحَجِّ، قِيلَ: سُمِّيَ بِتَشْوِيلِ لَبِنِ الْإِبِلِ، وَهُوَ تَوَلِّيهِ وَإِدْبَارُهُ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَتَطِيرُ مِنْ عَقْدِ الْمَنَاكِحِ فِيهِ، وَتَقُولُ إِنَّ الْمَنْكُوحَةَ تَمْتَنِعُ مِنْ نَاكِحِهَا كَمَا تَمْتَنِعُ طَلُوقَةُ الْجَمَلِ إِذَا لَقِحَتْ وَشَالَتْ بِذَنَبِهَا.

www.menhag.com

الزَّوَاجُ بِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

فَأَبْطَلَ النَّبِيُّ ﷺ طِيَرَتَهُمْ وَتَزَوَّجَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي شَوَّالٍ؛ لِذَلِكَ نَصَّتْ عَلَىٰ ذَلِكَ فَقَالَتْ: «تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي شَوَّالٍ وَبَنَىٰ بِي فِي شَوَّالٍ -وَالْبِنَاءُ هُوَ الدُّخُولُ بِالزَّوْجَةِ- فَأَيُّ نِسَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانَ أَحْظَىٰ عِنْدَه مِنِّي».

فَكُلُّ ذَلِكَ تَقُولُهُ؛ لِإِبْطَالِ تِلْكَ الْخُرَافَةِ الَّتِي كَانَتْ مُلْصَقَةً فِي الزَّوَاجِ فِي شَهْرِ شَوَّالٍ.

كَانَ عُمُرُهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عِنْدَمَا عَقَدَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ سِتَّ سِنِينَ وَدَخَلَ بِهَا فِي الْمَدِينَةَ بَعْدَ الْهِجْرَةِ وَعُمُرُهَا تِسْعُ سِنِينَ.

رَوَىٰ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ وَكَذَا الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَنَا بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ وَبَنَىٰ بِي -أَيْ دَخَلَ بِهَا- وَأَنَا بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ».

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَىٰ عِنْدَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَىٰ شَرْطِ مُسْلِمٍ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ مُتَوَفَّىٰ خَدِيجَةَ قَبْلَ مَخْرَجِهِ مِنَ الْمَدِينَةِ بِسَنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ وَأَنَا بِنْتُ سَبْعِ سِنِينَ».

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَأَمَّا قَوْلُهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي رِوَايَةٍ: «تَزَوَّجَنِي وَأَنا بِنْتُ سَبْعٍ» وَفِي أَكْثَرِ الرِّوَايَاتِ «بِنْتُ سِتٍّ» فَجَمَعَ بَيْنَهُمَا أَنَّهُ كَانَ لَهَا سِتٌّ وَكَسْرٌ فَفِي رِوَايَةٍ اتَصَلَتْ عَلَىٰ السِّنِينَ وَفِي رِوَايَةٍ عَدَتِ السَّنَةُ الَّتِي دَخَلَتْ فِيهَا وَاللهُ أَعْلَمُ.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهَذِهِ السِّيَاقَاتُ كُلُّهَا دَالَّةٌ عَلَىٰ أَنَّ الْعَقْدَ عَلَىٰ عَائِشَةَ كَانَ مُقَدَّمًا عَلَىٰ الْعَقْدِ بِسَوْدَةَ، ثُمَّ عَقَدَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ سَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بَعْدَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَهِيَ أَوَّلُ مَنْ دَخَلَ بِهَا الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَانْفَرَدَتْ بِهِ أَيْ سَوْدَةُ نحوًا مِنْ ثَلَاثِ سِنِينَ أَوْ أَكْثَرَ حَتَّىٰ دَخَلَ عَلَىٰ عَائِشَةَ وَكَانَتْ سَيِّدَةً جَلِيلَةً نَبِيلَةً ضَخْمَةً، وَكَانَتْ سَوْدَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عِنْدَ ابْنِ عَمِّهَا السَّكْرَانِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخِي سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَكَانَ السَّكْرَانُ أَسْلَمَ مَعَهَا قَدِيمًا، وَهَاجَرَ بِهَا إِلَىٰ أَرْضِ الْحَبَشَةِ الْهِجْرَةَ الثَّانِيَةَ، ثُمَّ رَجَعَ بِهَا إِلَىٰ مَكَّةَ، فَمَاتَ بِهَا قَبْلَ الْهِجْرَةِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، وَقِيلَ: إِنَّهُ مَاتَ بِالْحَبَشَةِ.

أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» وَالْحَاكِمُ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ وَيَحْيَىٰ قَالَا: لَمَّا هَلَكَتْ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا جَاءَتْ خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ امْرَأَةُ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَعَنْهُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَلَا تَزَوَّجُ؟!

قَالَ: «مَنْ؟».

قَالَتْ: إِنْ شِئْتَ بِكْرًا وَإِنْ شِئْتَ ثَيِّبًا.

قَالَ: «**فَمَنِ الْبِكْرُ؟**» قَالَتْ: ابْنَةُ أَحَبِّ خَلْقِ اللهِ ﷻ إِلَيْكَ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ.

قَالَ: «**وَمَنِ الثَّيِّبُ؟**».

قَالَتْ: سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ آمَنَتْ بِكَ وَاتَّبَعَتْكَ عَلَىٰ مَا تَقُولُ.

قَالَ: «**فَاذْهَبِي فَاذْكُرِيهِمَا عَلَيَّ**».

قَالَتْ: فَذَهَبْتُ إِلَىٰ سَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ فَقُلْتُ لَهَا: مَاذَا أَدْخَلَ اللهُ ﷻ عَلَيْكَ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ!

قَالَتْ: وَمَا ذَاكَ؟!

قَالَتْ: أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَخْطُبُكِ عَلَيْهِ!

قَالَتْ: وَدِدْتُ، ادْخُلِي إِلَىٰ أَبِي فَاذْكُرِي ذَاكَ لَهُ! وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ أَدْرَكَتْهُ السِّنُّ قَدْ تَخَلَّفَ عَنِ الْحَجِّ؛ فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ فَحَيَّتْهُ بِتَحِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ.

فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟

فَقَالَتْ: خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ.

قَالَ: فَمَا شَأْنُكَ؟

قَالَتْ: أَرْسَلَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ أَخْطُبُ عَلَيْهِ سَوْدَةَ.

قَالَ: كُفْءٌ كَرِيمٌ! مَاذَا تَقُولُ صَاحِبَتُكِ؟

قَالَتْ: تُحِبُّ ذَاكَ، قَالَ: ادْعُهَا لِي، فَدَعَتْهَا فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّةُ إِنَّ هَذِهِ تَزْعُمُ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَدْ أَرْسَلَ يَخْطُبُكِ وَهُوَ كُفْءٌ كَرِيمٌ أَتُحِبِّينَ أَنْ أُزَوِّجَكِ به؟!

قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: ادْعِيهِ لِي فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِ فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ.

رَوَىٰ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَأَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِنِسَائِهِ عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «**هَذِهِ ثُمَّ ظُهُورُ الْحُصْرِ**».

أَيْ: أَنَّكُنَّ لَا تَعُدْنَ تُخْرِجْنَ مِنْ بُيُوتِكُنَّ وَتَلْزَمْنَ الْحُصْرَ -وَهِيَ جَمْعُ الْحَصِيرِ الَّذِي يُبْسَطُ فِي الْبُيُوتِ-.

فِي الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ الْمُرَادَ وُجُوبُ الْحَجِّ مَرَّةً وَاحِدَةً كَالرِّجَالِ لَا الْمَنْعَ مِنَ الزِّيَارَةِ.

وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْقَرَارِ فِي الْبُيُوتِ لَيْسَ عَلَىٰ سَبِيلِ الْوُجُوبِ «**هَذِهِ، ثُمَّ ظُهُورُ الْحُصْرِ**».

قَالَ: فَكُنَّ كُلَّكُنَّ يَحْجُجْنَ إِلَّا زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ وَسَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ وَكَانَتَا تَقُولَانِ: وَاللهِ لَا تُحَرِّكَنَّ دَابَّةٌ بَعْدَ أَنْ سَمِعْنَا ذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ.

لَمَّا كَبُرَتْ سَوْدَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا خَشِيَتْ أَنْ يُفَارِقَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَسَأَلَتْهُ أَنْ يَجْعَلَ يَوْمَهَا لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَلَا يُفَارِقَهَا، فَفَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

رَوَىٰ التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: خَشِيَتْ سَوْدَةُ أَنْ يُطَلِّقَهَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَتْ: لَا تُطَلِّقْنِي وَأَمْسِكْنِي وَاجْعَلْ يَوْمِي لِعَائِشَةَ فَفَعَلَ فَنَزَلَتْ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ﴾ [النساء: ١٢٨].

مكَثَتْ سَوْدَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عِنْدَ الرَّسُولِ ﷺ حَتَّىٰ تُوُفِّيَتْ بِالْمَدِينَةِ فِي آخِرِ خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ فِي وَفَاتِهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

◉ ◉ ◉

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

نَيْلُ الْمُشْرِكِينَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِي طَالِبٍ

بَعْدَ وَفَاةِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ تَتَابَعَتْ الْمَصَائِبُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ خَرَجَ مِنَ الشَّامِ فِي الْعَامِ الْعَاشِرِ مِنَ الْبِعْثَةِ حَتَّىٰ تُوُفِّيَ أَبُو طَالِبٍ وَخَدِيجَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فِي الْعَامِ نَفْسِهِ، ثُمَّ لَمْ تَزَلْ تَتَوَالَىٰ عَلَيْهِ الْخُطُوبُ مِنْ قَوْمِهِ فَقَدْ اجْتَرَأُوا عَلَيْهِ وَنَالُوهُ بِالنَّكَالِ وَالْأَذَىٰ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ بَعْدَ أَنْ كَانَ مُقْتَصِرًا عَلَىٰ الْكَلَامِ وَالِاسْتِهْزَاءِ قَبْلَ وَفَاةِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: وَعِنْدِي أَنَّ غَالِبَ مَا رُوِيَ مَنْ طَرَحَ الْكُفَّارُ سَلَىٰ الْجَزُورِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي وَكَذَلِكَ مَا أَخْبَرَ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو مَنْ خَنْقِهِمْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ خَنْقًا شَدِيدًا حَتَّىٰ حَالَ دُونَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَكَذَلِكَ عَزْمُ أَبِي جَهْلٍ لَعَنَهُ اللهُ عَلَىٰ أَنْ يَطَأَ عَلَىٰ عُنُقِهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي فَحِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَلِكَ مِمَّا أَشْبَهَ ذَلِكَ! يَقُولُ: عِنْدِي أَنَّ ذَلِكَ كَانَ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِي طَالِبٍ وَاللهُ أَعْلَمُ!

رَوَىٰ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا زَالَتْ قُرَيْشٌ كَاعَّةً حَتَّىٰ تُوُفِّيَ أَبُو طَالِبٍ**» يَعْنِي مَا زَالَتْ تَجْبُنُ عَنْ أَنْ تَنَالَ النَّبِيَّ ﷺ بِسُوءٍ حَتَّىٰ تُوُفِّيَ أَبُو طَالِبٍ.

وَرَوَىٰ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الدَّلَائِلِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**مَا نَالَتْ مِنِّي قُرَيْشٌ شَيْئًا أَكْرَهُهُ حَتَّىٰ مَاتَ أَبُو طَالِبٍ**».

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا هَلَكَ أَبُو طَالِبٍ نَالَتْ قُرَيْشٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْأَذَىٰ مَا لَمْ تَكُنْ تَطْمَعُ بِهِ فِي حَيَاةِ أَبِي طَالِبٍ حَتَّىٰ اعْتَرَضَهُ سَفِيهٌ مِنْ سُفَهَاءِ قُرَيْشٍ فَنَثَرَ عَلَىٰ رَأْسِهِ تُرَابًا، فَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْتَهُ وَالتُّرَابُ عَلَىٰ رَأْسِهِ فَقَامَتْ إِلَيْهِ إِحْدَىٰ بَنَاتِهِ فَجَعَلَتْ تَغْسِلُ عَنْهُ التُّرَابَ وَهِيَ تَبْكِي وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ لَهَا: «**لَا تَبْكِي يَا بُنَيَّةُ فَإِنَّ اللهَ مَانِعٌ أَبَاكِ**».

وَرَوَىٰ ابْنُ سَعْدٍ فِي «طَبَقَاتِهِ» -وَلَكِنَّ الْإِسْنَادَ ضَعِيفٌ كَمَا قَالَ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُنْتُ بَيْنَ شَرِّ جَارَيْنِ بَيْنَ أَبِي لَهَبٍ وَعُقْبَةَ ابْنِ أَبِي مُعَيْطٍ إِنْ كَانَا لَيَأْتِيَانِي بِالْفُرُوثِ فَيَطْرَحَانِهَا عَلَىٰ بَابِي حَتَّىٰ إِنَّهُمْ لَيَأْتُونَ بِبَعْضِ مَا يَطْرَحُونَ مِنَ الْأَذَىٰ فَيَطْرَحُونَهُ عَلَىٰ بَابِي» فَيَخْرُجُ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَيَقُولُ: «**يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، أَيُّ جِوَارٍ هَذَا**» ثُمَّ يُلْقِيهِ.

وَرَوَىٰ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ سَأَلْتُ ابْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَخْبِرْنِي بِأَشَدِّ شَيْءٍ صَنَعَهُ الْمُشْرِكُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ؟

قَالَ: بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فِي حِجْرِ الْكَعْبَةِ إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ لَعَنَهُ اللهُ فَوَضَعَ ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ خَنْقًا شَدِيدًا فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حَتَّىٰ أَخَذَ بِمَنْكِبِهِ وَدَفَعَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَ: أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ؟!

◉◉◉

www.menhag-un.com

الْخُرُوجُ إِلَى الطَّائِفِ، وَمَا لَقِيَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْأَذَى

قَالَ الْحَافِظُ: وَهَذَا الَّذِي أَجَابَ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يُخَالِفُ حَدِيثَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهُ ﷺ قَالَ لَهَا: «**وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ...**».

فَذَكَرَ قِصَّتَهُ بِالطَّائِفِ مَعَ ثَقِيفٍ وَالْجَمْعُ بَيْنَهُمَا أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا اسْتَنَدَ إِلَىٰ مَا رَوَاهُ وَلَمْ يَكُنْ حَاضِرًا فِي الْقِصَّةِ الَّتِي وَقَعَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ بِالطَّائِفِ.

وَمِمَّا لَقِيَهُ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ قُرَيْشٍ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِي طَالِبٍ مَا رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: لَقَدْ ضَرَبُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ غُشِيَ عَلَيْهِ.

فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَجَعَلَ يُنَادِي وَيَقُولُ: أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ؟! فَقَالُوا: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ الْمَجْنُونُ!

وَرَوَىٰ الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ إِذْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَيُّكُمْ يَجِيءُ بِسَلَىٰ جَزُورِ بَنِي فُلَانٍ فَيَضَعُهُ عَلَىٰ ظَهْرِ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ؟!

فَانْبَعَثَ أَشْقَىٰ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِهِ وَهُوَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ فَنَظَرَ حَتَّىٰ إِذَا سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ وَضَعَهُ عَلَىٰ ظَهْرِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ وَأَنَا أَنْظُرُ لَا أُغْنِي شَيْئًا لَوْ كَانَ لِي مَنَعَةٌ!

قَالَ: فَجَعَلُوا يَضْحَكُونَ وَيُحِيلُ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ سَاجِدٌ لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ حَتَّىٰ جَاءَتْهُ فَاطِمَةُ فَطَرَحَتْ عَنْ ظَهْرِهِ وَرَفَعَ رَأْسَهُ ثُمَّ قَالَ ﷺ: «**اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ**» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَشَقَّ عَلَيْهِمْ إِذْ دَعَا عَلَيْهِمْ.

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الدَّعْوَةَ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ مُسْتَجَابَةٌ، ثُمَّ سَمَّىٰ ﷺ: «**اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ وَعَلَيْكَ بِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ**».

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ عَدَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَرْعَىٰ فِي الْقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ.

قَالَ الْحَافِظُ رَحِمَهُ اللهُ: فِي هَذَا الْحَدِيثِ تَعْظِيمُ الدُّعَاءِ بِمَكَّةَ عِنْدَ الْكُفَّارِ وَمَا ازْدَادَتْ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا تَعْظِيمًا.

وَفِيهِ مَعْرِفَةُ الْكُفَّارِ بِصِدْقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ لِخَوْفِهِمْ مِنْ دُعَائِهِ وَلَكِنْ حَمَلَهُمُ الْحَسَدُ عَلَىٰ تَرْكِ الِانْقِيَادِ لَهُ.

وَفِيهِ حِلْمُهُ ﷺ عَمَّنْ آذَاهُ فَفِي رِوَايَةِ الطَّيَالِسِيِّ فِي «مُسْنَدِهِ» عَنْ شُعْبَةَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: لَمْ أَرَهُ دَعَا عَلَيْهِمْ إِلَّا يَوْمَئِذٍ وَإِنَّمَا اسْتَحَقُّوا الدُّعَاءَ حِينَئِذٍ لِمَا أَقْدَمُوا عَلَيْهِ مِنَ الِاسْتِخْفَافِ بِهِ حَالَ عِبَادَةِ رَبِّهِ.

وَفِيهِ اسْتِحْبَابُ الدُّعَاءِ ثَلَاثًا.

وَفِيهِ جَوَازُ الدُّعَاءِ عَلَىٰ الظَّالِمِ لَكِنْ قَالَ بَعْضُهُمْ: مَحَلُّهُ مَا إِذَا كَانَ كَافِرًا فَأَمَّا الْمُسْلِمُ فَيُسْتَحَبُّ الِاسْتِغْفَارُ لَهُ وَالدُّعَاءُ وَالتَّوْبَةُ.

وَفِيهِ قُوَّةُ نَفْسِ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِنْ صِغَرِهَا لِشَرَفِهَا فِي قَوْمِهَا وَنَفْسِهَا لِكَوْنِهَا صَرَّحَتْ بِشَتْمِهِمْ وَهُمْ رُؤُوسُ قُرَيْشٍ فَلَمْ يَرُدُّوا عَلَيْهَا كَمَا وَرَدَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ.

وَفِيهِ أَنَّ الْمُبَاشَرَةَ آكَدُ مِنَ السَّبَبِ وَالْإِعَانَةِ؛ لِقَوْلِهِ فِي عُقْبَةَ: أَشْقَىٰ الْقَوْمِ! مَعَ أَنَّهُ كَانَ فِيهِمْ أَبُو جَهْلٍ وَهُوَ أَشَدُّ مِنْهُ كُفْرًا وَأَشَدُّ مِنْهُ أَذًىٰ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ لَكِنَّ الشَّقَاءَ هَا هُنَا بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ هَذِهِ الْقِصَّةِ؛ لِأَنَّهُمْ اشْتَرَكُوا فِي الْأَمْرِ وَالرِّضَا وَانْفَرَدَ عُقْبَةُ بِالْمُبَاشَرَةِ فَكَانَ أَشْقَاهُمْ وَلِهَذَا قُتِلُوا فِي الْحَرْبِ وَقُتِلَ عُقْبَةُ صَبْرًا.

أَيْ أَنَّ هَؤُلَاءِ كُلَّهُمْ قُتِلُوا فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ الْكُبْرَىٰ بِاسْتِثْنَاءِ عُقْبَةَ فَإِنَّهُ كَانَ أَسِيرًا فَأَمَرَ الرَّسُولُ ﷺ بِقَتْلِهِ بِالسَّيْفِ.

مِمَّا لَقِيَهُ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِي طَالِبٍ مَا رَوَاهُ الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟

فَقِيلَ: نَعَمْ -يَعْنِي هَلْ يَسْجُدُ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَأَنْتُمْ حُضُورٌ- فَقِيلَ: نَعَمْ.

فَقَالَ لَعَنَهُ اللهُ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّىٰ لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَأَطَأَنَّ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ أَوْ لَأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ!

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَأَتَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي زَعَمَ لِيَطَأَ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ قَالَ: فَمَا فَجَأَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ.

قَالَ فَقِيلَ لَهُ: مَالَكَ؟

فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقٍ مِنْ نَارٍ وَهَوْلًا وَأَجْنِحَةً فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ دَنَىٰ مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا**».

قَالَ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ﴾ [العلق: ٦ - ١٢] إِلَىٰ آخِرِ السُّورَةِ.

وَرَوَىٰ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» وَابْنُ مَاجَهْ بِسَنَدٍ قَوِيٍّ عَلَىٰ شَرْطِ مُسْلِمٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ جَالِسٌ حَزِينًا قَدْ خُضِبَ بِالدِّمَاءِ؛ ضَرَبَهُ بَعْضُ أَهْلِ مَكَّةَ قَالَ: فَقَالَ لَهُ: مَا لَكَ؟

قَالَ: فَقَالَ لَهُ: «**فَعَلَ بِي هَؤُلَاءِ وَفَعَلُوا**».

قَالَ: فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتُحِبُّ أَنْ أُرِيَكَ آيَةً؟

قَالَ: «**نَعَمْ**».

قَالَ: فَنَظَرَ إِلَىٰ شَجَرَةٍ مِنْ وَرَاءِ الْوَادِي فَقَالَ: ادْعُ بِتِلْكَ الشَّجَرَةِ فَدَعَاهَا فَجَاءَتْ تَمْشِي حَتَّىٰ قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ: مُرْهَا فَلْتَرْجِعْ فأَمَرَهَا فَرَجَعَتْ إِلَىٰ مَكَانِهَا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**حَسْبِي**».

لَقَدْ صَرَّحَ الرَّسُولَ ﷺ بِأَنَّهُ أُوذِيَ فِي اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَأَنَّهُ أُخِيفَ فِي اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ «**لَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللهِ وَمَا يُؤْذَىٰ أَحَدٌ وَأُخِفْتُ فِي اللهِ وَمَا يَخَافُ أَحَدٌ وَأُوذِيتُ فِي اللهِ وَمَا يُؤْذَىٰ أَحَدٌ وَأَتَتْ عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَمَا لِي وَلِبِلَالٍ طَعَامٌ يَأْكُلُه ذُو كَبِدٍ إِلَّا شَيْءٌ يُوَارِيهِ إِبِطُ بِلَالٍ**».

انْطَلَقُوا يُؤْذُونَهُ ﷺ وَيَتَوَعَّدُونَهُ لَكِنَّ التَّرْهِيبَ يَفْعَلُ فِيهِ مَا لَمْ يَفْعَلْ التَّرْغِيبُ رَمَوْا فِي طَرِيقِهِ الشَّوْكَ وَهُوَ مَاشٍ وَأَلْقَوْا عَلَيْهِ أَحْشَاءَ النَّاقَةِ وَهُوَ سَاجِدٌ وَرَمَوْهُ فِي الطَّائِفِ بِالْحِجَارَةِ وَأَسَالُوا دَمَهُ وَهَزِئُوا بِهِ وَسَلَّطُوا عَلَيْهِ سُفَاءَهُمْ فَلَمْ يُثِرْ هَذَا كُلُّهُ غَضَبَهُ ﷺ.

لَكِنْ أَثَارَ إِشْفَاقَ الْكَبِيرِ عَلَىٰ الْأَطْفَالِ الْمُؤْذِينَ، وَإِشْفَاقَ الْعَاقِلِ عَلَىٰ الْمَجَانِينَ وَكَانَ جَوَابُهُ ﷺ: «**اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**».

وَأَوْغَلَتْ قُرَيْشٌ فِي كُفْرِهَا وَصَدِّهَا وَعِنَادِهَا وَلَكِنْ هَلْ تَقْدِرُ قُرَيْشٌ أَنْ تُطْفِئَ نُورَ رَبِّهَا؟!

اسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي وَسَطِ هذَا الْكَرْبِ الْكَارِبِ اسْتَأْذَنَ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْهِجْرَةِ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ وَأَذِنَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِالْهِجْرَةِ وَشَرَعَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي ذَلِكَ

حَتَّىٰ رَدَّهُ ابْنُ الدُّغُنَّةِ فَرَجَعَ فِي جِوَارِهِ ثُمَّ رَدَّ عَلَيْهِ جِوَارَهُ وَرَضِيَ باللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ جَارًا وَنَصِيرًا.

وَاسْتَمَرَّ مَدُّ الْإِيذَاءِ وَالِاسْتِهْزَاءِ حَتَّىٰ كَانَ شَهْرُ شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ لِلْمَبْعَثِ فَعَقَدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ عَائِشَةَ وَهِيَ بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ وَلَمْ يَبْنِ بِهَا إِلَّا فِي السَّنَةِ الْأُولَىٰ مِنَ الْهِجْرَةِ وَهِيَ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: تَزَوَّجَنِي النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَنَزَلْنَا فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ فَوُعِكَتْ فتمَرَّقَ شَعْرِي -تَمَرَّقَ وَتَمَزَّقَ أَيْ تَقَطَّعَ تَمَرَّقَ بِالرَّاءِ أَيِ انْتُتِفَ- فَتَمَرَّقَ شَعْرِي، فَوَفَىٰ جُمَيْمَةً. وَفَىٰ أَيْ كَثُرَ بَعْدَ ذَلِكَ حَتَّىٰ صَارَ جُمَيْمَةً، فَأَتَتْنِي أُمِّي أُمُّ رُومَانَ وَإِنِّي لَفِي أُرْجُوحَةٍ وَمَعِي صَوَاحِبُ لِي، فَصَرَخَتْ بِي -أَيْ نَادَتْنِي بِصَوْتٍ عَالٍ- فَأَتَيْتُهَا، لاَ أَدْرِي مَا تُرِيدُ بِي فَأَخَذَتْ بِيَدِي حَتَّىٰ أَوْقَفَتْنِي عَلَىٰ بَابِ الدَّارِ، وَإِنِّي لَأُنْهَجُ، حَتَّىٰ سَكَنَ بَعْضُ نَفَسِي، ثُمَّ أَخَذَتْ شَيْئًا مِنْ مَاءٍ فَمَسَحَتْ بِهِ وَجْهِي وَرَأْسِي، ثُمَّ أَدْخَلَتْنِي الدَّارَ، فَإِذَا نِسْوَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ فِي البَيْتِ، فَقُلْنَ عَلَىٰ الخَيْرِ وَالبَرَكَةِ، وَعَلَىٰ خَيْرِ طَائِرٍ، فَأَسْلَمَتْنِي إِلَيْهِنَّ، فَأَصْلَحْنَ مِنْ شَأْنِي، فَلَمْ يَرُعْنِي إِلَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ ضُحًىٰ، فَأَسْلَمَتْنِي إِلَيْهِ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَرَوَىٰ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَزَوَّجَهَا وَهِيَ بِنْتُ سِتٍّ وَبَنَىٰ بِهَا وَهِيَ بِنْتُ تِسْعٍ وَمَاتَ عَنْهَا وَهِيَ بِنْتُ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ.

وَجَاءَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ الصَّحِيحَةِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عقدَ عَلَيْهَا وَهِيَ بِنْتُ سَبْعِ سِنِينَ وَقَدْ مَرَّ تَوْجِيهُ النَّوَوِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ لِذَلِكَ قَالَ: الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا أَنَّهُ كَانَ لَهَا سِتٌّ وَكَسْرٌ أَيْ وَبِضْعَةُ أَشْهُرٍ.

فَفِي رِوَايَةٍ اقْتَصَرَتْ عَلَىٰ السِّنِينَ وَفِي رِوَايَةٍ عَدَّتِ السَّنَةَ الَّتِي دَخَلَتْ فِيهَا، كَانَ ذَلِكَ فِي شَهْرِ شَوَّالٍ لِمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي شَوَّالٍ وبَنَىٰ بِي فِي شَوَّالٍ فَأَيُّ نِسَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانَتْ أَحْظَىٰ عِنْدَهُ مِنِّي؟!

كَانَ زَوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِوَحْيٍ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فِي «الصَّحِيحَيْنِ» قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**أُرِيتُكِ فِي الْمَنَامِ مَرَّتَيْنِ إِذَا رَجُلٌ يَحْمِلُكِ فِي سَرَقَةِ حَرِيرٍ** -أَيْ فِي قِطْعَةِ حَرِيرٍ- **فَيَقُولُ: هَذِهِ امْرَأَتُكَ، فَأَكْشِفُهَا فَإِذَا هِيَ أَنْتِ، فَأَقُولُ: إِنْ يَكُنْ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ يُمْضِهِ**».

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ -وَعِنْدَ الْآجُرِّيِّ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ- عَنْ عَائِشَةَ: لَقَدْ نَزَلَ جِبْرِيلُ بِصُورَتِي فِي رَاحَتِهِ أَيْ فِي كَفِّهِ حِينَ أُمِرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَتَزَوَّجَنِي.

وَيُجْمَعُ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ مَا قَبْلَهُ بِأَنَّهَا كَانَتْ فِي قِطْعَةِ حَرِيرٍ بِأَنَّ الْمُرَادَ أَنَّ صُورَتَهَا كَانَتْ فِي الْخِرْقَةِ وَالْخِرْقَةُ كَانَتْ فِي رَاحَتِهِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ نَزَلَ بِالْكَيْفِيَّتَيْنِ لِقَوْلِهَا فِي الْخَبَرِ نَفْسِهِ: نَزَلَ مَرَّتَيْنِ فَهَذَا وَحْيٌ مِنَ اللهِ؛ لِأَنَّ رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ وَعِصْمَتُهُمْ فِي الْمَنَامِ كَالْيَقَظَةِ.

وَلَمْ يَتَزَوَّجِ النَّبِيُّ ﷺ بِكْرًا إِلَّا عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا. رَوَىٰ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: قُلْت يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ نَزَلْتَ وَادِيًا وَفِيهِ شَجَرَةٌ قَدْ أُكِلَ مِنْهَا، وَوَجَدْتَ شَجَرًا لَمْ يُؤْكَلْ مِنْهَا، فِي أَيِّهَا كُنْتَ تُرْتِعُ بَعِيرَكَ؟ قَالَ: «فِي الَّذِي لَمْ يُرْتَعْ مِنْهَا» تَعْنِي أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَتَزَوَّجْ بِكْرًا غَيْرَهَا. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

كَانَتْ بَلَاغَتُهَا مَضْرِبَ الْأَمْثَالِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَتَأَمَّلْ إِلَىٰ تَلَطُّفِهَا فِي هَذَا الْمِثَالِ وَكَيْفَ أَرَادَتْ أَنْ تَقُولَ فَقَالَتْ، وَلَمْ يَمْنَعْهَا مِنْ ذَلِكَ حَصَرٌ وَلَا عِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فَبَلَّغَتْ مَا فِي نَفْسِهَا وَاسْتَنْطَقَتْ زَوْجَهَا ونَبِيَّهَا وَوَصَلَتْ إِلَىٰ مُرَادِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَقَعَ شَيْءٌ مِنَ الْإِيذَاءِ قَطُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

فِي شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ تَزَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ وَكَانَ أَخُوهَا غَائِبًا، فَلَمَّا جَاءَ وَهُوَ عَبْدُ اللهِ بْنُ زَمْعَةَ كَانَ فِي الْحَجِّ فَلَمَّا جَاءَ جَعَلَ يَحْثِي فِي رَأْسِهِ التُّرَابَ فَقَالَ بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ -يَعْنِي كَانَ مُعْتَرِضًا عَلَىٰ هَذَا الزَّوَاجِ وَلَوْ كَانَ حَاضِرًا لَكَانَ لَهُ رَأْيٌ فَلَمَّا جَاءَ وَأُخْبِرَ بِأَمْرِ الزَّوَاجِ- جَعَلَ يَحْثِي فِي رَأْسِهِ التُّرَابَ فَقَالَ بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ: لَعَمْرُكَ إِنِّي لَسَفِيهٌ يَوْمَ أَحْثِي فِي رَأْسِي التُّرَابَ أَنْ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَعَنْهَا-.

هَذَا الْحَدِيثُ قَدْ مَرَّ بِطُولِهِ وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ وَفِيهِ بَعْضُ الزِّيَادَةِ تَتَعَلَّقُ بِعَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: لَمَّا هَلَكَتْ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا جَاءَتْ خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ امْرَأَةُ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَعَنْهُ- إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَلَا تَزَوَّجُ؟!

قَالَ: «**مَنْ؟**».

قَالَتْ: إِنْ شِئْتَ بِكْرًا وَإِنْ شِئْتَ ثَيِّبًا.

قَالَ: «**فَمَنِ الْبِكْرُ؟**» قَالَتْ: ابْنَةُ أَحَبِّ خَلْقِ اللهِ ﷻ إِلَيْكَ: عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ.

قَالَ: «**وَمَنِ الثَّيِّبُ؟**».

قَالَتْ: سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ آمَنَتْ بِكَ وَاتَّبَعَتْكَ عَلَىٰ مَا تَقُولُ.

قَالَ: «**فَاذْهَبِي فَاذْكُرِيهِمَا عَلَيَّ**».

قَالَتْ: فَدَخَلْتُ بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَتْ: يَا أُمَّ رُومَانَ مَاذَا أَدْخَلَ اللهُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ قَالَتْ: وَمَا ذَاكَ؟

وَأُمُّ رُومَانَ هِيَ أُمُّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فَدَخَلَتْ بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَتْ: يَا أُمَّ رُومَانَ مَاذَا أَدْخَلَ اللهُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ.

قَالَتْ: وَمَا ذَاكَ؟

قَالَتْ: «أَرْسَلَنِي رَسُول اللهِ ﷺ أَخْطُبُ عَلَيْهِ عَائِشَةَ».

قَالَتْ: انْتَظِرِي أَبَا بَكْرٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا بَكْرٍ، مَاذَا أَدْخَلَ اللهُ عَلَيْكُمْ مِنَ الخَيْرِ وَالبَرَكَةِ، قَالَتْ: أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَخْطُبُ عَلَيْهِ عَائِشَةَ:

قَالَ: وَهَلْ تَصْلُحُ لَهُ؟ إِنَّمَا هِيَ ابْنَةُ أَخِيهِ. قَالَتْ: فَرَجَعَتْ إِلَىٰ رَسُول اللهِ ﷺ فَذَكَرَتْ لَهُ ذَلِكَ.

فَقَالَ: «ارْجِعِي إِلَيْهِ فَقُولِي لَهُ: أَنَا أَخُوكَ، وَأَنْتَ أَخِي فِي الْإِسْلَامِ، وَابْنَتُكَ تَصْلُحُ لِي».

فَرَجَعَتْ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: انْتَظِرِي، وَخَرَجَ.

فَقَالَتْ أُمُّ رُومَانَ: إِنَّ مُطْعِمَ بْنَ عَدِيٍّ قَدْ كَانَ ذَكَرَهَا عَلَىٰ ابْنِهِ، وَاللهِ مَا وَعَدَ مَوْعِدًا قَطُّ فَأَخْلَفَهُ لِأَبِي بَكْرٍ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَىٰ مُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ وَعِنْدَهُ امْرَأَتُهُ أُمُّ الْفَتَىٰ.

فَقَالَتْ: يَا ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ، لَعَلَّكَ مُصْبٍ صَاحِبَنَا وَلَعَلَّكَ مُدْخِلُهُ فِي دِينِكَ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ إِنْ تَزَوَّجَ إِلَيْكَ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِلْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ: أَقَوْلَ هَذِهِ تَقُولُ؟

فَقَالَ: إِنَّهَا تَقُولُ ذَلِكَ، فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ وَقَدْ أَذْهَبَ اللهُ مَا كَانَ فِي نَفْسِهِ مِنْ عِدَتِهِ الَّتِي وَعَدَهُ، فَرَجَعَ فَقَالَ لِخَوْلَةَ: ادْعِي لِي رَسُولَ اللهِ ﷺ فَدَعَتْهُ، فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ، وَعَائِشَةُ يَوْمَئِذٍ بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ.

قَالَتْ: ثُمَّ خَرَجَتْ، فَدَخَلَتْ عَلَىٰ سَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ فَذَكَرَتْ بَاقِيَ الْحَدِيثِ.

لَمَّا أَسَنَّتْ سَوْدَةُ وَهَبَتْ نَوْبَتَهَا لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لاَ يُفَضِّلُ بَعْضَنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِيْ الْقَسْمِ مِنْ مُكْثِهِ عِنْدَنَا، وَكَانَ قَلَّ يَوْمٌ إِلاَّ وَهُوَ يَطُوفُ عَلَيْنَا جَمِيعًا فَيَدْنُو مِنْ كُلِّ امْرَأَةٍ مِنْ غَيْرِ مَسِيسٍ حَتَّىٰ يَبْلُغَ إِلَىٰ الَّتِي هُوَ يَوْمُهَا فَيَبِيتُ عِنْدَهَا.

وَلْقَدْ قَالَتْ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ حِينَ أَسَنَّتْ وَفَرِقَتْ أَنْ يُفَارِقَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَا رَسُولَ اللهِ، يَوْمِي لِعَائِشَةَ. فَقَبِلَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْهَا.

قَالَتْ: نَقُولُ فِي ذَلِكَ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ وَفِي أَشْبَاهِهَا أُرَاهُ قَالَ: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ [النساء: ١٢٨]. الْحَدِيثُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فِي تِلْكَ السَّنَةِ خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ الطَّائِفِ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ فَأَبَوْا وَآذَوْهُ وَرَجَعَ مَهْمُومًا فَثَبَّتَهُ اللهُ تَعَالَىٰ بِأَمْرَيْنِ: أَرْسَلَ إِلَيْهِ مَلَكُ الْجِبَالِ، وَأَسْلَمَ عَلَىٰ يَدَيْهِ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْجِنِّ ثُمَّ دَخَلَ مَكَّةَ فِي جِوَارِ الْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ.

لَمَّا مَاتَ أَبُو طَالِبٍ وَخَدِيجَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَاشْتَدَّ إِيذَاءُ قُرَيْشٍ لَهُ ﷺ.

قَرَّرَ النَّبِيُّ ﷺ الْخُرُوجَ إِلَىٰ مَكَانٍ آخَرَ سِوَىٰ مَكَّةَ يُلْقِي فِيهِ دَعْوَتَهُ لَعَلَّهُ يَجِدُ مَنْ يَنْصُرُهَا وَيُؤْوِيهِ حَتَّىٰ يُبَلِّغَ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ؛ فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ الطَّائِفِ يَلْتَمِسُ النُّصْرَةَ مِنْ ثَقِيفٍ فَلَمْ يَجِدْ مَا كَانَ يَتَمَنَّاهُ بَلْ نَالَهُ مِنْهُمْ مَا لَمْ يَنَلْهُ مِنْ أَحَدٍ قَطُّ.

رَوَىٰ الْبُخَارِيُّ بِسَنَدِهِ عَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَبِيِّ ﷺ، أَنَّهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَىٰ عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ قَالَ: لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ

أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَىٰ ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَىٰ مَا أَرَدْتُ فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَىٰ وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ: ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ أُطَبِّقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، فَوَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، لَقَدْ رُزِقْتَ رَحْمَةً لَوْ وُزِّعَتْ عَلَىٰ أَهْلِ الْأَرْضِ مُنْذُ خَلَقَ اللهُ آدَمَ عليه السلام إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ لَوَسِعَتْهُمْ وَأُعْطِيتَ رَأْفَةً لَوْ قُسِّمَتْ عَلَىٰ أَهْلِهَا لَكَفَتْهُمْ، وَكَيْفَ لَا وَقَدْ قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

فَأَيْنَ أَعْدَاءُ اللهِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الرَّحْمَةِ؟ وَأَيْنَ الْحَاقِدُونَ الزَّاعِمُونَ أَنَّكَ جِئْتَ بِالْقَتْلِ وَسَفْكِ الدِّمَاءِ يَفْعَلُونَ الْأَفَاعِيلَ ثُمَّ يَرْمُونَ بِهَا الْأَبْرِيَاءَ ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

يَقُولُ: «**بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**».

وَلَمَّا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي طَرِيقِ الرُّجُوعِ إِلَىٰ مَكَّةَ نَزَلَ بِوَادِي نَخْلَةَ الْقَرِيبِ مِنْ مَكَّةَ يُصَلِّي وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَيْهِ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْجِنِّ فَلَمَّا سَمِعُوهُ أَنْصَتُوا قَالُوا: صَهْ! وَكَانُوا تِسْعَةً أَحَدُهُمْ زَوْبَعَةُ فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩- ٣٢]. أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ وَوَافَقَهُمَا الشَّيْخُ مُقْبِلٌ -رَحِمَهُمُ اللهُ جَمِيعًا-.

وَرُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ مَكَّةَ بَعْدَ رُجُوعِهِ فِي جِوَارِ الْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ فِي «التَّارِيخِ» بِسَنَدٍ مُنْقَطِعٍ لِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي أُسَارَىٰ بَدْرٍ: «**لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتْنَىٰ لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ**». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

كَانَتْ مَدِينَةُ الطَّائِفِ الْمَدِينَةَ الثَّالِثَةَ الْكَبِيرَةَ بَعْدَ مَكَّةَ وَيَثْرِبَ الَّتِي سَعِدَتْ بِقُدُومِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَيْهَا، وَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الرِّحْلَةُ فِي سَبِيلِ الدَّعْوَةِ حَدَثًا كَبِيرًا لَيْسَ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ وَحْدَهَا بَلْ فِي تَارِيخِ النُّبُوءَاتِ وَالدَّعْوَاتِ، وَقَدْ قَصَدَهَا مَرَّتَيْنِ الْأُولَىٰ فِي شَوَّالٍ فِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ بَعْدَ الْبِعْثَةِ وَالثَّانِيَةَ فِي شَوَّالٍ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ بَعْدَ الْهِجْرَةِ.

لَمَّا كَانَتْ كَذَلِكَ اسْتَحَقَّتْ أَكْثَرَ مِنْ مَدِينَةٍ أُخْرَىٰ فِي الْجَزِيرَةِ أَنْ يُلْقَىٰ عَلَيْهَا بَعْضُ الْأَضْوَاءِ؛ لِتُعْرَفَ مَكَانَتُهَا التَّارِيخِيَّةُ وَالْجُغْرَافِيَّةُ وَالِاجْتِمَاعِيَّةُ.

تَقَعُ مَدِينَةُ الطَّائِفِ عَلَىٰ مَسَافَةِ خَمْسَةٍ وَسَبْعِينَ مِيلًا تَقْرِيبًا إِلَىٰ الْجَنُوبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ مَكَّةَ، وَهِيَ وَاقِعَةٌ عَلَىٰ ظَهْرِ جَبَلِ غَزْوَانَ وَيَبْلُغُ ارْتِفَاعُ هَذَا الْجَبَلِ نَحْوَ سِتَّةِ آلَافِ قَدَمٍ وَاسْمُ الطَّائِفِ مَأْخُوذٌ مِنَ السُّورِ أَوِ الْحَائِطِ الَّذِي كَانَ يُحِيطُ وَيَطُوفُ بِالْمَدِينَةِ وَكَانَ الِاسْمُ الْقَدِيمُ لِهَذِهِ الْمَدِينَةِ «هُوج» وَكَانَ أَثْرِيَاءُ قُرَيْشٍ وَوُجُوهُهَا قَدِ ابْتَنَوْا قُصُورًا فِي الطَّائِفِ وَكَانُوا يَقْضُونَ فِيهَا شُهُورَ الصَّيْفِ الْقَائِظَةِ.

وَكَانَ لِعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَقَارَاتٌ بِالطَّائِفِ. قَالَ الْمُنَاذِرِيُّ: كَانَتْ لِعَامَّةِ قُرَيْشٍ أَمْوَالٌ بِالطَّائِفِ يَأْتُونَهَا مِنْ مَكَّةَ وَيُصْلِحُونَهَا. وَأَدَّىٰ الثَّرَاءُ الْوَاسِعُ إِلَىٰ فَسَادٍ اجْتِمَاعِيٍّ فَاشْتُهِرَ أَثْرِيَاءُ الطَّائِفِ بِأَنَّهُمْ أَصَاحِبُ رِبًا وَزِنًا وَخَمْرٍ، وَانْتَشَرَ فِيهَا صِنَاعَةُ الْخُمُورِ وَصِنَاعَةُ الزَّبِيبِ وَدَبْغُ الْجُلُودِ وَصِنَاعَةُ الْعُطُورِ وَتَوَافَرَتْ فِيهَا مَوَارِدُ الْمِيَاهِ وَخُصُوبَةُ الْأَرْضِ فَكَثُرَتْ الْبَسَاتِينُ وَطَابَتْ الثِّمَارُ وَتَنَوَّعَتْ الْفَوَاكِهُ وَانْتَشَرَتِ الزِّرَاعَةُ وَغَرْسُ الْأَشْجَارِ وَهُوَ الشَّأْنُ إِلَىٰ الْآنَ وَكَانَتْ مَصْيَفًا لِلْمُتَنَعِّمِينَ وَظَلَّتْ كَذَلِكَ إِلَىٰ عَهْدِ الْإِسْلَامِ فَمَا بَعْدَهُ.

قَالَ الشَّاعِرُ الْأُمَوِيُّ عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ:

تَشْدُو بِمَكَّةَ نَعْمَةً وَمَصِيفُهَا بِالطَّائِفِ.

وَلَمَّا كَانَ أَهْلُ الطَّائِفِ أَصْحَابَ أَمْلَاكٍ وَبَسَاتِينَ وَثَرَاءٍ وَرَخَاءٍ أَوْرَثَهُمْ كُلُّ ذَلِكَ الْكِبْرَ وَالْبَطَرَ وَجَعَلَهُمْ مِصْدَاقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ

إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ [سبأ: ٣٤ - ٣٥].

وَانْفَرَدَتْ ثَقِيفٌ بِالسِّيَادَةِ فِي الطَّائِفِ وَأَصْبَحَتْ مِنْ أَعْظَمِ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي يُضْرَبُ بِقُوَّتِهَا وَثَرْوَتِهَا الْمَثَلُ وَكَانَتْ مِنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ الْمُسْتَعْرِبَةِ أَيْ مِنَ الْعَرَبِ الْعَدْنَانِيَّةِ.

وَكَانَتْ بَيْنَ ثَقِيفٍ وَقُرَيْشٍ مُنَافَسَةٌ فِي مَجَالِ الدِّينِ وَرِئَاسَةِ الْأَوْثَانِ وَشَعْبِيَّتِهَا وَكَانَتْ تَنْظُرُ إِلَىٰ وَثَنِهَا اللَّاتِ كَمُنَافِسٍ لِهُبَلَ بَلْ لِلْكَعْبَةِ فَأَقَامَتْ حَوْلَ اللَّاتِ حَرَمًا وَأَحَاطَتْهُ بِمَظَاهِرِ التَّقْدِيسِ وَشَعَائِرِ الدِّينِ نَفْسِهَا الَّتِي كَانَتْ مُخْتَصَّةً بِالْكَعْبَةِ.

وَحِينَ زَحَفَ أَبْرَهَةُ بِجَيْشِهِ إِلَىٰ مَكَّةَ انْفَرَدَتْ ثَقِيفٌ بِمَوْقِفِ التَّأْيِيدِ لَهُ وَبَعَثَتْ مَعَهُ أَبَا رُغَالٍ دَلِيلًا لِلْجَيْشِ عَلَىٰ الطَّرِيقِ إِلَىٰ مَكَّةَ، وَقَدْ مَاتَ هَذَا الدَّلِيلُ فِي الطَّرِيقِ وَأَبْغَضَهُ الْعَرَبُ وَرَجَمُوا قَبْرَهُ.

وَكَانَ الثَّقَفِيُّونَ أَغْدَقَ الْعَرَبِ عَيْشًا -كَمَا قَالَ يَاقُوتٌ-.

وَكَانَ هَوَاهَا مَعَ بَنِي أُمَيَّةَ وَقَدِ الْتَقَوْا عَلَىٰ حُبِّ الثَّرَاءِ وَالْجَاهِ وَالتَّوَسُّعِ فِي التِّجَارَةِ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُرَيْشٌ وَالْأَنْصَارُ حَلِيفَانِ وَبَنُو أُمَيَّةَ وَثَقِيفٌ حَلِيفَانِ**».

وَكَانَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ وَهُوَ سَيِّدُ ثَقِيفٍ زَوْجَ آمِنَةَ بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ وَكَانَ لَهُ مِنْهَا دَاوُدُ بْنُ عُرْوَةَ وَذَهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّهُ الْمَعْنِيُّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ حِكَايَةً عَنْ أَهْلِ مَكَّةَ: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٣١].

وَقَدْ نَبَغَ فِي ثَقِيفٍ الْحَارِثُ بْنُ كِلْدَةَ وَقَدْ رَحَلَ إِلَىٰ فَارِسَ وَتَعَلَّمَ الطِّبَّ وَاشْتُهِرَ طِبُّهُ بَيْنَ الْعَرَبِ وَاشْتُهِرَ بَعْدَهُ ابنُهُ النَّضْرُ وَهُوَ ابْنُ خَالَةِ الرَّسُولِ ﷺ وَقَدْ تَجَوَّلَ فِي عِدَّةِ أَقْطَارٍ وَصَحِبَ الْأَحْبَارَ وَالْكَهَنَةَ وَكَانَ لَهُ إِلْمَامٌ بِعُلُومِ الْفَلْسَفَةِ وَالْحِكْمَةِ وَأَخَذَ الطِّبَّ مِنْ أَبِيهِ، وَكَانَ النَّضْرُ كَثِيرَ الْعَدَاءِ وَالْحَسَدِ لِلنَّبِيِّ ﷺ.

وَاشْتُهِرَ أَيْضًا فِيهِمْ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ وَكَانَ مِنَ الشُّعَرَاءِ الْمُخَضْرَمِينَ الَّذِينَ عَاصَرُوا الْجَاهِلِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ اطَّلَعَ عَلَىٰ كُتُبِ الْقُدَمَاءِ وَخَاصَّةً التَّوْرَاةَ وَكَانَ فِي مُقَدِّمَةِ الْحُنَفَاءِ فَلَمَّا بُعِثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سُقِطَ فِي يَدِهِ، وَكَفَرَ بِهِ حَسَدًا وَأَخَذَ يُحَرِّضُ عَلَىٰ الرَّسُولِ، وَيَرْثِي قَتْلَىٰ أَعْدَائِهِ فِي وَقْعَةِ بَدْرٍ.

لَهُ فِي التَّوْحِيدِ وَالْحِكْمَةِ شِعْرٌ كَثِيرٌ وَفِيهِ يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**آمَنَ شِعْرُهُ وَكَفَرَ قَلْبُهُ**».

وَمِمَّا يُذْكَرُ لِثَقِيفٍ مِنَ الْمَآثِرِ أَنَّهُ ارْتَدَّ غَالِبُ الْعَرَبِ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا قُرَيْشًا وَثَقِيفًا قَالَ الْحَافِظُ بْنُ كَثِيرٍ: وَقَدْ كَانَتْ ثَقِيفٌ بِالطَّائِفِ ثَبَتُوا عَلَىٰ الْإِسْلَامِ فَلَمْ يَفِرُّوا وَلَا ارْتَدُّوا، وَكَانَ لَهُمْ أَثَرٌ وَبَلَاءٌ فِي الْحُرُوبِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَلَهُمْ مَوَاقِفُ بُطُولِيَّةٌ مَحْمُودَةٌ.

وَقَدْ قَصَدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الطَّائِفَ إِمَّا لِأَنَّهَا الْمَرْكَزُ الثَّانِي لِلْقُوَّةِ وَالسِّيَادَةِ فِي الْحِجَازِ بَعْدَ مَكَّةَ، أَوْ لِأَنَّ أَخْوَالَهُ مِنْ بَنِي ثَقِيفٍ يَعْنِي مِنْ جِهَةِ حَلِيمَةَ السَّعْدِيَّةِ؛ فَرَأَىٰ أَنْ يَخْرُجَ إِلَىٰ الطَّائِفِ يَلْتَمِسُ مِن ثَقِيفٍ النُّصْرَةَ وَالْمَنَعَةَ لَهُ مِنْ قَوْمِهِ.

وَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ ابْنُ مَكَّةَ الْوَاعِي يَجْهَلُ الصِّلَاتِ الْوَطِيدَةَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ وَتَزَاوُرَ أَبْنَائِهِمَا وَأَنَّ أَخْبَارَ تَكْذِيبِ قُرَيْشٍ لَهُ وَتَصَدِّيهِمْ بِالْأَذَىٰ لَهُ قَدْ بَلَغَتِ الطَّائِفَ، لَكِنَّهُ تَجَشَّمَ هَذِهِ الرِّحْلَةَ حِرْصًا عَلَىٰ تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ وَانْتِشَارِ الدَّعْوَةِ؛ وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَىٰ عُلُوِّ هِمَّتِهِ النَّبَوِيَّةِ وَشِدَّةِ تَوَكُّلِهِ عَلَىٰ اللهِ وَيَدُلُّ عَلَىٰ أَمَلِهِ فِي الْفِطْرَةِ الْبَشَرِيَّةِ السَّلِيمَةِ.

لَمَّا ازْدَادَ وَطْأَةُ قُرَيْشٍ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَاشْتَدَّ أَذَاهَا بَعْدَ أَنْ صَارَ وَحِيدًا بِلَا نَصِيرٍ يَحْمِيهِ وَيُؤْوِيهِ مِنَ النَّاسِ، وَلَمَّا زَهِدَتْ قُرَيْشٌ فِي الْإِسْلَامِ وَانْصَرَفَتْ عَنْهُ رَأَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّ الدَّعْوَةَ فِي قُرَيْشٍ لَمْ تَعُدْ مُجْدِيَةً، وَبَدَأَ يُفَكِّرُ فِي الْخُرُوجِ مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ بَلَدٍ آخَرَ؛ لَعَلَّهُ يَجِدُ فِيهِ نَصِيرًا وَقَبُولًا وَاسْتِجَابَةً لِمَا جَاءَ بِهِ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ الطَّائِفِ حَيْثُ تَقْطُنُ ثَقِيفٌ يَلْتَمِسُ نُصْرَتَهُمْ وَالْمَنَعَةَ بِهِمْ مِنْ قَوْمِهِ.

وَقَصَدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الطَّائِفَ إِمَّا لِأَنَّهُ الْمَرْكَزُ الثَّانِي بِالْقُوَّةِ وَالسِّيَادَةِ فِي الْحِجَازِ بَعْدَ مَكَّةَ أَوْ لِأَنَّ أَخْوَالَهُ مِنْ بَنِي ثَقِيفٍ مِنْ جِهَةِ حَلِيمَةِ السَّعْدِيَّةِ فَرَأَىٰ أَنْ يَخْرُجَ إِلَىٰ الطَّائِفِ يَلْتَمِسُ مِنْ ثَقِيفٍ النَّصْرَ وَالْمَنَعَةَ لَهُ مِنْ قَوْمِهِ وكَانَ يَرْجُو أَنْ يَهْدِيَهُمْ اللهُ تَعَالَىٰ فَيَسْتَجِيبُوا لِدَعْوَتِهِ.

الطَّائِفُ كَمَا مَرَّ بَلْدَةٌ مَعْرُوفَةٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَكَّةَ الْيَوْمَ ثَمَانُونَ كِيلُو مِتْرًا تَقْرِيبًا كُلُّ هَذَا سَارَهُ وَقَطَعَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَطَعَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَعَهُ كَمَا ذَكَرَ ابْنُ

سَعْدٍ وَابْنُ الْأَثِيرِ وَالْمَقْرِيزِيُّ مَوْلَاهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ مَاشِيًا عَلَىٰ الْأَقْدَامِ ذَهَابًا وَرُجُوعًا ﷺ.

وَكَانَ خُرُوجُهُ إِلَيْهَا لِثَلَاثٍ بَقِينَ مِنْ شَوَّالٍ سَنَةَ عَشْرٍ مِنَ الْبِعْثَةِ، فَلَمَّا انْتَهَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ الطَّائِفِ عَمَدَ إِلَىٰ نَفَرٍ مِنْ ثَقِيفٍ هُمْ يَوْمَئِذٍ سَادَةُ ثَقِيفٍ وَأَشْرَافُهُمْ وَهُمْ إِخْوَةٌ ثَلَاثَةٌ عَبْدُ يَالِيلَ بْنُ عَمْرِو بْنِ عُمَيْرٍ وَمَسْعُودُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عُمَيْرٍ وَحَدِيثُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عُمَيْرٍ وَعِنْدَ أَحَدِهِمْ امْرَأَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ بَنِي جُمَحٍ.

فَجَلَسَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَدَعَاهُمْ إِلَىٰ اللهِ وَكَلَّمَهُمْ بِمَا جَاءَهُمْ مِنْ نُصْرَتِهِ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ وَالْقِيَامِ مَعَهُ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَهُ مِنْ قَوْمِهِ فَقَالَ أَحَدُهُمْ: هُوَ يَمْرُطُ ثِيَابَ الْكَعْبَةِ إِنْ كَانَ اللهُ أَرْسَلَكَ! يُمَرطُ أَيْ يَنْتِفُ ثِيَابَ الْكَعْبَةِ إِنْ كَانَ اللهُ أَرْسَلَكَ.

وَقَالَ الثَّانِي: أَمَا وَجَدَ اللهُ أَحَدًا يُرْسِلُهُ سِوَاكَ.

وَقَالَ الثَّالِثُ: وَاللهِ لَا أُكَلِّمُكَ أَبَدًا لَئِنْ كُنْتَ رَسُولًا مِنَ اللهِ كَمَا تَقُولُ لَأَنْتَ أَعْظَمُ خَطَرًا مِنْ أَنْ أَرُدَّ عَلَيْكَ الْكَلَامَ وَلَئِنْ كُنْتَ تَكْذِبُ عَلَىٰ اللهِ مَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أُكَلِّمَكَ فَلَمَّا يَئِسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ خَيْرِهِمْ قَالَ لَهُمْ: «**إِذْ فَعَلْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ فَاكْتُمُوا عَنِّي**»، وَهَذا فِيهِ كَلَامٌ يَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا.

وَكَرِهَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَبْلُغَ قَوْمَهُ خَبَرُ قُدُومِهِ عَلَىٰ الطَّائِفِ فَيَجْتَرِئُوا عَلَيْهِ، وَتَزْدَادُ عَدَاوَتُهُمْ وَشَمَاتَتُهُمْ وَلَكِنَّ الْقَوْمَ لَمْ يَفْعَلُوا يَعْنِي لَمْ يَكْتُمُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَهُ:

اخْرُجْ مِنْ بَلَدِنَا وَأَغْرَوْا بِهِ سُفَهَاءَهُمْ وَعَبِيدَهُمْ فَجَعَلُوا يَسُبُّونَهُ وَيَصِيحُونَ بِهِ حَتَّىٰ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ، وَقَعَدُوا لَه صَفَّيْنِ عَلَىٰ طَرِيقِهِ وأَخَذُوا لَا يَرْفَعُ رِجْلَيْهِ وَلَا يَضَعُهُمَا إِلَّا رَضَخُوهُمَا بِالْحِجَارَةِ حَتَّىٰ أَدْمَوْهُمَا وَهُمْ فِي ذَلِكَ يَسْتَهْزِئُونَ وَيَسْخَرُونَ.

وكَانَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقِيهِ بِنَفْسِهِ حَتَّىٰ أَصَابَهُ شِجَاجٌ فِي رَأْسِهِ وَلَمْ يَزِلَّ بِهِ السُّفَهَاءُ حَتَّىٰ أَلْجَأُوهُ إِلَىٰ حَائِطٍ لِعُتْبَةَ وَشَيْبَةَ ابْنَيْ رَبِيعَةَ فَلَمَّا دَخَلَ الْحَائِطَ رَجَعَ عَنْهُ مَنْ كَانَ يَتْبَعُهُ مِنْ سُفَهَاءِ ثَقِيفٍ وَعَمَدَ إِلَىٰ ظِلِّ شَجَرَةِ عِنَبٍ فَجَلَسَ فِيهِ هُوَ وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ.

يَذْكُرُ مَنْ أَخْرَجَ هَذِهِ الْقِصَّةَ وَرَوَىٰ خَبَرَها حَدِيثًا هَاهُنَا «**اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي وَقِلَّةَ حِيلَتِي وَهَوَانِي عَلَىٰ النَّاسِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَأَنْتَ رَبِّي، إِلَىٰ مَنْ تَكِلُنِي؟ إِلَىٰ بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي؟ أَمْ إِلَىٰ عَدُوٍّ مَلَّكْتَه أَمْرِي؟ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِك عَلَيَّ غَضَبٌ فَلَا أُبَالِي، وَلَكِنْ عَافِيَتُك هِيَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِك الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ وَصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَك، أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سَخَطُكَ، لَك الْعُتْبَىٰ حَتَّىٰ تَرْضَىٰ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ**» وَقَدْ ضَعَّفَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- وَثَبَّتَهُ غَيْرُهُ.

كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ شَدِيدَ الْحُزْنِ عَلَىٰ وَاقِعِ أُمَّتِهِ عَظِيمَ الْأَسَىٰ عَلَىٰ وَاقِعٍ خَلَّفَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فِي الطَّائِفِ وَوَاقِعٍ أَلِيمٍ يَنْتَظِرُهُ وَهُوَ قَادِمٌ إِلَىٰ مَكَّةَ، وَقَدْ أَخَذَ بِهِ الْهَمُّ الْمُتَكَاتِفُ مِنْ ذَلِكَ الصُّدُودِ الْمُتَوَاصِلِ مِنْ قَوْمِهِ وَمِنَ الْقَبَائِلِ الَّتِي عَرَضَ عَلَيْهَا الْإِسْلَامَ.

وَإِنَّا لَنَلْمَحُ ذَلِكَ فِي هَذَا الدُّعَاءِ الْمَشْهُورِ الَّذِي دَعَا اللهَ بِهِ مُنْصَرَفَهُ مِنْ الطَّائِفِ حَيْثُ اشْتَكَىٰ إِلَىٰ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا ضَعْفَ قُوَّتِهِ فَهُوَ لَا يَمْلِكُ الْقُوَّةَ الَّتِي يُجَابِهُ بِهَا الْمُعَانِدِينَ وَيُزِيلُ بِهَا الطُّغَاةَ الَّذِينَ فَرَضُوا الْحَجْرَ الْفِكْرِيَّ عَلَىٰ النَّاسِ وَضَيَّقُوا مَجَالَ الِاسْتِجَابَةِ لِلدَّعْوَةِ.

هَلْ لَا يُدْعَىٰ بِهَذَا الدُّعَاءِ لِأَنَّهُ ضَعِيفٌ؟

يَعْنِي لِأَنَّهُ ضَعِيفُ الْإِسْنَادِ؟ لَا وَلَكِنْ يُدْعَىٰ بِهِ لَا عَلَىٰ أَنَّهُ مِنْ كَلَامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَكِنَّ الْمَعَانِي الَّتِي فِيهِ لَا تُتْرَكُ؛ لِذَلِكَ نَنْظُرُ فِي بَعْضِ الْكَلَامِ فِي شَرْحِ فَقَرَاتِهِ فَإِذَا مَا دَعَا بِهِ دَاعٍ لَا عَلَىٰ أَنَّهُ مِنْ كَلَامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانَ وَاعِيًا لِمَا يَدْعُو بِهِ.

«**اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي وَقِلَّةَ حِيلَتِي**» حَيْثُ لَا يَسْتَطِيعُ الْخُرُوجَ بِوَاقِعِ الدَّعْوَةِ مِنَ الْمَأْزِقِ الَّذِي وَضَعَهَا فِيهِ أَعْدَاؤُهُ.

«**وَهَوَانِي عَلَىٰ النَّاسِ**» حَيْثُ يَتَجَرَّأُ أَعْدَاءُ اللهِ عَلَىٰ السُّخْرِيَةِ مِنْهُ وَالِاعْتِدَاءِ عَلَىٰ جَسَدِهِ الشَّرِيفِ وَإِنَّهُ لَعَجَبٌ أَنْ يُوجَدَ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ مَنْ يَسِيلُ دَمُهُ وَمَنْ يَتَبَرَّكُ بِدَمِهِ، يُرِيدُ مَا أَتَىٰ بَعْدُ مِمَّا قِيلَ عَنْ عَدَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَلَيْسَ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ مَنْ يُعَظِّمُهُ أَتْبَاعُهُ وَيَتَبَرَّكُونَ بِهِ كَهُوَ وَمَعَ ذَلِكَ يَنْتَهِكُ أَعْدَاؤُهُ مِنْ حُرُمَاتِهِ مَا لَا يُقْدِمُونَ عَلَيْهِ مَعَ خَدَمِهِمْ وَمَمَالِيكِهِمْ.

ثُمَّ يَسْتَجْدِي رَحْمَةَ اللهِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَيُعْلِنُ ضَعْفَهُ وَاضْطِرَارَهُ إِلَىٰ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا الَّذِي يَمْلِكُ أَمْرَهُ وَأَمْرَ كُلِّ شَيْءٍ «**يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ أَنْتَ رَبُّ**

الْمُسْتَضْعَفِينَ وَأَنْتَ رَبِّي» فَهُوَ سُبْحَانَهُ سَنَدُ أَوْلِيَائِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَكْرَارُ ذِكْرِ رُبُوبِيَّةِ اللهِ تَعَالَىٰ بِالتَّخْصِيصِ بَعْدَ التَّعْمِيمِ بِتَأْكِيدِ أَمْرِ اللُّجُوءِ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

«**يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ**» فَهَذِهِ رُبُوبِيَّةٌ عَامَّةٌ لِلْمُسْتَضْعَفِينَ، «وَأَنْتَ رَبِّي» فَهَذِهِ رُبُوبِيَّةٌ خَاصَّةٌ بِهِ.

ثُمَّ يَسْأَلُ رَبَّهُ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ وَأَلَّا يَتَخَلَّىٰ عَنْهُ وَأَلَّا يَكِلَ أَمْرَهُ إِلَىٰ بَعِيدٍ يَعْبَسُ بِوَجْهِهِ لَهُ وَيَتَرَفَّعُ عَلَيْهِ كَمَا حَصَلَ مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ وَلَا إِلَىٰ قَرِيبٍ لَهُ السَّيْطَرَةُ وَالنُّفُوذُ فِي بَلَدِهِ كَالْمَلَأِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، «**إِلَىٰ مَنْ تَكِلُنِي إِلَىٰ بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي أَمْ إِلَىٰ قَرِيبٍ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي**».

ثُمَّ يُبَيِّنُ ﷺ أَنَّ الشَّيْءَ الَّذِي امْتَلَكَ عَلَيْهِ لُبَّهُ وَأَخَذَ عَلَيْهِ مَشَاعِرَهُ هُوَ أَنْ يَحُوزَ عَلَىٰ رِضْوَانِ اللهِ تَعَالَىٰ وَأَنْ يَكُونَ بَعِيدًا عَنْ سَخَطِهِ وَغَضَبِهِ إِذَا تَمَّ لَهُ ذَلِكَ فَلْيُعَادِهِ مَنْ شَاءَ أَنْ يُعَادِيَهُ مِنَ الْبَشَرِ، وَلْيَعْمَلُوا مَا شَاءُوا فِي أَذِيَّتِهِ وَالْكَيْدِ لَهُ غَيْرَ أَنَّ الْجَمْعَ بَيْنَ الظَّفَرِ بِرِضْوَانِ اللهِ تَعَالَىٰ وَالتَّمَتُّعِ بِعَافِيَتِهِ مِنْ أَذَىٰ النَّاسِ هُوَ أَرْفَقُ بِالْعِبَادِ الَّذِينَ مِنْ شَأْنِهِمُ الضَّعْفُ وَالِافْتِقَارُ. «**إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ غَضَبٌ عَلَيَّ فَلَا أُبَالِي وَلَكِنَّ عَافِيَتَكَ هُوَ أَوْسَعُ لِي**».

فِي هَذِهِ الْفِقْرَةِ يَتَبَيَّنُ عُمْقُ التَّوْحِيدِ وَمَبْلَغُ التَّجَرُّدِ لِرَبِّ الْعَبِيدِ فَهُوَ لَمْ يَشْعُرْ بِهَذَا الْحُزْنِ الْمُضْنِي وَالْهَمِّ الْمُتَوَاصِلِ لِيَدْرَأَ عَنْ نَفْسِهِ الْأَذَىٰ أَوْ لِيَجْلِبَ لِنَفْسِهِ شَيْئًا مِنْ حَيَاةِ الْهُدُوءِ وَالنَّعِيمِ بَلْ هُوَ يَسْتَعْذِبُ كُلَّ هَذَا الْأَذَىٰ مِنْ أَجْلِ اللهِ تَعَالَىٰ

غَيْرَ أَنَّهُ مُشْفِقٌ مِنْ غَضَبِ رَبِّهِ تَعَالَىٰ أَنْ يَكُونَ قَصَّرَ فِي أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الدَّعْوَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَشْعُرَ فَيَتَعَرَّضَ لِشَيْءٍ مِنْ غَضَبِ مَوْلَاهُ جَلَّ فِي عُلَاهُ.

فَإِذَا لَمْ يَكُنْ صُدُودُ النَّاسِ وَأَذِيَّتُهُمْ إِيَّاهُ بِسَبَبِ تَقْصِيرٍ حَصَلَ مِنْهُ فَإِنَّهُ لَا يُبَالِي بِمَا حَصَلَ لَهُ مِنَ الْأَذَىٰ عَلَىٰ يَدِ أَعْدَائِهِ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَحْتَسِبُ ذَلِكَ كُلَّهُ عِنْدَ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا.

وَفِيهِ تَأْكِيدُ رَجَاءٍ بِنَيْلِ الْبَرَاءَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ تَعَالَىٰ وَغَضَبِهِ بِهَذَا التَّوَسُّلِ الْعَظِيمِ وَالِالْتِجَاءِ الْبَلِيغِ «**أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ وَصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سَخَطُكَ لَكَ الْعُتْبَىٰ حَتَّىٰ تَرْضَىٰ**».

فَرِضْوَانُ اللهِ إِذًا هُوَ الْهَدَفُ الْأَعْلَىٰ وَالْمَطْلُوبُ الْأَسْمَىٰ الَّذِي تُسَخَّرُ لَهُ كُلُّ الْمَطَالِبِ.

وَإِذَا كَانَ الْبَلَاءُ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَحِلَّ رِضَاهُ وَيَنْجَلِيَ سَخَطُهُ فَحَيَّ هَلًّا بِالْبَلَاءِ وَهُوَ سَاعَتِئِذٍ نِعْمَةٌ وَرَخَاءٌ.

ثُمَّ يُخْتَمُ الدُّعَاءَ بِالْكَلِمَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي يَقُولُهَا وَعَلَّمَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَقُولُوهَا عِنْدَ حُلُولِ الْمَكَارِهِ «**وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ**».

فَلَا تَحَوُّلَ لِلْمُؤْمِنِ مِنْ حَالِ الشِّدَّةِ إِلَىٰ حَالِ الرَّجَاءِ وَالرَّخَاءِ وَلَا مِنَ الْخَوْفِ إِلَىٰ الْأَمْنِ إِلَّا بِاللهِ تَعَالَىٰ وَلَا قُوَّةَ لَهُ عَلَىٰ مُوَاجَهَةِ الشَّدَائِدِ وَتَحَمُّلِ الْمَكَارِهِ إِلَّا بِاللهِ جَلَّ وَعَلَا.

لَمَّا اطْمَأَنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْحَائِطِ -أَيْ فِي الْبُسْتَانِ- قَالُوا: تَوَجَّهَ إِلَىٰ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِذَلِكَ الدُّعَاءِ الْمَشْهُورِ؛ فَلَمَّا رَآهُ ابْنَا رَبِيعَةَ عُتْبَةُ وَشَيْبَةُ وَكَانَا فِي الْحَائِطِ -أَيْ فِي الْبُسْتَانِ- وَرَأَيَا مَا لَقِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ سُفَهَاءِ أَهْلِ الطَّائِفِ، تَحَرَّكَتْ لَهُ رَحِمُهُمَا، فَدَعَوْا غُلَامًا لَهُمَا نَصْرَانِيًّا يُقَالُ لَهُ عَدَّاسٌ فَقَالَ لَهُ: فَقَالَا لَهُ خُذْ قِطْفًا مِنْ الْعِنَبِ فَضَعْهُ فِي هَذَا الطَّبَقِ ثُمَّ اذْهَبْ بِهِ إِلَىٰ ذَلِكَ الرَّجُلِ فَقُلْ لَهُ يَأْكُلْ مِنْهُ.

فَفَعَلَ عَدَّاسٌ، ثُمَّ أَقْبَلَ بِهِ حَتَّىٰ وَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ لَهُ: كُلْ. فَلَمَّا وَضَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيهِ يَدَهُ قَالَ: «**بِاسْمِ اللهِ**». ثُمَّ أَكَلَ.

فَنَظَرَ عَدَّاسٌ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ: وَاللهِ، إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ مَا يَقُولُهُ أَهْلُ هَذِهِ الْبِلَادِ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مِنْ أَهْلِ أَيِّ الْبِلَادِ أَنْتَ يَا عَدَّاسُ، وَمَا دِينُك؟**».

قَالَ: نَصْرَانِيٌّ، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ نِينَوَىٰ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مِنْ قَرْيَةِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ يُونُسَ بْنِ مَتَّىٰ؟**».

فَقَالَ لَهُ عَدَّاسٌ: وَمَا يُدْرِيك مَا يُونُسُ بْنُ مَتَّىٰ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ذَاكَ أَخِي، كَانَ نَبِيًّا وَأَنَا نَبِيٌّ**».

فَأَكَبَّ عَدَّاسٌ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُقَبِّلُ رَأْسَهُ وَيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، وَأَسْلَمَ رضي الله عنه.

قَالَ: يَقُولُ ابْنَا رَبِيعَةَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَمَّا غُلَامُكَ، فَقَدْ أَفْسَدَهُ عَلَيْك. فَلَمَّا جَاءَهُمَا عَدَّاسٌ، قَالَا لَهُ: وَيْلَك يَا عَدَّاسُ مَا لَك تُقَبِّلُ رَأْسَ هَذَا الرَّجُلِ وَيَدَيْهِ وَقَدَمَيْهِ؟ قَالَ: سَيِّدِي مَا فِي الْأَرْضِ خَيْرٌ مِنْ هَذَا، لَقَدْ أَخْبَرَنِي بِأَمْرٍ مَا يَعْلَمُهُ إِلَّا نَبِيٌّ، قَالَا لَهُ: وَيْحَك يَا عَدَّاسُ، لَا يَصْرِفَنَّك عَنْ دِينِك، فَإِنَّ دِينَك خَيْرٌ مِنْ دِينِهِ!

قَالَ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَخْرَجَ هَذِهِ الْقِصَّةَ ابْنُ إِسْحَاقَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ مُرْسَلًا.

وَلَكِنَّ قَوْلَهُ: «**إِنْ أَبَيْتُمْ فَاكْتُمُوا عَلَيَّ ذَلِكَ**»، وَقَوْلُهُ «**اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو...**» إِلَخ الدُّعَاءِ ذَكَرَهُمَا بِدُونِ إِسْنَادٍ وَكَذَلِكَ رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ إِسْحَاقَ.

وَرَوَىٰ هَذِهِ الْقِصَّةَ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ مُخْتَصَرًا وَفِيهِ الدُّعَاءُ الْمَذْكُورُ بِنَحْوِهِ.

قَالَ الْهَيْثَمِيُّ: وَفِيهِ ابْنُ إِسْحَاقَ وَهُوَ مُدَلِّسٌ ثِقَةٌ وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ فَالْحَدِيثُ ضَعِيفٌ، وَقَدْ قَوَّاهُ غَيْرُ الْأَلْبَانِيِّ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ.

ثُمَّ عَادَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الطَّائِفِ وَهُوَ مَهْمُومٌ مَحْزُونٌ فَلَمْ يَسْتَفِقْ ﷺ إِلَّا وَهُوَ بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ.

اسْتَجَابَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ دَعْوَةَ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَمَا قَالَ لِمَلَكِ الْجِبَالِ «**بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**».

فَأَخْرَجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ عَبَدَ اللهَ تَعَالَىٰ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

◉◉◉

www.menhag-un.com

أَمْرُ الْجِنِّ الَّذِينَ اسْتَمَعُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ وَآمَنُوا بِهِ

وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَابْنُ سَعْدٍ وَابْنُ الْقَيِّمِ فِي الزَّادِ أَنَّ سَمَاعَ الْجِنِّ لِقِرَاءَةِ النَّبِيِّ ﷺ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِسْلَامَهُمْ كَانَ عِنْدَمَا رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الطَّائِفِ حِينَ بَاتَ بِنَخْلَةَ.

قَالُوا: فَلَمَّا انْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الطَّائِفِ رَاجِعًا إِلَىٰ مَكَّةَ حِينَ يَئِسَ مِنْ خَبَرِ ثَقِيفٍ حَتَّىٰ إِذَا كَانَ بِنَخْلَةَ قَامَ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ يُصَلِّي فَمَرَّ بِهِ النَّفَرُ مِنَ الْجِنِّ الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ اللهُ تَعَالَىٰ وَكَانُوا سَبْعَةَ نَفَرٍ مِنْ جِنِّ أَهْلِ نَصِيبِينَ فَاسْتَمَعُوا لِتِلَاوَةِ الرَّسُولِ ﷺ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ قَدْ آمَنُوا وَأَجَابُوا إِلَىٰ مَا سَمِعُوا وَقَصَّ اللهُ تَعَالَىٰ خَبَرَهُمْ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩ - ٣٠].

هَبَطَ هَؤُلَاءِ الْجِنُّ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ بِبَطْنِ نَخْلَةَ فَلَمَّا سَمِعُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا هَذِهِ الدَّعْوَةَ الَّتِي رَفَضَهَا الْمُشْرِكُونَ بِالطَّائِفِ، أَنْصِتُوا فَاسْتَمِعُوا إِلَىٰ هَذِهِ الدَّعْوَةِ الَّتِي رَفَضَهَا الْمُشْرِكُونَ بِالطَّائِفِ فَهَا هِيَ تَنْتَقِلُ إِلَىٰ عَالَمٍ آخَرَ هُوَ عَالَمُ

الْجِنِّ فَتَلَقَّوْا دَعْوَةَ النَّبِيِّ ﷺ وَمَضَوْا بِهَا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ كَمَا مَضَىٰ بِهَا أَبُو ذَرٍّ الْغِفَارِيُّ إِلَىٰ قَوْمِهِ وَالطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو إِلَىٰ قَوْمِهِ وَضُمَادٌ الْأَزْدِيُّ إِلَىٰ قَوْمِهِ فَأَصْبَحَ فِي عَالَمِ الْجِنِّ دُعَاةٌ يُبَلِّغُونَ دَعْوَةَ اللهِ تَعَالَىٰ ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣١].

وَأَصْبَحَ اسْمُ مُحَمَّدٍ ﷺ تَهْفُو إِلَيْهِ قُلُوبُ الْجِنِّ وَلَيْسَ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْإِنْسِ فَقَطَ وَأَصْبَحَ مِنَ الْجِنِّ حَوَارِيُّونَ حَمَلُوا رَايَةَ التَّوْحِيدِ وَوَطَّنُوا أَنْفُسَهُمْ دُعَاةً إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَنَزَلَ فِي حَقِّهِمْ قُرْآنٌ يُتْلَىٰ إِلَىٰ أَنْ يَرِثَ اللهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي سُورَةِ الْجِنِّ.

كَانَ هَذَا الْفَتْحُ الرَّبَّانِيُّ فِي مَجَالِ الدَّعْوَةِ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بِبَطْنِ نَخْلَةَ عَاجِزٌ عَنِ الدُّخُولِ إِلَىٰ مَكَّةَ فَهَلْ يَسْتَطِيعُ عُتَاةُ مَكَّةَ وَثَقِيفٌ أَنْ يَأْسِرُوا هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْجِنِّ وَيُنْزِلُوا بِهِمْ أَلْوَانَ التَّعْذِيبِ.

❁ ❁ ❁

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

دُخُولُ النَّبِيِّ ﷺ مَكَّةَ فِي جِوَارِ الْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ

وَعِنْدَمَا دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ فِي جِوَارِ الْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ كَانَ يَتْلُو عَلَىٰ صَحَابَتِهِ سُورَةَ الْجِنِّ فَتَتَجَاوَبُ أَفْئِدَتُهُمْ خُشُوعًا وَتَأَثُّرًا مِنْ رَوْعَةِ الْفَتْحِ الْعَظِيمِ فِي عَالَمِ الدَّعْوَةِ وَارْتِفَاعِ رَايَاتِهَا فَلَيْسُوا هُمْ وَحْدَهُمْ فِي الْمَعْرَكَةِ هُنَاكَ إِخْوَانُهُمْ مِنَ الْجِنِّ يَخُوضُونَ مَعْرَكَةَ التَّوْحِيدِ مَعَ الشِّرْكِ.

وَبَعْدَ عِدَّةِ أَشْهُرٍ مِنْ لِقَاءِ الْوَفْدِ الْأَوَّلِ مِنَ الْجِنِّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ جَاءَ الْوَفْدُ الثَّانِي مُتَشَوِّقًا لِرُؤْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَالِاسْتِمَاعِ إِلَىٰ كَلَامِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَعَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ فَقُلْتُ هَلْ شَهِدَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ الْجِنِّ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنَّا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَفَقَدْنَاهُ فَالْتَمَسْنَاهُ فِي الْأَوْدِيَةِ وَالشِّعَابِ فَقُلْنَا اسْتُطِيرَ أَوِ اغْتِيلَ.

قَالَ: فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا إِذَا هُوَ جَاءَ مِنْ قِبَلِ حِرَاءٍ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ فَقَدْنَاكَ فَطَلَبْنَاكَ فَلَمْ نَجِدْكَ؛ فَبِتْنَا شَرَّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا الْقَوْمُ، فَقَالَ: «**أَتَانِي دَاعِي الْجِنِّ فَذَهَبْتُ مَعَهُ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ**».

قَالَ: فَانْطَلَقَ بِنَا فَأَرَانَا آثَارَهُمْ وَآثَارَ نِيرَانِهِمْ وَسَأَلُوهُ الزَّادَ فَقَالَ: «**لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْفَرَ مَا يَكُونُ لَحْمًا، وَكُلُّ بَعْرَةٍ عَلَفٍ لِدَوَابِّكُمْ**».

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَلَا تَسْتَنْجُوا بِهِمَا**» يَعْنِي بِالْبَعْرِ وَكَذا بِالْعِظَامِ فَإِنَّهُمَا طَعَامُ إِخْوَانِكُمْ. أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ».

لَمَّا نَزَلَ بِوَادِي نَخْلَةَ مَرْجِعَهُ إِلَىٰ مَكَّةَ قَامَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ وَصُرِفَ إِلَيْهِ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَاسْتَمَعُوا قِرَاءَتَهُ وَلَمْ يَشْعُرْ بِهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ نَزَلَتْ عَلَيْهِ آيَاتُ سُورَةِ الْجِنِّ ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الأحقاف: ٢٩].

هَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ كُتَّابُ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ أَنَّ اسْتِمَاعَ الْجِنِّ لِقِرَاءَتِهِ كَانَ عِنْدَ رُجُوعِهِ مِنَ الطَّائِفِ وَالَّذِي ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» أَنَّ اسْتِمَاعَهُمْ كَانَ فِي أَوَّلِ الْبِعْثَةِ عِنْدَمَا ذَهَبَ إِلَىٰ سُوقِ عُكَاظٍ وَمَعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ وَلَعَلَّ الْحَادِثَةَ تَكَرَّرَتْ.

فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مَا قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ الْجِنِّ وَمَا رَآهُمْ.

انْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ إِلَىٰ سُوقِ عُكَاظٍ وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهَا الشُّهُبُ فَرَجَعَتْ الشَّيَاطِينُ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَقَالُوا: مَا لَكُمْ؟ قَالُوا: حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ.

قَالَ: وَمَا ذَاكَ إِلَىٰ مِنْ شَيْءٍ حَدَثَ فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا فَمَرَّ النَّفَرُ الَّذِينَ أَخَذُوا نَحْوَ تِهَامَةَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ بِنَخْلَةَ وَهُوَ عَامِدٌ إِلَىٰ سُوقِ

عُكَاظٍ وَهُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الْفَجْرِ فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ اسْتَمَعُوا لَهُ وَقَالُوا: هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ فَرَجَعُوا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَقَالُوا: يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَىٰ الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ فَأَوْحَىٰ اللهُ إِلَىٰ نَبِيِّهِ ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: ١] هَذِهِ رِوَايَةُ «الصَّحِيحَيْنِ».

ثَبَتَ خَبَرُ قُدُومِ الْجِنِّ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» وذَكَرَ ابْنُ حَجَرٍ فِي «الْفَتْحِ» أَدِلَّةً تُؤَيِّدُ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي «السِّيرَةِ» وَابْنُ سَعْدٍ مِنْ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَمَا رَجَعَ الرَّسُولُ ﷺ مِنَ الطَّائِفِ فَلَقَدْ شَدَّ اللهُ أَزْرَ نَبِيِّهِ بِهَاتَيْنِ الْحَادِثَتَيْنِ: بِمَجِيءِ مَلَكِ الْجِبَالِ إِلَيْهِ وَبِإِيمَانِ الْجِنِّ بِهِ فَقَامَ نَشِطًا بِالدَّعْوَىٰ إِلَىٰ اللهِ غَيْرَ آبِهٍ بِمَا يُوَاجِهُهُ مِنْ أَسَالِيبِ الْخُصُومِ.

فَعِنْدَمَا عَزَمَ عَلَىٰ دُخُولِ مَكَّةَ فِي عَوْدَتِهِ مِنَ الطَّائِفِ قَالَ لَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ: كَيْفَ تَدْخُلُ عَلَيْهِمْ يَا رَسُولَ اللهِ وَهُمْ أَخْرَجُوكَ؟

فقَالَ: «**يَا زَيْدُ إِنَّ اللهَ جَاعِلٌ لِمَا تَرَىٰ فَرَجًا وَمَخْرَجًا، وَإِنَّ اللهَ نَاصِرٌ دِينَهُ وَمُظْهِرٌ نَبِيَّهُ**».

ثُمَّ انْتَهَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ حِرَاءَ فَبَعَثَ رَجُلًا مِنْ خُزَاعَةَ هُوَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُرَيْقِطٍ إِلَىٰ الْأَخْنَسِ بْنِ شُرَيْقٍ لِيُجِيرَهُ فَقَالَ الْأَخْنَسُ: أَنَا حَلِيفُ قُرَيْشٍ وَرَفَضَ إِجَابَةَ النَّبِيِّ وَإِجَارَتَهُ ﷺ فَبَعَثَ إِلَىٰ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو لِيُجِيرَهُ فَقَالَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو: إِنَّ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ لَا تُجِيرُ عَلَىٰ بَنِي كَعْبٍ وَرَفَضَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو أَنْ يُجِيرَ الرَّسُولَ ﷺ.

فَبَعَثَ الرَّسُولُ ﷺ إِلَىٰ الْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ لِيُجِيرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ الْمُطْعِمُ: نَعَمْ وَأَجَابَهُ إِلَىٰ ذَلِكَ، وَقَالَ لِعَبْدِ اللهِ بْنُ أُرَيْقِطٍ: قُلْ: لِمُحَمَّدٍ فَلْيَأْتِ فَرَجَعَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَبَاتَ عِنْدَهُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فَلَمَّا أَصْبَحَ خَرَجَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ وَقَدْ لَبِسَ سِلَاحَهُ هُوَ وَبَنُوهُ سِتَّةٌ أَوْ سَبْعَةٌ فَدَخَلُوا الْمَسْجِدَ وَقَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: طُفْ، وَأَمَرَ بَنِيهِ أَنْ يَكُونُوا عِنْدَ أَرْكَانِ الْبَيْتِ لِحِمَايَةِ الرَّسُولِ ﷺ.

وَهُنَا أَقْبَلَ أَبُو سُفْيَانَ إِلَىٰ الْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ وقَالَ لَهُ: أَمُجِيرٌ أَمْ تَابِعٌ؟

فَقَالَ الْمُطْعِمُ: بَلْ مُجِيرٌ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: إِذًا لَا نَخْفِرُ ذِمَّتَكَ قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتَ فَجَلَسَ مَعَهُ حَتَّىٰ قَضَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ طَوَافَهُ فَلَمَّا انْصَرَفَ الرَّسُولُ ﷺ انْصَرَفُوا مَعَهُ وَرَجَعَ أَبُو سُفْيَانَ إِلَىٰ مَجْلِسِهِ بِهَذا الصَّنِيعِ الَّذِي فَعَلَهُ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي أُسَارَىٰ بَدْرٍ «**لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتْنَىٰ لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ**» أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ».

وَالنَّتْنَىٰ مِنَ النَّتْنِ وَهِيَ الرَّائِحَةُ الْكَرِيهَةُ وَالْمُرَادُ بِهِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أُسَارَىٰ بَدْرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتْنَىٰ لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ.

قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: أَيْ بِغَيْرِ فِدَاءٍ ثُمَّ ذَكَرَ الْحَافِظُ سَبَبَ تَرْكِهِمْ لَهُ لِأَنَّ الْمُطْعِمَ بْنَ عَدِيٍّ كَانَ مِنْ أَشَدِّ مَنْ قَامَ فِي نَقْضِ الصَّحِيفَةِ الَّتِي كَتَبَتْهَا قُرَيْشٌ عَلَىٰ بَنِي هَاشِمٍ وَمَنْ مَعَهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حِينَ حَصَرُوهُمْ فِي الشِّعْبِ.

وَالسَّبَبُ الثَّانِي إِجَارَتُهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ عِنْدَمَا أَرَادَ دُخُولَ مَكَّةَ عِنْدَمَا رَجَعَ مِنَ الطَّائِفِ.

قَالَ الزُّرْقَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهَذَا مِنْ شِيَمِهِ ﷺ الْكَرِيمَةِ فذَكَرَ وَقْتَ النَّصْرِ وَالظَّفَرِ لِلْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ هَذَا الْجَمِيلَ.

وَقَدْ أَرَادَ أَبُو جَهْلٍ لَعَنَهُ اللهُ تَعَالَىٰ أَنْ يَسْتَهْزِئَ بِالرَّسُولِ ﷺ كَيْفَ يَحْتَاجُ نَبِيٌّ إِلَىٰ جِوَارٍ، وَكَأَنَّهُ يَتَسَاءَلُ لَمْ تَنْزِلِ الْمَلَائِكَةُ لِحِفْظِهِ ﷺ فَقَالَ لَعَنَهُ اللهُ لَمَّا رَأَىٰ الرَّسُولَ ﷺ دَخَلَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَالْمُشْرِكُونَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ: هَذَا نَبِيُّكُمْ يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ فَرَدَّ عَلَيْهِ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ.

وَقَالَ: وَمَا تُنْكِرُ أَنْ يَكُونَ مِنَّا نَبِيٌّ أَوْ مَلَكٌ؟

فَلَمَّا سَمِعَهُمُ الرَّسُولُ ﷺ أَتَاهُمْ فَقَالَ: «**أَمَّا أَنْتَ يَا عُتْبَةُ بْنَ رَبِيعَةَ فَوَاللهِ مَا حَمِيتَ للهِ وَلَا لِرَسُولِهِ، وَلَكِنْ حَمِيتَ لِنَفْسِكَ، وَأَمَّا أَنْتَ يَا أَبَا جَهْلٍ فَوَاللهِ لَا يَأْتِي عَلَيْكَ غَيْرُ كَبِيرٍ مِنَ الدَّهْرِ حَتَّىٰ تَضْحَكَ قَلِيلًا وَتَبْكِي كَثِيرًا، وَأَمَّا أَنْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْمَلَأِ مِنْ قُرَيْشٍ فَوَاللهِ لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ غَيْرُ كَبِيرٍ مِنَ الدَّهْرِ حَتَّىٰ تَدْخُلُوا فِيمَا تُنْكِرُونَ وَأَنْتُمْ كَارِهُونَ**».

أَخْرَجَ ذَلِكَ الطَّبَرِيُّ فِي «تَارِيخِهِ» بِدُونِ إِسْنَادٍ، وَابْنُ سَعْدٍ فِي «الطَّبَقَاتِ» مِنْ طَرِيقِ الْوَاقِدِيِّ وَهُوَ مَتْرُوكٌ، فَهَذَا الْإِسْنَادُ مُضَعَّفٌ.

وَالتَّفَاصِيلُ الَّتِي مَرَّتْ فِي رِحْلَةِ الطَّائِفِ أَوْرَدَهَا كِتَّابُ الْمَغَازِي وَلَكِنْ لَمْ تَرِدْ رِوَايَةٌ صَحِيحَةٌ فِيهَا سِوَىٰ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سَأَلَتْ رَسُولَ اللهِ: هَلْ أَتَىٰ عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ فَقَالَ: «**لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ..**» وَذَكَرَ الْحَدِيثَ.

وهَذِهِ الرِّوَايَةُ لِأَنَّهَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ» تَكْفِي لِإِثْبَاتِ الْحَادِثِ مِنْ حَيْثُ وُقُوعُ الرِّحْلَةِ يَعْنِي إِلَىٰ الطَّائِفِ وَرَدُّ أَهْلُ الطَّائِفِ عَلَيْهِ بِشِدَّةٍ، وَمَا عُرِضَ عَلَيْهِ مِنْ عُقُوبَتِهِمْ وَكَذَا مَا كَانَ مِنْ رَحْمَتِهِ بِهِمْ وَرَغْبَتِهِ فِي اسْتِبْقَائِهِمْ، وَأَخِيرًا تُثْبِتُ ذِكْرَىٰ الرِّحْلَةِ الْأَلِيمَةِ فِي نَفْسِهِ رَغْمَ مُرُورِ السِّنِينَ «**لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ**».

وَأَمَّا دُعَاؤُهُ عَلَىٰ ثَقِيفٍ بِقَوْلِهِ: «**اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي...**»إِلَىٰ آخِرِهِ. وَأَمَّا لِقَاؤُهُ بِعَدَّاسٍ فَلَمْ يَثْبُتْ مِنْ طَرِيقٍ صَحِيحٍ.

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: انْشِقَاقُ الْقَمَرِ مِنْ أُمَّاتِ مُعْجِزَاتِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ وَقَدْ رَوَاهَا عِدَّةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم مَعَ ظَاهِرِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ وَسِيَاقِهَا.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَىٰ وُقُوعِ ذَلِكَ فِي زَمَانِهِ ﷺ وَجَاءَتْ بِذَلِكَ الْأَحَادِيثُ الْمُتَوَاتِرَةُ مِنْ طُرُقٍ مُتَعَدِّدَةٍ تُفِيدُ الْقَطْعَ عِنْدَ مَنْ أَحَاطَ بِهَا وَنَظَرَ فِيهَا.

رَوَىٰ الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً فَأَرَاهُمْ آيَةَ الْقَمَرِ فَأَرَاهُمْ الْقَمَرَ شِقَّتَيْنِ حَتَّىٰ رَأَوْا حِرَاءَ بَيْنَهُمَا.

وَرَوَىٰ الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: انْشَقَّ الْقَمَرُ وَنَحْنُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِمِنًىٰ فَقَالَ: «**اشْهَدُوا**» وَذَهَبَتْ فِرْقَةٌ نَحْوَ الْجَبَلِ. الْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ».

قَالَ الْحَافِظُ: وَهَذَا يُعَارِضُ قَوْلَ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ بِمَكَّةَ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُصَرِّحْ بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لَيْلَةَإِذٍ بِمَكَّةَ، وَعَلَىٰ تَقْدِيرِ تَصْرِيحِهِ فَمِنًىٰ مِنْ جُمْلَةِ مَكَّةَ فَلَا تَعَارُضَ.

رَوَىٰ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» وَاللَّفْظُ لَهُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ النَّبِيَّ ﷺ آيَةً فَانْشَقَّ الْقَمَرُ بِمَكَّةَ مَرَّتَيْنِ فَقَالَ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ١ - ٢].

انْشَقَّ الْقَمَرُ بِمَكَّةَ مَرَّتَيْنِ، قَالَ الْحَافِظُ: وقَدْ خَفِيَ عَلَىٰ بَعْضِ النَّاسِ فَادَّعَىٰ أَنَّ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ وَقَعَ مَرَّتَيْنِ وَهَذا مِمَّا لَا يَعْلَمُهُ أَهْلُ الْحَدِيثِ وَالسِّيَرِ أَنَّهُ غَلِطَ فَإِنَّهُ لَمْ يَقَعْ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً.

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: قَوْلُهُ: مَرَّتَيْنِ فِيهِ نَظَرٌ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ أَرَادَ فِرْقَتَيْنِ لَا مَرَّتَيْنِ.

رَوَىٰ الطَّحَاوِيُّ فِي «شَرْحِ الْمُشْكِلِ»، وَالطَّيَالِسِيُّ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَىٰ شَرْطِ الْبُخَارِيِّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ قُرَيْشٌ: هَذَا سِحْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ.

ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ أَرَادُوا بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَبُو كَبْشَةَ هُوَ الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّىٰ وَالِدُ الرَّسُولِ ﷺ مِنَ الرَّضَاعَةِ زَوْجُ حَلِيمَةَ السَّعْدِيَّةِ فَكَانُوا إِذَا أَرَادُوا نَبْزَ الرَّسُولِ ﷺ قَالُوا ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ.

وَقَالُوا: انْتَظِرُوا مَا يَأْتِيكُمْ بِهِ السُّفَّارُ أَيِ الْمُسَافِرُونَ يَعْنِي يَقُولُونَ إِنَّمَا سَحَرَ أَعْيُنَنَا لَمْ يَنْشَقَّ الْقَمَرُ وَلَا شَيْءَ هَذَا مِنْ سِحْرِ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ، انْتَظِرُوا مَا يَأْتِيكُم بِهِ السُّفَّارُ أَيْ الْمُسَافِرُونَ؛ فَإِنَّ مُحَمَّدًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْحَرَ النَّاسَ كُلَّهُمْ فَجَاءَ السُّفَّارُ فَقَالُوا ذَاكَ.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وَقَدْ شُوهِدَ ذَلِكَ يَعْنِي انْشِقَاقَ الْقَمَرِ فِي كَثِيرٍ مِنْ بِقَاعِ الْأَرْضِ وَيُقَالُ: إِنَّهُ أُرِّخَ ذَلِكَ فِي بَعْضِ بِلَادِ الْهِنْدِ.

قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ» قَالَ بَعْضُهُمْ لَوْ وَقَعَ انْشِقَاقُ الْقَمَرِ لَجَاءَ مُتَوَاتِرًا وَاشْتَرَكَ أَهْلُ الْأَرْضِ فِي مَعْرِفَتِهِ وَلَمَا اخْتُصَّ بِهِ أَهْلُ مَكَّةَ.

جَوَابُهُ أَنَّ ذَلِكَ وَقَعَ لَيْلًا وَأَكْثَرُ النَّاسِ نِيَامٌ وَالْأَبْوَابُ مُغْلَقَةٌ وَقَلَّ مَنْ يَرْصُدُ السَّمَاءَ إِلَّا النَّادِرَ وَقَدْ يَقَعُ فِي الْمُشَاهَدَةِ فِي الْعَادَةِ أَنْ يَنْكَسِفَ الْقَمَرُ وَتَبْدُو الْكَوَاكِبُ الْعِظَامُ وَغَيْرُ ذَلِكَ فِي اللَّيْلِ وَلَا يُشَاهِدُهَا إِلَّا الْآحَادُ؛ لِأَنَّ الزَّمَانَ لَيْسَ كَهَذَا الزَّمَانِ، النَّاسُ الْآنَ لَيْلُهُمْ كَنَهَارِهِمْ وَهُمْ يَسْهَرُونَ فِي الْبَاطِلِ وَمَا أَشْبَهَ.

وَأَمَّا النَّاسُ قَدِيمًا فَكَانُوا يَنَامُونَ إِذَا دَخَلَ اللَّيْلُ وَلَا يَرْصُدُونَ السَّمَاءَ وَلَا يَتَوَقَّعُونَ شَيْئًا يَحْدُثُ، فَلَا يُشَاهِدُ ذَلِكَ إِلَّا الْآحَادُ فَكَذَلِكَ الِانْشِقَاقُ كَانَ آيَةً وَقَعَتْ فِي اللَّيْلِ لِقَوْمٍ سَأَلُوا وَاقْتَرَحُوا فَلَمْ يَتَأَهَّبْ غَيْرُهُمْ لَهَا وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ

الْقَمَرُ لَيْلَةَإِذٍ كَانَ فِي بَعْضِ الْمَنَازِلِ الَّتِي يَظْهَرُ لِبَعْضِ أَهْلِ الْآفَاقِ دُونَ بَعْضٍ كَمَا يَظْهَرُ الْكُسُوفُ لِقَوْمٍ دُونَ قَوْمٍ وَهَذَا أَمْرٌ مَعْلُومٌ مُشَاهَدٌ.

فَقَدْ يَحْدُثُ الْكُسُوفُ كُلِّيًّا فِي مَكَانٍ وَيَكُونُ جُزْئِيًّا فِي مَكَانٍ آخَرَ، وَقَدْ لَا يَرَاهُ قَوْمٌ آخَرُونَ فَهَذَا كُلُّهُ وَاقِعٌ عَلَىٰ حَسَبِ دِرَاسَةِ الْفَلَكِ وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا طَلَبُوا ذَلِكَ اسْتِكْبَارًا وَعِنَادًا.

❁ ❁ ❁

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة الرَّابِعَة عَشْرَة)

مِنْ مَادَّةِ

سِيرَة النَّبِيِّ ﷺ

[الْعَهْدُ الْمَكِّيُّ - ج٢]

www.menhag-un.com

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

الإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ

فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ مِنَ الْبَعْثَةِ عَلَىٰ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إِلَىٰ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ فَفَرَضَ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ أُمَّتِهِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ.

كَافَأَ اللهُ تَعَالَىٰ رَسُولَهُ ﷺ وَسَرَّىٰ عَنْهُ بِرِحْلَةِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ فَأَرَاهُ مِنْ آيَاتِهِ الْكُبْرَىٰ مَا جَعَلَ قَلْبَهُ ﷺ يَطِيبُ وَيَطْمَئِنُّ وَيَثْبُتُ وَيَنْكَشِفُ عَنْهُ مَا أَلَمَّ بِهِ مِنْ هَمٍّ وَحُزْنٍ وَأَسًىٰ بَعْدَ وَفَاةِ عَمِّهِ وَزَوْجَتِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَمَا لَاقَاهُ مِنْ إِعْرَاضِ قَوْمِهِ عَنْ دَعْوَتِهِ ﷺ.

فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَا كَانَ يُحْزِنُهُ الْإِيذَاءُ الشَّخْصِيُّ لَهُ ﷺ إِنَّمَا الَّذِي كَانَ يُحْزِنُهُ ﷺ وَيَكَادُ يَقْتُلُهُ حُزْنًا هُوَ إِعْرَاضُهُمْ عَنِ الدَّعْوَةِ وَرَفْضُهُمْ لَهَا؛ رَحْمَةً مِنْهُ ﷺ وَشَفَقَةً عَلَيْهِمْ.

لِذَلِكَ يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ ﷺ: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف: ٦]، ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٣].

بَاخِعٌ نَفْسَكَ يَعْنِي قَاتِلَهَا حُزْنًا وَكَمَدًا.

www.menhag-un.com

مِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَى ثُبُوتِ رِحْلَةِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ

حَادِثَةُ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ صَحِيحَةٌ ثَابِتَةٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

أَمَّا ثُبُوتُهَا بِالْقُرْآنِ فَفِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١-١٨].

وَقَدْ فَصَّلَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْدَاثَ هَذِهِ الرِّحْلَةِ الْمُبَارَكَةِ تَفْصِيلًا دَقِيقًا بِمَا ثَبَتَ عَنْهُ ﷺ مِنْ أَحَادِيثَ صَحِيحَةٍ.

وَلَمْ يَكُنِ الْإِسْرَاءُ مُجَرَّدَ حَادِثٍ فَرْدِيٍّ رَأَىٰ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ الْآيَاتِ الْكُبْرَىٰ، وَتَجَلَّىٰ لَهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مُشَاهَدَةً وَعِيَانًا بَلْ زِيَادَةً إِلَىٰ ذَلِكَ

اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الرِّحْلَةُ النَّبَوِيَّةُ الْغَيْبِيَّةُ عَلَىٰ مَعَانٍ عَمِيقَةٍ دَقِيقَةٍ كَثِيرَةٍ وَإِشَارَاتٍ حَكِيمَةٍ بَعِيدَةِ الْمَدَىٰ.

وَأَعْلَنَتِ السُّورَتَانِ الْكَرِيمَتَانِ اللَّتَانِ نَزَلَتَا فِي شَأْنِهِ وَهُمَا سُورَةُ الْإِسْرَاءِ وَسُورَةُ النَّجْمِ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ هُوَ نَبِيُّ الْقِبْلَتَيْنِ وَإِمَامُ الْمَشْرِقَيْنِ وَالْمَغْرِبَيْنِ وَوَارِثُ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ وَإِمَامُ الْأَجْيَالِ بَعْدَهُ فَقَدِ الْتَقَتْ فِيهِ وَفِي إِسْرَائِهِ مَكَّةُ بِالْقُدْسِ وَالْبَيْتُ الْحَرَامُ بِالْمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ وَصَلَّىٰ الْأَنْبِيَاءُ خَلْفَهُ فَكَانَ هَذَا إِيذَانًا بِعُمُومِ رِسَالَتِهِ وَخُلُودِ إِمَامَتِهِ وَإِنْسَانِيَّتِهِ وَتَعَالِيمِهِ وَصَلَاحِيَتِهَا لِاخْتِلَافِ الْمَكَانِ وَالزَّمَانِ.

وَأَفَادَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ تَعْيِينَ شَخْصِيَّةِ النَّبِيِّ ﷺ وَوَصْفَ إِمَامَتِهِ وَقِيَادَتِهِ وَتَحْدِيدَ مَكَانَةِ الْأُمَّةِ الَّتِي بُعِثَ فِيهَا وَآمَنَتْ بِهِ، وَبَيَانَ رِسَالَتِهَا وَدَوْرِهَا الَّذِي سَتُمَثِّلُهُ فِي الْعَالَمِ وَبَيْنَ شُعُوبِ الْعَالَمِ وَأُمَمِهِ.

وَجَاءَ الْإِسْرَاءُ خَطًّا فَاصِلًا بَيْنَ النَّاحِيَةِ الضَّيِّقَةِ الْمَحَلِّيَّةِ الْمُؤَقَّتَةِ وَبَيْنَ الشَّخْصِيَّةِ النَّبَوِيَّةِ الْخَالِدَةِ الْعَالَمِيَّةِ فَإِنَّ الرَّسُولَ ﷺ لَوْ كَانَ زَعِيمَ أُمَّةٍ أَوْ قَائِدَ إِقْلِيمٍ أَوْ مُنْقِذَ عُنْصُرٍ أَوْ مُؤَسِّسَ مَجْدٍ مَا كَانَ فِي حَاجَةٍ إِلَىٰ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ وَلَمْ يَكُنْ فِي حَاجَةٍ إِلَىٰ سِيَاحَةٍ فِي عَالَمِ الْمَلَكُوتِ وَلَمْ يَكُنْ فِي حَاجَةٍ إِلَىٰ أَنْ تَتَّصِلَ بِسَبَبِهِ الْأَرْضُ بِالسَّمَاءِ اتِّصَالًا جَدِيدًا.

لَقَدْ كَانَ لَهُ فِي أَرْضِهِ الَّتِي يَعِيشُ فِيهَا وَفِي مُحِيطِهِ الَّذِي يُكَافِحُ فِيهِ وَفِي مُجْتَمَعِهِ الَّذِي يَسْعَىٰ لِإِسْعَادِهِ غِنًىٰ وَسَعَةٌ لَا يُفَكِّرُ فِي غَيْرِهِ وَلَا يَتَجَاوَزُهُ إِلَىٰ رُقْعَةٍ

أُخْرَىٰ مِنَ الْأَرْضِ فَضْلًا عَنِ السَّمَاوَاتِ الْعُلَىٰ وَسِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ وَفَضْلًا عَنِ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ الَّذِي يَبْعُدُ عَنْ بَلَدِهِ بُعْدًا كَبِيرًا وَالَّذِي كَانَ فِي وِلَايَةِ الدِّيَانَةِ النَّصْرَانِيَّةِ وَحُكُومَةِ الْأُمَّةِ الرُّومِيَّةِ الْقَوِيَّةِ.

وَجَاءَ الْإِسْرَاءُ أَعْلَنَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ لَيْسَ مِنْ طِرَازِ الْقَادَةِ وَالزُّعَمَاءِ الَّذِينَ لَا تَتَجَاوَزُ مَوَاهِبُهُمْ وَجُهُودُهُمْ وَدَوَائِرُ كِفَاحِهِمْ حُدُودَ الشُّعُوبِ وَالْبِلَادِ وَلَا تَسْعَدُ بِهِمْ إِلَّا الشُّعُوبُ الَّتِي يُولَدُونَ فِيهَا وَالْبِيئَاتِ الَّتِي يَنْبُعُونَ مِنْهَا.

إِنَّمَا هُوَ مِنْ جَمَاعَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ رِسَالَاتِ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَىٰ السَّمَاءِ وَالْأَرَضِينَ وَيَحْمِلُونَ رِسَالَاتِ الْخَالِقِ إِلَىٰ الْخَلْقِ وَتَسْعَدُ بِهِمُ الْإِنْسَانِيَّةُ عَلَىٰ اخْتِلَافِ شُعُوبِهَا وَطَبَقَاتِهَا وعَهُودِهَا وَأَجْيَالِهَا.

إِنَّمَا هُوَ مِنَ الصَّفْوَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ رِسَالَاتِ السَّمَاءِ إِلَىٰ الْأَرْضِ وَيَحْمِلُونَ رِسَالَاتِ الْخَالِقِ إِلَىٰ الْخَلْقِ وَتَسْعَدُ بِهِمْ الْإِنْسَانِيَّةُ عَلَىٰ اخْتِلَافِ شُعُوبِهَا وَطَبَقَاتِهَا وَعُهُودِهَا وَأَجْيَالِهَا.

فَقَدْ عَلِمْنَا آنِفًا مَا وَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ ثَقِيفٍ لَمَّا ذَهَبَ إِلَيْهِمْ دَاعِيًا إِلَىٰ اللهِ وَمَا صَنَعُوا مَعَهُ مِنَ الْأَذَىٰ حَتَّىٰ أَدْمَوْا عَقِبَيْهِ وَالْعَقِبُ مُؤَخَّرُ الْقَدَمِ وَكَيْفَ عَادَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الطَّائِفِ مَهْمُومَ النَّفْسِ جَرِيحَ الْفُؤَادِ لَا لِمَا نَالَهُ مِنَ الْأَذَىٰ فَذَلِكَ أَمْرٌ يَهُونُ، وَلَكِنْ خَوْفًا عَلَىٰ الدَّعْوَةِ أَلَّا تَجِدَ مَكَانًا صَالِحًا لِانْتِشَارِهَا.

فَقَدْ كَانَ ﷺ يَرْجُو مِنْ وَرَاءِ رِحْلَتِهِ الْمُضْنِيَةِ إِلَىٰ الطَّائِفِ خَيْرًا لِلدَّعْوَةِ وُمَؤَازَرَةً لَهُ وَلَكِنَّهُ وَجَدَ أَهْلَهَا أَسْوَأَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَأَجْهَلَ وَأَسْفَهَ وَكَيْفَ حَالَ

مُشْرِكُو مَكَّةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ دُخُولِ بَلَدِهِ لَوْلَا أَنْ أَجَارَهُ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِ قُرَيْشٍ فَتَمَكَّنَ مِنْ دُخُولِهَا وَالطَّوَافِ حَوْلَ الْكَعْبَةِ.

فِي هَذِهِ الْغَمْرَةِ مِنَ الْمَآسِي وَالْأَحْزَانِ وَصُدُودِ الْقَوْمِ عَنِ الْإِيمَانِ وَمُحَارَبَةِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِكُلِّ الْوَسَائِلِ وَالطُّرُقِ وَبَعْدَ هَذِهِ الشَّدَائِدِ الْمُتَلَاحِقَةِ كَانَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ بِعَبْدِهِ وَنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنْ يُسَرِّيَ عَنْ نَفْسِهِ الْجَرِيحِ وَفُؤَادِهِ الْمَحْزُونِ فَكَانَ الْإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ.

فَقَدْ شَاهَدَ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ مَا شَاهَدَ وَعايَنَ مِنْ أَمَارَاتِ الْعِنَايَةِ الْإِلَهِيَّةِ بِهِ وَبِدَعْوَتِهِ مَا زَادَهُ يَقِينًا إِلَىٰ يَقِينِهِ بِإِنْجَاحِ دَعْوَتِهِ وَتَبْلِيغِ رِسَالَةِ رَبِّهِ وَنَصْرِهِ عَلَىٰ أَعْدَائِهِ، وَأَطْلَعَهُ اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ مَلَكُوتِهِ الْعَظِيمِ عَلَىٰ مَا أَطْلَعَهُ عَلَيْهِ مِمَّا مَلَأَ نَفْسَ الرَّسُولِ رِضًا عَنِ اللهِ وَقَلْبِهِ نُورًا وُطَمَأْنِينَةً، وَمَلَأَ صَدْرَهُ ثَلَجًا وَانْشِرَاحًا.

فَجَاءَتْ هَذِهِ الْحَادِثَةُ حَادِثَةُ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ تَثْبِيتًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَتَكْرِيمًا لَهُ فِي أَعْقَابِ سِنِينَ طَوِيلَةٍ مِنَ الدَّعْوَةِ وَالصَّبْرِ عَلَىٰ أَذَىٰ الْمُشْرِكِينَ وَاضْطِهَادِهِمْ وَنُكْرَانِهِمْ وَجَفَائِهِمْ.

www.menhag-un.com

مَعْنَى الإِسْرَاءِ

قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: ﴿أَسْرَىٰ﴾ مَأْخُوذَةٌ مِنَ السُّرَىٰ وَهُوَ سَيْرُ اللَّيْلِ تَقُولُ أَسْرَىٰ وَسَرَىٰ إِذَا سَارَ لَيْلًا بِمَعْنًىٰ وَالْمَقْصُودُ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ أَيْ جَعَل الْبُرَاقَ يَسْرِي بِهِ وَالْمَقْصُودُ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿بِعَبْدِهِۦ﴾ مُحَمَّدٌ ﷺ اتِّفَاقًا، وَالضَّمِيرُ للهِ تَعَالَىٰ وَالْإِضَافَةُ لِلتَّشْرِيفِ.

قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَيْلًا﴾ ظَرْفٌ لِلْإِسْرَاءِ وَهُوَ لِلتَّأْكِيدِ وَيُقَالُ بَلْ هُوَ إِشَارَةٌ إِلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ وَقَعَ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ لَا فِي جَمِيعِهِ وَالْعَرَبُ تَقُولُ سَرَىٰ فُلَانٌ لَيْلًا إِذَا سَارَ بَعْضَ اللَّيْلِ وَسَرَىٰ لَيْلَةً إِذَا سَارَ جَمِيعَهَا وَلَا يُقَالُ أَسْرَىٰ إِلَّا إِذَا وَقَعَ سَيْرُه فِي أَثْنَاءِ اللَّيْلِ وَإِذَا وَقَع فِي أَوَّلِهِ يُقَالُ أَدْلَجَ.

يُقْصَدُ بِالْإِسْرَاءِ هُنَا الرِّحْلَةُ الَّتِي أَكْرَمَ اللهُ تَعَالَىٰ بِهَا نَبِيَّهُ ﷺ مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بِمَكَّةَ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ بِالْقُدْسِ.

أَمَّا الْمِعْرَاجُ فَهُوَ مَا أَعْقَبَ هَذِهِ الرِّحْلَةَ مِنَ الْعُرُوجِ بِهِ ﷺ إِلَىٰ السَّمَاوَاتِ الْعُلَىٰ حَتَّىٰ الْوُصُولِ إِلَىٰ مُسْتَوًىٰ تَنْقَطِعُ عِنْدَهُ عُلُومُ الْخَلَائِقِ وَقَدْ أَشَارَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ إِلَىٰ تِلْكَ الْحَادِثَةِ فِي سُورَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ فَذَكَرَ قِصَّةَ الْإِسْرَاءِ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ.

فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

وَذَكَرَ سُبْحَانَهُ قِصَّةَ الْمِعْرَاجِ فِي سُورَةِ النَّجْمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٣ - ١٨].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ دِحْيَةَ فِي كِتَابِهِ «التَّنْوِيرُ فِي مَوْلِدِ السِّرَاجِ الْمُنِيرِ» فِيمَا نَقَلَهُ عَنْهُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: وَقَدْ تَوَاتَرَتِ الرِّوَايَاتُ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ عَنْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ، وَأَبِي ذَرٍّ، وَمَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَبِي سَعِيدٍ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَشَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ قُرْط، وَأَبِي حَبَّةَ وَأَبِي لَيْلَىٰ الْأَنْصَارِيَّيْنِ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، وَجَابِرٍ، وَحُذَيْفَةَ، وَبُرَيْدَةَ، وَأَبِي أَيُّوبَ، وَأَبِي أُمَامَةَ، وَسَمُرَةَ بْنِ جُنْدُب، وَأَبِي الْحَمْرَاءِ، وَصُهَيْبٍ الرُّومِيِّ، وَأُمِّ هَانِئٍ، وَعَائِشَةَ وَأَسْمَاءَ ابْنَتَيْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

مِنْهُمْ مَنْ سَاقَهُ بِطُولِهِ، وَمِنْهُمْ مَنِ اخْتَصَرَهُ عَلَىٰ مَا وَقَعَ فِي الْمَسَانِيدِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ رِوَايَةُ بَعْضِهِمْ عَلَىٰ شَرْطِ الصِّحَّةِ، فَحَدِيثُ الْإِسْرَاءِ أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ، وَاعْتَرَضَ فِيهِ الزَّنَادِقَةُ الْمُلْحِدُونَ ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الصَّفّ: ٨].

www.menhag-un.com

◉ ◉ ◉

وَقْتُ وُقُوعِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ

اخْتُلِفَ فِي وَقْتِ وُقُوعِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ فَقِيلَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِسَنَةٍ قَالَهُ ابْنُ سَعْدٍ وَغَيْرُهُ وَبِهِ جَزَمَ النَّوَوِيُّ وَبَالَغَ ابْنُ حَزْمٍ فَنَقَلَ الْإِجْمَاعَ فِيهِ وَهُوَ مَرْدُودٌ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ اخْتِلَافًا كَثِيرًا يَزِيدُ عَلَىٰ عَشْرَةِ أَقْوَالٍ.

وَقِيلَ: كَانَ الْإِسْرَاءُ فِي رَجَبٍ حَكَاهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ وَجَزَمَ بِهِ النَّوَوِيُّ فِي «الرَّوْضَةِ».

وَقِيلَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ حَكَاهُ ابْنُ الْأَثِيرِ.

وَالَّذِي لَا خِلَافَ فِيهِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّ الْإِسْرَاءَ وَالْمِعْرَاجَ كَانَ بَعْدَ عَوْدَةِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الطَّائِفِ لَكِنْ لَمْ يَتَعَيَّنْ بِالضَّبْطِ الْيَوْمُ وَالشَّهْرُ وَالسَّنَةُ الَّتِي وَقَعَ فِيهَا.

◉ ◉ ◉

www.menhag-un.com

الْإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ بِالْجَسَدِ وَالرُّوحِ

وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْإِسْرَاءَ وَالْمِعْرَاجَ كَانَ بِجَسَدِهِ وَرُوحِهِ ﷺ.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا أَنْ يُقَالَ إِنَّ اللهَ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ كَمَا أَخْبَرَ اللهُ عِبَادَهُ وَكَمَا تَضَافَرَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ حَمَلَهُ عَلَىٰ الْبُرَاقِ حَيْثُ أَتَاهُ بِهِ وَصَلَّىٰ هُنَالِكَ بِمَنْ صَلَّىٰ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ فَأَرَاهُ مَا أَرَاهُ مِنَ الْآيَاتِ.

وَلَا مَعْنَىٰ لِقَوْلِ مَنْ قَالَ أُسْرِي بِرُوحِهِ دُونَ جَسَدِهِ أَنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ مَا يُوجِبُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَىٰ نُبُوَّتِهِ وَلَا حُجَّةً لَهُ عَلَىٰ رِسَالَتِهِ وَلَوْ كَانَ الَّذِينَ أَنْكَرُوا حَقِيقَةَ ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ وَكَانُوا يَدْفَعُونَ بِهِ عَنْ صِدْقِهِ فِيهِ إِذْ لَمْ يَكُنْ مُنْكَرًا عِنْدَهُمْ وَلَا عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ ذَوِي الْفَطْرَةِ الصَّحِيحَةِ مِنْ بَنِي آدَمَ أَنْ يَرَىٰ الرَّائِي مِنْهُمْ فِي الْمَنَامِ مَا عَلَىٰ مَسِيرَةِ سَنَةٍ فَكَيْفَ مَا هُوَ عَلَىٰ مَسِيرَةِ شَهْرٍ أَوْ أَقَلَّ.

وَبَعْدُ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ إِنَّمَا أَخْبَرَ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ أَنَّهُ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ وَلَمْ يُخْبِرْنَا أَنَّهُ أَسْرَىٰ بِرُوحِ عَبْدِهِ وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَعَدَّىٰ مَا قَالَ اللهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ وَلَا دَلَالَةَ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ مُرَادَ اللهِ تَعَالَىٰ مِنْ قَوْلِهِ ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١] أَسْرَىٰ بِرُوحِ عَبْدِهِ.

بَلْ الْأَدِلَّةُ الْوَاضِحَةُ وَالْأَخْبَارُ الْمُتَتَابِعَةُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَسْرَىٰ بِهِ عَلَىٰ دَابَّةٍ يُقَالُ لَهَا الْبَرَاقُ وَلَوْ كَانَ الْإِسْرَاءُ بِرُوحِهِ لَمْ تَكُنِ الرُّوحُ مَحْمُولَةً عَلَىٰ الْبُرَاقِ إِذْ كَانَتْ الدَّوَابُّ لَا تَحْمِلُ إِلَّا الْأَجْسَامَ.

يَعْنِي لَوْ كَانَ الْإِسْرَاءُ بِرُوحِهِ لَا بِجَسَدِهِ فَلِمَاذَا تُحْمَلُ الرُّوحُ عَلَىٰ الْبُرَاقِ؟ وَهَلْ يُحْمَلُ عَلَىٰ الْبُرَاقِ وَعَلَىٰ الدَّوَابِّ إِلَّا الْأَجْسَادُ؟

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-: الْأَكْثَرُونَ مِنَ الْعُلَمَاءِ عَلَىٰ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِبَدَنِهِ وَرُوحِهِ يَقَظَةً لَا مَنَامًا، فَأُسْرِيَ بِهِ بِجَسَدِهِ، وَأُسْرِيَ بِهِ فِي يَقَظَتِهِ لَا فِي مَنَامِهِ، وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ هَذَا قَوْلُهُ ﷻ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١].

فَالتَّسْبِيحُ إِنَّمَا يَكُونُ عِنْدَ الْأُمُورِ الْعِظَامِ، وَلَوْ كَانَ مَنَامًا لَمْ يَكُنْ فِيهِ كَبِيرُ شَيْءٍ وَلَمْ يَكُنْ مُسْتَعْظَمًا، وَلَمَا بَادَرَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ إِلَىٰ تَكْذِيبِهِ، وَلَمَا ارْتَدَّ جَمَاعَةٌ مِمَّنْ كَانَ قَدْ أَسْلَمَ.

وَأَيْضًا فَإِنَّ الْعَبْدَ عِبَارَةٌ عَنْ مَجْمُوعِ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ، وَقَدْ قَالَ -عَزَّ شَأْنُهُ-: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١]، وَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الْإِسْرَاءِ: ٦٠].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ أُرِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ، ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ﴾ [الْإِسْرَاءِ: ٦٠]: شَجَرَةُ الزَّقُّومِ.

ثُمَّ قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النَّجْمِ: ١٧]، وَالْبَصَرُ مِنْ آلَاتِ الذَّاتِ لَا الرُّوحِ.

وَأَيْضًا فَإِنَّهُ ﷺ حُمِلَ عَلَىٰ الْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ بَيْضَاءُ بَرَّاقَةٌ لَهَا لَمَعَانٌ، وَإِنَّمَا يَكُونُ هَذَا لِلْبَدَنِ لَا لِلرُّوحِ؛ لِأَنَّهَا لَا تَحْتَاجُ فِي حَرَكَتِهَا إِلَىٰ مَرْكَبٍ تَرْكَبُ عَلَيْهِ. يَعْنِي الرُّوحَ.

وَقَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: وَقَدِ اخْتَلَفَ السَّلَفُ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ الْأَخْبَارِ الْوَارِدَةِ فَمِنْهُمْ مَنْ ذَهَبَ إِلَىٰ أَنَّ الْإِسْرَاءَ وَالْمِعْرَاجَ وَقَعَا فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ فِي الْيَقَظَةِ بِجَسَدِ النَّبِيِّ ﷺ وَرُوحِهِ بَعْدَ الْمَبْعَثِ وَإِلَىٰ هَذَا ذَهَبَ الْجُمْهُورُ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ وَتَوَارَدَتْ عَلَيْهِ ظَوَاهِرُ الْأَخْبَارِ الصَّحِيحَةِ وَلَا يَنْبَغِي الْعُدُولُ عَنْ ذَلِكَ إِذْ لَيْسَ فِي الْعَقْلِ مَا يُحِيلُهُ حَتَّىٰ يَحْتَاجَ إِلَىٰ تَأْوِيلٍ.

يَتَعَرَّضُ الْإِسْلَامُ مِنْ قَدِيمٍ مُنْذُ أَنْ جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ التَّشْوِيشِ وَالتَّشْوِيهِ وَإِثَارَةِ الشُّبُهَاتِ وَالشُّكُوكِ، وَفِي هَذَا الْعَصْرِ وُجِدَ الْكَثِيرُ مِنْ ذَلِكَ فَهَذَا الْعَصْرُ غَيْرُ مَسْبُوقٍ فِي مِضْمَارِ التَّشْوِيهِ لِدِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ وَلِكِتَابِهِ الْمَجِيدِ وَنَبِيِّهِ الْأَمِينِ ﷺ.

وَعَلَىٰ الْمُسْلِمِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي مَعْرِفَةِ ذَلِكَ وَكَيْفَ يَرُدُّ عَلَيْهِ إِذَا كَانَ مِمَّنْ آتَاهُ اللهُ طَرَفًا مِنَ الْعِلْمِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَبُثُّ بَيْنَ مَنْ يُقَالُ لَهُمُ الْمُثَقَّفُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَكَذَا بَيْنَ الشَّبَابِ الَّذِينَ فِي الْجُمْلَةِ لَا يَعْرِفُونَ حَقِيقَةَ الدِّينِ الَّذِي جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ الْأَمِينُ ﷺ؛ حَتَّىٰ إِنَّهُ لَيُوجَدُ قُطْعَانٍ تُسَاقُ إِلَىٰ الْإِلْحَادِ سَوْقًا لَا بِمُجَرَّدِ الْوُقُوعِ فِي الشُّكُوكِ وَالشُّبُهَاتِ.

وَإِنَّمَا فِي إِنْكَارِ وُجُودِ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ فَضْلًا عَمَّا يَتَعَلَّقُ بِالنَّبِيِّ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ وَهَذَا الْبَلَاءُ كُلُّهُ إِنَّمَا دَخَلَ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قِلَّةِ أَوْ عَدَمِ تَعْلِيمِ التَّوْحِيدِ؛ فَهَذا دِينُ التَّوْحِيدِ.

وَإِذَا عُلِّمَ الْمُسْلِمُ أُصُولَ التَّوْحِيدِ وَشَبَّ عَلَىٰ ذَلِكَ وَرَضَعَ لَبَانَهُ فَلَا يُمْكِنُ أَنْ تُؤَثِّرَ فِيهِ الشُّبْهَةُ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُؤَثِّرَ فِيهِ شَكٌّ مَهْمَا حَاوَلَ الْمُشَكِّكُونَ وَالْمُشَبِّهُونَ، وَلَكِنَّ النَّاسَ يُنْشِؤُونَ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ حَقِيقَةَ الدِّينِ الَّذِي جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ الْأَمِينُ ﷺ.

وَقَدْ مَرَّ مَعَنَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَلَّمَهُمْ أَوَّلَ مَا عَلَّمَهُمْ حَقِيقَةَ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ وَأَلَّا تُشْرِكُوا بِاللهِ تَعَالَىٰ شَيْئًا، وَنَطَقَ بِذَلِكَ فِي بَدْءِ الْأَمْرِ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بَيْنَ يَدَيِ النَّجَاشِيِّ وَفِي وَسْطِ الْأَمْرِ أَبُو سُفْيَانَ بَيْنَ يَدَيْ هِرَقْلَ فَهَذَا مُؤْمِنٌ وَهَذا كَانَ كَافِرًا.

وَلَكِنَّ حَقِيقَةَ الدِّينِ كَانَتْ وَاضِحَةً فِي أَنْفُسِهِمْ، وَصُورَةُ مَا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ مِنْ حَقِيقَةِ التَّوْحِيدِ وَنَبْذِ الشِّرْكِ كَانَتْ وَاضِحَةً مُتَأَلِّقَةً فِي أَرْوَاحِهِمْ؛ لِذَلِكَ بَدَأُوا كُلَّ مَنْ كَلَّمُوهُ بِأَنَّهُ إِنَّمَا يَدْعُونَا إِلَىٰ عِبَادَةِ اللهِ الْوَاحِدِ وَنَبْذِ وَتَرْكِ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ.

وَهَذَا مَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ وَاضِحًا، فَهَذِهِ حَقِيقَةُ الدِّينِ الَّذِي جَاءَ بِهِ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ كُلُّهُمْ بَدَأُوا أَقْوَامَهُمْ بِهَذِهِ الْقَوْلَةِ الَّتِي هِيَ بِمَعْنَىٰ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩].

نَفْيٌ وَإِثْبَاتٌ فَدِينُ الْمُرْسَلِينَ نَفْيٌ وَإِثْبَاتٌ كُلُّ الْمُرْسَلِينَ جَاؤُوا بِالنَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ، وَلَا يُقْبَلُ النَّفْيُ وَحْدَهُ مِنْ غَيْرِ إِثْبَاتٍ وَلَا يُقْبَلُ الْإِثْبَاتُ وَحْدَهُ مِنْ غَيْرِ نَفْيٍ حَتَّىٰ يَجْمَعَ النَّفْيَ وَالْإِثْبَاتَ.

وَفِي هَذَا الْعَصْرِ بَلَاءٌ كَبِيرٌ وَحَرْبٌ شَرِسَةٌ عَلَىٰ كُلِّ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَعْلَمَ النَّاسُ أُصُولَ الدِّينِ أَتَظُنُّونَ الْغَرْبَ يُحَارِبُ التَّكْفِيرِيِّينَ لَا هُوَ الَّذِي يَصْنَعَهُمْ إِنَّمَا يُحَارِبُكُمْ أَنْتُمْ يَا أَهْلَ السُّنَّةِ؛ لِأَنَّكُمْ تَحْمِلُونَ حَقِيقَةَ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَتُبَيِّنُونَ ذَلِكَ لِلنَّاسِ هُمْ لَا يُحَارِبُونَهُمْ هُمْ يَصْنَعُونَهُمْ وَيَشْغَبُونَ بِهِمْ وَيُمَكِّنُونَ لَهُمْ وَيُغْوُونَهُمْ وَالْحَرْبُ الْحَقِيقِيَّةُ عَلَىٰ الدَّعْوَةِ الصَّحِيحَةِ.

وكَذَلِكَ الْفَجَرَةُ مِنَ الْعَلْمَانِيِّينَ فِي مِصْرَ لَا يُحَارِبُونَ إِلَّا الدِّينَ الْحَقَّ الَّذِي جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ ﷺ.

وَهُنَاكَ حَمَلَةٌ مَسْعُورَةٌ فِي هَذَا الْوَقْتِ فِي أُمُورٍ خَفِيَّةٍ كَأَنَّمَا يُعِدُّونَ الْعُدَّةَ لِشَيْءٍ يُرِيدُونَ إِحْدَاثَهُ بِمِصْرَ فَيُرِيدُونَ إِسْكَاتَ كُلِّ صَوْتٍ يُدَافِعُ عَنِ الْإِسْلَامِ وَيُدَافِعُ عَنْ مِصْرَ بِأَيِّ صُورَةٍ مِنَ الصُّوَرِ بِالدَّسِّ عِنْدَ الْمُؤَسَّسَاتِ الدِّينِيَّةِ الرَّسْمِيَّةِ وَعِنْدَ الْجِهَاتِ الْمَعْنِيَّةِ بِإِشَاعَةِ أَقْوَالٍ بَاطِلَةٍ مَرْذُولَةٍ وَبِإِشَاعَةِ أَكَاذِيبَ وَتُرَّهَاتٍ وَيَجِدُونَ مِنَ الْعَلْمَانِيِّينَ الْفَجَرَةِ مَنْ يُهَيِّجُونَ الرَّأْيَ الْعَامَ وَيَسْتَثِيرُونَ أَصْحَابَ الْكَلِمَةِ مِنْ أَجْلِ إِصْمَاتِ وَإِسْكَاتِ مَنْ يَتَكَلَّمُ فِي دِينِ اللهِ بِالْحَقِّ وَيُحَافِظُ عَلَىٰ أَرْضِهِ وَيُحَافِظُ عَلَىٰ وَطَنِهِ وَيُحَافِظُ عَلَىٰ سَلَامَةِ مِصْرَ وَيَدْعُو أَبْنَاءَهَا وَمَنْ هُوَ بِهَا مِنْ غَيْرِهَا إِلَىٰ الْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا؛ لِأَنَّهَا قَلْعَةُ الْإِسْلَامِ الصَّامِدَةُ الَّتِي إِذَا انْهَارَتْ -نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ ذَلِكَ- انْهَارَتْ سَائِرُ الْقِلَاعِ تَبَعًا لِانْهِيَارِهَا.

خُطَّةٌ شَيْطَانِيَّةٌ وَيُعِينُ عَلَيْهَا مَنْ يَدَّعِي زُورًا وَكَذِبًا أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَإِنَّمَا هُمْ فَجَرَةٌ لَا يَعْرِفُونَ مِنَ الْخُلُقِ الْحَسَنِ شَيْئًا وَلَا يَدْرُونَ عَنِ الْمُرُوءَةِ خَبَرًا؛ فَنَسْأَلُ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْ يَقِينَا شَرَّ الْأَشْرَارِ وَكَيْدَ الْفُجَّارِ إِنَّهُ تَعَالَىٰ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ الرَّحْمَنُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ سَلَفًا وَخَلَفًا عَلَىٰ أَنَّ الْإِسْرَاءَ وَالْمِعْرَاجَ كَانَا فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ وَأَنَّهُمَا كَانَا فِي الْيَقَظَةِ بِجَسَدِهِ وَرُوحِهِ ﷺ فَهَذَا هُوَ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ فِي مُفْتَتَحِ سُورَةِ الْإِسْرَاءِ ﴿بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١].

إِذْ لَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا الرُّوحَ وَالْجَسَدَ يَعْنِي عِنْدَمَا تَسْمَعُ ﴿بِعَبْدِهِۦ﴾ إِلَىٰ أَيْنَ يَنْصَرِفُ ذِهْنُكَ إِلَىٰ الرُّوحِ وَحْدَهَا؟ أَوْ إِلَىٰ الْجَسَدِ وَحْدَهُ؟ الْعَبْدُ رُوحٌ وَجَسَدٌ ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١] بِرُوحِهِ وَجَسَدِهِ تَوَارَدَتْ عَلَىٰ ذَلِكَ الْأَخْبَارُ الصَّحِيحَةُ الْمُتَكَاثِرَةُ وَالنُّصُوصُ عَلَىٰ ظَوَاهِرِهَا مَا لَمْ يَقُمْ دَلِيلٌ عَلَىٰ صَرْفِهَا عَنْ ظَاهِرِهَا، وَأَنَّىٰ هُوَ؟

فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ أَنَّهُ شُقَّ صَدْرُهُ الشَّرِيفَ وَرَكِبَ الْبُرَاقَ وَعُرِجَ بِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ ولَاقَىٰ الْأَنْبِيَاءَ وفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَأَنَّ اللهَ كَلَّمَهُ وَأَنَّهُ صَارَ يَرْجِعُ بَيْنَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبَيْنَ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِمَّا يُؤَكِّدُ أَنَّهُمَا كَانَا بِجَسَدِهِ الشَّرِيفِ وَرُوحِهِ وَيَنْفِي مَا عَدَا ذَلِكَ.

www.menhag-un.com

◉ ◉ ◉

القَائِلُونَ بِأَنَّ الْإِسْرَاءَ وَالْمِعْرَاجَ كَانَا بِالرُّوحِ فَقَطْ، وَرَدُّ ذَلِكَ

وَذَهَبَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَىٰ أَنَّهُمَا يَعْنِي الْإِسْرَاءَ وَالْمِعْرَاجَ كَانَا بِرُوحِهِ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وَنُسِبَ الْقَوْلَ بِهِ إِلَىٰ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَمُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَرَوَوْا فِي هَذَا عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: مَا فَقَدْتُ جَسَدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَكِنْ أُسْرِيَ بِرُوحِهِ.

رُوِيَ «فَقَدْتُ» مَبْنِيًّا لِلْمَعْلُومِ وَهَذا اللَّفْظُ بِهَذِهِ الصُّورَةِ أَدَلُّ عَلَىٰ الْكَذِبِ وَالْوَضْعِ؛ لِأَنَّ الْإِسْرَاءَ كَانَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ، وَلَمْ يَدْخُلْ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ إِلَّا بَعْدَ الْهِجْرَةِ فَأَنَّىٰ هِيَ مِنْ جَسَدِهِ ﷺ؟

وَرُوِيَ: «مَا فُقِدَ جَسَدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ» وَهَذا وَهَّنَهُ الْقَاضِي عِيَاضٌ فِي «الشِّفَاءِ» سَنَدًا وَمَتْنًا وَهُوَ حَدِيثٌ لَا يَثْبُتُ حَكَمَ عَلَيْهِ الْحَافِظُ ابْنُ دِحْيَةَ بِالْوَضْعِ.

وَمِمَّا يُضَعِّفُ هَذَا الْأَثَرَ وَيَرُدُّهُ: أَنَّ عَائِشَةَ لَمْ تَكُنْ حِينَئِذٍ قَدْ دَخَلَ بِهَا النَّبِيُّ فَمِنَ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَبْنِ بِهَا إِلَّا بَعْدَ الْهِجْرَةِ، وَإِنْ عَقَدَ عَلَيْهَا قَبْلَهَا بِسَنَةٍ، وَقِيلَ بِسَنَتَيْنِ.

وَيَرُدُّ ذَلِكَ أَيْضًا أَنَّ الثَّابِتَ عَنْهَا أَنَّهَا كَانَتْ تُنْكِرُ عَلَىٰ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ مُحَمَّدًا رَأَىٰ رَبَّهُ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ وَتَسْتَدِلُّ بِآيَاتٍ مِنَ الْكِتَابِ الْكَرِيمِ عَلَىٰ حَسَبِ اجْتِهَادِهَا

وَفَهْمِهَا فَلَوْ كَانَتْ تَرَىٰ هَذَا الرَّأْيَ أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فِي الْبَدَنِ الَّذِي نَسَبُوهُ إِلَيْهَا زُورًا لَكَانَ أَقْرَبَ شَيْءٍ فِي رَدِّهَا عَلَىٰ مَنْ يَقُولُ بِالرُّؤْيَةِ أَنْ تَحْتَجَّ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ الْمِعْرَاجَ لَمْ يَكُنْ بِجَسَدِهِ.

لَكِنْ لَمْ يُنْقَلْ عَنْهَا أَنَّهَا احْتَجَّتْ بِذَلِكَ، فَهَذَا دَلِيلٌ قَاطِعٌ عَلَىٰ أَنَّهَا تَرَىٰ وَتَعْتَقِدُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ بِجَسَدِهِ الشَّرِيفِ وَرُوحِهِ ﷺ.

أَيْضًا مَا رُوِيَ عَنْ مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه غَيْرُ صَحِيحٍ وَحِينَ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ لَمْ يَكُنْ أَسْلَمَ بَعْدُ وَلَوْ سَلَّمْنَا مَا نُسِبَ إِلَيْهِمَا جَدَلًا فظَوَاهِرُ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ تَرُدُّهُ.

◉◉◉

www.menhag-un.com

القَائِلُونَ بِأَنَّ الإِسْرَاءَ وَالْمِعْرَاجَ كَانَا مَنَامًا، وَرَدُّ ذَلِكَ

الْقَائِلُونَ بِأَنَّهُمَا كَانَا مَنَامًا أَبْعَدُ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ أَنَّهُ كَانَ بِالرُّوحِ فَقَطْ قَوْلُ مَنْ ذَهَبَ إِلَىٰ أَنَّهُمَا كَانَا فِي الْمَنَامِ يَسْتَدِلُّونَ لِذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ [الإسراء: ٦٠].

قَالُوا: إِنَّ الْآيَةَ تُشِيرُ إِلَىٰ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ وَالرُّؤْيَا إِنَّمَا تُطْلَقُ عَلَىٰ الْمَنَامِيَّةِ لَا الْبَصَرِيَّةِ، وَلَيْسَ أَدَلَّ عَلَىٰ رَدِّ اسْتِدْلَالِهِمْ بِهَذِهِ الْآيَةِ مِنْ قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي تَفْسِيرِهَا هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ أُرِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ».

وَمُرَادُ ابْنِ عَبَّاسٍ بِرُؤْيَا الْعَيْنِ جَمِيعُ مَا عَايَنَهُ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ مِنَ الْعَجَائِبِ السَّمَاوِيَّةِ وَالْأَرْضِيَّةِ.

وَابْنُ عَبَّاسٍ حَبْرُ الْأُمَّةِ وَتَرْجُمَانِ الْقُرْآنِ وَمِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِالْعَرَبِيَّةِ وَكَانَ إِذَا سُئِلَ عَنْ لَفْظٍ مِنَ الْقُرْآنِ ذَكَرَ لَهُ شَاهِدًا مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ؛ فَكَلَامُهُ حُجَّةٌ فِي هَذَا وَالرُّؤْيَا كَمَا تُطْلَقُ عَلَىٰ الْمَنَامِيَّةِ تُطْلَقُ عَلَىٰ الْبَصَرِيَّةِ أَيْضًا.

وَمِنْ شَوَاهِدِ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ الَّذِينَ يَحْتَجُّ بِكَلَامِهِمْ قَوْلُ الرَّاعِي يَصِفُ صَائِدًا:

وَكَبَّـرَ لِلرُّؤْيَـا وَهَـشَّ فُـؤَادُهُ وَبَشَّرَ قَلْبًا كَانَ جَمًّـا بَلَابِلُـه

عَلَىٰ أَنَّ بَعْضَ الْمُفَسِّرِينَ يَرَىٰ أَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ؛ بِسَبَبِ رُؤْيَا رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ دَخَلَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَعَلىٰ هَذَا فَلَا تَكُونُ الْآيَةُ دَلِيلًا لَهُمْ قَطُّ.

لَكِنَّ الصَّحِيحَ هُوَ الْأَوَّلُ وَأَيْضًا لَوْ كَانَ الْإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ فِي الْمَنَامِ لَمْ يَكُنْ فِيهِمَا شَيْءٌ يُسْتَعْظَمُ؛ وَلَمَا بَادَرَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ إِلَىٰ تَكْذِيبِ الرَّسُولِ وَالتَّعَجُّبِ مِمَّا قَالَ، وَلَمَّا ارْتَدَّ بَعْضُ ضُعَفَاءِ الْإِيمَانِ إِذْ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَرَوْنَ فِي مَنَامِهِمْ مِثْلَ ذَلِكَ فيرَىٰ الرَّائِي أَنَّهُ ذَهَبَ إِلَىٰ أَقْصَىٰ الْمَعْمُورَةِ أَوْ صَعِدَ إِلَىٰ السَّمَاءِ.

فَاسْتِبْعَادُهُمْ لِذَلِكَ وَمُسَارَعَتُهُمْ إِلَىٰ تَكْذِيبِ النَّبِيِّ ﷺ عَقِبَ إِخْبَارِهِ لَهُمْ مِنْ أَظْهَرِ الْأَدِلَّةِ عَلَىٰ أَنَّهُمْ فَهِمُوا مِنْ إِخْبَارِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُمَا كَانَا فِي الْيَقَظَةِ لَا فِي الْمَنَامِ.

مَا الْفَرْقُ بَيْنَ كَوْنِهِمَا بِالرُّوحِ وَكَوْنِهِمَا مَنَامًا؟

مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ بَعْضَ الْكَاتِبِينَ فِي مُعْجِزَتَيْ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ يَخْلِطُ بَيْنَ قَوْلِ مَنْ يَقُولُ: كَانَا مَنَامًا وَقَوْلِ مَنْ يَقُولُ: كَانَا بِالرُّوحِ.

وَبَيْنَهُمَا فَرْقٌ؛ فَمَنْ قَالَ: كَانَا بِالرُّوحِ أَرَادَ أَنَّ الرُّوحَ بِمَا لَهَا مِنْ قُدْرَةٍ عَلَىٰ التَّصَرُّفِ وَالِانْتِقَالِ هِيَ الَّتِي انْتَقَلَتْ وَجَالَتْ فِي هَذِهِ الْمَعَانِي الْمُقَدَّسَةِ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ فِي الْمَنَامِ فَإِنَّمَا أَرَادَ حُدُوثَ صُوَرٍ وَانْكِشَافَاتٍ

لِلرُّوحِ فِيمَا وَرَاءَ الْحِسِّ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ مِنْ غَيْرِ انْتِقَالٍ، وَالْمَرْءُ عَلَىٰ فِرَاشِهِ مِنْ غَيْرِ انْتِقَالٍ وَمُفَارَقَةٍ لِلْبَدَنِ. أَمَّا بِالرُّوحِ فَقَدِ انْتَقَلَتْ الرُّوحُ، وَأَمَّا فِي الْمَنَامِ فَهَذَا الْكَشْفُ إِنَّمَا يَكُونُ لِلرُّوحِ وَالْمَرْءُ عَلَىٰ فِرَاشِهِ مِنْ غَيْرِ انْتِقَالِ الرُّوحِ.

نَبَّهَ إِلَىٰ هَذَا الْفَرْقِ وَبَسَطَهُ الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «زَادِ الْمَعَادِ»؛ فَلْيَرْجِعْ إِلَيْهِ مَنْ شَاءَ الِاسْتِزَادَةَ!

◉◉◉

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

الْإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ وَوَحْدَةُ الْوُجُودِ، وَمُنَاقَشَةُ ذَلِكَ، وَرَدُّهُ

قَالَ أَبُو شَهْبَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلَا يَفُوتُنِي وَقَدْ عَرَضْتُ لِلْآرَاءِ فِي الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ وَبَيَّنْتُ الْمَقْبُولَ مِنْهَا مِنَ الْمَرْدُودِ أَنْ أُعَرِّجَ عَلَىٰ رَأْيٍ سَاقَهُ الدُّكْتُور مُحَمَّد حُسَيْن هَيْكَل فِي كِتَابِهِ حَيَاةُ مُحَمَّدٍ هُوَ تَصْوِيرُ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ تَصْوِيرًا رُوحِيًّا مَبْنِيًّا عَلَىٰ فِكْرَةِ وَحْدَةِ الْوُجُودِ وَإِلَيْكَ مَا ذَكَرَهُ فِي كِتَابِهِ بَعْدَ أَنْ عَرَضَ عَرْضًا مُوجَزًا بِخِلَافِ الْعُلَمَاءِ فِي الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ.

فَهَذِهِ الْكُتُبُ مِنَ الْبَلَاءِ؛ لِأَنَّهُ يَتَوَفَّرُ عَلَىٰ قِرَاءَتِهَا وَالنَّظَرِ فِيهَا الْمُثَقَّفُونَ وَضِعَافُ الْمَعْرِفَةِ الَّذِينَ لَا يَسْتَطِيعُونَ النَّظَرَ فِي الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ الرَّصِينَةِ الَّتِي تُحَقِّقُ فِي شَأْنِ الرِّوَايَاتِ وَتُزَيِّفُ الزَّائِفَ وَتُثْبِتُ الْأَصِيلَ وَتَنْفِي الدَّخِيلَ؛ فَالتَّنْبِيهُ إِلَىٰ ذَلِكَ مِنَ الْمُهِمَّاتِ!

قَالَ: «فِي الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ فِي حَيَاةِ مُحَمَّدٍ الرُّوحِيَّةِ مَعْنًىٰ سَامٍ غَايَةَ السُّمُوِّ مَعْنًىٰ أَكْبَرُ مِنْ هَذَا الَّذِي يُصَوِّرُونَ وَالَّذِي قَدْ يَشُوبُ بَعْضَهُ مِنْ خَيَالِ الْمُتَكَلِّمِينَ حَظٌّ غَيْرُ قَلِيلٍ فَهَذَا الرُّوحُ الْقَوِيُّ قَدِ اجْتَمَعَتْ فِيهِ فِي سَاعَةِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ وَحْدَةُ هَذَا الْوُجُودِ بَالِغَةً غَايَةَ كَمَالِهَا. لَمْ يَقِفْ أَمَامَ ذِهْنِ مُحَمَّدٍ وَرُوحِهِ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ حِجَابٌ مِنَ الزَّمَانِ أَوِ الْمَكَانِ أَوْ غَيْرِهِمَا مِنَ الْحُجُبِ الَّتِي تَجْعَلُ حُكْمَنَا نَحْنُ فِي الْحَيَاةِ نِسْبِيًّا مَحْدُودًا بِحُدُودِ قُوَانَا الْمُحِسَّةِ وَالْمُدَبِّرَةِ وَالْعَاطِلَةِ.

تَدَاعَتْ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ كُلُّ الْحُدُودِ أَمَامَ بَصِيرَةِ مُحَمَّدٍ وَاجْتَمَعَ الْكَوْنُ كُلُّهُ».

هُوَ لَا يُصَلِّي لَا أُغْفِلُ مَا قَالَ لَوْ كَانَ مُصَلِّيًا وَمُسَلِّمًا عَلَيْهِ؛ وَإِنَّمَا أَقْرَأُ مَا كَتَبَ هُوَ يَقُولُ هكَذَا: بَصِيرَةِ مُحَمَّدٍ.

صلى الله عليه وآله وسلم.

«وَاجْتَمَع الْكَوْنُ كُلُّهُ فِي رُوحِهِ فَوَعَاهُ مُنْذُ أَزَلِهِ إِلَىٰ أَبَدِهِ، وَصَوَّرَهُ فِي تَطَوُّرٍ وِحْدَتِهِ إِلَىٰ الْكَمَالِ عَنْ طَرِيقِ الْخَيْرِ وَالْفَضْلِ وَالْجَمَالِ فِي مُغَالَبَتِهَا وَتَغَلُّبِهَا عَلَىٰ الشَّرِّ وَالنَّقْصِ، وَالْقُبْحِ وَالْبَاطِلِ بِفَضْلٍ مِنَ اللهِ وَمَغْفِرَةٍ، وَلَيْسَ بِمُسْتَطِيعٍ هَذَا السُّمُوَّ إِلَّا قُوَّةٌ فَوْقَ مَا تَعْرِفُ الطَّبَائِعُ الْإِنْسَانِيَّةُ.

فَإِذَا جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ مِمَّنْ اتَّبَعُوا مُحَمَّدًا مِنْ عَجَزَ عَنْ مُتَابَعَتِهِ فِي سُمُوِّ فِكْرَتِهِ وَقُوَّةِ إِحَاطَتِهِ بِوِحْدَةِ الْكَوْنِ فِي كَمَالِهِ وَفِي جِهَادِهِ لِبُلُوغِ هَذَا الْكَمَالِ فَلَا عَجَبَ فِي ذَلِكَ، ولَا عَيْبَ فِيهِ، وَالْمُمْتَازُونَ مِنَ النَّاسِ وَالْمَوْهُوبُونَ مِنْهُمْ دَرَجَاتٌ، وَبُلُوغُنَا الْحَقِيقَةَ مُعَرَّضٌ دَائِمًا لِهَذِهِ الْحُدُودِ الَّتِي تَعْجِزُ قُوَانَا عَنْ تَخَطِّيهَا.

وَالْإِسْرَاءُ بِالرُّوحِ وَفِي مَعْنَاهُ كَالْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ بِالرُّوحِ جَمِيعًا سُمُوًّا وَجَمَالًا وَجَلَالًا، فَهُوَ تَصْوِيرٌ قَوِيٌّ لِلْوِحْدَةِ الرُّوحِيَّةِ مِنْ أَزَلِ الْوُجُودِ إِلَىٰ أَبَدِهِ فَهَذَا التَّعْرِيجُ عَلَىٰ جَبَلِ سِينَاءَ حَيْثُ كَلَّمَ اللهُ مُوسَىٰ وَعَلَىٰ بَيْتِ لَحْمٍ حَيْثُ وُلِدَ عِيسَىٰ.

وَهَذَا الِاجْتِمَاعُ الرُّوحِيُّ ضَمَّتِ الصَّلَاةُ فِيهِ مُحَمَّدًا وَعِيسَىٰ وَمُوسَىٰ وَإِبْرَاهِيمَ مَظْهَرٌ قَوِيٌّ لِوِحْدَةِ الْحَيَاةِ الدِّينِيَّةِ عَلَىٰ أَنَّهَا مِنْ قَوَامِ وِحْدَةِ الْكَوْنِ فِي مَوْرِدِهِ الدَّائِمِ إِلَىٰ الْكَمَالِ...» إِلَىٰ آخِرِ مَا قَالَ.

نَاقَشَهُ الشَّيْخُ أَبُو شَهْبَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَقَالَ: إِنَّ فِكْرَةَ وَحْدَةِ الْوُجُودِ فِكْرَةٌ خَاطِئَةٌ وَافِدَةٌ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ فِيمَا وَفَدَ إِلَيْهِ مِنْ آرَاءٍ فَاسِدَةٍ لَا يَشْهَدُ لَهَا عَقْلٌ وَلَا دِينٌ وَهِيَ مِنْ مُخَلَّفَاتِ الْفَلْسَفَاتِ الْقَدِيمَةِ وَفِيهَا مَا فِيهَا مِنْ أَخْطَاءٍ وَأَبَاطِيلَ.

وَقَدِ انْتَصَرَ لَهَا وَتَشَيَّعَ بَعْضُ الْمُتَصَوِّفَةِ الَّذِينَ يَنْتَسِبُونَ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ وَكَتَبُوا فِيهَا فَكَانَ عَاقِبَتَهُمُ الْإِلْحَادُ فِي اللهِ تَعَالَىٰ وَصِفَاتِهِ.

وَقَدْ أَبَانَ بُطْلَانَهَا كَثِيرٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ الْمُتَثَبِّتِينَ فِي الْعَقِيدَةِ وَالْقَوْلُ بِهَا يُؤَدِّي إِلَىٰ الْقَوْلِ بِالطَّبِيعَةِ وَقِدَمِ الْعَالَمِ وَإِنْكَارِ الْأُلُوهِيَّةِ وَهَدْمِ الشَّرَائِعِ السَّمَاوِيَّةِ الَّتِي قَامَتْ عَلَىٰ أَسَاسِ التَّفْرِقَةِ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ وَبَيْنَ وُجُودِ الرَّبِّ وَوُجُودِ الْعَبْدِ وَتَكْلِيفِ الْخَالِقِ لِلْخَلْقِ بِمَا يُحَقِّقُ لَهُمُ السَّعَادَةَ.

مُقْتَضَىٰ هَذَا الْمَذْهَبِ أَنَّ الْوُجُودَ وَاحِدٌ فَلَيْسَ هُنَاكَ خَالِقٌ وَمَخْلُوقٌ وَلَا عَابِدٌ وَمَعْبُودٌ وَلَا قَدِيمٌ وَحَادِثٌ وَعَابِدُ الْأَصْنَامِ وَالْكَوَاكِبِ وَالْحَيَوَانَاتِ حِينَ عَبَدُوهَا إِنَّمَا عَبَدُوا الْحَقَّ؛ لِأَنَّ وُجُودَهَا الْحَقُّ... إِلَىٰ آخِرِ خُرَافَاتِهِمْ الَّتِي ضَلُّوا بِسَبَبِهَا وَأَضَلُّوا غَيْرَهُمْ وَالَّتِي أَضَرَّتْ بِالْمُسْلِمِينَ وَجَعَلَتْهُمْ شِيَعًا وَأَحْزَابًا.

وَلَقَدْ بَلَغَ مِنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ قَالَ إِنَّ النَّصَارَىٰ ضَلُّوا لِأَنَّهُمْ اقْتَصَرُوا عَلَىٰ عِبَادَةِ ثَلَاثَةٍ وَلَوْ أَنَّهُمْ عَبَدُوا الْوُجُودَ كُلَّهُ لَكَانُوا رَاشِدِينَ.

وَقَالَ بَعْضُ الْمُعْتَنِقِينَ لِفِكْرَةِ وَحْدَةِ الْوُجُودِ:

الْعَبْـدُ حَـقٌّ وَالـرَّبُّ حَـقٌّ ... يَا لَيْتَ شِعْرِي مَنِ الْمُكَلَّف

إِنْ قُلْـتَ عَبْـدٌ فَـذَاكَ رَبٌّ ... أَوْ قُلْـتَ رَبٌّ أَنَّـىٰ يُكَلَّـف؟

وَكَانَ كَبِيرُهُمْ يَمُرُّ مَعَ مُرِيدِيهِ عَلَىٰ كَلْبٍ مَيِّتٍ شَائِلٍ بِرِجْلِهِ حَابِطٍ فَيَقُولُ: هَذَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ!

قَالَ الْإِمَامُ تَقِيُّ الدِّينِ -هَذَا كَلَامُ الشَّيْخِ أَبِي شَهْبَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ- قَالَ الْإِمَامُ تَقِيِّ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ تَيْمِيَّةَ الْحَرَّانِيُّ فِي بَعْضِ كُتُبِهِ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ الْفَنَاءَ الْمَحْمُودَ وَالْفَنَاءَ الْمَذْمُومَ: وَلِهَذَا لَمَّا سَلَكَ ابْنُ عَرَبِيٍّ وَابْنُ سَبْعِينَ وَغَيْرُهُمَا هَذِهِ الطُّرُقَ الْفَاسِدَةَ أَوْرَثَهُمْ ذَلِكَ الْفَنَاءُ عَنْ وُجُودِ السِّوَىٰ فجَعَلُوا الْمَوْجُودَ وَاحِدًا وَوُجُودَ كُلِّ مَخْلُوقٍ هُوَ عَيْنُ وُجُودِ الْحَقِّ.

وَحَقِيقَةُ الْفَنَاءِ عِنْدَهُمْ أَنَّهُ لَا يُرَىٰ إِلَّا الْحَقُّ وَهُوَ الرَّائِي وَالْمَرْئِيُّ وَالْعَابِدُ وَالْمَعْبُودُ وَالذَّاكِرُ وَالْمَذْكُورُ وَالنَّاكِحُ وَالْمَنْكُوحُ وَالْآمِرُ الْخَالِقُ هُوَ الْأَمْرُ الْمَخْلُوقُ وَهُوَ الْمُتَّصِفُ بِكُلِّ مَا يُوصَفُ بِهِ الْوُجُودُ مِنْ مَدْحٍ وَذَمٍّ وَعُبَّادُ الْأَصْنَامِ مَا عَبَدُوا غَيْرَهُ وَمَا ثَمَّ مَوْجُودٌ مُغَايِرٌ لَهُ أَلْبَتَّةَ عِنْدَهُمْ.

وَهَذا مُنْتَهَىٰ سُلُوكِ هَؤُلَاءِ الْمُلْحِدِينَ، وَأَكْثَرُ هَؤُلَاءِ الْمَلَاحِدَةِ الْقَائِلِينَ بِوَحْدَةِ الْوُجُودِ يَقُولُونَ: فِرْعَوْنُ أَكْمَلُ مِنْ مُوسَىٰ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ صَادِقٌ فِي قَوْلِهِ ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤].

لِأَنَّ الْوُجُودَ فَاضِلٌ وَمَفْضُولٌ وَالْفَاضِلُ يَسْتَحِقُّ أَنْ يَكُونَ رَبَّ الْمَفْضُولِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: إِنَّهُ مَاتَ مُؤْمِنًا يَعْنِي فِرْعَوْنَ، وَيَقُولُ إِنَّ تَغْرِيقَهُ كَانَ لِيَغْتَسِلَ غُسْلَ الْإِسْلَامِ!

كُلُّ هَذَا يَخْرُجُ عَلَىٰ الْقَاعِدَةِ الَّتِي يُقَرِّرُهَا مُحَمَّد حُسَيْن هَيْكَل فِي «حَياةِ مُحَمَّدٍ».

الْحَقُّ أَنَّ فِكْرَةَ وَحْدَةِ الْوُجُودِ فِكْرَةٌ زَائِفَةٌ تُصَادِمُ نُصُوصَ الدِّينِ الْقَطْعِيَّةَ، وَلَا يَدُلُّ عَلَيْهَا شَيْءٌ مِنْ قُرْآنٍ أَوْ سُنَّةٍ، وَالْعَقِيدَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ السَّمْحَاءُ بَرَاءٌ مِنْ مَذْهَبِ وَحْدَةِ الْوُجُودِ.

ثُمَّ إِنَّ تَفْسِيرَ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ بِهَذِهِ الْفِكْرَةِ وَتَصْوِيرَهُمَا هَذَا التَّصْوِيرَ الَّذِي ارْتَضَاهُ (هَيْكَل) يَقْتَضِي إِنْكَارَهَا عَلَىٰ حَسَبِ مَا جَاءَ بِه الْقُرْآنُ الْقَطْعِيُّ وَالسُّنَّةُ الصَّحِيحَةُ الْمَشْهُورَةُ؛ فَلَيْسَ ثَمَّةَ إِسْرَاءٌ حَقِيقَةً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ بِذَاتِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَيْسَ هُنَاكَ عُرُوجٌ بِالنَّبِيِّ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ إِلَىٰ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَمَا فَوْقَهُنَّ وَلَا صَلَاةَ بِالْأَنْبِيَاءِ وَلَا لِقَاءَ وَلا تَسْلِيمَ وَلَا تَكْلِيمَ مِنَ اللهِ لِنَبِيِّهِ وَإِنَّمَا كُلُّ ذَلِكَ تَمْثِيلٌ وَتَقْرِيبٌ!

وَمَا الدَّاعِي إِلَىٰ ذَلِكَ مَا دَامَ الْكَوْنُ كُلُّهُ قَدِ اجْتَمَعَ فِي رُوحِ النَّبِيِّ كَمَا قَالَ صَاحِبُ الرَّأْيِ؟! فَالْمَسْجِدُ الْحَرَامُ فِي رُوحِهِ وَالْأَقْصَىٰ فِي رُوحِهِ وَالسَّمَاوَاتُ وَمَا فِيهِنَّ فِي رُوحِهِ وَوُجُودُهَا فِي وُجُودِهِ وِحْدَةُ الْوُجُودِ.

ثُمَّ مَا الدَّاعِي إِلَىٰ كُلِّ هَذَا التَّكَلُّفِ وَالْإِغْرَابِ مِنَ الدُّكْتُور هَيْكَل فِي فَهْمِ نُصُوصٍ صَرِيحَةٍ جَاءَتْ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ؟ وَمَا الَّذِي حَدَا بِه إِلَىٰ أَنْ يَشْطَحَ هَذِهِ الشَّطَحَاتِ الَّتِي لَا دَاعِيَ لَهَا؟!

إِنَّ الْإِسْرَاءَ وَالْمِعْرَاجَ كَمَا جَاءَ بِهِمَا الْقُرْآنُ وَالْأَحَادِيثُ الصِّحَاحُ أَقْرَبُ مَنَالًا وَأَشَدُّ اسْتِسَاغَةً لِعُقُولِ النَّاسِ مِمَّا ذَهَبَ هُوَ إِلَيْهِ.

وَلَوْ جَلَسْتَ زَمَانًا لِتُفْهِمَ رَجُلًا أُمِّيًّا أَوْ مُتَعَلِّمًا بِالْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ عَلَىٰ مَا رَأَىٰ الدُّكْتُورُ مَا أَنْتَ بِمُسْتَطِيعٍ إِفْهَامَهُ هَذِهِ الْأَلْغَازَ وَالطَّلَاسِمَ الَّتِي حَاوَلَ بِهَا إِحْدَاثَ رَأْيٍ جَدِيدٍ لَا يُدْرَىٰ أَسُبِقَ إِلَيْهِ أَمْ لَا؟!

وَهَلْ تَصْوِيرُ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ بِهَذَا التَّصْوِيرِ سِوَىٰ إِشْكَالٍ عَلَىٰ عُقُولِ الْكَثْرَةِ مِنَ النَّاسِ وَمُخَاطَبَةٍ لَهُمْ بِمَا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ وَمَدَارِكُهُمْ وَقَدْ أُمِرْنَا أَنْ نُحَدِّثَ النَّاسَ بِمَا يَعْقِلُونَ، وَأَنْ نَدَعَ مَا يُنْكِرُونَ.

وَفِي الْحِكَمِ الذَّهَبِيَّةِ عَنِ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ فِتْنَةً لِبَعْضِهِمْ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي مُقَدِّمَةِ «الصَّحِيحِ».

وَالْحَقُّ أَنَّ الْإِغْرَابَ عَلَىٰ النَّاسِ بِمِثْلِ هَذِهِ الْأَفْكَارِ الْمَسْمُومَةِ وَالْآرَاءِ الشَّاذَّةِ الْغَرِيبَةِ تَشْكِيكٌ لَهُمْ فِي عَقَائِدِهِمُ الصَّحِيحَةِ وَتَسْمِيمٌ لِعُقُولِهِمْ وَانْحِرَافٌ بِهِمْ عَنْ

فِطْرَتِهِمُ السَّلِيمَةِ وَالْحَقُّ أَبْلَجُ لَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ تَكَلُّفٍ وَتَعَمُّلٍ وَتَفَلْسُفٍ مِنْ غَيْرِ دَاعٍ ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦].

كَمَا أَنَّهُ أَثَرٌ مِنْ آثَارِ مُجَارَاةِ الْمُسْتَشْرِقِينَ وَمُتَابَعَتِهِمْ فِي أَفْكَارِهِمْ.

◉◉◉

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

الْإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ كَانَا مَرَّةً وَاحِدَةً

الْإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ كَانَ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَإِذَا حَصَلَ الْوُقُوفُ عَلَىٰ مَجْمُوعِ الْأَحَادِيثِ صَحِيحِهَا وَحَسَنِهَا وَضَعِيفِهَا يَحْصُلُ مَضْمُونُ مَا اتَّفَقَتْ عَلَيْهِ مِنْ مَسْرَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَنَّهُ مَرَّةٌ وَاحِدَةٌ.

وَإِذَا اخْتَلَفَتْ عِبَارَاتُ الرُّوَاةِ فِي أَدَائِهِ أَوْ زَادَ بَعْضُهُمْ فِيهِ أَوْ نَقَصَ مِنْهُ فَإِنَّ الْخَطَأَ جَائِزٌ عَلَىٰ مَنْ عَدَىٰ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وَمَنْ جَعَلَ مِنَ النَّاسِ كُلَّ رِوَايَةٍ خَالَفَتْ الْأُخْرَىٰ مَرَّةً عَلَىٰ حِدَةٍ فَأَثْبَتَ إِسْرَاءَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ فَقَدْ أَبْعَدَ وَأَغْرَبَ وَهَرَبَ إِلَىٰ غَيْرِ مَهْرَبٍ وَلَمْ يَحْصُلْ عَلَىٰ مَطْلَبٍ.

وَقَدْ صَرَّحَ بَعْضُهُمْ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ بِأَنَّهُ ﷺ أُسْرِيَ بِهِ مَرَّةً مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَقَطْ، وَمَرَّةً مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ السَّمَاءِ فَقَطْ وَمَرَّةً إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَمِنْهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ وَفَرِحَ بِهَذَا الْمَسْلَكِ وَأَنَّهُ قَدْ ظَفِرَ بِشَيْءٍ يَخْلُصُ بِهِ مِنَ الْإِشْكَالَاتِ وَهَذا بَعِيدٌ جِدًّا وَلَمْ يُنْقَلْ هَذَا عَنْ أَحَدٍ مِنَ السَّلَفِ وَلَوْ تَعَدَّدَتْ هَذَا التَّعَدُّدَ؛ لَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِهِ أُمَّتَهُ وَلَنَقَلَتْهُ النَّاسُ عَلَىٰ التَّعَدُّدِ وَالتَّكْرَارِ.

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: وَالصَّوَابُ الَّذِي عَلَيْهِ أَئِمَّةُ النَّقْلِ أَنَّ الْإِسْرَاءَ كَانَ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي مَكَّةَ بَعْدَ الْبِعْثَةِ.

◉ ◉ ◉

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة الْخَامِسَة عَشْرَة)

مِنْ مَادَّةِ

سِيرَة النَّبِيِّ ﷺ

[الْعَهْدُ الْمَكِّيُّ - ج٢]

www.menhag-un.com

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

قِصَّةُ الإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ

أَمَّا قِصَّةُ الإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ فَقَدْ رَوَاهَا الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا كَمَا رَوَاهَا غَيْرُهُمَا مِنْ أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ وَعُلَمَاءِ السِّيَرِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ مَالِكَ بْنَ صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِيَ بِهِ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**بَيْنَما أَنَا فِي الْحَطِيمِ** -وَرُبَّمَا قَالَ-: **فِي الْحِجْرِ**... ».

قَالَ الْحَافِظُ: الْمُرَادُ بِالْحَطِيمِ هُنَا الْحِجْرُ وَأَبْعَدَ مَنْ قَالَ الْمُرَادُ بِهِ أَيِ الْحَطِيمِ مَا بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ أَوْ بَيْنَ زَمْزَمَ وَالْحِجْرِ وَهُوَ وَإِنْ كَانَ مُخْتَلَفًا فِي الْحَطِيمِ هَلْ هُوَ الْحِجْرُ أَمْ لَا؟ لَكِنَّ الْمُرَادَ هُنَا هُوَ بَيَانُ الْبُقْعَةِ الَّتِي وَقَعَ ذَلِكَ فِيهِ. وَقَدْ وَقَعَ فِي أَوَّلِ بَدْءِ الْخَلْقِ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» بِلَفْظِ: «**بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ**..» وَهُوَ أَعَمُّ.

وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ الزُّهْرِيِّ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» عَنْ أَنَسٍ عَنْ أَبِي ذَرٍّ: «**فُرِّجَ عَنْ سَقْفِ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ**».

وَفِي رِوَايَةِ الْوَاقِدِيِّ بِأَسَانِيدِهِ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ مِنْ شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ، وَعِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ أَنَّهُ بَاتَ عِنْدَ أُمِّ هَانِئٍ فِي بَيْتِهَا قَالَتْ: فَفَقَدْتُهُ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: «**إِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي**».

وَالْجَمْعُ بَيْنَ هَذِه الْأَقْوَالِ أَنَّهُ نَامَ فِي بَيْتِ أُمِّ هَانِئٍ وَبَيْتُهَا عِنْدَ شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ؛ فَفُرِجَ سَقْفُ بَيْتِهِ وَأَضَافَ الْبَيْتَ إِلَيْهِ؛ لِكَوْنِهِ كَانَ يَسْكُنُهُ فَنَزَلَ مِنْهُ الْمَلَكُ فَأَخْرَجَهُ مِنَ الْبَيْتِ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ فَكَانَ فِيهِ مُضْطَجِعًا وَفِيهِ أَثَرُ نُعَاسٍ ثُمَّ أَخْرَجَهُ الْمَلَكُ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ فَأَرْكَبَهُ الْبُرَاقَ.

«**بَيْنَمَا أَنَا فِي الْحَطِيمِ** -وَرُبَّمَا قَالَ:- **فِي الْحِجْرِ مُضْطَجِعًا**..».

فِي رِوَايَةٍ: «**بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ إِذْ أَتَانِي آتٍ فَقَدَّ**..».

الْقَدُّ هُوَ الْقَطْعُ طُولًا كَالشَّقِّ قَالَ - فَقَدَّ قَالَ وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: فَشَقَّ مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَىٰ هَذِهِ قَالَ فَقُلْتُ لِلجَارُودِ وَهُوَ إِلَىٰ جَنْبِي مَا يَعْنِي بِهَذَا؟ أَوْ مَا يَعْنِي بِهِ؟ قَالَ: مِنْ ثُغْرَتِي.

وَالثُّغْرَةُ: هِيَ نَقْرَةُ النَّحْرِ فِي الصَّدْرِ مِنْ ثُغْرَةِ نَحْرِهِ إِلَىٰ شِعْرَتِهِ بِكَسْرِ الشِّينِ يُرِيدُ شَعْرَ الْعَانَةِ، **فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إِيمَانًا فَغَسَلَ قَلْبِي، ثُمَّ حُشِيَ ثُمَّ أُعِيدَ ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ أَبْيَضَ**..».

فَقَالَ لَهُ الْجَارُودُ: هُوَ الْبُرَاقُ يَا أَبَا حَمْزَةَ قَالَ أَنَسٌ: نَعَمْ يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَىٰ طَرَفِهِ وَكَانَ مُسَرْجًا مُلَجَّمًا فَلَمَّا أَرَادَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم أَنْ يَرْكَبَهُ اسْتَصْعَبَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ عليه السلام: أَبِمُحَمَّدٍ تَفْعَلُ هَذَا فَمَا رَكِبَكَ أَحَدٌ أَكْرَمُ عَلَىٰ اللهِ مِنْهُ؟!

قَالَ: فَارْفَضَّ عَرَقًا، أَيْ جَرَىٰ عَرَقُهُ وَسَالَ ثُمَّ سَكَنَ وَانْقَادَ وَتَرَكَ الِاسْتِصْعَابَ. أَخْرَجَهُ ابْنُ حِبَّانَ وَالتِّرْمِذِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

قَالَ «**فَرَكِبْتُهُ**» يَعْنِي الْبُرَاقَ.

«**حَتَّىٰ أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجْتُ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

◉◉◉

www.menhag-un.com

مِنْ مَشَاهِدِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ

رَأَىٰ النَّبِيُّ ﷺ فِي طَرِيقِهِ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ بَعْضَ الْمَرَائِي، مِنْهَا: مَا رَوَاهُ مَالِكٌ فِي الْمُوَطَّأِ عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ سَعِيدٍ أَنَّهُ قَالَ أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَرَأَىٰ عِفْرِيتًا مِنَ الْجِنِّ يَطْلُبُه بِشُعْلَةٍ مِنْ نَارٍ كُلَّمَا الْتَفَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَآهُ فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: أَفَلا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ تَقُولَهُنَّ إِذَا قُلْتَهُنَّ طُفِئَتْ شُعْلَتُهُ وَخَرَّ لِفِيهِ -أَيْ لِفَمِهِ وَسَقَطَ عَلَىٰ وَجْهِهِ-.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**بَلَىٰ**».

فَقَالَ جِبْرِيلُ: «**قُلْ أَعُوذُ بِوَجْهِ اللهِ الْكَرِيمِ وَبِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ مِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا وَشَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الْأَرْضِ وَشَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمِنْ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمِنْ طَوَارِقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ**».

أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مَالِكٌ فِي «الْمُوَطَّأِ» مُرْسَلًا وَوَصَلَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ وَرَاجِعْ فِي ذَلِكَ «السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ» لِلْأَلْبَانِيِّ. فَهَذَا مَشْهَدٌ مِنَ الْمَشَاهِدِ الَّتِي رَآهَا النَّبِيُّ ﷺ فِي طَرِيقِهِ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ.

*** مَشْهَدٌ ثَانٍ:**

رَأَىٰ النَّبِيُّ ﷺ الدَّجَّالَ، رَوَىٰ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ثُمَّ جَاءَ مِنْ لَيْلَتِهِ فَحَدَّثَهُمْ بِمَسِيرِهِ فَقَالَ: وَرَأَىٰ الدَّجَّالَ فِي صُورَتِهِ رُؤْيَا عَيْنٍ فَسُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الدَّجَّالِ فَقَالَ: «**رَأَيْتُهُ فَيْلَمَانِيًّا**» أَيْ عَظِيمَ الْجُثَّةِ «**أَقْمَرَ**» أَيْ شَدِيدَ الْبَيَاضِ «**هِجَانًا**» أَيْ أَبْيَضَ «**إِحْدَىٰ عَيْنَيْهِ قَائِمَةٌ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ كَأَنَّ شَعْرَ رَأْسِهِ أَغْصَانُ شَجَرَةٍ**».

أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» وَأَوْرَدَهُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي «تَفْسِيرِهِ» وَصَحَّحَ إِسْنَادَهُ وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

*** مَشْهَدٌ ثَالِثٌ:**

أَتَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ قَوْمٍ تُقْرَضُ أَلْسِنَتُهُمْ وَشِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ كُلَّمَا قُرِضَتْ عَادَتْ كَمَا كَانَتْ لَا يَفْتُرُ عَنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**يَا جِبْرِيلُ مَنْ هَؤُلَاءِ؟**».

قَالَ «**هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكُمْ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ أَوْ أَفَلَا يَعْقِلُونَ**» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالطَّيَالِسِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

وَكُشِفَ لَهُ ﷺ عَنْ حَالِ آكِلِ الرِّبَا فِي دَارِ الْجَزَاءِ بِضَرْبِ مِثَالٍ فَرَأَىٰ رَجُلًا يَسْبَحُ فِي نَهْرٍ مِنْ دَمٍ وَيُلْقَمُ الْحِجَارَةَ فَقَالَ ﷺ «**مَنْ هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ هَذَا آكِلُ الرِّبَا**» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» وَإِسْنَادُهُ قَوِيٌّ وَقَرِيبٌ مِنْهُ مَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

*** مَشْهَدٌ آخَرُ:**

رَأَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُوسَىٰ عليه السلام وَهُوَ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَتَيْتُ أَوْ مَرَرْتُ عَلَىٰ مُوسَىٰ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ**».

ثُمَّ وَصَلَ الرَّسُولُ ﷺ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ، الْمَسْجِدُ الْأَقْصَىٰ هُوَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ سُمِّيَ الْأَقْصَىٰ لِبُعْدِهِ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فِي الْمَسَافَةِ، وَقِيلَ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ وَرَاءَهُ مَسْجِدٌ، وَالْمَقْدِسُ أَيْ الْمُطَهَّرُ وَلِبَيْتِ الْمَقْدِسِ عِدَّةُ أَسْمَاءٍ، مِنْهَا: إِيلْيَاءُ وَبَيْتُ الْمَقْدِسِ وَغَيْرُهَا.

ظَهَرَ فِي هَذَا الْعَصْرِ مَنْ يَقُولَ: إِنَّ بَيْتَ الْمَقْدِسِ الَّذِي أُسْرِيَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ إِلَيْهِ كَانَ فِي الطَّائِفِ وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يُسْرَ بِهِ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَبِالتَّالِي لَمْ يُعْرَجْ بِهِ إِلَىٰ السَّمَاوَاتِ الْعُلَىٰ، وَهُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا يَتَكَلَّمُونَ بِلِسَانِنَا وَيُصَلُّونَ إِلَىٰ قِبْلَتِنَا وَيَكْتُبُونَ فِي الدِّينِ.

وَصَلَ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ وَمَعَهُ جِبْرِيلُ عليه السلام ووَجَدَ الْأَنْبِيَاءَ قَدْ جُمِعُوا لَهُ فَقَدَّمَ جِبْرِيلُ عليه السلام الرَّسُولَ ﷺ وَصَلَّىٰ بِالْأَنْبِيَاءِ إِمَامًا.

رَوَىٰ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**فَحَانَتِ الصَّلَاةُ فَأَمَمْتُهُمْ**» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

رَوَىٰ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**فَحَانَتِ الصَّلَاةُ فَأَمَمْتُهُمْ**».

وَفِي رِوَايَةِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: فَلَمَّا دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْمَسْجِدَ الْأَقْصَىٰ قَامَ يُصَلِّي ثُمَّ الْتَفَتَ فَإِذَا النَّبِيُّونَ أَجْمَعُونَ يُصَلُّونَ مَعَهُ.

قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: وَالْأَظْهَرُ أَنَّ صَلَاتَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كَانَتْ قَبْلَ الْعُرُوجِ إِلَىٰ السَّمَاوَاتِ.

بَيْنَمَا يَرَىٰ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ أَنَّ صَلَاتَهُ بِالْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كَانَتْ بَعْدَ الْعُرُوجِ إِلَىٰ السَّمَاوَاتِ.

قَالَ: وَالصَّحِيحُ أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا اجْتَمَعَ بِالْأَنْبِيَاءِ فِي السَّمَاوَاتِ ثُمَّ نَزَلَ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ثَانِيًا وَهُمْ مَعَهُ وَصَلَّىٰ بِهِمْ فِيهِ ثُمَّ إِنَّهُ رَكِبَ الْبُرَاقَ وَكَرَّ رَاجِعًا إِلَىٰ مَكَّةَ.

قَالَ فِي «الْبِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ»: ثُمَّ هَبَطَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ هَبَطُوا مَعَهُ تَكْرِيمًا لَهُ وَتَعْظِيمًا عِنْدَ رُجُوعِهِ مِنَ الْحَضْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ الْعَظِيمَةِ كَمَا هِيَ عَادَةُ الْوَافِدِينَ لَا يَجْتَمِعُونَ بِأَحَدٍ قَبْلَ الَّذِي طُلِبُوا إِلَيْهِ.

لِهَذَا كَانَ كُلَّمَا مَرَّ عَلَىٰ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَقُولُ لَهُ جِبْرِيلُ عليه السلام عِنْدَمَا يَتَقَدَّمُ ذَاكَ لِلسَّلَامِ عَلَيْهِ «هَذَا فُلَانٌ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ» فَلَوْ كَانَ قَدِ اجْتَمَعَ بِهِمْ قَبْلَ صُعُودِهِ لَمَا احْتَاجَ إِلَىٰ التَّعَرُّفِ بِهِمْ مَرَّةً ثَانِيَةً.

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ ذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ: «**فَلَمَّا حَانَتِ الصَّلَاةُ أَمَمْتُهُمْ**» وَلَمْ يَحِنْ وَقْتٌ إِذْ ذَاكَ يُصَلَّىٰ فِيهِ سِوَىٰ صَلَاةِ الْفَجْرِ فَتَقَدَّمَهُمْ إِمَامًا بِهِمْ عَنْ أَمْرِ جِبْرِيلَ عليه السلام فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ عز وجل.

فَاسْتَفَادَ بَعْضُهُمْ مِنْ هَذَا أَنَّ الْإِمَامَ الْأَعْظَمَ يُقَدَّمُ فِي الْإِمَامَةِ عَلَىٰ رَبِّ الْمَنْزِلِ حَيْثُ كَانَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ مَحَلَّهُمْ وَدَارَ إِقَامَتِهِمْ.

بَعْدَ أَنْ فَرَغَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم مِنْ صَلَاتِهِ بِالْأَنْبِيَاءِ عليهم السلام أُوتِيَ بِقَدَحَيْنِ أَحَدُهُمَا فِيهِ لَبَنٌ وَالْآخَرُ فِيهِ خَمْرٌ.

رَوَىٰ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: «**ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدِ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ** عليه السلام **بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ**»

الْحِكْمَةُ فِي التَّخْيِيرِ بَيْنَ الْخَمْرِ مَعَ كَوْنِهِ حَرَامًا وَاللَّبَنِ مَعَ كَوْنِهِ حَلَالًا إِمَّا لِأَنَّ الْخَمْرَ حِينَئِذٍ لَمْ تَكُنْ حُرِّمَتْ وَهَذا مَعْلُومٌ! فَإِنَّمَا جَاءَ التَّحْرِيمُ بِأَخَرَةٍ، أَوْ لِأَنَّهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَخَمْرُ الْجَنَّةِ لَيْسَتْ حَرَامًا قَالَ: «**فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ جِبْرِيلُ** عليه السلام: **اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ**».

قَالَ النَّوَوِيُّ: فَسَّرُوا الْفِطْرَةَ هُنَا بِالْإِسْلَامِ وَالِاسْتِقَامَةِ وَمَعْنَاهُ اخْتَرْتَ عَلَامَةَ الْإِسْلَامِ وَالِاسْتِقَامَةِ وَجُعِلَ اللَّبَنُ عَلَامَةً لِكَوْنِهِ سَهْلًا طَيِّبًا طَاهِرًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ.

ثُمَّ صُعِدَ بِهِ ﷺ فِي الْمِعْرَاجِ إِلَىٰ السَّمَاوَاتِ، قَالَ رَسُولُ ﷺ: «**ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي أَيْ جِبْرِيلُ عليه السلام فَعَرَجَ بِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَلَمَّا جِئْتُ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا قَالَ جِبْرِيلُ عليه السلام لِخَازِنِ السَّمَاءِ: افْتَحْ فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ قَالَ: وَمَنْ مَعَكَ؟**

قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ.

فَقَالَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ.

فَفُتِحَ لَنَا قَالَ ﷺ فَلَمَّا عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَإِذَا رَجُلٌ قَاعِدٌ عَنْ يَمِينِهِ أَسْوِدَةٌ -أَسْوِدَةٌ بِوَزْنِ أَزْمِنَةٍ هِيَ الْأَشْخَاصُ- **وَعَنْ يَسَارِهِ أَسْوِدَةٌ فَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَىٰ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟**

قَالَ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ قَالَ جِبْرِيلُ: وَهَذِهِ الْأَسْوِدَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ -النَّسَمُ جَمْعُ نَسَمَةٍ وَهِيَ الرُّوحُ- **فَأَهْلُ الْيَمِينِ أَهْلُ الْجَنَّةِ وَالْأَسْوِدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ، فَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَىٰ**» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَرَوىٰ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» وَأَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَىٰ شَرْطِ مُسْلِمٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**لَمَّا عَرَجَ بِي رَبِّي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟**

قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ.

ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟

قَالَ: جِبْرِيلُ.

فَقِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟

قَالَ مُحَمَّدٌ.

قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءِ جَاءَ!

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِابْنَيْ الْخَالَةِ يَحْيَىٰ بْنِ زَكَرِيَّا وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَقَالَ جِبْرِيلُ: هَذَا يَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا فَسَلَّمْتُ فَرَدَّا ثُمَّ قَالَا: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ.

قَالَ ﷺ ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ؟

قَالَ جِبْرِيلُ.

وَقِيلَ وَمَنْ مَعَكَ؟

قَالَ: مُحَمَّدٌ.

فَقِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءِ جَاءَ!

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ عليه السلام قَالَ جِبْرِيلُ: هَذَا يُوسُفُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ودَعَا لِي بِخَيْرٍ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: فَإِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ -أَيْ نِصْفَهُ فَأُعْطِيَ وَحْدَهُ نِصْفُ الْحُسْنِ كُلِّهِ وَوُزِّعَ النِّصْفُ الْبَاقِي عَلَىٰ الْجَمِيعِ وَأَنْتَ تَرَىٰ فِي النَّاسِ مَنْ هُوَ حَسَنٌ، بَلْ هُوَ أَحْسَنُ فَكَيْفَ بِمَنْ أُوتِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ؟!

وَنَبِيُّنَا أَحْسَنُ!

قَالَ ﷺ: ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ.

قَالَ جِبْرِيلُ.

فَقِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟

www.menhag-un.com

قَالَ مُحَمَّدٌ.

قَالَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ!

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ عليه السلام قَالَ جِبْرِيلُ: هَذَا إِدْرِيسُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَّد عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ إِدْرِيسَ عليه السلام: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧].

قَالَ ﷺ: ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ.

قَالَ جِبْرِيلُ.

فَقِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟

قَالَ مُحَمَّدٌ.

قَالَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ!

www.menhag-un.com

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ عليه السلام قَالَ: جِبْرِيلُ عليه السلام: هَذَا هَارُونُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ وَقَالَ: مَرْحبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قَالَ ﷺ: «ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ السَّادِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ.

قَالَ جِبْرِيلُ.

فَقِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟

قَالَ مُحَمَّدٌ.

قَالَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ!

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِمُوسَىٰ عليه السلام قَالَ جِبْرِيلُ عليه السلام لِلرَّسُولِ ﷺ: هَذَا مُوسَىٰ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ وَقَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ».

وَصَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُوسَىٰ عليه السلام فَقَالَ: «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَىٰ مُوسَىٰ بْنِ عِمْرَانَ عليه السلام رَجُلٍ آدَمَ» وَالْأَدَمَةُ أَيْ السُّمْرَةُ الشَّدِيدَةُ «طِوَالٌ جَعْدٌ» قِيلَ فِي الْمَعْنَىٰ هُوَ اكْتِنَازُ الْجِسْمِ وَاجْتِمَاعُهُ وَقِيلَ: بَلْ جُعُودَةُ الشَّعْرِ «كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ».

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «فَلَمَّا تَجاوَزْتُهُ بَكَىٰ، قِيلَ لَهُ مَا يُبْكِيكَ؟

قَالَ: أَبْكِي لِأَنَّ غُلَامًا بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي قَالَ ﷺ ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ.

قَالَ جِبْرِيلُ.

فَقِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟

قَالَ مُحَمَّدٌ.

قَالَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ!

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَىٰ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُه كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ فَقَالَ جِبْرِيلُ: هَذَا أَبُوكَ إِبْرَاهِيمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ».

رَوَىٰ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ» وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ -وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه-

وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ الْمَاءِ وَأَنَّهَا قِيعَانٌ وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ».

وَاخْتُلِفَ فِي الْحِكْمَةِ فِي اخْتِصَاصِ كُلٍّ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ بِالسَّمَاءِ الَّتِي تَلْقَاهُ بِهَا فَقِيلَ أُمِرُوا بِمُلَاقَاتِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَدْرَكَهُ فِي أَوَّلِ وَهْلَةٍ وَمِنْهُمْ مَنْ تَأَخَّرَ فَلَحِقَ وَمِنْهُمْ مَنْ فَاتَهُ.

وَقِيلَ الْحِكْمَةُ فِي الِاقْتِصَارِ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ الْمَذْكُورِينَ لِلْإِشَارَةِ إِلَىٰ مَا سَيَقَعُ لَهُ مَعَ قَوْمِهِ مِنْ نَظِيرِ مَا وَقَعَ لِكُلٍّ مِنْهُمْ.

فَأَمَّا آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَوَقَعَ التَّنْبِيهُ بِمَا وَقَعَ لَهُ مِنَ الْخُرُوجِ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَىٰ الْأَرْضِ بِمَا سَيَقَعُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْهِجْرَةِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ. وَالْجَامِعُ بَيْنَهُمَا مَا حَصَلَ لِكُلٍّ مِنْهُمَا مِنَ الْمَشَقَّةِ وَكَرَاهَةِ فِرَاقِ مَا أَلِفَهُ مِنَ الْوَطَنِ ثُمَّ كَانَ مَآلُ كُلٍّ مِنْهُمَا أَنْ يَرْجِعَ إِلَىٰ مَوْطِنِهِ الَّذِي أُخْرِجَ مِنْهُ.

وَبِعِيسَىٰ وَيَحْيَىٰ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عَلَىٰ مَا وَقَعَ لَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَوَّلِ الْهِجْرَةِ مِنْ عَدَاوَةِ الْيَهُودِ وَتَمَادِيهِمْ عَلَىٰ الْبَغْيِ عَلَيْهِ وَإِرَادَتِهِمْ وُصُولَ السُّوءِ إِلَيْهِ.

وَبِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَىٰ مَا وَقَعَ لَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ إِخْوَتِهِ مِنْ قُرَيْشٍ فِي نَصْبِهِمْ الْحَرْبَ لَهُ وَإِرَادَتِهِمْ هَلَاكَهُ وَكَانَتِ الْعَاقِبَةُ لَهُ وَقَدْ أَشَارَ إِلَىٰ ذَلِكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ لِقُرَيْشٍ يَوْمَ الْفَتْحِ: «**أَقُولُ كَمَا قَالَ يُوسُفُ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمْ**».

وَبِإِدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَىٰ رَفِيعِ مَنْزِلَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ اللهِ.

وَبِهَارُونَ عليه السلام عَلَىٰ أَنَّ قَوْمَهُ ﷺ رَجَعُوا إِلَىٰ مَحَبَّتِهِ بَعْدَ أَنْ آذَوْهُ.

وَبِمُوسَىٰ عليه السلام عَلَىٰ مَا وَقَعَ لَهُ مِنْ مُعَالَجَةِ قَوْمِهِ، وَقَدْ أَشَارَ ﷺ إِلَىٰ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ «**لَقَدْ أُوذِيَ مُوسَىٰ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ**».

وَبِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام فِي اسْتِنَادِهِ إِلَىٰ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ بِمَا خُتِمَ لَهُ ﷺ فِي آخِرِ عُمُرِهِ مِنْ إِقَامَةِ مَنْسَكِ الْحَجِّ وَتَعْظِيمِ الْبَيْتِ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا فِيهَا حَبَائِلُ اللُّؤْلُؤِ وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ**» أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ وَإِذَا أَنَا بِنَهْرٍ حَافَّتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ وَمَجْرَاهُ عَلَىٰ الدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ تُرْبَتُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ وَمَاؤُهُ أَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ وَأَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ**» أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

وفِي رِوَايَةٍ أُخْرَىٰ فِي «الصَّحِيحِ» قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**أَتَيْتُ عَلَىٰ نَهْرٍ حَافَّتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ مُجَوَّفَةٌ**».

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**ضَرَبْتُ بِيَدِي إِلَىٰ مَا يَجْرِي فِيهِ الْمَاءُ فَإِذَا مِسْكٌ أَذْفَرُ قُلْتُ مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ.**

قَالَ هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَهُ اللهُ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ حَسَنٍ.

وَالْأَذْفَرُ: هُوَ الطَّيِّبُ الرَّائِحَةِ.

وَرَأَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْجَنَّةِ جَارِيَةً شَابَّةً قَالَ: «**فَسَأَلْتُهَا لِمَنْ أَنْتِ وَقَدْ أَعْجَبَتْنِي حِينَ رَأَيْتُهَا فَقَالَتْ لِزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ**» فَبَشَّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَيْدًا، وَالْحَدِيثُ أَوْرَدَهُ الذَّهَبِيُّ فِي «سِيَرِ الْأَعْلَامِ» وَقَالَ: إِسْنَادُهُ حَسَنٌ وَالْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»، وَقَالَ: إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

وَرَوَىٰ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِنَبِيِّ اللهِ ﷺ وَدَخَلَ الْجَنَّةَ سَمِعَ فِي جَانِبِهَا وَجْسًا -أَيْ صَوْتًا خَفِيًّا- قَالَ «**يَا جِبْرِيلُ: مَا هَذَا؟**».

قَالَ: هَذَا بِلَالٌ الْمُؤَذِّنُ، فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ حِينَ جَاءَ إِلَىٰ النَّاسِ: «**قَدْ أَفْلَحَ بِلَالٌ!**» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَصَحَّحَهُ ابْنُ كَثِيرٍ وَفِي إِسْنَادِهِ ضَعْفٌ وَلَهُ شَوَاهِدُ.

وَرَوَىٰ الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا بِلَالُ، حَدِّثْنِي بِأَرْجَىٰ عَمَلٍ عَمِلْتَهُ عِنْدَكَ فِي الْإِسْلَامِ مَنْفَعَةً فَإِنِّي سَمِعْتُ اللَّيْلَةَ خَشْفَ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ**».

قَالَ بِلَالٌ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا فِي الْإِسْلَامِ أَرْجَىٰ عِنْدِي مَنْفَعَةً مِنْ أَنِّي لَا أَتَطَهَّرُ طُهُورًا تَامًّا فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلَةٍ وَلَا نَهَارٍ إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ! أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

يَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ثُمَّ رُفِعَ لِيَ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ فَأَخَذْتُ الَّذِي فِيهِ اللَّبَنُ فَشَرِبْتُ**».

قَالَ ابْنُ الْمُنَيِّرِ فِيمَا نَقَلَهُ عَنْهُ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: وَلَعَلَّ السِّرَّ فِي عُدُولِهِ عَنِ الْعَسَلِ إِلَىٰ اللَّبَنِ كَوْنُ اللَّبَنِ أَنْفَعُ وَبِهِ يَشْتَدُّ الْعَظْمُ وَيَنْبُتُ اللَّحْمُ وَهُوَ بِمُجَرَّدِهِ قُوتٌ وَلَا يَدْخُلُ فِي السَّرَفِ بِوَجْهٍ وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَىٰ الزُّهْدِ.

وَأَمَّا الْعَسَلُ وَإِنْ كَانَ حَلَالًا لَكِنَّهُ مِنَ الْمُسْتَلَذَّاتِ الَّتِي قَدْ يُخْشَىٰ عَلَىٰ صَاحِبِهَا أَنْ يَنْدَرِجَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿**أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ**﴾ [الأحقاف: ٢٠].

وَقَالَ الْحَافِظُ: وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ السِّرُّ فِيمَا وَقَعَ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْإِسْرَاءِ أَنَّهُ ﷺ عَطِشَ فَآثَرَ اللَّبَنَ دُونَ غَيْرِهِ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ حُصُولِ حَاجَتِهِ دُونَ الْخَمْرِ وَالْعَسَلِ فَهَذَا هُوَ السَّبَبُ الْأَصْلِيُّ فِي إِيثَارِ اللَّبَنِ وَصَادَفَ مَعَ ذَلِكَ رُجْحَانَهُ عَلَيْهِمَا مِنْ عِدَّةِ جِهَاتٍ.

«**فَقِيلَ لِي: هِيَ الْفِطْرَةُ الَّتِي أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ**» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَىٰ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» «**أَصَبْتَ الْفِطْرَةَ أَنْتَ وَأُمَّتُكَ**».

ثُمَّ انْطَلَقَ جِبْرِيلُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَوْقَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ حَتَّىٰ انْتَهَىٰ بِهِ إِلَىٰ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ثُمَّ رُفِعْتُ إِلَىٰ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ فَإِذَا نَبْقُهَا** -وَالنَّبْقُ ثَمَرُ السِّدْرِ- **كَأَنَّهُ قِلَالُ هَجَرَ**» -الْقِلَالُ بِالْكَسْرِ جَمْعُ قُلَّةٍ بِالضَّمِّ وَهِيَ الْجِرَارُ، يُرِيدُ أَنَّ ثَمَرَهَا فِي الْكِبَرِ كَمِثْلِ الْقِلَالِ وَكَانَتْ مَعْرُوفَةً عِنْدَ الْمُخَاطَبِينَ فَلِذَلِكَ وَقَعَ التَّمْثِيلُ بِهَا.

وأَمَّا هَجَرُ، فَهِيَ مَدِينَةُ الْأَحْسَاءِ

«فَإِذَا نَبْقُهَا كَأَنَّهُ قِلَالُ هَجَرَ وَوَرَقُهَا كَأَنَّهُ آذَانُ الْفِيَلَةِ وَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لَا أَدْرِي مَا هِيَ فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصِفَهَا مِنْ حُسْنِهَا».

فقَالَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «هَذِهِ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَىٰ».

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ نَهْرَانِ بَاطِنَانِ وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ وَالْفُرَاتُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَهُنَاكَ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ رَأَىٰ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَىٰ الصُّورَةِ الَّتِي خَلَقَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهَا فِي حُلَّةٍ مِنْ رَفْرَفٍ أَخْضَرَ وَالرَّفْرَفُ مَا كَانَ مِنَ الدِّيبَاجِ رَقِيقًا حَسَنَ الصَّنْعَةِ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ كُلُّ جَنَاحٍ مِنْهَا قَدْ سَدَّ الْأُفُقَ يَتَنَاثَرُ مِنْ أَجْنِحَتِهِ التَّهَاوِيلُ وَالدُّرُّ وَالْيَاقُوتُ.

وَكَانَ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ ذَلِكَ لَا يَرَىٰ جِبْرِيلَ إِلَّا عَلَىٰ صُورَةٍ مُخْتَلِفَةٍ وَأَكْثَرُ مَا يَرَاهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ صُورَةِ دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْ هَذَا: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٣ - ١٨].

رَوَىٰ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَ: قُلْتُ: أَلَيْسَ اللهُ يَقُولُ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣]، وَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣].

قَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْهَا فَقَالَ «**إِنَّمَا ذَاكَ جِبْرِيلُ**» لَمْ يَرَهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا إِلَّا مَرَّتَيْنِ رَآهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ إِلَىٰ الْأَرْضِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.

ثُمَّ نَظَرَ الرَّسُولُ ﷺ إِلَىٰ جِبْرِيلَ عليه السلام فَوَجَدَهُ كَالْحِلْسِ الْبَالِي مِنْ خَشْيَةِ اللهِ -وَالْحِلْسُ الْبِسَاطُ أَوِ الْحَصِيرُ- أَوْرَدَ ذَلِكَ الْهَيْثَمِيُّ فِي «الْمَجْمَعِ» وَالطَّبَرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ وَأَوْرَدَ طُرُقَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ»، وَقَالَ: وَبِالْجُمْلَةِ فَالْحَدِيثُ بِمَجْمُوعِ الطَّرِيقَيْنِ حَسَنٌ أَوْ صَحِيحٌ.

فَوَجَدَهُ كَالحِلْسِ الْبَالِي مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ثُمَّ غَشِيَتْ تِلْكَ السِّدْرَةَ سَحَابَةٌ فَتَأَخَّرَ جِبْرِيلُ عليه السلام وَعُرِجَ بِالرَّسُولِ ﷺ حَتَّىٰ وَصَلَ إِلَىٰ مُسْتَوىٰ سَمِعَ فِيهِ صَرِيفَ الْأَقْلَامِ.

قَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «**فَأَوْحَىٰ اللهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَىٰ فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَرَجَعْتُ فَمَرَرْتُ عَلَىٰ مُوسَىٰ عليه السلام فَقَالَ: بِمَ أُمِرْتَ؟ وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ: مَا فَرَضَ اللهُ لَكَ عَلَىٰ أُمَّتِكَ؟**

فَقَالَ ﷺ: فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ.

فَقَالَ عليه السلام: ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَإِنَّ أُمَّتَكُمْ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ وَإِنِّي وَاللهِ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ فَارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: فَرَجَعْتُ إِلَىٰ رَبِّي فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا فَقُلْتُ حَطَّ عَنِّي خَمْسًا.

قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكُمْ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ.

قَالَ ﷺ: فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَبَيْنَ مُوسَىٰ حَتَّىٰ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا وَمَنْ هَمَّ بِسَيْئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً».

قَالَ الْحَافِظُ: هَذَا مِنْ أَقْوَىٰ مَا اسْتُدِلَّ بِهِ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ كَلَّمَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ.

وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: فَحَصَلَ لَهُ التَّكْلِيمُ مِنَ الرَّبِّ ﷻ لَيْلَةَإِذٍ وَأَئِمَّةُ السُّنَّةِ كَالْمُطْبِقِينَ عَلَىٰ هَذَا.

قَالَ ﷺ: **«فَنَزَلْتُ حَتَّىٰ انْتَهَيْتُ إِلَىٰ مُوسَىٰ، فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَىٰ رَبِّي حَتَّىٰ اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ».**

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَانِي مُنَادٍ أَمْضَيْتَ فَرِيضَتِي وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

رَوَىٰ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثًا أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَغُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا الْمُقْحَمَاتُ».

الْمُقْحَمَاتُ الذُّنُوبُ الْعِظَامُ الْكَبَائِرُ الَّتِي تَهْلِكُ أَصْحَابُهَا وَتُورِدُهُمْ النَّارَ وَتُقْحِمُهُمْ إِيَّاهُ، وَالتَّقَحُّمُ الْوُقُوعُ فِي الْمَهَالِكِ.

وَمَعْنَىٰ الْكَلَامِ: مَنْ مَاتَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ غَيْرَ مُشْرِكٍ بِاللهِ غُفِرَ لَهُ الْمُقْحَمَاتُ، وَالْمُرَادُ وَاللهِ أَعْلَمُ بِغُفْرَانِهَا أَنَّهُ لَا يُخَلَّدُ فِي النَّارِ بِخِلَافِ الْمُشْرِكِينَ لَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُ لَا يُعَذَّبُ أَصْلًا؛ فَقَدْ تَقَرَّرَتْ نُصُوصُ الشَّرْعِ وَإِجْمَاعُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَىٰ إِثْبَاتِ عَذَابِ بَعْضِ الْعُصَاةِ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ. وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ».

◉◉◉

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

هَلْ رَأَى الرَّسُولُ ﷺ رَبَّهُ لَيْلَةَ الإِسْرَاءِ؟

اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي رُؤْيَةِ الرَّسُولِ ﷺ لِرَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ؛ فَرَوَى الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يَا أُمَّتَاهُ هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ؟

فَقَالَتْ: لَقَدْ قَفَّ شَعْرِي مِمَّا قُلْتَ! أَيْنَ أَنْتَ مِنْ ثَلَاثٍ مَنْ حَدَّثَكَهُنَّ فَقَدْ كَذَبَ: مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ ثُمَّ قَرَأَتْ ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١].

وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ فَقَدْ كَذَبَ ثُمَّ قَرَأَتْ ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان: ٣٤].

وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ ﷺ كَتَمَ فَقَدْ كَذَبَ ثُمَّ قَرَأَتْ ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧].

«لَقَدْ قَفَّ شَعْرِي مِمَّا قُلْتَ» أَيْ قَامَ مِنَ الْفَزَعِ بِمَا حَصَلَ عِنْدَهَا مِنْ هَيْبَةِ اللهِ وَاعْتَقَدَتْهُ مِنْ تَنْزِيهِهِ وَاسْتِحَالَةِ وُقُوعِ ذَلِكَ.

وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ كَذَلِكَ عَنِ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٩] قَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَىٰ جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ.

وَرَوَىٰ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَأَلْتُ: رَسُولَ اللهِ ﷺ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟

قَالَ: «**نُورٌ أَنَّىٰ أَرَاهُ**».

وَرَوَىٰ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: ١١]، وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣]، قَالَ: رَآهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ.

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: فِي حَدِيثِ شَرِيكٍ زِيَادَةٌ تَفَرَّدَ بِهَا عَلَىٰ مَذْهَبِ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ ﷺ رَأَىٰ رَبَّهُ، وَقَوْلُ عَائِشَةَ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِي حَمْلِهِمْ هَذِهِ الْآيَاتِ عَلَىٰ رُؤْيَتِهِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَصَحُّ مِنْ ذَلِكَ.

عَلَّقَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَىٰ كَلَامِ الْبَيْهَقِيِّ بِقَوْلِهِ وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ الْبَيْهَقِيُّ هُوَ الْحَقُّ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَمَّا الرُّؤْيَةُ فَالَّذِي ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: رَأَىٰ مُحَمَّدٌ رَبَّهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ.

وَعَائِشَةُ أَنْكَرَتْ الرُّؤْيَةَ. فَمِنْ النَّاسِ مَنْ جَمَعَ بَيْنَهُمَا فَقَالَ: عَائِشَةُ أَنْكَرَتْ رُؤْيَةَ الْعَيْنِ وَابْنُ عَبَّاسٍ أَثْبَتَ رُؤْيَةَ الْفُؤَادِ. وَالْأَلْفَاظُ الثَّابِتَةُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ هِيَ

مُطْلَقَةٌ أَوْ مُقَيَّدَةٌ بِالْفُؤَادِ تَارَةً يَقُولُ: رَأَىٰ مُحَمَّدٌ رَبَّهُ وَتَارَةً يَقُولُ رَآهُ مُحَمَّدٌ؛ وَلَمْ يَثْبُتْ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ لَفْظٌ صَرِيحٌ بِأَنَّهُ رَآهُ بِعَيْنِهِ.

وَكَذَلِكَ «الْإِمَامُ أَحْمَد» تَارَةً يُطْلِقُ الرُّؤْيَةَ؛ وَتَارَةً يَقُولُ: رَآهُ بِفُؤَادِهِ؛ وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ إِنَّهُ سَمِعَ أَحْمَد يَقُولُ رَآهُ بِعَيْنِهِ.

لَكِنَّ طَائِفَةً مِنْ أَصْحَابِهِ سَمِعُوا بَعْضَ كَلَامِهِ الْمُطْلَقِ فَفَهِمُوا مِنْهُ رُؤْيَةَ الْعَيْنِ؛ كَمَا سَمِعَ بَعْضُ النَّاسِ مُطْلَقَ كَلَامِ ابْنِ عَبَّاسٍ فَفَهِمَ مِنْهُ رُؤْيَةَ الْعَيْنِ.

وَلَيْسَ فِي الْأَدِلَّةِ مَا يَقْتَضِي أَنَّهُ رَآهُ بِعَيْنِهِ وَلَا ثَبَتَ ذَلِكَ عَنْ أَحَدٍ مِنْ الصَّحَابَةِ وَلَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ ذَلِكَ؛ بَلْ النُّصُوصُ الصَّحِيحَةُ عَلَىٰ نَفْيِهِ أَدَلُّ.

كَمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»: «عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: سَأَلْت رَسُولَ اللهِ ﷺ هَلْ رَأَيْت رَبَّك؟ فَقَالَ: نُورٌ أَنَّىٰ أَرَاهُ».

وَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسراء: ١]، وَلَوْ كَانَ قَدْ أَرَاهُ نَفْسَهُ بِعَيْنِهِ لَكَانَ ذِكْرُ ذَلِكَ أَوْلَىٰ!

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ [النجم: ١٢]، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٨]، وَلَوْ كَانَ رَآهُ بِعَيْنِهِ لَكَانَ ذِكْرُ ذَلِكَ أَوْلَىٰ!

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ [الإسراء: ٦٠]. قَالَ: هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ أُرِيَهَا

رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ وَهَذِهِ «رُؤْيَا الْآيَاتِ» لِأَنَّهُ أَخْبَرَ النَّاسَ بِمَا رَآهُ بِعَيْنِهِ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ فَكَانَ ذَلِكَ فِتْنَةً لَهُمْ حَيْثُ صَدَّقَهُ قَوْمٌ وَكَذَّبَهُ قَوْمٌ وَلَمْ يُخْبِرْهُمْ بِأَنَّهُ رَأَىٰ رَبَّهُ بِعَيْنِهِ.

وَلَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَحَادِيثِ الْمِعْرَاجِ الثَّابِتَةِ ذِكْرُ ذَلِكَ وَلَوْ كَانَ قَدْ وَقَعَ ذَلِكَ لَذَكَرَهُ كَمَا ذَكَرَ مَا دُونَهُ.

وَقَدْ ثَبَتَ بِالنُّصُوصِ الصَّحِيحَةِ وَاتِّفَاقِ سَلَفِ الْأُمَّةِ أَنَّهُ لَا يَرَىٰ اللهَ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا بِعَيْنِهِ إِلَّا مَا نَازَعَ فِيهِ بَعْضُهُمْ مِنْ رُؤْيَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ خَاصَّةً وَاتَّفَقُوا عَلَىٰ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِيَانًا كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ..

قَالَ أَيْضًا شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ: وَأَمَّا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّهُ رَآهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ كَانَ اسْتِنَادُهُ إِلَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: ١١]، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣]، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ مُسْتَنَدُهُ، فَقَدْ صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّ هَذَا الْمَرْئِيَّ جِبْرِيلُ، رَآهُ مَرَّتَيْنِ فِي صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا، وَقَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ هَذَا هُوَ مُسْتَنَدُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي قَوْلِهِ: «رَآهُ بِفُؤَادِهِ».

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ فِي (سُورَةِ النَّجْمِ): ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [النجم: ٨]، فَهُوَ غَيْرُ الدُّنُوِّ وَالتَّدَلِّي فِي قِصَّةِ الْإِسْرَاءِ، فَإِنَّ الَّذِي فِي (سُورَةِ النَّجْمِ) هُوَ دُنُوُّ جِبْرِيلَ وَتَدَلِّيهِ، كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ وَابْنُ مَسْعُودٍ.

وَالسِّيَاقُ يَدُلُّ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ قَالَ: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥]، وَهُوَ جِبْرِيلُ: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [النجم: ٦ - ٨].

فَالضَّمَائِرُ كُلُّهَا رَاجِعَةٌ إِلَىٰ هَذَا الْمُعَلِّمِ الشَّدِيدِ الْقُوَىٰ، وَهُوَ ذُو الْمِرَّةِ، أَيْ: الْقُوَّةُ، وَهُوَ الَّذِي اسْتَوَىٰ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ، وَهُوَ الَّذِي دَنَا فَتَدَلَّىٰ، فَكَانَ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ قَدْرَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ.

قَالَ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «**رَأَيْتُ رَبِّي**» قَالَ مَا قَيَّدَ الرُّؤْيَةَ بِالنَّوْمِ وَبَعْضُ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَىٰ رَبَّهُ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ يَحْتَجُّ بِظَاهِرِ الْحَدِيثِ.

والَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ الدَّلِيلُ عَدَمُ الرُّؤْيَةِ مَعَ إِمْكَانِهَا؛ فَنَقِفُ عَنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فَإِنَّ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكَهُ مَا لَا يَعْنِيهِ؛ فَإِثْبَاتُ ذَلِكَ أَوْ نَفْيُهُ صَعْبٌ وَالْوُقُوفُ سَبِيلُ السَّلَامَةِ، وَإِذَا ثَبَتَ شَيْءٌ قُلْنَا بِهِ وَلَا نُعَنِّفْ مَنْ أَثْبَتَ الرُّؤْيَةَ لِنَبِيِّنَا ﷺ فِي الدُّنْيَا وَلَا مَنْ نَفَاهَا.

بَلْ نَقُولُ اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ!

بَلْ نُعَنِّفُ وَنُبَدِّعُ مَنْ أَنْكَرَ الرُّؤْيَةَ فِي الْآخِرَةِ؛ إِذْ رُؤْيَةُ اللهِ تَعَالَىٰ فِي الْآخِرَةِ ثَبَتَتْ بِنُصُوصٍ مُتَوَاتِرَةٍ. انْتَهَىٰ كَلَامُ الذَّهَبِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «سِيَرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ».

ثُمَّ هَبَطَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالرَّسُولِ ﷺ مِنَ السَّمَاوَاتِ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ ثُمَّ رَكِبَ الْبُرَاقَ مُنْصَرِفًا إِلَىٰ مَكَّةَ بِصُحْبَةِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثُمَّ أَتَىٰ مَكَّةَ قَبْلَ الصُّبْحِ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَرَرْتُ بِعِيرِ بَنِي فُلَانٍ فَأَنْفَرَهُمْ حِسُّ الدَّابَّةِ**» يَعْنِي الْبُرَاقَ «**فَنَدَّ لَهُمْ بَعِيرٌ، فَدَلَلْتُهُمْ عَلَيْهِ وَأَنا مُتَوَجِّهٌ إِلَىٰ الشَّامِ ثُمَّ أَقْبَلْتُ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُ بِضَجْنَانَ مَرَرْتُ بِعِيرِ بَنِي فُلَانٍ فَوَجَدْتُ الْقَوْمَ نِيَامًا وَلَهُمْ إِنَاءٌ فِيهِ مَاءٌ قَدْ**

غَطُّوا عَلَيْهِ بِشَيْءٍ فَكَشَفْتُ غِطَاءَهُ وَشَرِبْتُ مَا فِيهِ ثُمَّ غَطَّيْتُ عَلَيْهِ كَمَا كَانَ وَعَلَىٰ رَأْسِ الْعِيرِ جَمَلٌ أَوْرَقُ عَلَيْهِ غِرَارَتَانِ إِحْدَاهُمَا سَوْدَاءُ وَالْأُخْرَىٰ بَرْقَاءُ».

يُقَالُ لِكُلِّ شَيْءٍ اجْتَمَعَ فِيهِ سَوَادٌ وَبَيَاضٌ أَبْرَقُ.

وَهَذَا الْخَبَرُ أَخْرَجَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي «السِّيرَةِ» بِدُونِ إِسْنَادٍ وَأَخْرَجَهُ بِنَحْوِهِ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الدَّلَائِلِ»، وَقَالَ: هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ.

رَوَىٰ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ثُمَّ جَاءَ مِنْ لَيْلَتِهِ فَحَدَّثَهُمْ بِمَسِيرِهِ وَبِعَلَامَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَبِعِيرِهِمْ.

قَالَ الرَّسُولُ ﷺ **«لَمَّا كَانَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي، وَأَصْبَحْتُ بِمَكَّةَ، عَرَفْتُ أَنَّ النَّاسَ مُكَذِّبِيَّ؛ فَقَعَدْتُ مُعْتَزِلًا حَزِينًا.**

قَالَ: فَمَرَّ بِهِ عَدُوُّ اللهِ أَبُو جَهْلٍ، فَجَاءَ حَتَّىٰ جَلَسَ إِلَيَّ، فَقَالَ لَهُ كَالْمُسْتَهْزِئِ: يَا مُحَمَّدُ، هَلْ كَانَ مِنْ شَيْءٍ؟

قُلْتُ: «نَعَمْ».

قَالَ: مَا هُوَ؟

قَلْتُ: «إِنَّهُ أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ».

قَالَ: إِلَىٰ أَيْنَ؟

قُلْتُ: «إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ؟».

www.menhag-un.com

قَالَ: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانِينَا؟

قَالَ: «نَعَمْ».

قَالَ: فَلَمْ يُرِهْ أَنَّهُ يُكَذِّبُهُ، مَخَافَةَ أَنْ يَجْحَدَهُ الْحَدِيثَ إِنْ دَعَا قَوْمَهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ دَعَوْتُ قَوْمَكَ أَتُحَدِّثُهُمْ بِمَا حَدَّثْتَنِي؟

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَعَمْ».

فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ -لَعَنَهُ اللهُ-: هَيَا مَعْشَرَ بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ حَتَّىٰ قَالَ: فَانْتَفَضَتْ إِلَيْهِ الْمَجَالِسُ، وَجَاءُوا حَتَّىٰ جَلَسُوا إِلَيْهِمَا، قَالَ: حَدِّثْ قَوْمَكَ بِمَا حَدَّثْتَنِي.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ».

قَالُوا: إِلَىٰ أَيْنَ؟

قَالَ: إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، قَالُوا: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانِينَا؟

قَالَ: «نَعَمْ».

فَضَجَّ الْمُشْرِكُونَ وَأَعْظَمُوا ذَلِكَ فَصَارُ بَعْضُهُمْ يُصَفِّقُ وَبَعْضُهُمْ يَضَعُ يَدَهُ عَلَىٰ رَأْسِهِ تَعَجُّبًا.

أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ إِسْحَاقَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

كَانَتْ فِتْنَةً عَظِيمَةً ارْتَدَّ بَعْضُ مَنْ أَسْلَمَ! فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيمَنِ ارْتَدَّ عَنْ إِسْلَامِهِ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٦٠].

فَذَهَبَ النَّاسُ إِلَىٰ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَالُوا: هَلْ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ فِي صَاحِبِكَ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَصَلَّىٰ فِيهِ وَرَجَعَ إِلَىٰ مَكَّةَ فِي لَيْلَةٍ؟!

فَقَالَ: إِنَّكُمْ تَكْذِبُونَ عَلَيْهِ.

فَقَالُوا: بَلَىٰ هُوَ ذَاكَ فِي الْمَسْجِدِ يُحَدِّثُ بِهِ النَّاسَ.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللهِ لَئِنْ كَانَ قَالَهُ لَقَدْ صَدَقَ!

فَقَالُوا: أَوَتُصَدِّقُهُ أَنَّهُ ذَهَبَ اللَّيْلَةَ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَجَاءَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ؟!

قَالَ: نَعَمْ فَمَا يُعْجِبُكُمْ مِنْ ذَلِكَ إِنِّي لَأُصَدِّقُهُ فِيمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ أُصَدِّقُهُ بِخَبَرِ السَّمَاءِ يَأْتِيهِ فِي غُدْوَةٍ أَوْ رَوْحَةٍ، فَهَذَا أَبْعَدُ مِمَّا تَعْجَبُونَ مِنْهُ! ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّىٰ انْتَهَىٰ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ أَحَدَّثْتَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ أَنَّكَ جِئْتَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ هَذِهِ اللَّيْلَةَ؟

قَالَ: «**نَعَمْ**».

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقْتَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**وَأَنْتَ يَا أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقُ**» فَيَوْمَئِذٍ سُمِّيَ الصِّدِّيقَ.

أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ، وَقَالَ: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ، وَانْظُرْ: «السِّلْسِلَةَ الصَّحِيحَةَ» لِلْأَلْبَانِيِّ.

قَالَ أَبُو مِحْجَنٍ:

وَسُمِّيتَ صِدِّيقًا وَكُلُّ مُهَاجِرٍ ... سِوَاكَ يُسَمَّىٰ بِاسْمِهِ غَيْرَ مُنْكَرِ
سَبَقْتَ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ وَاللهُ شَاهِدٌ ... وَكُنْتَ جَلِيسًا بِالْعَرِيشِ الْمُشَهَّرِ
وَبِالْغَارِ إِذْ سُمِّيتَ بِالْغَارِ صَاحِبًا ... وَكُنْتَ رَفِيقًا لِلنَّبِيِّ الْمُطَهَّرِ

طَلَبَتْ قُرَيْشٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْ يَصِفَ لَهُمْ بَيْتَ الْمَقْدِسِ قَالُوا: هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصِفَ لَنَا بَيْتَ الْمَقْدِسِ؟ فَفِي الْقَوْمِ مَنْ قَدْ سَافَرَ إِلَىٰ ذَلِكَ الْبَلَدِ وَرَأَىٰ الْمَسْجِدَ.

قَالَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ وَقَدْ قَامَ: أَنَا أَعْلَمُ النَّاسِ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَكَيْفَ بِنَاؤُهُ وَكَيْفَ هَيْئَتُهُ فَإِنْ يَكُنْ مُحَمَّدٌ صَادِقًا فَسَأُخْبِرُكُمْ وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَسَأُخْبِرُكُمْ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَنَا أَعْلَمُ النَّاسِ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ فَأَخْبِرْنِي كَيْفَ بِنَاؤُهُ وَكَيْفَ هَيْئَتُهُ؟!

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ فَرَفَعَهُ اللهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ».

وَفِي رِوَايَةِ الْإِمَامِ الْبُخَارِيِّ قَالَ ﷺ «**فَجَلَّىٰ اللهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ**».

وَفِي رِوَايَةِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي «مُسْنَدِهِ» قَالَ «**فَذَهَبْتُ أَنْعَتُ** -أَيْ أَصِفُ- **فَمَا زِلْتُ أَنْعَتُ حَتَّىٰ الْتَبَسَ عَلَيَّ بَعْضُ النَّعْتِ قَالَ فَجِيءَ بِالْمَسْجِدِ وَأَنَا أَنْظُرُ حَتَّىٰ وُضِعَ دُونَ دَارِ عَقِيلٍ فَنَعَتُّهُ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ**»، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ نَعْتِهِ قَالَ الْمُشْرِكُونَ: أَمَّا النَّعْتُ فَوَاللهِ لَقَدْ أَصَابَ.

ثُمَّ إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَالَ لَهُمْ: «**آيَةُ ذَلِكَ أَنِّي مَرَرْتُ بِعِيرٍ لَكُمْ بِمَكَانِ كَذَا وَكَذَا فَأَنْفَرَهُمْ حِسُّ الدَّابَّةِ** -أَيْ الْبُرَاقِ- **فَنَدَّ لَهُمْ بَعِيرٌ فَدَلَلْتُهُمْ عَلَيْهِ وَلَهُمْ إِنَاءٌ فِيهِ مَاءٌ قَدْ غَطُّوا عَلَيْهِ بِشَيْءٍ فَكَشَفْتُ غِطَاءَهُ فَشَرِبْتُ مَا فِيهِ ثُمَّ غَطَّيْتُ عَلَيْهِ كَمَا كَانَ وَعَلَىٰ عِيرِهِمْ جَمَلٌ أَوْرَقُ وَعَلَيْهِ غِرَارَتَانِ إِحْدَاهُمَا سَوْدَاءُ وَالْأُخْرَىٰ بَرْقَاءُ**».

فَلَمَّا جَاءَتِ الْعِيرُ إِذَا عَلَيْهَا ذَلِكَ الْجَمَلُ الَّذِي وَصَفَهُ الرَّسُولُ ﷺ، وَسَأَلُوهُمْ عَنِ الْإِنَاءِ فَأَخْبَرُوهُمْ أَنَّهُمْ وَضَعُوهُ مَمْلُوءًا مَاءً ثُمَّ غَطَّوْهُ وَأَنَّهُمْ ذَهَبُوا فَوَجَدُوهُ مُغَطًّىٰ كَمَا غَطَّوْهُ وَلَمْ يَجِدُوا فِيهِ مَاءً.

فَسَأَلُوهُمْ: هَلْ ضَلَّ لَكُمْ بَعِيرٌ؟

قَالُوا: نَعَمْ نَدَّ لَنَا بَعِيرٌ فَسَمِعْنَا صَوْتَ رَجُلٍ يَدْعُونَا إِلَيْهِ حَتَّىٰ أَخَذْنَاهُ، فَعَلِمَ الْكُفَّارُ لَمَّا عَرَفُوا صِدْقَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمَا زَادَهُمْ ذَلِكَ إِلَّا نُفُورًا وَطُغْيَانًا كَبِيرًا.

وَقَدْ أَخْبَرَ الرَّسُولُ ﷺ قَوْمَهُ بِالْإِسْرَاءِ أَوَّلًا فَلَمَّا ظَهَرَتْ لَهُمْ أَمَارَاتُ صِدْقِهِ عَلَىٰ تِلْكَ الْمُعْجِزَةِ أَخْبَرَهُمْ بِمَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهَا وَهُوَ الْمِعْرَاجُ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَدْ عَايَنَ ﷺ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ مِنَ الْآيَاتِ وَالْأُمُورِ الَّتِي لَوْ رَآهَا أَوْ بَعْضَهَا غَيْرُهُ لَأَصْبَحَ مُنْدَهِشًا أَوْ طَائِشَ الْعَقْلِ! وَلَكِنَّهُ ﷺ أَصْبَحَ سَاكِنًا يَخْشَىٰ إِنْ بَدَا فَأَخْبَرَ قَوْمَهُ بِمَا رَأَىٰ أَنْ يُبَادِرُوا إِلَىٰ تَكْذِيبِهِ؛ فَتَلَطَّفَ بِإِخْبَارِهِمْ أَوَّلًا بِأَنَّهُ جَاءَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ.

لَمَّا أَصْبَحَ الرَّسُولُ ﷺ مِنْ صَبِيحَةِ لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ جَاءَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ زَاغَتِ الشَّمْسُ فَبَيَّنَ لَهُ كَيْفِيَّةَ الصَّلَاةِ وَأَوْقَاتَهَا؛ فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَنَادَىٰ بِأَصْحَابِهِ «الصَّلَاةَ جَامِعَةً»؛ فَاجْتَمَعُوا فَصَلَّىٰ بِهِمْ جِبْرِيلُ وَصَلَّىٰ الرَّسُولُ ﷺ بِالنَّاسِ، وَسُمِّيَتْ تِلْكَ الصَّلَاةُ الظُّهْرَ؛ لِأَنَّهَا أَوَّلُ صَلَاةٍ ظَهَرَتْ، أَوْ لِأَنَّهَا فُعِلَتْ عِنْدَ قِيَامِ الظَّهِيرَةِ.

رَوَىٰ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالْحَاكِمُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَاءَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: قُمْ فَصَلِّهْ، فَصَلَّىٰ الظُّهْرَ حِينَ زَالَتِ الشَّمْسُ.**

ثُمَّ جَاءَهُ الْعَصْرَ، فَقَالَ: قُمْ فَصَلِّهْ، فَصَلَّىٰ الْعَصْرَ حِينَ صَارَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَهُ -أَوْ قَالَ: صَارَ ظِلُّهُ مِثْلَهُ- ثُمَّ جَاءَهُ الْمَغْرِبَ، فَقَالَ: قُمْ فَصَلِّهْ، فَصَلَّىٰ حِينَ وَجَبَتِ الشَّمْسُ.

ثُمَّ جَاءَهُ الْعِشَاءَ، فَقَالَ: قُمْ فَصَلِّهْ، فَصَلَّىٰ حِينَ غَابَ الشَّفَقُ.

ثُمَّ جَاءَهُ الْفَجْرَ، فَقَالَ: قُمْ فَصَلِّهْ، فَصَلَّىٰ حِينَ بَرَقَ الْفَجْرُ - أَوْ قَالَ: حِينَ سَطَعَ الْفَجْرُ.

ثُمَّ جَاءَهُ فِي الْغَدِ لِلظُّهْرِ، فَقَالَ: قُمْ فَصَلِّهْ، فَصَلَّىٰ الظُّهْرَ حِينَ صَارَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَهُ.

ثُمَّ جَاءَهُ لِلْعَصْرِ، فَقَالَ: قُمْ فَصَلِّهْ، فَصَلَّىٰ الْعَصْرَ حِينَ صَارَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَيْهِ.

ثُمَّ جَاءَهُ لِلْمَغْرِبِ، وَقْتًا وَاحِدًا لَمْ يَزُلْ عَنْهُ.

ثُمَّ جَاءَ لِلْعِشَاءِ، حِينَ ذَهَبَ نِصْفُ اللَّيْلِ -أَوْ قَالَ: ثُلُثُ اللَّيْلِ- فَصَلَّىٰ الْعِشَاءَ.

ثُمَّ جَاءَهُ لِلْفَجْرِ حِينَ أَسْفَرَ جِدًّا، فَقَالَ: قُمْ فَصَلِّهْ، فَصَلَّىٰ الْفَجْرَ، ثُمَّ قَالَ: مَا بَيْنَ هَذَيْنِ وَقْتٌ.

كَانَتْ الصَّلَاةُ عِنْدَمَا فُرِضَتْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ رَكْعَتَيْنِ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْعِشَاءَ وَالْفَجْرَ وَالْمَغْرِبُ ثَلَاثًا.

ثُمَّ هَاجَرَ الرَّسُولُ ﷺ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ فَفُرِضَتْ أَرْبَعًا، وَذَلِكَ بَعْدَ مَقْدِمِهِ ﷺ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ وَتُرِكَتْ صَلَاةُ السَّفَرِ عَلَىٰ الْأُولَىٰ.

❁ ❁ ❁

www.menhag-un.com

فَرْضُ الصَّلَوَات

رَوَىٰ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ وَالْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: فرَضَ اللهُ الصَّلَاةَ حِينَ فَرَضَهَا رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ وَزِيدَ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ.

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَىٰ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: فُرِضَتْ الصَّلَاةُ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ هَاجَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَفُرِضَتْ أَرْبَعًا وَتُرِكَتْ صَلَاةُ السَّفَرِ عَلَىٰ الْأُولَىٰ.

وَرَوَىٰ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ أَوَّلَ مَا افْتُرِضَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةُ رَكْعَتَانِ رَكْعَتَانِ إِلَّا الْمَغْرِبَ فَإِنَّهَا كَانَتْ ثَلَاثًا ثُمَّ أَتَمَّ اللهُ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْعِشَاءَ الْآخِرَةَ أَرْبَعًا فِي الْحَضَرِ وَأَقَرَّ الصَّلَاةَ عَلَىٰ فَرْضِهَا الْأَوَّلِ فِي السَّفَرِ.

قَالَ الْحَافِظُ: يُعَارِضُ حَدِيثَ عَائِشَةَ هَذَا حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» قَالَ: فَرَضَ اللهُ الصَّلَاةَ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّكُمْ فِي الْحَضَرِ أَرْبَعًا وَفِي السَّفَرِ رَكْعَتَيْنِ.

وَالَّذِي يَظْهَرُ -يَقُولُ الْحَافِظُ- وَالَّذِي يَظْهَرُ لِي وَبِهِ تَجْتَمِعُ الْأَدِلَّةُ أَنَّ الصَّلَوَاتِ فُرِضَتْ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ إِلَّا الْمَغْرِبَ.

ثُمَّ زِيدَتْ بَعْدَ الْهِجْرَةِ إِلَّا الصُّبْح كَمَا روىٰ ذَلِكَ ابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ فُرِضَتْ صَلَاةُ الْحَضَرَ وَالسَّفَرِ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ فَلَمَّا قَدِمَ الرَّسُول ﷺ الْمَدِينَةَ وَاطْمَأَنَّ زِيدَ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ رَكْعَتَانِ رَكْعَتَانِ وَتُرِكَتْ صَلَاةُ الْفَجْرِ لِطُولِ الْقِرَاءَةِ وَصَلَاةُ الْمَغْرِبِ لِأَنَّهَا وِتْرُ النَّهَارِ.

ثُمَّ بَعْدَ أَنْ اسْتَقَرَّ فَرْضُ الرُّبَاعِيَّةِ خُفِّفَ مِنْهَا فِي السَّفَرِ عِنْدَ نُزُولِ قَوْلِهِ: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ [النساء: ١٠١].

فَعَلَىٰ هَذَا الْمُرَادُ بِقَوْلِ عَائِشَةَ فَأُقِرَّتْ صَلَاةُ السَّفَرِ أَيْ بِاعْتِبَارِ مَا آلَ إِلَيْهِ الْأَمْرُ مِنَ التَّخْفِيفِ لَا أَنَّهَا اسْتَمَرَّتْ مُنْذُ فُرِضَتْ فَلَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْقَصْرَ عَزِيمَةٌ.

وَالْحَقُّ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمُحَقِّقُونَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ الْقَصْرَ لِلرُّبَاعِيَّةِ فِي السَّفَرِ وَاجِبٌ.

كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلي إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَيَجْعَلُ الْكَعْبَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ حَتَّىٰ هَاجَرَ وَنَزَلَ الْوَحْيُ بِتَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ.

رَوَىٰ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَىٰ شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي وَهُوَ بِمَكَّةَ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَالْكَعْبَةُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَبَعْدَمَا هَاجَرَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا ثُمَّ صُرِفَ إِلَىٰ الْكَعْبَةِ.

هُنَاكَ كَثِيرٌ مِنَ الشُّبُهَاتِ حَوْلَ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ وَهِيَ تَكَادُ تَنْحَصِرُ فِي الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ بِالْجَسَدِ فِي اسْتِبْعَادِ الذَّهَابِ مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ثُمَّ فِي

الصُّعُودِ إِلَىٰ السَّمَاوَاتِ الْعُلَىٰ ثُمَّ فِي الرُّجُوعِ مِنْ حَيْثُ أَتَىٰ فِي جُزْءٍ مِنَ اللَّيْلِ وَفِي أَنَّ الْقُرْآنَ الْمَجِيدَ لَمْ يَذْكُرْ الْمِعْرَاجَ كَمَا ذَكَرَ الْإِسْرَاءَ.

وَفِي أَنَّ الْمِعْرَاجَ يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ الْخَرْقُ وَالِالْتِئَامُ فِي الْأَفْلَاكِ وَالسَّمَاوَاتِ وَذَلِكَ مُسْتَحِيلٌ

وَفِي أَنَّ الطَّبَقَةَ الْهَوَائِيَّةَ الْمُحِيطَةَ بِالْكُرَةِ الْأَرْضِيَّةِ مَحْدُودَةٌ بِثَلَاثِمِائَةِ كِيلُو مِتْرٍ تَقْرِيبًا فَمَنْ جَاوَزَهَا صَارَ عُرْضَةً لِلْمَوْتِ الْمُحَقَّقِ؛ لِعَدَمِ وُجُودِ الْهَوَاءِ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ لِلْحَيَاةِ.

وَهَذِهِ كُلُّها شُبُهَاتٌ لَا تَثْبُتُ أَمَامَ الْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ الصَّحِيحِ، فَالْإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ أَمْرَانِ مُمْكِنَانِ عَقْلًا أَخْبَرَ بِهِما الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ ﷺ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الْمُتَوَاتِرِ وَفِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ الْمَشْهُورَةِ؛ فَوَجَبَ التَّصْدِيقُ بِوُقُوعِهِمَا، وَمَنِ ادَّعَىٰ اسْتِحَالَتَهُمَا فَعَلَيْهِ الْبَيَانُ وَهَيْهَاتَ ذَلِكَ!

وَكَوْنُهُمَا مُسْتَبْعَدَيْنِ عَادَةً لَا يَنْهَضُ دَلِيلًا وَلَا شِبْهَ دَلِيلٍ عَلَىٰ الِاسْتِحَالَةِ وَهَلِ الْمُعْجِزَاتُ إِلَّا أُمُورٌ خَارِقَةٌ لِلعَادَةِ كَمَا قَالَ الْعُلَمَاءُ؟!

وَلَوْ أَنَّ كُلَّ أَمْرٍ لَا يَجْرِي عَلَىٰ سَنَنِ الْعَادَةِ مَئِنَّةٌ لِلْإِنْكَارِ لَمَا ثَبَتَ مُعْجِزَةُ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَكُلُّهَا خَارِقَةٌ لِلْعَادَةِ.

www.menhag-un.com

شُبُهَاتُ الْمُنْكِرِينَ لِلْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ، وَالرَّدُّ عَلَيْهَا

ثُمَّ مَا قَوْلُ الْمُنْكِرِينَ لِمِثْلِ هَاتَيْنِ الْمُعْجِزَتَيْنِ فِيمَا صَنَعَهُ الْبَشَرُ مِنَ الطَّائِرَاتِ وَالصَّوَارِيخِ وَمَا فَوْقَ ذَلِكَ أَفَيَسْتَبْعِدُونَ عَلَىٰ مُبْدِعِ الْبَشَرِ وَخَالِقِ الْقُوَىٰ وَالْقُدَرِ أَنْ يُسَخِّرَ لِنَبِيِّهِ بُرَاقًا يَقْطَعُ هَذِهِ الْمَسَافَةَ فِي زَمَنٍ أَقَلَّ مِنَ الْقَلِيلِ؟!

وَلَيْسَ الْإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ مِنْ جِنْسِ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ النَّاسُ حَاشَا للهِ أَنْ يُرَادَ ذَلِكَ! وَإِنَّمَا الْمُرَادُ التَّقْرِيبُ لِلعُقُولِ مِمَّنْ يُنْكِرُونَهُمَا بِمَا هُوَ مُشَاهَدٌ مَلْمُوسٌ فَلَيْسَ هَاهُنَا مُقَارَنَةٌ بَيْنَ مَا يَأْتِي بِهِ الْبَشَرُ مِمَّا أَقْدَرَهُمُ اللهُ عَلَيْهِ وَمَا هُوَ فِي قُدْرَةِ اللهِ الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ.

أَمَّا شُبْهَةُ أَنَّ الْمِعْرَاجَ لَمْ يُذْكَرْ فِي الْقُرْآنِ كَمَا ذُكِرَ الْإِسْرَاءُ فَيَدْفَعُهَا مَا مَرَّ مِنْ أَنَّ الْمِعْرَاجَ وَإِنْ لَمْ يُذْكَرْ فِي الْقُرْآنِ صَرَاحَةً فَقَدْ أُشِيرَ إِلَيْهِ فِيهِ وَلَوْ سَلَّمْنَا بِعَدَمِ ثُبُوتِهِ بِالْقُرْآنِ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ سَبَبًا لِلْإِنْكَارِ فَمَا الْأَحَادِيثُ إِلَّا مُبَيِّنَةٌ لِلْقُرْآنِ وَشَارِحَةٌ لَهُ وَمُتَمِّمَةٌ لَهُ وَهِيَ الْأَصْلُ الثَّانِي مِنْ أُصُولِ التَّشْرِيعِ فِي الْإِسْلَامِ وَفِي مَعْرِفَةِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ.

فَلَوْ أَنَّنَا اقْتَصَرْنَا فِي الدِّينِ وَمَسَائِلِهِ عَلَىٰ الْقُرْآنِ وَحْدَهُ لَفَرَّطْنَا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْكَامِ وَالْآدَابِ وَالْآيَاتِ وَالْمُعْجِزَاتِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ نُبُوَّةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَأَمَّا شُبْهَةُ أَنَّ الْمِعْرَاجَ يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ الْخَرْقُ وَالِالْتِئَامُ وَهُوَ مُسْتَحِيلٌ فَفِكْرَةٌ قَدِيمَةٌ عَفَّىٰ عَلَيْهَا الزَّمَانُ وَأَبْطَلَتْهَا النَّظَرَاتُ الْعِلْمِيَّةُ الْحَدِيثَةُ حَيْثُ انْتَهَىٰ بَحْثُ الْعُلَمَاءِ إِلَىٰ أَنَّ الْكَوْنَ فِي أَصْلِهِ كَانَ قِطْعَةً وَاحِدَةً ثُمَّ تَنَاثَرَتْ أَجْزَاؤُهُ وَانْفَصَلَ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ حَتَّىٰ غَدَا مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمُ كُلُّهُ عُلْوِيَّهُ وَسُفْلِيُّهُ.

وَمَعَاشِرُ عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ الْفَاهِمُونَ لَهُ الْوَاعُونَ لِأَصْلَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ يُرَحِّبُونَ بِتَقَدُّمِ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ الْكَوْنِيَّةِ وَالْكُشُوفِ وَلَا يَزِيدُهُمْ ذَلِكَ إِلَّا إِيمَانًا بِاللهِ وَيَقِينًا عَلَيْهِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣]، بَلَىٰ، وَأَنا عَلَىٰ ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ؛ فَعَلَىٰ النَّاسِ أَلَّا يَتَّبِعُوا الشَّيَاطِينَ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ عِنْدَ النَّظَرِ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ الْخَوَارِقِ الَّتِي أَجْرَاهَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِنَبِيِّهِ ﷺ، فَإِنَّ ذَلِكَ مَدْعَاةٌ لِزِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَمَزِيدِ التَّصْدِيقِ لَا إِلَىٰ الْإِنْكَارِ وَالْجُحُودِ.

◉ ◉ ◉

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

عَرْضُ النَّبِيِّ ﷺ نَفْسَهُ عَلَى الْقَبَائِلِ

فِي السَّنَةِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ مِنَ الْبَعْثَةِ عَرَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نَفْسَهُ عَلَىٰ الْقَبَائِلِ لَعَلَّ أَحَدًا أَنْ يَسْتَجِيبَ لَهُ فَيُؤْوِيَهُ وَيَنْصُرَهُ بَعْدَمَا كَذَّبَهُ قَوْمُهُ.

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه مَكَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ يَتْبَعُ النَّاسَ فِي مَنَازِلِهِمْ بِعُكَاظَ وَمِجَنَّةَ وَفِي الْمَوَاسِمِ بِمِنًىٰ يَقُولُ: «**مَنْ يُؤْوِينِي مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّىٰ أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي وَلَهُ الْجَنَّةُ**».

حَتَّىٰ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ أَوْ مِنْ مُضَرَ فَيَأْتِيهِ قَوْمُهُ فَيَقُولُونَ: احْذَرْ غُلَامَ قُرَيْشٍ لَا يَفْتِنْكَ، وَيَمْشِي بَيْنَ رِجَالِهِمْ وَهُمْ يُشِيرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْأَصَابِعِ حَتَّىٰ بَعَثَنَا اللهُ إِلَيْهِ مِنْ يَثْرِبَ فَآوَيْنَاهُ وَصَدَّقْنَاهُ، فَيَخْرُجُ الرَّجُلُ مِنَّا فَيُؤْمِنُ بِهِ وَيُقْرِئُهُ الْقُرْآنَ فَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَيُسْلِمُونَ بِإِسْلَامِهِ حَتَّىٰ لَمْ يَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا رَهْطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ. أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.

وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَىٰ النَّاسِ بِالْمَوْقِفِ فَيَقُولُ: «**هَلْ مِنْ رَجُلٍ يَحْمِلُنِي إِلَىٰ قَوْمِهِ فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي**» أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَه بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

وَعَنْ أَبِي الزِّنَادِ قَالَ: أَخْبَرَنِي رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ رَبِيعَةُ بْنُ عَبَّادٍ مِنْ بَنِي الدِّئْلِ، وَكَانَ جَاهِلِيًّا فَأَسْلَمَ، قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فِي سُوقِ ذِي الْمَجَازِ، وَهُوَ يَقُولُ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا**».

وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، وَوَرَاءَهُ رَجُلٌ وَضِيءُ الْوَجْهِ، أَحْوَلُ ذُو غَدِيرَتَيْنِ يَقُولُ: إِنَّهُ صَابِئٌ كَاذِبٌ يَتْبَعُهُ حَيْثُ ذَهَبَ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَذَكَرُوا لِي نَسَبَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَالُوا: هَذَا عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ. أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَهُوَ حَسَنٌ بِمَجْمُوعِ طُرُقِهِ.

◉◉◉

www.menhag-un.com

الْقَبَائِلُ الَّتِي عَرَضَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ الْإِسْلَام

وَكَانَ مِنَ الْقَبَائِلِ الَّتِي عَرَضَ النَّبِيُّ ﷺ نَفْسَهُ عَلَيْهَا قَبِيلَةُ كِنْدَةَ وَبَطْنٌ مِنْ بَنِي كَلْبٍ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو عَبْدِ اللهِ وَبَنُو حَنِيفَةَ وَبَنو عَامِرِ بْنِ صَعْصَعةَ وَمُحَارِبُ بْنُ خَصْفَةَ وَفَزَارَةُ وَغَسَّانُ وَمُرَّةُ وَمِنْهَا سُلَيْمٌ وَعَبْسٌ وَبَنُو نَصْرٍ وَبَنُو الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ وَعُذْرَةُ وَالْحَضَارِمَةُ فَلَمْ يَسْتَجِبْ مِنْهُمْ أَحَدٌ.

وَتَصَدَّىٰ النَّبِيُّ ﷺ لِسُوَيْدِ بْنِ الصَّامِتِ الَّذِي كَانَ يُسَمِّيهِ قَوْمُهُ الْكَامِلَ لِجَلَدِهِ وَشَرَفِهِ وَنَسَبِهِ فَدَعَاهُ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ فَقَالَ لَهُ سُوَيْدٌ: فَلَعَلَّ الَّذِي مَعَكَ مِثْلُ الَّذِي مَعِي فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**اعْرِضْهَا عَلَيَّ**» **فَعَرَضَهَا عَلَيْهِ.**

فَقَالَ لَهُ: إنّ هَذَا لَكَلَامٌ حَسَنٌ وَالَّذِي مَعِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، قُرْآنٌ أَنْزَلَهُ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيّ هُوَ هُدًىٰ وَنُورٌ. فَتَلَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللّهِ ﷺ الْقُرْآنَ وَدَعَاهُ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ فَلَمْ يَبْعُدْ مِنْهُ وَقَالَ إِنَّ هَذَا لَقَوْلٌ حَسَنٌ.

ثُمّ انْصَرَفَ عَنْهُ فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ قَتَلَتْهُ الْخَزْرَجُ، فَإِنّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنْ قَوْمِهِ لَيَقُولُونَ إِنّا لَنَرَاهُ قَدْ قُتِلَ وَهُوَ مُسْلِمٌ وَكَانَ قَتْلُهُ قَبْلَ يَوْمِ بُعَاثٍ.

وَعَرَضَ النَّبِيُّ ﷺ نَفْسَهُ عَلَىٰ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ حَيْثُ قَدِمُوا يَلْتَمِسُونَ الْحِلْفَ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَىٰ قَوْمِهِمْ مِنَ الْخَزْرَجِ فَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ وَقَالَ لَهُمْ «هَلْ لَكُمْ فِي خَيْرٍ مِمّا جِئْتُمْ لَهُ»؟

فَقَالُوا لَهُ وَمَا ذَاكَ؟

قَالَ أَنَا رَسُولُ اللهِ بَعَثَنِي إِلَىٰ الْعِبَادِ أَدْعُوهُمْ إِلَىٰ أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْزَلَ عَلَيّ الْكِتَابَ.

قَالَ ثُمّ ذَكَرَ لَهُمْ الْإِسْلَامَ وَتَلَا عَلَيْهِمْ الْقُرْآنَ.

قَالَ فَقَالَ إِيَاسُ بْنُ مُعَاذٍ، وَكَانَ غُلَامًا حَدَثًا: أَيْ قَوْمُ هَذَا وَاللهِ خَيْرٌ مِمّا جِئْتُمْ لَهُ. قَالَ فَيَأْخُذُ أَبُو الْحَيْسَرِ أَنَسُ بْنُ رَافِعٍ، حَفْنَةً مِنْ تُرَابِ الْبَطْحَاءِ، فَضَرَبَ بِهَا وَجْهَ إِيَاسِ بْنِ مُعَاذٍ، وَقَالَ دَعْنَا مِنْك، فَلَعَمْرِي لَقَدْ جِئْنَا لِغَيْرِ هَذَا.

قَالَ فَصَمَتَ إِيَاسٌ وَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْهُمْ وَانْصَرَفُوا إِلَىٰ الْمَدِينَةِ وَكَانَتْ وَقْعَةُ بُعَاثٍ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ.

قَالَ ثُمّ لَمْ يَلْبَثْ إِيَاسُ بْنُ مُعَاذٍ أَنْ هَلَكَ.

قَالَ مَحْمُودُ بْنُ لَبِيدٍ: فَأَخْبَرَنِي مَنْ حَضَرَهُ مِنْ قَوْمِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ أَنّهُمْ لَمْ يَزَالُوا يَسْمَعُونَهُ يُهَلِّلُ اللّهَ تَعَالَىٰ وَيُكَبّرُهُ وَيَحْمَدُهُ وَيُسَبّحُهُ حَتّىٰ مَاتَ فَمَا كَانُوا يَشُكُّونَ أَنْ قَدْ مَاتَ مُسْلِمًا.

أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَابْنُ هِشَامٍ وَالطَّبَرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» وَالْحَاكِمُ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الدَّلَائِلِ» بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.

كَانَ مِمَّا صَنَعَ اللهُ لِأَنْصَارِهِ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْمَعُونَ مِنْ حُلَفَائِهِمْ مِنْ يَهُودِ الْمَدِينَةِ أَنَّ نَبِيًّا مَبْعُوثٌ فِي هَذَا الزَّمَنِ وَيَتَوَعَّدُونَهُمْ بِهِ إِذَا حَارَبُوهُمْ وَيَقُولُونَ: إِنَّا سَنَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِرَمَ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩].

وَكَانَ الْأَنْصَارُ يَحُجُّونَ الْبَيْتَ كَمَا كَانَتِ الْعَرَبُ تَحُجُّهُ، وَأَمَّا الْيَهُودُ فَلَا، فَلَمَّا رَأَىٰ الْأَنْصَارُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَدْعُو النَّاسَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ وَرَأَوْا أَمَارَاتِ الصِّدْقِ عَلَيْهِ قَالُوا: وَاللهِ هَذَا الَّذِي تَوَعَّدَكُمْ يَهُودُ بِهِ فَلَا يَسْبِقُنَّكُمْ إِلَيْهِ.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ يَوْمُ بُعَاثٍ يَوْمًا قَدَّمَهُ اللهُ لِرَسُولِهِ ﷺ فَقَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَدِ افْتَرَقَ مَلَأُهُمْ وَقُتِلَتْ سَرَوَاتُهُمْ وَجُرِحُوا فَقَدَّمَهُ اللهُ لِرَسُولِهِ ﷺ فِي دُخُولِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ.

فَلَمَّا أَرَادَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِظْهَارَ دِينِهِ وَإِعْزَازَ نَبِيِّهِ ﷺ وَإِنْجَازَ مَوْعِدِهِ لَهُ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْمَوْسِمِ الَّذِي لَقِيَهُ فِيهِمْ نَفَرُ الْأَنْصَارِ.

عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ عَنْ أَشْيَاخٍ مِنْ قَوْمِهِ قَالُوا: لَمَّا لَقِيَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ لَهُمْ «**مَنْ أَنْتُمْ؟**».

قَالُوا: نَفَرٌ مِنَ الْخَزْرَجِ.

قَالَ: «**أَمِنْ مَوَالِي يَهُودَ؟**».

قَالُوا: نَعَمْ.

قَالَ: «**أَفَلا تَجْلِسُونَ أُكَلِّمَكُمْ؟!**».

قَالُوا: بَلَىٰ فَجَلَسُوا مَعَهُ فَدَعَاهُمْ إِلَىٰ اللهِ ﷻ وَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ وَتَلَا عَلَيْهِمْ الْقُرْآنَ فَقَارَبُوا فَنَفَعَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِهِمْ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ رضي الله عنهم.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَمَسَّكَ بِسُنَّتِهِ وَتَبِعَ هَدْيَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة السَّادِسَة عَشْرَة)

مِنْ مَادَّةِ

سِيرَة النَّبِيِّ ﷺ

[الْعَهْدُ الْمَكِّيُّ - ج٢]

www.menhag-un.com

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

الْقَبَائِلُ الَّتِي عَرَضَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ الْإِسْلَام

فَإِنَّهُ لَمَّا أَرَادَ اللهُ ﷻ إِظْهَارَ دِينِهِ وَإِعْزَازَ نَبِيِّهِ وَإِنْجَازَ مَوْعِدِهِ لَهُ ﷺ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْمَوْسِمِ الَّذِي لَقِيَهُ فِيهِ النَّفَرُ مِنَ الْأَنْصَارِ.

عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ عَنْ أَشْيَاخٍ مِنْ قَوْمِهِ قَالُوا لَمَّا لَقِيَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ لَهُمْ: «**مَنْ أَنْتُمْ؟**».

قَالُوا: نَفَرٌ مِنَ الْخَزْرَجِ.

قَالَ: «**أَمِنْ مَوَالِي اليَهُودِ؟**».

قَالُوا: نَعَمْ.

قَالَ: «**أَفَلا تَجْلِسُونَ أُكَلِّمُكُمْ؟!**».

قَالُوا: بَلَىٰ، فَجَلَسُوا مَعَهُ فَدَعَاهُمْ إِلَىٰ اللهِ ﷻ وَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ وَتَلَا عَلَيْهِمْ الْقُرْآنَ.

قَالَ: وَكَانَ مِمَّا صَنَعَ اللهُ بِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ أَنَّ يَهُودَ كَانُوا مَعَهُمْ فِي بِلَادِهِمْ وَكَانُوا أَهْلَ كِتَابٍ وَعِلْمٍ وَكَانُوا هُمْ أَهْلَ شِرْكٍ وَأَصْحَابِ أَوْثَانٍ وَكَانُوا قَدْ غَزَوْهُمْ بِبِلَادِهِمْ وَكَانُوا إِذَا كَانَ بَيْنَهُمْ شَيْءٌ قَالُوا لَهُمْ: إِنَّ نَبِيًّا مَبْعُوثٌ الْآنَ قَدْ أَظَلَّ زَمَانُهُ نَتَّبِعُهُ فَنَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِرَمَ.

فَلَمَّا كَلَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أُولَئِكَ النَّفَرَ دَعَاهُمْ إِلَىٰ اللهِ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: يَا قَوْمُ، تَعْلَمُونَ وَاللهِ إِنَّهُ لَلنَّبِيُّ الَّذِي تَوَعَّدُكُمْ بِهِ يَهُودَ فَلَا يَسْبِقُنَّكُمْ إِلَيْهِ فَأَجَابُوهُ فِيمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ بِأَنْ صَدَّقُوهُ وَقَبِلُوا مِنْهُ مَا عُرِضَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْإِسْلَامِ.

وَقَالُوا: إِنَّا قَدْ تَرَكْنَا قَوْمَنَا وَلَا قَوْمَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالشَّرِّ مَا بَيْنَهُمْ فَعَسَىٰ أَنْ يَجْمَعَهُمُ اللهُ بِكَ فَسَنَقْدَمُ عَلَيْهِمْ فَنَدْعُوهُمْ إِلَىٰ أَمْرِكَ وَنَعْرِضُ عَلَيْهِمِ الَّذِي أَجَبْنَاكَ إِلَيْهِ مِنْ هَذَا الدِّينِ فَإِنْ يَجْمَعْهُمُ اللهُ عَلَيْكَ فَلَا رَجُلَ أَعَزُّ مِنْكَ!

ثُمَّ انْصَرَفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَاجِعِينَ إِلَىٰ بِلَادِهِمْ وَقَدْ آمَنُوا وَصَدَّقُوا. أَخْرَجُه ابْنُ هِشَامٍ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الدَّلَائِلِ» وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «الدَّلَائِلِ» بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.

كَانَ هَؤُلَاءِ النَّفَرُ كُلُّهُمْ مِنَ الْخَزْرَجِ وَهُمْ أَبُو أُمَامَةَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ بْنِ عُدُسٍ وَعَوْفُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ رِفَاعَةَ وَهُوَ بْنُ عَفْرَاءَ وَرَافِعُ بْنُ مَالِكِ بْنِ الْعَجْلَانِ وَقُطْبَةُ بْنُ عَامِرِ بْنِ حُدَيْدَةَ وَعُقْبَةُ بْنُ عَامِرِ بْنِ نَادِي وَجَابِرُ عَبْدُ اللهِ بْنُ رِئَابٍ.

لَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ الْمَدِينَةِ دَعَوْا قَوْمَهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ فَفَشَا الْإِسْلَامُ فِي الْمَدِينَةِ حَتَّىٰ لَمْ تَبْقَ دَارٌ إِلَّا وَقَدْ دَخَلَهَا الْإِسْلَامُ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: دخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَكَّةَ فِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ لِلْبِعْثَةِ فِي جِوَارِ الْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ وَذَلِكَ عِنْدَمَا رَجَعَ مِنَ الطَّائِفِ وَقَوْمُهُ أَشَدُّ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ خِلَافِهِ وَفِرَاقِ دِينِهِ!

وَكَانَ مَوْسِمُ الْحَجِّ فِي ذَلِكَ الْعَامِ قَدِ اقْتَرَبَ فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَهَيَّأُ لِدَعْوَةِ قَبَائِلِ الْعَرَبِ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ كَمَا كَانَ شَأْنُهُ كُلَّ عَامٍ مِنْذُ أَنْ جَهَرَ بِالدَّعْوَةِ فِي السَّنَةِ

الرَّابِعَةِ لِلْبِعْثَةِ، فَاسْتَمَرَّ عَلَىٰ ذَلِكَ الْأَمْرِ حَتَّىٰ آخِرِ مَوْسِمٍ لِلْحَجِّ قَبْلَ الْهِجْرَةِ فَكَانَ كُلَّمَا اجْتَمَعَ لَهُ النَّاسُ فِي الْمَوْسِمِ أَتَاهُمْ يَدْعُو الْقَبَائِلَ إِلَىٰ اللهِ وَإِلَىٰ الْإِسْلَامِ وَيَعْرِضُ عَلَيْهِمْ نَفْسَهُ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنَ اللهِ مِنَ الْهُدَىٰ وَالرَّحْمَةِ، وَيَسْأَلُهُمْ أَنْ يُصَدِّقُوهُ وَيَمْنَعُوهُ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ مَا بَعَثَهُ اللهُ بِهِ.

رَوَىٰ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَىٰ شَرْطِ مُسْلِمٍ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: مَكَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ، يَتَّبِعُ النَّاسَ فِي مَنَازِلِهِمْ بِعُكَاظٍ وَمَجَنَّةَ، وَفِي الْمَوَاسِمِ بِمِنًىٰ، يَقُولُ: «**مَنْ يُؤْوِينِي؟ مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّىٰ أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي، وَلَهُ الْجَنَّةُ؟**».

حَتَّىٰ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، أَوْ مِنْ مُضَرَ فَيَأْتِيهِ قَوْمُهُ، فَيَقُولُونَ: احْذَرْ غُلَامَ قُرَيْشٍ لَا يَفْتِنْكَ!

وَرَوَىٰ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَه وَالتِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَىٰ النَّاسِ فِي الْمَوْقِفِ، فَيَقُولُ: «**أَلَا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَىٰ قَوْمِهِ، فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي**».

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَجِدُ الْعَنَتَ وَهُوَ يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَىٰ الْقَبَائِلِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُؤْوِهُ؛ لِأَنَّ عَمَّهُ كَانَ عَلَىٰ سَبِيلِ الْمِثَالِ يَتْبَعُهُ وَكَانَ يَحْثِي عَلَيْهِ التُّرَابَ كَمَا كَانَ يَصْنَعُ أَبُو جَهْلٍ عَلَيْهِ لَعَائِنُ اللهِ!

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ كَذَا قَالَ فِي هَذَا السِّيَاقِ: «أَبُو جَهْلٍ» وَقَدْ يَكُونُ وَهْمًا، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ تَارَةً يَكُونُ ذَا أَيْ يَقَعُ ذَلِكَ مِنْ أَبِي جَهْلٍ وَتَارَةً يَكُونُ ذَا فَيَقَعُ هَذَا مِنْ أَبِي لَهَبٍ، وَهُمَا كَانَا يَتَنَاوَبَانِ عَلَىٰ إِيذَائِهِ ﷺ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ لِتَعْلَمَ كَمْ بَذَلَ، وَكَمْ ضَحَّىٰ، وَكَمِ احْتَمَلَ، انْظُرْ فِي عَدَدِ الْقَبَائِلِ الَّتِي عرَضَ نَفْسَهُ عَلَيْهَا! عَرَضَ نَفْسَهُ عَلَىٰ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ وَمُحَارِبِ بْنِ خَصْفَةَ وَبَنِي فَزَارَةَ وَغَسَّانَ وَبَنِي مُرَّةَ وَبَنِي حَنِيفَةَ وَبَنِي سُلَيْمٍ وَبَنِي عَبْسٍ وَبَنِي نَصْرٍ مِنْ هَوَازِنَ وَكِنْدَةَ وَكَلْبٍ.

وَعَرَضَ نَفْسَهُ عَلَىٰ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ وَبَنِي عُذْرَةَ وَهَمْدَانَ وَثَقِيفٍ وَهَؤُلَاءِ جَمِيعًا لَا يَجِدُ عِنْدَهُمْ رَدًّا وَلَا يُعْطُونَهُ كَلِمَةً، وَالنَّبِيُّ ﷺ مَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ يَقُولُ: «**هَلْ مِنْ رَجُلٍ يَحْمِلُنِي إِلَىٰ قَوْمِهِ، فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي**».

فَالنَّبِيُّ ﷺ بَذَلَ هَذَا الْجُهْدَ كُلَّهُ وَتَحَرَّكَ هَذِهِ الْحَرَكَةَ الْعَظِيمَةَ فِي الدَّعْوَةِ إِلَىٰ دِينِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا وَمَا كَانَ مِنْ عَاقِلٍ يَأْخُذُ النَّبِيَّ ﷺ إِلَىٰ قَوْمِهِ حَتَّىٰ إِنَّ بَعْضَهُمْ قَدْ لَامَ سَائِرَهُمْ لَمَّا فَرَّطُوا فِي أَخْذِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ أَنَّهُ أَتَىٰ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ، فَدَعَاهُمْ إِلَىٰ اللهِ وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ نَفْسَهُ ﷺ.

فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ بَيْحَرَةُ بْنُ فِرَاسٍ: وَاللهِ لَوْ أَنِّي أَخَذْتُ هَذَا الْفَتَىٰ: مِنْ قُرَيْشٍ لَأَكَلْتُ بِهِ الْعَرَبَ، ثُمَّ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَرَأَيْتَ إِنْ نَحْنُ تَابَعْنَاكَ عَلَىٰ أَمْرِكَ، ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللهُ عَلَىٰ مَنْ يُخَالِفُكَ أَيَكُونُ لَنَا الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ: «**الْأَمْرُ لِلَّهِ يَضَعُهُ حَيْثُ يَشَاءُ**». فَقَالَ لَهُ بَيْحَرَةُ بْنُ فِرَاسٍ: أَفَنُهْدِفُ نُحُورَنَا لِلْعَرَبِ دُونَكَ، فَإِذَا أَظْهَرَكَ اللهُ كَانَ الْأَمْرُ لِغَيْرِنَا! لَا حَاجَةَ لَنَا بِأَمْرِكَ! فَأَبَوْا عَلَيْهِ.

فَلَمَّا صَدَرَ النَّاسُ رَجَعَتْ بَنُو عَامِرٍ إِلَىٰ شَيْخٍ لَهُمْ قَدْ كَانَ أَدْرَكَهُ السِّنُّ حَتَّىٰ لَا يقدر أَنْ يُوَافِيَ مَعَهُمُ المَوَاسِمَ، فَكَانُوا إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِ حَدَّثُوهُ بِمَا يَكُونُ فِي ذَلِكَ الْمَوْسِمِ، فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ الْعَامَ سَأَلَهُمْ عَمَّا كَانَ فِي مَوْسِمِهِمْ، فَقَالُوا: جَاءَنَا فَتًىٰ مِنْ قُرَيْشٍ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ يَدْعُونَا إِلَىٰ أَنْ نَمْنَعَهُ وَنَقُومَ مَعَهُ وَنَخْرُجَ بِهِ إِلَىٰ بِلَادِنَا.

فَوَضَعَ الشَّيْخُ يَدَهُ عَلَىٰ رَأْسِهِ ثُمَّ قَالَ: يَا بَنِي عَامِرٍ هَلْ لَهَا مِنْ تَلَافٍ؟

هَلْ لِذُنَابَاهَا مِنْ مَطْلَبٍ؟

وَالَّذِي نَفْسُ فُلَانٍ بِيَدِهِ مَا تَقَوَّلَهَا إِسْمَاعِيلِيٌّ قَطُّ، وَإِنَّهَا لَحَقٌّ، فَأَيْنَ رَأْيُكُمْ كَانَ عَنْكُمْ! أَيْ مَا ادَّعَىٰ النُّبُوَّةَ إِسْمَاعِيلِيٌّ قَطُّ قَالَ: وَإِنَّهَا لَحَقٌّ فَأَيْنَ رَأْيُكُمْ كَانَ عَنْكُمْ؟!

فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ دَلَالَةٌ قَوِيَّةٌ عَلَىٰ صِدْقِهِ ﷺ فَلَوْ كَانَ طَالِبَ مُلْكٍ أَوْ جَاهٍ أَوْ يَتَّجِرُ بِالْمَبَادِئِ يَصْنَعُ كَمَا يَصْنَعُ دَهَاقِينُ السِّيَاسَةِ فِي الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ مِنْ اسْتِمَالَةِ النَّاسِ بِالْأَحَادِيثِ وَالْوُعُودِ الْخَادِعَةِ الْبَرَّاقَةِ وَيُمَنِّيهِمُ الْأَمَانِيَّ الْفَارِغَةَ حَتَّىٰ إِذَا تَمَّ لَهُ مَا أَرَادَ نَسِيَ مَا قَالَ وَرَجَعَ فِي وُعُودِهِ، بَلْ قَدْ يَتَنَكَّرُ لَهُمْ وَيُسَفِّهُ عَلَيْهِمْ وَيُنَكِّلُ بِهِمْ وَهَذَا فَرْقُ مَا بَيْنَ النُّبُوَّةِ وَغَيْرِهَا وَمَا بَيْنَ الدَّاعِي إِلَىٰ الْحَقِّ وَطَالِبِ الدُّنْيَا.

رَوَىٰ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» وَابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَامِرٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرِنِي الْخَاتَمَ الَّذِي بَيْنَ كَتِفَيْكَ، فَإِنِّي مِنْ أَطَبِّ النَّاسِ.

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلا أُرِيكَ آيَةً؟**» قَالَ: بَلَىٰ، قَالَ: «فَنَظَرَ إِلَىٰ نَخْلَةٍ»، فَقَالَ: «**ادْعُ ذَلِكَ الْعَذْقَ**»، قَالَ: فَدَعَاهُ، فَجَاءَ يَنْقُرُ، حَتَّىٰ قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ارْجِعْ**»، فَرَجَعَ إِلَىٰ مَكَانِهِ.

فَقَالَ الْعَامِرِيُّ: يَا آلَ بَنِي عَامِرٍ، مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ رَجُلًا أَسْحَرَ!

وَلَوْ جَاءَهُمْ بِكُلِّ آيَةٍ مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا.

وَالنَّبِيُّ ﷺ لَا يَأْسَ عِنْدَهُ فِي هِدَايَةِ هَؤُلَاءِ لِأَنَّ الْقُلُوبَ بِيَدِ الرَّحْمَنِ وَحْدَهُ يُصَرِّفُهَا كَيْفَ يَشَاءُ، فَعَرَضَ نَفْسَهُ ﷺ عَلَىٰ هَذِهِ الْقَبَائِلِ جَمِيعِهَا يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ اللهِ جَلَّ وَعَلَا وَلَا يُمَنِّيهِمْ بِشَيْءٍ فَمَا لَنَا إِنْ نَحْنُ تَبِعْنَاكَ؟! يَقُولُ «**الْجَنَّةُ**».

فَلَمْ يَجْعَلْ مَوْعُودًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا لِأَحَدٍ إِنْ هُوَ تَبِعَهُ؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ للهِ وَلِأَنَّ الدِّينَ دِينُ اللهِ وَلِأَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَىٰ الْتِزَامِ هَذَا الدِّينِ الْعَظِيمِ فِي النَّجَاةِ مِنَ النَّارِ وَالفَوْزِ بِالْجَنَّةِ؛ فَمَا كَانَ عِنْدَهُ مِنْ شَيْءٍ يُعْطِيهِ وَإِنَّمَا كَانَ يَقُولُ لِمَنْ قَالَ لَهُ: فَمَا لَنَا إِنْ نَحْنُ تَبِعْنَاكَ؟ يَقُولُ «**الْجَنَّةُ**».

www.menhag-un.com

يَوْمُ بُعَاث

رَوَىٰ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ يَوْمُ بُعَاثَ يَوْمًا قَدَّمَهُ اللهُ لِرَسُولِهِ ﷺ فَقَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَدْ افْتَرَقَ مَلَؤُهُمْ وَقُتِلَتْ سَرَوَاتُهُمْ وَجُرِحُوا فَقَدَّمَهُ اللهُ لِرَسُولِهِ ﷺ فِي دُخُولِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ.

وَبُعَاثُ هُوَ مَكَانٌ وَيُقَالُ حِصْنٌ وَقِيلَ مَزْرَعَةٌ عِنْدَ بَنِي قُرَيْظَةَ عَلَىٰ مِيلَيْنِ مِنَ الْمَدِينَةِ وَكَانَتْ بِهِ وَقْعَةٌ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ فَقُتِلَ فِيهَا كَثِيرٌ مِنْهُمْ كَانَ رَئِيسَ الْأَوْسِ فِيهِ حُضَيْرٌ وَالِدُ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَكَانَ رَئِيسَ الْخَزْرَجِ يَوْمَئِذٍ عَمْرُو بْنُ النُّعْمَانِ الْبَيَاضِيُّ فَقُتِلَ فِيهَا وَكَانَ النَّصْرُ فِيهَا أَوَّلًا لِلْخَزْرَجِ ثُمَّ ثَبَّتَهُمْ حُضَيْرٌ فَرَجَعُوا وَانْتَصَرَتْ الْأَوْسُ وَجُرِحَ حُضَيْرٌ يَوْمَئِذٍ فَمَاتَ فِيهَا وَذَلِكَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِخَمْسِ سِنِينَ.

وَقَدْ قُتِلَ فِيهَا مِنْ أَكَابِرِهِمْ مَنْ كَانَ لَا يُؤْمَنُ أَيْ يَتَكَبَّرُ وَيَأْنَفُ أَنْ يَدْخُلَ فِي الْإِسْلَامِ حَتَّىٰ لَا يَكُونَ تَحْتَ حُكْمِ غَيْرِهِ وَقَدْ كَانَ بَقِيَ مِنْهُمْ مِنْ هَذَا النَّحْوِ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيِّ بْنِ سَلُولٍ الْمُنَافِقُ لَعَنَهُ اللهُ.

وَقَدْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْوَقْعَةُ الْعَظِيمَةُ قُبَيْلَ مَقْدِمِ النَّبِيِّ ﷺ الْمَدِينَةَ لِتَتَهَيَّأَ النُّفُوسُ لِقَبُولِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ بِالرَّسُولِ ﷺ وَلِيَظْهَرَ فَضْلُ

الْإِسْلَامِ عَلَىٰ الْأَنْصَارِ؛ فَقَدْ جَمَعَهُمْ بَعْدَ الْفِرْقَةِ وَغرَسَ فِي قُلُوبِهِمُ الْمَحَبَّةَ بَعْدَ الْعَدَاوَةِ وَالْوِئَامِ بَعْدَ الشِّقَاقِ.

www.menhag-un.com

مَنْ هُمُ الْأَنْصَارُ؟

الْأَنْصَارُ جَمْعُ نَاصِرٍ كَأَصْحَابٍ وَصَاحِبٍ أَوْ جَمْعُ نَصِيرٍ كَأَشْرَافٍ وَشَرِيفٍ وَاللَّامُ فِيهِ لِلْعَهْدِ أَيْ أَنْصَارُ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَالْمُرَادُ بِالْأَنْصَارِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ، وَالْأَوْسُ يُنْسَبُونَ إِلَىٰ أَوْسِ بْنِ حَارِثٍ وَالْخَزْرَجُ يُنْسَبُونَ إِلَىٰ الْخَزْرَجِ بْنِ حَارِثَةَ وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَعْرِفُونَ بِبَنِي قِيلَةَ وَهِيَ الْأُمُّ الَّتِي تَجْمَعُ الْقَبِيلَتَيْنِ فَسَمَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْأَنْصَارَ.

بَدَأَ إِسْلَامُهُمْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ لَمَّا دَخَلَتِ السَّنَةُ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ مِنَ الْبِعْثَةِ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُومُ بِالدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ لَا يَفْتُرُ عَنْ ذَلِكَ رَغْمَ ازْدِيَادِ تَضْيِيقِ قُرَيْشٍ عَلَيْهِ وَإِثَارَتِهِمْ حَوْلَهُ الشَّائِعَاتِ وَالْأَكَاذِيبَ لِيَصُدُّوا النَّاسَ عَنِ الِاسْتِجَابَةِ لَهُ فَلَمَّا اقْتَرَبَ مَوْسِمُ الْحَجِّ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ رَاحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَسْتَعِدُّ لِدَعْوَةِ الْوُفُودِ وَالْقَبَائِلِ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ.

فَلَمَّا كَانَ مَوْسِمُ حَجِّ السَّنَةِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ مِنَ الْبَعْثَةِ وَأَرَادَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِظْهَارَ دِينِهِ وَإِعْزَازَ نَبِيِّهِ وَإِنْجَازَ مَوْعِدِهِ لَهُ ﷺ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَبَيْنَمَا هُوَ عِنْدَ العَقَبَةِ، لَقِيَ رَهْطًا مِنَ الخَزْرَجِ أَرَادَ اللهُ بِهِمْ خَيْرًا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ: «**مَنْ أَنْتُمْ؟**».

قَالُوا: نَفَرٌ مِنَ الْخَزْرَجِ.

قَالَ: «**أَمِنْ مَوَالِي اليَهُودِ؟**».

قَالُوا: نَعَمْ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَفَلا تَجْلِسُونَ أُكَلِّمُكُمْ؟!**».

قَالُوا: بَلَىٰ، فَجَلَسُوا مَعَهُ فَدَعَاهُمْ إِلَىٰ اللهِ ﷻ وَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ وَتَلَا عَلَيْهِمْ الْقُرْآنَ.

وَكَانَ مِمَّا صَنَعَ اللهُ بِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ أَنَّ يَهُودَ كَانُوا مَعَهُمْ فِي بِلَادِهِمْ وَكَانُوا أَهْلَ كِتَابٍ وَعِلْمٍ وَكَانُوا هُمْ -يَعْنِي الأَوْسَ وَالخَزْرَجَ- أَهْلَ شِرْكٍ وَأَصْحَابِ أَوْثَانٍ وَكَانُوا قَدْ غَزَّوهُمْ بِبِلَادِهِمْ -أَيْ غَلَبُوهُمْ-، فَكَانُوا إِذَا كَانَ بَيْنَهُمْ شَيْءٌ قَالُوا لَهُمْ: إِنَّ نَبِيًّا مَبْعُوثٌ الْآنَ قَدْ أَظَلَّ زَمَانُهُ نَتَّبِعُهُ فَنَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِرَمَ.

فَلَمَّا كَلَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أُولَئِكَ النَّفَرَ وَدَعَاهُمْ إِلَىٰ اللهِ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: يَا قَوْمُ، تَعْلَمُونَ وَاللهِ إِنَّهُ لَلنَّبِيُّ الَّذِي تَوَعَّدُكُمْ بِهِ يَهُودُ فَلَا يَسْبِقُنَّكُمْ إِلَيْهِ فَأَجَابُوهُ فِيمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ بِأَنْ صَدَّقُوهُ وَقَبِلُوا مِنْهُ مَا عُرِضَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْإِسْلَامِ.

وَكَانُوا -يَعْنِي هَؤُلَاءِ النَّفَرَ مِنَ الْخَزْرَجِ- مِنْ عُقَلَاءِ يَثْرِبَ أَنْهَكَتْهُمُ الْحَرْبُ الْأَهْلِيَّةُ الَّتِي مَضَتْ مِنْ قَرِيبٍ يَعْنِي فِي يَوْمِ بُعَاثٍ وَالَّتِي لَا يَزَالُ لَهِيبُهَا مُسْتَعِرًا؛ فَأَمَّلُوا أَنْ تَكُونَ دَعْوَتُهُ ﷺ سَبَبًا لِوَضْعِ الْحَرْبِ فَقَالُوا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: إِنَّا قَدْ تَرَكْنَا قَوْمَنَا وَلَا قَوْمَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالشَّرِّ مَا بَيْنَهُمْ فَعَسَىٰ أَنْ يَجْمَعَهُمُ اللهُ بِكَ فَسَنَقْدُم عَلَيْهِمْ فَنَدْعُوهُمْ إِلَىٰ أَمْرِكَ وَنَعْرِضُ الَّذِي أَجَبْنَاكَ إِلَيْهِ مِنْ هَذَا الدِّينِ فَإِنْ يَجْمَعُهُمُ اللهُ عَلَيْكَ فَلَا رَجُلَ أَعَزُّ مِنْكَ!

ثُمَّ انْصَرَفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَاجِعِينَ إِلَىٰ بِلَادِهِمْ وَقَدْ آمَنُوا وَصَدَّقُوا فَكَانَ أَوَّلَ مَسْجِدٍ قُرِئَ فِيهِ الْقُرْآنُ فِي الْمَدِينَةِ مَسْجِدُ بَنِي زُرَيْقٍ.

قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: زُرَيْقٌ بِتَقْدِيمِ الزَّايِ مُصَغَّرًا.

وَيُسْتَفَادُ مِنْهُ جَوَازُ إِضَافَةِ الْمَسَاجِدِ إِلَىٰ بَانِيهَا أَوِ الْمُصَّلِي فِيهَا، وَيَلْتَحِقُ بِهِ: جَوَازُ إِضَافَةِ أَعْمَالِ الْبِرِّ إِلَىٰ أَرْبَابِهَا.

كَانَ هَؤُلَاءِ الرَّهْطُ سِتَّةَ نَفَرٍ مِنَ الْخَزْرَجِ كَمَا ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَهُمْ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ وَعَوْفُ بْنُ الْحَارِثِ وَهُوَ ابْنُ عَفْرَاءَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَمِنْ بَنِي زُرَيْقٍ رَافِعُ بْنُ مَالِكٍ الْعَجْلَانِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَمِنْ بَنِي سَلِمَةَ قُطْبَةُ بْنُ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَمِنْ بَنِي حَرَامِ بْنِ كَعْبٍ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَمِنْ بَنِي عُبَيْدِ بْنِ عَدِيٍّ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنُ رِئَابٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَهُوَ غَيْرُ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَرَامٍ الْمَشْهُورِ.

ذَكَرَ مُوسَىٰ بْنُ عُقْبَةَ فِي مَغَازِيهِ أَنَّهُمْ كَانُوا ثَمَانِيَةً مِنْهُمْ مَنْ ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ وَبَعْضُهُمْ لَمْ يَذْكُرْهُ وَهُمْ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ، رَافِعُ بْنُ مَالِكٍ، مُعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ يَزِيدُ بْنُ ثَعْلَبَة، أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيِّهَانِ، عُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ، عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، ذَكْوَانُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَذَكَرَ ابْنُ سَعْدٍ فِي الطَّبَقَاتِ الْقَوْلَيْنِ.

وَعِنْدَمَا ذَكَرَ الرِّوَايَةَ الَّتِي تَقُولُ أَنَّهُمْ سِتَّةٌ وَهِيَ رِوَايَةُ ابْنِ إِسْحَاقَ قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الْوَاقِدِيُّ: هَذَا عِنْدَنَا أَثْبَتُ مَا سَمِعْنَا فِيهِمْ وَهُوَ الْمُجْتَمَعُ عَلَيْهِ!

❁ ❁ ❁

بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ الْأُولَى

فِي مَوْسِمِ الْحَجِّ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ مِنَ الْبِعْثَةِ وَافَاهُ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ بَعْضُهُمْ مِمَّنْ لَقِيَ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْمَوْسِمِ السَّابِقِ فَبَايَعُوهُ عِنْدَ الْعَقَبَةِ فَسُمِّيَتْ بِبَيْعَةِ الْعَقَبَةِ الْأُولَىٰ وَأَرْسَلَ مَعَهُمْ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ يُقْرِئُهُمْ الْقُرْآنَ فَأَسْلَمَ عَلَىٰ يَدَيْهِ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ.

لَمَّا كَانَ مَوْسِمُ الْحَجِّ فِي الْعَامِ الثَّانِي عَشَرَ مِنَ الْبِعْثَةِ أَيْ بَعْدَ عَامٍ فَقَطْ مِنَ الْتِقَاءِ النَّبِيِّ ﷺ بِالْأَنْصَارِيِّينَ السِّتَّةِ أَقْبَلَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَفْدٌ مِنْ الْأَنْصَارِ قَوَامُهُ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا عَشَرَةٌ مِنَ الْخَزْرَجِ وَاثْنَانِ مِنَ الْأَوْسِ.

لَمَّا رَجَعَ هَؤُلَاءِ النَّفَرُ السِّتَّةُ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ ذَكَرُوا لِقَوْمِهِمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَدَعَوْهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ حَتَّىٰ فَشَا فِيهِمْ فَلَمْ تَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا ذِكْرٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

حَتَّىٰ إِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ وَذَلِكَ سَنَةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مِنَ الْبِعْثَةِ وَافَىٰ مَوْسِمَ الْحَجِّ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا اثْنَانِ مِنَ الْأَوْسِ وَعَشْرَةٌ مِنَ الْخَزْرَجِ فِيهِمْ خَمْسَةٌ مِنَ السِّتَّةِ الَّذِينَ اجْتَمَعُوا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْعَامِ السَّابِقِ وَهُمْ مِنَ الْخَزْرَجِ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ، عَوْفٌ وَمُعَاذٌ ابْنَا الْحَارِثِ وَهُمَا ابْنَا عَفْرَاءَ.

مِنْ بَنِي زُرَيْقِ بْنِ عَامِرٍ رَافِعُ بْنُ مَالِكٍ الْعَجْلَانِيُّ وَذَكْوَانُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ.

وَمِنْ بَنِي عَوْفِ بْنِ الْخَزْرَجِ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ وَيَزِيدُ بْنُ ثَعْلَبَةَ.

مِنْ بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ الْعَبَّاسُ بْنُ عُبَادَةَ بْنِ نَضْلَةَ.

مِنْ بَنِي سَلَمَةَ قُطْبَةُ بْنُ عَامِرٍ.

مِنْ بَنِي حَرَامِ بْنِ كَعْبٍ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ.

مِنَ الْأَوْسِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيِّهَانِ.

وَمِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ عُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

لَقِيَ رَسُولَ اللهِ ﷺ هَؤُلَاءِ عِنْدَ الْعَقَبَةِ بِمِنًى فَبَايَعُوهُ فَهَذِهِ بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ الْأُولَى.

www.menhag-un.com

عَلَامَ كَانَت الْبَيْعَةُ؟!

رَوَىٰ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي «السِّيرَةِ» عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: كُنْتُ مِمَّنْ حَضَرَ الْعَقَبَةَ الْأُولَىٰ، وَكُنَّا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا: فَبَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَىٰ بَيْعَةِ النِّسَاءِ يَعْنِي: عَلَىٰ وَفْقِ مَا نَزَلَتْ عَلَيْهِ آيَةُ بَيْعَةِ النِّسَاءِ بَعْدَ ذَلِكَ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُفْرَضَ الْحَرْبُ، عَلَىٰ أَلَّا نُشْرِكَ بِاللهِ شَيْئًا، وَلَا نَسْرِقَ وَلَا نَزْنِيَ وَلَا نَقْتُلَ أَوْلَادَنَا، وَلَا نَأْتِيَ بِبُهْتَانٍ نَفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا، وَلَا نَعْصِيَهُ فِي مَعْرُوفٍ.

فَإِنْ وَفَّيْتُمْ فَلَكُمُ الْجَنَّةُ، وَإِنْ غَشِيتُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَأَمْرُكُمْ إِلَىٰ اللهِ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ.

وَرَوَىٰ الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ -وَالْعِصَابَةُ بِكَسْرِ الْعَيْنِ الْجَمَاعَةُ مِنَ الْعَشْرَةِ إِلَىٰ الْأَرْبَعِينَ- مِنْ أَصْحَابِهِ: «**بَايِعُونِي عَلَىٰ أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَّىٰ مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَىٰ اللهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ لَهُ كَفَّارَةٌ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللهُ فَهُوَ إِلَىٰ اللهِ؛ إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ**». قَالَ: فَبَايَعْنَاهُ عَلَىٰ ذَلِكَ.

لَيْسَ فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ الصَّحِيحَةِ تَصْرِيحٌ بِأَنَّ هَذِهِ الْبَيْعَةَ كَانَتْ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ آيَةَ بَيْعَةِ النِّسَاءِ نَزَلَتْ بَعْدَ الْحُدَيْبِيَةِ بِلَا خِلَافٍ، وَأَيْنَ الْعَقَبَةُ الْأُولَىٰ مِنَ الْحُدَيْبِيَةِ؟!

فَمَنْ سَلَكَ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْمُحَقِّقِينَ فِي مَقَالَةِ ابْنِ إِسْحَاقَ ذَلِكَ عَلَىٰ بَيْعَةِ النِّسَاءِ، قَالَ: أَيْ عَلَىٰ وَفْقِ مَا نَزَلَتْ عَلَيْهِ آيَةُ بَيْعَةِ النِّسَاءِ بَعْدَ ذَلِكَ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ.

وَعَلَىٰ هَذَا مِمَّا نَزَلَ عَلَىٰ وَفْقِ مَا بَايَعَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ، وَلَيْسَ هَذَا بِعَجِيبٍ؛ فَإِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِمُوَافَقَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي غَيْرِ مَا مَوْطِنٍ. قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: كَمَا بَيَّنَّاهُ فِي سِيرَتِهِ وَفِي التَّفْسِيرِ، وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْبَيْعَةُ وَقَعَتْ عَنْ وَحْيٍ غَيْرِ مَتْلُوٍّ فَهُوَ أَظْهَرُ!

وَالصَّحِيحُ مَا قَالَهُ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ» أَنَّ الْمُبَايَعَةَ الْمَذْكُورَةَ فِي حَدِيثِ عُبَادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَىٰ الصِّفَةِ الْمَذْكُورَةِ لَمْ تَقَعْ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي وَقَعَ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ مَا ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ الْمَغَازِي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِمَنْ حَضَرَ مِنَ الْأَنْصَارِ «**أُبَايِعُكُمْ عَلَىٰ أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ**» فَبَايَعُوهُ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَعَلَىٰ أَنْ يَرْحَلَ إِلَيْهِمْ هُوَ وَأَصْحَابُهُ.

وَمِنْ حَدِيثِ عُبَادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَيْضًا عِنْدَ الْبُخَارِيِّ فِي «صَحِيحِهِ» قَالَ: بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ وَأَلَّا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ وَأَنْ نَقُومَ أَوْ نَقُولَ بِالْحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا لَا نَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ.

وَأَصْرَحُ مِنْ ذَلِكَ فِي هَذَا الْمُرَادِ مَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» مِنْ وَجْهٍ آخَرَ عَنْ عُبَادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ جَرَتْ لَهُ قِصَّةٌ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِالشَّامِ فَقَالَ عُبَادَةَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ إِنَّكَ لَمْ تَكُنْ مَعَنَا إِذْ بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ، وَعَلَىٰ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَعَلَىٰ أَنْ نَقُولَ الحَقَّ، وَأَلَّا نَخَافَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ فِيهِ، وَعَلَىٰ أَنْ نَنْصُرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ إِذَا قَدِمَ عَلَيْنَا يَثْرِبَ فَنَمْنَعُهُ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أَنْفُسَنَا وَأَزْوَاجَنَا وَأَبْنَاءَنَا، وَلَنَا الْجَنَّةُ، فَهَذِهِ بَيْعَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّتِي بَايَعْنَاهُ عَلَيْهِ. فَهَذَا هُوَ الَّذِي وَقَعَ فِي هَذِهِ الْبَيْعَةِ الْأُولَىٰ.

ثُمَّ صَدَرَتْ مُبَايَعَاتٌ أُخْرَىٰ مِنْهَا هَذِهِ الْبَيْعَةُ الَّتِي فِي حَدِيثِ الْبَابِ فِي الزَّجْرِ عَنِ الْفَوَاحِشِ الْمَذْكُورَةِ وَالَّذِي يُقَوِّي أَنَّهَا وَقَعَتْ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ بَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ الْآيَةُ الَّتِي فِي الْمُمْتَحِنَةِ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة: ١٢].

وَنُزُولُ هَذِهِ الْآيَةِ مُتَأَخِّرٌ بَعْدَ قِصَّةِ الْحُدَيْبِيَةِ بِلَا خِلَافٍ، وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» فِي حَدِيثِ عُبَادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هَذَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا بَايَعَهُمْ قَرَأَ الْآيَةَ كُلَّهَا.

وَعِنْدَ مُسْلِمٍ فِي «صَحِيحِهِ» قَالَ: فَتَلَا عَلَيْنَا آيَةَ النِّسَاءِ قَالَ: ﴿أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾.

وَلِلطَّبَرَانِيِّ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ قَالَ عُبَادَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَىٰ مَا بَايَعَ عَلَيْهِ النِّسَاءَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ.

وَلِمُسْلِمٍ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ عُبَادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَخَذَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ كَمَا أَخَذَ عَلَىٰ النِّسَاءِ.

هَذِهِ أَدِلَّةٌ ظَاهِرَةٌ فِي أَنَّ هَذِهِ الْبَيْعَةَ إِنَّمَا صَدَرَتْ بَعْدَ نُزُولِ الْآيَةِ بَلْ بَعْدَ صُدُورِ الْبَيْعَةِ بَلْ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ وَإِنَّمَا حَصَلَ الِالْتِبَاسُ مِنْ جِهَةِ أَنَّ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حَضَرَ الْبَيْعَتَيْنِ مَعًا بَيْعَةَ الْعَقَبَةِ الْأُولَىٰ وَالْبَيْعَةَ عَلَىٰ مِثْلِ بَيْعَةِ النِّسَاءِ يَوْمَ الْفَتْحِ.

وَكَانَتْ بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ مِنْ أَجَلِّ مَا يُمْتَدَحُ بِهِ فَكَانَ يَذْكُرُهَا إِذَا حَدَّثَ تَنْوِيهًا بِسَابِقَتِهِ فَلَمَّا ذَكَرَ هَذِهِ الْبَيْعَةَ الَّتِي صَدَرَتْ عَلَىٰ مِثْلِ بَيْعَةِ النِّسَاءِ عَقِبَ ذَلِكَ تَوَهَّمَ مَنْ لَمْ يَقِفْ عَلَىٰ حَقِيقَةِ الْحَالِ أَنَّ الْبَيْعَةَ الْأُولَىٰ وَقَعَتْ عَلَىٰ ذَلِكَ.

وَالرَّاجِحُ أَنَّ التَّصْرِيحَ بِذَلِكَ بِأَنَّ بَيْعَةَ الْعَقَبَةِ الْأُولَىٰ كَانَتْ عَلَىٰ بَيْعَةِ النِّسَاءِ وَهْمٌ مِنْ بَعْضِ الرُّوَاةِ، هَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ هُوَ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يُصَارَ إِلَيْهِ فَهُوَ رَحِمَهُ اللهُ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِالْقُرْآنِ وَتَنَزُّلَاتِهِ، وَالسُّنَّةِ وَطُرُقِ الْجَمْعِ بَيْنَ

رِوَايَاتِهَا الْمُخْتَلِفَةِ، وَبِالسِّيرَةِ وَتَوَارِيخِ الصَّحَابَةِ، وَلَهُ انْتِقَادَاتٌ كَثِيرَةٌ صَائِبَةٌ عَلَىٰ ابْنِ إِسْحَاقَ وَغَيْرِهِ مِنْ كُتَّابِ السِّيَرِ وَتَارِيخِ الرِّجَالِ!

وَالْخُلَاصَةُ: أَنَّ الْمُبَايَعَةَ فِي الْعَقَبَةِ الْأُولَىٰ كَانَتْ عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ وَعَلَىٰ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَقَوْلِ الْحَقِّ وَأَلَّا يَخَافُونَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ وَعَلَىٰ الْوَلَاءِ وَالنُّصْرَةِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِمْ الْمَدِينَةَ وَأَنْ يَمْنَعُوهُ مِمَّا يَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَهُمْ وَأَزْوَاجَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ، وَأَمَّا الْمُبَايَعَةُ عَلَىٰ مِثْلِ بَيْعَةِ النِّسَاءِ فَقَدْ كَانَتْ بَعْدَ ذَلِكَ.

◉◉◉

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

أَوَّلُ جُمْعَةٍ جُمِعَتْ فِي الْمَدِينَةِ قَبْلَ الْهِجْرَةِ

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: إِنَّمَا سُمِّيَتْ الْجُمُعَةُ جُمُعَةً لِأَنَّهَا مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْجَمْعِ فَإِنَّ أَهْلَ الْإِسْلَامِ يَجْتَمِعُونَ فِيهِ كُلَّ أُسْبُوعٍ مَرَّةً بِالْمَسَاجِدِ الْكِبَارِ.

وَقَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ» وَاخْتُلِفَ فِي تَسْمِيَةِ الْيَوْمِ لِذَلِكَ فَقِيلَ: لِأَنَّ خَلْقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ جُمِعَ فِيهِ فَأَخْرَجَ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**أَتَدْرِي مَا يَوْمُ الْجُمُعَةِ**» قُلْتُ: هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي جَمَعَ اللهُ فِيهِ أَبَاكُمْ. هَذَا أَوْضَحُ الْأَقْوَالِ!

وَيَلِيهِ مَا أَخْرَجَهُ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ وَابْنُ حِبَّانَ فِي قِصَّةِ تَجْمِيعِ الْأَنْصَارِ مَعَ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: وَكَانَ مِنْ هَدْيِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ تَعْظِيمُ هَذَا الْيَوْمِ وَتَشْرِيفُهُ وَ تَخْصِيصُهُ بِعِبَادَاتٍ يَخْتَصُّ بِهَا عَنْ غَيْرِهِ.

كَانَ أَوَّلَ مَنْ صَلَّىٰ بِالنَّاسِ الْجُمُعَةَ قَبْلَ مَقْدَمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

أَخْرَجَ ابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» وَأَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنَ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، أَخْبَرَهُ، قَالَ: «كُنْتُ قَائِدَ أَبِي بَعْدَمَا ذَهَبَ بَصَرُهُ، وَكَانَ لَا يَسْمَعُ الْأَذَانَ بِالْجُمُعَةِ إِلَّا قَالَ: رَحْمَةُ اللهِ عَلَىٰ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ.

قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَتِ، إِنَّهُ لَتُعْجِبُنِي صَلَاتُكَ -أَيْ دَعَاؤُكَ- عَلَىٰ أَبِي أُمَامَةَ كُلَّمَا سَمِعْتَ بِالْأَذَانِ بِالْجُمُعَةِ، فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّ، كَانَ أَوَّلَ مَنْ جَمَّعَ الْجُمُعَةَ بِالْمَدِينَةِ فِي حَرَّةِ بَنِي بَيَاضَةَ، فِي نَقِيعٍ يُقَالُ لَهُ: الْخَضَمَاتُ. وَكَانَ مَوْضِعًا يُسْتَنْقَعُ فِيهِ المَاءُ.

قُلْتُ: وَكَمْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ رَجُلًا».

◉◉◉

www.menhag-un.com

مِنْ حِكْمَةِ اللهِ تَعَالَى فِي اخْتِيَارِ الْمَدِينَةِ دَارًا لِلْهِجْرَةِ

كَانَ مِنْ حِكْمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ فِي اخْتِيَارِ الْمَدِينَةِ دَارًا لِلْهِجْرَةِ وَمَرْكَزًا لِلدَّعْوَةِ عَدَا مَا أَرَادَهُ اللهُ مِنْ إِكْرَامِ أَهْلِهَا وَأَسْرَارٍ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ أَنَّهَا امْتَازَتْ بِتَحَصُّنٍ طَبِيعِيٍّ حَرْبِيٍّ لَا تُزَاحِمُهَا فِي ذَلِكَ مَدِينَةٌ قَرِيبَةٌ فِي الْجَزِيرَةِ فَكَانَتْ حَرَّةُ الْوَبْرَةِ مُطْبِقَةً عَلَىٰ الْمَدِينَةِ مِنَ النَّاحِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ، وَحَرَّةُ وَاقِمٍ مُطْبِقَةً عَلَىٰ الْمَدِينَةِ مِنَ النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ.

وَكَانَتْ الْمَنْطِقَةُ الشَّمَالِيَّةُ مِنَ الْمَدِينَةِ هِيَ النَّاحِيَةَ الْوَحِيدَةَ الْمَكْشُوفَةَ، وَهِيَ الَّتِي حَصَّنَها رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْخَنْدَقِ سَنَةَ خَمْسٍ فِي غَزْوَةِ الْأَحْزَابِ، وَكَانَتِ الْجِهَاتُ الْأُخْرَىٰ مِنْ أَطْرَافِ الْمَدِينَةِ مُحَاطَةً بِأَشْجَارِ النَّخِيلِ وَالزُّرُوعِ الْكَثِيفَةِ لَا يَمُرُّ مِنْهَا الْجَيْشُ إِلَّا فِي طُرُقٍ ضَيِّقَةٍ لَا تَتَّفِقُ فِيهَا وَالنِّظَامَ الْعَسْكَرِيَّ وَلَا مَعَ تَرْتِيبِ الصُّفُوفِ، وَكَانَتْ خَفَارَاتٌ عَسْكَرِيَّةٌ صَغِيرَةٌ كَافِيَةً بِإِفْسَادِ النِّظَامِ الْعَسْكَرِيِّ وَمَنْعِهُ مِنَ التَّقَدُّمِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: كَانَ أَحَدُ جَانِبَي الْمَدِينَةِ عَوْرَةٌ وَسَائِرُ جَوَانِبِهَا مُشَكَّكَةً بِالْبُنْيَانِ وَالنَّخِيلِ، لَا يَتَمَكَّنُ الْعَدُوُّ مِنْهَا.

وَلَعَلَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ أَشَارَ إِلَىٰ هَذِهِ الْحِكْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ فِي اخْتِيَارِ الْمَدِينَةِ بِقَوْلِهِ لِأَصْحَابِهِ قَبْلَ الْهِجْرَةِ: «**إِنِّي رَأَيْتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ**» وَهُمَا الْحَرَّتَانِ، فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قِبَلَ الْمَدِينَةِ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

وَكَانَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ أَصْحَابَ نَخْوَةٍ وَإِبَاءٍ وَفُرُوسِيَّةٍ وَقُوَّةٍ وَشَكِيمَةٍ أَلْفَوْا الْحُرِّيَّةَ وَلَمْ يَخْضَعُوا لِأَحَدٍ، وَلَمْ يَدْفَعُوا إِلَىٰ قَبِيلَةٍ أَوْ حُكُومَةٍ إِتَاوَةً أَوْ جِبَايَةً وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ صَرِيحًا فِي الْكَلِمَةِ الَّتِي قَالَهَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ سَيِّدُ الْأَوْسِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: قَدْ كُنَّا نَحْنُ وَهَؤُلاءِ الْقَوْمُ عَلَىٰ الشِّرْكِ بِاللهِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ لَا نَعْبُدُ اللهَ وَلَا نَعْرِفُهُ وَهُمْ لَا يَطْمَعُونَ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْهَا تَمْرَةً إِلَّا قِرًىٰ أَوْ بَيْعًا.

قَالَ ابْنُ خَلْدُونَ: وَلَمْ يَزَلْ هَذَانِ الْحَيَّانِ قَدْ غَلَبُوا الْيَهُودَ عَلَىٰ يَثْرِبَ وَكَانَ الِاعْتِزَازُ وَالْمَنَعَةُ تُعْرَفُ لَهُمْ فِي ذَلِكَ، وَيَدْخُلُ فِي مِلَّتِهِمْ مَنْ جَاوَرَهُمْ مِنْ قَبَائِلِ مُضَرَ وَمِنَ الْأَزْدِ الْأَنْصَارُ وَهُمُ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ وَهُمَا ابْنَا حَارِثَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ وَهُمْ أَعَزُّ النَّاسِ أَنْفُسًا وَأَشْرَفُهُمْ هِمَمًا وَلَمْ يُؤَدُّوا إِتَاوَةً قَطُّ إِلَىٰ أَحَدٍ مِنَ الْمُلُوكِ!

وَكَانَ بَنُو عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ أَخْوَالَهُ دُنْيَا؛ فَأُمُّ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ إِحْدَىٰ نِسَائِهِمْ؛ فَقَدْ تَزَوَّجَ هَاشِم بِسَلْمَىٰ بِنْتِ عَمْرٍو أَحَدِ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ وَوَلَدَتْ لِهَاشِمٍ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ وَتَرَكَهُ هَاشِمٌ عِنْدَهَا حَتَّىٰ صَارَ غُلَامًا دُونَ الْمُرَاهَقَةِ فَذَهَبَ إِلَيْهِ عَمُّهُ الْمُطَّلِبُ فَجَاءَ بِهِ إِلَىٰ مَكَّةَ وَكَانَتِ الْأَرْحَامُ يُحْسَبُ لَهَا حِسَابٌ كَبِيرٌ فِي حَيَاةِ الْعَرَبِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ، وَمِنْهُمْ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ الَّذِي نَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي دَارِهِ فِي الْمَدِينَةِ.

كَانَ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ مِنْ قَحْطَانَ وَالْمُهَاجِرُونَ وَمَنْ سَبَقَ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ فِي مَكَّةَ وَمَا حَوْلَهَا مِنْ عَدْنَانَ.

وَلَمَّا هَاجَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ وَقَامَ الْأَنْصَارُ بِنَصْرِهِ اجْتَمَعَتْ بِذَلِكَ عَدْنَانُ وَقَحْطَانُ تَحْتَ لِوَاءِ الْإِسْلَامِ وَكَانُوا كَجَسَدٍ وَاحِدٍ، وَكَانَتْ بَيْنَهُمَا مُفَاضَلَةٌ وَمُسَابَقَةٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ؛ وَبِذَلِكَ لَمْ يَجِدِ الشَّيْطَانُ سَبِيلًا إِلَىٰ قُلُوبِهِمْ لِإِثَارَةِ الْفِتْنَةِ وَالتَّعَزِّي بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ بِاسْمِ الْحَمِيَّةِ الْقَحْطَانِيَّةِ أَوْ الْعَدْنَانِيَّةِ، فَكَانَتْ لِكُلِّ ذَلِكَ مَدِينَةُ يَثْرِبَ أَصْلَحَ مَكَانٍ لِهِجْرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ رضي الله عنهم وَاتِّخَاذِهِمْ لَهَا دَارًا وَقَرَارًا؛ حَتَّىٰ يَقْوَىٰ الْإِسْلَامُ وَيَشُقَّ طَرِيقَهُ إِلَىٰ الْأَمَامِ وَيَفْتَحُ الْجَزِيرَةَ ثُمَّ يَفْتَحُ الْعَالَمَ الْمُتَمَدِّنَ.

لَمَّا انْتَهَىٰ الْمَوْسِمُ وَانْصَرَفَ الْقَوْمُ رَاجِعِينَ إِلَىٰ بِلَادِهِمْ بَعْدَ بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ الْأُولَىٰ بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَهُمْ شَابًّا مِنْ شَبَابِ الْمُسْلِمِينَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ وَهُوَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ رضي الله عنه، وَأَمَرَهُ أَنْ يُقْرِئَهُمْ الْقُرْآنَ وَيُعَلِّمَهُمْ الْإِسْلَامَ وَيُفَقِّهَهُمْ فِي الدِّينِ، فَكَانَ مُصْعَبٌ رضي الله عنه يُسَمَّىٰ بِالْمَدِينَةِ الْمُقْرِئَ.

وَكَانَ نُزُولُ مُصْعَبٍ رضي الله عنه بِالْمَدِينَةِ عَلَىٰ السَّابِقِ إِلَىٰ الْخَيْرِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ رضي الله عنه.

وَقَدْ نَجَحَ مُصْعَبٌ رضي الله عنه أَيَّمَا نَجَاحٍ فِي نَشْرِ الْإِسْلَامِ، وَجَمْعِ النَّاسِ عَلَيْهِ! فَاسْتَطَاعَ أَنْ يَتَخَطَّىٰ الصِّعَابَ الَّتِي تُوجَدُ دَائِمًا فِي طَرِيقِ كُلِّ نَازِحٍ غَرِيبٍ يُحَاوِلُ أَنْ يَنْقُلَ النَّاسَ مِنْ مَوْرُوثَاتٍ أَلِفُوهَا إِلَىٰ نِظَامٍ جَدِيدٍ يَشْمَلُ الْحَاضِرَ وَالْمُسْتَقْبَلَ وَيَعُمُّ الْإِيمَانَ وَالعَمَلَ، وَالْخُلُقَ وَالسُّلُوكَ.

وَمَا كَانَ مُصْعَبٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَمْلِكُ مِنْ وَسَائِلِ الْإِغْرَاءِ مَا يَطْمَعُ طُلَّابَ الدُّنْيَا وَنَهَّازِي الْفُرَصِ، كُلُّ مَا لَدَيْهِ ثَرْوَةٌ مِنَ الْكِيَاسَةِ وَالْفِطْنَةِ قَبَسَهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَإِخْلَاصٌ للهِ جَعَلَهُ يُضَحِّي بِمَالِ أُسْرَتِهِ وَجَاهِهَا فِي سَبِيلِ عَقِيدَتِهِ.

ثُمَّ هَذَا الْقُرْآنُ الَّذِي يَتَأَنَّقُ فِي تِلَاوَتِهِ وَيَتَخَيَّرُ مِنْ رَوَائِعِهِ مَا يَغْزُو بِهِ الْأَلْبَابَ وَكُلُّهُ رَوَائِعُ فَإِذَا الْأَفْئِدَةُ تَرِقُّ لَهُ وَتَنْفَتِحُ لِلدِّينِ الْجَدِيدِ.

وَكَانَ مِمَّنْ أَسْلَمَ عَلَىٰ يَدِ مُصْعَبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سَيِّدَا بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَبِإِسْلَامِهِمَا أَسْلَمَ جَمِيعُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ إِلَّا مَا كَانَ مِنَ الْأُصَيْرِمِ وَهُوَ عَمْرُو بْنُ ثَابِتٍ، فَإِنَّهُ تَأَخَّرَ إِسْلَامُهُ إِلَىٰ يَوْمِ أُحُدٍ فَكَانَتْ أَوَّلَ دَارٍ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ أَسْلَمَتْ بِأَسْرِهَا.

رَوَىٰ ابْنُ إِسْحَاقَ أَنَّ أَسْعَدَ بْنَ زُرَارَةَ خَرَجَ بِمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ يُرِيدُ بِهِ دَارَ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، وَدَارَ بَنِي ظَفَرٍ، فَدَخَلَ بِهِ حَائِطًا مِنْ حَوَائِطِ بَنِي ظَفَرٍ عَلَىٰ بِئْرٍ يُقَالُ لَهَا: بِئْرُ مَرْقٍ، فَجَلَسَا فِي الْحَائِطِ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِمَا رِجَالٌ مِمَّنْ أَسْلَمَ، وَكَانَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ يَوْمَئِذٍ سَيِّدَيْ قَوْمِهِمَا مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ وَكِلَاهُمَا مُشْرِكٌ عَلَىٰ دِينِ قَوْمِهِ.

فَلَمَّا سَمِعَا بِمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَنَشَاطِهِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَىٰ الإِسْلَامِ، قَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ لِأُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ: لَا أَبَا لَكَ، انْطَلِقْ إِلَىٰ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ قَدْ أَتَيَا دَارَيْنَا لِيُسَفِّهَا ضُعَفَاءَنَا، فَازْجُرْهُمَا وَانْهَهُمَا عَنْ أَنْ يَأْتِيَا

دَارَيْنَا، فَإِنَّهُ لَوْلَا أَنَّ أَسْعَدَ بْنَ زُرَارَةَ مِنِّي حَيْثُ قَدْ عَلِمْت كَفَيْتُك ذَلِكَ هُوَ ابْنُ خَالَتِي، وَلَا أَجِدُ عَلَيْهِ مَقْدَمًا.

قَالَ فَأَخَذَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ حَرْبَتَهُ. ثُمَّ أَقْبَلَ إلَيْهِمَا، فَلَمَّا رَآهُ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ قَالَ لِمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ: هَذَا سَيِّدُ قَوْمِهِ قَدْ جَاءَك، فَاصْدُقِ اللهَ فِيهِ.

قَالَ مُصْعَبٌ: إنْ يَجْلِسْ أُكَلِّمْهُ.

قَالَ فَوَقَفَ عَلَيْهِمَا مُتَشَتِّمًا، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكُمَا إلَيْنَا تُسَفِّهَانِ ضُعَفَاءَنَا؟ اعْتَزِلَانَا إنْ كَانَتْ لَكُمَا بِأَنْفُسِكُمَا حَاجَةٌ.

فَقَالَ لَهُ مُصْعَبٌ -بِلِسَانِ المُؤْمِنِ الهَادِئِ الوَاثِقِ مِنْ سَمَاحَةِ دَعْوَتِهِ-: أَوَ تَجْلِسُ فَتَسْمَعَ فَإِنْ رَضِيتَ أَمْرًا قَبِلْتَهُ، وَإِنْ كَرِهْته كُفَّ عَنْك مَا تَكْرَهُ. فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ: أَنْصَفْتَ. ثُمَّ رَكَزَ حَرْبَتَهُ وَجَلَسَ إلَيْهِمَا، فَكَلَّمَهُ مُصْعَبٌ بِالْإِسْلَامِ وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ.

فَقَالَا -أَيْ مُصْعَبٌ وَأَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: وَاللهِ لَعَرَفْنَا فِي وَجْهِهِ الْإِسْلَامَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ فِي إشْرَاقِهِ وَتَسَهُّلِهِ.

ثُمَّ قَالَ: مَا أَحْسَنَ هَذَا الْكَلَامَ وَأَجْمَلَهُ، كَيْفَ تَصْنَعُونَ إذَا أَرَدْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا فِي هَذَا الدِّينِ؟

قَالَا لَهُ: تَغْتَسِلُ فَتَطَّهَّرُ وَتُطَهِّرُ ثَوْبَيْك، ثُمّ تَشْهَدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ، ثُمَّ تُصَلِّي. فَقَامَ فَاغْتَسَلَ وَطَهَّرَ ثَوْبَيْهِ، وَشَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ، ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ

قَالَ لَهُمَا: إِنَّ وَرَائِي رَجُلًا إِنْ اتَّبَعَكُمَا لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِهِ وَسَأُرْسِلُهُ إِلَيْكُمَا الْآنَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، ثُمّ أَخَذَ حَرْبَتَهُ وَانْصَرَفَ إِلَىٰ سَعْدٍ وَقَوْمِهِ وَهُمْ جُلُوسٌ فِي نَادِيهِمْ.

فَلَمّا نَظَرَ إِلَيْهِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ مُقْبِلًا، قَالَ: أَحْلِفُ بِاللّهِ لَقَدْ جَاءَكُمْ أُسَيْدٌ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الّذِي ذَهَبَ بِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ.

فَلَمَّا وَقَفَ عَلَىٰ النَّادِي، قَالَ لَهُ سَعْدٌ: مَا فَعَلْت؟

فَقَالَ: كَلَّمْتُ الرَّجُلَيْنِ فَوَاللهِ مَا رَأَيْتُ بِهِمَا بَأْسًا، وَقَدْ نَهَيْتُهُمَا، فَقَالَا: نَفْعَلُ مَا أَحْبَبْتَ. وَقَدْ حُدِّثْتُ أَنَّ بَنِي حَارِثَةَ قَدْ خَرَجُوا إِلَىٰ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ لِيَقْتُلُوهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَدْ عَرَفُوا أَنَّهُ ابْنُ خَالَتِكَ، لِيُخْفِرُوكَ.

قَالَ فَقَامَ سَعْدٌ مُغْضَبًا مُبَادِرًا؛ تَخَوّفًا لِلّذِي ذُكِرَ لَهُ مِنْ بَنِي حَارِثَةَ، فَأَخَذَ الْحَرْبَةَ ثُمّ قَالَ: وَاللهِ مَا أَرَاكَ أَغْنَيْتَ شَيْئًا، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِمَا، فَلَمّا رَآهُمَا سَعْدٌ مُطْمَئِنّيْنِ عَرَفَ سَعْدٌ أَنَّ أُسَيْدَ بْنَ حُضَيْرٍ إِنَّمَا أَرَادَ مِنْهُ أَنْ يَسْمَعَ مِنْهُمَا، فَوَقَفَ سَعْدٌ عَلَىٰ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ وَمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ مُتَشَمِّتًا مُتَشَتِّمًا.

ثُمّ قَالَ لِأَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ: يَا أَبَا أُمَامَةَ، أَمَا وَاللهِ لَوْلَا مَا بَيْنِي وَبَيْنَك مِنْ الْقَرَابَةِ مَا رُمْت هَذَا مِنِّي، أَتَغْشَانَا فِي دَارِنَا بِمَا نَكْرَهُ.

وَكَانَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ قَدْ قَالَ لِمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ: لَقَدْ جَاءَكَ وَاللهِ سَيِّدُ مَنْ وَرَاءَهُ مِنْ قَوْمِهِ، إِنْ يَتَّبِعْكَ، لَا يَتَخَلَّفُ عَنْك مِنْهُمْ اثْنَانِ.

فقال مُصْعَبٌ لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ: أَوَ تَقْعُدُ فَتَسْمَعَ فَإِنْ رَضِيتَ أَمْرًا وَرَغِبْتَ فِيهِ قَبِلْتَهُ، وَإِنْ كَرِهْتَهُ عَزَلْنَا عَنْكَ مَا تَكْرَهُ.

قَالَ سَعْدٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنْصَفْتَ. ثُمَّ رَكَزَ الْحَرْبَةَ وَجَلَسَ. فَعَرَضَ مُصْعَبٌ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ وَقَرَأَ عَلَيْهِ آيَاتٍ مِنْ سُورَةِ الزُّخْرُفِ.

قَالَا: فَعَرَفْنَا وَاللهِ فِي وَجْهِهِ الْإِسْلَامَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ لِإِشْرَاقِهِ وَتَسَهُّلِهِ. ثُمَّ قَالَ لَهُمَا: كَيْفَ تَصْنَعُونَ إِذَا أَنْتُمْ أَسْلَمْتُمْ وَدَخَلْتُمْ فِي هَذَا الدِّينِ؟

قَالَا: تَغْتَسِلُ فَتَطَّهَّرُ وَتُطَهِّرُ ثِيَابَكَ، ثُمَّ تَشْهَدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ ثُمَّ تُصَلِّي.

قَالَ: فَقَامَ وَاغْتَسَلَ وَطَهَّرَ ثِيَابَهُ، ثُمَّ شَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ، ثُمَّ رَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمّ أَخَذَ حَرْبَتَهُ فَأَقْبَلَ عَائِدًا إِلَىٰ نَادِي قَوْمِهِ وَمَعَهُ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ.

قَالَ: فَلَمَّا رَآهُ قَوْمُهُ مُقْبِلًا قَالُوا: نَحْلِفُ بِاللهِ، لَقَدْ رَجَعَ إِلَيْكُمْ سَعْدٌ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِمْ قَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، كَيْفَ تَعْلَمُونَ أَمْرِي فِيكُمْ؟ قَالُوا: سَيِّدُنَا وَأَفْضَلُنَا رَأْيًا، وَأَيْمَنُنَا نَقِيبَةً.

قَالَ: فَإِنَّ كَلَامَ رِجَالِكُمْ وَنِسَائِكُمْ عَلَيَّ حَرَامٌ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ قَالَا -أَيْ سَعْدُ بْنُ زُرَارَةَ وَمُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-: فَوَاللهِ مَا أَمْسَىٰ فِي دَارِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ رَجُلٌ وَلَا امْرَأَةٌ إِلَّا مُسْلِمًا وَمُسْلِمَةً، إِلَّا الْأُصَيْرِمَ عَمْرَو بْنَ ثَابِتٍ فَإِنَّهُ تَأَخَّرَ إِسْلَامُهُ إِلَىٰ يَوْمِ أُحُدٍ، فَأَسْلَمَ وَاسْتُشْهِدَ بِأَحَدٍ وَلَمْ يُصَلِّ للهِ سَجْدَةً قَطُّ! وَأَخْبَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ!

أَخْرَجَ قِصَّةَ إِسْلَامِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَأُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي «السِّيرَةِ» وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الدَّلَائِلِ».

وَأَخْرَجَ قِصَّةَ إِسْلَامِ الْأُصَيْرِمِ يَوْمَ أُحُدٍ وَاسْتِشْهَادِهِ فِيهَا ابْنُ إِسْحَاقَ فِي «السِّيرَةِ»، وَأَوْرَدَهَا الْحَافِظُ فِي «الْإِصَابَةِ» وَصَحَّحَ إِسْنَادَهَا.

أَقَامَ مُصْعَبٌ رضي الله عنه فِي مَنْزِلِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ حَتَّىٰ لَمْ تَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ مُسْلِمُونَ.

◉ ◉ ◉

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مِنَ الْعَوَامِلِ الَّتِي سَاعَدَتْ عَلَى سُرْعَةِ إِسْلَامِ الْأَنْصَارِ

سَاعَدَتْ عَلىٰ سُرْعَةِ إِسْلَامِ الْأَنْصَارِ عِدَّةُ عَوَامِلَ هِيَ مِنْ خَلْقِ اللهِ تَعَالَىٰ وَتَيْسِيرِهِ وصُنْعِهِ، كَانَتْ فَارِقَةً بَيْنَ قُرَيْشٍ وَأَهْلِ مَكَّةَ وَبَيْنَ قَبَائِلِ يَثْرِبَ.

مِنْهَا: مَا طَبَعَ اللهُ عَلَيْهِ قَبَائِلَ يَثْرِبَ مِنَ الرِّقَّةِ وَاللِّينِ وَعَدَمِ الْمُغَالَاةِ بِالْكِبْرِيَاءِ وَجُحُودِ الْحَقِّ وَذَلِكَ يَرْجِعُ إِلَىٰ الْخَصَائِصِ الدَّمَوِيَّةِ وَالسُّلَالِيَّةِ الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَمَا وَفَدَ وَفْدٌ مِنَ الْيَمَنِ بِقَوْلِهِ: «**أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً وَأَلْيَنُ قُلُوبًا**». وَالْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ تَرْجِعَانِ فِي أَصْلِهِمَا إِلَىٰ الْيَمَنِ نَزَحَ أَجْدَادُهُمَا مِنْهَا فِي الزَّمَنِ الْقَدِيمِ.

وَمِنْهَا: أَنَّ الْأَوْسَ وَالْخَزْرَجَ قَدْ أَنْهَكَتْهُمَا الْحُرُوبُ الدَّاخِلِيَّةُ وَمَا يَوْمُ بُعَاثٍ بِبَعِيدٍ، اكْتَوَوْا بِنَارِهَا وَذَاقُوا مَرَارَتَهَا وَعَافُوهَا وَنَشَأَتْ فِيهِمْ رَغْبَةٌ فِي اجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ وَانْتِظَامِ الشَّمْلِ وَالتَّفَادِي مِنَ الْحُرُوبِ.

وَمِنْهَا: أَنَّ قُرَيْشًا وَسَائِرَ الْعَرَبِ طَالَ عَهْدُهُمْ بِالنُّبُوَّاتِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَأَصْبَحُوا يَجْهَلُونَ مَعَانِيَهَا بِطُولِ الْعَهْدِ وَبِحُكْمِ الْأُمِّيَّةِ وَالْإِمْعَانِ فِي الْوَثَنِيَّةِ، وَالْبُعْدِ عَنِ الْأُمَمِ الَّتِي تَنْتَسِبُ إِلَىٰ الْأَنْبِيَاءِ وَتَحْمِلُ الْكُتُبُ السَّمَاوِيَّةُ عَلَىٰ مَا دَخَلَ فِيهَا مِنَ التَّحْرِيفِ وَالْعَبَثِ.

أَمَّا الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ، فَكَانُوا يَسْمَعُونَ الْيَهُودَ يَتَحَدَّثُونَ عَنِ النُّبُوَّةِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَيَتْلُونَ صُحُفَ التَّوْرَاةِ وَيُفَسِّرُونَهَا، بَلْ كَانُوا يَتَوَعَّدُونَهُمْ بِهِ وَيَقُولُونَ: إِنَّهُ سَيُبْعَثُ نَبِيٌّ فِي آخِرِ الزَّمَانِ نَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِرَمَ. وَمَا اخْتَارَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِنَبِيِّهِ مِنْ صُحْبَةِ أُولَئِكَ الْأَخْيَارِ وَنُصْرَتِهِمْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

لَمَّا اقْتَرَبَ مَوْسِمُ الْحَجِّ مِنَ السَّنَةِ الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ لِلْبِعْثَةِ اجْتَمَعَ ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالُوا: حَتَّىٰ مَتَىٰ نَذَرُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَطُوفُ فِي جِبَالِ مَكَّةَ وَيَخَافُ! فَتَوَاعَدُوا عَلَىٰ الْمَسِيرِ إِلَىٰ الْحَجِّ وَمُلَاقَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَخَرَجُوا مَعَ حُجَّاجِ قَوْمِهِمْ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ وَهُمْ خَمْسُمِائَةٍ حَتَّىٰ قَدِمُوا مَكَّةَ مَعَ الْحَجِيجِ فِي مَنَازِلِهِمْ مُسْتَخْفِينَ بِإِسْلَامِهِمْ، وَكَانَ مَعَهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ جَاءَ مَنْزِلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَوَّلًا وَلَمْ يَقْرَبْ مَنْزِلَهُ فَجَعَلَ يُخْبِرُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْأَنْصَارِ وَسُرْعَتِهِمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ وَيَقُصُّ عَلَيْهِ خَبَرَ قَبَائِلِ يَثْرِبَ وَمَا لَهَا مِنْ قُوَّةٍ وَمَنَعَةٍ فَسُرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِذَلِكَ وَدَعَا لَهُ.

ثُمَّ جَرَتْ بَيْنَ الْأَنْصَارِ الثَّلَاثَةِ وَالسَّبْعِينَ وَبَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ اتِّصَالَاتٌ سِرِّيَّةٌ أَدَّتْ إِلَىٰ اتِّفَاقِ الْفَرِيقَيْنِ عَلَىٰ أَنْ يَتَجَمَّعُوا فِي أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فِي الشِّعْبِ الَّذِي عِنْدَ الْعَقَبَةِ حَيْثُ الْجَمْرَةُ الْأُولَىٰ مِنْ مِنًىٰ؛ لِإِبْرَامِ اتِّفَاقٍ هُوَ مِنْ أَعْظَمِ وَأَهَمِّ الِاتِّفَاقِيَّاتِ فِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ، وَأَنْ يَتِمَّ هَذَا الِاجْتِمَاعُ فِي سِرِّيَّةٍ تَامَّةٍ فِي ظَلَامِ اللَّيْلِ.

وأَحَدُ قَادَةِ هَذَا الِاجْتِمَاعِ التَّارِيخِيِّ يَحْكِي مَا كَانَ وَهُوَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجْنَا إِلَىٰ الحَجِّ مَعَ حُجَّاجِ قَوْمِنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ صَلَّيْنَا وَفَقِهْنَا وَمَعَنَا الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ كَبِيرُنَا وَسَيِّدُنَا، فَلَمَّا تَوَجَّهْنَا لِسَفَرِنَا وَخَرَجْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ قَالَ فَخَرَجْنَا نَسْأَلُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ، وَكُنَّا لَا نَعْرِفُهُ وَلَمْ نَرَهُ قَبْلَ ذَلِكَ- فَلَقِينَا رَجُلًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَسَأَلْنَاهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ هَلْ تَعْرِفَانِهِ؟

فَقُلْنَا: لَا وَاللهِ.

قَالَ: هَلْ تَعْرِفَانِ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمَّهُ؟

قَالَ قُلْنَا: نَعَمْ!

وَكُنَّا نَعْرِفُ الْعَبَّاسَ كَانَ لَا يَزَالُ يَقْدُمُ عَلَيْنَا تَاجِرًا، قَالَ فَإِذَا دَخَلْتُمَا الْمَسْجِدَ فَهُوَ الرَّجُلُ الْجَالِسُ مَعَ الْعَبَّاسِ، تَرَكْتُهُ مَعَهُ الْآنَ جَالِسًا.

قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فَدَخَلْنَا الْمَسْجِدَ فَإِذَا الْعَبَّاسُ جَالِسٌ وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَعَهُ جَالِسٌ، فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِمَا، ثُمَّ جَلَسْنَا إِلَيْهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِلْعَبَّاسِ: «**هَلْ تَعْرِفُ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ يَا عَبَّاسُ؟**».

قَالَ نَعَمْ، هَذَانِ الرَّجُلَانِ مِنَ الْخَزْرَجِ -وَكَانَتْ الْأَنْصَارُ إِنَّمَا تُدْعَىٰ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ أَوْسَهَا وَخَزْرَجَها- هَذَا الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ رِجَالِ قَوْمِهِ، وَهَذَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ.

قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ: فَوَاللهِ مَا أَنْسَىٰ قَوْلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «الشَّاعِرُ؟» قَالَ كَعْبٌ: نَعَمْ!

قَالَ كَعْبٌ: وَخَرَجْنَا إِلَىٰ الْحَجِّ فَوَاعَدَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الْعَقَبَةَ مِنْ أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ.

فَلَمَّا فَرَغْنَا مِنَ الْحَجِّ وَكَانَتْ اللَّيْلَةُ الَّتِي وَعَدَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَعَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ أَبُو جَابِرٍ سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِنَا، وَكُنَّا نَكْتُمُ مَنْ مَعَنَا مِنْ قَوْمِنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمْرَنَا، فَكَلَّمْنَاهُ وَقُلْنَا لَهُ يَا أَبَا جَابِرٍ إِنَّكَ سَيِّدٌ مِنْ سَادَتِنَا وَشَرِيفٌ مِنْ أَشْرَافِنَا وَإِنَّا نَرْغَبُ بِكَ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ أَنْ تَكُونَ حَطَبًا لِلنَّارِ غَدًا، ثُمَّ دَعَوْنَاهُ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ وَأَخْبَرْتُهُ بِمِيعَادِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَأَسْلَمَ وَشَهِدَ مَعَنَا الْعَقَبَةَ وَكَانَ نَقِيبًا!

قَالَ كَعْبٌ: فَنِمْنَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ مَعَ قَوْمِنَا فِي رِحَالِنَا حَتَّىٰ إِذَا مَضَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ وَهَدَأَتِ الرِّجْلُ خَرَجْنَا مِنْ رِحَالِنَا لِمِيعَادِ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَتَسَلَّلُ مُسْتَخْفِينَ تَسَلُّلَ الْقَطَا، حَتَّىٰ اجْتَمَعْنَا فِي الشِّعْبِ عِنْدَ الْعَقَبَةِ وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ رَجُلًا مِنْهُمْ أَرْبَعُونَ مِنْ ذَوِي أَسْنَانِهِمْ وَأَشْرَافِهِمْ، وَثَلَاثُونَ شَابًّا، وَمَعَنَا امْرَأَتَانِ مِنْ نِسَائِنَا نُسَيْبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ أُمُّ عُمَارَةَ إِحْدَىٰ نِسَاءِ بَنِي مَازِنِ بْنِ النَّجَّارِ، وَأَسْمَاءُ ابْنَةُ عَمْرٍو أُمُّ مَنِيعٍ إِحْدَىٰ نِسَاءِ بَنِيَ سَلِمَةَ.

وَاجْتَمَعَتِ الْأَنْصَارُ بِالشِّعْبِ يَنْتَظِرُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ جَاءَهُمْ وَمَعَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ عَلَىٰ دِينِ قَوْمِهِ، إِلَّا أَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَحْضُرَ أَمْرَ ابْنِ أَخِيهِ وَيَتَوَثَّقَ لَهُ.

فِي رِوَايَةٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ قَدْ سَبَقَهُمْ إِلَىٰ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ وَمَعَهُ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ.

وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ طَلَعَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَافِعُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَلَمَّا نَظَرَ الْعَبَّاسُ فِي وُجُوهِهِمْ قَالَ: هَؤُلاءِ قَوْمٌ لَا أَعْرِفُهُمْ، هَؤُلَاءِ أَحْدَاثٌ! وَبَعْدَ أَنْ تَكَامَلَ الْمَجْلِسُ بَدَأَتِ الْمُحَادَثَاتُ لِإِبْرَامِ التَّحَالُفِ الدِّينِيِّ وَالْعَسْكَرِيِّ.

◉ ◉ ◉

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

بِدَايَةُ الْمُحَادَثَةِ وَشَرْحُ الْعَبَّاسِ لِخُطُورَةِ الْمَسْئُولِيَّةِ

كَانَ أَوَّلَ الْمُتَكَلِّمِينَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَتَكَلَّمَ؛ لِيَشْرَحَ لَهُمْ بِكُلِّ صَرَاحَةٍ خُطُورَةَ الْمَسْئُولِيَّةِ الَّتِي سَتُلْقَىٰ عَلَىٰ كَوَاهِلِهِمْ نَتِيجَةَ هَذَا التَّحَالُفِ.

قَالَ الْعَبَّاسُ: يَا مَعْشَرَ الْخَزْرَجِ -وَكَانَتِ الْعَرَبُ يُسَمُّونَ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الْأَنْصَارِ خَزْرَجَهَا وَأَوْسَهَا-، إِنَّ مُحَمَّدًا مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ، وَقَدْ مَنَعْنَاهُ مِنْ قَوْمِنَا مِمَّنْ هُوَ عَلَىٰ مِثْلِ رَأْيِنَا فِيهِ، فَهُوَ فِي عِزٍّ مَنْ قَوْمِهِ، وَمَنَعَةٍ فِي بَلَدِهِ، وَإِنَّهُ قَدْ أَبَىٰ إِلَّا الِانْحِيَازَ إِلَيْكُمْ وَاللُّحُوقَ بِكُمْ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ وَافُونَ لَهُ بِمَا دَعَوْتُمُوهُ إِلَيْهِ ومَانِعُوهُ مِمَّنْ خَالَفَهُ، فَأَنْتُمْ وَمَا تَحَمَّلْتُمْ مِنْ ذَلِكَ، وَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ مُسْلِمُوه وَخَاذِلُوهُ بَعْدَ الْخُرُوجِ إِلَيْكُمْ، فَمِنَ الْآنَ فَدَعُوهُ فَإِنَّهُ فِي عِزٍّ وَمَنَعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَبَلَدِهِ!

قَالَ كَعْبٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قَالَ فَقُلْنَا لَهُ: قَدْ سَمِعْنَا مَا قُلْتَ فَتَكَلَّمْ يَا رَسُولَ اللهِ فَخُذْ لِنَفْسِكَ وَلِرَبِّكَ مَا أَحْبَبْتَ، فَتَكَلَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَتَلَا عَلَيْنَا الْقُرْآنَ وَدَعَا إِلَىٰ اللهِ وَرَغَّبَ فِي الإِسْلَامِ، فَأَجَبْنَاهُ وَصَدَّقْنَاهُ، وَآمَنَّا بِهِ وَرَضِينَا بِمَا قَالَ.

ثُمَّ قَالَ ﷺ: «**تُبَايِعُونِي عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالكَسَلِ وَعَلَىٰ النَّفَقَةِ فِي العُسْرِ وَاليُسْرِ، وَعَلَىٰ الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ، وَعَلَىٰ أَنْ**

تَقُولُوا فِي اللهِ لَا يَأْخُذْكُمْ فِيهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ، وَعَلَىٰ أَنْ تَنْصُرُونِي إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ يَثْرِبَ، فَتَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ وَلَكُمُ الجَنَّةُ»، قَالَ: فَأَخَذَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَنَمْنَعَنَّكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أُزُرَنَا، فَبَايِعْنَا يَا رَسُولَ اللهِ فَنَحْنُ أَهْلُ الحُرُوبِ، وَأَهْلُ الحَلْقَةِ، وَرِثْنَاهَا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ. فَاعْتَرَضَ الْقَوْلَ وَالْبَرَاءُ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيِّهَانِ.

فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الرِّجَالِ -يَعْنِي اليَهُودَ- حِبَالًا، وَإِنَّا قَاطِعُوهَا، فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ نَحْنُ فَعَلْنَا ذَلِكَ، ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللهُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَىٰ قَوْمِكَ وَتَدَعَنَا؟

فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «**بَلِ الدَّمُ الدَّمُ وَالْهَدْمُ الْهَدْمُ، أَنَا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مِنِّي، أُحَارِبُ مَنْ حَارَبْتُمْ وَأُسَالِمُ مَنْ سَالَمْتُمْ**».

فَقَالَ لَهُ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ: ابْسُطْ يَدَكَ يَا رَسُولَ اللهِ نُبَايِعْكَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَخْرِجُوا إِلَيَّ مِنْكُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا لِيَكُونُوا عَلَىٰ قَوْمِهِمْ بِمَا فِيهِمْ**» فَتَمَّ انْتِخَابُهُمْ فِي الحَالِ؛ وَكَانُوا تِسْعَةً مِنَ الْخَزْرَجِ، وَثَلَاثَةً مِنَ الْأَوْسِ.

وَأَسْمَاؤُهُمْ:

*** نُقَبَاءُ الْخَزْرَجِ:**

نَقِيبُ بَنِي النَّجَّارِ: أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ.

نَقِيبُ بَنِي سَلَمَةَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ وَالِدُ جَابِرٍ رضي الله عنه.

وَنَقِيبُ بَنِي سَاعِدَةَ: سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَالْمُنْذِرُ بْنُ عَمْرٍو.

وَنَقِيبُ بَنِي زُرَيْقٍ: رَافِعُ بْنُ مَالِكِ بْنِ العَجْلَانِ.

وَنَقِيبُ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ: عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ، وَسَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ.

نَقِيبَ بَنِي عَوْفِ بْنِ الْخَزْرَجِ: عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ.

*** نُقَبَاءُ الْأَوْسِ:**

نَقِيبُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ: أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ.

نَقِيبُ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ: سَعْدُ بْنُ خَيْثَمَةَ وَرِفَاعَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُنْذِرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

بَعْدَ أَنْ تَمَّتِ الْمُحَادَثَةُ حَوْلَ شُرُوطِ الْبَيْعَةِ وَأَجْمَعُوا عَلَىٰ الشُّرُوعِ فِي عَقْدِهَا قَامَا رَجُلانِ مِنَ الرَّعِيلِ الْأَوَّلُ مِمَّنْ أَسْلَمَ فِي مَوَاسِمِ سَنَتَي الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ وَالثَّانِيَةَ عَشْرَةَ مِنَ الْبَعْثَةِ.

قَامَ أَحَدُهُمَا تِلْوَ الْآخَرِ؛ لِيُؤَكِّدَا لِلْقَوْمِ خُطُورَةَ الْمَسْئُولِيَّةِ، حَتَّىٰ لَا يُبَايِعُوهُ إِلَّا عَلَىٰ وُضُوحٍ مِنَ الْأَمْرِ وَلِيَعْرِفَا مَدَىٰ اسْتِعْدَادِ الْقَوْمِ لِلتَّضْحِيَةِ وَالْفِدَاءِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: لَمَّا اجْتَمَعُوا لِلْبَيْعَةِ قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عُبَادَةَ بْنِ نَضْلَةَ: يَا مَعْشَرَ الْخَزْرَجِ، هَلْ تَدْرُونَ عَلَامَ تُبَايِعُونَ هَذَا الرَّجُلَ؟

قَالُوا: نَعَمْ قَالَ إِنَّمَا تُبَايِعُونَهُ عَلَىٰ حَرْبِ الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ مِنَ النَّاسِ فَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ إِذَا نُهِكَتْ أَمْوَالُكُمْ مُصِيبَةً وَأَشْرَافُكُمْ قَتْلًا أَسْلَمْتُمُوهُ، فَمِنْ

الْآنَ فَهُوَ وَاللهِ - إنْ فَعَلْتُمْ خِزْيُ الدّنْيَا وَالْآخِرَةِ! وَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنّكُمْ وَافُونَ لَهُ بِمَا دَعَوْتُمُوهُ إلَيْهِ عَلَىٰ نُهَكَةِ الْأَمْوَالِ وَقَتْلِ الْأَشْرَافِ فَخُذُوهُ فَهُوَ وَاللهِ خَيْرُ الدّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

قَالُوا: فَإِنّا نَأْخُذُهُ عَلَىٰ مُصِيبَةِ الْأَمْوَالِ وَقَتْلِ الْأَشْرَافِ فَمَا لَنَا بِذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ إنْ نَحْنُ وَفَّيْنَا؟

قَالَ ﷺ: «الْجَنَّةُ».

قَالُوا: اُبْسُطْ يَدَكَ، فَبَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعُوهُ.

وَفِي رِوَايَةِ جَابِرٍ عِنْدَ ابْنِ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» وَالْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي «مُسْنَدِهِ» قَالَ: فَأَخَذَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ بِيَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ أَصْغَرُ السَّبْعِينَ، فَقَالَ: رُوَيْدًا يَا أَهْلَ يَثْرِبَ، إنَّا لَمْ نَضْرِبْ إلَيْهِ أَكْبَادَ الْمَطِيِّ إلَّا وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، وَإِنَّ إِخْرَاجَهُ الْيَوْمَ مُفَارَقَةُ الْعَرَبِ كَافَّةً، وَقَتْلُ خِيَارِكُمْ، وَأَنْ تَعَضَّكُمُ السُّيُوفُ، فَإِمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَصْبِرُونَ عَلَىٰ السُّيُوفِ إِذَا مَسَّتْكُمْ، وَعَلَىٰ قَتْلِ خِيَارِكُمْ، وَعَلَىٰ مُفَارَقَةِ الْعَرَبِ كَافَّةً، فَخُذُوهُ وَأَجْرُكُمْ عَلَىٰ اللهِ ﷻ، وَإِمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَخَافُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ خِيفَةً فَذَرُوهُ، فَهُوَ أَعْذَرُ عِنْدَ اللهِ.

فَقَالَوا: يَا أَسْعَدُ، أَمِطْ عَنَّا يَدَكَ، فَوَاللهِ لَا نَذَرُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ، وَلَا نَسْتَقِيلُهَا.

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلنُّقَبَاءِ: «**أَنْتُمْ عَلَىٰ قَوْمِكُمْ بِمَا فِيهِمْ كُفَلَاءُ كَكَفَالَةِ الْحَوَارِيِّينَ لِعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ** عليه السلام، **وَأَنَا كَفِيلٌ عَلَىٰ قَوْمِي**» -يَعْنِي الْمُسْلِمِينَ-.

قَالُوا: نَعَمْ.

فَقَامُوا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلًا رَجُلًا يَأْخُذُ عَلَيْهِمْ بِشَرْطِهِ -أَيْ بِشَرْطِ الرَّسُولِ ﷺ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَيُعْطِيهِمْ عَلَىٰ ذَلِكَ الْجَنَّةَ.

كَانَ أَوَّلَ مَنْ بَايَعَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

رَوَىٰ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ ضَرَبَ عَلَىٰ يَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ثُمَّ تَتَابَعَ الْقَوْمُ.

وَرَوَىٰ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ أَوَّلَ مَنْ ضَرَبَ عَلَىٰ يَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْبَيْعَةِ لَهُ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ.

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ بَايَعَهُ لَيْلَتَئِذٍ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَكَانَتْ لَهُ الْيَدُ الْبَيْضَاءُ إِذْ أَكَّدَ الْعَهْدَ وَبَادَرَ إِلَيْهِ.

لَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ بَيْعَةِ الرِّجَالِ بَايَعَ الْمَرْأَتَيْنِ قَوْلًا مِنْ غَيْرِ مُصَافَحَةٍ؛ لِأَنَّهُ ﷺ كَانَ لَا يُصَافِحُ النِّسَاءَ، وَإِنَّمَا كَانَ يَأْخُذُ عَلَيْهِنَّ فَإِذَا أَقْرَرْنَ قَالَ: «**اذْهَبْنَ فَقَدْ بَايَعْتُكُنَّ**».

www.menhag-un.com

شَيْطَانٌ يَكْتَشِفُ الْمُعَاهَدَة

قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فَلَمَّا بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ صَرَخَ الشَّيْطَانُ مِنْ رَأْسِ الْعَقَبَةِ بِأَنْفَذِ صَوْتٍ سَمِعْتُهُ قَطُّ: يَا أَهْلَ الْجَبَاجِبِ -وَالْجَبَاجِبُ الْمَنَازِلُ- يَا أَهْلَ الْجَبَاجِبِ هَلْ لَكُمْ فِي مُذَمَّمٍ وَالصُّبَاةُ مَعَهُ، قَدِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ حَرْبِكُمْ.

وَأَيْضًا: هَلْ لَكُمْ فِي مُذَمَّمٍ وَالصُّبَاةِ مَعَهُ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَىٰ حَرْبِكُمْ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**هَذَا أَزَبُّ الْعَقَبَةِ** -اسْمُ شَيْطَانٍ كَانَ بِالْعَقَبَةِ- **هَذَا ابْنُ أَزْيَبَ، اسْمَعْ أَيْ عَدُوَّ اللهِ أَمَّا وَاللهِ لَأُفْرِغَنَّ لَكَ**».

فَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عُبَادَةَ بْنُ نَضْلَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِلرَّسُولِ ﷺ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ شِئْتَ لَنَمِيلَنَّ عَلَىٰ أَهْلِ مِنًىٰ غَدًا بِأَسْيَافِنَا! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**لَمْ نُؤْمَرْ بِذَلِكَ وَلَكِنِ ارْجِعُوا إِلَىٰ رِحَالِكُمْ**»، فَرَجَعُوا وَنَامُوا حَتَّىٰ أَصْبَحُوا.

◉◉◉

www.menhag-un.com

قُرَيْشٌ تُقَدِّمُ الِاحْتِجَاجَ إِلَى رُؤُوسِ يَثْرِبَ

لَمَّا قَرَعَ هَذَا الْخَبَرُ آذَانَ قُرَيْشٍ وَقَعَتْ فِيهِمْ ضَجَّةٌ أَثَارَتْ الْقَلَاقِلَ وَالْأَحْزَانَ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَىٰ مَعْرِفَةٍ تَامَّةٍ مِنْ عَوَاقِبَ مِثْلِ هَذِهِ الْبَيْعَةِ وَنَتَائِجِهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ فَمَا أَنْ أَصْبَحُوا حَتَّىٰ تَوَجَّهَ وَفْدٌ كَبِيرٌ مِنْ زُعَمَاءِ مَكَّةَ وَأَكَابِرِ مُجْرِمِيهَا إِلَىٰ مَنَازِلِ أَهْلِ يَثْرِبَ فِي مِنًىٰ.

فقالوا: يَا مَعْشَرَ الْخَزْرَجِ إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّكُمْ قَدْ جِئْتُمْ إِلَىٰ صَاحِبِنَا هَذَا تَسْتَخْرِجُونَهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا وَتُبَايِعُونَهُ عَلَىٰ حَرْبِنَا. وَإِنَّهُ وَاللهِ مَا مِنْ حَيٍّ مِنَ الْعَرَبِ أَبْغَضُ إِلَيْنَا مِنْ أَنْ تَنْشُبَ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ مِنْكُمْ، فَانْبَعَثَ مَنْ هُنَاكَ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِنَا يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا كَانَ مِنْ هَذَا شَيْءٌ وَمَا عَلِمْنَاهُ، حَتَّىٰ إِنَّهُمْ -يَعْنِي زُعَمَاءَ قُرَيْشٍ- أَتَوْا عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيِّ بْنِ سَلُولٍ فَجَعَلَ يَقُولُ: هَذَا بَاطِلٌ وَمَا كَانَ هَذَا وَمَا كَانَ قَوْمِي لِيَفْتَاتُوا عَلَيَّ مِثْلَ هَذَا، لَوْ كُنْتُ بِيَثْرِبَ مَا صَنَعَ قَوْمِي هَذَا حَتَّىٰ يُؤَامِرُونِي!

أَمَّا الْمُسْلِمُونَ فَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ثُمَّ لَاذُوا بِالصَّمْتِ فَلَمْ يَتَحَدَّثْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِنَفْيٍ أَوْ إِثْبَاتٍ.

وَصَدَّقَ زُعَمَاءُ قُرَيْشٍ الْمُشْرِكِينَ مِنْ يَثْرِبَ فَرَجَعُوا خَائِبِينَ.

◉ ◉ ◉

تَأَكُّدُ الْخَبَرِ لَدَى قُرَيْشٍ وَمُطَارَدَةُ الْمُبَايِعِينَ

وَنَفَرَ النَّاسُ مِنْ مِنًىٰ، فَتَنَطَّسَتْ قُرَيْشٌ الْخَبَرَ، فَوَجَدُوا أَنَّ الخَبَرَ صَحِيحٌ وَأَنَّ البَيْعَةَ قَدْ تَمَّتْ فِعْلًا، فَخَرَجُوا فِي طَلَبِ القَوْمِ، فَأَدْرَكُوا سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ وَالمُنْذِرَ بْنَ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَكِلَاهُمَا كَانَ نَقِيبًا.

فَأَمَّا الْمُنْذِرُ فَأَعْجَزَ الْقَوْمَ، وَاسْتَطَاعَ أَنْ يَفِرَّ، وَأَمَّا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، فَأَخَذُوهُ فَرَبَطُوا يَدَيْهِ إِلَىٰ عُنُقِهِ، ثُمَّ أَقْبَلُوا بِهِ حَتَّىٰ أَدْخَلُوهُ مَكَّةَ يَضْرِبُونَهُ وَيَجْذِبُونَهُ بِشَعْرِهِ وَكَانَ ذَا شَعْرٍ كَثِيرٍ.

قَالَ سَعْدٌ: فَوَاللهِ، إِنِّي لَفِي أَيْدِيهِمْ إِذْ طَلَعَ عَلَيَّ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ، فِيهِمْ رَجُلٌ وَضِيءٌ أَبْيَضُ فقُلْت فِي نَفْسِي: إِنْ يَكُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ الْقَوْمِ خَيْرٌ فَعِنْدَ هَذَا، قَالَ فَلَمَّا دَنَا مِنِّي رَفَعَ يَدَهُ فَلَكَمَنِي لَكْمَةً شَدِيدَةً. فَقُلْت فِي نَفْسِي: لَا وَاللهِ مَا عِنْدَهُمْ بَعْدَ هَذَا مِنْ خَيْرٍ!

قَالَ سَعْدٌ: فَوَاللهِ إِنِّي لَفِي أَيْدِيهِمْ يَسْحَبُونَنِي إِذْ آوَىٰ لِي رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ مَعَهُمْ فَقَالَ وَيْحَك أَمَا بَيْنَك وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ قُرَيْشٍ جِوَارٌ وَلَا عَهْدٌ؟

قَالَ قُلْت: بَلَىٰ، وَاللهِ لَقَدْ كُنْت أُجِيرُ لِجُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ تِجَارَةً وَأَمْنَعُهُمْ -أَيْ تُجَّارَهُمْ- مِمَّنْ أَرَادَ ظُلْمَهُمْ بِبِلَادِي، وَلِلْحَارِثِ بْنِ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ، قَالَ: وَيْحَكَ فَاهْتِفْ بِاسْمِ الرَّجُلَيْنِ، وَاذْكُرْ مَا بَيْنَك وَبَيْنَهُمَا.

قَالَ فَفَعَلْت، وَخَرَجَ ذَلِكَ الرّجُلُ إلَيْهِمَا فَوَجَدَهُمَا فِي الْمَسْجِدِ عِنْدَ الْكَعْبَةِ.

فَقَالَ لَهُمَا: إنَّ رَجُلًا مِنْ الْخَزْرَجِ الْآنَ يُضْرَبُ بِالْأَبْطَحِ يَهْتِفُ بِكُمَا، وَيَذْكُرُ أَنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَكُمَا جِوَارًا.

قَالَا: مَنْ هُوَ؟

قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ.

قَالَا: صَدَقَ وَاَللهِ إنْ كَانَ لَيُجِيرُ لَنَا تُجَّارَنَا، وَيَمْنَعُهُمْ أَنْ يُظْلَمُوا بِبَلَدِهِ.

قَالَ فَجَاءَا فَخَلَّصَا سَعْدًا مِنْ أَيْدِيهِمْ فَانْطَلَقَ.

وَكَانَ الَّذِي لَكَمَ سَعْدًا، سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو وَكَانَ الرّجُلُ الَّذِي آوَىٰ إلَيْهِ أَبَا الْبَخْتَرِيّ بْنَ هِشَامٍ وَكَانَتِ الْأَنْصَارُ ائْتَمَرَتْ حِينَمَا فَقَدُوا سَعْدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنْ يَكُرُّوا إلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ قَدْ طَلَعَ عَلَيْهِمْ فَرَحَلَ الْقَوْمُ جَمِيعًا إلَىٰ الْمَدِينَةِ.

ذَكَرَ ابْنُ إسْحَاقَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَايَعَ الْأَنْصَارَ فِي الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ بَيْعَةَ الْحَرْبِ؛ حَيْثُ أَذِنَ اللهُ لِرَسُولِهِ ﷺ فِي الْقِتَالِ وَكَانَ هَذَا مِنْ أَوْهَامِ ابْنِ إسْحَاقَ عَلَىٰ جَلَالَتِهِ؛ فَالْجِهَادُ لَمْ يُشْرَعْ إلَّا فِي السَّنَةِ الْأُولَىٰ مِنَ الْهِجْرَةِ وَقَدْ وَافَقَ ابْنَ إسْحَاقَ عَلَىٰ هَذَا الْوَهْمِ ابْنُ هِشَامٍ أَيْضًا.

رَوَىٰ الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: لَقَدْ شَهِدَتْ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ حَيْثُ تَوَاثَقْنَا عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ، وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرَ فِي النَّاسِ مِنْهَا!

◉ ◉ ◉

بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ

هَذِهِ هِيَ بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ تُعْرَفُ بِبَيْعَةِ الْعَقَبَةِ الْكُبْرَىٰ تَمَّتْ فِي جَوٍّ تَعْلُوهُ عَوَاصِفُ الْحُبِّ وَالْوَلَاءِ وَالتَّنَاصُرِ بَيْنَ أَشْتَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَالثِّقَةِ وَالشَّجَاعَةِ وَالِاسْتِبْسَالِ فِي هَذَا السَّبِيلِ فَمُؤْمِنٌ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ يَحْنُو عَلَىٰ أَخِيهِ الْمُسْتَضْعَفِ فِي مَكَّةَ وَيَتَعَصَّبُ لَهُ وَيَغْضَبُ مِنْ ظَالِمِهِ، وَتَجِيشُ فِي حَنَايَاهُ مَشَاعِرُ الْوُدِّ لِهَذَا الْأَخِ الَّذِي أَحَبَّهُ فِي ذَاتِ اللهِ!

وَلَوْ لَمْ تَكُنْ هِذِه الْمَشَاعِرُ وَالْعَوَاطِفُ نَتِيجَةَ نَزْعَةٍ عَابِرَةٍ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْمَشَاعِرُ وَالْعَوَاصِفُ نَتِيجَةَ نَزْعَةٍ عَابِرَةٍ تَزُولُ عَلَىٰ مَرِّ الْأَيَّامِ بَلْ كَانَ مَصْدَرَهَا الْإِيمَانُ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَبِكِتَابِهِ هُوَ إِيمَانٌ لَا يَزُولُ أَمَامَ أَيِّ قُوَّةٍ مِنْ قُوَّاتِ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ.

لَمَّا رَجَعَ الْأَنْصَارُ الَّذِينَ بَايَعُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ أَظْهَرُوا الْإِسْلَامَ بِهِ وَدَعَوْا أَهْلِيهِمْ إِلَيْهِ.

www.menhag-un.com

إِسْلَامُ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ رضي الله عنه

كَانَ مِنْ قَوْمِهِمْ بَقَايَا مِنْ شُيُوخٍ لَهُمْ عَلَىٰ دِينِهِمْ مِنَ الشِّرْكِ مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ رضي الله عنه مِنْ سَادَاتِ بَنِي سَلِمَةَ وَأَشْرَافِهِمْ كَانَ ابْنُهُ مُعَاذٌ شَهِدَ الْعَقَبَةَ وَبَايَعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِهَا.

كَانَ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ قَدِ اتَّخَذَ فِي دَارِهِ صَنَمًا مِنْ خَشَبٍ يُقَالُ لَهُ مَنَاةُ كَمَا كَانَتِ الْأَشْرَافُ يَصْنَعُونَ، فَلَمَّا أَسْلَمَ فِتْيَانُ بَنِي سَلِمَةَ، مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَابْنُهُ مُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو فِي فِتْيَانٍ مِنْهُمْ مِمَّنْ أَسْلَمَ وَشَهِدَ العَقَبَةَ، كَانُوا يُدْلِجُونَ بِاللَّيْلِ عَلَىٰ صَنَمِ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ، فَيَحْمِلُونَهُ فَيَطْرَحُونَهُ فِي بَعْضِ حُفَرِ بَنِي سَلِمَةَ وَفِيهَا عِذَرُ النَّاسِ -وَهُوَ الْغَائِطُ الَّذِي يُلْقِيهِ النَّاسُ- مُنَكَّسًا عَلَىٰ رَأْسِهِ، فَإِذَا أَصْبَحَ عَمْرٌو قَالَ: وَيْلَكُمْ مَنْ عَدَا عَلَىٰ إِلَهِنَا هَذِهِ اللَّيْلَةَ؟ ثُمَّ يَغْدُو يَلْتَمِسُهُ حَتَّىٰ إِذَا وَجَدَهُ غَسَلَهُ وَطَهَّرَهُ وَطَيَّبَهُ، ثُمَّ قَالَ للصَّنَمِ: أَمَا وَاللهِ لَوْ أَعْلَمُ مَنْ فعَلَ بِكَ هَذَا لَأَخْزَيْتُهُ!

وَلِمَ لَا يَفْعَلُ هُوَ؟ أَلَيْسَ مَعْبُودًا؟!

فَإِذَا أَمْسَىٰ وَنَامَ عَمْرٌو عَدَوْا عَلَيْهِ فَفَعَلُوا مِثْلَ ذَلِكَ، فَيَغْدُوَا فَيَجِدُهُ فِي مِثْلِ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْأَذَىٰ فَيُغَسِّلُهُ وَيُطَهِّرُهُ وَيُطَيِّبُهُ، ثُمَّ يَعْدُونَ عَلَيْهِ إِذَا أَمْسَىٰ فَيَفْعَلُونَ بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ.

فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ اسْتَخْرَجَهُ مِنْ حَيْثُ أَلْقَوْهُ يَوْمًا فَغَسَّلَهُ وَطَهَّرَهُ وَطَيَّبَهُ. ثُمَّ جَاءَ بِسَيْفِهِ فَعَلَّقَهُ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ لِلصَّنَمِ: إِنِّي وَاللهِ لَا أَعْلَمُ مَنْ يَصْنَعُ بِكَ مَا أَرَىٰ، فَإِنْ كَانَ فِيكَ خَيْرٌ فَامْتَنِعْ فَهَذَا السَّيْفُ معَكَ!

فَلَمَّا أَمْسَىٰ وَنَامَ عَمْرٌو عَدَوْا عَلَيْهِ فَأَخَذُوا السَّيْفَ فِي عُنُقِهِ ثُمَّ أَخَذُوا كَلْبًا مَيِّتًا فَقَرَنُوهُ بِهِ بِحَبْلٍ، ثُمَّ أَلْقَوْهُ فِي بِئْرٍ مِنْ آبَارِ بَنِي سَلِمَةَ فِيهَا عِذَرُ النَّاسِ وَغَدَا عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ فَلَمْ يَجِدْهُ فِي مَكَانِهِ الَّذِي كَانَ بِهِ، فَخَرَجَ يَتْبَعُهُ حَتَّىٰ إِذَا وَجَدَهُ فِي تِلْكَ الْبِئْرِ مُنَكَّسًا مَقْرُونًا بِكَلْبٍ مَيِّتٍ، فَلَمَّا رَآهُ وَأَبْصَرَ شَأْنَهُ، وَبَانَ لَهُ صَوَابُهُ وَرَجَعَ إِلَيْهِ عَقْلُهُ وَعَلِمَ أَنَّهَا أَصْنَامٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، فَمَا إِنْ كَلَّمَهُ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ حَتَّىٰ أَسْلَمَ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ!

وَقَالَ حِينَ اسْتَبَانَ لَهُ الرُّشْدُ يَذْكُرُ صَنَمَهُ هَذَا وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَيَشْكُرُ اللهَ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِمَّا كَانَ فِيهِ مِنَ الْعَمَىٰ وَالضَّلَالِ:

وَاللهِ لَوْ كُنْتَ إِلَهًا لَمْ تَكُنْ ... أَنْتَ وَكَلْبٌ وَسْطَ بِئْرٍ فِي قَرَنْ

أُفٍّ لِمَلْقَاكَ إِلَهًا مُسْتَدَنْ ... الْآنَ فَتَّشْنَاكَ عَنْ سُوءِ الْغَبَنْ

الْحَمْدُ للهِ الْعَلِيِّ ذِي الْمِنَنْ ... الْوَاهِبِ الرَّزَّاقِ دَيَّانِ الدِّيَنْ

هُوَ الَّذِي أَنْقَذَنِي مِنْ قَبْلِ أَنْ ... أَكُونَ فِي ظُلْمَةِ قَبْرٍ مُرْتَهَنْ

بِأَحْمَدَ الْمَهْدِيِّ النَّبِيِّ الْمُؤْتَمَنْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ هِجْرَةُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

خَاتِمَةٌ

وَبَعْدُ، فَهَذَا مَا مَنَّ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ مِنْ جَمْعٍ وَتَرْتِيبٍ وَقِرَاءَةٍ وَتَعْلِيقٍ لِمَا يَتَعَلَّقُ بِالسِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَىٰ هِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ وَهِيَ مَجْمُوعَةٌ مِنْ كَلَامِ مُؤَلِّفِ السِّيرَةِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ الْقُدَامَىٰ وَالْمُحْدَثِينَ لَيْسَتْ قِرَاءَةً فِي كِتَابٍ بِعَيْنِهِ وَلَا تَعْلِيقًا عَلَيْهِ، وَلَيْسَ لِي فِيهَا سِوَىٰ الْجَمْعِ وَالتَّرْتِيبِ وَبَعْضِ التَّعْلِيقِ فِي مَوَاضِعَ مِنْهُ وَللهِ تَعَالَىٰ وَحْدَهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

وَقَدْ كَانَ هَذَا بِحَوْلِ اللهِ وَقُوَّتِهِ وَفَضْلِهِ وَجُودِهِ وَنِعْمَتِهِ فِي دَوْرَةِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ الْإِمَامِ -رَحِمَهُ الْمَلِيكُ الْعَلَّامُ- الْمَعْقُودَةِ بِالْمَسْجِدِ الشَّرْقِيِّ مِنْ يَوْمِ الْأَحَدِ التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْحَجَّةِ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمَائَةٍ وَأَلْفٍ الْمُوَافِقِ لِلتَّاسِعِ مِنْ سِبْتَمْبَرَ سَنَةَ ثَمَانِي عَشْرَةَ وَأَلْفَيْنَ مِنَ التَّارِيخِ الصَّلِيبِيِّ إِلَىٰ يَوْمِ الْخَمِيسِ الثَّالِثِ مِنْ شَهْرِ اللهِ الْحَرَامِ الْمُحَرَّمِ سَنَةَ أَرْبَعِينَ وأَرْبَعِمِائَةٍ وَأَلْفٍ مِنْ هِجْرَةِ سَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ الْمُوَافِقِ لِلثَّالِثَ عَشَرَ مِنْ سِبْتَمْبَر سَنَةَ ثَمَانِي عَشَرَ وَأَلْفَيْنَ مِنَ التَّارِيخِ الصَّلِيبِيِّ.

وَقَدْ كَانَتْ تِلْكَ الدَّوْرَةُ -بِفَضْلِ اللهِ وَنِعْمَتِهِ وَحَوْلِهِ وَطَوْلِهِ وَجُودِهِ وَمِنَّتِهِ- بِالْمَسْجِدِ الشَّرْقِيِّ بِسُبْكِ الْأَحَدِ مِنْ أَعْمَالِ مُحَافَظَةِ الْمُنوفِيَّةِ بِمِصْرَ حَفِظَهَا اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَشَرٍّ وَشِرْكٍ وَبِدْعَةٍ وَسَائِرِ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ.

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ وَتُبْ عَلَيْنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

وَصَلَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلىٰ أَبَوَيْهِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

❁ ❁ ❁

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com